ابن المعتز

وتراثه في الأدب والنقد والبيان

تأليف

د. محمد عبد المنعم خفاجي

دار الجيل

بيروت

ابن المعتز

وتراثه في الأدب والنقد والبيان

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

دار الجيل
بيروت

تمهيد

مقدمة الطبعة الثانية للكتاب

ابن المعتز علم من أعلام الفكر العربى ، وشاعر من فحول الشعراء العباسيين ، وأديب وعالم مرموق المكانة فى تاريخ البلاغة العربية والنقد الأدبى ، وهو مع ذلك كاتب من بلغاء الكتاب فى عصره .

وكنت أشعر أن ابن المعتز قريب من قلبى وعقلى ، وهذا الشعور هو الذى دفعنى إلى جعل حياته وأدبه وشعره وآرائه موضوع هذا الكتاب ، الذى صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٤٩ فى قريب من أربعمائة صفحة .

وهذه الطبعة الثانية للكتاب التى تبلغ نحو ضعف الطبعة الأولى ، أشعر كذلك بأنى قد أسهمت بها فى تقريب أدب ابن المعتز وتفكيره إلى أذهان القراء ، وفى جمع أصول تراث ابن المعتز الأدبى والعقلى ووضعها بين أيدى الباحثين والدارسين .

وأترك تقدير هذا الجهد للقارئين والناقدين ، وحسبى أن أكون أول من كتب كتابا عن ابن المعتز فى القديم والحديث ، ومن الله أستمد التوفيق والسداد ؟

المؤلف

٦ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ
٢٠ سبتمبر ١٩٥٨ م

يشتمل هذا الكتاب على

١ ـ دراسة مفصلة لحياة ابن المعتز وأدبه وتراثه فى النقد والبيان .

٢ ـ دراسة مستقلة عن التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى .

٣ ـ رسائل ابن المعتز .

٤ ـ رسالته المفقودة فى نقد أبى تمام .

٥ ـ كتابه المفقود « الفصول القصار » .

٦ ـ شرح لأشهر ملاحم ابن المعتز التاريخية وهى قصيدته فى تاريخ الخليفة المعتضد

٧ ـ أرجوزة ابن المعتز فى ذم الصبوح .

٨ ـ ديوان ابن المعتز : أشهر قصائده وتحليلها وقصائد عديدة لم تنشر فى ديوانه .

٩ ـ نص كتابه « البديع » وشروحى عليه .

مقدمة الطبعة الأولى

فاتحة الكتاب

أسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة ، ويشعر قلوبنا عز الحق ، وأعوذ به من العجب بما أحسن ، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن ، وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الحيرة ، ويهدينا سواء السبيل ، وما توفيق إلا بالله .

موضوع هذا البحث ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ، وابن المعتز علم جديد فى تاريخ البحث الأدبى ، لم يتناوله كاتب من الكتاب ، أو ناقد من النقاد بالبحث والدراسة والتحليل ، وكل ما كتب عنه كلمات صغيرة تستغرق الصفحة أو الصفحات ، فى كتب الأدب القديم ، التى تناولت ترجمة حياته ، وذكر شىء من شعره ، فى إيجاز بالغ ، واقتضاب لا يروى غلة الظامئ إلى معرفة الحقائق الأدبية التى نسيت على مر أحقابنا الطويلة ، وهذه الكلمات والتراجم هى التى رددها كتابنا المحدثون ، حين كتبوا عن ابن المعتز ، فكان حظه وهو فى عالم الأبدية كحظه وهو حى يغدو ويروح ، حالفه الإهمال والجحود فى حياته وبعدها ، مما حفزنى إلى البحث والدراسة ، وكتابة هذا السفر الجديد ، الذى يتناول هذا العلم الفذ ، والشاعر الناقد ، والكاتب الأديب ، والعالم المجلى فى حلبة العلم والعلماء ، والمؤلف الممتع فيما كتبه وأخرجه من مؤلفات ، فى تفصيل واسع ، وتحليل دقيق : لعصره وحياته وشخصيته ، وشعره وأدبه ، وأثره فى النقد والبيان .

على أنى لم أخط خطوة واحدة فى هذه البحوث إلا بعد استقصاء ومراجعة لشتى المصادر ، مما ظهر أثره واضحاً فى كل فصل من فصولها ، وموضوع من موضوعاتها ، ومما ملأ نفسى ثقة بهذا البحث وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج فى باب الدراسات الأدبية .

وفى هذا الكتاب بحوث وآراء ونظريات فى الأدب والنقد والموازنة ، أعتقد أنها جديدة كل الجدة ، وهى كثيرة جداً ؛ وفيه كشف لشتى سمات شخصية ابن المعتز الاجتماعية والأدبية والعلمية .

وقبل أن أبدأ فى كتابة هذا البحث شرحت كتاب البديع لابن المعتز شرحاً وافيا ، ونشرته فى أوائل سنة ١٩٤٥ ، ثم أخذت أجمع رسائل ابن المعتز الأدبية ونثره الفنى وما يمكن أن أعثر عليه من كتابه المفقود « الفصول القصار » حتى اجتمع لدى من ذلك مقدار ليس بالقليل ، فأضفت إليه رسالته فى نقد أبى تمام، وشرحا وافيا لأرجوزته فى المعتضد ، وأرجوزته فى ذم الصبوح ، ونشر ذلك كله باسم رسائل ابن المعتز عام ١٩٤٦ ، وكنت على وشك إعداد كتابه « طبقات الشعراء » للنشر لولا أنى علمت أن أديبا بدار الكتب سبقنى إلى حمل هذا العبء الثقيل ، كما أنى أخذت أجمع شعر ابن المعتز الذى خلا منه ديوانه المطبوع ، وهو كثير جداً ، حتى جمعت من ذلك مقداراً مناسبا ، وبعد قراءتى لديوان الشاعر المخطوط بدار الكتب المصرية وجدته قد جمع كل ماتفرق من شعره ، فوقفت عن المضى فى هذه الغاية ، وعزمت على شرحه ونشره ، لولا أن نشره أحد المستشرقين فى استامبول عام ١٩٤٥ ، وقد نشرت جزءا مما جمعته من متفرق شعره ذيلا لرسائل ابن المعتز ، كما نشرت كتابا جديدا باسم « التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى » فى أواخر عام ١٩٤٨ .

وهذا هو كتابنا الجديد « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » أقدمه للأدباء والعلماء والباحثين . وما توفيقى إلا بالله ؟

الباب الأول

عصر ابن المعتز

الفصل الأول

الحياة السياسية فى العصر العباسى

(١)

عاش ابن المعتز فى العصر العباسى الثانى الذى يبتدىء بخلافة المتوكل عام ٢٣٢(١) ﻫ ، وينتهى بفتح بنى بويه بغداد عام ٣٣٤ ﻫ .

وإذا كان العصر العباسى الأول (١٣٢ — ٢٣٢ ﻫ)(٢) يمتاز بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ومجد الدولة ، وبنفوذ الفرس فيه . فإن العصر الثانى (٢٣٢ — ٣٣٤ ﻫ) (٣) يتسم بضعف الخلافة ، وضياع هيبة الخلفاء وفساد شؤون الدولة ، وذلك بسبب نفوذ الأتراك الذى بلغ حدا كبيرا فى هذا العصر .

وأول من استخدم الأتراك فى الجيش الخليفة المنصور المتوفى عام ١٥٨ ﻫ ، ولكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها فى الدولة بجانب الفرس والعرب(٤) ، وألف المأمون فرقة صغيرة منهم ابسالتهم ، وعاشوا بعيدين عن شئون الدولة وسياستها ، لميل المأمون إلى الفرس أخواله .

وكانت أم المعتصم « ماردة » تركية من السغد ، فنشأ ومعه كثير من طبائع الأتراك ، مع الميل إليهم لأنهم أخواله ، وشاهد المعتصم جرأة الفرس وتطاولهم على الخلافة بعد قتل الأمين(٥) فصار يخافهم على نفسه وضاعت ثقته بهم ، كما ضاعت

---

(١) يرى بعض الكتاب أن ابتداءه الفعلى بمقتل المتوكل عام ٢٤٧ وهو العام الذى ولد فيه ابن المعتز .

(٢) يسير على هذا التقسيم كثير من الباحثين (ص ٩ ج ٢ تاريخ آداب اللغة لزيدان ، و ٥ ج ٤ التمدن الإسلامى ، ٢١١ تاريخ الأدب العربى للزيات ، ص ب ج ١ ضحى الإسلام) . ويجعل بعض الباحثين العصرين عصراً واحداً (٣ آداب اللغة فى العصر العباسى للاسكندرى ، ١٦ تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى لمحمود مصطفى، ١٦٥ ج ١ المفصل) .

(٣) ويرى بعض الكتاب أن ابتداءه الفعلى بمقتل المتوكل عام ٢٤٧ .

(٤) ١٦٧ ج ٤ التمدن الإسلامى .

(٥) قال طاهر بن الحسين وهو فارسى :

أيسومنى المأمون خطة عاجز　　أو ما رأى بالأمس رأس محمد؟ =

ثقته بالعرب ، فأخذ يتقوى بالأتراك ويتخير منهم الأشداء يبتاعهم بالمال من مواليهم ، حتى اجتمع لديه آلاف من قبل أن تفضى إليه الخلافة(١) .

ولما مات المأمون سنة ٢١٨ هـ كان هوى الحزب الفارسى مع ابنه العباس ونادوا به خليفة ، ولكن العباس بايع لعمه المعتصم فسكن الجند(٢) ، فكان ذلك أيضا مما زاد من تقريب المعتصم للجند الأتراك وإيثاره لهم .

وفى عام ٢٢٠ هـ استقدم المعتصم عددا كبيرا من الأتراك ، اشتراهم وبذل فيهم الأموال ، وبلغت عدتهم ثمانية عشر ألفاً(٣) ثم ازداد عددهم فى جيشه حتى بلغوا السبعين ألفا(٤) . ولما ضاقت بهم بغداد ، وكثرت الخصومات بينهم وبين الجمهور ، وبينهم وبين الفرس أنى المعتصم سامرا على شاطىء دجلة وعلى مسيرة ثلاثة أيام من بغداد ، فاتخذها معسكرا لجيشه ، وحاضرة للملك ، منذ عام ٢٢١هـ(٥)، وأصبحت مدينة عظيمة فى مدة وجيزة(٦) ، وصارت من أجل الحواضر الإسلامية وظلت مقر الخلافة حتى عام ٢٨٩ هـ(٧) .. أسلم الأتراك ، وأخذوا يتعلمون العربية ويتكلمون بها ، وصاروا موضع ثقة الخليفة وإيثاره ، وكان ذلك ضربة قاضية على العرب ونفوذهم فى الدولة ، وكتب المعتصم إلى عماله بإسقاط من فى دواوينهم من العرب وقطع العطاء عنهم وأنزلهم عما كان لهم من قيادة الجيوش ، ومنعوا الولايات(٨) .

وانتقلت سياسة الدولة من أيدى الفرس إلى أيدى الاتراك(٩) ، الذين أخذوا ينكلون بالفرس والعرب جميعا ، وسعوا فى قتلهم ، وموقف الافشين من أبى دلف وأمره بقتله لولا أن أنقذه ابن أبى دؤاد معروف(١٠) .

ولم يمض غير قليل حتى كان لهم النفوذ والسيطرة على الخلافة والخلفاء ، وخاصة

= (١٥٧ : ١ العقد الفريد) ، وينسب لدعبل (٢٦٦ : ٧ مهذب الأغانى ، ٥٢ : ٢ آداب اللغة لزيدان ، ٣٥٠ الشعر والشعراء) .

(١) ١٦٨ : ٤ التمدن الإسلامى .

(٢) ٣٠٤ : ١٠ الطبرى (٣) ٢٢٣ : ٢ النجوم الزاهرة (٤) ٤ العصر العباسى للسباعى بيومى

(٥) ٩ : ٤ وما بعدها مروج الذهب (٦) ٥٢ و٥٣ تاريخ الحضارة لبارتولد .

(٧) ١٠٠ : ١ ظهر الإسلام . (٨) ١٤٤ : ٤ التمدن ، ١٦٥ حضارة الإسلام فى دار السلام

(٩) ١٧٠ جـ ٤ التمدن (١٠) ٥٤ الأذكياء لابن الجوزى .

بعد فتح عمورية وقتل بابك عام ٢٢٣ هـ ، وصار أكثر الوزراء وجميع قادة الجيش منهم ، واشتهر من بينهم الافشين م ٢٢٦ هـ واشناس م ٢٣٠ هـ ، وإيتاخ م ٢٣٥ هـ وسواهم ، وتغلغل نفوذهم فى جميع مناصب الدولة لكثرتهم وبسالتهم وتأييد الخلفاء لهم ، حتى ان الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ) استخلف عام ٢٢٨ هـ اشناس التركى على السلطنة وألبسه وشاحين وتاجا(١) ، وفى عهده نكل بغا الكبير وجيشه بكثير من العرب (٢) .. ولما مات الواثق عام ٢٣٢ هـ ، سعى الأتراك فى ترشيح جعفر المتوكل بن المعتصم للخلافة ، لأن أمه (شجاع) خوارزمية تركية ، فتم لهم ما أرادوا ، واستبدوا فى عهده بأمور الدولة وشئون الخلافة ، واضطهد الخليفة الشيعة وأكثرهم فارسيون ، وزاد فى رعاية الأتراك وتقديمه لهم ، فزاد طمعهم فى الدولة ، وأصبحوا مصدر قلق واضطراب ، فهم يكرهون الفرس والعرب ، وهم كثيرو الدسائس والمؤامرات ، كثيرو الطمع فى الأموال ، والعبث بالأمن .

ندم المتوكل على ما فرط ، وأخذ يعمل على كبح جماح الأتراك ، فحبس إيتاخ حتى مات عام ٢٣٥ هـ ، وأراد عام ٢٤٣ هـ نقل العاصمة من سامرا إلى دمشق ، لكن ذلك لم يتم له ، ثم عزم على قتل وصيف وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم . ولكنهم كانوا يحكمون تدبيراً آخر لقتل الخليفة (٣) ، وتقدم باغر التركى حارس المتوكل ، ومعه عشرة غلمان من الأتراك ، ينفذ المؤامرة التى دبرها القواد الأتراك ، ومعهم المنتصر الذى كان أبوه المتوكل يكرهه ويوشك أن يعزله من ولاية العهد ؛ ودخلوا على الخليفة فقتلوه فى قصره الجعفرى ، وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان ، وذلك فى أواخر عام ٢٤٧ هـ (٤) .

وكان قتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين وكانت هذه الحادثة بدء مصرع الخلافة ومجد الأتراك .

وفى ذلك يقول البحترى :

---

(١) ١٣٥ تاريخ الخلفاء .

(٢) ١٢ جـ ١١ الطبرى . (٣) ٦٥ — ٦٧ جـ ٤ مروج الذهب .

(٤) راجع مقتل المتوكل ومراثى الشعراء فيه فى (٢٦٠ — ٢٦٤ جـ ١ زهر الآداب) ، ومرثية يزيد المهلبى فيه فى (٣١١ جـ ٢ وما بعدها من الكامل للمبرد ، ١٨٦ جـ ٢ العقد ، ٢٦٣ جـ ١ زهر الآداب) .

أكان ولى العهد أضمر غدرة ... فمن عجب أن ولى العهد غادره
فلاملك الباقى تراث الذى مضى ... ولا حملت ذاك الدعاء منابره

ويقول المهلبى :

لاحزن إلا أراه دون ما أجد ... وهل لمن فقدت عيناى مفتقد
ومنها : فلو جعلتم على الأحرار نعمتكم ... حمتكم السادة المذكورة الحشد

ورأى يزيد المهلبى هذا يشبه رأى إسحاق بن إبراهيم المصعبى م ٢٣٥ هـ فى الأتراك حين شكا المعتصم غدر من اصطنعهم من قوادهم مع وفاء من اصطنعهم أخوه المأمون من الرجال له (١) .

ويقول على بن الجهم :

عبيد أمير المؤمنين قتلنه ... وأعظم آفات الملوك عبيدها
بنى هاشم صبرا فكل مصيبة ... سيبلى على وجه الزمان جديدها

وإذا كان الشعب يكره الأتراك من بدء اصطناع المعتصم لهم ، فان هذه المأساة المؤلمة كانت سببا فى زيادة كراهية الرأى العام لهم ، ونقمته عليهم .

ازداد عقب ذلك نفوذ الأتراك فى عهد المنتصر (٢٤٧ — ٢٤٨ هـ) ، ثم فى عهد المستعين (٢٤٨ — ٢٥٢ هـ)، ثم عادوا فخلعوه من العرش ثم قتلوه وأقاموا مكانه فى الخلافة المعتز بالله بن المتوكل عام ٢٥٢ هـ .

كان المعتز يكره الأتراك ، ويريد أن يثأر منهم لأبيه ، ففى عهده قتل وصيف عام ٢٥٣ هـ ، ثم بغا عام ٢٥٤ هـ ، وفى مصرعه يقول البحترى من قصيدة مدح بها المعتز بالله (٢) :

أضحى بغاء وأقربوه وحزبه ... وكأنهم حلم من الأحلام
طاحوا فما بكت العيون عليهم ... بدموعها ومضوا بغير سلام

وبعد قليل سار الأتراك إلى المعتز فوبخوه وطالبوه بالأموال ، ثم عذبوه وضربوه بالدبابيس ، وجروه برجله إلى باب الحجرة ، وأقاموه فى الشمس حافياً (٣) ،

---

(١) راجع ٨ جـ ١١ الطبرى . (٢) راجع ٢٣٤ — ٢٣٦ جـ ٢ ديوان البحترى .
(٣) ١٦٢ جـ ١١ طبرى ، ١٣٠ جـ ٢ شذرات الذهب ، ١٢٠ جـ ٤ مروج الذهب .

وكان بعضهم يلطمه وهو يتق بيده ، فخلع المعتز نفسه عام ٢٥٥ ﻫ ؛ ثم حبسوه وقتلوه ، وولوا مكانه المهتدى بن الواثق ، الذى لم يعجبهم زهده وورعه وحبه للعدالة ، فخلعوه عام ٢٥٦ . ومات بعد خلعه بأيام .

وفى عهد المعتمد (٢٥٦ — ٢٧٩ ﻫ) اشتد الخلاف بين فرق الأتراك ، فطلبوا أن يكون القائد الأعلى للجيش أحد إخوة الخليفة ، وألا يرأسهم أحد منهم ، فولى المعتمد أخاه الموفق أمر الجيش والولايات عام ٢٥٧ ﻫ ، وبعد قليل أصبح السلطان الفعلى للموفق لا للمعتمد ، وصارت كلمته هى العليا على الأتراك وقوادهم ، فكبح غير قليل من جماحهم ، وأثر ذلك فى حسن الأحوال قليلا .

وسار المعتضد بن الموفق فى خلافته (٢٧٩ — ٢٨٩ ﻫ) سيرة أبيه ، فعمل على رفع شأن الخلافة ، والحد من نفوذ الأتراك بقدر ما استطاع ، ولم يحابهم على حساب القانون والعدالة ، فاقتص من تركى ارتكب معصية (١) ، وقتل قائداً تركيا قتل غلاماً له ومدحه ابن الرومى على ذلك (٢) ، وفى المعتضد يقول ابن المعتز من أرجوزته فى تاريخه :

قام بامر الملك لما ضاعا ‏ ‏ وكان نهباً فى الورى مشاعا
وكل يوم ملك مقتول ‏ ‏ وخائف مروع ذليل
وكل يوم شغب وغصب ‏ ‏ وأنفس مقتولة وحرب
وكم فتاة خرجت من منزل ‏ ‏ فغصبوها نفسها فى المحفل
ويطلبون كل يوم رزقاً ‏ ‏ يرونه ديناً لهم وحقا
كذاك حتى أفقروا الخلافة ‏ ‏ وعودوها الرعب والمخافة

ومات المعتضد ، فسار ابنه المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥ ﻫ) فى خلافته بسيرة والده من الحزم والعزم والأخذ على يد الأتراك .

وبعد وفاته ولى الأتراك أخاه المقتدر العرش بعده ، وكان طفلا صغيراً ، وأيدوا عرشه ببطشهم وظل خليفة إلى عام ٣٢٠ ﻫ .

---

(١) واجع نشوار المحاضرة جزء ١ ص ١٥٢ . (٢) ديوان ابن الرومى ص ٣٠٣ .

وهكذا كانت أمور الدولة فى العصر العباسى الثانى تسير فى طريق بعيد عن المألوف وتتجمع كل سلطة ونفوذ فى أيدى الأتراك ، الذين لم يبالوا بشىء فى سبيل أهوائهم وشهواتهم ، واعتدوا على قدسية الخلافة وجلال الخلفاء ، وكانوا كثيراً ما ينهبون الدور ، ويتعرضون للحرم والغلمان ، فكرههم الناس كرهاً شديداً ، وكان نفوذهم فى الدولة جرحاً دامياً يؤلم كل عربى صميم ، حتى هجا دعبل المتوفى ٢٤٦ ﻫ المعتصم لشدة تعصبه لهم :

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الخطب
وهمك تركى عليـــه مهانة ... فانت له أم وأنت له أب

ويقول العلوى صاحب الزنج م ٢٧٠ ﻫ :

بنى عمنا وليتم الترك أمرنا ... ونحن قديماً أصلها وعمودها
فما بال عجم الترك تقسم فيئنا ... ونحن لديها فى البلاد شهودها
فأقسم لا ذقت القراح وإن أذق ... فبلغة عيش أو يباد عميدها(١)

وقد قام الشعب بعدة ثورات ، أهمها ثورة عام ٢٤٩ ﻫ التى اشترك فيها الجند الشاكرية ؛ وقضى عليها الأتراك بعنف وقوة ، وقد حاول بعض زعماء الاتراك التخفيف من حدة شعور الرأى العام وبغضه لهم ، وقاموا بدعايات كثيرة ، كان من أبرعها رسالة كتبها الجاحظ بايحاء الفتح بن خاقان وحاول بها إيجاد جو من الثقة والتفاهم والألفة بين الاتراك وجمهور الشعب ، وقد قدمها الجاحظ إلى الفتح ، والظاهر أنه كتبها فى أيام المعتصم ، ولكنها لم تصل إليه بفعل حاشيته من الفرس والعرب ، فأعاد كتابتها من جديد فى عهد المتوكل ، ودعا فيها إلى وحدة الأجناس والعناصر وأشاد فيها بالأتراك وبطولاتهم إلى حد بعيد(٢) . وهذه المحاولة وسواها من المحاولات قد فشلت جميعاً فى الوصول إلى الغرض المنشود .

وامتاز العصر الثانى بنفوذ الغلمان فيه ، وبخاصة فى آخره وفى عهد المقتدر ، الذى كان عنده أحد عشر ألف خادم من الروم والسوذان(٣) ، وتولى كثير من الخدم قيادة الجيوش وأهم الأعمال فى الدولة ؛ كبدر غلام المعتضد ، الذى تولى

---

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٣٣١ .
(٢) راجع رسالة الجاحظ فى مناقب الترك وهى فى أول مجموعة رسائل الجاحظ .
(٣) راجع التمدن ج ٤ ص ١٧٥ ، آداب اللغة لزيدان ج ٢ ص ١٥٤ .

قيادة الجند ونقش اسمه على الأعلام ، وأبلى فى خدمة مولاه بلاء حسناً ؛ حتى قتل فى سبيله عام ٢٨٩ هـ .

ونشطت النساء ، وكثر نفوذهن أيضاً الدولة ، وكان معظم ذلك فى عهد المقتدر لتسلط الخدم والحجاب .

وفى ظلال هذه الفوضى السياسية ؛ استقلت كثير من البلاد عن خلفاء بغداد ، وأهم هذه الدول المستقلة : الدولة الطولونية بمصر (٢٥٤ — ٢٩٢ هـ) وهى تركية والدولة الإخشيدية بمصر (٣٣٢ — ٣٥٣ هـ) ، وهى تركية أيضاً ، والدولة الطاهرية بخراسان (٢٠٥ — ٢٥٩ هـ) وهى فارسية ، والدولة السامانية فى ماوراء النهر (٢٦١ — ٣٨٩هـ) وهى فارسية أيضا ، والدولة الصفارية بفارس (٢٥٤ — ٣٩٠ هـ) والدولة الدلفية بكردستان (٢١٠ — ٢٨٥ هـ) وهى عربية ، والدولة العلوية بطبرستان (٢٥٠ — ٣١٦ هـ) .

(٢)

كما حفل العصر العباسى الثانى بكثرة ثورات العلويين وخروجهم على الخلافة ، مما تجد أخباره ونتائجه فى « مقاتل الطالبيين » ، وسبب ذلك راجع إلى اضطهادهم واضطهاد شيعتهم .

فقد كثر اضطهاد الشيعة فى هذه الفترة الحافلة ، وأسرف فى ذلك المتوكل على الله فإنه لما تولى الخلافة اضطهد الشيعة ، وشدد النكير عليهم ، وصادر أموال العلويين وشيعتهم ، وغالى فى تشريدهم ، وأمر فى عام ٢٣٧ هـ بهدم قبر الحسين بكربلاء(١)

وكان الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم(٢) ، من حيث كان المأمون يرعى العلويين ولا يؤذى أحداً منهم(٣) .

وكان المتوكل يبغض المأمون والمعتصم والواثق لمحبتهم لعلى(٤) ، وكان شديد البغض لعلى وأهل بيته ، وذلك راجع لموضع خؤولته من الترك وسلطان الأتراك فى الدولة . وتاريخ الأتراك مملوء بكرههم للتشيع والشيعة ، وبالحروب المتصلة

---

(١) ٢٧٩ جـ ٣ محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى بك ، ١٩ جـ ٧ وما بعدها ابن الأثير . (٢) العقد جـ ١ ص ٢٤٩ . (٣) راجع مناظرة المأمون للفقهاء فى تفضيل على (٢٧٩ — ٢٨٦ جـ ٣ العقد) . (٤) ظهر الإسلام ص ٤١ جـ ١ .

بينهم وهم سنيون وبين الفرس وهم شيعة . . وبذهاب الشيعة ونفوذهم من بغداد ذهب نفوذ الفرس منها ، وغلبت السنة على الدولة من ذلك الحين .

وسرت فى الدولة بعد المتوكل موجة اضطهاد العلويين والشيعة ، فالمنتصر كان يقاوم العلويين كأبيه(١) ، وتذكر بعض المصادر أنه أراد أن يحسن صلته بالبيت العلوى ولكن لم تطل مدته(٢)

ولكن عهد المعتضد كان عهد خير على العلويين ، فإنه لم يتعرض فى أيامه لهم ولا آذاهم ولا قتل منهم أحداً(٣) .

وكان البعض يشنع على آل أبى طالب عند المكتفى فنهاهم عنه(٤) . . وعلى الجملة فإن أغلب هذا العهد كان عهد محنة واضطهاد للعلويين ومن والاهم .

وقد ورث ابن المعتز روح التعصب على العلويين عن أسرته وجده المتوكل ، فأكثر فى شعره من حجاجهم ودفعهم عن الخلافة . والدعوة إلى الانتقام من الثائرين منهم ، وسيأتى ذلك إن شاء الله .

وبعد فالحياة السياسية فى العصر الثانى كانت مزيجا من الاضطراب والفوضى إلا فى عهود قليلة . وقدساد فيها نفوذ الأتراك والخدم . واضطهد العلويون والشيعة . واستقل كثير من الأمراء بالأقاليم عن بغداد .

---

(١) الإدارة الإسلامية لكرد على ط ١٩٣٤ ص ١٧٣ . (٢) ظهر الإسلام ص ٤٤ جـ ١
(٣) الفرج بعد الشدة ص ١٣٣ جـ ١ . (٤) الأغانى ص ١٤٣ جـ ٩ .

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية(١)

(١)

أساس الحياة الاجتماعية هى الحلة الاقتصادية التى تسيطر على الناس من حيث لا يشعرون .

والحياة الاقتصادية فى العصر الثانى كانت شديدة الاضطراب والفوضى إلى حد بعيد. انتشر نظام إقطاع الأرض مكافأة أو هبة للمقربين لدى الخلفاء والوزراء.(٢) ، وكان كبار الملاك يستقلون بإقطاعياتهم دون اهتمام بتحسين حالة الناس وكانت الرشوة منتشرة بين طبقات الموظفين ، حتى الوزراء الذين كانوا يسوغونها أمام ضمائرهم(٣) وأمام الخلفاء . كما فعل سليمان بن وهب الوزير أمام المهتدى . وعمت المصادرة وانتشرت بين طبقات الناس وأصبحت بتوالى الأيام المصدر الرئيسى لبيت المال(٤) ، وأنشئ لها ديوان مخصوص(٥) .

وكانت ضرائب الأطيان أساس دخل الخلافة(٦) . ويدل على مدى قوة الدولة أن متوسط جبايتها كان فى أواسط القرن الثالث كما ذكر ابن خرداذبة — نحو ثلاثمائة مليون درهم(٧) بعد أن كان فى عهد المأمون والرشيد أكثر من ٣٩٠ مليونا(٨) وفى عهد المعتصم ٣٨٨ مليونا(٩)

وكانت نفقات المعتضد سبعة آلاف دينار فى اليوم(١٠) وذلك نحو مليونين

---

(١) يراد بالحياة الاجتماعية مايؤلف بين أفراد الأمة من الصلات والأسباب .

(٢) ٥٤ تاريخ الحضارة الإسلامية لبارتولد . (٣) ١٥٦ : ٧ مهذب الأغانى .

(٤) ١٨٠ : ٤ التمدن الإسلامى . ١٦٩ الإدارة الإسلامية . (٥) ٣٥ : ١ ظهر الإسلام و ١٦٩ الإدارة . (٦) ٥٣ بارتولد و ٦٩ : ٥ التمدن (٧) ٦١ : ٢ التمدن . (٨) راجع ١٧٩ — ١٨١ مقدمة ابن خلدون و ٥٣ : ٢ التمدن و ١٥٢ حضارة الإسلام فى دار السلام .

(٩) وذلك وفق ما ذكر قدامة فى كتاب الخراج ، ٥٩ : ٢ التمدن . ومتوسط الجباية فى العصر الأول كان نحو ٣٦٠ مليونا فى العام ينفق منها على مصالح الدولة نحو ٥٠ مليونا والباقى يظل فى بيت المال تحت تصرف الخليفة يصرف منه المرتبات والمكافآت ، ٦٩ و ٧٠ : ٥ التمدن.

(١٠) ٣٥٣ — ٣٥٥ : ٣ الخضرى بك

ونصف مليون من الدنانير أو خمسين مليونا من الدراهم فى العام(١) فالباقى من مجموع الجباية هو الذى يبقى فى بيت المال تحت تصرف الخليفة(٢) .

وقد كثرت ثروات الخلفاء والوزراء وسواهم من طبقات الخاصة(٣) حتى ترك المنصور أربعة عشر مليونا من الدنانير - ٦٠٠ مليون درهم - وترك الرشيد واحدا وعشرين مليونا(٤) - وترك المعتضد فى خزانة الدولة أموالا طائلة فوق ما تركه من ثروة خاصة

(٢)

وكانت الدولة الإسلامية فى ذلك الحين مؤلفه من عدة عناصر أهمها :

الأتراك : وكان لهم النفوذ السياسى فى الدولة ، وقضوا على نفوذ الفرس والعرب جميعاً ، وتولوا شتى المناصب الرفيعة فى الحكومة . وأخلاقهم الاجتماعية ضعيفة(٥) ، وكان فيهم عبث بالأخلاق وشراهة فى جمع الأموال(٦) ، وكانوا مشهورين بالجمال والنظافة ، فكثرت الجوارى الأتراك فى قصور الخلفاء والأثرياء ، حتى كان كثير من الخلفاء من أمهات تركيات ، وطابع الترك حب الجندية والفروسية والانتصار لمذهب أهل السنة ، والبعد عن الفلسفة والجدل فى الدين ، وحب المال وجمعه من أية سبيل ، مع عدم الرغبة فى الإصلاح .

العنصر الفارسى : وكانوا عماد النظام السياسى والادارى للدولة ، ولكن الترك أقصوهم عن منزلتهم التى كانت لهم فى العصر الأول . فأخذوا يدسون الدسائس والمؤامرات . ويرمون إلى الاستقلال عن الخلافة . وكانت الدولة تتأثر بهم فى حياتهم العقلية الخصبة . وعاداتهم وتقاليدهم العامة وكانوا دعاة الترف .

العنصر العربى : أقصى عن النفوذ فى الدولة والخلافة ، وكان للمعتصم فى ذلك أثر معروف ، وكان نفوذ العرب أظهر ما يكون فى الشام والجزيرة حيث كونوا لهم هناك دويلات كثيرة . وطابع العربى الزهو والاعتزاز بالنفس والفضائل والميل إلى الأدب والرغبة فى السيادة .

وهناك عنصران آخران كان لهما أثرها فى الحياة الاجتماعية فى هذا العصروهما

---

(١) ٦٦ : ٢ التمدن (٢) ٦٧ : ٢ التمدن (٣) ١٠١ : ٥ التمدن
(٤) ٣٣ : ٢ وما بعدها التمدن (٥) ظهر الإسلام جـ ١ ص ٣٢
(٦) المرجع نفسه ص ٣٤ ، ٣٥

الزنج والروم : أما الروم فقد كثر أسراهم فى بيوت الخلفاء والأغنياء ، حتى كان بعض الخلفاء من أمهات تركيات . وكانت الجوارى الروميات والغلمان الروم يملأن القصور ، وتعشقهم الشعراء ، فكان للبحترى غلام رومى اسمه نسيم(١) ، وكذلك كان لسواه من الشعراء ، ومن هذا العنصر : ابن الرومى م ٢٨٣ هـ ..

وأما الزنج أو السود فكانوا يجلبون من سواحل أفريقيا الشرقية ، وكانوا يعملون فى الزراعة والصناعة وفى بيوت الطبقات المتوسطة ، وليس أدل على كثرتهم وخطرهم من الثورة التى هددوا بها الدولة (٢٥٥ — ٢٧٠ هـ ،) وكانت حربا بين الأجناس ، وظلت حتى قضى عليها الموفق عام ٢٧٠ هـ .

وكان الفرق بين طبقة الخاصة وطبقة العامة كبيراً(٢) ، والنفوذ والثروة فى يد الخاصة من الناس مما يستلزم الترف واللهو والمغالاة فى البنيان . فقد أنفق المعتصم على بناء (سامرا) أموالا طائلة ، وكذلك فعل المتوكل فى بناء الجعفرى وسواه من المبانى التى أنفق عليها نحو خمسة ملايين من الدنانير . وبنى المعتضد قصر التاج فى الجانب الشرقى من بغداد وأتمه ابنه المكتفى ، وبنى المعتضد على بعد ميلين منه قصر الثريا الذى بلغ طوله ثلاثة فراسخ وأنفق عليه نحو نصف مليون من الدنانير ، ووصله بالقصر الحسنى بسرداب تحت الأرض بلغ طوله ميلين وكانت تمشى فيه جواريه وحرمه(٣) . وفى تهنئة المعتضد بقصر الثريا نظم ابن المعتز قصيدته :

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فينا باقيا واسع العمر
حللت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معموراً وبورك من قصر
فليس له فيما بنى الناس مشبه ولا بناء الجن فى سالف الدهر

ويصف فى أرجوزته فى المعتضد قصر الرباب فيقول :

فمن رأى مثل الرباب قصراً كم حكمة فيـــه تخال سحراً
أبنية فيها جنان الخلد لكل ذى زهد وغير زهد
تخبر عن عز وعن تمكين وحكمة مقرونة بالدين
ومظهرات قوة الإسلام على أعاديه من الأنام

---

(١) معاهد التنصيص ص ١١٠ : ١ ـ مهذب الأغانى جـ ٧ ص ١٩٤

(٢) راجع الطبقات الاجتماعية وحياتها فى هذا العصر فى التمدن الإسلامى (٢٠ـ٥٩ : ٥، ١٠١ـ١٢٩ :٥)

(٣) التمدن الاسلامى صفحة ٩٣ و ٩٤ جـ ٥ وظهر الاسلام جـ ١ صفحة ٩٩

وهكذا كان الترف والنعيم حظ عدد قليل ، هم الخاصة من الناس وبعض رجال التجارة والصناعة . على حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة وهم أكثر الناس(١)

وكان من مظاهر الترف فى هذا العصر ــ كما ذكرنا ــ كثرة الرقيق حتى امتلأت به القصور ، فكثر نسل الجوارى واختلطت الدماء ، وأشاع هؤلاء الجوارى فن الغناء ، كما انشرن اللهو والمجون بين شتى الطبقات .

(٣)

ولتنوع الحياة الاجتماعية إلى خاصة وعامة وترف وفقر ونسك ولهو ، كانت البلاد معرضا للنحل ، ومجالا لدعاية الجماعات السرية وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمزجون الأغراض الاجتماعية بالمبادىء الدينية ويعالجون الترفيه عن الفقراء بالدعوة إلى المساواة .

فكان فيها التشيع برجالاته ، والاعتزال بطوائفه ، والسنة باختلاف أقوالها ، والفلسفه بمذاهبها ، والعلوم الحديثة بأنواعها ، وطوائف الأديان الأخرى بمبادئهم وآرائهم .

وقد قامت جماعات تكافح الشك فى الدين والمجون فى المجتمع ويدعون إلى الحياة الإسلامية بأخلاقها ومبادئها وسلوكها ، ومنهم الحنابلة الذين كانوا يقومون بثورات كثيرة فى بغداد لمحاربة المجون والالحاد .

وفى بعض مظاهر هذا الترف والبذخ ، يقول على بن الجهم واصفا قصر الجعفرى الذى بناه الخليفة المتوكل على الله :

ومازلت أسمع أن الملو ك تبنى على قدر أقدارها
وأعلم أن عقول الرجا ل يقضى عليها بآثارها
فلما رأينا بناء الإما م رأينا الخلافة فى دارها

---

(١) ظهر الإسلام جـ ١ ص ٩٧

بدائع لم ترها فارس ولا الروم فى طول أعمارها
وللروم ما شيد الأولون وللفرس آثار أحرارها
وأنشأت تحتج للسلمين على ملحديها وكفارها
صحون تسافر فيها العيون إذا ما تجلت لأبصارها
وقبة ملك كأن النجو م تفضى إليها بأسرارها

ولضيق أبواب الرزق على كثير من الناس كثر أهل الكدية ، إذ كانت تدر عليهم أخلاف الرزق .

الفصل الثالث

الحيـــاة العقلية[1]

(١)

فى العصر العباسى الأول (١٣٢ — ٢٣٢ هـ) ازدهرت الحيـاة العقلية ازدهارا كبيرا ، وتلاقت فى الحواضر الإسلامية شتى الثقافات التى تمثل حضارات الأمم العريقة وآثارها ، فى العلم والثقافة . . كانت الدولة مزيجا من شعوب كثيرة ، وكانت عقلية هذا الشعب الجديد يتجلى عليها أثر الثقافات والوراثات .

كان النفوذ فيه للفرس ، وانتشرت ثقافتهم انتشارا كبيرا على يد الوزراء وكتابهم الفارسيين ، ونقل المثقفون ـ من الفرس الذين أجادوا العربية والعرب الذين أتقنوا الفارسية ـ إلى العربية تراث الفرس القديم فى الحضارة والثقافة ، وإنتاج الذين أجادوا اللغتين من هؤلاء كان صادرا عن عقليتين وثقافتين ؛ وكان رجال العلم فى هذا العصر أكثرهم فارسيون ، حتى قال ابن خلدون : إن حملة العلم فى الإسلام أكثرهم من العجم(٢) ، ودخلت الثقافة اليونانية فى هذا العصر على الفكر الإسلامى بامتزاج الجنسين فى الحياة الاجتماعية وبتشجيع الخلفاء لترجمة كتب الطب والنجوم والفلسفة من اليونانية إلى العربية ، وإذا كان خالد بن يزيد م ٨٩ هـ أول من ترجم ـ أو ترجمت له ـ كتب النجوم والطب والكيمياء(٣)، فقد عنى المنصور م ١٥٨ هـ بترجمة كتب النجوم والطب والفلسفة وتشجيعها ، وبعث إلى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله صلته بما لديه من كتب الفلاسفة واستخار لها مهرة التراجمة وكلفهم بإحكام ترجمتها(٤) ، بل كان المنصور أول خليفة

---

(١) يراد بالحياة العقلية حركة النفس الإنسانية فى جميع أنواع العلوم والفنون والثقافات والآداب . (٢) ٥٤٣ مقدمة ابن خلدون . (٣) ٢١٣ : ١ البيان والتبيين للجاحظ ، ٤٩٧ الفهرست لابن النديم .

(٤) ٤٨٠ مقدمة ابن خلدون ، ٥٥ طبقات الأمم لصاعد الأندلسى ، ٢١ تاريخ الحضارة الإسلامية لبارتولد ، وراجع حركة الترجمة فى (٢٢٩ — ٢٣٣ الأدب العباسى لمحمود مصطفى ، ١٧٧ وما بعدها و٢٦٤ و٢٦٨ — ٢٧٠ : ١ ضحى الإسلام) .

قرب المنجمين وترجمت له الكتب من اليونانية والرومانية والفهلوية والفارسية والسريانية(١) ، وكذلك فعل الرشيد ، وأوفد المأمون الرسل إلى ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين ونسخها بالخط العربى وبعث المترجمين لذلك(٢) .

وأنشأ فى بغداد مدرسة لتخريج المترجمين(٣) وهى مكملة لدار الحكمة التى بناها الرشيد للترجمة ، وإذا كانت الدولة قد قبلت التقاليد الإيرانية فى أمور الدولة فقد أخذت فى ساحة الحضارة والثقافة أمورا كثيرة من بيزنطة(٤) .

وكذلك اتصلت الثقافة الهندية بالفكر الإسلامى مباشرة وبوساطة الفرس أيضا ؛ أما الأتراك فلم يكن لهم مدنية ، وليس لهم ثقافة ، وبعد أن تعلموا العربية لم ينبغ منهم فى الأدب والشعر والعلم إلا القليل ، كأحمد بن طولون والفتح بن خاقان .

وكان للإسلام فوق ذلك كله ثقافة واسعة فى الدين واللغة والأدب والشعر ، كانت هى أهم شىء أثر فى الفكر الإسلامى وكانت المورد الأول للناس جميعا .

تجمعت هذه الثقافات فى العراق فى العصر العباسى الأول وأحدثت أثرها فى العقول والأفكار ، وكان المتكلمون أكبر عامل فى امتزاج هذه الثقافات(٥) وصلة بين الفلسفة اليونانية والأدب فقدموا معانى للأدباء والشعراء لم يكونوا يعرفونها .

ولقد شغل بهذه الثقافات الجديدة المترجمة طبقات من المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء شغلا كبيراً . . وأقبلوا عليها إقبالا شديداً ، كما أقبل عليها الناشئون ، يحاولون دراستها وفهمها وهضمها ، ليكونوا ثقافتهم تكوينا سليما وليمدوا أنفسهم للمناصب العالية ، والدرجات الرفيعة .

وأخذت العلوم الدخيلة المنقولة إلى العربية ، والمعارف العامة التى تثقفت

---

(١) ٢٤١ : ٤ وما بعدها مروج الذهب . (٢) ٤٨٠ و٤٨١ مقدمة ابن خلدون .
(٣) ٢٣٠ الأدب العباسى لمحمود مصطفى . (٤) ٣٨ تاريخ الحضارة الإسلامية لبارتولد .
(٥) ٣٨٠ جـ ١ ضحى الإسلام .

بها عقول المستعربين ، تدخل إلى المعاهد والمدارس الإسلامية ، حيث تناولها العلماء بالشرح والتعليق والتلخيص ، حتى إذا نضجت الثقافة الفكرية وازدهرت الحضارة فى البلاد العربية ، أخذ المسلمون يؤلفون فيها ، ويكتبون فى موضوعاتها ، ويستقلون ببحوثها ، فبعد أن كانوا مترجمين ، أصبحوا باحثين ومؤلفين ، وظهرت ثمــار هذه النهضة فى العواصم الكبرى فى العالم الإسلامى : كخراسان والرى وخوزستان وأذربيجان وما وراء النهر والشام ومصر وسواها ، وكانت بغداد كعبة الفلاسفة والعلماء ، ومنبت أهل الفضل ، ومقر نقلة العلم من شتى العناصر والأجناس ، ومن مختلف اللغات .

وكان للطبقات المستعربة — من هنود وفرس ، وسريان ويونان وروم وسواهم — عقلية مستنيرة ناضجة ، أحدثت أثرها الواسع فى العرب الذين اتصلوا بهم وخالطوهم وعاشروهم ، وظهرت ميزاتهم وخصائصهم العقلية فى طبقات المولدين ، الذين شهروا بالنجابة والذكاء وسعة التفكير وخصب الخيــال .

ولقد ظهر هذا التأثير الأجنبى فى الأدب واللغة واضحا منذ بدأ عصر نفوذ الخلفاء العباسيين الذى بدأ فيه بناء الحضارة ، وذاعت فيه ألوان الثقافة ، وقامت بقيامه حركة الترجمة على ساقها ، وأخذ التأثير الأجنبى يبدو بوضوح فى اللغة العربية وآدابها .

(٢)

وفى العصر العباسى الثانى (٢٣٢ — ٣٣٤ هـ) زاد امتزاج هذه الثقافات واتصالها ، بتطاول الزمن وتلاقح العقول وظهور آثار حركة الترجمة وتشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والعلماء ، فكان هذا العصر أزهى عصــور العلم فى البلاد الإسلامية .

وكان العصر العباسى الأول تغلب عليه نزعة الاعتزال التى أيدها المأمون بكل ما يستطيع ، ولكن العصر الثانى وهو عصر النفوذ التركى كان مصحوبا بمظاهر جديدة أهمها إلغاء سلطان المعتزلة وإعلاء شأن المحدثين ، فأمر المتوكل

بترك الجدل فى القرآن ، واضطهد رؤساء المعتزلة ، كمحمد بن أبى الليث فى مصر ، وأحمد بن أبى دؤاد فى العراق ، من حيث كرم أحمد بن حنبل وسواه من أئمة المحدثين ، وكان هذا الاتجاه يحظى بتأييد الأتراك ويعملون له(١) .

(٣)

ومراكز الحياة العقلية فى العصر الثانى كانت كثيرة متعددة ، فنشطت الدراسات الدينية واللغوية فى مصر ، وتفوقت الشام فى الشعر والآداب واللغة (٢) ، وكان للعراق الصدارة فى العلم والأدب والفلسفة ، فكانت بغداد والبصرة وحران أهم مراكز العلم والحضارة . فالجاحظ والكندى بصريان ، والبتانى الرياضى الفلكى م ٣١٧ هـ من حران . وكانت بغداد تجذب العلماء اليها من كل أرجاء العالم الإسلامى واشتهرت بلخ وخوارزم وأصفهان فى ميدان التفكير والثقافة . فنبغ منها أبو زيد البلخى م ٣٢٢ هـ أحد تلاميذ الكندى المشهور ، وأبو موسى الخوارزمى صاحب المؤلفات القيمة فى الجبر والحساب ، ثم أبو الفرج الأصفهانى مؤلف الأغانى ، وسواهم من العلماء .

وبعد فالعصر العباسى الثانى كان زاخرا بالعلوم ، قديمها وحديثها ، كما كان حافلا بالعلماء والمفكرين والفلاسفة .. وكانت العلوم المترجمة شرطا فى تكوين ثقافة الكاتب والأديب ، وراج علم النجوم حتى انتشر بين الخاصة وجمهور الناس(٣) والأدباء ، وعلى أى حال فلم تكن مناهج التفكير واحدة عند جميع الناس ، وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده فى العراق ، ويثور ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « أدب الكاتب » على الحالة فى عصره حيث أهمل الناس علوم الدين مع عنايتهم بعلوم الفلسفة والمنطق(٤) ، وكانت جماعة الأدباء يضجرون من الثقافات المترجمة وعلومها ، حتى قال ابن المعتز يصف من يؤثره بصداقته :

---

(١) راجع ٤١ : ١ ظهر الإسلام . (٢) راجع ٨ : ١ اليتيمة للثعالبى ، ١٧٧ ج ١ وما بعدها ظهر الإسلام . (٣) واشتهر على بن جور الفارسى — وكان كاتباً مترسلا ذا علم بالنجوم — بادخالها فى شعره (٢٩٣ معجم الشعراء) .

(٤) راجع ص ٢ وما بعدها أدب الكاتب بهامش المثل السائر . وكان ابن قتيبة من أهل السنة ومن علماء الدين مع واسع ثقافته اليونانية وسواها (راجع ٤٠٢ — ٤٠٦ ج ١ ضحى الإسلام) .

فإن تطلبه تقتنصه بحانة ... وإلا ببستان وكرم مظلل
ولست تراه سائلا عن خليفة ... ولا قائلا: من يعزلون ومن يلي
ولا صائحا كالعير في يوم لذة ... يناظر في تفضيل عثمان أو علي
ولا حاسبا تقويم شمس وكوكب ... ليعرف أخبار العلوم من أسفل
يقوم كحرباء الظهيرة مائلا ... يقلب في اصطرلابه عين أحول
ولكن فيما قد عناه وسره ... وعن غير ما يعنيه فهو بمعزل

وقد ازدادت الحركة العقلية ازدهارا بعد ذلك ، وظهر أفذاذ من الفلاسفة والمفكرين الذين يعتز بهم العقل الإسلامي .

(٤)

وقد نبغ في جميع ألوان الثقافة الدينية والأدبية والفكرية في العصر العباسي كثير من أئمة العلماء :

(ا) ففي التشريع الإسلامي نبغ : أحمد بن حنبل م ٢٤٠ ﻫ ، والكرابيسي م ٢٤٥ ﻫ ، والزعفراني م ٢٦٠ ﻫ ، وداود الظاهري (٢٠٢ — ٢٧٥ ﻫ)(١) ، وإسماعيل ابن إسحاق قاضي بغداد م ٢٨٢ ﻫ وعبد الله بن أحمد بن حنبل م ٢٩٠ ﻫ ، والحربي م ٢٨٥ ﻫ ، ويوسف بن يعقوب القاضي (٢٠٨ — ٢٩٧) ، ومحمد بن داود الظاهري(٢) م ٢٩٧ ﻫ .

(ب) وفي التصوف : المحاسبي ٢٤٣ ﻫ والبسطامي م ٢٦١ ﻫ وسهل التستري م ٢٨٣ ﻫ وأبو سعيد الخزاز م ٢٨٦ ﻫ وهو أول من تكلم في الفناء والبقاء ، ثم إمام الصوفية الجنيد م ٢٩٧ ﻫ(٣) ، ثم الحلاج وقتل عام ٣٠٩ ببغداد(٤) .

(ج) وفي علوم اللغة والأدب : مصعب الزبيري م ٢٣٦ ﻫ (٥) ، والتوزي

---

(١) راجع ترجمته في ٢٦٥ وما بعدها من كتاب نظرات عامة في الفقه الإسلامي ، ٢١٣ : ١ وفيات الأعيان . (٢) راجع ترجمته في : ٢٧٢ — ٢٧٣ : ٢ وفيات الأعيان ، ١٥٩ وما بعدها تزيين الأسواق ، وله كتاب الزهرة ؛ وهو مخطوط بدار الكتب ومنسوب لداود والده (٣٠٤٨ أدب مخطوط) . (٣) ٢٠٨ : ١ وفيات .

(٤) راجع ٩١ و٢٣١ الكشكول في مقتل الحلاج .

(٥) وهو شاعر راوية (٢٠٢ : ٤ معجم الشعراء) .

م٢٣٨ هـ ، وأبو العميثل م ٢٤٠ هـ ، وابن السكيت م٢٤٤ هـ ، ومحمد بن حبيب م ٢٤٥ هـ (١) ، والمازنى م ٢٤٩ هـ ، وأبو حاتم السجستانى م ٢٥٥ هـ (٢)، والزبير بن بكار م ٢٥٦ (٣) هـ ، والرياشى أبو الفضل العباس بن الفرج م ٢٥٧ هـ (٤) والأشناندانى م ٢٥٧ هـ ، وعمر بن شبة م ٢٦٢ هـ ، وابنه أحمد م ٢٧٢ هـ (٥) ، والطلحى م ٢٧١ (٦) هـ ، والسكرى م٢٧٥ (٧) ، وأبو العباس اليزيدى م٢٧٨هـ، وأبو حنيفة الدينوى م ٢٨٢ هـ (٨) ، والمبرد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ (٩) ، وثعلب ٢٠٠ — ٢٩١ هـ (١٠) ، والزجاجى البغدادى النحوى م ٣٠٧ هـ . وابن السراج تلميذ المبرد والمتوفى عام ٣١٦ هـ (١١) ، والزجاج م ٣١١ هـ (١٢) ، والأخفش م ٣١٨ هـ ، ونفطويه م ٣٢٣ هـ ، وابن دريد ٢٢٣ — ٣٢١ هـ (١٣) ، ثم ابن الأنبارى وسواهم .

(د) وفى علم الكلام ظهر من المعتزلة : بشر بن المعتمر م ٢١٠ هـ ، وثمامة بن أشرس م ٢٢١ هـ ؛ والنظام (٢٠٠ — ٢٣٥ هـ) ؛ وابن أبى دؤاد (١٦٠ — ٢٤٠ هـ) ، ويحيى بن أكثم م٢٤٢هـ ، والعلاف البصرى م ٢٣٥ هـ ، وابن الراوندى

---

(١) ١٥٥ فهرست ، وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل (١٩٣ : ٢ آداب اللغة لزيدان) .

(٢) وله كتاب المعمرين وكتاب الفصاحة (٨٧ الفهرست) .

(٣) ١٦٠ الفهرست ، وله كتاب أخبار توبة وليلى (١٦١ فهرست) .

(٤) ٨٦ فهرست ، وكان عالماً راوية ثقة عارفاً بأيام العرب وروى عن الأصمعى وأبى عبيدة وقتل بالبصرة فى فتنة الزنج .

(٥) كان شاعراً مجيداً راوية (١٦٣ فهرست) .

(٦) وهو بصرى نادم الموفق وكان راوية أخبارياً (١٦٤ الفهرست) .

(٧) وهو الذى جمع شعر مزاحم وأبى نواس (١١٧ الفهرست) .

(٨) وله كتاب الفصاحة وكتاب الشعر والشعراء (١١٦ فهرست) .

(٩) راجع: ٣١٤ — ٣٢٠ : ١ ضحى الإسلام ، ٨٧ وما بعدها من الفهرست، ١٨٦ : ٢ آداب اللغة لزيدان .

(١٠) راجع ١١٠ وما بعدها من الفهرست .

(١١) ٩٢ وما بعدها من الفهرست .

(١٢) من تلامذة المبرد وصار مع المعتضد يعلم أولاده وكان أولا يؤدب القاسم بن عبيد الله (٩٠ وما بعدها من الفهرست ، ٢٨١ : ٢ آداب اللغة لزيدان) .

(١٣) ولد بالبصرة ونشأ بعمان ثم رحل إلى فارس وورد بغداد عام ٣٠٨ هـ وأقام بها وكان إماماً فى اللغة والأنساب والشعر وهو شاعر راوية (٤٦١ معجم الشعراء ، ٢٣٨ جـ ١ ظهر ، ٣٧١ الزيات) .

م ٢٤٥ هـ ، والجاحظ (١٥٠ — ٢٥٥ هـ) ، وأبو علي الجبائي (٢٣٥ — ٣٠٣ هـ) (١) . ثم ظهر أبو الأحسن الأشعري (٢٧٠ — ٣٣٣ هـ) (٢) ، وقد استمر المعتزلة في العراق يعلمون ويدرسون على يد الجبائي وتلميذه في الاعتزال: محمد ابن عمر الصيمري(٣) .

(هـ) ومن المفكرين والفلاسفة وأقطاب العلماء :

ابن ماسويه الطبيب م ٢٤٣ هـ ، وابن سهل الطبيب م ٢٥٥ هـ ، ومحمد بن موسى ابن شاكر ٢٥٩ هـ(٤) ، والكندي م ٢٦٠ هـ(٥) ، وبنو المنجم ، وأبو موسى الخوارزمي وهو مذيع الحساب الهندي وأرقامه بين العرب ، والفارابي م ٣٣٩هـ، ثم ابن سينا م ٤٢٨ هـ ، والغزالي ٥٠٥ هـ ، والرازي المتوفى ٦٠٦ هـ وسواهم . . ومن صدور الفلاسفة والمفكرين والرياضيين والمترجمين الذين كان لهم أثر في الفكر العباسي : حنين بن اسحاق (١٩٤ — ٢٦٠ هـ (٦) ، وأبو معشر . الفلكي م ٢٧٢ هـ (٧) ، والبلاذري م ٢٧٩ هـ (٨) ، وابن خرداذبة المتوفى نحو عام

---

(١) معتزلي بصري وإليه انتهت رياسة البصريين في زمانه وكان إمام المعتزلة ببغداد وتتلمذ عليه الأشعري (ص ٦ تكملة الفهرست لابن النديم) .

(٢) تثقف بثقافة المعتزلة ثم عاداهم وأعلن تركه لمبادئهم ، وصار رئيساً لمذهب الأشعريين ، والأشعري يمثل الموجة الحديثة التي بدأت تهاجم المعتزلة وتنصر المحدثين وأهل السنة منذ عصر المتوكل . (٣) ٢٢٢ : ١ ظهر الإسلام .

(٤) وهو وإخوته : أحمد والحسن كان لهم مكانة كبيرة في الفلسفة والميكانيكا (٣٧٨ وما بعدها من الفهرست ، ٦٤ طبقات الأمم) ؛ وكان مطهر بن أحمد بن موسى من ندماء المعتضد (٣٧٩ الفهرست) . (٥) هو يعقوب بن إسحق كان متحققاً بعلوم الأوائل (٥٠٧ معجم الشعراء) ، وهو أول فيلسوف عربي درس الفلسفة اليونانية وشرحها وبنى عليها (راجع ٣٥٧ — ٣٦٠ الفهرست ؛ ٥٩ وما بعدها طبقات الأمم) ؛ ووشى به إلى المتوكل محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر فضربه وأخذا كتبه بأسرها حتى أكرههما سند بن علي أخيراً على ردها إليه (١٩٥ أو١٩٧ المكافأة) .

(٦) أجاد العربية والفارسية والسريانية واليونانية ونقل هو ومدرسته إلى العربية زبدة آثار اليونان وجعلوا الثقافة اليونانية بين أيدي العلماء (٢٨٣ — ٢٨٨ : ١ ضحى الإسلام ، ٤٠٩ وما بعدها الفهرست) ؛ ووشى به بختيشوع بن جبرائيل الطبيب إلى المتوكل فحبسه (راجع ١٣٧ : ٤ وما بعدها التمدن ، ١٩٤ : ١ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة) .

(٧) ٣٨٦ فهرست ، ٤٧ بارتولد ، ١٩٨ : ١ وما بعدها وفيات الأعيان .

(٨) ١٩١ : ٢ آداب اللغة لزيدان ؛ وكان أديباً راوية وهو أحد النقلة من الفارسي إلى العربي (١٢٧ — ١٣٢ : ٢ معجم الأدباء لياقوت ، ٧ : ١ فوات الوفيات .

٢٧٨ ﻫ (١) ، وأبو حنيفة الدينورى م ٢٨٢ ﻫ (٢) ، والسرخسى م ٢٨٦ ﻫ (٣) ، وثابت بن قرة (٢٢١ — ٢٨٨ ﻫ)(٤) ، وإسحاق بن حنين م ٢٩٧ ﻫ (٥) ، والرازى م ٣١١ ﻫ (٦) ، والبتانى الرياضى الفلكى م ٣١٧ ﻫ ، وأبو زيد البلخى م ٣٢٢ ﻫ ، وسواهم من أعلام المفكرين .

وبعد فالعصر الثانى الذى عاش فيه ابن المعتز كان زاخرا بالعلوم حافلا بالعلماء . بل أصبحت معرفة العلوم المترجمة شرطا فى الكاتب والأديب . وراج علم النجوم وانتشر بين الناس(٧) والأدباء .. على أنه لم تكن مناهج التفكير واحدة عند جميع الناس وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده فى العراق . ويثور ابن قتيبة فى مقدمة (أدب الكاتب) على الحالة فى عصره ثورة عنيفة(٨) .

---

(١) نادم المعتمد ، وله كتاب الشراب وكتاب المسالك والممالك (٢١٢ وما بعدها من الفهرست ، ٢٠٢ : ٢ آداب للغة لزيدان) .

(٢) كانت ثقافته الهندية واليونانية واسعة ، وكان ملماً بعلوم كثيرة ، كما كان يقرن بالجاحظ فى بلاغته (٤٠٦ : ١ وما بعدها ضحى الإسلام و ١١٦ فهرست ، ١٩٧ : ٢ آداب اللغة لزيدان) ، وله كتب فى النبات وكتاب الأخبار الطوال فى التاريخ العام وينتهى بوفاة المعتصم ٢٢٧ ﻫ .

(٣) هو أحمد بن مروان (٣٦٥ فهرست) أو أحمد بن الطيب (٢٠٠ : ١ زهر الآداب) السرخسى تلميذ الكندى كان متفنناً فى علوم القدماء والعرب ، وكان أستاذاً للمعتضد ثم خص به ، وله كتب كثيرة فى الفلسفة وغيرها وقتله المعتضد لأنه أفضى إليه بسر فأفشاه (٣٦٥ — ٣٦٧ الفهرست ، ٥١ : ٢ معجم الأدباء ، ٦١ طبقات الأمم لصاعد) ؛ وله كتاب إلى المعتضد فى أدب النفس (٢٤٣ الفهرست) .

(٤) راجع ١٧٧ — ١٧٩ : ١ وفيات الأعيان .

(٥) ٣٩٧ و ٤١٥ الفهرست ، ١١٦ — ١١٧ : ١ وفيات الأعيان .

(٦) ٥٠٣ — ٥٠٥ : ٢ وفيات ، ٦١ طبقات الأمم ، ٤١٥ — ٤٢٠ الفهرست .

(٧) واشتهر على بن جور الفارسى — وكان كاتباً مترسلا ذا علم بالنجوم بإدخالها فى شعره (٢٩٣ منجم الشعراء) .

(٨) فيذكر انصرافهم عن علوم الدين واللغة وعنايتهم بالثقافة الحديثة وحدها (راجع ص ٢ وما بعدها أدب الكاتب) وكان ابن قتيبة من أهل السنة ومن علماء الدين وكان واسع الثقافة (٤٠٢ — ٤٠٦ : ١ ضحى الإسلام) .

الفصل الرابع

الحيـــاة الأدبية

(١)

اذا كانت آثار الثقافات المترجمة قد صبغت الحياة العقلية والاجتماعية فى العصر العباسى الأول والثانى بأصباغ جديدة ، فقد كان أثرها فى الأدب واللغة متفاوتا ، فظلت مناهج الأداء والأساليب ولغة الكتابة والشعر قريبة مما كانت عليه من قبل ، من حيث نضجت معانى الكتاب وخيالات الشعراء ، وعمقت صياغتهم الذهنية وتفكيرهم العقلى ، إلى حد كبير .

وإذا كانت الثقافات الحديثة قد طغت موجتها على كثير من نواحى الحياة والتفكير ، فان العربية كانت أعز من أن تحنى رأسها للعواصف الجامحة التى تهدم من صرحها الشاهق ، أو تزعزع من ثقتها القوية بالنفس . وظلت كما هى لغة التفكير والأدب ، وإن سايرت حركة الرقى ، ولم تقف جامدة ضعيفة الإحساس بالحياة

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد وضعت موضع العناية بالترجمة . فان الأدب اليونانى لم يترجم منه شىء ، ولم يتأثر به الأدب والشعر فى نهضتهما الوثابة فى هذا العصر الحافل(١) . لتباين الأذواق ، ولاعتداد العرب بنفسهم ولغتهم وأدبهم ، ولاختلاف حياة العرب واليونان التى يصورها الأدب ويكون أوضح مثال لها ، وعلى أية حال فان الثقافة اليونانية قد صبغت عقلية الأدباء والشعراء بآثارها العميقة فى التفكير والخيال والمعانى(٢) وطرافة التقسيم .

وتأثير الثقافة الهندية فى الأدب العربى كذلك كان طفيفا لا يعدو تلك الأفكار التى كانت تتساقط من علم النجوم أو الرياضة فى الشعر ، وهذه القصص

---

(١) ٤٥ بارتولد ، ٦٦ الفن ومذاهبه — ٢٨٧ التوجيه الأدبى — ٢٣٥ الأدب العباسى لمحمود مصطفى — ٢٨٠ جـ ١ ضحى الإسلام — ٢٤٤ الزيات . (٢) وقد أفاد الأدب العربى من القصص والحكم اليونانية التى انتدرت فى الثقافة الإسلامية ، وعربت كثير من الألفاظ اليونانية .

الهندية التى أولع العرب بها ، ونقلوها إلى العربية ككليلة ودمنة الذى نقلوه من الفارسية إلى لغتهم ، وتلك الحكم التى تشبه الأمثال العربية ، وهذه الألفاظ التى عربوها وأدخلوها إلى العربية .

وأثر الفرس فى الأدب العربى كبير ، فهم الذين أشاعوا فيه اللهو والمجون ووصف الراح ، وأدب الزهد تأثر كثيرا بنزعات الفرس ، وعنهم نقلت آثار كثيرة من الأدب القصصى ككليلة ودمنة وهزار أفسانه ، والتوقيعات كان للفرس فيها أثر كبير ، وقد ترجمت عن الفارسية توقيعات كسرى ، هذا إلى أنه كان للفرس شعر وأمثال وأدب كثير وضع تحت أعين العرب ، وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين مجال كبير فى الأدب كالعتابى وأبى نواس وبشار وسواهم ، فأخرجوا أدباً عربياً فيه معانى الفرس وبلاغة العرب ، وكان الشعراء ينظمون مايتسرب إليهم من الصور الفارسية ، كان كسرى أنو شروان مشتهراً بالنرجس ، «وكان يقول : هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر ، فقال الشاعر :

وياقوتة صفراء فى رأس درة ... مركبة فى قائم من زبرجد
كأن بقايا الطل فى جنباتها ... بقية دمع فوق خد مورد(١)

وكان أردشير بن بابك يصف الورد بأنه در أبيض وياقوت أحمر على كرسى زبرجد أخضر يتوسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخز ونفحات العطر ، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر(٢) :

كأنهن يواقيت يطيف بها ... زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستطرف حسن ... من خمرة مزة كالجمر فى اللهب

وأخذ ابن الرومى معنى حكمة لبهرام جور(٣) فنظمه شعرا(٤) . وكان من

---

(١) ٢٣٢ ج ٢ زهر الآداب .

(٢) وينسب البيت الأول لعلى بن الجهم (٢٣ ج ٢ ديوان المعانى) قال أبو هلال : وهو من قول أردشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كرسى زبرجد يتوسطه شذور من الذهب .

(٣) فارسى قديم تعلم العربية فى الحيرة وشعر بها ، ويقول شمس الدين الرازى فى كتاب « المعجم » : إنه أول من نظم شعراً فارسياً وأخذه عنه العرب وكان علماء الفرس يستهجنون منه قرض الشعر .

(٤) ٢٧٨ ج ٢ وما بعدها زهر الآداب .

الفرس كبار الكتاب الأوائل الواضعين لأساس صناعة الإنشاء (الكتابة الفنية) فى الدواوين ، وكان منهم شعراء أحدثوا آثارا واسعة فى أغراض الشعر ومعانيه وأوزانه وقوافيه ، ونقلوا للخلفاء والأمراء والوزراء كثيرا من آداب الفرس وحكمتهم وأمثالهم وتاريخهم وقصصهم وأسمارهم ، مما ظهر أثره فى الأدب العربى واضحا . وإذا كان الادب فى عهد بنى أمية عربيا خالصا فى المادة والمعنى ، ولم يكن للفرس إلا مدارسته وحفظه وروايته ، فقد كان فى عهد بنى العباس أثرهم أعمق لافى الأسلوب البيانى ، بل فى التفكير والخيال ، وبتأثيرهم تنوعت الأغراض وظهر التأنق فى النثر والشعر ، وطلبت الرقة والدماثة ، مع المحافظة على فصاحة العربية والاخذ بأساليبها .

(٢)

ويمتاز الأدب فى هذا العصر بظهور آثار الحياة العقلية فيه ، وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية ، وبكثرة الحكم وأخبار الزهاد فيه ، وبتأليف الكتب الجامعة فى الادب كالبيان والتبيين وعيون الاخبار والكامل والعقد ، وبأن الادب أصبح فى هذا العصر صناعة علمية فى الإنشاء والتأليف ، وأظهر ما يتجلى فيه إبداع التصوير واتساع الخيال والمبالغة الشديدة والإكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية . وقد أصاب الادب كساد وانصرف الناس إلى الفلسفة وعلومها مما يبسطه ابن قتيبة فى مقدمة أدب الكاتب بوضوح .

(٣)

وقد ضعفت الخطابة بزوال أسبابها وأعجمية رجال الدولة ، ولأن الدولة قد توطدت دعائمها ، وحكمت بالاستبداد ، وبطلت الخطابة فى الجيوش ، وضعفت الملكات . كذلك صار فى الكتابة ـ وقد تنوعت أساليبها وأغراضها ـ غنى عن الخطابة ، فضعف شأنها ولم يبق لها إلا مظهرها الدينى ، حيث كان الخلفاء يخرجون للصلوات الجامعة ويخطبون الناس ، وكان آخر خليفة خطب على المنبر هو الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ)(١) .

---

(١) راجع ٢١٣ الزيات ، ٥٤ وما بعدها الأدب العباسى لمحمود مصطفى ، ١٠٤ وما بعدها العصر العباسى للسباعى بيومى .

وقد بلغت كتابة الرسائل فى هذا العصر مكانة عالية ، وقد كان للانقلاب العباسى أثر عظيم فى الميول والعقول ، ظهر على أقلام الـكاتبين ، فاستنبطوا عيون المعانى ، وتخيروا شريف الالفاظ مالم يكن حوشيا ساقطا سوقيا ، وفتحوا أبواب البديع وبذ الـكتاب فحول الشعر فى عظمة الحياة والرياسة ، وتسنموا أرفع المناصب فى الدولة .

وقد كانت طبقات الأدباء فى صـدر الدولة العباسية متعددة ، ومن بينها : طبقة الـكتاب الذين لم ير الجاحظ قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة منهم ، والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا(١) ورأى الجاحظ البصر بهـذا الجوهر من الـكلام فيهم أعم(٢) وحكم مذهبهم فى نقد(٣) البيان ، وكان جلهم من عناصر أجنبية من الفرس والروم والسريان والقبط من الذين فهموا لغاتهم وبلاغتها ثم قرأوا البيان والبلاغة العربية وآدابهما وأخذوا يحدثون فى اللغة العربية مذاهب جديدة فى الـكتابة والأدب والبيان ويدعون إلى آراء خطيرة تمس الذوق الأدبى وترضى اتجاهات الحضارة والترف العقلى والاجتماعى الذى داخل البيئة العربية منذ بدء القرن الثانى ، كما أخذوا يلقنون مذاهبهم الأدبية العامة لتلاميذهم والمشايعين لهم من شـــداة الأدب كما ترى فى محاضرة بشر بن المعتمر المعتزلى م سنة ٢٠٥ هـ فى أصول البلاغة التى يقول الجاحظ عنها : إن بشرا مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة فقال بشر : أضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا ، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه فى أصول البلاغة وعناصر البيان(٤) ، ومن رجالات هـذه الطبقة أبو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الـكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ (٥) ؛ وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون والحسن بن سهل والفضل بن سهل ويحيى بن خالد وجعفر بن يحيى وأيوب بن جعفر وأحمد بن يوسف ومحمد بن عبد الملك الزيات وعمرو بن مسعدة وسواهم من كتاب الدولة الدولة صعدوا بفنهم وبلاغتهم إلى أرقى المناصب فى الخلافة الاسلامية .

وقد استمرت الحياة الأدبية فى النمو والازدهار ، على الرغم من انقسام الخلافة

---

(١) ١٠٥ : ١ البيان (٢) ٣٢٥ : ٣ (٣) ٢٤٠ : ١(٤) ١٠٤ : ١ (٥) ١٥١ : ١

وضعفها . ويرجع هـــذا الازدهار إلى تنافس الدول والامارات الإسلامية فى تشجيع الادباء والشعراء وتمثلهم لبغداد وخلافة بغداد فى العمل على إحاطة عروشهم بالمفكرين وأعلام الشعر والادب

ولقد كان ظهور الموالى ، وعلو شأنهم(١) مما أحيا فى نفوسهم الشعور القوى ، وذكرهم بما كان لهم من مجد بائد ، وعز قديم ، فملئت الشعوبية ، تنفس عن غيظها المكظوم طول عهد الامويين ، وتمجد العجم بإعلان مآثرهم وتزرى على العرب بتلمس المثالب لهم ، وتسجل ذلك فى الشعر ، من أمثال بشار ، والمتوكل ، والخرمى ، ومهيار ؛ وفى الكتب يضعها أمثال أبى عبيدة ، والهيثم ابن عدى ، وسعيد بن حميد ، وعلان الشعوبى ، وانبرى لهؤلاء من الشعراء والعلماء من يرد عليهم ، ويدفع عن العرب ، وينتصر لهم ، أمثال محمد بن يزيد الأموى ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، بل لقد حاول الجاحظ أن يهدم العصبية الجنسية بما عالجه فى رسالته مناقب الترك وعامة جند الخلافة ، حين استشرى شرها ، وكاد يوقع الفتنة فى صفوف الجند أيام المعتصم .

وتحيز المال فى جانب الحكام والأمراء ، جعل الأدب يستمر اتجاهه القديم إلى ناحيتهم ، ويسير فى ركابهم ، يعلى من شأنهم ، ويتغنى بذكرهم ، وغلب ذلك على أكثر أدب العصر ، وبخاصة نتاج أولئك الذين اتصلت أسبابهم بالقصور ، وذاقوا فى رحابها حلاوة النعيم .

وانغماس الادباء فى الحضارة ، ومشاركتهم فى لهوها الخليع ، ومجونها السافر ، مكن لهم من تصويرها فى جميع أوضاعها ، فوصفوها فى مظاهرها الرائعة وفى مباذلها الوضيعة ، وملأ شعرهم بالتحريض على متع الحياة وتحسين الخلاعة والمجون فى صراحة مكشوفة ، وعرى فاضح ، وابتذال مهين ، ومن شاء فليرجع إلى الاغانى ، أو يتيمة الدهر ، أو دواوين كثير من الشعراء ، ليستطلع طلع ذلك فى شعر بشار ، ومطيع بن إياس ، ووالبة بن الحباب ، ومسلم بن الوليد ، وأبى نواس ، وحسين بن الضحاك ، وغيرهم من الشعراء .

والزهد ، وهو حركة تقاوم هذه المادية الجارفة ، وتصد عنها بالتنفير من

---

(١) الأدب العربى للأستاذ أحمد شعراوى .

الدنيا والترغيب فى الآخرة ، والتذكير بالموت والحساب : وجد له مجالا فى تنف لبعض الشعراء والعلماء ، وفى كثير من شعر أبى العتاهية ، وفى كل ما صدر عن الزهاد والمتقشفين من أقوال .

وقسوة الحياة وشقاؤها ، وشظف العيش ، ورنق المشرب ، انعكست صورها فى كتب المقامات ، قصصا للكادحين . يحتالون على العيش بالمكر والخداع ، وفى أدب المحرومين ، سخطا على الزمان ، وأنينا من البؤس والحرمان .

واضطراب نظام الحكم ، وفساد أداته ، لم يعدم من يتعنى عليه ، ويندد به ، أو من يروم علاجه ، ويحاول إصلاحه كابن المقفع .

ولو رجعنا إلى ما وصفناه من معالم هذا العصر ، نبحث عن أشد الظواهر الاجتماعية تأثيرا فى الحياة ، ما وجدنا أقوى من التحام العرب بالموالى وامتزاجهم على الوجه الذى بيناه ، من ظهور الموالى وقوة نفوذهم . فهم الذين أثروا فى المجتمع ، ولونوا الحضارة ، بما ورثوه عن دولهم الدائلة ، وحضاراتهم الزائلة ، وصبغوا الدولة بصبغتهم ، وأدخلوا فيها نظمهم وتقاليدهم ، وقد تنبه إلى شيء من هذا بعض من عاصر العهد وشهد مجارى الأمور فيه ، وهذا أبو حيان التوحيدى يصور ذلك كله فيقول : «ضعف أمر الدين . وتحلل ركنه ، وتداوله الناس بالغلبة والقهر ، فتطاول له ناس من آل الرسول صلى الله عليه وسلم بالعجم ، وبقوتهم ، ونهضتهم وعادتهم فى مساورة الملوك وإزالة الدول ، وتناول العز كيف كان . . ألا ترى أن الحال استحالت عجما كسروية وقيصرية ؟ . هذا الربيع — وهو حاجب المنصور — يضرب من شمت الخليفة عند العطسة ، فيشكى ذلك إلى أبى جعفر المنصور ، فيقول : أصاب الرجل السنة ، وأخطأ الأدب ، وهذا هو الجهل ، كأنه لا يعلم أن السنة أشرف من الأدب ، بل الأدب كله فى السنة ، وهى الجامعة الأدب النبوى والأمر الإلهى ، ولكن لما غلبت عليهم العزة ، ودخلت النعرة فى آنافهم ، وظهرت الخنزوانة بينهم ، سموا آيين العجم أدبا ، وقدموه على السنة التى هى ثمرة النبوة » .

(٤)

وقدكان عبد الحميد الكاتب وابن المقفع من أشهر الكتاب الذين وضعوا أصول النثر الأدبي الفني في الأدب العربي . وكان عبد الحميد من كتاب الدولة الأموية ، وشهد ابن المقفع جانبا من أول عصر الدولة العباسية ، وخلفته طائفة من الكتاب تأثروا به تأثرا واضحا بعيد المدى في تطور النثر الأدبي والكتابة الفنية ، ومنهم يعقوب بن داود وزير المهدي ، وأبو الربيع محمد بن الليث الذي كتب للمهدي والهادي والرشيد ، والقاسم بن صبيح ، وسهل بن هرون(١) ويحيى بن برمك ، ثم ابناه : جعفر بن يحيى (١٤٢ - ١٨٧ هـ) وأخوه الفضل ، والحسن بن سهل(٢) وأخوه الفضل(٣) وأحمد بن يوسف(٤) ٢١٢ م هـ ، وعمرو بن مسعدة ٢١٧ هـ ، والعتابي م ٢٢٠ هـ(٥) ، ومحمد بن يزداد وزير المأمون(٦) .

وفي القرن الثالث الهجري بلغ النثر الفني منزلة سامقة ، وامتاز بسهولة العبارة وانتقاء الألفاظ وجودة الأسلوب ، كما امتاز بجودة المعاني واختراعها ودقة الأخيلة وابتداعها ، وظهور آثار الثقافات الحديثة وخاصة اليونانية فيه ، بل الاحتفال بها والطعن فيما سواها مما شكا منه النقاد(٧) ، ومال الكتاب إلى الإطناب حتى قال

---

(١) راجع : ٥٥ : ١ البيان ، ٢٨٢ : ٢ زهر ، ٢٦٠ : ٣ زهر الآداب أيضاً .

(٢) يشيد به الجاحظ (٨٤ ج ١ البيان) . وله كلمة يعرف بها أنواع الآداب ١٩٥ ج ١ زهر .

(٣) تبناه يحيى البرمكي وضمه إلى المأمون (٧٤ المكافأة) وأشاد الحصري ببلاغته (١٦ — ١٩ ج ٢ زهر) .

(٤) له ترجمة في الأوراق قسم أخبار الشعراء (٢٠٦ — ٢٣٦) وكان عالي الطبقة في البلاغة ولم يكن في زمانه أكتب منه ، وله شعر جيد (١٤٨ ج ٢ زهر) ، وكان ممن نبلوا بالكتابة (١١ ج ٣ العقد) ، وهو أول من افتتح المكاتبة في التهاني بالنيروز والمهرجان (٩٥ ج ١ ديوان المعاني) .

(٥) راجع ١٧٥ فهرست ابن النديم ، ٣٥٢ معجم الشعراء .

(٦) راجع ٤٢٤ معجم الشعراء .

(٧) ص ٢ أدب الكاتب لابن قتيبة بهامش المثل السائر ، ٤٢ و٤٣ رسائل الجاحظ حيث يقول الجاحظ : والناشيء من المكتاب إذا وطيء مقعد الرياسة يكون أول بدوه الطعن على القرآن في تأليفه وألا يرضى من الكتب إلا المنطق الخ ، ومثل ذلك يقول ابن قتيبة ، وهذا ينفي رأي ابن الأثير من أن الكتاب والشعراء لم يتأثروا بثقافة اليونان (٢٠ المثل السائر) .

ابن قتيبة : « ولو كتب كاتب إلى أهل بلد فى الدعاء إلى الطاعة والتحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان « أما بعد فإنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى الخ » لم يعمل هذا الكلام فى أنفسهم عمله فى نفس مروان ، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر وينذر » (١) . والإطناب مذهب فارسى حتى فى الأساطير وكتابة التاريخ ، يقول ابن الأثير : « والعجم يفضلون العرب فى الإطالة فإن شاعرهم يذكر كتابا من أوله إلى آخره شعراً وهو شرح قصص وأحوال كما فعل الفردوسى فى نظم الشاهنامة وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس ، وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها (٢) ، ولم يحفل الكتاب فى أوائل العصر العباسى الثانى بالبديع ، والتأنق الكثير فى الاسلوب ، ويعيب البديع الجاحظ بأن « كلامه بعيد الاشارات قريب العبارات قليل الاستعارات ليس له لفظة مصنوعة الخ »(٣) » ، كما عابه الباقلانى بقرب كلامه وكثرة الاقتباس فيه (٤) .

وكان حامل لواء هذه الطريقة الجديدة أمام البيان الجاحظ ، واقتدى به كتاب عصره ، كالصولى وابن الزيات والحسن وسليمان ابنى وهب وسعيد بن حميد وأحمد ابن اسرائيل والحسن بن مخلد وابن المدبر وسواهم من الكتاب الذين نشأوا فى هذا العصر وجمعوا بين الادب والنقد والبلاغة العربية والدخيلة وقرأوا كتب الفرس واليونان والهند وظهر أثر ذلك فى تفكيرهم واتجاهم وآثارهم الادبية المتعددة الالوان .

آثر الجاحظ الطبع والبعد عن التكلف والتعقيد والحوشية والسوقية ، كما آثر الوضوح وظهور الشخصية فيما يكتبه من رسائل أو مؤلفات ، واحتال على نشاط القارىء بالفكاهة ومزج الجد بالهزل وبالاستطراد وبراعة الاسلوب وسحره بالرواية والنقد والتمحيص ، والاطناب والانتباه العقلى والتغلغل الفكرى ودقة

---

(١) راجع مقدمة أدب الكاتب .

(٢) ٤ جـ ٣ المثل السائر . وقد وجدت رسائل مطولة وكثيرة فى هذا العصر كرسالة الخميس (١٠٧ — ١١١ جـ ١٢ — ابن طيفور مخطوط) .

(٣) ٨٢ مقامات البديع — المقامة الجاحظية ، ٢٠٩ جـ ٢ زهر .

(٤) راجع ١٩٤ إعجاز القرآن .

الملاحظة والشرح والتحليل والتعمق .: وشمول الفكرة ونفوذها وإحاطتها بشتى جوانب الحياة ، أظهر سمات أسلوب الجاحظ ، وهو مع ذلك متقد الحماسة للعرب والعربية ، يفضل بلاغة العرب على كل بلاغة ويستشهد بكلمة العربى وبيت البدوى كما يستشهد بحكمة الحكيم ورأى المفكر . وفى إنشاء الجاحظ كثير من أساليب الخطابة والجدل ، وكان من المعجبين بابن المقفع ونوه بذكره ولكنه لم يسلك مسلكه فى الادب ، لأنه رأى أفق الادب أوسع من أن يقصر على الحكم والمواعظ .

حقا لقد كان الجاحظ فى سحر بلاغته وسمو أسلوبه وشخصيته البارزة فى كل فقرة من فقراته وثقافته الواسعة فى شتى آثاره الأدبية نسيج وحده وفريد عصره كما يقولون ، ورسالته « التربيع والتدبير » وكتابه « الحيوان » من مظاهر ثقافته الواسعة العميقة . وإذا كان ابن المقفع إمام المنشئين فى عصر الترجمة ؛ فالجاحظ إمامهم فى عصر التأليف .

وقد تأثر بأسلوب الجاحظ الأدباء الذين آلت إليهم الزعامة الأدبية بعده ، كابن المدبر والحسن بن وهب وابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر الأديب المشهور . وقد ذاع فى النثر فى هذا العهد ألوان كثيرة : كأدب التهكم والسخرية ، والرسائل الإخوانية ، والرسالة الأدبية ، والتوقيع ، والمقامة ، والأدب الوصفى ، وأدب الطبيعة وأدب القصة ، وسوى ذلك من فنون النثر الأدبى فى هذا العصر الزاهر المتعدد الثقافات .

وقد ألفت فى هذا العصر كتب أدبية جامعة : كالبيان والتبيين ، والحيوان للجاحظ ، وأدب الكاتب وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والكامل للمبرد . وكذلك وضعت أصول النقد والموازنة والبيان على يد الجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وابن المعتز وقدامة بن جعفر وسواهم . . ولا عجب إذا قلنا إن النثر الأدبى قد بلغ غاية نهضته وعنفوان قوته فى هذا العصر الحافل .

(٥)

وقد نبغ كثير من الكتاب فى هذا العصر ومن أعلامهم : محمد بن عبد الملك

الزيات م ٢٣٣ هـ(١) ، وإبراهيم بن العباس الصولى م ٢٤٣(٢) هـ ، وسعيد بن حميد ٢٦٠هـ(٣) ، والحسن بن وهب(٤) م ٢٦٥ هـ(٥) ، وسليمان بن وهب م ٢٧٢هـ(٦) ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة الكاتب م ٢٧٧ هـ(٧) ، والمرثدى وكان يكتب للموفق(٨) ؛ ونطاحة الكاتب أحمد من إسماعيل بن الخصيب الانبارى كاتب عبيدالله ابن عبد الله بن طاهر؛ وكان بينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات(٩) ، ومحمد ابن مكرم الكاتب م بعد ٢٨٢ هـ(١٠) ، وإبراهيم بن المدبر م ٢٧٩ هـ(١١) ، وابن طيفور (٢٠٤ — ٢٨٢هـ) ، وعلى بن الحسن م بعد ٣١٠ هـ وقد جاوزا لتسعين(١٢) ، وعلى بن العباس النوبختى م ٣٢٧ عن سن عالية(١٣) وابن المعتزم ٢٦٩ ؛ وأبو بكر محمد بن يحيى الصولى م ٣٣٦ (١٤) وهو الذى جمع ديوان ابن المعتز(١٥) ، وأبو

---

(١) راجع : ١٧٧ فهرست ، ٤٢٥ معجم الشعراء ، ٢٧٨ : ٣ وما بعدها عصر المأمون ، ٢٧ : ١١ وما بعدها الطبرى ، ٣٩ : ٤ مسعودى ، ٤٣ الرسالة العذراء .

(٢) راجع : ٥٦ : ٤ مسعودى ، ١٧٦ فهرست ، ٢١ : ٩ الأغانى وما بعدها ٢٠٠ : ١ المفصل ، ٢٠٨ الوسيط ، ٤٢ : ٢ ثمرات الأوراق ، ٩٩ خاص الخاص .

(٣) راجع : ١٧٩ فهرست ، وفيات الأعيان ٥٤ — ٥٧ : ٢ طبعة ١٣١٠ ، ١٧٧ ج : ٤ ، ١٢٢ : ٤ زهر ، ٩١ : ٤ المسعودى ، ٤٢ : ٢ ثمرات الأوراق .

(٤) راجع : ١٧٧ فهرست — ٥٠٦ سمط اللآلى — ٢٤٨ ابن الروى للعقاد — ٤٤ : ٣ زهر — ٢٢١ — ٢٢٣ : ٣ معجم الأدباء .

(٥) وفى معجم الأدباء أنه ولد عام ١٨٦ هـ ومات فى آخر خلافة المتوكل .

(٦) راجع : ٢٤٩ ابن الروى — ١٧٧ فهرست — ١٥٤ — ١٦٠ : ٧ مهذب الأغانى — ٥٠٦ : ١ سمط اللالى — ٤٨٥ معجم الشعراء ، ٣٨٦ — ٣٨٨ : ١ وفيات الأعيان ، ٤٦ : ٣ زهر .

(٧) ١٨٧ و١٨٨ فهرست ، ٣٦ — ٥١ : ٢ معجم الأدباء .

(٨) ١٨٧ فهرست ، ١٦٠ أدب الكتاب للصولى .

(٩) راجع : ١٨٠ فهرست — ٣٧٧ ج ١ معجم الأدباء ، ويروى عنه الصولى كثيراً جداً فى أدب الكتاب وله كتاب طبقات الكتاب .

(١٠) راجع ٤٤٤ معجم الشعراء .

(١١) ٤٥٢ معجم الشعراء ، ٣٤٩ الموشح .

(١٢) ٢٩٥ معجم الشعراء .

(١٣) ٢٩٥ معجم الشعراء ١٤٥ ج ٢ زهر .

(١٤) ٤٦٥ معجم الشعراء ، ١٧٤ ج ٢ زيدان ، ٣٤٣ — ٣٤٥ نزهة الالبا ومقدمة أدب الكتاب .

(١٥) ١٧٥ ج ٢ زيدان .

العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الكاتب م ٣١٤ هـ (١) وحميد بن نصر الكاتب م ٣٠٠ هـ (٢) ، وأبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة الكاتب وكتب للقاسم(٣) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثوابة الكاتب وكتب للمعتضد(٤) .

واشتهر هذا العصر بأعلام ذائعة فى الأدب العربى والتأليف فيه ، ومنهم :

(ا) الجاحظ م ٢٥٥ هـ وله كثير من المؤلفات الخالدة منها البيان والحيوان .

(ب) أبو سعيد الحسن السكرى النحوى م ٢٧٥ هـ وكان راوية البصريين وجمع أشعار الجاهلية والإسلام .

(حـ) ابن قتيبة م ٢٧٦ هـ (٥) ، وله عيون الأخبار وأدب الكاتب والشعر والشعراء وكتاب الشراب .

(د) ابن أبى الدنيا عبد الله بن محمد م ٢٨١ هـ وكان مؤدب المكتفى وله كتب كثيرة (٦) .

(هـ) ابن طيفور أحمد بن أبى طاهر تلميذ الجاحظ (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ)(٧) ، وله سرقات الشعراء وكتاب بغداد والجامع فى الشعراء واختيار المنظوم والمنظوم(٨)

(و) ومنهم أبو العيناء بن القاسم بن خلاد (١٩١ - ٢٨٣(٩)) .

---

(١) ٢٥٢ جـ ٤ تاريخ بغداد .

(٢) ٤٦٣ معجم الشعراء .

(٣) ٤١٧ جـ ٢ معجم الأدباء ، ١٨٨ فهرست .

(٤) ١٨٨ فهرست .

(٥) ١١٥ وما بعدها فهرست ، و ٤٤٩ — ٤٥٠ : ١ وفيات الأعيان ، ١٧٠ : ٢ وما بعدها زيدان .

(٦) راجع ١٧٢ : ٢ زيدان .

(٧) ٢٠٩ — ٢١٠ فهرست ، ١٩٧ طبقات الشعراء لابن المعتز ، و٢٥١ الموشح، ٢١١: ٤ تاريخ بغداد ، ١٥٢ : ١ معجم الأدباء ، ٤٨ و٩٣ و٩٤ : ١ ديوان المعانى .

(٨) أربعة عشر جزءاً يوجد منه بدار الكتب ثلاثة أجزاء فى مجلد مخطوط هى : الحادى عشر فى بلاغات النساء وقد طبع منفرداً فى مصر ، والثانى عشر ويجمع قصائد ورسائل لا يوجد لها مثيل ومنها المعلقات . والثالث عشر ويجمع فصولا من رسائل مختارة .

(٩) ١٨١ فهرست ـ ١٧٥ : ٤ مسعودى ـ ٤٤٨ معجم الشعراء ـ ٣٢١ — ٣٢٤ : ٢ وفيات الأعيان ، ٣١٦ و٣٢٢ — ٣٣٠ و٣٣٢ : ١ زهر ـ ٢٧٠ نكت الهميان ـ ١٧٠ : ٣ تاريخ بغداد ـ ١٨٠ : ٢ شذرات الذهب ، ٦١ : ٧ معجم الأدباء ، ١٤٥ : ٣ سمط اللآلى ، ٢١٨ — ٢٢١ : ١ أمالى المرتضى ، ١٩٦ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(ز) أبو على البصير الفضل بن جعفر بن يونس م ٢٥١ هـ(١)

(ح) جحظة أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكى (٢٢٤ - ٣٢٦ هـ(٢))

(ط) ومنهم ابن المعتز ٢٩٦ هـ ، وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجحى م ٣٠٥ هـ(٣) ، وقدامة م ٣٣٧ هـ، والوشاء أبو الطيب محمد بن أحمد ٣٣١ هـ، ويموت ابن المزرع م ٣٠٠ هـ وهو ابن أخت الجاحظ(٤) : وغيرهم من جلة الأدباء وأئمة علماء الأدب .

(٦)

ولقد كانت مصادر الثقافة الأدبية فى هذا العصر كثيرة متعددة ومن أهمها :

(ا) القرآن والحديث والكتب المؤلفة حولهما ، مما يتصل بالأدب والدين: كمجاز القرآن لأبى عبيدة وإعجاز القرآن للجاحظ والإعجاز لمحمد بن يزيد الواسطى م ٣٠٦ هـ(٥) .

(ب) خطب الخطباء وحكم الحكماء ورسائل الأدباء .

(جـ) كتب التاريخ التى جمعها أو ألفها المؤرخون فى هذا العصر والذى سبقه ، كابن اسحاق وابن هشام والبلاذرى واليعقوبى والطبرى وسواهم .

(د) كتب السياسة التى تأثرت بآثار الفرس أو كانت مترجمة من ثقافتهم ومنها : كليلةودمنة والأدب الصغير(٦) والأدب الكبير والدرة(٧) اليتيمة ورسالة الصحابة(٨) لابن المقفع وهى تصوير لسياسة الدولة وحاشية السلطان وأعوانه

---

(١) ٩٦ : ٢ زهر ، ٩٢ : ٤ مسعودى ، ٣١٤ معجم الشعراء ، ١٨٨ طبقات الشعراء لابن المعتز ـ ١٧٨ فهرست ـ ٢٧٦ : ١ سمط اللآلى .

(٢) ٢٠٨ فهرست ـ ١٥٧ و١٥٨ : ٢ زهر .

(٣) ١٦٥ فهرست ـ ٢٥٣ : ٣ زهر .

(٤) ٥١٠ معجم الشعراء ـ ١٣٦ جـ ٤ مسعودى .

(٥) ولعبد القاهر الجرجانى شرح عليه ، ٩٤ : ١ كشف الظنون

(٦) تجده فى رسائل البلغاء ١٧ ـ ٥٤ ، وطبع مستقلا عام ١٩١١

(٧) ٥٥ — ٦٤ المرجع

(٨) تجدها فى رسائل البلغاء ١٢٠ — ١٣١

وجنده ، ومنها رسالة طاهر بن الحسين فى السياسة وقد أرسلها إلى ابنه عبد الله (١) ومشاورة المهدى لأهل بيته فى خراسان(٢) .

(هـ) كتب الأدب الجامعة ، كالبيان وعيون الأخبار والكامل .

(و) كتب البيان والنقد والكتابة ، ومنها كتاب الفصاحة للسجستانى وللدينورى(٣) ، وكتاب البلاغة للمبرد(٤) ، وقواعد الشعر للمبرد ولثعلب ، وأسرار البلاغة فى الكتابة لقدامة(٥) ونقد الشعر ونقد النثر له أيضا ، وكتاب البديع لابن المعتز ، وكتاب الصناعة لأبى جعفر أحمد بن محمد النحاس م ٣٣٨ هـ (٦) والرسالة العذراء لابن المدبر م٢٧٩(٧) ، ومنها أدب الكتاب للصولى ، ورسائل الأدباء فى النقد كرسالة ابن المعتز فى أبى تمام .

(ز) كتب الشعر ، ومنها مجموعات فى أشعار القبائل والأفراد ، ومنها المفضليات وحماسة أبى تمام وحماسة البحترى ودواوين الشعراء والكتب المؤلفة فى طبقاتهم . وسواها من مئات المصادر فى الأدب والشعر

---

(١) تجدها فى ١٥١ — ١٥٤ الإدارة الإسلامية ، ١٠٨ — ١١٧ : ٢ تاريخ آداب اللغة لمحمد بك دياب ، ١٨٦ وما بعدها من المطالعة التوجيهية .

(٢) تجدها فى ٩٥ — ١٠٧ : ١ العقد ؛ وقد أمر المهدى محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم وإثبات مقالتهم فى كتاب (٩٥ : ١ العقد) وكتبت عام ١٧٠ (١٠٧ : ١ العقد) .

(٣) ١٦٠ : ٢ كشف الظنون . (٤) ٨٨ فهرست .

(٥) ٤٧٠ : ١ كشف . (٦) ١٥٤ : ٢ كشف .

(٧) تجدها فى ١٧٦ — ١٩٣ رسائل البلغاء ونشرها مستقلة عام ١٩٣٠ زكى مبارك .

الفصل الخامس

الشعر العربى فى عصر ابن المعتز

(١)

كان الشعر الجاهلى غنائيا يفيض من القلب ويصور عاطفة الشاعر وشعوره ، وكان ضخم الألفاظ ، قوى الأسلوب . متعدد الأوزان والقوافى ، معانيه فطرية مستمدة من صحيفة الحياة ومشاهد البيئة .

فلما جاء الإسلام ظل الشعر على حالته ، أسر لفظ ، وجزالة عبارة ، وطريقة أداء ، ولكن أغراضه تغيرت بتأثير الحياة الجديدة ، ومعانيه استحكمت وألفاظه عذبت بتأثير القرآن وبلاغة الرسول .

وبابتداء القرن الثانى بدأ عهد جديد فى الشعر العربى كان له أثره فى شتى نواحيه الفنية . وظهر هذا الأثر على أيدى المخضرمين الذين عاصروا الدولتين الأموية والعباسية ، كما ظهر منذ أواخر القرن الثانى الهجرى على أيدى المحدثين أو المولدين الذين نشأوا فى العصر العباسى . وتأثروا بالحياة الاجتماعية والفكرية التى كانت تسود فيه .

سار الشعر بخطوات كبيرة على يد بشار زعيم المحدثين ، وعلى أيدى زعماء مدرسته الأدبية كأبى نواس ومسلم وغيرهما من الشعراء . وظلت هذه النهضة الفنية تزدهر حتى آتت أكلها فى العصر الثانى .

(٢)

وقد كان أبو تمام آخر من شهدهم العصر الأول من أمراء القريض ، ولكن مدرسته الشعرية ظلت مسيطرة على دولة الشعر طول العصر الثانى كله ، وهى التى وجهته توجيها جديداً يجمع بين فن بشار ومدرسته ، والآثار العقلية والاجتماعية والأدبية التى سادت العصر الثانى وذاعت فيه ، مما خلق نهضة فنية لم يشهدها الشعر طول العصور الأدبية جميعها .

حدث تغيير واسع فى تفكير الشاعر العباسى وعقله ، فامتازت معانى الشعر بدقة التصور ، واستنباط الدقيق والجديد من الآراء والأفكار ، وبالاكثار من ضرب المثل واستخدام الآراء الفلسفية والبراهين والأقيسة العقلية ، وبتحميص

الأفكار وترتيب العناصر . وأخذ المنطق يتغلغل فى الصياغة الذهنية ، حتى لنجد القصيدة عند أبى تمام محكمة الأجزاء والعناصر والترتيب ، وتبعه فى ذلك كثير من الشعراء .. وأكثر الشعراء من الابداع فى التصوير والخيال والاغراق فيه ، وتركيب التشبيهات والاستعارات والأوصاف ، فى جنوح إلى المبالغة والاغراق والغلو والاستقصاء والتغلغل فى دقائق الأغراض والخيالات . وانصرف الشعراء عن المعانى البدوية أو الحضرية المتأثرة بالبداوة إلى معان عصرية صرفة . وبعد أن كان الشعر مرآة للطبع الخالص ، أصبح فى هذا العصر لا يصدر إلا بعد أن يسيطر عليه العقل وآثار التفكير ، وندر فى هذا العصر من خلا شعره من آثار الحضارة العقلية ؛ فمن لم تظهر فى شعره المعانى الفلسفية والآراء الطريفة التى سرت إلى المتأدبين من مذاكرة علم الكلام والعلوم المترجمة وخاصة الفلسفية ، ظهرت فيه محسنات اللفظ والمعنى ، وتفخيمات الفرس ومبالغاتهم ، ولا بدع فى ذلك فأكثر الشعراء فى هذا العصر كانوا رضاع أدبين ونشء حضارتين وولدان جنسيتين ، مما كان له صداه فى أخيلة الشعراء وتصوراتهم وتأديتهم للمعانى ، ولهذا اللقاح من الأثر فى الفكر والعقل ما يعلل لك وفرة المعانى الجديدة ودقة النظر ولطف الأخذ لها ، « فالمحدثون أكثر ابتداعا للمعانى وألطف مأخذاً وأدق نظراً ، لأنهم عظم الملك الإسلامى فى زمانهم ورأوا مالم يره المتقدمون » (١) . ومعانى الشعر فى هذا العصر : إما معان قديمة تناولها الشعراء فأحسنوا غالباً صوغها وزادوا فيها ، وإما معان جديدة استقل المحدثون بابتداعها ، وإذا كان للمتقدمين متانة التعبير وصحة الأداء والسلامة من قصور الملكة، فان للمحدثين مزية (٢) المعنى والتحليق فى سماء الخيال واتساق الفكر ، وشاعت فى أشعارهم تلك الحكمة التى اشتهر بها صالح بن عبد القدوس وأبو العتاهية وأبو تمام وسواهم من الشعراء ، والمروزى أحمد بن محمد مزدوجة ترجم فيها أمثال الفرس (٣) . وكان المروزى مولعا بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية (٤) والأنبوردى قصيدة ترجم فيها أمثال الفرس (٥) واشتهر على بن جور

(١) المثل السائر ص ١٣٦ .

(٢) ويرى ابن جنى أن المولدين يستشهد بهم فى المعانى (٢٢٤ : ٢ العمدة) .

(٣) كان أكثر شعره فى الزهد والأمثال (١٢٢ جزء ١ الأغانى ، ٢٣٨ جزء ٦ الكامل) .

(٤) اليتيمة ص٨٣ و٨٤ جزء ٤ ، والكشكول ص ١٢٣ و١٢٤ .

(٥) اليتيمة ص٨٦ جزء ٤ .

الفارسي ـ وكان ذا علم بالنجوم ـ بادخالها فى شعره (١) . والحكمة اليونانية صاروا يدخلونها فى الشعر .

يقول الشاعر(٢) : والفقر فى أوطاننا غربة والمال فى الغربة أوطان

وهو نظم لحكمة أرسطو : « المال فى الغربة وطن ، والمقل فى أهله غريب(٣) » .

وفنون الشعر وأغراضه القديمة من مدح وهجاء وفخر ورثاء ووصف وغزل بالمؤنث وزهد وحكمة ومثل ، نظم فيها الشعراء ولكنهم أكثروا منها وافتنوا فيها وصبغوها بصبغة تكاد تكون جديدة مبتكرة ، فقد جدد التلقيح العقلى نماذج هذه الأغراض الشعرية ، وأحدث ألوانا من ضروب الرقى الفنى غير كثيرا من جوانبها القديمة .

ونظموا مع ذلك فى أغراض جديدة خلقتها البيئة وآثار الحضارة والحياة فى العصر العباسى ، فشاع فيه المجون والغزل بالمذكر (٤) ووصف الخمر وتصوير الطبيعة ووصف الصيد والطرد ونظم الشعر فى تأديب النفس وتهذيب النشء بنظم القصص كما فعل أبان وسواه من الشعراء ، وضبط قواعد العلوم ونظم التاريخ كما فعل ابن المعتز فى أرجوزته فى المعتضد وسواه من الشعراء ، ونظموه فى وصف المصلوبين وهجاء المغنين والاتهام بالأبنة والذم بالرشوة ووصف شتى ألوان الطعام ، وفى التصوف الذى أكثر منه الزهاد والمتصوفون ، وفى الوعظ والأخلاق وفى شتى الأغراض وجديدها .

وكان للغناء والحضارة والترف أثر فى التجديد فى أوزان الشعر وقوافيه ، فأخذوا يلائمون بين الموضوعات والأوزان والقوافى (٥) وزهدوا فى الأوزان الطويلة وآثروا عليها الأوزان السهلة الخفيفة القصيرة ، بل إنهم جددوا أوزانا لم يسبقهم إليها المتقدمون ، ونظموا على الأوزان التى لم تنظم منها العرب إلا قليلا كالمضارع والمقتضب والمجتث ، وأكثروا من نظم المخمسات والمزدوجات ، ونظم

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٩٣ . (٢) رسالة الغفران ٢٠٣ .

(٣) وهى فى البديع لابن المعتز برواية أخرى منسوبة لمسلمة بن عبد الملك (٧٦ البديع) .

(٤) نشأ هذا الفن على يد حماد ووالبة وأبى نواس والحسين بن الضحاك والبحترى وسواهم من الشعراء . وإذا كان أبو نواس وحده أو مع فئة قليلة قد نظموا فيه فى العصر الأول فقد كان أكثر الشعراء فى العصر الثانى يطرقون هذا الباب ولم يبق شاعر فى بغداد إلا واشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به .

(٥) راجع ٩ الكشف عن مساوىء شعر المتنبى .

عليها بشار عبثا واستهتارا بالشعر (١) وصنع ابن المعتز أرجوزة فى ذم الصبوح وأرجوزة فى سيرة المعتضد ، واشتهر بالتخميس ابن وكيع والأمير تميم (٢) ، ونظموا الدوبيت والسلسلة والمواليا والزجل وقوما وكان وكان ، والموشح ، ويسروا على أنفسهم فى القوافى فاختاروا أيسر الألفاظ وأسهلها وأحبها إلى السمع ، وتجنبوا عيوب القافية ؛ كل ذلك حرصا على مسايرة الشعر للحضارة والغناء ومحاولة لنشره بين شتى الطبقات .

أما فى أسلوب الشعر : فقد حافظ الشعراء على عربيته ، وإن كان بعض الشعراء قد أدخلوا فيه بعض الألفاظ الفارسية دون تعريب أو معربة مصقولة ، كما فعل أبو نواس وابن المعتز وسواهما من الشعراء . ومن قبل كان الأعشى وأمية ابن أبى الصلت وكذلك يزيد ابن مفرغ وأسود بن أبى كريمة (٣) . وقد حاولت بعض العناصر الفارسية احياء أدبهم القومى ونظم الشعر بلغتهم الفارسية . ويروى أنه قدمت للمأمون حين دخوله « مرو » قصيدة فارسية نظمها شاعر يدعى عباس ويقول الشاعر فى القصيدة : إنه لم ينظم أحد بهذه اللغة قبله وقد يكون هو عباس ابن طرخان الذى نقل ابن خرداذبة فى كتابه الجغرفيا شعراً فارسيا له ولكن لغة القصيدة تدعو إلى الشك فى نسبتها لذلك العهد (٤) وكان هناك شاعر آخر هو محمد ابن البعيث كان يكتب أشعاره بالعربية والفارسية (٥) . وكذلك الأمر فى النثر فقد كان موسى الأسوارى يقص بالفارسية والعربية (٦) .

وقد ظهر أثر الحضارة وسلامة الذوق فى تخير ألفاظ الشعر وأساليبه لاستعمال الرواية وقلة الارتجال والإنحاء عليه بالتهذيب والميل به إلى جانب الرقة والسلاسة مع بقاء جزالته وفخامة عبارته فى غير الهزل والمجون وفى الموضوعات التى تتطلبها ، وانتقل ذوق الزخرف والترف من الحياة العامة إلى الحياة الفنية الخاصة فتجلت الدقة فى انتقاء الألفاظ العذبة الممثلة للمعنى أتم تمثيل وظهر التكلف فى صوغ العبارات والأساليب . ودعا النقاد كالجاحظ وسواه إلى إيثار ما لم يكن من الألفاظ ساقطا سوقيا ولا مستكرها وحشيا وإلى هجر الغريب والخشونة وإيثار الجمال الفنى من وضوح العبارة وجمال الابتداء وحسن التخلص والانتهاء . وقد

---

(١) العمدة ج ١ ص ١٥٧ .
(٢) العمدة ج ١ ص ١٥٨ .
(٣) البيان والتبيين ص ١٠٩ ج ١ .
(٤) الحضارة الإسلامية لبارتولد ص ٦٨ .
(٥) الحضارة الإسلامية لبارتولد ص ٦٩ .
(٦) البيان ص ٢٣٤ ج ١ .

استعملوا بعض الألفاظ الكلامية واقتبسوا فى الشعر من كتاب الله العزيز، وقصدوا البديع وألوان الزخرف الفنى قصدا يوشون به شعرهم فقل حظ الشعر من اليسر، وبعد عهده بالبداوة، وكثر حظه من التكلف الفنى، وأصبح أثراً من آثار الصناعة بعد أن كان وليد الطبع والفطرة الحرة المطلقة. وبذلك أصبح الشعر فنا حقا يسير الشاعر فيه وراء الترف والجمال، من حيث لم يكن الشاعر الجاهلى أو الإسلامى عادة صاحب فن، بل كان الطبع قويا فيه. وما يقال عن زهير والحطيئة وطفيل الغنوى من أنهم كانوا أصحاب روية وأناة ليس معناه الصنعة أو التكلف الذى نراه عند المحدثين(١) فالمثل الأعلى للشعر عند القدماء ماجرى على السليقة والفطرة وما أوحت به إلهم حياتهم من المعانى. فأما عند المحدثين فى العناية بالزخرف والتنميق (٢). فلم تكن العرب تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولاتحفل بالابداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر. فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا مواقع تلك الألوان من الغرابة والحسن تكلفوا الاحتذاء وسموها البديع(٣).

(٣)

وقد حاول بعض المحدثين التجديد فى بناء القصيدة وأغراضها، فدعوا إلى ترك الأطلال ومساءلتها فى مبادىء القصيد، كما فعل أبو نواس ومطيع وابن المعتز، وسواهم من الشعراء، ويقول أبو نواس:

صفة الطلول بلاغة القـــدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولكن ابن قتيبة لم يرض عن ذلك، ودعا إلى الاحتفاظ بمنهج القصيدة الموروث(٤). ولكن ابن رشيق لم يرض عن ذلك المنهج والاتجاه، ورأى أنه «لا معنى لذكر الحضرى الديار إلا مجازا» (٥)، «لرغبة الناس فى الوقت عن

---

(١) ويجعل صاحب الأدب الجاهلى مدرسة مسلم وأبى تمام وسواهما من المصنعين امتداداً لمدرسة زهير والحطيئة (٢٨٨ الأدب الجاهلى).

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص٩٩ وما بعدها.

(٣) راجع ٣٨ الوساطة.

(٤) راجع ١٤ و١٥ الشعر والشعراء، والعمدة ج ١ ص ١٩٧.

(٥) العمدة ج ١ ص ١٩٧.

تلك الصفات ، وعلمهم بأن الشاعر إنما يتكلفها ، والأولى فى هذا الوقت صفات الخمر والقيان(١) » .

(٤)

أما المذاهب الأدبية العامة فى فن الشعر فى القرن الثالث الهجرى وما بعده فيمكن إرجاعها إلى مذهبين :

فطائفة من الشعراء قد احتذت حذو القدماء ، فهى لا تسير فى سبيل التجديد الفنى فى الشعر إلا بمقدار ما يتلاءم مع الروح العربية ، فظلت على النهج والصياغة القديمة ومنهم : أشجع ، ومروان بن أبى حفصة م ١٨٢ ﻫ ، ودعبل م ٢٤٦ ﻫ ، وعلى بن الجهم م ٢٤٩ ﻫ ، والبحترى م ٢٨٤ ﻫ ، وسواهم .

وطائفة مالت إلى التجديد : كبشار م ١٦٧ ﻫ ، وأبى نواس ١٤٥ - ١٩٩ ﻫ ، العتابى م ٢٢٠ ﻫ ، ومسلم ٢٠٨ ﻫ ، وأبى تمام م ٢٣١ ﻫ ، وابن المعتز .

ويرجع ذلك إلى التفاوت بين الشعراء فى الثقافة والتفكير والعقلية .

فالطائفة الأولى تثقفت بالثقافة العربية وحدها فسارت فى مذاهب الشعر وفنه وأخيلته ومعانيه على المنهج القديم .

والطائفة الثانية تثقفت بالثقافة العربية وبالثقافات الحديثة ودعت إلى أن يكون الشعر فنا يعبر عن هذه الثقافات جميعا ويوزن أسلوبه بميزان العقل والمنطق الدقيق .

وكان بين الطبقتين نضال أدبى واسع تمثله المعركة الأدبية التى نشبت بين البحترى وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ ﻫ والتى نجد أخبارها فى المعارضات التى قامت بين الشاعرين(٢) ، وفيها يقول البحترى :

كلفتمونا حدود منطقكم   فى الشعر يغنى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعـــه وما سببه
والشعر لمح تكفى إشارته   وليس بالهذر طولت خطبه

وقبل ذلك قال أبو تمام فى الحسن بن وهب :

لم يتبع شنع الكلام ولا مشى   مشى المقيـد فى الحدود المنطق
فى هذه خبث الكلام وهـــذه   كالسور مضروبا له والخندق

(١) العمدة ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٢) راجع هذه المعارضات فى ديوان البحترى ٣٢ — ٣٨ : ١ .

(٥)

وكذلك انقسم نقاد الأدب وعلماؤه طبقات :

(ا) فطائفة من النقاد تقف إعجابا وتقديرها على الشعر القديم ، وتزرى بشعر المحدثين وفنهم لما فيه من إسفاف وإغراق وإحالة ونقص طبع وتفاوت نفس وتباين ملكات ، وهم علماء الادب واللغة الذين تثقفوا ثقافة أدبية عربية خالصة ولم يتزودوا بزاد آخر من الثقافات الحديثة .

ومن هؤلاء : أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ ﻫ وكان أعلم الناس بالعربية وجلس عشر سنين فما سمعه يحتج ببيت إسلامى(١) وكان يقيم الموازنة بين الشعراء على أساس عصورهم ، لا على أساس شعرهم حتى قال : « لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا(٢) » ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه وما كان من قبيح فهو من عندهم(٣) ، وكان كما يقول ابن سلام فى طبقات الشعراء : أشد الناس تسليما للعرب .

ومنهم ابن الاعرابى م ٢٣١ ﻫ ، وكان يزرى بأشعار المحدثين ويشيد بشعر القدماء(٤) ، فكان يقول فى شعر أبى تمام : « إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل » وأنشده(٥) ابن الطوسى أرجوزة لأبى تمام على أنها لبعض شعراء هذيل فاستحسنها وكتبها فلما علم أنها لحبيب قال خرقوها ، وكان ابن الاعرابى يعيب شعر أبى نواس فأنشده رجل شعراً له وهو لا يعرف قائله فأعجب به إعجابا شديدا وكتبه فلما علم أنه لأبى نواس أنكره(٦) ؛ وكان يستشهد فى كتابه النوادر بكثير من أشعار المحدثين ولعله لو علم بذلك ما فعله(٧) ، وكان يقول : ختم الشعر بابن

---

(١) الشعر والشعراء ص٧ ، البيان والتبيين ٢٠٩ : ١ ، العمدة ٧٣ ج ١ .

(٢) تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص١٠٥ .

(٣) العمدة ٧٣ ج ١ .

(٤) الموازنة ٨ ، الموشح ٣٠١ ؛ أخبار أبى تمام ٢٤٤ .

(٥) التصحيف والتحريف ٨٥ ، المثل السائر ٣١٥ ، أخبار أبى تمام ١٧٥ ، ص ٤٥ وما بعدها من الصناعتين ، رسائل ابن المعتز ١٣ ، الموازنة ١٠ ، وراجع ٥٠ وما بعدها من الوساطة .

(٦) راجع ٢٨٩ ج ١ زهر .

(٧) أخبار أبى تمام للصولى ١٧٧ .

هرمة(١) ، وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بالرماح(٢) ، وقال : بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت افضلته على كثير منهم(٣) ، وكان أبو حاتم يعيب شعر أبي تمام(٤) .

ومنهم اسحاق الموصلي الذي كان في كل أحواله ينصر الأوائل ، وكان شديد العصبية لهم(٥) فتعصب على أبي نواس(٦) ، وطعن على أبي العتاهية(٧) ، وكان لا يعتد ببشار ويقدم مروان عليه(٨) ، وسمع أبا تمام ينشد شعرا له فقال : يا هذا لقد شددت على نفسك(٩) ، ومع ذلك فقد كان إنتاجه الأدبي لا يرضى طبقة النقاد التي احتذى حذوها وذلك لأنهم يرونه محدثا كما فعل الأصمعي معه حين استحسن بيتين أنشدهما اسحاق له فلما علم أن اسحاق صاحبهما عابهما(١٠) ، ولم يكن تعصب اسحاق للقدماء الأدب وحده بل كان كذلك في الغناء أيضا فكان زعيم طائفة تنكر تغيير الغناء القديم وتعظم الاقدام عليه(١١) .

وكان المأمون — رغم ثقافته الواسعة — يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول: انقضى الشعر مع ملك بني أمية(١٢) ، ودخل عليه أبو تمام في زي أعرابي فأنشده فجعل المأمون يتعجب من غريب ما يأتي به فلما انتهى إلى قوله :

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فإنهن حمام

فقال المأمون : الله أكبر كنت يا هذا قد خلطت على الأمر منذ اليوم وكنت حسبتك بدويا ثم تأملت معاني شعرك فاذا هي معاني الحضريين وإذا أنت منهم فقض به ذلك عنده(١٣).

ومثل ذلك التعصب للقديم موجود في الآداب الأخرى ، فقد كان هوراس الشاعر الروماني يرى أن شعراء اليونان هم النماذج التي يجب أن تدرس ليلا ونهارا ،

---

(١) العمدة ٧٣ ج ١ (٢) البيان ١٩٧ ج ٣
(٣) الأغاني ٢٣ ج ٣ . (٤) الموشح ٣٠٤ .
(٥) أخبار أبي تمام ٢٢١ .
(٦) راجع ٢٦٣ و٢٦٤ من الموشح ، الأغاني ٢٨ ج ٣ .
(٧) موشح ٢٥٨ . (٨) الأغاني ٢٨ ج ٣ .
(٩) ٨ الموازنة وتروى برواية أخرى (٣٢٧الموشح) .
(١٠) الوساطة ٥٠ ، الموازنة ١٠ . (١١) الأغاني ٣٥ ج ٩ .
(١٢) ديوان المعاني ٣٦٢ ج ١ . (١٣) ديوان المعاني ١٢٠ ج ٢ .

فإن الشعر ينبغى أن ينظم كما كانوا ينظمونه(١) .

واعتذر الباقلانى عنهم بأنهم إنما كانوا يميلون إلى الذى يجمع الغريب والمعانى(٢) ، واعتذر ابن رشيق بحاجتهم إلى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون(٣) .

(ب) وطائفة أخرى من النقاد حكموا الذوق الأدبى وحده فى الشعر وحكموا بالفضل لمن يستحقه جاهليا كان أو إسلاميا أو محدثا كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن رشيق(٤) ، ونقد ابن المعتز تعصب العلماء على المحدثين لغير سبب(٥) ، وفضل خلف لامية مروان على لامية الأعشى(٦) ويشرح الجرجانى والباقلانى مذهبهم فى النقد(٧) .

(ح) وطائفة أخرى حكمت الثقافات الحديثة فى النقد كما فعل قدامة فى نقد الشعر ومناهجه ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب أرسطو فى نقد الشعر الذى نقله أبو بشر من السريانية إلى العربية(٨) .

ولاختلاف مناهج النقاد فى نقد الشعر كان الشعراء يتشددون فى طلب العدالة الأدبية من النقاد حين يعرضون ما نظموه من شعر عليهم كما فعل ابن مناذر م ١٩٨ ه ، فقد أنشد أبا عبيدة قصيدته فى رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى(٩) :

كل حى لاق الحمام فمودى ... ما لحى مؤمل من خلود

وهى التى عارض بها قصيدة أبى(١٠) زبيد الطائى :

---

(١) قواعد النقد الأدبى ص ١٤٤ وما بعدها .
(٢) إعجاز القرآن ١٠٠ .
(٣) العمدة ٧٣ ج ١ .
(٤) الحيوان ٤٠ ج ٣ ، الشعر والشعراء ٧ و ٨ ، الكامل ١٨ ج ١ ، العمدة ٧٤ ج ١
(٥) أخبار أبى تمام ١٧٥ وما بعدها ، رسائل ابن المعتز ١٤ .
(٦) العقد ص ٤٠٢ ج ٣ . (٧) الوساطة ٣٧ وما بعدها ، إعجاز القرآن ١٠٠ .
(٨) زيدان ١٥٧ ج ٢ .
(٩) راجعها فى الكامل للمبرد ٢٨٨ و ٢٩٠ ج ٢ ، والمبرد شديد الاعجاب بها (٢٨٨ ج ٢ الكامل) .
(١٠) راجعها فى (٢٨٦ وما بعدها جمهرة أشعار العرب) .

إن طول الحيـــاة غير سعود   وضلال تأميل طول الخلود

فقال له : أحكم بين القصيدتين واتق الله ولا تقل ذاك متقادم الزمان وهذا محدث متأخر ، ولكن انظر إلى الشعرين واحكم لأفصحهما وأجودهما(١) .

(٦)

وفى العصر الثانى كف الخلفاء عن شد أزر الشعراء بالصلات ، لغلبة الترك على أمور الدولة وضعف الخلفاء واضطراب الحياة السياسية . ولأن الدعاية السياسية خرجت كلها أو جلها من أيدى الشعراء إلى أيدى الكتاب والدعاة . . ولتوزع العناية بين الشعر والعلوم الحديثة ، ولكثرة الشعر والشعراء ؛ ولغلبة المنادمة على الشعر مما رجح صفة النديم على صفة الشاعر ، ولقلة المبالاة بالمدح والذم حين استبحر العمران وشاعت الإباحة والمجون . . فلم يعد الشعر طريقا إلى الحياة ، ووسيلة للعيش ، كما كان فى العصر الأول ، الذى أغدق فيه الخلفاء والوزراء والأمراء على الشعراء بأنفس الجوائز والصلات(٢) .

وكان من رواة الشعر العربى طبقة من العلماء من البصريين والكوفيين والبغداديين ، الذين كانوا يروونه إشباعا لنهم فطرهم وأذواقهم الأدبية العربية الخالصة ، من أمثال : خلف والأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ويحيى بن نجيم وعمرو بن كركرة وابن سلام ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب والعربية(٣) ومن عامة رواة الأدب والبيان الذين لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة ، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن والسبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورونق ، وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصـــدور عمرتها وفتحت للسان باب البلاغة — كما يقول الجاحظ — دون النحويين الذين ليس لهم غاية إلا كل شعر فيـــه إعراب ، والأخباريين الذين لا يقفون إلا على كل شعر فيه الشاهد والمثل ، واللغويين الذين لا يروون إلا كل شعر فيه غريب(٤) . وبجوار هذه الطبقة الشعراء الذين

---

(١) ٥ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٢) راجع اصفاد الملوك على المدح ف ١٥٨ — ١٦١ ج ١ العقد الفريد .

(٣) ٢٠٦ : ١ البيان .   (٤) ٢٢٤ : ٣ البيان .

طارت شهرتهم فى آفاق الأدب العربى أمثال ابن هرمة و بشار وصالح بن عبد القدوس وأبى نواس وأبى العتاهية والسيد الحميرى وأبان اللاحق ومنصور النمرى وسلم الخاسر وابن أبى عيينة ويحيى بن نوفل وخلف بن خليفة ومحمد بن بشير والعتابى ومسلم وأبى تمام(١) ، وغيرهم من رجال الأدب والبيان ، من بيت بنى هاشم وبنى العباس ومن رجال الفرق الأدبية والسياسية والدينية لا سيما المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رآهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلغاء.(٢) .

ومهما كان فإن التجديد الشعرى فى العصر العباسى لم يتعد فى الأغلب صناعة الشعر وأنه منحصر فى الوجدانى منه ، وهو يظهر لنا فى ثلاثة مظاهر : رقة العبارة والتفنن فى المعانى ، والتوفر على البديع اللفظى ، وقد يضاف إليها التوسع فى المصطلحات اللفظية .

وقد كان نتاج الشعراء فى العصر العباسى الثانى ممتازا بالدقة ، ومبنيا على دراسة النفس ومعرفة طبائعها وخصائصها ، وفهم حقائق الحياة ، واستشفاف أسرارها وقل أن يعرى أديب عباسى من نصيب فى الحكم والأمثال ، ومن أشهرهم فى ذلك بشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وأبو العتاهية ، فقد كانوا أوفر من غيرهم حظا ، وأحكم بناء ، وأشعارهم مملوءة بالحكمة .

وقبيل صدر العصر العباسى الثانى نجد ابن هرمة وبشاراً وأبا نواس ، والعديد من الشعراء من أمثال مسلم وسلم الخاسر وأبى العتاهية ووالبة ومنصور النمرى وبكر ابن النطاح وعلى بن جبلة والعتابى وأبى الشيص .

وقد نبغ فيه الكثير من الشعراء ، نذكر منهم : محمود بن الحسين الوراق م ٢٣٠ هـ وامتاز بالحكمة والأمثال(٣) ، وأبا تمام م ٢٣١ هـ وديك الجن (١٦١ — ٢٣٥ هـ) (٤) ، وعبد الصمد بن المعذل م ٢٤٠ هـ (٥) ، وعمارة بن عقيل م

---

(١) ٥٤ : ١ البيان . (٢) ١٠٦ : ١ .

(٣) راجع ١٣٨ : ١ أزهر ، ١٧٤ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٤) هو عبد السلام الحمصى شاعر الشام وكان أبو تمام يحتذيه — راجع (٨٣ : ١ عمدة) وكان ماجنا (٣١٦ : ١ الدميرى) ، وشهد له أبو نواس (٣١٦ : ١ الدميرى ، ٥٢٥ : ١ وفيات الأعيان) وروى ذلك عن دعبل (١٩٣ : ١ العمدة) وعن أبى تمام (١٥١ حلبة الكميت) ، وتوفى عن بضع وسبعين سنة (٣٥ الكشكول) .

(٥) كان شاعر البصرة (٩٣ خاص الخاص ، ٧٤ : ٣ زهر) ، وأخوه أحمد شاعر كذلك (٧٢ : ٣ زهر) .

٢٤٠ هـ (١) وأبا العميثل م ٢٤٠ هـ شاعر عبد الله بن طاهر وكاتبه (٢) ، ودعبل (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) (٣) ، وعوف بن محلم الخزاعى م ٢٤٨ هـ (٤) ، وعلى بن الجهم م ٢٤٩ هـ (٥) والعطوى م نحو ٢٥٠ هـ (٦) ، والحسين بن الضحاك الخليع (١٦٢- ٢٥٠ هـ) (٧) وبارق الكريزى وكان شاعر مكة فى أيام المتوكل وكان يتعصب على أبى تمام (٨) ومحمد بن سلامة بن أبى زرعة الدمشقى وكان هو وديك الجن شاعرا الشام (٩) ، وأبا عيينة عبد الله بن محمد بن أبى عيينة ، المهلبى (١٠) .

وكذلك الأخيطل محمد بن عبد الله بن شعيب(١١) وقد توفى نحو عام ٢٥٠ هـ ،

---

(١) ٢٤٧ معجم الشعراء ، ١٤٩ — ١٥١ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٢) ١٣٣ : ٢ الدميرى ، ٧٢ و ٧٣ فهرست ، ١٣٥ — ١٣٦ طبقات الشعراء لابن المعتز ، ٤٧٠ : ١ ابن خلكان .

(٣) ١٩٣ — ١٩٨ : ٤ معجم الأدباء ، ١٢٤ — ١٢٧ طبقات الشعر لابن المعتز ، ٢٤٨ — ٢٧٢ : ٧ مهذب الأغانى . وله كتاب طبقات الشعراء (٢٢٩ فهرست) وكتاب فى شعراء بغداد (٦٧ المؤتلف) وكان شاعر علماء وعالم شعراء (٢٤٩ رسائل البلغاء من رسالة الانتقاد لابن شرف) ، وكان يؤدب الفضل بن العباس (٢٥٦ : ٧ مهذب الأغانى) .

(٤) ٦٩ فهرست ، ١٠١ خاص الخاص ، ١٣٠ : ١ الأمالى .

(٥) ٢٨٦ معجم الشعراء ، ١٥١ وما بعدها طبقات الشعراء لابن المعتز ، ٣٩ — ٤١ : ٢ وفيات الأعيان ، ٦١ : ٤ المسعودى ، ٤٢٣ — ٤٣٠ : ٢ عصر المأمون ، ٩٨ خاص الخاص وكان شاعر مفلقا مطبوعا (١٥١ طبقات الشعراء لابن المعتز) وعلمه بالشعر أكبر من شعره (١٦٣ أخبار أبى تمام) ، وكان أحسن الناس علما بالشعر (١٠٠ إعجاز القرآن للباقلانى) ومن الفضلاء بالشعر وصناعة له (١٧٠ : ١ عمدة) وراجع فيه (٦١ : ٤ مسعودى ، ١٠٥ : ٩ الأغانى وما بعدها) .

(٦) وكان له فن لم يسبق إليه ذهب فيه مذهب أصحاب الكلام (٥٨ : ٢٠ الأغانى) وكان أحد المتكلمين الحذاق (٤٣٢ معجم الشعراء) ، وراجع ١٨٧ — ١٨٨ طبقات ابن المعتز ، ٢٣٢ : ٢ الأمالى .

(٧) ١١٣ المؤلف ، ٣٠ ج ٤ معجم الأدباء ، ٢٦٥ — ٢٧٧ : ٣ عصر المأمون ، ١٢٧ — ١٢٨ طبقات ابن المعتز ، وهجا المأمون ثم مدحه بقصيدة نالت استحسانه فعفا عنه (٢٠٦ : ٦ ديوان المعانى) .

(٨) ٤٣٩ معجم الشعراء .

(٩) ٤٢١ معجم الشعراء .

(١٠) ٢٧٥ — ٢٩٥ : ٧ مهذب الأغانى ، ١٣٦ — ١٣٩ طبقات ابن المعتز ، ٢٦٧ معجم الشعراء .

(١١) يسلك مسلك أبى تمام ويحذو حذوه (٤٣٢ معجم الشعراء) وأنشد أبا تمام شعراً له فقال له : اذهب إذا شئت فليس للناس بعدى غيرك (١٩٥ طبقات ابن المعتز) .

ومحمود بن مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة مدح المتوكل ولزم المعتز وخص به فقلده اليمامة والبحرين (١) ، ومحمد بن أبي الوليد الكلابي مدح المتوكل وكان شاعر أوانه (٢) ، ويزيد المهلبي(٣) ، وتوفي نحو ٢٥٦ هـ ، والحمدوني إسماعيل بن إبراهيم ابن حمدويه البصري(٤) ، وتوفي نحو عام ٢٦٠ هـ ، ومحمد بن دكين المتكلم ورثى المعتز وله أشعار يحض فيها على القول بالعدل والتوحيد (٥) توفي بعد عام ٢٥٥هـ ، ويعقوب التمار وتوفي في آخر أيام المعتمد (٦) ، والخليع الأصغر محمد بن أحمد م ٢٨٠ هـ (٧) وابن الرومي (٢٢١ - ٢٨٣ هـ) (٨) ، والبحتري م ٢٨٤ ، وأبو الحسين الخزاعي م ٣٨٣ هـ (٩) ، ومحمد بن علي بن حمزة العلوي م ٢٨٧ هـ (١٠) ، وأبو العباس عبد الله بن محمد الناشىء الأنباري م ٢٩٣ هـ (١١) ، وعبيد الله

---

(١) ٥٠٢ معجم الشعراء .

(٢) ٤٣٩ المرجع .

(٣) ٢٩٥ : ٧ وما بعدها مهذب الأغاني وص ٣٤٣ المرشح .

(٤) راجع ٢٢٣ و ٢٥٦ — ٢٦٠ : ٢ زهر وله في طيلسان ابن حرب أربعون مقطوعة لا تخلو واحدة منها من معنى نادر أومثل سائر (٩٤ خاص الخاص ، ١٧٦ طبقات ابن المعتز) ؛ وله قصيدة لأمية جيدة في المطالب (٣٥ — ٣٧ : ٢ العقد) .

(٥) ٤٥١ معجم الشعراء .

(٦) ٥٠٧ معجم الشعراء .

(٧) ٤٥٢ معجم الشعراء وهو من ولد ابن قيس الرقيات .

(٨) ٣٥٧ وما بعدها موشح ، ٤١ — ٤٤ : ٣ وفيات الأعيان ، ١٥١ — ١٥٦ مراجعات للعقاد ، ٣١٣ — ٣٤٤ حصاد الهشيم للمازني ، وابن الرومي للعقاد .

(٩) ٢٩١ معجم الشعراء ، وهامش ١٤٤ ديوان ابن الرومي .

(١٠) وكان شاعراً راوية عالما (٤٥٣ معجم الشعراء) .

(١١) ترجمته في (٤٧١ — ٤٧٢ : ١ وفيات الأعيان ، ١٩٨ طبقات ابن المعتز) وهو الناشىء الأكبر وكان في طبقة ابن الرومي والبحتري وابن المعتز وكان نحوياً عروضيا متكلما أقام ببغداد ثم خرج إلى مصر وأقام بها إلى آخر عمره وكان متبحراً في عدة علوم منها المنطق ، وله قصيدة في فنون من العلم تبلغ سبعة آلاف بيت (٤٧١ : ١ وفيات) ، وله كتابه الموسوم بتفضيل الشعر (١٧٥ : ١ العمدة) وينقل عنه الحصري (٤٩ — ٥١ : ٣ زهر) وله منظومة في الشعر كتبها إلى أبي الصقر (١٠٨ : ٢ العمدة) ، وله منظومة أخرى في الشعر (١٠٩ — ١١٠ : ٢ عمدة) ، ٥١ : ٣ زهر وله كلمة في تقسيم العلم عند الفلاسفة (١٢ : ١ العمدة) ، وهو غير الناشىء الأصغر (٢٧١ — ٣٦٥ هـ) الذي كان من شعراء سيف الدولة (٤٨ وما بعدها : ٢ وفيات) .

ابن عبد الله بن طاهر (٢٢٣ - ٣٠٠ هـ) ، ويحيى بن على المنجم (٢٤١ - ٣٠٠ هـ) وابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) ، والبسامى على بن بسام م ٣٠٢ هـ (١) ، ونصر ابن أحمد بن نصر الخبز أرزى المتوفى عام ٣١٧ هـ (٢) ، وأبو بكر الحسن بن على ابن أحمد بن بشار المعروف بابن العلاف الشاعر المشهور (٢١٨ - ٣١٨ هـ (٣)) وابن طباطبا العلوى الأصبهانى م ٣٢٢ هـ (٤) .

وبعد فهذه صورة مفصلة لعصر ابن المعتز من شتى نواحيه السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية ، وعن تطور الشعر العربى فيه - ويكفينا ذلك فى هذا المقام .

---

(١) يشبه الحطيئة فى الهجاء (١٠٨ وما بعدها خاص الخاص ، ٤٤ : ٢ وما بعدها وفيات ، ٢٢٦ : ٤ المسعودى) وهجاه ابن المعتز (٩٠ : ٣ زهر ، ١٨٠ ديوان ابن المعتز) وأمه أمامة (٢١٤ فهرست) أخت أحمد بن حمدون ابن اسماعيل النديم ، وكان حسن البديهة شاعراً أديباً (٣١٨ : ٥ معجم الأدباء) وأغاب شعره فى الهجاء (راجع ٢٩٤ معجم الشعراء) ، وكان هو وإخوته يقرأون الشعر على فضل البريدى (١٧١ أدب الكتاب للصولى) .

(٢) ٥٥ — ٦٠ : ٣ وفيات . وهو أحد المطبوعين المجودين وكان لا يعدل به أحد فى زمانه (٤٩٨ : ١ سمط) .

(٣) كان ينادم المعتضد وكان بينه وبين ابن المعتز صحبة أكيدة فلما قتل ابن المعتز رثاه بداليته :

يا هر فارقتنا ولم تعد　　　وكنت عندى بمنزل الولد

وجعلها فى صورة رثاء هر له إخفاء على المقتدر (٢٤٥ — ٢٤٨ : ١ وفيات الأعيان ، ١٣٩ نكت الهميان ، ٣٣٦ و ٣٣٧ ج ٢ الدميرى) وعدد أبيات القصيدة ٦٥ بيتا وهى من أحسن الشعر وأبدعه كما يقول ابن خلكان .

(٤) ٦٣ : ٤ معجم الشعراء ، ٢٨٥ : ٦ معجم الأدباء ، ١٠٦ خاص الخاص .

الباب الثاني
حياة ابن المعتز

الفصل الأول

ميلاد الشاعر وأسرته

(١)

فى العصر العباسى الثانى، وفى سامرا مدينة المعتصم وعاصمة الخلفاء العباسيين بعده، ومنارة الحضارة والعلم والأدب فى الدولة الإسلامية فى القرن الثالث

ولد الأمير العباسى أبو العباس عبدالله ابن الخليفة المعتز بالله ابن الخليفة المتوكل على الله ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة هرون الرشيد ابن الخليفة محمد المهدى ابن الخليفة أبى جعفر عبدالله المنصور بن محمد بن على بن عبدالله ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمى جد رسول الله صلوات الله عليه.

فكان لميلاده رنة من الفرح فى قلب والده المعتز، وضجيج من البشر فى نفس جده الخليفة المتوكل، وظهر بميلاده نجم جديد فى أسرة الخلافة من بنى العباس

تختلف المصادر فى تحديد يوم ميلاد الأمير، ويمكننا أن نوضح الآراء المختلفة فى ميلاده فيما يلي:

١ ـ أنه ولد في شعبان عام ٢٤٩ هـ[١]، وبعبارة أوضح فى الثالث والعشرين من شعبان ٢٤٩ هـ[٢]، وذلك يوافق ١١ أكتوبر ٨٦٣ م

وينقض هذه الرواية أن المتوكل المتوفى فى شوال ٢٤٧ ذكر المعتز والد الشاعر ولقبه أبا عبدالله[٣] وذلك دليل على أن عبدالله بن المعتز ولد قبل مقتل جده المتوكل

٢ ـ أنه ولد عام ٢٤٧ هـ[٤]، وبعبارة أوضح لسبعة بقين من شعبان عام

(١) ١/٦٩٣ دائرة المعارف للبستانى، ١/٣٤٢ فوات، ١/١٤٦ معاهد التنصيص، ١٩١ تاريخ آداب اللغة فى العصر العباسى للإسكندرى.

(٢) ص ٣ مقدمة ديوان ابن المعتز طبع بيروت. (٣) ٩/١١٨ الاغانى

(٤) ٢٧٩ العدد الخامس من المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية الصادر في يونيو ١٩٣٤.

٢٤٧ هـ[١]. وذلك قبل قتل المتوكل بأربعين ليلة[٢]، وذلك يوافق تقدير الخطيب لعمره[٣]

وهذا الرأى هو أرجح الآراء، وتؤيده كثير من المصادر فيكون ميلاد الأمير عبدالله بن المعتز فى ٢٣ شعبان سنة ٢٤٧ هـ - أول نوفمبر سنة ٨٦١ م - هاتور ٥٧٨ ق.

٣ - وفى ابن خلكان رواية عن ابن سنان أنه ولد عام ٢٤٦ هـ[٤]، وظاهر العبارة يدل على أنه ولد في ٢٣ شعبان من هذه السنة وذلك يوافق ١٢ نوفمبر ٨٦٠ م

٤ - وهناك رأى آخر غريب وهو أنه ولد لسبعة بقين من شعبان عام ٢٤٤ هـ[٥] وهذان الرأيان ليس لهما ما يؤيدهما من قوة الدليل.

وليس فى شعر ابن المعتز شيء عن سنه إلا قوله:

لا تسلني وسل مشيبي عني   مذ عرفت الخمسين أنكرت نفسي

ومن الثابت اعتماداً على أرجح الآراء فى ميلاده أنه لم يبلغ الخمسين عاماً وإنما قاربها وأن عمره يوم قتل فى ربيع الآخر ٢٩٦ هـ، يقدر بأيام وسبعة أشهر وثمانية وأربعين عاماً[٦]، والشعراء كثيراً ما يبالغون فى تقدير عمرهم إظهاراً لأثر السن فى الملكات والتجارب والخبرة بالحياة، والبيت لم أطلع عليه إلا فى رسالة الغفران.

(٢)

ولأسرة ابن المعتز في صحائف التاريخ والمجد آثار خالدة حفظها الزمن وهتفت بذكرها الأيام، مما ردده ابن المعتز فى شعره، ونطق به فى روائع فخره، أليس هو الذى يقول:

نحن آل الرسول والعترة الحق   وأهل القرى فماذا تريد
ولنا ما أضاء صبح عليه   وأتته رايات ليل سود
وملكنا رق الخلافة ميراثاً   فمن ذا عنا بفخر يحيد؟

(١) ٩٥/١٠ تاريخ بغداد، ٢٢٣/٢ شذرات الذهب، ٤٦٢/١ وفيات.
(٢) ١٠١/١ تاريخ بغداد.
(٣) ١٠٠/١٠ المرجع.
(٤) ٤٦٢/١ وفيات، ٢٢٢/٢ شذرات.
(٥) ٣٠١ نزهة الألباء.
(٦) ١٠٠/١٠ تاريخ بغداد.

ولى الخلافة من آبائه ستة من الخلفاء، كان لهم فى صحائف التاريخ الإسلامى ذكر ذائع ومجد تليد.

جده الأعلى هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى[١] جد الرسول الكريم، توفى عن مائة وعشرين سنة[٢] وذلك بعد الفيل بثمان سنين[٣]، أى بعد ميلاد الرسول بثمان سنين لأن الرسول ولد عام الفيل[٤]، وذلك عام ٥٧٨ م.

وجده العباس[٥] ولد قبل الرسول بعامين - أى عام ٥٦٨ م -، ومات بالمدينة عام ٣٢ هـ - ٦٥٢ م، عن ثمان وثمانين سنة[٦]، طلب من الرسول ولاية فأبى[٧]، وكان له سقاية الحجيج وولاية زمزم ونوزع فيها فى خلافة عمر[٨] أو فى عهد الرسول[٩] فقضى له، وكان شاعراً[١٠]، مفلقاً وكان عمر يستسقى به فى الجدب[١١].

وجده عبدالله بن العباس[١٢]: (٣ ق هـ - ٦٧ هـ). ومكانته في الفقه والتفسير والفتوى مشهورة وكان يسمى حبر الأمة وكانت له مكانة كبيرة[١٣]، وكان من أحب الناس إلى عمر وكان يقدمه على الأكابر من الصحابة[١٤]، وكان الحسن البصري يثني عليه[١٥]، وهو مشهور بالبيان والبلاغة، وتروى له كلمات كثيرة[١٦]

وجده على بن عبدالله بن العباس[١٧] (٤١ - ١١٨ هـ)، وكان سيداً شريفاً عابداً زاهداً.

وورث ابنه محمد بن على (٦٢ - ١٢٥ هـ) سؤدد أبيه ومكانته فى قومه؛ قام محمد بن على بأمور الدعوة فبعث رسله إلى خراسان لنشر الدعوة للعباسيين[١٨]

---

(١) راجع ٢/٦٠٢ الكامل لابن الأثير، ٨٧ حـ ٣ الخضرى بك.

(٢) ٢/٦ الكامل. (٣) ٢/١٤ الكامل. (٤) ١/١٧٧ الكامل.

(٥) ٦ - ٣/٨ الخضرى بك، ٤/٤٠ الإصابة لإبن حجر، ١٧٥ نكت الهميان.

(٦) ٣/٨ الخضرى بك. (٧) راجع ١/١٢ العقد.

(٨) ٢/٣٢٣ الكامل للبرد، ٣/٧٥ الخضرى. (٩) ٣/٢٧٥ العقد.

(١٠) ١/٣٣ العمدة، ٢٦٢ معجم الشعراء.

(١١) ٥/٢٧ صحيح البخارى ط ١٣٢٠ هـ بالمطبعة الخيرية.

(١٢) ٩٠ - ٤/٩٤ الإصابة، ١٢٠ - ٣/١٢٣ العقد، ١/٥٨٣ وما بعدها دائرة المعارف للبستاني، ٣/٨ الخضرى، ١٦٤ - ١٦٦ نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى لعلى حسن عبد القادر ط ٢ . ٤٢ . ١٨٠ نكت الهميان.

(١٣) راجع ٤/١٣٢ زهر. (١٤) راجع ١٢٠ / ٣ العقد.

(١٥) ١/٧٤ البيان والتبيين. (١٦) راجع ٢/٢١٣ البيان والتبيين.

(١٧) ٣/٩ الخضرى بك، ٣/٢٨٧ العقد، ٢٨١ معجم الشعراء، ٥٧٩ - ١/٥٨٣ وفيات.

(١٨) ٣/١٩٥ العقد.

فغضب عليه هشام[١] ومات بعد أن أوصى إلى ابنه ابراهيم؛ فقام بأمر الشيعة بعده[٢]، ولكن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية حبس ابراهيم حتى مات فى الحبس، وكان قد أوصى إلى أخيه العباس الذى أعلن بدء قيام دولة العباسيين بالكوفة يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٣٢ هـ.

وتولى خلافة المسلمين ولقب السفاح، وظل خليفة حتى مات ١٣٦ هـ فقام بالأمر بعده أخوه المنصور.

ولد المنصور بن محمد بن على عام ١٠١ هـ أو عام ٩٥ هـ[٣]، ونشأ فى مكة وجاهد فى سبيل الدعوة للعباسيين وقابله شبيب بن شيبة فى موسم الحج عام ١٢٥ هـ ووصفه وصفاً بليغاً يصور لك نسكه وزهده وعظمة شخصيته وأخلاقه تصويراً رائعاً[٤]؛ وساعد أخاه على تسنم عرش الخلافة، ثم تولى أمور المسلمين بعده مدة كبيرة (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ) وطد فيها ملك بنى العباس، وبنى بغداد ثم الرصافة وشجع العلوم وترجمة آثار الأمم العريقة فى الثقافة والحضارة وكانت حياته جداً واقتصاداً[٥]، وكان داهية أريباً مصيباً فى رأيه سديداً متقدماً فى علم الكلام[٦]، وكان فى صواب التدبير وحسن السياسة على ما يتجاوز كل وصف[٧]، وكانت دولته من أحسن الدول رونقاً ووقاراً وأوسعها رقعة مملكة[٨]، وصبغت الدولة فى عهده بصبغة فارسية واضحة. وتولى بعده أمور الدولة ابنه المهدى.

كان المهدى ثانى خليفة يتولى أمور المسلمين من أجداد ابن المعتز، ولد عام ١٣٦ هـ وبويع له بالخلافة عام ١٥٨ هـ وظل فيها حتى توفى عام ١٦٩ هـ

وفى عهده شاعت الحضارة والترف فى الدولة وتقدمت العلوم والفنون والآداب؛ وعاش فى رعايته كثير من العلماء والشعراء؛ كمروان بن أبي حفصة م ١٨٢ هـ؛ والمفضل م ١٨٩ هـ وهو الذى اختار له المفضليات؛ وأقام فى قصره تيوفيلوس الفلكى الرهاوى الذي ترجم الألياذة والأودسة إلى السريانية[٩]؛ واشتهر المهدى بالجود والترف وحب اللهو[١٠] والتنكيل بالزنادقة[١١].

---

(١) ٢٦ وما بعدها المكافأة. (٢) ٣/١٩٦ العقد. (٣) ٣/٢٩٣ العقد.
(٤) راجع ٢٨١ ـ ٣/٢٩١ العقد. (٥) ١٠٥ـ١/١٠٧ ضحى الإسلام. (٦) ٣/٢٠٧ البيان.
(٧) ١٢٥ حضارة الإسلام في دار السلام. (٨) ١٣٨ المرجع نفسه. (٩) ٢٢ بارتولد.
(١٠) راجع ١٠٧ ـ ١/١١١ ضحى. (١١) ١/١٤٠ وما بعدها ضحى، ٤/٢٤٢ مسعودى.

ومن أبنائه: ابراهيم بن المهدى م ٢٢٤[١] وعلية[٢] (١٦٠ ـ ٢١٠ هـ) وابنه موسى الهادى الذى تولى الخلافة بعد أبيه عاما (١٦٩ ـ ١٧٠)؛ وابنه هرون الرشيد الذي تولى الخلافة بعد موت أخيه عام ١٧٠ هـ.

كان الرشيد ثالث خليفة من أجداد ابن المعتز؛ ولد عام ١٤٥ هـ وبويع بالخلافة عام ٧٠ هـ؛ وولد له المأمون فى الليلة التى بويع له فيها بالخلافة وظل فيها حتى توفى عام ١٩٣ هـ ـ ٨٠٨ م؛ كان عهد الرشيد واسطة عقد الخلافة العباسية؛ وصلت فيه الدولة إلى أفخم درجاتها صولة وثروة وسلطاناً وعلماً وأدباً وحضارة[٣]؛ فعجت بغداد بالعلماء والأدباء والشعراء؛ ولم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد والصاحب بن عباد من فحولة الشعراء[٤]؛ وكان الرشيد يقتفى فى سياسته آثار جده المنصور وفى سماحته آثار والده المهدى؛ ونكب أسرة البرامكة عام ١٨٧ هـ نكبة هزت النفوذ الفارسى هزّاً عنيفاً، ومن وزرائه الفضل بن الربيع (١٣٨ ـ ٢٠٨ هـ)[٥] وكان الكسائي م ١٨٩ يؤدب ولده الأمين[٦]؛ واليزيدى م ٢٠٢ هـ أستاذ ابنه المأمون[٧]؛ وولى الخلافة من أولاده: الأمين (١٩٣ ـ ١٩٨)؛ والمأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) والمعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ).

كان أبو إسحاق محمد المعتصم رابع خليفة من أجداد ابن المعتز. ولد عام ١٧٩ هـ من أمه «ماردة» التركية[٨]، وولاه المأمون عهده؛ وولى الخلافة بعد وفاة المأمون عام ٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م؛ وتوفى بسامرا، سنة ٢٢٨ هـ ـ ٨٤٢ م.

كان المعتصم عسكرياً بنشأته وميوله وحياته[٩]؛ وفى عهده زاد نفوذ الترك إلى حد خطير؛ وبنى سامرا واتخذها حاضرة لملكه من عام ٢٢١ هـ؛ وسارت فى عهده نهضة العلم والأدب فى طريقها التى كانت تسير فيه. وولى الخلافة من أولاده: الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ)؛ والمتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ)؛ والمستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ).

كان جعفر المتوكل على الله جد ابن المعتز وخامس خليفة يتولى الخلافة من

---

(١) راجع ١٦٨ فهرست، ١٧ ـ ٤٩ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء.
(٢) راجع ٥٥ ـ ٨٣ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء.
(٣) ٤/٢٤٣ مسعودى (٤) ٣/١٧٠ اليتيمة. (٥) ٣١٢ معجم الشعراء.
(٦) ٢٨٤ معجم الشعراء. (٧) ٤١٩ و٤٩٨ معجم الشعراء. (٨) ٣/٢٩٥ العقد.
(٩) راجع ٤/٢٤٦ مسعودى.

أجداد الشاعر.

ولد عام ٢٠٦ هـ من أم ولد تركية يقال لها «شجاع»، وآثره المعتصم بعطفه ورعايته، وفى خلافة أخيه الواثق وضع موضع المراقبة والهوان؛ وكان ابن الزيات الوزير موكولاً إليه أمر مراقبته، فنقم عليه المتوكل ونكبه فى أوائل خلافته[١]، وولى المتوكل الخلافة بعد الواثق فى ٢٤ ذى الحجة ٢٣٢ هـ ـ ٨٤٧ م وظل فيها إلى أن قتل ليلة الخميس رابع شوال ٢٤٧ هـ ـ ١١ ديسمبر ٨٦١ م

امتاز عهده بشدة نفوذ الترك وبالعداء للشيعة وباضطهاد المعتزلة والاعتزال والتعصب لمذهب أهل السنة؛ ونهى المتوكل عن القول بخلق القرآن والجدال فى الكلام[٢]؛ وكان محبباً إلى قلوب الناس إذ أمات ما أحياه الواثق من إظهار الاعتزال[٣]، وأكثر المتوكل من المصادرة؛ وكانت أيامه أحسن أيام وأنضرها[٤] وبنى قصور الجعفرى عام ٢٤٥ هـ بالقرب من سامرا وتحول إليها عام ٢٤٦ هـ؛ والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على[٥] شهوته؛ وحفل عصره بأئمة العلم والأدب وزعماء السياسة؛ وكان الزبير بن بكار يؤدب ولده بسامرا[٦]؛ وكذلك ابن السكيت[٧] م ٢٤٤ هـ؛ والظاهر أنه خص بالمعتز والمؤيد

تزوج المتوكل «قبيحة»؛ وكانت من أجل النساء؛ وخلف منها ابنيه: المعتز واسماعيل؛ وسماها المتوكل قبيحة لحسنها وجمالها؛ أهداها إليه لما ولى الخلافة محمد ابن عبدالله بن طاهر؛ وكانت أديبة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه[٨]؛ واحتلت من قلبه مكاناً كبيراً؛ وكان المتوكل يضفى على المعتز عطفه وحبه بتأثير والدته؛ حتى غضب على المنتصر وكاد يخلعه من ولاية العهد فى آخر حياته مما دعا المنتصر إلى الاشتراك مع المتآمرين على المتوكل؛ ولعل التنافس الذى ينشأ بين الضرائر هو السبب الأول فى ذلك كله،

---

(١) ١١٢ و١١٣ من المكافأة.

(٢) ١٣٨ تاريخ الخلفاء، ٣٧ و٤/٢٤٦ مسعودى.

(٣) ١/٣٢٥ زهر، ١٦١ كشكول:

(٤) ٣٧ و٤/٧١ مسعودى. ١٧٢ الإدارة الإسلامية.

(٥) ١/٣٢٥ زهر، وكان مشهوراً بحب الورد (٢٣٥ حلبة الكميت).

(٦) وللزبير كتاب الموفقيات فى تسعة عشر جزءاً لم يصلنا منها إلا أربعة طبعها وستنفلد فى جوتنجن ١٨٧٨ م (٢/١٩٤ زيدان) وقد ألفه لتلميذه الموفق بن المتوكل.

(٧) ٢/٢١٠ الدميري.

(٨) ١٨٨ الاضداد للجاحظ.

وفى عام ٢٣٥ هـ جعل المتوكل ولاية العهد لأبنائه الثلاثة: المنتصر والمعتز والمؤيد، وقسم البلاد بينهم وجعل كل واحد مستقلاً بما يعهده إليه من أعمال بعد وفاته[١].

وولى العرش من أبنائه: المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) والمعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) والمعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ)، وكان للموفق كل السلطان فى الدولة فى عهد أخيه المعتمد.

(٣)

والد ابن المعتز:

وأما والد ابن المعتز فهو أبو عبدالله الزبير[٢] أو محمد[٣] المعتز بن المتوكل. ولد بسامرا في ١١ ربيع الأول ٢٣٣ هـ.

أمه قبيحة جارية[٤] رومية[٥] وكانت «قرب» داية المعتز[٦] وهي جارية لقبيحة[٧]. واحتفل المتوكل حين ظهر ابنه المعتز احتفالاً كبيراً[٨].

وفى أواخر ٢٣٥ هـ ولاه والده ولاية العهد مع أخويه: المنتصر والمؤيد، وقسم البلاد بينهم، فكان للمعتز خراسان وما جاورها يستقل بأمورها بعد وفاة والده؛ وفي عام ٢٤٠ هـ ضم إليه خزائن الأموال ودور الضرب وأمر بضرب اسمه على الدراهم، وللبحترى قصيدة يهنىء فيها المتوكل ببلوغ المعتز[٩].

نشأ المعتز في ظلال والده واختار له أئمة الأدب والعربية يعلمونه ويثقفونه، كأحمد بن عبدون بن ناصح[١٠]، وكأبي جعفر محمد بن قادم النحوى[١١]، وكان من أصحاب الفراء، وكيعقوب بن السكيت م ٢٤٤هـ[١٢]، وكذلك الزبير بن بكار م ٢٥٦ هـ فقد حمل إلى المتوكل فقال له الزم أبا عبدالله - يعنى المعتز - حتى تعلمه من فقه المدنيين، فدخل حجرة فإذا المعتز قد أتى في رجله نعل ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول:

---

(١) ٤/٣٨ مسعودى، ٧/١٧ ابن الأثير، وفى الأغانى. (٩/٣٢) وصف للاحتفال بتوليتهم العهد.
(٢) ٤/١١٠ مسعودى. (٣) ١١/٣٨ طبرى. (٤) ٤/١٦٤ التمدن.
(٥) ١/٦٥ زهر. (٦) ٥/٤٧٥ معجمم الأدباء. (٧) ١١/١٣٧ طبرى.
(٨) ٧٤ لطائف المعارف. (٩) ١/١٢٩ ديوان البحترى، ١/١٩ ديوان المعانى.
(١٠) ١/٢٢٣ معجم الأدباء. (١١) ٧/١٦ معجم الأدباء، ١٠٠ فهرست.
(١٢) ٣٩ العصر العباسى لمحمود مصطفى، ٢٣٨ نزهة الألباء، ١٠٨ فهرست.

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
الخ[(١)]، وتزوج المعتز فى حياة والده فولد له ابنه عبدالله ثم ابنه حمزة بن المعتز[(٢)].

قتل والده المتوكل فى ٤ شوال ٢٤٧ هـ، وولى الأتراك المنتصر الخلافة بعد أبيه، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد فى أوائل عام ٢٤٨[(٣)] هـ، وبعد شهور قلائل توفى المنتصر وجلس المستعين بن المعتصم على عرش الخلافة عام ٢٤٧ هـ، فاعتقل المعتز والمؤيد وحبسهما فى الجوسق[(٤)]، وابتاع منهما جميع ما يملكانه وكان الثمن الذى أخذه المعتز عشرة آلاف ألف دينار وعشر حبات لؤلؤ، وترك له ما قيمة إيراده عشرون ألف دينار سنوياً.

وفى عهد المستعين انقسم الأتراك ـ وكان لهم جميع السلطان والنفوذ فى الدولة ـ أحزاباً وتخاصموا ونقم بعضهم على المستعين فثاروا عليه وأخرجوا المعتز من حبسه وبايعوه بالخلافة يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة من المحرم عام ٢٥١ هـ[(٥)] بسامرا وكان سنه يومئذ سبع عشرة سنة وشهور كما روى عن ابن المعتز[(٦)]؛ وبذلك صار المعتز خليفة فى سامرا والمستعين ـ وكان فى بغداد أبان ذلك ـ خليفة فى بغداد.

خلع المعتز على أخيه أبى أحمد الموفق ووشحه بوشاحين[(٧)] وجهزه مع خمسين ألفاً من الأتراك لقتال المستعين؛ واستمرت الحرب حول بغداد عاماً كاملاً ثم انتهى الأمر بخلع المستعين نفسه من الخلافة وضمن المعتز حياته؛ وذلك فى يوم الجمعة ثالث المحرم ٢٥٢ هـ ـ ٢٥ يناير ٨٦٦ م[(٨)]، وبايع المستعين للمعتز وأخذت منه البردة والقضيب والخاتم ووجه بها إلى المعتز بسامرا، ونفى المستعين إلى واسط ثم قتل بعد شهور؛ وبايعت بغداد كلها المعتز وخطب له فى مسجدها الجامع، وفى ذلك يقول البحترى من قصيدة[(٩)]:

(١) ١٤ الأضداد للجاحظ، والبيت وما بعده ينسب لابن السكيت وأنشده المعتز والمؤيد وهو يعلمهما (٢/٣٢٠ الدميرى).
(٢) ورقة ٢٨ من الأوراق قسم أخبار المقتدر مخطوط بمكتبة الأزهر.
(٣) ٣/٣٠٣ الخضرى بك، ٤/٤٣ مسعودى، ٧٥ ـ ١١/٧٩ طبرى.
(٤) ١١/٨٤ طبرى. (٥) راجع ٤/١٠٦ وما بعدها مسعودى.
(٦) ٨/١٧٩ الأغانى. (٧) ٤/١٠٨ مسعودى. (٨) ١٢٤ و٢/١٢٥ شذرات الذهب.
(٩) ١/١٧ وما بعدها ديوان البحترى، وراجع ١١/١٤٠ طبرى.

رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر … وعرى من برد النبى مناكبه
ولم يكن المغتر بالله إذ شرى … ليعجز والمعتز بالله طالبه

وهناه كثير من الشعراء[١].

أخذ المعتز يوطد عرشه، فحبس المؤيد لاتهامه بالتآمر عليه ومات فى حبسه عام ٢٥٢ هـ، وحبس الموفق، وجعل إسماعيل ـ أخاه لأمه وأبيه ـ مكان المؤيد فى ولاية العهد[٢] وبدأ يعمل على إضعاف نفوذ الأتراك، ويدبر المكائد لقتل قوادهم، واصطنع العناصر الأخر [illegible]ـيش دونهم، فشعروا بذلك وسعوا فى هدم ملكه، وذهبوا إليه وعلى رأسهم [illegible]ح بن وصيف فى رجب ٢٥٥ هـ بحجة مطالبته بنفقاتهم، فذكر لهم أن ليس فى خزائنه مال يوزعه عليهم، فحاصروه وعذبوه وضربوه بالدبابيس وجروا برجله إلى باب الحجرة وأقاموه فى الشمس حافياً[٣] حتى خلع نفسه بعد أن كتبوا أماناً «له ولأخته وابنه وأمه»[٤] وذلك فى ٢٥ رجب عام ٢٥٥ هـ.

لم يف الأتراك للمعتز بالوعد، فردوه إلى الحبس وقتلوه بعد ذلك بستة أيام[٥] وذلك عشية يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان ٢٥٥ هـ[٦] ـ ١٥ يوليو ٧٦٨ م. قيل أنهم منعوا عنه الأكل حتى مات، وقيل حقن بالماء الحار المغلى، وقيل أدخل حماماً محمياً ومنع الخروج منه ففاضت نفسه، وقيل أخرج بعد أن قارب الموت ثم أسقى ماء مثلجاً فخر صريعاً[٧]، وقيل أنهم جصصوا سرداباً بالجص وأدخلوه فيه وأطبقوا عليه بابه فأصبح ميتاً[٨]؛ ومهما كان فقد مات المعتز وقتل شر قتلة ودفن بسامرا[٩] مع المنتصر بناحية قصر الصوامع، ورثاه الشعراء أحر رثاء[١٠] قال بعضهم:

عين لا تبخلى بسفح الدموع … واندبى خير فاجع مفجوع
بكر الترك ناقمين عليه … خلعته أفديه من مخلوع
قتلوه ظلماً وجوراً فألفوا … كريم الأخلاق غير جزوع
أصبح الترك مالكى الأمر والعا … لم ما بين سامع ومطيع

---

(١) ١١/١٤٧ طبرى.
(٢) ٤/١١٩ مسعودى.
(٣) ١١/١٦٢ طبرى، ٢/١٣٠ شذرات.
(٤) ١١/١٦٢ طبرى
(٥) ٤/١٢١ مسعودى.
(٦) ٣/٢٩٨ العقد.
(٧) ٢/١٣٠ شذرات.
(٨) ١١/١٦٢ طبرى.
(٩) ٤/١١٠ مسعودى.
(١٠) راجع ٤/١٢١ مسعودى، ورثاء محمد المتكلم (٤٥١ معجم الشعراء).

وقال ـ فيما بعد ـ ابنه عبدالله بن المعتز من مرثية له فيه:

لو به أقتل كل قريب وبعيد لم ينم لى ثار
مطلته النصل منى سن لم تطل بى فخطاها قصار

وقال أيضاً فى رثائه قصيدته[١]:

رب حتف بين أفناء الأمل وحياة المرء ظل ينتقل

وهى رائعة بليغة. وكان ابن الرومى منحرفاً عن المعتز، وله فيه قصيدة يقول فيها:

دع الخلافة يا معتز عن كثب فليس يكسوك منها الله ما سلبا

وقد أكثر فيها من الهجاء، ويبدو منها أنه نظمها فى المهتدى أثر توليته الخلافة بعد خلع المعتز نفسه وقبل أن يقتل.

وكان المعتز أحسن أهل زمانه، وكان أبيض شديد البياض ربعة، وكان شاعراً[٢] أديباً، وله نثر أدبى منه رسالة تعزية كتبها وهو ولى عهد[٣]، وله ألحان وقصص حول مجالس الراح التى كان يقيمها[٤]، وكان نبيل النفس كريم الخلق وتروى له في ذلك أخبار[٥].

ووزر له جعفر بن محمود ثم عيسى بن فرخانشاه ثم أحمد بن إسرائيل، وكان حاجبه سيماء بن صالح بن وصيف، وكان البحترى شاعره الأثير لديه، وله فيه ٢٤ قصيدة تجدها فى ديوانه؛ وكان أبو معشر الفلكي م ٢٧٢ هـ رئيس المنجمين فى دار الخلافة فى عهده[٦].

وكل الأتراك بقبيحة أم المعتز ـ بعد خلعه ـ نساء يحفظنها، ولكنها تمكنت من الهرب ومعها أخت المعتز وقرب دايته، بعد أن أخرجت ما فى خزائنها من أموال وأودعته مع ما كانت أودعته من قبل من مال، وذلك فى آخر رجب. بحث الأتراك عنها فلم يعثروا لها على أثر، وظلت مختبئة حتى ظهرت فى رمضان، فصودرت جميع أموالها التى كانت لها بسامرا وبغداد، وكانت لها ثروة عظيمة[٧] تشبه أخبارها الأساطير لغرابتها، ونفيت إلى مكة، وكانت تدعو على صالح بن

---

(١) راجعها فى ديوانه المخطوط وهى طويلة جداً.
(٢) راجع: ٤٤٦ معجم الشعراء و٣ جـ ٤ العقد، ١٣٦ المخلاة، ٤٩ الكشكول.
(٣) ورقة ١٧٩ جـ ١٣ اختيار المنظوم والمنثور مخطوط بدار الكتب.
(٤) ١٧٨ و١٧٩ و١٨٤ ـ ١٨٦/٥ الأغانى.
(٥) راجع ٢٢/٤ العقد. (٦) ٧٩/١ الفرج بعد الشدة. (٧) راجع الطبرى، ١٣٤/٢ التمدن.

وصيف دعاء مريراً وتقول: «اللهم أخزه كما هتك سترى وقتل ولدى وبدد شملى وأخذ مالى وغربنى عن بلدى[١]»؛ واستجاب الله دعاءها فقتل صالح سنة ٢٥٦ هـ، والظاهر أنه عفى عنها بعد ذلك وماتت سنة ٢٦٤ هـ.

وهكذا لقى المعتز وأسرته من سوء المصير ما لم يلاقه أحد من قبل؛ وبعد فهذه صورة واضحة لحياة المعتز التى كان لها أبعد الأثر فى حياة الشاعر، مما سنتناوله بالتحليل إن شاء الله.

والدة ابن المعتز:

أما أم ابن المعتز فلا نعلم عنها شيئاً، إلا أنها جارية[٢] لأمه قبيحة فأحبها المعتز حتى نحل جسمه وحم فعلم أستاذه الزبير بن بكار بأمره فأخبر قبيحة بالقصة فوهبتها له فولدت له ابنه عبدالله[٣]؛ «وفى الزهر رواية جاء فيها أن «قبيحة أم ابن[٤] المعتز»، وذلك تحريف وصحة العبارة «أم المعتز» وذلك هو نفس ما يرويه ياقوت[٥].

وإذا كانت «قبيحة» والدة المعتز جارية رومية. فليس ببعيد أن تكون أكثر جواريها روميات، فتكون أم ابن المعتز رومية أيضاً، وكثير من الخلفاء العباسيين كانت أمهاتهم جوارى روميات كالمنتصر والمعتز والمعتمد والمهتدى والمعتضد[٦]، وكان الجوارى يملأن قصور الخلفاء، فأم المنصور «سلامة» جارية بربرية، وأم الرشيد «الخيزران» سبية من خرشنة فهى من عنصر رومى أيضاً، والمعتصم والمتوكل والمقتدر كانت أمهاتهم جوارى تركيات وأم الواثق «قراطيس» جارية أيضاً،

وهكذا كان خلفاء بنى العباس أكثرهم أمهاتهم من الجوارى، وقديماً أنجب الجوارى كثيراً من الرجال مما رغب الناس فيهم[٧]، ولكن بنى أمية اعتزوا

(١) ١١/١٦٤ الطبرى.
(٢) ٢٧٩ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية.
(٣) يراجع ٣/٩٩ الأمالى.
(٤) ٢/٢٦٧ زهر.
(٥) ١/١٣٣ معجم الأدباء.
(٦) راجع ٤/١١٩ العقد.
(٧) كما ورد فى بعض المصادر واسم امه مرار.

بعربيتهم، وكانوا لا يستخلفون بنى الأماء[١] ولا يبايعـون لهم[٢]، وتلاشى ذلـك فى عهد بني العباس.

وبعد فوالدة ابن المعتز جـارية روميـة ووالده عـربى عباسى هـاشمى قرشى وذلك ولا شك كان له أكبر الآثار فى حياة الشاعر وعقليته وفهمه للحياة.

(١) ٤/١٨٠ العقد.

(٢) ٤/١٨١ العقد.

الفصل الثاني
طفولة الشاعر ونشأته

(١)

طفولة أبي العباس عبدالله بن المعتز كانت طفولة عظيمة بكل ما تدل عليه كلمة العظمة من معان، ولكنها مع ذلك لم تخل من مآس وآلام لا نكاد نجد لها مثيلاً فى حياة الخاصة من الناس؛ كأنما كان ميلاده فى خريف العام الذي ولد فيه بشيراً بحظ الشاعر فى الحياة وشقائه فيها.

ولد عبدالله بن المعتز فى سامرا فى أواخر شعبان عام ٢٤٨ هـ، وجده جعفر المتوكل عاشر الخلفاء العباسيين على عرش الخلافة، ولكن عرشه كان على فوهة بركان، وكانت تعصف به أعاصير المؤامرات التى يدبرها الأتراك له. وبعد أربعين ليلة من ميلاده أئتمر المؤتمرون بالخليفة وقتلوه وهو بين أصدقائه فى الجعفرى قصره العظيم.

وبعد قليل وفى صفر ٢٤٨ هـ خلع والده المعتز من ولاية العهد فى عهد المنتصر، ثم حبسه المستعين فى حجرة صغيرة بالجوسق ووكل به غلاماً يخدمه[١] وابتاع منه جميع ما يملكه، وقضى المعتز فى حبسه سنوات ثلاثاً كانت آلاماً وهموماً فى حياته المترفة المشرقة بالأمل والنعيم، كما كانت حزناً وشقاء لطفله الصغير الذى حرمته الأحداث من والده وعطفه.

ولكن الأيام عادت تبتسم للمعتز ولابنه الصغير، فأخذت الأعاصير تهدأ، ولم يكد ينتصف محرم عام ٢٥١هـ حتى أطلق سراح المعتز وبويع له بالخلافة فى سامرا، وبعد عام آخر قضى المعتز على المستعين وأنصاره وبويع له في بغداد بالخلافة وعمر ابنه فى الخامسة من سنى حياته الحافلة.

ابتدأ عهد جديد فى حياة الأمير الطفل، وازدهرت فى نفسه الآمال المنشودة

(١) ١١/٨٤ طبرى.

في مستقبل حياته. وليس لدينا مصادر تاريخية عن حياة الأمير الشاعر في طفولته، ولكن هناك مصدراً أدبياً خطيراً يرشدنا إلى الكثير عن طفولة ابن المعتز وحياته الأولى؛ لقد كان البحترى شاعر المعتز، وكان يعيش قريباً من بلاطه، وكان يسمر معه في مجالسه الخاصة، وينشده روائع مدائحه في مجالسه العامة، فلا بد أن يكون شعر البحترى صورة واضحة لحياة المعتز ولطفولة ابنه الأمير.

لاتذكر المصادر التاريخية كلها أن المعتز عهد إلى ابنه عبدالله بولاية العهد وينفرد بذكر ذلك البحترى في قصيدة[1] له مدح بها المعتز بالله، ويقول فيها:

رأينا بنى الأمجاد في كل موطن ... فكانوا (لعبدالله) في الجود أعبدا
عليه من المعتز بالله بهجة ... أضاءت فلو يسرى بها الركب لاهتدى
سررنا بأن أمرته ونصبته ... لنا علماً يأوى إلى ظله الهدى
وأبهجنا ضرب الدنانير باسمه ... وتقليده من أمرنا ما تقلدا
ولم لا يرى ثانيك في السلطة التى ... خصصت بها ثانيك في الجود والندى
حقيق بأن يرمى به الجانب الذى ... يهم وأن يفضى إليه ويعهدا

ولعل ذلك كان حين «خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد في ٧ رجب عام ٢٥٢ هـ وجعل مكانه شقيقه اسماعيل بن المتوكل[2]»، فالظاهر أنه لم يجعل اسماعيل وحده ولياً للعهد كما يذكر المسعودى، بل أقام معه ابنه عبدالله في ولاية عهد المسلمين؛ ويؤيد ذلك أن البحترى يشيد بهما معاً في قصيدة من قصائده في مدح المعتز بالله[3] فيقول فيها:

ولم تر مثل (اسماعيل) عينى ... و(عبدالله) ذى الشيم الكرام

وفى قصيدة أخرى مدح بها البحترى المعتز[4]، يشيد بابنه عبدالله فيقول:

ومليت (عبدالله) أن سماحه ... هو القطر في إسباله وأخو القطر
إذا ما بعثنا الشعر فيه تزايدت ... له مكرمات مربيات على الشعر

(١) ١٧٤ و١٥/١ ديوان البحترى.
(٢) ٤/١١٩ مسعودى.
(٣) ٢٦٢ و٢/٢٦٣ ديوان البحترى.
(٤) ٣٨ ـ ٢/٤٠ ديوان البحترى.

وكذلك يشيد به فى قصيدة أخرى فى مدح(١) المعتز ، فيقول :

ورأيت (عبد الله) فى السن التى تعدو الكبير بدهره المتطاول
قمر تؤمله الموالى للتى يقضى بها المأمول حق الآمل
حدث يوقره الحجا فكأنه أخذ الوقار من المشيب الشامل

وكذلك يشيد به فى قصائد أخرى مدح بها المعتز(٢). وقال البحترى لابن المعتز ولم تنشر فى ديوان البحترى :

أبا العباس أبررت على قومك آداباً وأخلاقا وتبريزا
فلو صور من شىء سوى الناس إذا كنت من العقيان ابريزا
ولم يملك إلا كرم النفس بلى فازددت بالمعتز تعززا
فأنت الغيث إذ يسجم والليث إذ يقدم والصارم مهزوزا
فأما حلبة الشعر فتستولى على السبق بها فرضاً وتمييزا
بإحكام مبانيه وإبداع معانيه ولا يوجد مغموزا
فإن جنست لم تستكره القول وإن طابقته طرزت تطريزا
مدى من رامه غيرك أنضاه وأبدى منه تقصيرا وتعجيزا
إذا مادافعوا فضلك بانطلم تجوزنا عليهم لك تجويزا

وهكذا قضى ابن المعتز عهدا قصيراً حافلا بأسباب العظمة والمجد والأمن والنعمة فى ظلال والده الخليفة بسامرا ، ولكن العهد لم يطل ، والأيام لم تصف ، وكأنها كانت تستر وجه الشقاء المتجهم وعهده الطويل بمعسول الأمانى التى يبعثها الرجاء فى ذلك العهد القصير .

بعد قليل وفى أواخر رجب ٢٥٦ هـ ، والأمير الناشىء فى الثامنة من عمره خلع والده من الخلافة ثم قتل بعد آلام وأحداث جسام يشيب لهولها الطفل ويفزع لقسوتها الحليم ، شردت أسرته وصودرت أموالها ، وأحاط بها الفزع والخوف من كل جانب . فكان لذلك أبلغ الأثر فى حياة الشاعر ونفسيته ، وكما يقول ابن المعتز بعد حين :

---

(١) ١٦٦ : ٢ الرجع .

(٢) راجع ٨٢ : ٢ و٩٠—٩٢ : ١ المرجع .

وكانت يد الأيام تفتل مرتى فصارت يد الأيام تنقضى نقضا

(٢)

فقد ابن المعتز والده الحنون ، ففقد بفقده كل شيء في الحياة ، وودعت بوداعه أيامه الجميلة ، كما يقول ابن المعتز بعد في قومه الراحلين :

مضوا بخير عمرى وتركوا لى الشرا
عاشوا بخير عصر سقيا لذاك عصرا

وأوصدت الدنيا أمامه أبواب آماله الواسعة :

لوت يدى أملى عن كل مطلب وأغلقت بابها من دون حاجاتى

ولكن أى شيء يستطيع أن يفعله هذا الطفل الصغير ؟ الأخذ بثأر أبيه ؟

مطلته النصل منى سن لم تطل بى خطاها قصار

لا شيء إلا الصبر الطويل :

خليلى إن الدهر ما تريانه فصبراً وإلا أى شيء سوى الصبر

لا ندرى أفر ابن المعتز مع جدته قبيحة حين قتل والده أم بقى فى قصره ؟ ولا ندرى أأخذته معها إلى مكة أم لا ؟ ولكن الأرجح أنه كان فى قصر والده حين قتل ، وأنه لم يكن فى قصر جدته حين هروبها ، وأنه أقام فى سامرا رهن الأحداث التى كان يترقبها صباح مساء .

وأخذ يعيش على ما بقى من أموال والده ، أو على ما فرض له من رزق فى بيت المال .

وأخذ يتلقى العلم والأدب على أئمة العربية وشيوخها ، وأخذ يقرأ ويدرس ويتعلم وبدأت تجيش فى صدره روح الشاعرية الملهمة ، وتتفتح ملكاته عن ذهن خصب وعقلية ناضجة وذكاء بعيد .

(٣)

أساتذة ابن المعتز

١ — فى حياة والده أحيط ابن المعتز بالعناية ، فما أن بلغ سن التأديب حتى

اختار له والده الخليفة المعتز أبا جعفر محمد بن عمران بن زياد الضبي النحوي الكوفي ليؤدبه(١) ، وكان نحويا عارفا بالقراءة والعربية بعيد النظر ، روى أنه أقرأ ابن المعتز يوما سورة « والنازعات » ، وقال له : إذا سألك أمير المؤمنين في أي سورة أنت ؟ فقل له : في السورة التي تلي عبس ، فسأله أبوه ، فقال له ذلك ، فقال المعتز : من علمك هذا ؟ قال : مؤدبي أبو جعفر فأمر له بعشرة آلاف درهم(٢) .

٢ — وبعد عهد والده وهو في الثالثة عشرة من عمره ، أي عام ٢٦٠ هـ ، كان يؤدبه أبو الحسن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي ، وكانت تقوم بأمره جدته قبيحة ، وكان ينظم الشعر ، نعرف ذلك من القصة التالية ، روى أن أحمد بن سعيد كان(٣) يؤدب ابن المعتز ، فتحمل البلاذري م ٢٧٩ هـ على قبيحة أم المعتز بقوم سألوها أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتا من النهار ، فأجابت أو كادت تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل بي الخبر جلست في منزلي غضبان لما بلغني عنها فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشر سنة :

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة عنها يقصر من يحفى وينتعل

سربلتني حكمة قد هذبت شيمي وأججت نار ذهني فهي تشتعل

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة .

وهذه القصة تشير إلى أن ابن سعيد كان استاذ ابن المعتز في علوم الدين والأدب ، وكثير من المصادر تشير إلى تلمذة ابن المعتز عليه(٤) ، وكان ابن سعيد أديباً متفلسفاً(٥) أدب ابن المعتز وروى عنه آدابه(٦) ، وكان يؤدب ولد المعتز واختص بابن المعتز ، ولابن المعتز فيه شعر وله إليه مراسلات(٧) ، وكان ابن سعيد لا يفارقه(٨) ومات في رجب ٣٠٦ هـ ببغداد(٩) ، ولعل محمد بن سعيد الدمشقي الشاعر(١٠) أخوه .

---

(١) ١٣٢ : ٣ تاريخ بغداد (٢) ٥٢ : ٧ معجم الأدباء .

(٣) ٢٦٧ : ٢ زهر ، ١٣٣ : ١ معجم الأدباء ، ٢٨ رسائل ابن المعتز .

(٤) ٢٤١ : ١ فوات ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد ، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص ، ١٣٣ : ١ معجم الأدباء . (٥) هامش ٢٧٠ الوسيط (٦) ٣٠١ نزهة الالبا .

(٧) راجع ١٣٣ : ١ وما بعدها معجم الأدباء .

(٨) ١٠٧ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٩) ١٧١ و١٧٢ : ٤ تاريخ بغداد (١٠) راجع ٤٥٤ معجم الشعراء .

أما البلاذري فلا نعرف أنه كان أستاذا لابن المعتز إلا من القصة الماضية وتذكر بعض المصادر أن المعتز عهد إليه بتعليم ولده ابن المعتز(١) .

ومن أساتذته أيضا أبو علي الحسن بن علي العنزي(٢) وهو من رواة اللغة والأدب في القرن الثالث(٣) وهو أحد رواة الأغاني ، وكان صاحب أدب وأخبار ومات في أول صفر عام ٢٩٠ هـ بسر من رأى(٤) ، ويروي عنه ابن المعتز كثيراً(٥).

ومن أساتذته أيضا ضعوداً صاحب الفراء. وأخذ عنه اللغة والغريب(٦) وهو أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدي النحوي من أعيان أهل الكوفة وعلمائها عارف بالنحو واللغة وفنون الأدب قدم بغداد واختص بابن المعتز وعمل له رسالة فيما أنكرته العرب على القاسم بن سلام ووافقته فيه ؛ وأدب أولاد بن يزداد وزير المأمون ، وله كتاب فيما يستعمله الكاتب وغير ذلك(٧) وهو من أهل سر من رأى(٨) ، وابن المعتز يروي عنه آراء في نقد امرىء القيس وزهير وتوفي(٩) في أواخر القرن الثالث .

ومن أساتذته أيضا المبرد (٢١٠ — ٢٨٥ هـ)(١٠) تتلمذ عليه ابن المعتز في الأدب والعربية(١١) ، وكان المبرد يجيئه كثيرا ويقيم عنده إذا خرج من عند

---

(١) ١٩١ و١٩٢ : ٢ زيدان .
(٢) ١٠٧ الأوراق ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد ، ٩٤ : ٦ معجم الأدباء .
(٣) راجع ١٤١ و١٥٧ : ٣ الأغاني (٤) ٣٩٨ و٣٩٩ : ٧ تاريخ بغداد .
(٥) تجد ذلك في كثير من المواضع في الأغاني ، وراجع ٦١ البديع .
(٦) ١٠٧ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٧) ١٣٣ : ٧ معجم الأدباء ، ١١٠ فهرست .
(٨) ٣٧٠ و٣٧١ : ٣ تاريخ بغداد .
(٩) راجع ٣٥ و٤٧ وما بعدها من الموشح .
(١٠) راجع ٢١٦ : ٤ المسعودي، و٨٧ و٨٨ فهرست ، ٤٤٩ معجم الشعراء ، ١٣٧ — ١٤٤ : ٧ معجم الأدباء ، ٢٧٩ — ٢٩٣ نزهة الالبا للأنباري ، ٩٦ — ١٠٧ أخبار النحويين البصريين للسيرافي ، ٣٠٤ — ٣٠٨ : ٢ وفيات .
(١١) ١٠٧ الأوراق، ٣٠١ نزهة الالبا ، ٢٤١ : ١ فوات ، ١٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد ، ٤٦١ : ١ وفيات ، ٢٢٢ : ٢ شذرات ، ١١٦ : ١ معاهد التنصيص .

القاضى اسماعيل بن اسحاق(١) لقرب داره من دار ابن المعتز(٢) ، وكان للبرد مجلس فى مسجده(٣) ، ويروى ابن المعتز قصيدة لأبى نواس ويقول : أنشدنى المبرد هذه القصيدة وفسرها لى(٤) ، وكانت بينهما مناقشات كثيرة فى الأدب والشعر والنقد(٥) .

ومن أساتذته فى الأدب والعربية أيضا أبو العباس ثعلب(٦) ، (٢٠٠ — ٢٩١ ﻫ) ، وهو إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، وكان ثقة مشهورا بالمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم ، وله شعر وكتب كثيرة(٧) منها كتاب قواعد الشعر ، وتوفى عام ٢٩١ ﻫ عن ثروة كبيرة ، وكان مقدما عند العلماء إماما فى صناعته(٨) ، وكان ابن المعتز قد لقى أبا العباس مرات فى المسجد الجامع ، وكان يبعث إليه فيسأله عن الشىء بعد الشىء(٩) وكان ثعلب يتشوقه ويعتذر من تأخره عنه بكبره(١٠)وكان ابن المعتز يحب لقاءه(١١)وكتب إليه وهو معتقل قصيدة يصف شوقه إليه ومنها :

إنا على البعـــاد والتفرق   لنلتقى بالذكر ان لم نلتقى(١٢)

وكان ابن المعتز يسعى إليه وثعلب يحتفى به كثيرا (١٣)، وتصورلنا دراسته

---

(١) فقيه مالكى قاض توفى ببغداد٢٨٢ ﻫ (٦: ٢٨٤ تاريخ بغداد ، ١٧١ : ٢ شذرات) ، وكان منظراء المبرد فىالنحو ومكث فى قضاء بغداد نيفا وخمسين سنة (٢٢٤ : ١ ظهر) .

(٢) ١٠٧ الأوراق ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد (٣) ص ٢ مقدمة ديوان البحترى .

(٤) راجع ٨٨ — ٩٠ طبقات ابن المعتز .

(٥) راجع ٩٦ و٩٧ و١٨٤ و٢٠٢ أخبار أبى تمام ، ورسائل ابن المعتز .

(٦) ٣٠١ نزهة الالبـا ، ٢٤١ : ١ فوات ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد ، ٤٦١ : ١ وفيات ، ٢٢٢ : ٢ شذرات ، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص .

(٧) ١٣٣ — ١٥٤ : ٢ معجم الأدباء ، ٢٩٣ — ٢٩٩ نزهة الالبا ، و ١١ فهرست ، ٥١ — ٥٣ . ١ وفيات .

(٨) ٢١٦ : ٤ وما بعدها مسعودى (٩) ١٠٧ الأوراق .

(١٠) ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد (١١) ١١٤ الأوراق .

(١٢) راجع ٢١٧ : ١ زهر ، وفى تاريخ بغداد (٩٥ : ١٠) أنه كتبها إليه حين منع الركوب إلى المسجد وغيره ، وفى الأوراق (ص ١١٤) أنه كتبها إليه يعرفه شوقه إليه ويصف مقداره فى العلم ويعتذر من ترك إتيانه لأن الركوب ليس بسائغ له .

(١٣) راجع ١١٦ الأوراق أشعار أولاد الخلفاء ، ١٧٢ أدب الكتاب .

على أستاذه ثعلب هذه الرواية الأدبية (١) ، التى رواها القالى عن أبى بكر الانبارى وهى : أنشدنا ثعلب فى المسجد الجامع يقرؤه على ابن المعتز :

« سقى دمنتين ليس لى بهما عهد الخ »

وثعلب كان أيضا أستاذ قدامة والصولى وسواهما من العلماء .

وفوق ذلك كله أخذ ابن المعتز اللغة والغريب عن الأعراب الفصحاء.(٢) وكانوا يقدمون سر من رأى وسمع عن أحمد بن فنن (٣) ، وكانت داره مغانا لأهل العلم والأدب وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم ، نشأ فى الرواية والسماع ، فكان كثير السماع غزير الرواية (٤) مخالطا للعلماء والأدباء (٥) . وهكذا انصرف ابن المعتز منذ حداثته إلى الدراسات الأدبية وأكب على دراسة الأدب واللغة فى حماس بالغ ونجاح باهر(٦) .

(٤)

بدء نظمه للشعر :

ولعل القطعة التى كتبها ابن المعتز إلى أستاذه ابن سعيد الدمشقى عام ٢٦٠ هـ والتى سبق الإشارة إليها هى أول إنتاج ابن المعتز فى الشعر ، وهى بمسحتها التقليدية وأسلوبها المتكلف صورة لفن ابن المعتز أول نظمه للشعر .

واستمر الشاعر ينظم الشعر فى إجادة ونبوغ ، روى أنه جاء إلى أبى عيسى بن المتوكل(٧) للسلام وسنه دون العشرين عاما فدخل على بن محمد القاضى يشكو صهره له فأجابه أبو عيسى إلى ما أراد ثم قال : ألا ترون إلى مثل هذا الرجل الفاضل النبيه يدفع إلى مثل هذا ؟ طوبى لمن لم تكن له بنت ، فقال عبد الله بن المعتز : أيها الأمير إن لولدك — يعنى ابن المعتز نفسه — فى هذا المعنى شيئا

---

(١) راجع ١٠٤ : ١ الأمالى (٢) ١٦٨ فهرست ، ١٠٧ الأوراق .
(٣) ١٠٧ الأوراق (٤) ١٦٩ فهرست .
(٥) ٨٣ : ١ الدميرى .
(٦) ٢٧٩ المجلد الأول من دائرة المعارف الاسلامية .
(٧) من أفضل أولاد المتوكل وله شعر قليل أكثره فى الزهر (١٠٤ الأوراق) وعاش إلى عصر المعتضد (١٠٦ الأوراق) وللوية والمشدود ومخارق مجلس غناء ساحر فى داره. (٧٧ حلبة الكميت و ١٣٣ وما بعدها المستطرف ، ١١٣ — ١١٩ : ٤ العقد) .

قاله واستحسنه جماعة ممن يعلمون ويقولون الشعر ، فقال : هاته فداك عمك ، فأنشده لنفسه :

وبكر قلت موتى قبل بعل وإن أثرى وعد من الصميم
أأمزج باللئام دمى ولحمى فما عذرى إلى النسب الكريم ؟

فقال له عمه : أمتع الله أهلك ببقائك وأحسن إليهم فى زيادة إحسانه إليك وجلهم بكمال سنك(١) .

فهو — وهو دون العشرين عاما — كان شاعرا مجيداً يقول مثل هذا الشعر الجيد الجميل .

وهكذا أخذ يتدرج الشاعر فى نظم الشعر ويسير فيه بخطى كبيرة نحو التفوق والطبع والعبقرية مما تجلى بعد فى فنه فى الشعر ، ومجده فيه .

(١) ١٣٦ و ١٣٧ : ٩ الأغانى .

الفصل الثالث

ابن المعتز فى عهد الشباب

(١)

ودع ابن المعتز عهد طفولته فى سن مبكره ، وأخذ يتمشى فى ربيع الشباب ، تطيف به الذكريات الحافلة ، ويضىء ظلام حياته نور الأمل البسام .

كان يعيش مع جدته قبيحة التى كانت تشرف على تعليمه واختيار الأساتذة له ، كما رأينا فى قصتها مع البلاذرى وابن سعيد ، ثم توفيت قبيحة عام ٢٦٤ هـ ففقد كثيرا من سعادة الحياة . وواصل سيره إلى الأمام بخطوات كبيرة فى سبيل آماله العذاب وأحلامه الواسعة ، ولا ندرى عن أمه شيئا ، ولعله كان يتمتع بما بقى له من حنانها وعطفها ، كما لا نعلم على أى مصدر من مصادر الحياة كان يعيش ابن المعتز : ولعله كان يعتمد على البقية الباقية من أموال والده وجدته ، وعلى ما كان يأخذه من بيت المال من مرتب ، وعلى مساعدات أعمامه له ، وكان يجد منهم كل عطف وتقدير ، كما تنبىء بذلك قصته مع عمه أبى عيسى ، وكان له قهرمان ووكيل وموال (١) ، ولكنه مع ذلك لم يكن يعيش فى بسطة من المال . أليس هو الذى يقول :

يا قوم إنى مرزا وكل حر مرزا
خرج كثير ودخل نزر فلم لا أعزى
فالخرج لا يتنا هى والدخل لا يتجزا

ودخل الصولى عليه وقد هدمت داره التى على المطيرة بسامرا من أثر السيل وهو يبنيها ، فأشفق عليه من الغرم مع قلة الدخل فقال ابن المعتز :

تسود وجهى بتبييضها وتخرب مالى بعمرانها (٢)

---

(١) ٧١ خاص الخاص ، ٢٦١ : ٢ زهر .

(٢) راجع ١١٦ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ، وتنسب هذه القصة إلى عبد الله ابن موسى الكاتب مع ابن المعتز (١٤٤ : ٩ الأغانى) .

وكانت إقامته فى سامرا ثم أخذ يتردد على بغـــداد ومجالسها العامة وحلقات أقطاب العلم والأدب فيها ، وكانت داره فى سامرا بالمطيرة . . وهى قرية من نواحى سامرا ، (١) وكانت من متنزهات سامرا وبغداد وبنيت فى خلافة المأمون (٢) . ويذكر ابن المعتز سامرا والمطيرة فى شعره كثيرا وهكذا كان يعيش ابن المعتز فى عهد الشباب الذى ابتدأ فى حياته من نحو عام ٢٦٠ هـ وهو فى الثالثة عشرة من عمره وانتهى نحو عام ٢٧٩ هـ وهو فى الثانية والثلاثين .

(٢)

وفى هذا العهد واصل الشاعر دراسته فلازم كبار العلماء والشعراء وأعـــلام الأدب فى سامرا وبغداد :

شغلى إذا ما كان للناس شغل دفـــتر فقه أو حديث أو غزل

وأخذ يجاهد فى سبيل حياته وأحلامه :

وأسهر للمجد والمكرمات إذا اكتحلت أعين بالكرى

وقد بدأ تعليمه فى داره وبعد أن كبر كان يتردد على مجالس العلماء وكبار الشيوخ فى بغداد ومسجدها الجامع .

وفى هذه الفترة نضجت شاعريته وظهرت مواهبه الأدبية واحتل مكانه فى الأدب ودولة القريض ، وأخرج كتابه « الفصول القصار » الذى ألفه قبل عام ٢٧٤(٣) ، وهو العام الذى ألف فيه كتابه الذائع الشهرة « البديع(٤) » .

(٣)

وفى هـــذا العهد توفيت جدته قبيحة عام ٢٦٤ هـ ، وتزوج ابن المعتز ، ولا ندرى من تزوجها ولا من الذى صاهره ، ، ولكن ابن المعتز يقول فى شعره :

ونقبت عرسى بالطلاق مصمما وكانت حصاة بين رجلى وأخمصى

---

(١) ٤٦٤ : ١ وفيات .

(٢) هامش ٩٧ : ٣ الأمالى .

(٣) يشير ابن المعتز فى كتاب البديع « إلى الفصول القصار » (راجع ص ٩٠ من البديع)

(٤) راجع ١٠٦ البديع .

فأبهت عذالى وفات الذى مضى وهنيت عيشا بعد عيش منغص

ويقول :

دست بنية بسطام عقاربها نحوى ونامت على الأضغان والحنق
حتى كأنى قد نزعت والدها فى المهد فانقلبت عيناه من فرق

فهو طلق زوجته لأنه لم يستطع أن يعيش معها فى وئام كما يقول فى البيتين الأولين ، وزوجته كريمة بسطام الذى يذكره فى البيتين الآخرين وفى بيته :

وهبت سلامى ماحييت لمجلس على قصر بسطام أمير المجالس

فمن هو بسطام الذى صاهره ابن المعتز ؟

فى ديوان البحترى قصائد كثيرة فى مدح أبى العباس بن بسطام(١) ، وفى تاريخ الوزراء(٢) ذكر لأحمد بن محمد البسطامى . وكان أبو العباس أحمد بن بسطام يلى أعمالا فى عهد الموفق وكان مقرباً إليه(٣) ، وتولى أعمالا كبيرة بمصر(٤) ، واعتقل القاسم بن عبيد الله أبا العباس أحمد بن محمد بسطام ثم أطلقه العباس ابن الحسن لما ولى الوزارة ثم قلده مصر وأعمالها(٥) وابنه أبو محمد بن أحمد ابن بسطام من الشخصيات الكبيرة فى عهد الراضى (٣١٢ - ٣٢٩ هـ) ، فلعل أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام هذا هو صهر ابن المعتز ، تزوج بنته ثم اختلفا ولم تطب حياتهما فى ظلال الزوجية فطلقها ، وعلى أى حال فأسرة بسطام من الأسر الكبيرة فى القرن الثالث الهجرى ، ونجد ذكرا لبعض شخصياتها فى الطبرى فى تاريخ عام ٢٥٥ هـ

وكان ابن المعتز يكنى بأبى العباس باسم أول ولده ، ولعل ابنه هذا كان من زوجته ابنة بسطام ، وليس لدينا شىء عن العباس ابنه ولا متى ولد وكيف عاش ، ومن الثابت أنه ولد له قبل عام ٢٧٤ هـ الذى ألف فيه كتابه البديع والذى يلقب ابن المعتز نفسه فيه بأبى العباس(٦) ، ولابن المعتز ابن آخر وهو عبد الواحد(٧)

---

(١) ٣٢ و ٧٨ : ١ و ٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٧٩ و ٢٧٩ : ٢ ديوان البحترى .
(٢) ص ٢٢٤ . (٣) ٥٣ — ٥٥ من المكافأة لأحمد بن يوسف .
(٤) ٢٠٢ المرجع نفسه .
(٥) ١١٨ : ١ الفرج بعد الشدة . (٦) ٦٦ البديع .
(٧) ١٠٥ خاص الخاص .

ولا ندرى هل كان من زوجته ابنة بسطام أم من زوجة أخرى تزوجها بعد طلاق أولى زوجاته ، ولابن المعتز بنت توفيت فى حياته ، ورثاها فى شعره قال :

أيا شعبة النفس التى ليس غيرها   سقطت فقد أفردت عودى لـكاسر

الخ ، وقال فى رثائها أيضا :

سقيا لوجه حبيبة   أودعتها كـفنا ورمسا
ثم انطلقنا مسرعين   إلى القبور نزف شمسا

ومع ذلك فابن المعتز بعد قتله ، لم يبق له خلف يفرطه ولا عقب يدفع عنه ،(١) ومن الغريب أن يذهب ابن حزم فى كـتابه ، جمهرة الأنساب ، إلى أن ابن المعتز كان حصورا لم يقرب امرأة قط ، ولم يكن له قط ولد(٢) .

(٤)

وفى عهد الشباب عـكف ابن المعتز على حياة اللهو والترف ، يخفف بهما آلامه ، ويؤكد بهذه الحياة اللاهية لرجال السياسة أنه بعيد عن السياسة ومؤمراتها ومطامعها البعيدة ، كما كان يفعل إبراهيم بن المهدى من قبل حين إذ تهتك بالغناء والشرب خوفا من المأمون وإظهارا له أنه قد خلع ربقة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها (٣) .

فأممن ابن المعتز فى وصف الراح وسماع الغناء وفى الغزل والمجون ، مما يصور ، لك بوضوح قوله :

وما العيش إلا لمستهتر   تظل عواذله فى شغب

وقوله :

صاح إن أمـكنتك لذ   ة عيش فلا تذر
وتقدم ولا تقف   فاز بالحب من جسر

---

(١) ١٤١ : ٩ الأغانى .
(٢) ص ٢٥ جمهرة أنساب العرب تحقيق ا . لبى بروفنسال — دار المعارف بمصر .
(٣) ٣٣ : ٩ الأغانى .

وقوله :

أحل بدار اللهو حيث لقيتها وأهزل باللذات والدهر فى جد

وقوله :

جعلت عقلى لشهوتى عبدا وصار غي عند الهوى رشدا

ولكنه يحاول أن يظهر فى ذلك بمظهر طاهر جميل ، فيقول عن نفسه :

كريم ذنوب إن يصيب بعض لذة يدع بعضها فوق الأحاديث والوزر

ويقول .

ولم آت ما قد حرم الله فى الهوى ولم أترك مما عفا الله باقيا

ويقول فى موقف لذة من لذاته :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وبعد فقد كان ابن المعتز يتذوق الحياة بقلب ظامىء إلى لذاتها ومقيد بقيود الفضيلة فيها ، ولكنه كانت تطغى عواطفه أحياناً على عقله فيظهر فى صورة الجامح الذى لا يمكن أن يرده شيء عن غايته ، ولا شك أنه فى ملذاته كان يجيب داعى الشباب فى نفسه ، ويمسح بها عن قلبه آلام الحياة وأشجانها ، ويخضع لأحكام عصره وبيئته . ويخفى بها آماله المتغلغلة فى أعماق نفسه فى الملك والخلافة .

ولكن الشاعر مع هذه الحياة اللاهية لم ينس آلامه وهمومه ودم والده المطلول ، مما يصوره فى شعره أحزانا تثير الألم ، وألحانا تبعث البكاء .

(٥)

ابن المعتز والمعتمد :

أصاب ابن المعتز فى عهد المهتدى (٢٥٥ — ٢٥٦ هـ) خطوب وآلام جسام ، فقد قتل والده وشردت أسرته وصودرت أموالها ، ومن الإنصاف أن نقول إن ذلك كله كان بأمر الأتراك ولم يكن للمهتدى فيه رأى ، ولكنه على أى حال المسئول الأول عن هذا العسف والطغيان الشديد .

ثم خلع المهتدى وولى بعده الخلافة أحمد المعتمد على الله ابن المتوكل ، عم الشاعر الذى ظل خليفة أمداً طويلا (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) ، كان المسيطر فيه على

الدولة أخوه أبو أحمد طلحة الموفق بن المتوكل الذى لقب نفسه الناصر لدين الله(١) .

والظاهر أن صلة الشاعر بعمه الخليفة كانت ضئيلة فليس فى ديوانه شىء عنه أو شعر فيه . وتذكر بعض المصادر أن ابن المعتز قال فى فصاد المعتمد هذه الأبيات : —

يا دما سال من ذراع الأمام   أنت أزكى من عنبر ومدام

الخ(٢) ، وتجعلها المصادر الأخرى له فى فصاد المعتضد(٣) .

ابن المعتز والموفق :

كان الموفق هو المسيطر على الخلافة فى حكم أخيه المعتمد مدة طويلة (٢٥٧ - ٢٧٨ هـ) . وكان يضع ابن أخيه — عبد الله بن المعتز — موضع الرعاية متناسيا صنع أخيه المعتز معه ومع المؤيد شقيقه ، وكانت حياة ابن المعتز تدعوه إلى أن يوطد صلته بعمه الموفق ، والباحث فى ديوان الشاعر يجد كثيرا من القصائد التى نظمها فى عمه الحاكم المطلق فى دولة الخلافة ، ومن الجدير بالتنويه أن ديوان الشاعر المطبوع خال من ذكر شىء عن الأشخاص والحوادث التى نظمت فيها قصائده . وقد أضنانا البحث فى إرجاع كل قصيدة إلى الظروف التى نظمت فيها ، وبيان الشخصيات التى تشير إليها ، وذلك بالرجوع إلى شتى المصادر ، وبدراسة ديوان الشاعر دراسة تاريخية خاصة .

كان العمل الفذ الذى قام به الموفق هو القضاء على ثورة الزنج التى اشتعلت نارها بالبصرة وما جاورها سنين طوالا (٢٥٥ - ٢٧٠) ، وقد أشاد ابن المعتز بهذا النصر العظيم فى قصيدته (٤) :

يا ناصر الإسلام عش   واسلم على ريب الزمن

---

(١) ٢٢٩ : ٣ العقد ، ويذكره ابن المعتز بهذا اللقب فى شعره كثيرا .

(٢) هامش ١١٣ الوساطة .

(٣) ٢٢٤ : ٤ المسعودى . وهى فى معجم الشعراء (ص ٤٤٥) لمحمد بن ابراهيم الجرجانى فى فصاد الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان .

(٤) راجع ١٧٥ ديوان ابن المعتز طبع بيروت .

وفى لامية أخرى (١) ، وفى أرجوزته فى الخليفة المعتضد .

وتوفى هارون بن الموفق فى بغداد عام ٢٧٠ هـ فرثاه الشاعر وعزى والده الموفق فيه بقصيدته :

يا ناصر الدين إذ هزت قواعده وأصدق الناس فى بؤس وإنعام (٢)

ولما توفى الموفق عام ٢٧٨ هـ رثاه ابن المعتز بقصائد كثيرة بعضها فى ديوانه المطبوع والأخرى فى ديوانه المخطوط .

ويقول صاحب زهر الآداب : وكان ابن المعتز يمدح الموفق ويلقبه الناصر ، وقد ذكر الصولى فى قصيدة لصاحبه قال — وقد اقتص خلفاء بنى العباس من أولهم :

ومعتمد من بعدهم وموفق يجدد من أرث الخلافة ما ذهب
يناز لهم فى كل فضل وسؤدد وان لم يكن فى العد منهم لمن حسب «(٣)

ابن المعتز وذكريات الشباب :

وفى هذا العهد الجميل ، عهد الشباب الناضر ، عاش ابن المعتز عيشة الرجل الاجتماعى الذى تربطه بالمجتمع أوثق الصلات ، تمتع بعطف كثير من أعمامه وأسرته ، وصاحب كثيرا من الأصدقاء ، ووطد مكانته فى الحياة العامة وظهر فى النوادى الأدبية ، وسنحلل فى هذه الكلمة صداقاته ، ونذكر من تأثر بهم من الشخصيات والأصدقاء .

(١) أبو محمد محمد بن المتوكل ، عم الشاعر ، وهو ممن أسبغوا عليه الكثير من العطف والرعاية ، ونظم فيه ابن المعتز كثيراً من اصائده ، حبسه أخوه الموفق ببغداد فنظم الشاعر قصيدته :

---

(١) راجع ١٤٩ ديوانه ، ٢٠٣ : ٣ زهر ، ١٣٠ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ، وفى ١٢٦ رسائل ابن المعتز بعض منها .

(٢) تجدها فى ديوان الشاعر المخطوط وفى ١٣٢ رسائل ابن المعتز وفى زهر الآداب (٢٠٠ : ٣) ، ويذكر الحصرى فيه أنها فى تعزية المعتضد بابنه هرون وهو تحريف .

(٣) ٢٠٣ : ٢ زهر الآداب .

فلك حر الوجد قيد البكا فاعذريني أو فوقي بدائي(١)

وهي من أوائل شعره ، ومات عمه أبو محمد فرثاه ابن المعتز بمراث كثيرة جيدة أكثرها في ديوانه المخطوط ، ويتجلى فيها روح التأثر العميق لفقده ، والتذكر الوفي لجميل أياديه عليه ، وذكره فقده بأهله الراحلين فرثاهم بقصائد كثيرة منها قصيدته(٢) :

أخني عليك الدهن مقتدرا والدهر الأم قادر ظفرا

(ب) أبو الحسن على بن يحيى المنجم(٣) (٢٠١ — ٢٧٥ هـ) ، كان شاعرا راوية علامة إخباريا نادم المتوكل(٤) والمعتز(٥) ، وكانت له خزانة كتب ضخمة يسميها خزانة الحكمة ويقصدها الناس فيتعلمون منها صنوف العلم وله كتاب الشعراء القدماء والإسلامية(٦) وهو من أسرة فارسية وكان أديبا شاعرا فاضلا متفننا في علوم العرب والعجم ورثاه ابن المعتز وعبيد الله بن عبد الله طاهر وجماعة من الشعراء(٧) .

وكانت الصلة بينه وبين ابن المعتز وثيقة منذ عهد المعتز والده ، ولابن المعتز فيه مراث صغيرة تجدها في ديوانه المطبوع ويذكره فيها بلقبه « أبي حسن »(٨) وأحيانا باسمه « علي »(٩) ، أو « بابن يحيى(١٠) » ، وله فيه مرثية طويلة مطلعها :

يا للقوى الأمل المغرور ولجاج لاينقضي في الصدور(١١)

وذلك يدل على ما كان له في نفس ابن المعتز من حب وتقدير .

---

(١) راجع القصيدة في ١٢٣ ديوان ابن المعتز طبع بيروت ، ١١٧ الأوراق .
(٢) راجعها في ديوانه المخطوط ، وفي ٣١ : ٤ زهر الآداب ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز .
(٣) راجع : ٥٠ — ٥١ : ٢ وفيات ، و ٤٥٩ — ٤٧٧ : ٥ معجم الأدباء و ٢٠٥ وما بعدها فهرست .
(٤) ٤٥٩ : ٥ معجم الأدباء .
(٥) ٤٧٥ : ٥ المرجع .
(٦) ٢٠٥ فهرست .
(٧) ٢٨٦ وما بعدها معجم الشعراء .
(٨) راجع ٣٢٧ ديوان ابن المعتز طبع بيروت .
(٩) راجع ٣٢٨ المرجع .
(١٠) راجع ٣٣٠ المرجع .
(١١) راجعها في ديوانه المخطوط وهي طويلة جدا .

(جـ) هارون بن على بن يحيى المنجم(١) (٢٥١ — ٢٨٩ هـ) وهو أديب قليل الشعر، وله كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين، وكتاب اختيار الشعراء الكبير ولم يتمه(٢)، وهو أول من نسخ من ابن المعتز كتاب «البديع» الذى ألفه عام ٢٧٤ هـ(٣)

(د) يحيى بن على المنجم(٤) (٢٤١ — ٣٠٠ هـ) نادم الموفق ومن بعده من الخلفاء وكان أديبا متكلما معتزليا وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة وله كتاب الباهر فى مختصرى الدولتين ابتدأ فيه ببشار وتممه ابنه أحمد(٥) وله رسالة أدبية فى تقديم العباس بن الأحنف على العتابى(٦) وكان شاعرا مطبوعا من أشعر أهل زمانه وأكثرهم افتنانا فى علوم العرب والعجم (٧).

وكان يحيى صديق ابن المعتز وفيه وفى صداقته يقول(٨):

إن يحيى - لا زال يحيا - صديق وخليلى من دون هذا الأنام
زاد ودى له صفاء كما فى كل يوم يزداد صفو المدام

وكانت بينهما مداعبات (٩) ولكن صفو هذه الصداقة لم يستمر، فقد كان يحيى شعوبيا، مما تصوره لك قصيدته (١٠):

يا بنى هاجر فتبا(١١) لكم ما هـــذه الكبرياء والعظمة

ورد عليها ابن المعتز بقصيدة (١٢) طويلة منها:

---

(١) راجع ترجمته فى ١٣١ : ٣ وما بعدها وفيات.
(٢) ٢٥٦ فهرست.
(٣) ١٠٦ البديع.
(٤) ٢٠٨ — ٢١٠ : ٣ وفيات، ٣٠٢ نزهة الالباء، ٢٨٧ : ٧ معجم الأدباء.
(٥) ٢٠٥ و ٢٠٦ فهرست.
(٦) راجعها فى ٢٩٣ موشح، وزهر الآداب.
(٧) ٥٠٢ معجم الشعراء.
(٨) راجع ديوان ابن المعتز المخطوط.
(٩) راجع ٣٢ أخبار الظراف لابن الجوزى، ٩٦ : ١٠ تاريخ بغداد.
(١٠) راجعها فى الأوراق قسم أخبار المقتدر مخطوط بمكتبة الأزهر.
(١١) فى الأصل: تأبت.
(١٢) ورقة ٣٣ وما بعدها الأوراق قسم المقتدر، وديوانه المخطوط.

أسمع قولا ولا أرى أحداً　　من ذا الشقى الذى أباح دمه ؟
حاشا لإسحاق أن يكون لكم　　أبا وإن كنتم بنيه فمه
وهل بنوه إلا لنا خدم　　كم رق عبد منهم لنا وأمه
خير من اسحاق خاتم الرسل　　الهادى المجلى بنوره الظلمه

نقم عليه ابن المعتز شعوبيته فتهاجيا ، وتخاصما وكان يحيى يرمى ابن المعتز بالتصحيف (١) ، وهجاه ابن المعتز بقصيدته (٢) :

أبعد البين صبر أو هجود　　أبى ذاك التفكر والشهود

ومنها :

أتسمو للفخار وأنت قرد　　وما بالمجد يفتخر القرود
فخرت بفارس سفها وجهلا　　كأنك من مرازبها تليد

وكان ليحيى مجلس للمتكلمين عنده فى يوم الثلاثاء فقال فيه « بالله يا ابن على فض جمعهم الخ » (٣) وهجاه أشد هجاء (٤) : ولما ولى ابن المعتز الخلافة ذهب يحيى ليسلم عليه فأعرض عنه ابن المعتز فهجاه يحيى بعد أن قبض عليه (٥) .

ه — عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢٢٣ — ٣٠٠ ه) . من أسرة فارسية أول من نبغ منها طاهر بن الحسين (١٥٩ — ٢٠٨ ه) الذى أبلى فى الخلاف بين الأمين والمأمون أحسن بلاء ، فولاه المأمون خراسان فأنشأ فيها دولة طاهرية مستقلة (٢٠٥ — ٢٥٩ ه) ، ومن أبنائه عبد الله بن طاهر م ٢٢٨ ه الذى خلف ابنيه : محمد وعبيد الله .

كان عبيد الله سيد أسرته بعد أخيه محمد ، وكان أميراً وشاعراً مترسلا ، وله كتاب الإشارة فى أخبار الشعراء ورسالته فى السياسة الملوكية ، وكتاب مراسلاته مع ابن المعتز وكتاب البراعة والفصاحة (٦) ، وكان شاعر لطيفا رقيق الحاشية وله

---

(١) ورقة ٣١ الأوراق قسم المقتدر ، و ٥٤ رسائل ابن المعتز .
(٢) ورقة ٤٠ المرجع السابق ، والقصيدة طويلة جدا .
(٣) ١٨٠ ديوان ابن المعتز طبع بيروت .
(٤) ٢٠٤ المرجع نفسه .　　(٥) ورقة ٢٦ الأوراق قسم المقتدر .
(٦) ١٧٠ فهرست .

ديوان شعر كما يقول ابن خلكان ، وكان له محل من الأدب والتصرف فى فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة ، وأشعاره كثيرة جيدة وكتابه الآداب الرفيعة فى النغم وعلل الأغانى مشهور جليل الفائدة(١)، ولابن المعتز شعر فيه (٢) وكان بينهما مكاتبات بالأشعار (٣) ، وكتب ابن المعتز رسالة طويلة فى الغناء وجواز التجديد فى مذاهبه وبعث بها إلى عبيد الله وإلى ابن حمدون فرد عليه عبيد الله برسالة طويلة كلها إعجاب وثناء (٤) .

و — ومن أصدقاء ابن المعتز القاسم بن أحمد الكوفى الكاتب ، وكان بينه وبين ابن المعتز مكاتبات ومراسلات بالأشعار (٥) .

ز — ومن أصدقائه محمد ابن ابراهيم بن عتاب (٦) .

ح — وابن حمدون النديم (٢٣٧ — ٣٠٩ هـ) ، واسمه أبو عبد الله محمد (٧) ابن أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن داود بن حمدون، كان والده أحمد أستاذ ثعلب، وخص بالمتوكل(٨) والظاهر أنه توفى عام ٢٧٥ هـ (٩) ، وهو خال أبو الحسن على بن بسام الشاعر المشهور م ٣٠٢هـ(١٠) . ولابن حمدون آداب تروى(١١)، وله قصص كثيرة مع المعتضد تدل على شدة مكانته عنده١٢ .

---

(١) ٤٥ : ٨ الأغانى .

(٢) راجع ٦٧ : ٢ العمدة .

(٣) راجع ١٤٥ : ٩ الأغانى .

(٤) راجع ١٤١ : ٩ الأغانى .

(٥) ٣٣٦ معجم الشعراء .

(٦) راجع ٤٥٦ معجم الشعراء .

(٧) ٣٢ الأذكياء ، ٢٠٣ : ٣ الأغانى .

(٨) ٣٦٥ — ٣٧٢ : ١ معجم الأدباء ، ٢٠٧ و ٤١١ فهرست .

(٩) يستنتج ذلك مما ذكر فى ديوان ابن المعتز المخطوط من أن ابن المعتز رثى أبا العباس ابن حمدون وعلى بن يحى المنجم بقصيدته :

أنكرت سلمى مشيبا علانى ورأتنى غير ما قد ترانى

فالظاهر أن أبا العباس هذ هو ولد محمد وكان يلقب بأبى العباس فلا بد أن يكون توفى مع ابن المنجم عام ٢٨٥ هـ حتى إن ابن المعتز رثاهما معا بهذه القصيدة .

(١٠) راجع ٣٢٨ : ٥ معجم الأدباء .

(١١) راجع ٤٥ خاص الخاص .

(١٢) راجع ٣٢ وما بعدها من كتاب الأذكياء

(ط) نطاحة أحمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب ، وقد سبق ذكره مع الكتاب ، وكان بليغا مترسلا شاعرا ، وبينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة (١)

(ى) على بن مهدى الكسروى كان أحد العلماء الشعراء الرواة النحويين وكان أديبا ظريفا رواية شاعرا وتوفى فى خلافة المعتضد(٢) ، وكان يؤدب ولد هارون بن على ثم اتصل ببدر المعتضدى(٣) ، وله مكاتبات بالشعر مع ابن المعتز ويحيى بن على(٤) وتوفى الكسروى نحو عام ٢٨٥ هـ .

ولابن المعتز فيه كثير من الشعر والمداعبات(٥) .

(ك) المفضل بن سلمة بن عاصم صاحب العزاء نحوى أديب كان بينه وبين ابن المعتز مكاتبات(٦) ، وكان المفضل من اللغويين فى العصر العباسى الثالث على مذهب أهل الكوفة وله كتاب الفاخر فى اللغة وكتاب العود والملاهى وتوفى فى أواخر القرن الثالث(٧).

(ل) أحمد بن أبى العلاء يعده أبو الفرج فى طبقات المغنين(٨) ، وهجاه البحترى(٩) ، وكتب إلى ابن المعتز :

أنا سيف على العدى لك فى الحر ب وفى السلم فابتذلنى وصنى
ونديم إن لم يزرك نديم ومغن إن لم يزرك مغن(١٠)

ولابن المعتز فيه شعر كثير منه قصيدته النونية(١١) :

---

(١) ٧ ٣ : ١ معجم الأدباء
(٢) راجع ٤٢٧ — ٤٣٢ : ٥ معجم الأدباء
(٣) ٢١٤ فهرست
(٤) ٢٩٣ معجم الشعراء
(٥) راجع ٤٢٨ — ٤٣٠ : ٥ معجم الأدباء ، وديوان ابن المعتز المخطوط باب الهجاء
(٦) ٣٨٤ معجم الشعراء ، ويخطىء فى تقدير عام وفاته بسنة ٢٥٠ هـ
(٧) ١٨٧ : ٢ آداب اللغة لزيدان
(٨) ٤٤ : ١٨ الأغانى .
(٩) ٢٦٣ : ديوان البحترى .
(١٠) ٧٢ فصول التماثيل .
(١١) راجعها فى ١٤٣ — ١٤٥ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

لقد أقفر الدكان من كل لذة وعطل من رجل وقوف وركبان

(م) جحظة البرمكى (٢٢٤ — ٣٢٦) ﻫ) ، وابن المعتز هو الذى لقبه هذا اللقب(١) ، وكان بينهما مكاتبات ومراسلات(٢) .

(ن) أبو الطيب القاسم بن محمد بن عبيد الله النميرى ، كان ينادم ابن المعتز وكانا يكثران من التكاتب بالأشعار(٣) ، وفى ديوان ابن المعتز شعر فيه ومداعبات متعددة معه .

(س) أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة الكاتب وأحد البلغاء الفصحاء واستخلفه القاسم على ديوان الرسائل(٤) ويقول ابن المعتز فيه :

إنى رزقت من الإخوان جوهرة ما إن لها قيمة عندى ولا ثمن

ورثاه ابن المعتز بقصيدته :

ليس شىء لصحة ودوام غلب الدهر حيلة الأقوام(٥)

وبقصيدة أخرى نونية طويلة تجدها فى ديوانه المخطوط ، وفى الديوان المخطوط يذكر أن أبيات ابن المعتز :

أبا حسن ثبت فى الأمر وطأتى وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز

الخ نظمها فيه ، والصحيح أنها فى أبى الحسن على بن الفرات الوزير(٦) .

(س) أبو القاسم جعفر بن قدامة م ٣١٩ ﻫ وهو من مشايخ الكتاب وعلمائهم وله مصنفات فى صنعة الكتابة (٧) وغيرها ، ويعده ابن النديم من الشعراء الكتاب(٨) .

وكان جعفر يلازم ابن المعتز ويجلس عنده كثيراً ويقضيان أوقاتهما معاً فى مرح ولهو(٩) .

(١) ٢٤٢ : ٢ معجم الأدباء (نشر رفاعى) ، ٧٢ : ١ وفيات ، ١٥ : ٢ زهر .
(٢) راجع ٣٩٣ : ١ معجم الأدباء (نشر مرجليوث) .
(٣) ٣٣٦ معجم الشعراء .
(٤) ٤١٧ : ٢ وما بعدها معجم الأدباء .
(٥) ٨٨ : ٣ زهر ، ١٣٠ رسائل ابن المعتز .
(٦) ٣٢٣ : ٤ مسعودى ؛ وفى الديوان المخطوط كثير من التحريف والخطأ فى نسبة شعر ابن المعتز للذين نظم فيهم الشاعر قصائده .
(٧) ٤١٢ — ٤١٥ معجم الأدباء و ٢٠٥ : ٧ تاريخ بغداد .
(٨) ٢٣٩ فهرست .
(٩) راجع ١٤٢ : ٩ وما بعدها الأغانى .

(ع) أما إسماعيل بن بلبل وزير الموفق فلم يكن بين ابن المعتز وبينه وئام وهجاه ابن المعتز بقصيدة خائية تجدها فى ديوانه المخطوط ، وكان إسماعيل قد صاهر الموفق(١) ، وكان يسعى بين الموفق وابنه أبى العباس المعتضد حتى حبس الموفق ابنه فلما ولى المعتضد شئون الخلافة بعد أبيه سنة ٢٧٨ هـ قبض على ابن بلبل الوزير حيث لقى مصرعه ، والظاهر أن القصيدة التى أشرنا إليها قد نظمها ابن المعتز إثر القبض عليه وحبسه ، ويذمه ابن المعتز فى أرجوزته فى المعتضد طويلا(٢) .

* * *

وبعد فعصر الشباب فى حياة ابن المعتز حافل بكثير من الذكريات .

ولقد ودع ابن المعتز شبابه ولهوه بوداع هذا العهد الجميل الناضر ، وكما يقول ابن المعتز :

سلام على اللذات واللهو والصبا　　سلام وداع لا سلام قدوم

ويقول :

ياصاح ودعت الغوانى والصبا　　وسلكت غير سبيلهن سبيلا
وثنيت أعناق الهوى نحو العلا　　ورأيت شأو العاشقين طويلا
بدلت من ليل الشباب بمفرق　　صبح النهى أحبب بذلك بديلا

---

(١) ٤٣ : ٢ معجم الأدباء ، و٢٩٩ : ٣ العقد .
(٢) ١٥٧ — ١٦٠ ديوان ابن المعتز ، ٨٨ — ٩٠ رسائل ابن المعتز .

الفصل الرابع

ابن المعتز فى عهد رجولته

(١)

يبدأ هذا العهد الجديد فى حياة الشاعر بابتداء عصر المعتضد عام ٢٧٩ هـ ، والشاعر فى الثانية والثلاثين من عمره وينتهى بانتهاء عهد المكتفى عام ٢٩٥ هـ ، وهو فى الثامنة والأربعين .

امتاز هذا العهد فى حياة الشاعر بخصائص كثيرة كان لها أثرها فى نفسه وحياته وفى المجتمع الذى يعيش فيه .

فقد فرغ من ملذاته ولهوه وبدأ حياة جديدة فيها جد وعمل ونشاط وإقدام :

وثنيت أعناق الهوى نحو العلا ورأيت شأو العاشقين طويلا

وإن كانت هذه الحياة الجديدة مريرة ثقيلة على نفسه :

خضبت رأسى فقلت لها اخضبى قلبى فقد شابا
فأمامى المر من عمرى وورائى منه ما طابا

ولكنه حكم المشيب :

سل المشيب سيوفه فسطا على اللذات سطوا

الذى جعله يرد نفسه إلى طريق الخير :

رددت إلى التقى نفسى فقرت كما رد الحسام إلى القراب

ونهاه الإمام المعتضد عن سفه الكأس فعافها مكرها وعاف معها لذات الحياة :

ونهانى الإمام عن سفه الكأس فرددت على السقاة المدام
عفتها مكرها ولذات عيش قام بينى وبينهن الإمام

ثم هو يعيش حينا يتمتع بحريته وكرامته ونفوذه فى دار الخلافة ، وحينا يعيش بين اضطهاد ومراقبة وتهديد ، يعيش حينا راضيا مبتسما للحياة ، وحينا ساخطا متجهما على حظه وآماله فيها .

وهو فوق ذلك كله علم من أعلام الأدب والنقد والبيان والتفكير ، وشاعر ممتاز يخلف أبا تمام والبحترى وابن الرومى على عرش القريض .

وهو يحيا حياة الرجولة المكتهلة ، والرأى الناضج ، والحكمة العميقة والتجربة الصحيحة ، وبين خصومات ومؤامرات كادت تؤدى بحياته ، لولا رجل عظيم كان يدافع دائما عنه ، وهو الوزير عبيد الله بن سليمان ، ولولا حكمة الشاعر التى آثرت صداقة المعتضد ومهادنة المكتفى مع ما كانت تجيش به نفسه من ثورة الألم والحزن العميق .

لانعلم شيئا عن موارد الشاعر المالية فى هذه الفترة ، ولعله كان له مرتب ثابت من دار الخلافة ، فقد كان يصرف كل يوم نحو الثلاثة والثلاثين دينارا فى عهد المعتضد لأولاد المتوكل وسبعة عشر لولد الواثق والمستعين والمهتدى وسائر أولاد الخلفاء (١) . ومن المرجح أنه كان لابن المعتز مع ذلك موارد خاصة يركن إليها فى معيشته .

وليس لدينا أيضا جديد عن أسرة ابن المعتز وحياته العائلية فى هذا العهد .

وكان ابن المعتز يقيم منذ أمد طويل فى سامرا فى دار والده غالبا ، فأمره المعتضد بالقدوم إلى بغداد ، كما فى نسخة خطية من ديوان ابن المعتز ، أو ، أمر باحضاره إلى بغداد ، كما فى النسخة الأخرى ؛ وامتثل ابن المعتز أمر الخليفة وترك سامرا وأقام فى بغداد ، وفى ذلك يقول قصيدته(٢) :

دعانى الإمام إلى قربه فأهلا بذاك وسهلا به
يقصر جهدى عن شكره ولست أقصر عن حبه
وعوقنى الدهر عن قربه زمانا فقد تاب من ذنبه

والظاهر أن ابن المعتز لم تعجبه بغداد فقال كثيرا من الشعر فى ذمها والتنويه بسامرا وجمال أيامه فيها ، مما تجده فى ديوانه ، وله رسالة أدبية يمدح فيها سامرا ويصف خرابها ويذم بغداد والحياة فيها(٣) ؛ وعلى أى حال فقد كانت إقامة الشاعر ببغداد بدار على شاطىء الصراة كما ورد ذلك فى شعره .

---

(١) ٣٥٥ : ٣ تاريخ الأمم الاسلامية للخضرى بك .

(٢) راجعها فى ديوانه المخطوط .

(٣) ٢٤٢ : ٢ معجم البلدان ، ٨٢ : ١ النثر الفنى ، ٥٨ رسائل ابن المعتز .

(٢)

ابن المعتز والمعتضد :

ولد أبو العباس المعتضد أحمد بن الموفق بن المتوكل ابن عم شاعرنا الأمير عام ٢٤٣ هـ ، وكان عضدا لوالده فى أعماله وحروبه ثم غضب عليه لحبسه عام ٢٧٥ هـ ، وخرج من الحبس عام ٢٧٨ هـ فى احتضار أبيه ليحل محله فى إدارة شئون الدولة للخليفة المعتمد ، وبعد قليل توفى المعتمد فبويع المعتضد بالخلافة فى رجب ٧٨٩ هـ :: أكتوبر ٨٩٢ م ، وظل فى الخلافة حتى توفى فى ربيع الآخر عام ٢٨٩ هـ = ٩٠٢ م .

وامتاز عهده بكثرة الحروب مع الخارجين على الخلافه ، وباستقرار أمور الدولة ، واستعادة ماكان لها من هيبة ومجد ، كما امتاز بهذه الإصلاحات الكثيرة التى قام بها المعتضد فى خلافته ، « فسكنت الفتن وهدأ الهرج وصلحت البلدان ورخصت الأسعار »(١) ، وكان المعتضد شهما عاقلا فاضلا قوى السياسة شديدا على أهل الفساد(٢) وكان بخيلا سفاكا للدماء(٣) وفى نهاية الفطنة والذكاء وله قصص كثيرة تدل على سهره على حفظ الأمن(٤) ، وكان السرخسى تلميذ الكندى أستاذه ثم نادمه وخص به ثم قتله عام ٢٨٦ هـ لأنه أفشى بعض أسراره(٥) ، وفى عهده توفى ابن طيفور عام ٢٨٢ وأبو العيناء ٢٨٢ هـ وابن الرومى ٢٨٣ والبحترى ٢٨٤ هـ وسواهم من الشعراء والعلماء ، وهو أول من فكر فى بناء جامعة إسلامية كبيرة ومدينة جامعية واسعة(٦) ، ونقل عاصمة الخلافة من سامرا إلى بغداد عام ٢٧٩ هـ وبعد قليل أقفرت سامرا ، وفى خرابها يقول ابن المعتز :

---

(١) ١٦٧ : ٤ المسعودى .

(٢) ٢٠٢ الفخرى .

(٣) ١٦٨ : ٤ المسعودى .

(٤) راجع ٣٢ — ٣٦ الأذكياء ، ٩٣ : ١ وما بعدها المستطرف ، ١٩٩ : ٢ ثمرات الأوراق بهامش المستطرف .

(٥) ٢٦٥ وما بعدها فهرست .

(٦) ٣١٣ الأدب العباسى لمحمود مصطفى .

قد أقفرت سامرا وما لشيء دوام — الخ

وتزوج المعتضد قطر الندى(١) ، وعاش مرهوبا قوى النفوذ والسلطان.. وقد كان ابن المعتز وثيق الصلة بالمعتضد ، اتصل به وعاش فى بلاطه ، وأخلص لمدحه وفى طاعته ، وأشاد بذكره وبعظمة الدولة فى أيامه ، وببطولة انتصاراته على أعدائها والثائرين عليها ، وجمعت بينهما صلات النسب القريب والسن المتقاربة وصلات الأدب والعلم ، وكان لابن المعتز مكانته الرفيعة عند الخليفة ، فعاش موفور الكرامة ، واتصل بالحياة العامة فى هذه الفترة اتصالا وثيقا ، وهكذا عاش فى وئام مع ابن عمه الخليفة ، وتناسى آماله فى الملك والسلطان المتغلغلة فى أعماق نفسه ، وإن ظل اسمه مسرحا للوشايات والخصومات فى بعض الأحيان .

وشعر ابن المعتز صورة واضحة لهذه الفترة الحافلة ، ولحياة المعتضد وأعماله وهو على عرش الخلافة ؛ ويشرح ابن المعتز فى ارجوزته الطويلة فى الخليفة المعتضد حياته وأعماله والحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى عصره شرحا قويا ممتعا(٢) .

تولى المعتضد الخلافة فهنأه ابن المعتز بها بقصيدته :

زودينا نائلا أو عدينا قد صدقناك فلا تكذبينا

ومنها :

يا أمير المؤمنين المرجى قد أقر الله فيك العيونا
ودعينا نحو بيعة حق فسعينا نحوها مسرعينا
قر فى كفك خاتم ملك لك صاغته الخلافة حينا

ويعيد المعتضد تنظيم جباية الخراج عام ٢٨٢هـ ، فيشيد به الشاعر فى قصيدته(٣)

ألا أيها الربع الذى عطل الدهر عفاك بكائى فيك لم يعفك القطر

ويبنى المعتضد قصره « الثريا » فيهنئه ابن المعتز بقصيدته :

---

(١) راجع ٢٠٣ : ٤ مسعودى ، ٨٧ : ٣ زهر .

(٢) راجع ٨٠ — ١٠٧ رسائل ابن المعتز

(٣) فى ديوان ابن المعتز المخطوط يذكر أنها نظمت فى مدح أبى العباس وأبى الحسين ابن الفرات وذلك خطأ ولا تدل عليه القصيدة

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ولازلت فينا باقيا واسع العمر

ويعود المعتضد من الموصل عام ٢٨٣ هـ بعد أعمال حربية كبيرة فينوه به الشاعر فى قصيدته :

قرب المحب إلى الحبيب الوامق من بعد ما فاتك الفراق بعاشق

ويمدح المعتضد إثر رجوعه بعد قتل البصرى الثائر بقصيدته :

يا صاح ودعت الغوانى والصبا وسلكت غير سبيلهن سبيلا

ويقضى المعتضد على ثورة صالح بن مدرك الطائى عام ٢٨٧ هـ فيذكر ذلك ابن المعتز فى قصيدته :

يا قاتلا لا يبالى بالذى صنعا رميت قلبى بسهم الحب فانصدعا

وفى العام نفسه قضى على ثورة وصيف بالشام فنظم الشاعر فى ذلك قصيدته(١):

قضى وطرا من لذة ونعيم وساق وجلاس وماء كروم

ولابن المعتز فوق ذلك فى المعتضد كثير من القصائد . ومنها قصيدته الرائعة :

هذا الفراق وكنت أفرقه قد قربته للبين أينقه

وقصيدته(٢) :

يا راميا لم يخط لى مقتلا خذ من فؤادى سهمك الأولا

وتوفيت (بريرة) جارية المعتضد أم ابنه إبراهيم فقال فى ذلك قصيدته(٣) :

يا إمام الهدى بنا لابك الهم وأضنيتنا وعشت سليما

ولابن المعتز فى مرض المعتضد وله فى رثائه شعر كثير تجده فى ديوان الشاعر المخطوط وفى كثير من المراجع الأخرى(٤) .

---

(١) فى ديوانه المخطوط يذكر أنها فى عبيد الله بن سليمان وذكر أخذ وصيف ، والقصيدة لا تؤيد أنها فى عبيد الله وهى كلها إشادة بالخليفة

(٢) ١٣٠ الأوراق

(٣) راجعها فى ديوانه المخطوط

(٤) راجع : ١٣١ رسائل ابن المعتز ، ١٩٩ : ٣ وما بعدها زهر ، ١٤٢ : ٢ العمدة وسوى ذلك من المراجع

وبعد فشعر ابن المعتز فى المعتضد يفيض أكثره بالجمال الفنى ، وينم عن وئام واضح بين الشاعر وابن عمه الخليفة ، وعن استقرار فى حياة الشاعر ، وفيه شرح واسع للحياة العامة وللدولة وسياستها فى عهد المعتضد بالله .

ابن المعتز والمكتفى :

ولد على المكتفى بن المعتضد عام ٢٦٤ ﻫ ، ولما توفى والده المعتضد أخذ القاسم ابن عبيد الله الوزير البيعة له وذلك عام ٢٨٩ ﻫ ، وظل فى الخلافة حتى توفى عام ٢٩٥ ﻫ .

وزر له القاسم الذى توفى عام ٢٩١ ﻫ عن نيف وثلاثين عاما ، فاستوزر بعده العباس بن الحسن بن على الذى ظل فى الوزارة حتى قتل عام ٢٩٦ ﻫ .

سار المكتفى فى سياسة الدولة سيراً حسناً ، فداوى أمراضها بالحزم واللين والرفق والشدة جميعا ، وفى عهده قتل بدر القائد غلام والده المعتضد ، وانقرضت دولة بنى طولون بمصر عام ٢٩٢ ﻫ ، كما انقرضت دولة الأغالبة بأفريقيا ، وازداد أمر القرامطة واستفحل شرهم إلى حد كبير .

وكان المكتفى شاعراً(١) ناقداً(٢) وعالما ممتازا وسياسيا بارعاً .

ولى الخلافة وابن المعتز فى الثانية والأربعين من عمره ومات وهو فى الثامنة والأربعين ، والمكتفى كالإبن لشاعرنا ابن المعتز فوالده المعتضد كان ابن عم الشاعر الأمير ؛ وكان توليه الخلافة وحرمان ابن المعتز منها مثار ألم دفين فى نفس الشاعر نطقت به عواطفه الملتهبة فى همس وصمت حيناً بعد حين ، أليس هو الذى يقول :

لئن عريت من دول أراها تجدد كل يوم للكلاب
لقد خلفتها بعد ابتذال لها وملتها قبل الذهاب

ويقول :

نبئت أن قومى قد دفنوا لى مكرا

---

(١) راجع ٢٩٤ معجم الشعراء
(٢) راجع ٢٠٢ : ١ ديوان المعانى

طال عليهم عمرى فاستعجلوا بى القبرا
هل للأغر ذنب إن لم يكونوا غرا

ويقول :

تمكن هذا الدهر مما يسوءنى ولج فما يخلى صفاتى من قرع

ويقول :

من يذود الهموم عن مكروب مستكين لحادثات الخطوب ؟
فهو فى جفوة المقادير لا يأ خذ يوما من دولة بنصيب

ويتمنى أن يكون حظه من الحياة حظ الخامل المجهول :

من يشترى حسبى بأمن خمول من يشترى أدبى بحظ جهول

ولكنه كان كما يقول :

ميت السرائر ضحاك على حنق ما دام يعجز عن أعدائى الحنق

ساخطاً على المجتمع والناس :

خلقت فى شر عصبة خلقت أسكننيها رب السموات

يائساً من الحياة :

وعطل من نفسى مكان رجائها فإن لم يكن موت فكالموت مابيا

وهكذا كانت نفس ابن المعتز تلتهب جوانحها بأعنف الثورات ،

بعد وفاة المعتضد قبض القاسم على ابن المعتز وآخرين من أمراء البيت العباسى وأودعهم السجن ، فلما قدم المكتفى بغداد وتولى مقاليد الخلافة وعرف خبرهم أمر باطلاقهم ووصل كل واحد بألف دينار(١) .

وفى الفترة التى قضاها ابن المعتز فى السجن كتب إلى القاسم قصيدته :

هل من معين على أحداث أزمانى أسأت معتمدا لى بعد إحسان

ونظم قصيدته : اشتكينا حوادث الأيام(٢) ، ثم أرسل وهو فى الحبس إلى المكتفى قصيدة يهنئه ويمدحه ويذكره بحالته ومطلعها :

---

(١) راجع ٩٨ و ١٠٠ : ١٠ تاريخ بغداد ؛ ولابن المعتز :

تعلمت فى السجن نسج التكك وكنت امرأ قبل حبسى ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد وما ذاك إلا بدور الفلك

(٣٠ الاضداد للجاحظ)

(٢) تجدها فى ديوانه المخطوط

تبدى فأين الغصن من ذلك الغصن وبدر الدجى من ذلك البدر فى الحسن

وهذه القصيدة هى التى ذكرت المكتفى به وبمن معه فى الحبس فأطلق سراحهم جميعا .

على أن هذا كله لم يمنع الشاعر من أن يظهر بمظهر الوفاء والطاعة للخليفة ، فوقف فى كثير من المناسبات يشيد بالمكتفى ودولته وبطولته وانتصاراته على خصوم الدولة والثائرين عليها .

يقول فى المكتفى من أبيات كثيرة :

المكتفى دولة مباركة عاش بها الناس بعد ما ماتوا

ويقول فيه قصيدته :

يا حادى الأظعان أين تريد إلى بمن تحدو به الكميد

أشاد فيها به وبانتصاراته على أعداء الخلافة .

كما أشاد بانتصاراته على الخارجى الذى حارب جيوش الخلافة بالشام فقتله المكتفى عام ٢٩١ هـ مما تجده فى ديوانه المخطوط ، وانتصر المكتفى عام ٢٩٤ هـ على القرامطة انتصارا ساحقا وقتل رئيسهم زكرويه فقال ابن المعتز فى ذلك قصيدته الساحرة :

لا ورمان الخدود فوق أغصان القدود(١)

إلى غير ذلك مما نظمه ابن المعتز فى المكتفى وعصره وحياة الدولة فيه وإن كان قليلا بالنسبة لما قاله فى الخليفة المعتضد بالله .

ابن المعتز وبنو وهب .

١ — وبنو وهب أسرة اشتهرت بالكتاب وبلاغة اللسان ، نبغ منها : سعيد وكان يكتب لآل برمك ، وابنه وهب وكتب لجعفر البرمكى ثم للحسن بن سهل ، وحفيداه : الحسن بن وهب م ٢٦٥ هـ وسليمان بن وهب م٢٧٢ هـ الذى وزر للمهتدى والمعتمد وهو والد عبيد الله بن سليمان .

---

(١) ينوه بها الحصرى فى زهر الآداب (٢٦٦ : ٣) تنويها جيلا : ويذكر ديوان ابن المعتز المخطوط أن هذه القصيدة قد مدح بها المكتفى لما أخذ الخارجى بالشام

٢ — ولى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة عام ٢٧٨ هـ وزيرا للمعتضد حتى مات عام ٢٨٨ هـ وكان نابيا حاذقا وسياسيا حفيصا .

وكان ابن المعتز وثيق الصلة به ، قوى الأمل فيه ، كثير الاطمئنان إليه ، ودافع عبيد الله عنه كثيرا ، فأشاد به ابن المعتز فى كثير من شعره ، وشكر أياديه عليه ، مما تجد آثاره ومظاهره فى ديوان الشاعر المخطوط والمطبوع ، وفيه يقول ابن المعتز قصيدته (١) :

ألا حى ربعا بالمطيرة أعجما فلو كلمت أرض إذا لتكلما

ومنها :

أبا القاسم اسلم الزمان وأهله نخير لهم ما دمت فيهم محكما
أبيت إذا نام الخليون ساهرا فأرعى نجوما لا يغورن حوما
وبدلت دارا غير دارى فأصبحت عداتى يخفون الحديث المرجما

والظاهر أنها نظمت فى وشايات كانت تحمل إلى عبيد الله ضد ابن المعتز بعد إقامته ببغداد . ويقول فيه ابن المعتز أيضا قصيدته :

أيا موصل النعمى على كل حالة إلى قريب كنت أو نازح الدار

ويقول أيضا :

كم صنيع شكرته لبنى وهـ ب بدا لى وما اهتديت إليه
وعدو يريد قتلى ولكن يد صنع منهم ترد يديه

وهذا يدل على مدى ما كان يتعرض له ابن المعتز فى حياته من خصومات ومدى دفاع آل وهب عنه كما يقول : ولابن المعتز سوى ذلك مدائح كثيرة(٢) ومراث متعددة فى عبيد الله الوزير مما تجد أكثره فى ديوانه المخطوط ، ومما تلح عليه أثر

---

(١) راجعها ف ٣١ الأوراق

(٢) وقول ابن المعتز

يا جوهر الاخوان وحلية الزمان
عش لى طول عمرى فيك فقد كفانى

الخ بجملها ديوان ابن المعتز المخطوط له فى عبيد الله بن سليمان ، ويجعلها الأوراق له فى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

العاطفة والشعور ، وله رسائل أدبية كثيرة كتبها إليه(١) .

وبعد فقد كان لعبيد الله بن سليمان بن وهب أثر كبير فى حياة ابن المعتز . مما استحق عليه شكر الشاعر ووفاءه له هذا الوفاء البعيد .

٣ - ولما مات عبيد الله عام ٢٨٨ هـ ، عزم المعتضد كما يقول الفخرى على أن يستأصل شأفة أولاده لحضر القاسم واستعان ببدر المعتضدى وتكفل بألفى ألف دينار فاستوزره المعتضد ، وكان القاسم من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء وكان عظيم الهيبة شديد الإقدام سفاكا للدماء(٢) .

وتوفى عام ٢٩١ هـ ، عن نيف وثلاثين عاما كما يقول المسعودى ، وكان شاعرا(٣) .

ولابن المعتز فى القاسم - قبل أن يلى الوزارة وبعدها - مدائح كثيرة ، منها قصيدته :

يا ثالث الوزراء كم من حلقة   للكرب والأحزان قد فرجتها

وقصيدته :

عاد السرور إليك بالأعياد   وسعدت من دنياك بالإسعاد

وسوى ذلك مما يطول بى البحث لو استقصيته كله فى هذا المقام ، ولابن المعتز رسائل أدبية كتبها إلى القاسم يناشده فيها أن يرفع عن ظلمه ويقبل اعتذاره(٤) .

وبعد فإن آثار ابن المعتز الأدبية فى القاسم فى الشعر والنثر لا تدل على صداقة أو إخاء ، إنما هى مجاملة للقاسم الطاغية المستبد الذى كان يتصرف فى أمور الدولة وأرواح الناس كما يشاء ، بل إن رسائله الأدبية التى بعث بها إلى القاسم لتدل على أن العلاقات كانت متوترة بين الرجلين وأن ابن المعتز كانت لا تهدأ له من أجل ذلك نفس أو تطيب له حياة .

* * *

وبعد فهذه صورة لحياة ابن المعتز فى عهد الرجولة أحفل عهد - فى حياة الشاعر - بالآلام والمآسى ، فنتركه ولنصور هذه الأحداث الجسام التى وقعت بعد ذلك بقليل .

(١) ٤٨ و ٥٥ رسائل ابن المعتز
(٢) ٤١٢ : ٤ المسعودى
(٣) ٣٣٧ معجم الشعراء
(٤) ٥٣ — ٥٥ رسائل ابن المعتز

الفصل الخامس

الفصل الأخير من قصة حياة الشاعر

خلافته وقتله

(١)

في سبيل الخلافة .

في عام ٢٩٥ هـ ، مرض المكتفي واشتد به المرض في شعبان هـذا العام ، وكان وزيره العباس بن الحسن يكره أن تصير الخلافة إلى ابن المعتز فاجتهد في تحويلها إلى محمد بن المعتمد ، وبعد قليل أفاق المكتفي فأشار عليه صافي الحرمي بأن يحبس ابن المعتز وابن المعتمد في داره ، فلم يوافق المكتفي .

ولما زاد مرض المكتفي فكر العباس الوزير فيمن يتولى الخلافة بعده من جديد فاستشار رؤساء الدواوين الأربعة الذين يساعدونه : محمد بن داود بن الجراح وأبا الحسن محمد بن عبدون فأشار محمد بن داود بابن المعتز وأشار بن الفرات بجعفر بن المعتضد لأنه صبي يحتاج إلى وزرائه وليبقى نفوذ الوزراء(١) . ثم اشتد المرض بالمكتفي في أول ذي القعدة فعهد بالخلافة بعده لأخيه جعفر ابن المعتضد(٢) . وهكذا اجتمعت رغبة الوزراء على ترشيح جعفر للخلافة رغم أنه مازال طفلا صغيراً(٣) .

ومات المكتفي في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة عام ٢٩٥ فأصبح جعفر خليفة المسلمين بعده وبويع له بالخلافة في اليوم نفسه ، ولقب المقتدر بالله . ونهض بالأمور وتحبب إلى الخاصة والعامة(٤)

---

(١) ١٤ ذيل الطبري (٢) ١٢ المرجع نفسه

(٣) ولد جعفر عام ٢٨٢ هـ وولي الخلافة وهو في الثالثة عشرة من عمره (٢٢٢ : ٤ المسعودي ، وورقة ١٧ الأوراق قسم أخبار المقتدر مخطوط)

(٤) ذيل الطبري

ولكن بعد قليل سرت موجة من السخط والثورة بين القواد والقضاة والكتاب والجمهور ، وزاد من لهب هذه الثورة استبداد وزيره العباس بن الحسن بأمور الخلافة ، لا معارض له فى رأى ولا مشارك له تدبير ولا يهاب الخليفة ولا يفزع منه(١) ، وكثر الطعن عليه والانكار لفعله والهجاء له وقال فيه بعض شعراء بغداد :

يا أبا أحمد لا تحسن بأيامك ظنا
كم رأينا من وزير صار فى الأجداث رهنا
فتجنب مركب الكبر وقل للناس حسنا(٢)

ابن المعتز على عرش الخلافة :

وأشرقت شمس سنة ٢٩٦ هـ ، فاجتمع جماعة من القواد والكتاب على خلع المقتدر وأجمع رأيهم على ابن المعتز فناظروه فى تقلد الخلافة فأجابهم إلى ذلك على أن لايكون سفك دم ولا حرب فأخبروه أن الأمر يسير فى طريق السلام وأن جميع من وراءهم قد رضوا به ، فبايعهم على ذلك سرا ، وكان زعماء هذه الحركة محمد بن داود بن الجراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضى ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الأعجمى ووصيف ، وأخذت هذه المؤامرة السياسية تسير بخطوات واسعة نحو التنفيذ . وصمم الحسين بن حمدان وكثير من القواد على قتل العباس بن الحسن الوزير وخليفته المقتدر ، وبدأوا بالعباس ثقة منهم بأن قتله سيحطم عرش المقتدر ويهدم صرح خلافته فلا يجد بدأ من التسليم . وفى يوم السبت ٢٠ ربيع الأول عام ٢٩٦ هـ ركب ابن حمدان والوزير والأمراء فسل الحسين بن حمدان سيفه وضرب به العباس بن الحسن الوزير وهو سائر فى طريقه إلى بستان له فقتله وقتل معه فاتكا .

ولما قتل العباس وصليت الظهر يوم السبت المذكور وجه محمد بن داود إلى ابن المعتز فأخرجه من داره التى فى آخر « الصراة » إلى دار إبراهيم بن أحمد الماذرائى التى على دجلة والصراة ، ووجه إلى القواد وأخذ البيعة عليهم له ، فأجابه إلى ذلك كثير من قواد الدولة وعظمائها وساروا بابن المعتز إلى دار المكتفى على دجلة

---

(١) ورقة ١٨ الأوراق قسم أخبار المقتدر .
(٢) ١٤ وما بعدها ذيل الطبرى .

وأخذ محمد بن يوسف القاضى وأبو المثنى أحمد بن يعقوب يشهدون على خلع المقتدر نفسه(١) ، وبايع الناس ابن المعتز وسلموا عليه بالخلافة ولقبوه المنتصف بالله(٢) أو الراضى(٣) أو المرتضى بالله(٤) ، أو الغالب بالله(٥) ، واستوزر محمد بن داود ابن الجراح واستخلفه على الجيش واتخذ ابن المعتز يمنا الخادم حاجبا له ، وقلد على بن عيسى الدواوين . وكان ذلك فى يوم السبت ٢٠ ربيع الأول ٢٩٦ هـ(٦) - ١٧ ديسمبر ٩٠٨ م - ٢١ كيهك ٦٢٥ ق .

وجعل الناس يبايعون ابن المعتز بالخلافة ، سوى ابن الفرات وخواص المقتدر كسوسن الحاجب الذى كاتب ابن المعتز ليسلم المقتدر على أن يكون حاجبه ثم رأى يمنا فى منصب الحجابة لابن المعتز فانقلب مؤيداً للمقتدر ومن أول الذائدين عن عرشه(٧) .

وحضرت صلاة مغرب يوم السبت المذكور فضربت دار المقتدر من القصر الحسنى ومن الدار التى كان فيها ابن المعتز ، واستمرت الحال كذلك إلى صلاة العشاء ، وشغل محمد بن داود عن إحكام التدبير بإنفاذ الكتب إلى البلاد بخلع المقتدر وخلافة المنتصف بالله أبى العباس عبد الله بن المعتز ، ووجه محمد بن داود إلى صاحب الكسوة ليبعث بخلع يلبسها أمير المؤمنين وبالبردة ، فرد الرسول بأن المقتدر قد لبسها .

وصلى ابن المعتز بالناس الصبح يوم الأحد ، ثم التفت إلى القضاة والعدول وقال : قد آن للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح ، وقام محمد بن خلف المعروف بوكيع بين يديه وقال : أمير المؤمنين كما قال أبو العتاهية لجده :

أتته الخـــلافة منقادة   إليه تجـــرر أذيالها

---

(١) ورقة ٢٣ الأوراق قسم أخبار المقتدر ، و١٥ ذيل الطبرى .
(٢) ورقة ٢٤ الأوراق ، ١٥ ذيل الطبرى .
(٣) ٤٠٤ : ١١ الطبرى .
(٤) ٨٣ : ١ الدميرى ، ٥ وما بعدها : ٨ ابن الأثير .
(٥) ٢٢١ : ٢ شذرات الذهب ، وراجع ص ٢٤١ : ١ فوات الوفيات ، ٤٦١ : ١ وفيات .
(٦) وهذا ما تجمع عليه كثير من المصادر (٥ و٦ : ٨ ابن الأثير ، ورقة ١٧ الأوراق قسم أخبار المقتدر ، ٤٦١ : ١ وفيات ط ١٣١٠ هـ ، ٢٣٢ : ٢ شذرات ، ٢٧٩ و٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية وسواها) .
(٧) ورقة ٢٤ من الأوراق قسم المقتدر .

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

فرد عليه ردا جميلا وقال ؛ لنسأل الله عونا وتوفيقا (١) .

وذهب الحسين بن حمدان وابن عمرويه صاحب الشرطة صباح الأحد إلى دار الخلافة التي فيها المقتدر فخرج إليهما الغلمان(٢) ووقعت حرب شديد بين الفريقين استمرت إلى منتصف النهار .

وركب ابن المعتز ومعه محمد بن داود وابن عمرويه وكثير من الجند قاصدا قصره الحسني ، ولكن غلمان المقتدر كانوا قد فكوا الحصار المضروب على دار الخلافة وانصرف عنهم ابن حمدون ، ثم حالوا بين ابن المعتز وبين الوصول إلى الحسنى ، ووجه المقتدر بغلمانه ومعهم خاله غريب في الزوارق فلما قاربوا الدار التي فيها ابن المعتز بالحرم ضجوا ورشقوا الدار بالنشاب ففزع أنصار ابن المعتز واضطربوا وضعفت عزيمتهم وهالهم كثرة المهاجمين ، فأخذوا يتفرقون ويفرون .

رأى ابن المعتز هذه الحال وشاهد آثار الهزيمة فركب فرسا ومعه وزيره وحاجبه يمن وهو شاهر سيفه ينادى : يا معشر العامة ادعوا لخليفتكم السني(٣) ؛ وأرادوا السير إلى سامرا لتثبيت عرش ابن المعتز وخلافته فيها ، فساروا نحو الصحراء ولكن لم يتبعهم أحد ، ففكروا في الهرب والاختفاء ، وانتهى أمر ابن المعتز بهذه الهزيمة الساحقة .

كان السبب في ذلك كله المؤامرة التي قام بها الحسين بن حمدان في آخر جولة في المعركة . حيث انسحب من الميدان وفك الحصار عن دار المقتدر فلما جن الليل سار عن بغداد بأهله وماله إلى الموصل وكان هذا مواطأة بينه وبين المقتدر ، وأتاح بها فرصة العمل وحرية الدفاع والهجوم لجيش المقتدر ، على أن من الأسباب الجوهرية في ذلك عدم رضاء الأتراك عن الثورة التي قام بها أنصار ابن المعتز وتصميمهم على القضاء عليها فضلا عن أن أنصار ابن المعتز وأعوانه لم يحكموا التدبير ولم يتبعوا خطة ناجحة مما ساعد خصومهم مساعدة كبيرة ، فوق ما كان يذيعه هؤلاء عن ابن

---

(١) ورقة ٢٥ الأوراق قسم المقتدر .

(٢) كان عند المقتدر من الخدم أحد عشر ألفاً من الروم والسودان .

(٣) ٤٨ : ١ معاهد التنصيص .

المعتز من أنباء وروايات تغضب الرأى العام وتجعله ينفر من ابن المعتز ولا يرضى بخلافته ، وكانت هذه الأسباب وسواها من العوامل فى تلك الهزيمة الساحقة التى منى بها ابن المعتز بعد أن سار به القدر نحو آماله المنشودة العظيمة .

اختفى محمد بن داود وسواه من زعماء هذه الثورة ، ونزل ابن المعتز عن دابته ومعه غلامه وانحدر إلى دار ابن الجصاص(١) .

قلد المقتدر من بدء الهزيمة مؤنسا الخازن الشرطة ، وأحضر ابن الفرات فاتخذه وزيرا وخلع عليه يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول ، وأخذ مؤنس يجد فى القبض على زعماء الثورة ، ونودى فى بغـــداد على محمد بن داود وجعل لمن يرشد إليه عشرة آلاف دينار ، كما نودى على يمن ، وعزل يوسف بن يعقوب وابنه محمد عن القضاء ، ووجه بعض القواد والجند فى طلب الحسين بن حمدان فطلب الحسين الأمان فأعطى له ودخل بعد أشهر بغداد فخلع عليه وعقد له على ولاية « قم » ، وقبض على كثير من زعماء الثورة ، وسلموا إلى مؤنس يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول فترك القاضى أبا المثنى فى دار السلطان وأخذ الآخرين إلى منزله فافتدى بعضهم نفسه وشفع فى البعض فأطلق وقتل الآخرون(٢) ، كما قبض على محمد بن داود وحبس هو وأبو المثنى وابن الجصاص فى ثلاث حجر متلاصقة من دار واحدة ، وفى ليلة فتح على محمد بن داود فأخرج وذبحوه وأخذوا رأسه وجردوا جثته وطرحت فى بئر الدار وبعد ساعة فتح على أبى المثنى فقتل كذلك أيضا(٣) ، وأبو المثنى أول قاض قتل فى الإسلام ، وكان ممن قتل فى فتنة ابن المعتز محمد بن عبدون ووصيف ويمن(٤) ، ونفى على بن عيسى بن داود بن الجراح إلى واسط ، وصودر القاضى أبو عمر وعلى مائة ألف دينار(٥) وبذلك انتهت هذه الثورة السياسية

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن الجصاص الجوهرى ، سعى فى زواج المعتضد بقطر الندى عام ٢٨٢ هـ وكسب من وراء ذلك مالا كثيراً وحبس فى فتنة ابن المعتز وأخذ منه المقتدر ألفى ألف دينار وأطلق سراحه ثم مات عام ٣١٥ هـ .

(٢) ٤٠٥ : ١١ الطبرى .

(٣) راجع ١٠٧ و١٠٨ : ١ الفرج بعد الشدة .

(٤) ورقة ٢ : الأوراق قسم المقتدر .

(٥) ٧ جـ ٨ ابن الأثير .

بالفشل والهزيمة وكان القضاء عليها يوم الأحد ٢١ ربيع الأول ٢٩٦ ﻫ - ١٨ ديسمبر ٩٠٨ م ، ولم يتم الأمر لابن المعتز غير يوم وليلة ولذلك لم يعده المؤرخون من الخلفاء (١) .

القبض على ابن المعتز وقتله :

علم بعض غلمان ابن الجصاص بأمر ابن المعتز فسعى به إلى صافى الحرمى ، وقيل أن سيده أمره بذلك فقبض على ابن المعتز ولاقى الذى لاقاه والده من قبل .

ولا نعلم متى قبض على ابن المعتز على وجه اليقين ويمكننا أن نلخص الآراء فى ذلك فيما يلى .

١ — أنه قبض عليه يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول ٢٩٦ ﻫ .

٢ — أنه قبض عليه فى اليوم الذى قتل فيه — أى يوم ٢ ربيع الثانى ٢٩٦ ﻫ — (٢) .

٣ — أنه قبض عليه قبل قتله بأيام قلائل (٣) ، والراجح الذى نؤيده أنه قبض عليه يوم الأحد ٢٨ ربيع الأول عام ٢٩٦ ﻫ .

أخذ ابن المعتز من دار ابن الجصاص ووضع فى زورق إلى باب الخاصة بدار الخليفة فلما بلغه أخرج حافيا وعليه غلالة قصب فوقها مبطنة إلى الصفرة قليلا ، فلاقاه سوسن عند باب الخاصة ولطمه فانكب على وجهه فقال جماعة : ما معنى هذا ؟ الذى يراد به أعظم ، ولكنه عم الخليفة وابن عمه وابن أخيه ، لانحب أن يستخف به أحد والله لو كان المعتضد حيا وبلغه هذا لقطع يد سوسن ، ثم أدخل إلى الحبس (٤)

---

(١) راجع ١٠٧ و١٠٨ : ١ الفرج بعد الشدة .

(٢) ١٩٢ الأدب العباسى للاسكندرى .

(٣) راجع ١٦ ذيل الطبرى ، وورقة ٢٨ الأوراق قسم المقتدر ، ٢٨٠ دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول .

(٤) ورقة ٢٧ و٢٨ الأوراق قسم المقتدر .

عذب ابن المعتز فى حبسه ثم قتل بأن عصرت خصيتاه كما يقول ابن الأثير (١) وقيل قتل خنقا ، وقيل أخذ ليلا فطرح على الثلج عريانا وحشى سراويله ثلجا فلم يزل كذلك والمقتدر يشرب حتى مات (٢)

أظهر المقتدر أن ابن المعتز مات حتف أنفه ، ثم وجه به إلى داره التى بالصراة فغسل وكفن وصلى عليه أبو الحسين محمد بن الحسن العلوى المعروف بابن البصرى ، وكان جاره وصديقه وصلى عليه خلق من جيرانه وأخواته ، ودفن فى داره (٣) ، أو فى خربة بازاء داره (٤) ، فلما صلح أمر أخيه حمزة بن المعتز وأقطع ما كان لأخيه نبشه وحوله من الدار (٥) .

والصحيح أن قتله كان يوم الخميس ٢ ربيع الثانى عام ٢٩٦ هـ (٦) وذلك يوافق ٢٩ ديسمبر ٩٠٨ م

(٤)

مراثى الشعراء :

وقد رثا ابن المعتز كثير من الشعراء :

١ — فقال ابن بسام الشاعر :

لله درك من ميت بمضيعة ناهيك ناهيك من علم ومن أدب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب

٢ — ورثاه بعض الأدباء فقال :

---

(١) ٧ جـ ٨ الكامل .

(٢) ٨٣ : ١ الدميرى ، وتذكر بعض المصادر أنه سلم إلى مؤنس الخادم فقتله (٩٩ : ١٠ تاريخ بغداد ، ٢٤١ : ١ فوات الوفيات) ، ولما أقاموه فى الجهة التى قتل فيها أنشأ قائلا :

فقل للشامتين بنا رويدا أمامكم المصائب والخطوب

اخ (١٠٠ : ١٠ تاريخ بغداد) .

(٣) ورقة ٢٨ الأوراق .

(٤) ٢٤١ : ١ فوات .

(٥) ورقة ٢٨ الأوراق قسم المقتدر .

(٦) ٤٦١ : ١ وفيات ، ٢٨٠ دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول حيث جاء فيها أنه قتل فى ٢ ربيع الثانى — ٩ ديسمبر ، وهذا صحيح فى التاريخ العربى دون الافرنجى إذ صحته ٢٩ ديسمبر، ولعل ذلك خطأ مطبعى لا غير.

لا يبعد الله عبد الله من ملك سام إلى المجد والعلياء مذخلقا
قد كان زين بنى العباس كلهم بل كان زين بنى الدنيا حجا وتقى
أشعاره زيفت بالشعر أجمعه فكل شعر سواه بهرج وانى(١)

٣ — ورثاه أبو بكر الحسن بن على بن بشار الشاعر المشهور م ٣١٨ ﻫ وكان ينادم المعتضد، وكان بينه وبين ابن المعتز صحبة أكيدة بقصيدة دالية رائعة جملها فى رثاه هر له إخفاء على المقتدر وخوفا منه، وأولها :

ياهر فارقتنا ولم تعد وكنت عندى بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد كنت لنا عدة من العدد(٢)

٤ — ورثاه يحى بن على المنجم بمرثية يقول فيها عبيد الله بن عبدالله بن طاهر : مارأيت مرثية موشحة بالعيوب مطرزة بالهجاء مسداة بالتعنيف، إلا هذه وهى بأن تسمى مثلبة أولى، وهى :

أسيت لفقد الصديق الذى استحال عدوا فمن مسعدى ؟
تجنى الذنوب وخان العهود وأصبح فى صورة المعتدى
وعمى عليه الصواب الهوى فأورده شر ما مورد
ولو كان ثم سداد لما أطاع الغواة فلم يرشد
ومن لم يعر سمعه ناصحيه تردى وضل ولم يهتدى
فأرداه ذلك حتى مضى صريعا وأصبح فى ملحد
فإن أبكه الآن لا أبكه لحسن وفاء ولا سؤدد
ولكن لشعر له رائق لسمع البصير وللمنشد
كثير البديع ولكنه يزيغ عن الكلم الشرد
وفيه نوادر قول أخذن بطرف الشعر والمتلد(٣)

---

(١) ٢٤٢ : ١ فوات .

(٢) راجع القصيدة كلها فى (١٤٠ و١٤١ نكت الهميان، ٣٣٦ و٣٣٧ : ٢ الدميرى، ٢٤٦ و٢٤٧ : ١ فوات ؛ وهى من أحسن الشعر وأبدعه كما يقول ابن خلكان، وتسمى القصيدة الهرية أيضاً، وله غيرها ولكن هذه أشهرها وقد استحسن الشعراء بعده هذا المذهب وعارضوه فيه (١٠٩ : ٣ الرافعى) .

(٣) راجع الأوراق للصولى قسم أخبار المقتدر، وتحامل ابن المنجم على ابن المعتز سببه معروف مما سبق .

وبعد فقد مات ابن المعتز ، وبجمت فيه دولة الأدب والقريض، وترك وراءه دويا استمر صداه واضحا على مر القرون ، وخلد اسمه فى صفحات التاريخ والمجد مع أدباء العربية الخالدين وشعرائها المعدودين رغم أنه لم يزد سنه عن ثمانية وأربعين عاما وبضعة شهورا .

وبذلك انتهت حياة حافلة بالعظمة والكبرياء والمجد والخلود: فرحمه الله وجزاه عن الأدب والشعر خير الجزاء(١) .

(١) راجع عن ابن المعتز أيضاً : ١٣٩ — ١٤٤ تاريخ القطبي — طبع المكتبة العلمية ، وكتاب « من حديث الشعر والنثر » لطه حسين .

الفصل السادس

شخصية ابن المعتز

صفته وأخلاقه :

كان ابن المعتز شديد السمرة مسنون الوجه يخضب بالسواد(١) ، ووصف نفسه فى شبابه فقال :

وشباب كان يعجبنى   وبه قد كنت لعابا
جاه حسن ماردتت به   وشفيع قط ماخابا

ويقول : ملء العيون الغانيات الحور .

وكان شريف الهيئة حسن الأخلاق حسن المذاكرة كثير الاستعمال للطيب لا يفتر عن الشطرنج ولا يخرج أحد من عنده إلا بصلة أو طيب ، وكان كثير الفرح والسرور(٢) .

وكان بيته مراحا ومغدى للعظماء والعلماء والأدباء والخاصة من الناس ، وكان فيه فكاهة وتنادر .

وقد نشأ نبيل النفس دقيق الحس قوى الشعور بالجمال تلمح فيه وفى أدبه لطف الشعور ودقة الطبع وصفاء الخاطر وسلامة الذوق ، وكان ذوقه يجارى أذواق الملوك ولابدع فهو من بيت الخلافة وسلالة المجد ، وله فى ذلك قصص كثير(٣).

وكان يجيد ركوب الخيل ويخرج بها للصيد والنزهة واللهو والحرب ، والمعانى التى تدور حول ذلك كثيرة فى شعره كثرة أوصافه لها ، وقد ألف فى الصيد كتابا سماه : الجوارح والصيد(٤) .

---

(١) ٤٦٣ : ١ وفيات ، ٢٥١ : ١ فوات ، ٢٢٤ : ٢ شذرات الذهب .
(٢) ٢٣٧ تاريخ الشهابى الغرر الحسان .
(٣) راجع ١١٦ الأوراق للصولى قسم أشعار أولاد الخلفاء ، والأغانى ٩:١٤٢ وما بعدها .
(٤) السرخسى م ٢٨٦ هـ تلميذ الكندى كتاب بهذا الاسم أيضاً (٣٦٦ فهرست) .

وكان ابن المعتز متمرنا على أعمال الفروسية وحياة البطولة ومعارك القتال ، ويذكر كثيرا فى شعره اشتراكه فى المعارك وانتصاره على الأعداء :

وجررت الجيش أسحبه   لعدو كان من شانى

ولا غرو فى ذلك فقد كان مهيئا لولاية الخلافة ، ولم يقم أحد من بنى العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية ،(١) .

وكان كريما جوادا ممدحا ، ويذكر كثيرا فى شعره وعلى الأخص فى فخره هذا اللون الاجتماعى والإنسانى من ألوان حياته الخلقية ، كما يقول :

سلى فديتك هل عريت من منى   خلقا وهل رحت فى أثواب منان

ويقول :

وسقيت بالجود الفقير وذا الغنى   والغيث يسقى مجدبا ومريعا

وكان محسدا فى حياته معرضا لخصومات كثير من الناس من أقاربه وغير أقاربه مما يصوره كثيرا فى شعره .

وكان معتدا بنفسه وكرامته وكفايته ولا غرو فهو ابن خليفة ومن سلالة الخلفاء . وكما يقول عن نفسه :

عزمت فما أعطى الحوادث طاعة   وليس يطيع الحادثات فتى مثلى
إذا أنا لم أجز الزمان بفعله   تقلب منى الدهر فى جانب سهل

وكان حنفى المذهب يدل على ذلك قوله فى الخمر المطبوخة :

وقتنى من نار الجحيم بنفسها   وذلك من إحسانها ليس يجحد(٢)

ويقول من قصيدة له فى أول عهده بالشعر :

وإن أشأ فكزيد فى فرائضه   أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل (٣)

وكان سنيا يدعو للعباسيين ويرد على الشيعة (٤) والمعتزلة ، كأبيه وجده

---

(١) ١٣ : ٣ البيان والتبيين .
(٢) ٤٦٣ : ١ وفيات ، ٢٢٤ : ٢ شذرات ، ٢٤٢ : ١ فوات .
(٣) ٢٦٧ : ٢ زهر ، ١٣٣ : ١ معجم الأدباء ، وذيل رسائل ابن المعتز .
(٤) ٢١٢ : ١ ظهر ، ٢٤٢ : ١ فوات .

وعصره الذى نشأ فيه والذى كان يحارب الاعتزال والتشيع ، ولما هرب وأراد السير إلى سامرا نادى حاجبه فى الناس : يامعشر العامة ادعوا لخليفتكم السنى (١)

وكان ابن المعتز مطلعاً على مبادىء المعتزلة من مخالطته لعلمائهم وقراءته لكتبهم وتأثره ببعض آرائهم ، فتراه يقول :

رب أمر تتقيـــه جر أمـــر ترتجيه
فاترك الدهر وسلـــه إلى عـدل يليه

ولكن إيمانه بهذا لم يجعله معتزليا فى رأيه حتى لنراه يهجو اسماعيل بن بلبل الوزير ويذمه بالاعتزال فى أرجوزته فى المعتضد فيقول :

وذكر التعديل والإقامة وقدم النظام أو ثمامة

وكرهه للشيعة وغضبه عليهم واضح فى شعره ، ولقد جرد من شاعريته ولسانه سيفا يناضلهم به أشد نضال ، وكان يعتقد أنهم يعملون على محو الخلافة العباسة ، ويسخط على ما يقومون به من ثورات واضطراب لأن ذلك كان ستارا يعمل من ورائه ذوو الأغراض ليبلغوا هدفهم المنشود . وكان ابن المعتز كأسرته يبالغ فى ذلك عن غير حق وإنصاف .

وبعد فهذه ألوان وسمات لشخصية ابن المعتز رسمناها فى إيجاز بالغ وإجمال شديد لتكون صورة صحيحة لهذا الشاعر العظيم وسلوكه فى الحياة .

مجونه ولهـــوه :

(١)

أثر البيئة فى الشاعر :

عاش ابن المعتز فى بيت الملك ، وربى فى ظلال الترف والنعيم ، وشاهد ما لم يشاهده إنسان من ألوان الحياة فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والعظماء فى سامرا وبغداد ، التى كان تموج بألوان اللهو والترف ، من قيان وندامى ومغنين

---

(١) ٣٧٧ : ٣ خضرى بك ، ١٤٨ : ١ معاهد التنصيص .

وآلات طرب ومجالس راح ، وجوار متعددة الألوان والأجناس . وغلمان عليهم شارة الظرف والجمال ، ونساء كانوا مثلا فى الذوق والسحر ، ولا شك أن ابن المعتز ورث شيئا من اللهو عن أمه الرومية ، وكان اللهو فى القرن الثالث سمة النبل ودليل الظروف والترف والذوق .

وكان لهذه البيئة الخاصة والعامة أثر واضح فى جنوح الشاعر الشاب إلى اللهو وحياته حياة المرح والسرور واللذة .

وضاعف من آثار البيئة حبه لتذوق الحياة وأنسه بمباهجها ولذاتها واضطرام عواطف الشباب المتأججة فى صدره ، فشهر ابن المعتز بحب الصيد وبتذوق الغناء وتلحين الألحان وبشرب الراح ووصف مجالس الندامى وكل ما يتصل بها ، كما تفوق فى الابداع فى وصف عواطف الحب ولذاته وخلاعاته وسوى ذلك مما يعده الناس لهوا ومجونا .

(٢)

ابن المعتز ولذات الراح :

نعـــم شرب الشاعر الراح :

شربنا بالصغير وبالكبير ولم نحفل بأحـــداث الدهور
وقد ركضت بنا خيل الملاهى وقـد طرنا بأجنحة السرور

ولام من عذله فيها :

يا من يفندنى فى اللهو والطرب دع ماتراه وخذ رأيى فحسبك بى

لأن لكل إنسان رأيه وسلوكه فى الحياة :

إذا كان يومى ليس يوم مدامة ولا يوم فتيان فما هو من عمرى
وان كان معمورا بعــود وقينة فذلك مسروق لعمرى من الدهر

إلى غير ذلك مما سنبسط الحديث فيه إن شاء الله فى دراستنا لخمريات ابن المعتز . وللشاعر فوق ذلك أرجوزة طويلة فى ذم الصبوح (١) ، وله باب خاص بالخمريات

---

(١) راجعها فى : ١٠٧ — ١١٤ رسائل ابن المعتز ، ٣٠٦ — ٣١٢ ديوان ابن المعتز ، ٢٥١ — ٢٥٨ الأوراق .

وهو من المجيدين فى وصف الراح ومجالسها وندامائها حتى عده النقاد فى هذا الباب كأبى نواس ، وله فوق ذلك كتاب فى الراح ومجالسها وندامائها وسقاتها وما قاله الشعراء فى شتى معانيها سماه « فصول التماثيل فى تباشير السرور » (١) ، وفيه جدة ومتعة واحتذاء كشاجم فى « أدب النديم » ، والنواجى م ٨٥٩ هـ فى حلبة الكميت ، ولابن المعتز فوق ذلك كتاب الشراب وهو يحتوى على شعر ونثر حول هذا الموضوع ويوجد بمكتبة باريس (٢) ، وهو كتاب ما كان أحوجنا إلى الاطلاع عليه ونحن نكتب هذا البحث ، ولاشك أن ابن المعتز فيه قد احتذى حذو إسحاق فى كتابه الشراب (٣) وابن خرداذبة فى كتابه الشراب أيضا (٤) والجاحظ فى رسالته فى مدح النبيذ التى أهداها للحسن بن وهب (٥) وابن قتيبة فى كتابه الأشربة (٦) » .

ولكن صلته بالراح لم تكن إلا فى عهد الشباب كما يقول الشاعر للائميه فى الشراب :

ولوما مشيبى إن كبرت فإن لى شبابا أصم الأذن لايسمع العذلا

وكما يقول :

وجهلت ما جهل الفتى زمن الصبا والآن قد وعظ المشيب وفوها

---

(١) هو كتاب طريف ممتع تحدث فيه ابن المعتز حديث يجمع بين اللهو والجد والأدب والنقد والتهذيب والتسلية والهزل والبحث، وقصد بتأليفه غرضين : غرضاً فنياً وهوجمع التشبيهات المتصلة بالخمر من الشعر والنثر، وغرضاً اجتماعياً وهو : السلوى بهذا الكتاب عن منادمة الناس الذين فسدت أخلاقهم وسقطت حالهم (راجع ص ٢ فصول) .

(٢) ١٦٣ جـ ٢ زيدان .

(٣) ٢٠١ فهرست .

(٤) ٢١٣ فهرست .

(٥) وهى مطبوعة مع رسائل الجاحظ .

(٦) مخطوط بدار الكتب المالكية ضمن مجموعة مخطوطة (١٦٦ مجامع) ، ويليه قصيدة صفى الدين الحلى م ٧٥٠ هـ فى الرد على ابن المعتز فى مفاخرته للعلويين وأول معارضته :

ألا قل لشر عباد الإله وباغى قريش وكذابها

ويلى ذلك موشحة ابن المعتز ومنه نسخة أخرى خطية (٤٧٩ مجاميع) معها فصول التماثيل لابن المعتز. ومراجع أخرى. وقد نشره كرد على فى مجلة القبس .

ويقول :

سل المشيب سيوفه فسطا على اللذات سطوا

والشراب والعكوف عليه عادة نقلت إلى المجتمع الإسلامى بتأثير الفرس فقد كانوا من قديم يعرفون بالإفراط فى حب النبيذ وكانت الديانة الزرادشتية تبيح شربه بل تجعله من شعائرها فلما قوى نفوذهم فى الدولة العباسية نشروا حياة الأكاسرة وما كان فيها من حضارات ولهو، ونقلوا ما كان لهم من نبيذ وغناء وغزل بالمذكر وما إلى ذلك (١) فتفنن العباسيون فى أنواعه ومجالاته وفى المنادمة عليه (٢) ، وإن كان قد كثر الشراب عند العرب وتعددت أنواعه وأخذوا عمن جاورهم من الأمم أنواعا منه وألوانا من عاداته. وكان بعض الأمويين يشربون كيزيد بن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد الذى كان أول من هام بوصفها ، ولكن العباسيين هم الذين أفرطوا فى ذلك إفراطا شديدا .

وبعد فهل كان ابن المعتز فى شر الراح الا واحداً من أبناء عصره وخلفاء دهره وشعراء قرنه الذين أطالوا فى الراح ولهوها ووصف نشوتها ولذاتها. وأولى بنا أن لا نحمل لهو خلفاء بنى العباس إلا على الوجه الذى يليق بكرامتهم ومجد الخلافة التى يجلسون على عرشها ، فهل نحكم على ابن المعتز بغير ما نحكم به على هؤلاء الخلفاء.

وقد رأيت فى الأغانى ما يثبت ما سبق أن ذكرناه وهو أن ابن المعتز كان يشرب وهو حدث وكان الذى يشربه هو النبيذ كما سبق أن رجحناه ، فقد روى عن ابن المعتز : «كانت جارية الضبط المغنى تنادمنى وأنا حدث ، ثم تركت النبيذ ، فتأخرت عنى فكتبت إليها :

رأيتك قد أظهرت زهدا وتوبة فقد سمجت من بعد توبتك الخمر(٣)

ويقول ابن المعتز : لا فضيلة أعلها من السكر إلا فقدان الهموم وذلك عندى

---

(١) ١١١ و١١٢ : ١ ضحى الإسلام .
(٢) ١٦٩ : ١ المرجع .
(٣) ١٤٥ : ٩ الأغانى .

لا يفى بفقدان العقل(١) ، وهذا هو رأى ابن المعتز فى الراح بعد ما ترك حداثته وشبابه(٢) .

(٣)

ابن المعتز والغناء :

واشتهر ابن المعتز بصوغ الألحان ، « وكان حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وله فى ذلك وفى غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله وغيرهم تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه(٣) ، وكان « ممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وأدبا وشعرا وظرفا وتصرفا فى سائر الآداب(٤) » ، ويعدد صاحب الأغانى ألحانه التى صنعها فى أبيات من شعره والتى ذكرمنها تسعة ألحان(٥) ، ومما استجاده صاحب الأغانى منها صنعته فى شعره :

زاحم كمى كمه فالتويا وافق قلبى قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكتويا يا قرة العين ، ويا همى ، ويا(٦)

---

(١) ١٦ فصول التماثيل .

(٢) ويروى المعرى لابن المعتز (١٨١ رسالة الغفران) :

لاتطل بالكؤوس مطلى وحبسى ليس يومى يا صاحبي مثل أمسى
لا تسلنى وصل مشبي عنى مذ عرفت الخمسين أنكرت نفسى

ثم يقول : فهذا حثه كثرة سنيه على أن يتكثر من السلافة وما حفظ حق الخلافة ، والعجب طمعه فى أن يلى ، كأنه فى العبادة شعب وبلى .

والبيتان ليسا فى ديوانه ، وهو لم يبلغ الخمسين وإنما قاربها ، والبيت الثانى يناقض الأول ففى الأول لهو وفى الثانى روح الزهد والرشاد .

(٣) ١٤١ : ٩ الأغانى .

(٤) ١٤٠ : ٩ الأغانى .

(٥) راجع ١٤٢ : ٩ الأغانى .

(٤) ١٤٢ : ٩ الأغانى ، ويقول أبو الفرج : أراد هنا بقوله « ويا » : ما يقوله الناس فى حكاية الشىء الذى يخاطبون به الإنسان من جميل وقبيح فيقولون: قلت له يا سيدى ويا مولاى ويا ويا ، وكذلك ضده ، ليستغنى بهذا النداء عن الشرح .

كان ابن المعتز يغنيه المغنون والمغنيات ، ويأمرهم هو كثيرا فيغنون ، وكان له غلمان يسمع منهم الغناء ، ومن المغنيات اللاتى له معهن أخبار : هزار وزرياب وبنت الكراعة وخزامى وشريره(١) ؛ ومن الغلمان : نشوان وأحمد ابن أبى العلاء وسواهما ، وله مع هؤلاء وأولئك كثير من الأخبار (٢) ، وكان له مجالس حظ يطلب إليها الفتيان ويستدعيهم(٣) .

على أنه ليس فى الألحان وسماعها وتلحينها ولا فى الموسيقى والطرب بها شىء يعاب به شاعرنا ابن المعتز .

فقد كان الغناء فى عصر ابن المعتز من ضروريات الحياة ، وكان فى الصدر الأول من أقسام فن الأدب .

وكان الكتاب والفضلاء والخواص فى الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه »(٤) ، واشتغل جماعة من الخلفاء من بنى العباس بصناعة الألحان والتلحين وأشهرهم الواثق والمنتصر والمعتز والمعتضد أما أبناء الخلفاء فأول من دونت لهم صنعة منهم إبراهيم بن المهدى ثم أبو عيسى(٥) ابن الرشيد وعبد الله بن موسى الهادى وعبد الله بن محمد الأمين(٦) ، وأبو عيسى ابن المتوكل وعبد الله بن المعتز وغيرهم(٧) .

فلإبراهيم بن المهدى صنعة فى الغناء يتقدم بها كل أحد وكان إسحاق وإبراهيم

---

(١) كان كما يقول صاحب الأغانى مولعا بحبها ويهيم بها وكانت جارية له (٩:١٤٢ الأغانى) ، وشبب بها كثيرا فى شعره ، وله فيها لما تزوجت بابن البقال المغنى :

لئن صرت للبقال يا شر زوجة فلا عجب قد يربض الكلب فى الشمس

(٢) راجع ١٤٢ — ١٤٥ : ٩ الأغانى .

(٣) ٣٠ : ٤ زهر

(٤) ٥٥٤ مقدمة ابن خلدون .

(٥) فى رسالة الغفران (ص ١٤٦) حديث عن مجونه ؛ وكان يستحسن شعره فى البيتين والثلاثة (١٤٧ رسالة الغفران) ، وله ترجمة فى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء (٨٨ — ٩٤) ، وتوفى عام ٢٠٩ هـ .

(٦) راجع ترجمته فى ٩٧ — ١٠١ الأوراق .

(٧) ٣٧ : ٥ التمدن ، ٤٩٤ الأدب العباسى للسباعى بيومى ، ٥٤٣ الأدب العباسى لمحمود مصطفى

يأخذان عنه ويتحاكم المغنون إليه فى صناعته وله كتاب الغناء (١) ، وكان الواثق م ٢٣٢ هـ أعلم الناس بالغناء وكان يصنع الألحان العجيبة ويغنى بها (٢) . وفى الأغانى كثير من صنعته (٣) ، وللخلفاء بعد المتوكل صنعة وألحان ذكرها أبوالفرج فى أغانيه . وكانت عناية الخلفاء وأهله شديدة واتخذوا من المغنين ندماءهم وأغدقوا عليهم العطاء بل ساروا اليهم فى منازلهم كالرشيد إذ زار إبراهيم الموصلى فى داره ليسمع الغناء (٤) . وإذا كان الترف منذ العصر العباسى قد بلغ أقصى الغايات فلابد أن يكون الغناء فيه قد بلغ مثل ذلك ، وأثر فى النهوض بالشعر أوضح تأثير . فالغناء دعا إلى رقة الشعر وأشاعه بين الناس (٥) .

وقد ألفت فى الغناء كتب كثيرة ، والخليل أول من ألف فيه وتبعه إسحاق الموصلى(٦) (١٥٠ — ٢٣٥ هـ) . وكتاب النغم للخليل ، وكتاب أخبار المغنين لإسحاق مشهوران ، كما ألف فيه جحظة وإبراهيم بن المهدى ، ولعبيدالله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ كتاب الآداب الرفيعة فى الغناء والمنادمات ، ولابن المعتز كتاب الجامع فى الغناء وهو مفقود ، وقد استقصى هؤلاء المؤلفون الفن وقواعد النغم وأخبار المغنين ومجالسهم وأخبار الشعراء منهم ، ثم ألف أبو الفرج كتابه الأغانى فى الأصوات المائة التى اختيرت للرشيد ، وهذبت فى عهد الواثق ، ويشيد به ابن خلدون (٧) .

* * *

وبعد : فقد شارك ابن المعتز فى هذا الباب عصره وبيئته والمجتمع الذى يعيش فيه ، فكيف نؤاخذه برأى بعض الناس فى الغناء وسماعه .

---

(١) ١٦٨ فهرست

(٢) ١٣٥ : ٢ المستطرف

(٣) ١٦٢ — ١٧٥ : ٨ الأغانى

(٤) راجع ٥٤٣ الأدب العباسى لمحمود مصطفى

(٥) ٣٩٢ العصر العباسى للسباعى بيومى

(٦) ١٨٧ رسائل الجاحظ ؛ ولإسحاق ترجمة طويلة فى الفهرست (٢٠١ — ٢٠٤)

(٧) ٥٥٤ و ٥٦٦ المقدمة

الفصل السابع

مؤلفات ابن المعتز و ثقافته

(١)

ألف ابن المعتز كتبا كثيرة منها :

١ — كتاب الزهر والرياض
٢ — « البديع
٣ — « مكاتبات الإخوان بالشعر
٤ — « الجوارح والصيد
٥ — « السرقات
٦ — « أشعار الملوك
٧ — « الآداب
٨ — « حلى الأخبار
٩ — « طبقات الشعراء
١٠ — « الجامع فى الغناء
١١ — « أرجوزته فى ذم الصبوح(١)

وهذه الكتب أكثرها مفقود و نشير إلى الموجود منها :

١ — كتاب البديع طبع بأوروبا عام ١٩٣٥ وطبعناه بشرح واسع عام ١٩٤٥ ، وقد ألفه ابن المعتز عام ٢٧٤ ﻫ

٢ — طبقات الشعراء (٢) نشره عباس إقبال بأوروبا عام ١٩٤٢ . وكنت عازماً على نشره من جديد لولا أن بعض الأدباء قام بهذا العبء وهو عبد الستار فراج.

---

(١) ١٦٩ فهرست ، شذرات ، ٢ : ٤٦٢ : ١ وفيات ، ١٩٤ العصر العباسى للاسكندرى ، ١٦٣ : ٢ زيدان ، ٤ مقدمة ديوانه طبع بيروت

(٢) ورد ذكره فى كشف الظنون (٨ ج ٢ ، وفى دائرة المعارف الإسلامية «طبقات

٣ — أرجوزته فى ذم الصبوح(١) .

٤ — وكتابه أشعار الملوك يوجد فى مكتبة المستشرق اهيورات(٢)

٥ — وكتاب الآداب منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى(٢)

هذا ولابن المعتز كتب أخرى نشير إليها :

١ — ديوان شعره ، طبع بمصر عام ١٨٩١ فى جزءين ثم طبع ببيروت عام ١٣٢٢ هـ مرة أخرى بشرح لغوى موجز فى جزء واحد ، والديوان المطبوع لا يحتوى على كل شعره ، وبدار الكتب الملكية نسختان مخطوطتان كاملتان من ديوانه ، وطبعه مستشرق ألمانى فى أربعة أجزاء فى استامبول .

٢ — رسائل ابن المعتز لم يجمعها أحد من قبل ، وقد قمت بجمعها من شتى المصادر ونشرتها عام ١٩٤٦ .

وتشمل ما يأتى :

ا — آثاره فى النقـــد الأدبى ومنها رسالته فى محاسن ومساوىء شعر أبى تمـام(٣)

ب — رسائله الأدبية ونثره الفنى .

جـ — حكم وآداب ومنها جزء كبير من كتابه الفصول القصار (٤) .

=الشعراء المحدثين » ولم يبق منه غير جزء واحد (٢٨٠ المجلد الأول) ، ومنه نسخة خطية بالاسكوريال رقم ٢٧٩ بعنوان المختار من طبقات الشعراء لابن المعتز (راجع معجم المخطوطات العربية) ، واسمه فى آداب اللغة لزيدان (١٦٣ : ٢) مختصر طبقات الشعراء : واسمه فى النسخة التى نشرت بأوربا « طبقات الشعراء فى مدح الخلفاء والوزراء »

(١) راجعها فى : ٣٠٦ — ٣١٢ ديوانه ، ٢٥١ — ٢٥٨ الأوراق ، ١٠٧ — ١١٤ - رسائل ابن المعتز

(٢) ١٦٣ : ٢ زيدان ، وللعتابى كتاب بهذا الاسم (٤٣٩ الفهرست) وكذلك لابن الحرون (٢١٢ فهرست)

(٣) راجعها فى ٣٠٧ — ٣١٩ الموشح ، ويشير إليها ابن رشيق إشارة عابرة (٢٥٥ : ١ العمدة)

(٤) أشار إليه ابن المعتز فى كتابه البديع (ص ٩٠) وأشار إليه الشهاب الخفاجى ونسج على منواله فى كتابه « الفصول القصار فى نتائج الأعمار » (٢٨١ ريحانة الالبا) ، وذكر=

د — أرجوزته فى ذم الصبوح وشرح لأرجوزته فى الخليفة المعتضد م ٢٨٩هـ(١)

هـ — ثم الفهارس وبعدها جزء كبير من شعره الذى لم ينشر من قبل فى ديوانه المطبوع .

وقد عنيت بذكر المراجع التى نقلت منها ، وبإخراجه فى أجمل ثوب وأدق ترتيب .

٣ - فصول التماثيل فى تباشير السرور ، ومنه نسختان مخطوطتان بدار الكتب ١٦٦ و ٤٧٩ مجاميع) ، والنسخة الأولى بخط عبد الحليم بن أحمد وكتبت عام ١٢٠٥ هـ ، والنسخة الثانية حديثة بخط محمود صالح ، ومن الكتاب نسخة خطية بمكتبة براين(٢) ، وقد طبع الكتاب عام ١٩٢٥ بالقاهرة : وينقل عنه صاحب كتاب سدرة الأدب فى متشابهات العرب كثيراً دون إشارة إليه إلا قليلا .

٤ — ولابن المعتز كتاب من جمعه وتأليفه فى أخبار عريب المغنية(٣) وينقل عنه أبو الفرج كثيراً فى ترجمته لعريب (٤)

٥ — كتاب الشراب شعر ونثر وهو فى مكتبة(٥) باريس .

٦ — وترجم جزءاً من شعره وحياته إلى الألمانية لانغ الألمانى وطبعه فى المجلة الألمانية الشرقية عام ١٨٨٦ م(٥) ، ونشر لانغ أرجوزته فى تاريخ المعتضد وشرحها وترجمها إلى الألمانية(٦) ، ولعل الجزء الذى نشره من شعره كما يقول زيدان هو ترجمته لأرجوزته فى المعتضد التى تذكرها دائرة المعارف ،

= الشهاب كتابه فى الريحانة (٢٨١ — ٢٨٥ الريحانة) ؛ وينقل الحصرى فى زهر الآداب والصولى فى الأوراق كثيرا من الفصول القصار لابن المعتز ، كما ينقل عنه كثير من المراجع الأخرى.

(١) تقع فى ٤١٨ بيتا وهى فى ديوانه ونشرت وحدها عام ١٩١٣ وقد ترجمها إلى الألمانية وشرحها لانغ الألمانى عام ١٨٨٦ م ، وهى صورة مصغرة لشعر الملاحم كالإلياذة والشاهنامة وسواها

(٢) ١٦٣ : ٢ زيدان

(٣) ١٧٧ : ١٨ الأغانى

(٤) ١٧٥ — ١٩٤ : ١٨ الأغانى . وكانت عريب من أحسن النساء وجها وأفصحهن لسانا وكانت شاعرة مفلقة (٢٠٠ طبقات الشعراء لابن المعتز) وكان المأمون أعتقها

(٥) ١٦٣ : ٢ زيدان

(٦) ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية

وقد فعل مثل ذلك لوث ، وطبعه فى ليبسك عام ١٨٨٢ م . ولابن المعتز قصائد متفرقة فى مكاتب برلين وغوطة .

وبعد فؤلفات ابن المعتز ثروة أدبية رائعة تنم عن أدب واسع وثقافة كبيرة وإحاطة تامة وانصراف إلى العلم والأدب والشعر جد كبير .

(٢)

حول فصول التماثيل :

ورد فى الفهرست أن لحمزة بن الحسن الاصفهانى كتبا منها : كتاب التشبيهات وكتاب التماثيل فى تباشير السرور (١) ، وكتاب ابن المعتز اسمه فصول التماثيل فى تباشير السرور ، ولم يرد ذكره فى الكتب التى أشارت إلى مؤلفات ابن المعتز .

وأسلوب الكتاب أسلوب قد يحمل القارىء على الشك فيما إذا كان عصر ابن المعتز يألف مثله ، ففيه ألوان من السجع المنمق تطالعك فى مقدمة الكتاب وشىء من فصوله .

ولكنا مع ذلك نؤمن بأن الكتاب المطبوع صحيح النسبة لابن المعتز ، والأدلة على ذلك كثيرة :

١ — ليس فى وجود كتاب بهذا الاسم أو قريب منه لحمزة الأصفهانى ماينفى وجود كتاب آخر بالاسم نفسه لابن المعتز .

فقد رأينا أن لكثير من المؤلفين كتبا باسم « الشراب » و « الآداب » و « الصيد والجوارح » . ولكثير من العلماء كتب باسم « معانى القرآن» و « معانى الشعر » ، وغير ذلك .

٢ — وليس فى عدم ذكر الكتاب فى المصادر التى أشارت إلى كتب ابن المعتز ماينفى نسبته عنه ، فالفصول القصار مثلا من مؤلفاته قطعا ولم يرد ذكره فى هذه المصادر ، وكذلك كتابه فى « غريب» ورسالته فى أبى تمام ، على أن المصادر التى

---

(١) ١٩٨ فهرست . وأبو الحسين حمزة الاصفهانى هو الذى جمع شعر أبى نواس ونقده (٦٥ : ٢ زيدان) وهو من أهل العصر العباسى الثانى (١٧٧ : ٢ زيدان) ، وله كتاب سنى ملوك الأرض والأنبياء طبعه غوتوالد مع ترجمة لاتينية فى ليبسك ١٨٤٤ — ١٨٤٨ م

عنيت بذكر مؤلفات ابن المعتز تصرح بأن له كتبا كثيرة وأن ماذكرته هو بعض كتبه ، ونص عبارة ابن النديم التى نقلها كل الباحثين بعده هو « وألف ابن المعتز كتبا كثيرة منها . » (١)

٣ — وليس فى السجع الموجود فى مقدمة الكتاب وفصوله ماينفى نسبته لابن المعتز ، فإن أسلوب ابن المعتز كان يزدان كثيرا بالسجع ، وروح السجع فى التماثيل هى نفس الروح التى نجدها فى كتابه « طبقات الشعراء » الذى لايشك أحد فى نسبته إليه .

وقد تكون مقدمتا الكتابين من أسلوب بعض الرواة أو النساخ الذين عنوا بالكتابين ، فقد كانوا يبدأون نسخ الكتب أو روايتها بمقدمة فى حمد الله يكتبونها ثم تمر الأيام فتدمج هذه المقدمة فى الكتاب المروى وتسير على أنها من أسلوب المؤلف نفسه ، على أن السجع لم يكن بدعة فى القرن الثالث فقد كان بعض الكتاب يسجعون ولكنه كان سجع الفطرة والجمال والطبع وقوة الملكة فى البيان والذى يرمى إلى الحقائق القريبة لا إلى تصوير النزعات الفكرية والعقلية، وكان قصير الفقرات يتخلله ألفاظ يترك فيها السجع إلى الازدواج ، وفى وصية أبى تمام للبحترى(٢) شاهد على ظهور السجع واضحا فى القرن الثالث ، سواء قلنا إنها نفس أسلوب أبى تمام أو إنها بأسلوب البحترى تصويرا لفكرة أبى تمام ، وإذا ذهبنا إلى أن الكتاب لحزة الاصفهانى فالمسألة كما هى من ناحية ظهور السجع فى أسلوب الكتاب لأن الحسن ممن عاشوا فى القرن الثالث الذى عاش ابن المعتز أيضا فيه ، على أن السجع لايملأ الكتاب كله ، بل إنما تجده فى الموضوعات الفنية التى تثير روح الفن فى نفس ابن المعتز ، فيقف أمامها كالفنان ليعادل بين جمالها وجمال الأسلوب الذى يتحدث عنها ويصفها ، وفيما عدا هذه الموضوعات تجد أسلوبا علميا يسير وراء العقل ويبعد عن السجع الذى تحركه العاطفة وأيدى الفن الذى يشيع فى نفس الكاتب ، وتجد أمثلة لذلك فى شتى فصول الكتاب(٣) ، وهذا الأسلوب المرسل أكثر بكثير مما فى الكتاب من أسلوب مسجوع .

---

(١) ١٦٩ فهرست

(٢) راجعها فى : ١٥١ : ١ زهر ، ١٠٩ : ٢ العمدة

(٣) راجع ص ٧١ و ٩٦ فصول التماثيل مثلا

٤ — وفى الكتاب أدلة كثيرة تثبت أنه لابن المعتز :

(ا) يذكر عقب كلام له ما نصه : « وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا البديع »(١)

(ب) ويروى كثيراً من شعره الذى ينسبه ابن المعتز لنفسه مصرحا باسمه(٢)

(ج) ويذكر فيه اسمه ولقبه كثيراً(٣) مما لا يدع مجالا للشك فى نسبته إليه .

(د) والكتاب يتحدث عن التشبيهات التى قالتها العرب فى الراح وكل مايتعلق بها ، فموضوعه الأول ذكر التشبيهات الرائعة الواردة فى باب الخمريات وأسلوبه فيه يكثر فيه التشبيه . وهذه هى روح ابن المعتز وسمة من سماته التى يعرف بها ، وتميزه وحده عمن سواه ، وهى العناية بالتشبيه والإكثار منه وقصده فى الأسلوب .

(ه) وجميع الأعلام الواردة فى الكتاب لا تتجاوز عصر ابن المعتز ، ويشير فيه أحيانا إلى المعتضد(٤) .

(و) يقول النواجى م ٨٥٩ ه فى حلبة الكميت : قال ابن المعتز : ومن خاصة الشراب جودة الهضم(٥) الخ . وهذه العبارة تجدها فى فصول التماثيل(٦) .

وبعد فلا نشك فى نسبة هذا الكتاب لابن المعتز ، وابن المعتز يذكر فيه اسم المعتضد ويلقبه أمير المؤمنين(٧) ، وذلك مما يدل على أنه ألف فى عهد الخليفة المعتضد بالله م ٢٨٩ ه أو بعد عهده بقليل .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أنه كان لابن المعتز وراق يكتب له كل ما يريده(٨) ، والوراق يعدل (السكرتير) اليوم ؛ ولاشك أن ذلك كان مما يساعد ابن المعتز على الإنتاج وكثرة التأليف .

---

(١) ٩ فصول التماثيل

(٢) راجع ص ٨ و١٢ و ٣١ و ٣٢ من الكتاب

(٣) راجع ص ٩ و ١٥ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣١ و ٣٥ و ٥٦ و ٧٠ و ٨٥ من الكتاب

(٤) ص ١٥ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ من الكتاب

(٥) ص ١٣ حلبة الكميت للنواجى

(٦) ص ١٢ فصول

(٧) ١٥ و ٢٠ و ٤٦ فصول

(٨) راجع ٦ مقدمة ديوان البحترى

(٣)

ثقافة ابن المعتز :

١ — كان ابن المعتز واسع الثقافة غزير الاطلاع كثير البحث والكتابة والتأليف وأجمع على ذلك جميع الباحثين .

فقد كان مخالطا للعلماء والأدباء معدودا فى جملتهم (١) ، تأدب على شيوخ العربية فى عصره فنشأ ولوعا بالأدب (٢) بارعا فيه غزير الفضل (٣) ، ونشأ فى الرواية والسماع فكان يكثر فى مجالسه من حدثنا وأخبرنا (٤) وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم (٥) وكان يلازم كبار العلماء والشعراء وأعلام الأدب فى بغداد، وأخذت مصنفاته الأدبية تلفت إليه الأنظار يوما بعد يوم (٦) ، ولا غرو فقد ولد فى بيت الخلافة وربى تربية الملوك وشغف من صغره بالعربية والأدب وأخذ عن المبرد وثعلب والدمشقى وغيرهم (٧) ، وكان متعلما بقراءة الكتب وتواريخ من سلف حاويا زبدة العلوم والفنون والأدب (٨) ، إلى غير ذلك مما وصفه به الباحثون .

٢ — ونبغ ابن المعتز فى الشعر وأجاد فيه ، وكان مترسلا وكاتبا بليغا ، يقر له العلماء بالبيان والبلاغة ، وكان ناقدا واقفا على خصائص الأدب والشعر والبيان

---

(١) ٢٢٢ : ٢ شذرات ، ٤٦١ : ١وفيات ، ٨٣ : ١ دميرى، وراجع١٦٢ و١٦٣ : ٢ زيدان

(٢) ٢٧٥ الأدب العربى للزيات

(٣) راجع ٥٩٩ نزهة الالبا

(٤) كان راوية للادب وفى أصول الأدب كثير من الروايات له (راجع مثلا : ٩٤ : ٥ و ١٠٩ : ٦ معجم الأدباء و ٩٧ و ١٠١ — ١٠٤ و ١٢٣ : ٩ الأغانى ، ١٩٠ : ١ و ١٨٧ : ٢ زهر الآداب)

(٥) ١٠٧ الأوراق

(٦) ٢٧٩ و ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية

(٧) ١٩١ الاسكندرى

(٨) ٢٣٧ الغرر الحسان للشهابى

وله آثار كثيرة فى الشعر والكتابة والنقد ، وذلك كله دليل على سعة ثقافته الأدبية والعربية التى كان من أساتذته فيها المبرد وثعلب .

وكان حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وله كتب مشهورة (١) ، وله صنعة فى الغناء أجاد فيها وأحسن وبرع وتقدم جميع عصره (٢) .

وله ثقافة فى التاريخ يشهد بها شعره وأرجوزته فى تاريخ المعتضد وكل الباحثين الذين وفوا ابن المعتز حقه من البحث .

وله ثقافة فى علوم الدين تثقف بها من صغره على يد أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقى وسواه كما تشهد بذلك قصيدته التى بعث بها إلى أستاذه (٣) .

وله ثقافة فى علم الكلام يشهد بها كثرة اقتباسه فى شعره من مصطلحات المتكلمين فتراه يقول :

هواى هـــوى باطن ظاهر قديم حديث لطيف جليل (٤)

ويقول فى الراح :

من كل جسم كأنه عرض يكاد لطفا باللحظ ينتهب

ويقول فى أبى الصقر :

وذكر السعود والنحوسا والجوهر المعقول والمحسوسا
والعرض الظاهر التجسيم والقول فى طلائع النجوم
وقـــدم النظام أو ثمامة وذكر التعديل والاقامة

وله إلمام بعلم النجوم يشهد بذلك كثرة أوصافه للكواكب والنجوم والسماء ومظاهر الطبيعة فى شعره كثرة غير مألوفة عند الشعراء ، وكان العلم بالنجوم سمة الأدباء والنبلاء فى عصر ابن المعتز .

٣ — وبعد ، فهل كانت ثقافة ابن المعتز ثقافة عربية خالصة أم ثقافة تجمع إلى الثقافة العربية الاسلامية الثقافات الأخرى المترجمة .

---

(١) ١٤١ : ٩ الأغانى
(٢) ١٣٩ : ٩ الأغانى
(٣) ١٣٣ : ١ معجم الأدباء
(٤) ويروى لابن المعذل أيضا (٧ : ٢ العمدة)

اختلف فى ذلك الباحثون :

(ا) ففريق يرى أنه درس شتى العلوم والثقافات ومنها الفلسفة ، فقد شارك فى أكثر العلوم النقلية والعقلية (١) ، ولم يكن علم يعرفه أئمة عصره وفلاسفة دهره إلا مهر فيه وألم به حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتابها (٢) ، فقد قرأ الأدب وعلوم الأوائل على مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقى (٣)، وكان ابن سعيد متفلسفا (٤) ، وهكذا تثقف ثقافة جمعت فيها علوم الأوائل والأواخر فاقتطف من كل فن ماشتهى ، (٥)

(ب) وفريق يخالف هؤلاء فى الرأى ، فيقول باحث منهم : ويظهر أنه لم يكن يأخذ نفسه بحظ واسع من الفلسفة والثقافة الأجنبية ، إنما انحصرت ثقافته أو كادت فى حدود الثقافة العربية ، واستدل على ذلك بقصيدة ابن المعتز التى أرسلها إلى أستاذه ابن سعيد والتى يقول منها :

سربلتنى حكمة قد هذبت شيمى وأججت نار ذهنى فهى تشتعل
أكون إن شئت قسا فى خطابته أو حارثا وهو يوم الحفل مرتجل
وأن أشأ فكزيد فى فرائضه أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل (٦)
أو الخليل عروضيا أخا فطن أو الكسائى نحويا له علل (٧)

وفى كلام هذا الكاتب قلق واضطراب وعدم استقرار فى الفكرة التى يريد أن يؤيدها كما يراه من يرجع إلى كلامه ، وفيه خطأ فى الاستدلال بهذه القصيدة على لون ثقافة ابن المعتز ، فان المرجع الذى روى هذه القصيدة والذى نقل عنه هذا

---

(١) ٢٧٥ تاريخ الأدب العربى للزيات

(٢) ١٩١ تاريخ آداب اللغة فى العصر العباسى للاسكندرى ، ٢٧٠ الوسيط

(٣) ٧٤ تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية

(٤) ٢٠ الوسيط

(٥) ١٩ تراجم الشعراء والكتاب

(٦) قس : حكيم جاهلى مشهور ، والحارث هو الحارث بن حلزة اليشكرى الشاعر المشهور ، وزيد هو زيد بن ثابت كاتب الوحى لرسول الله والمتوفى عام ٤٣ هـ ، ونعمان هو أبو حنيفة النعمان م ١٥٠ هـ وإمام فى الفقه والتشريع

(٧) راجع ١٤١ و ١٤٢ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

الكاتب يذكر أنها لابن المعتز وهو فى الثالثة عشرة من عمره (١) ، فكيف يستدل بها على ثقافة الشاعر . ويجعل باحث آخر ابن المعتز من أظهر الأمثلة لطائفة الشعراء والأدباء الذين درسوا الأدب قديمه وحديثه فأخذوا القديم عن اللغويين ولكنهم عنوا بالمحدث وحفلوا به (٢) وأذواقهم تنحدر من أصول عربية محضة أوعربية خالطها شيء مما جاء به الموالى ولم تبهرها كاللغويين المعارف الأجنبية ولم تقبل فى الدراسة إلا على ما هو عربى (٣) .

(ج) ونحن لايعنينا من الرأى الأول إسرافه ودعواه بأن ابن المعتز أحاط بكل علم من علوم الفلسفة ، ولا يرضينا من الثانى دعواه بأن ثقافته عربية خالصة مع عجزه عن إقامة الدليل على ما يقول .

سأحاول أن أوضح هذه الناحية الغامضة فى حياة وشخصية شاعرنا عبد الله ابن المعتز .

لقد عرفنا مما سبق أن والدة ابن المعتز من عنصر رومى ، ولا شك فى أن لهذا العنصر خصائصه فى الاتجاه والتفكير .

وفى طفولة الشاعر عكف على دراسة القرآن والدين والأدب مما يصوره بوضوح فى قصيدته التى بعث بها إلى أستاذه ابن سعيد .

وفى بدء شبابه اتصل الشاعر ببيئات اللهو وعاش عيشة حرة من كثير من القيود فنادم الظرفاء الذين لايعنون إلا باللهو دون ما سواه من مقومات التفكير :

ولا حاسبا تقويم شمس وكواكب ليعرف أخبار الدلو من أسفل
يقوم كحرباء الظهيرة مائلا يقلب فى اسطرلابه عين أحول

وشغل بالأدب والعربية مع علوم الدين :

شغلى إذا ما كان للناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل

وبعد ذلك نجد الشاعر مهتما بالنجوم ومظاهر الطبيعة البعيدة وبوصفها فى شعره ، مما يدل على أنه قرأ كثيرا وتأثر بما قرأ إلى حد كبير .

---

(١) ١٣٣ : ١ معجم الأدباء
(٢) ١١٦ تاريخ النقد الأدبى عند العرب
(٣) ١١٧ المرجع .

ثم نجده يتصل بالعلماء والأدباء ويختلط برجال الفكر ويصادق المشتغلين بالعلوم العقلية كعلى بن المنجم وابنه يحيى بن على وكعبيد الله بن طاهر ، وكجعفر ابن قدامة وسواهم ، ونجده يتصل بحنين بن اسحاق ويسأله عن أشياء ويكتب رأيه فيها فى كتابه فصول(١) التماثيل كما أنه لايشك قداتصل بالسرخسى الفيلسوف تلميذ الكندى وأستاذ المعتضد ونديمه ، ونجده فوق ذلك يخرج كتابه الفصول القصار ، وفيه حكم اجتماعية وسياسية وخلقية تشبه حكم ابن المقفع ويظهر فيها أثر الثقافة الفارسية ، ونجد فى شعره فى هذه الفترة آثارا كثيرة واضحة من الحكم العميقة ، وأساليب التفكير البعيدة ، ونزعات العقل الحر الواسع الأفق والاتجاه المتأثر بفلسفة الحياة وأسباب الثقافات المترجمة ، كما نجده يخرج كتابه « فصول التماثيل » صورة لعقليته الناضجة المتأثرة بالثقافة اليونانية ، المترجمة بعد عصر الشباب . حيث ينقل فيه عن أهل الحكمة والحكماء(٢) وعن الاطباء(٣) وعن جالينوس(٤) ويعرض آراءه فيها دقة وعمق وتأثر كبير واضح بالعلوم الحديثة ، ثم تجده ينظم أرجوزة فى تاريخ المعتضد مما يدل على عقلية خصبة جديدة استطاعت أن تنظم التاريخ وأحداثه وتخضعهما لصبغة الفن وذوقه .

كل ذلك يدلنا على أن ابن المعتز إذا كان قد اقتصر على الثقافة الأدبية وحدها فى بدء شبابه فقد أكمل ثقافته وقرأ شتى الثقافات وخالط رجالها وأفاد منها وتأثر بها إلى حد كبير بعد صبوة الشباب وعهد لذاته حتى أشاد أبو الفرج بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه فى كل فن من العلوم(٥) ، ففى عقلية ابن المعتز وثقافته ألوان ثلاثة : عربى مستمد من الأصل والبيئة والاتجاه ، وفارسى مستمد من شيوع الثقافة الفارسية فى عصر ابن المعتز وكثرة العناصر الفارسية التى كانت تعمل على تلوين الفكر الاسلامى بصبغتها ، ويونانى مستمد من أثر الوراثة عن والدته ، ومن العلماء والفلاسفة الذين خالطهم الشاعر وتأثر بهم ومن ذيوع الثقافة

---

(١) راجع ٢٤ و٢٥ فصول .
(٢) ١٥ و١٩ و٢٠ و٢٣ و٦٧ .
(٣) ١٧ و٢٤ و٣٦ و٧٠ فصول .
(٤) ٢٧ و٤٠ و٨٦ و٨٨ — ٩٠ فصول
(٥) ١٤١ : ٩ الأغانى .

اليونانية وانتشار موجة الفلسفة فى عصره وخاصة فى عهد المعتضد بالله ، ولكن ابن المعتز على أى حال لم يعش فيلسوفا ولا حكيما وإنما عاش أديبا وشاعرا قبل كل شيء .

٤ — وبعد فانتاج ابن المعتز الأدبى بعد عصر الشباب مفعم بالنزعات الجديدة فى تفكير الشاعر وعقليته وثقافته وتقرأ أمثال قصيدته :

يا غزال الوادى بنفسى أتنا لا كما بت ليـــلة الهجر بنا

فتجد نفسك أمام صورة كاملة من الفن تنم عن روح قوية وملكات خصبة وعقلية من طراز خاص .

ويطول بنا البحث لو عرضنا أمامك آثار التفكير العقلى فى إنتاج الشاعر الأدبى بعد عصر الشباب ، فلنكتف بذلك الآن فى هذا الموضوع .

وبعد فإن لنشأة الشاعر وبيئته وحياته وصلاته بأجواء الحياة الأدبية والعلمية والاجتماعية فى عصره اتصالا وثيقا ولخبرته العامة وتجاربه الواسعة . لكل ذلك أثره البعيد فى عقلية الشاعر وثقافته ، ولكن مهما قيل عن ابن المعتز فهو شاعر أولا وعالم ممتاز فى الصف الأول من علماء عصره أخيرا .

الباب الثالث

شعر ابن المعتز

الفصل الأول

شعر ابن المعتز

(١)

تمهيد ما هو الشعر ؟ :

عرفه أرسطو بأنه كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية . والمخيل هو الكلام الذى ينفعل له الإنسان انفعالا نفسانيا غير فكرى(١) . وعرفه قدامة وابن رشيق بأنه كلام موزون مقفى يدل على معنى(٢) . ويقول المعرى الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانه الحس(٣) . ويقول ابن خلدون: الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارات والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله و بعده الجارى على أساليب العرب المخصوصة (٤) . والشاعر من شعر يشعر وإنما سمى شاعرا لأنه يشعر من معانى القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس شاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى(٥) . فإذالم يكن عندالشاعر توكيد معنى ولا اختراعه او استظرافه وابتداعه كان إطلاق اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن(٦) ويعرفه المحدثون بأنه الكلام المنظوم الذى يعتمد فيه صاحبه على الخيال ويقصد فيه إلى الجمال الفنى(٧) ، وبأنه الكلام الموزون المقفى

---

(١) راجع الفن التاسع — الشعر — من الشفاء لابن سينا .

(٢) ١٣ نقد الشعر و ٩٩ : ١ العمدة .

(٣) ٥٥ رسالة الغفران للمعرى .

(٤) ٥٧٢ مقدمة ابن خلدون .

(٥) ٧٧ نقد النثر .

(٦) ٩٦ : ١ العمدة

(٧) ٣٢٧ الأدب الجاهلى .

الذى يصور العاطفة (١) . ويعرفه الرصافى بأنه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الالفاظ(٢) انعكاسا يؤثر فى النفوس . ويقول آخر : هو الحياة باكية وضاحكة ناطقة وصامتة(٣) . ويقول أرنولد: هو كان للغة البشرية فيه يقرب الإنسان من الحق ويحسر على أن يفوه به(٤) ويقول كارليل الشعر الحقيقى هو الموسيقى الازلية التى يسمعها الشاعر من وراء الوجود(٥) . ويقول غيره : هو المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الأشياء (٦) .

وبعد فالشعر إلهام يفيض على القلب من عالم الروح ويلبس ثوبا من الخيال الساحر . وينطق بلغة العاطفة الشاعرة ويحدث آثارا بعيدة فى المشاعر والوجدان، ويستشف معانى الحياة فى كل شىء نفكر فيه أو نحس به فى هـــذا الوجود . والشاعر ملك يغنى على قيثارة الفن الخالدة ليبعث معانى الطفولة السامية الوصوفية المتبتلة فى الحياة وليشرق بفنه مع الفجر روحية وطهرا ومع الصبح نورا وسحرا ومع الضحى قوة وحرارة ومع الأصيل هدوءا وجمالا ومع الليل رهبة وروعة . وهو منذ الأزل يغنى وسيعيش فى سرحة الفن يملأ الوجود شدوا وغناء فى سبيل أداء الرسالة التى حملها والتى نبط بها بعث الجمال وإيقاظ الشعور وتجديد الأخلاق والسمو بالعواطف ليصل حيوان الأرض الناطق إلى مستوى ملك السماء الطاهر العظيم .

(٢)

رواة شعر ابن المعتز :

شغل شعر ابن المعتز الناس والعلماء والأدباء فى عصره فقرأوه وتداولوه

---

(١) أصول النقد الأدبى للشايب ويقول ورد زورث : الشعر هو الحقيقة الرائعة التى تصل إلى القلب بوساطة العاطفة ، ويقول رسكن: هو عرض البواعث النبيلة للعواطف النبيلة بوساطة الخيال (٩٦ مملكة الجمال لمحمود قراعة ط ١٩٣٧) .

(٢) ١٨٥ سحر الشعر .

(٣) ١٦٩ : ١ المرجع .

(٤) ١٦٧ : ١ المرجع .

(٥) ٢١٠ : ١ المرجع .

(٦) ٩٦ مملكة الجمال .

وعكفوا على دراسته وقراءته وأصبح جزءا كبيرا من تراث العربية الأدبى وعنصرا من عناصر الثقافة الأدبية للمتأدبين .

كان لابن المعتز وراق (١) لا شك أنه قام برواية كثير من شعره ، وكان أصدقاء الشاعر من العظماء والعلماء والأدباء رواة لشعره ، يتسابقون إلى روايته واشتهر من رواة شعر ابن المعتز اثنان . هما : أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقى الذى روى عنه شعره وآدابه وأخباره ، وصديقه وزميله فى التلمذة على ثعلب أبو بكر محمد بن يحيى الصولى م ٣٣٦ ؛ وقد روى شعره وآدابه (٢) ، وبفضلهما حفظ شعر ابن المعتز من الضياع ، وبعد وفاته تدوولت نسخ شعره فى الأقطار : كأصبهان (٣) والأندلس حيث كان الناس ينشدون شعره كما ذكره ابن عبد ربه فى العقـــد ، وسواهما من البلدان .

(٣)

مجموعات شعر ابن المعتز :

وقد جمع شعره فى كثير من المجموعات ، ونشير إليها الآن :

١ — ديوانه وقد طبع بمصر عام ١٨٩١ — ١٢٠٧ هـ ، فى جزءين : الأول نحو خمسين ومائة صفحة ، ويشمل أبواب الفخر والغزل والمدح ، والثانى فى ١٢٤ صفحة ، ويشمل الهجاء والخمريات والماتبات والطرديات والأوصاف والمراثى والزهد . ثم طبع ببيروت عام ١٢٣٢ هـ ؛ بمطبعة الاقبال فى جزء واحد بشرح لغوى لبعض ألفاظه لمحيى الدين الخياط ، وطبع فى استامبول فى أربعة أجزاء بعد عام ١٩٤٥ ، ومن الديوان نسخة خطية بقلم معتاد بخط محمد بن وفا الشافعى سنة ١٢٨٢ هـ فى ٢٣٧ ورقة فى مكتبة أباظة بمكتبة الأزهر برقم ١٩٩ أباظه و ٦٨٠٤ عامة ، ومن ديوان الشاعر رواية الصولى نسخة مخطوطة بدار الكتب الملكية فى مجلد بقلم فارسى بخط ابن القطان كتبها سنة ١٠٩٦ هـ فى ١٤٠ ورقة بخط دقيق (٤) ،

---

(١) ٦ مقدمة ديوان البحترى .

(٢) راجع ٢٠١ نزهة الالبا ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد .

(٣) ٢٨٥ : ٦ معجم الأدباء .

(٤) ٦٦١٠ أدب — مخطوط بدار الكتب .

ومنه نسخة أخرى مخطوطة بقلم معتاد كتبت سنة ١٢٨٥ هـ (١) ، ومنه نسخة ثالثة مخطوطة برقم ٩٠٤٦ أدب ، ونسخة رابعة بمكتبة طلعت كتبت سنة ١٠٣٠ هـ وهى برقم ٥٤٦ أدب ، والديوان المطبوع ناقص كثيرا جدا عن الأصل المخطوط، وهو عشرة أبواب كل باب مرتب حسب حروف الهجاء ، وبذيل كتابنا رسائل ابن المعتز ، طائفة من شعره لم تنشر من قبل فى ديوانه المطبوع (٢)

٢ - الأوراق للصولى قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم نشره ج هيورث المدرس بمعهد الدراسات الشرقيه بلندن ، بمساعدة أوصياء جب عام ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م . وطبع بمطبعة الصاوى بالقاهرة . وفيه مختارات من شعر ابن المعتز فى جميع أبواب شعره عدا الرثاء (٣) ، ومنها أرجوزته فى ذم الصبوح (٤) ، وفيه بعض آثار من نثره الأدبى (٥) ويسبق ذلك كله كلمة فيها ذكر لبعض أخبار الشاعر (٦)، ومن الأوراق مصور شمسى فى أشعار ابن المعتز وأخباره ، فى ٦٨ لوحة بدار الكتب المصرية (٧) .

٣ — وفى دار الكتب مخطوط (٨) بعنوان جملة من شعر ابن المعتز (فى الغزل والخمريات) ضمن مجموعة مخطوطة مكتوبة عام ١٣٢٤ هـ ، وقد اطلعت عليها فوجدت أن ما فيها من شعر لابن المعتز قليل جداً مما لا يستدعى أن يسمى بهذا الاسم .

٤ — فحول البلاغة للسيد محمد البكرى م ١٣٥١ هـ وهو فى المختار من شعر ثمانية من فحول الشعراء : مسلم - أبو نواس — أبو تمام — البحترى — ابن الرومى — ابن المعتز — المتنبى — المعرى . وقد طبع بالقاهرة عام ١٢١٣ هـ فى ٢٧٩ صفحة .

---

(١) ٥٢٤ أدب — مخطوط بدار الكتب .
(٢) ١٢٦ — ١٤٣ رسائل ابن المعتز .
(٣) ١١٧ — ٢٨٧ الأوراق .
(٤) ٢٥١ — وما بعدها الأوراق .
(٥) ٢٨٧ — ٢٩٦ الأوراق .
(٦) ١٠٧ — ١١٧ الأوراق .
(٧) ١٣٠٠٢ ز
(٨) ٤٨٠ مجاميع .

٥ — مختارات البارودى وهى مختارات من شعر ثلاثين شاعرا من فحول شعراء العربية ، من بينهم ابن المعتز الذى اختار له فيها ٧٥٢ بيتاً منها : ١٢٠ بيتاً فى المدح و١٩ فى الأدب (١) ، ١٨ فى الرثاء (٢) و٨٤ فى النسيب و٨٤ فى الهجاء و١٦ فى الزهد و٤٦٧ فى الصفات (٣) .

٦ — هذا غير كثير من كتب الأدب القديمة والحديثة حفلت بشعر ابن المعتز وذكرت منه كثيراً .

---

(١) الجزء الأول من مختارات البارودى .

(٢) الجزء الثالث من مختارات البارودى .

(٣) الجزء الرابع من مختارات البارودى .

الفصل الثانى

شاعرية ابن المعتز وآراء علماء الأدب فيها

(١)

مصادر الإلهام فى نفس الشاعر :

وبعد فابن المعتز يتسم بالشاعرية ، والشاعرية سمة غالبة عليه واضحة فيه ، متصلة بأعماق نفسه وخلجات صدره وهمسات عواطفه وآثار وجدانه وعقله .

ومهما قيل عن شخصية هـذا الأمير العباسى ، وحفيد خلفاء بنى العباس ، وابن المعتز بالله وولى عهده طول حياته ، والناشىء المعذب الشقى بعد وفاته ، والشاب الطامح النبيل النفس العظيم الخلق ، المجد فى تحصيل العلوم والإحاطة بألوان الثقافات فى صدر شبابه ؛ والأديب الممتاز والبليغ الساحر والعالم المحصل والمؤلف المجيد فى عنفوان شبابه وطول عصر رجولته ، وصديق رجالات الدولة وعظمائها وكتابها وعمالها ، وابن عمومة الخلفاء من بعد عمه المعتمد بالله ، والذى نودى به خليفة فى آخر أيام حياته ، والذى فشل فى سبيل آماله الكبار التى كانت تجيش بنفسه وصدره . نعم مهما قيل فى هذه الشخصية الكبيرة وفى شتى نواحى نشاطها وتفوقها فى الحياة ؛ فهو أولا وقبل كل شىء الشاعر الساحر ، ورب الشاعرية الثرة ، ووارث مجد القريض بعد أميريه : أبى تمام وأبى عبادة البحترى سنين طوالا ؛ والئن حرم ابن المعتز مجد الخلافة فقد منح مجد الشاعرية والأدب وكان فى هذا المجد غنى له وعن كل شىء بعده :

وشبعت من أمر ومملكة وحكمت بالملكات والسنن

أرهفت نفسية ابن المعتز وحياته وبيئته وثقافته وآماله وآلامه وعواطفه وقلبه، فنشأ ملهم الشاعرية قوى الملكات ، ونظم الشعر يرضى به عواطفه ويصور فيه مشاعره وما يختلج فى صدره من إحساسات ، وما تزخر به حياته من مظاهر الترف والنعيم والعظمة ؛ فكان شعره صورة لحياته الخاصة أولا ، ولحياة الطبقة المترفة ثانيا ، وللاتجاهات العامة فى السياسة والاجتماع والآداب فى بيئته أخيرا ، وهو فوق ذلك صورة صادقة للفن ، فلم يكن ينظم الشعر لمجد أو لمال أو لغرض آخر

بعيد عن أغراض الفن ، إنما كان ينظمه لنفسه ، ليرضى به نفسه وذوقه وإحساسه المرهف بمعنى الجمال فى الحياة ... ويمكننا أن نقول إن بواعث الشاعرية فى نفسه ترجع إلى :

١ — بيئة الشاعر : فقد عاش ابن المعتز فى بغداد وسر من رأى ، أى فى البيئة العامة التى امتاز بها القرن الثالث ، والتى حفلت بألوان الحضارة وشتى العلوم والفنون والآداب ، والثقافات ، كما عاش فى بيئته الخاصة الحافلة بأنواع البذخ ومظاهر المجد ، فى قصور الخلفاء والأمراء . فألهمه الجمال الذى شاع فى بيئته الخاصة والعامة ، جمال الفن وسحر الشعر ، وكان لذلك أثره الواضح فى شاعريته ، بل وفى شخصيته .

٢ — أسرته : كانت أسرة والد ابن المعتز عربية هاشمية تتصل ببيت النبوة اتصالا وثيقا ويتدفق فى عروقها ودمائها روح العروبة الأولى بما تمتاز به من خلق وآداب ومشاعر ووجدانات . وبما تختص به من بلاغة القول وسلامة الملكة وقوة الطبع وتدفق البيان وغزارة الشاعرية ، وبما نبغ منها من أعلام فى الأدب والخطابة والبلاغة والحكمة والشعر ، حتى وصف بعضهم الجاحظ بأنهم لم يكن لهم نظراء فى أصالة الرأى وفى الكمال والجلالة والعلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والأقدار الرفيعة ، وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الأخبار ، وكان يجلون عن هذه الأسماء (١) ، وورث ابن المعتز مجد أسرته فى الأدب والشعر كما ورث مجدها فى الملك والسياسة ، فنشأ شاعراً بطبعه ، أديبا بليغا ، فى الصف الأول من العلماء والأدباء والشعراء فى عصره ، كما أمده عنصر والدته الرومى بالخيال الواسع الذى يمد الشعر فى نفس الشاعر بشتى أسباب القوة والنضوج .

٣ — نشأته وثقافته : كان لهما أثر بعيد فى إشعال روح الشاعرية بين جوانحه ، فالآلام القاسية التى لاقاها فى حياته ، والآمال الناضرة التى كان يموج بها فؤاده وثقافته اللغوية والأدبية العقلية الواسعة ، وتلمذته على شيوخ العربية والأدب فى عصره ، مع الإحاطة بآثار الأدب العربى القديم والمحدث ، كل ذلك

---

(١) ٢١٧ : ١ البيان والتبيين

كان له أثره البعيد فى نضوج شاعريته وإحكام ملكاته .

٤ — ذيوع الأدب والشعر فى عصره : فقد كان عصر ابن المعتز حافلا بالأدب والشعر ، والأدباء والشعراء : كالجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وكأبى تمام والبحترى وابن الرومى والناشىء وسواهم ، وعاش ابن المعتز فى هذا الجو واتصل به اتصالا وثيقا ، واتخذ له من رجال الأدب والشعر أصدقاء وإخوانا يطارحهم الشعر ويناظرهم فى فهمه ونقده وفى نظمه ، فكان ذلك أحد الأسباب فى ظهور شاعريته وقوة أسبابها .

٥ — ذوق الشاعر وإحساسه : إن أسباب الشاعرية فى نفس ابن المعتز لم تكن كلها بعيدة عن قلبه وعقله وعواطفه وإحساسه ، بل لقد كان من أهم بواعثها وأظهر أسبابها : ابن المعتز نفسه ، كان يتذوق الحياة تذوق الفنان ، وينظر إليها نظرة الشاعر الملهم . ويفهمها على أنها جمال فنى خالص ، ويحس بها إحساس المستغرق فى تخيلات وشتى تصوراته الفنية الجميلة ، ثم كانت أخلاقه وآدابه فيها أخلاق الشاعر وآدابه ، كان كريم النفس ، نبيل العواطف كثير الاعتزاز بنفسه وشخصيته ، يتأثر لكل صغيرة وكبيرة من آلام الحياة ، ويشمل بروح الأمل الباسم وبارقة الرجاء اللطيف ، ويتعشق لهو الحياة ولذاتها البريئة ، ويقف متبتلا فى محراب الجمال الشائع فى شتى مظاهرها البديعة : كل ذلك مع الذكاء والفطنة وثقوب الذهن وخصب التفكير وحضور البديهة وقوة الطبع والملكات ، ومع الحياة المترفة والنعيم المتدفق ، ومع ما يبعثانه فى صدر صاحبهما من أحاسيس وعاطفة وشعور ، فكان ذلك كله مما أخذ بيد شاعريته إلى الكمال والحياة .

وكانت هذه البواعث كلها مجتمعة كفيلة بخلق شاعرية موهوبة ملهمة ، تتناول كل غرض فى إجادة وتستوعب كل فن فى إحسان .

ولقد كان النقاد والعلماء يعجبون من نفوذ ابن المعتز وتفوقه فى الشعر وفطنته به ، « وهذا — كما يقول الصولى — فى الملوك قليل ، فاذا برع منهم الواحد بعد الواحد تقدم الناس ، وخاصة بنو هاشم ، فانهم أرق الناس أفهاما وأدقهم أذهانا وأحسنهم طبعا »(١) .

---

(١) ورقة ٣٦ الأوراق قسم المقتدر مخطوط ، ١٧ رسائل ابن المعتز

(٢)

رأى علماء الأدب فى شاعريته وشعره :

(ا) آراء المتقدمين :

١ — كان أبو العباس أحمد بن يحيى — ثعلب م ٢٩١ هـ — يقدمه ويقول هو أشعر أهل زمانه(١) .

وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ يقول : هو أشعر قريش لأنه ليس فيهم من له مثل فنونه ، لأنه قال فى الخمر والطرد والغزل والمديح والهجاء ، والمذكر والمؤنث والمعاتبات والزهد والأوصاف والمراثى ، فأحسن فى جميعها ، وهو حسن التشبيه مليح الألفاظ واسع الفكر(١) .

وكان أحمد بن اسماعيل الكاتب الملقب نطاحة يقول : هو أشعر بنى هاشم ، وكان آل وهب يقدمونه ويقولون فيه مثل هذا القول(١) .

ويقول فيه الصولى م ٣٣٦ هـ : ابن المعتز شاعر مفلق محسن حسن الطبع واسع الفكر كثير الحفظ والعلم يحسن فى النظم والنثر ومن شعراء بنى هاشم المقدمين وعلمائهم(٢) . ومنزلته فى الشعر منزلة شريفة وقد وقع من قوم إفراط فى أمره وتقديمه(٣) .

٢ — ويقول فيه المسعودى م ٣٤٦ م : كان عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاختراع للمعانى(٤) .

٣ — ويشيد به أبو الفرج م ٣٥٦ م طويلا(٥) وسيأتى كلامه فى بحث أسلوب ابن المعتز إن شاء الله .

---

(١) ١١٣ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

(٢) ١٠٧ المرجع

(٣) ١١٣ المرجع .

(٤) ٢٢٣ : ٤ المسعودى

(٥) ١٤٠ و ١٤١ : ٩ الأغانى

٤ — ويقول فيـــه ابن النديم م ٣٨٧ هـ : هو واحد دهره فى الأدب والشعر(١) .

ويقول فيه ابن رشيق م ٤٦٠ هـ : وليس فى المولدين أشهر اسما من أبى نواس ثم حبيب والبحترى ثم يتبعهما فى الاشتهار ابن الرومى وابن المعتز فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن فى المولدين وامرىء القيس فى القدماء فان هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس(٢) .

٦ — ويقول عمر بن على المطوعى فى كتابه فى شعر الميكالى ومنثوره والشعراء: ومنهم - أى من الشعراء - من أخذ بحبل الجودة من طرفيه ، وجمع رداء الحسن من حاشيتيه ، كامرىء القيس فى المتقدمين وهو أمير الشعراء غير منازع ، وسيدهم غير مجاذب ، وعبد الله بن المعتز أمير المؤمنين فى المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع منشئ الدولة العباسية ، ومن جل كلامه فى التشبيه عن أن يمثل بنظير أو شبيه ، وعلت أشعاره فى الأوصاف على أن تتعاطاها ألسنة الوصاف . والأمير أبى فراس بن حمدان فارس البلاغة ورجل الفصاحة ومن حكمت له شعراء العصر بالسيادة واعترفت لكلامه بالاجادة ، حتى قال الصاحب ، بدىء الشعر بملك وختم بملك ، وهذه الطائفة أشهر الثلاثة تقدما ، وأثبتها فى مواطن الفخر ومواطىء الشرف قدما ، وأسبق الشعراء فى ميدان البلاغة وأرجحهم فى ميزان البراعة(٣)

٧ — ويقول الحصرى م ٤٥٣ هـ : كان أبو العباس عبد الله بن المعتز فى المنصب العالى من الشعر والنثر وفى النهاية فى إشراق ديباجة البيان والغاية من رقة حاشية اللسان ، وكان كما قال ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر(٤) .

٨ — ويعده ابن شرف م ٤٥٦ هـ فى رسائل الانتقاد من الشعراء المشهورين

---

(١) ١٦٨ الفهرست

(٢) ٨٢ : ١ العمدة

(٣) ١٧٤ و ١٧٥ : ١ زهر الآداب

(٤) ٢١٩ : ١ زهر ، وهى فى ٢٠٨ مجموعة النظم دون إشارة للمرجع الذى نقلت منه .

المذكورين(١) . ويقول فيه أيضاً : وأما ابن المعتز فملك النظام كما هو ملك الأنام له التشبيهات المثنية والاستعارات الشكلية والاشارات السحرية والطرائق الفنونية والافتخارات الملكية والهمات العلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق :

وخير الشعر أكرمه رجالا   وشر الشعر ما قال العبيد(٢)

٩ — ويقول فيه ابن الانبارى م ٤٢٨ هـ : وأما عبد الله بن المعتز ويقال له أمير المؤمنين ـ فانه كان غزير الفضل بارعا فى الآدب حسن الشعر كثيره(٣) ، ثم ذكر شعرا له وقال : ومحاسن شعره كثيرة جدا(٤) .

١٠ — ويقول فيه صاحب تاريخ بغداد م ٤٠٦ هـ : كان متقدما فى الأدب غزير العلم بارع الفضل حسن الشعر(٥) وكان غزير الآداب كثير الشعر(٦) .

١١ — ويقول فيه ابن خلكان م ٦٨١ هـ : كان أديباً بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الابداع للمعانى(٧)

١٢ — ويقول فيه ابن شاكر ٧٦٤ هـ : ابن المعتز صاحب الشعر البديع والنثر الفائق(٨) .

١٣ — ويقول فيه العباسى : هو الأمير الأديب صاحب النظم البديع والنثر الفائق وهـــو أشعر بنى هاشم على الاطلاق وأشعر النـاس فى الأوصاف والتشبيهات(٩) .

---

(١) ٢٤٣ رسائل البلغاء حيث جمع فيها صاحبها كثيرا من الرسائل التى من بينها « رسائل الانتقاد لابن شرف » (ص ٢٤١ — ٢٦٨ رسائل البلغاء)

(٢) البيت للفرزدق فى نصيب الشاعر

(٣) ٢١٩ نزهة الألبا

(٤) ٣٠١ المرجع .

(٥) ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد .

(٦) ١٠٠ : ١٠ المرجع

(٧) ٤٦١ : ١ وفيات الأعيان ، ٢٢٢ : ٢ شذرات الذهب .

(٨) ٢٤١ : ١ فوات الوفيات .

(٩) ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص ، ٦٩٣ : ١ دائرة المعارف للبستانى .

١٤ — ويقول فيه الدميرى م ٨٠٥ هـ : كان شاعرا ماهرا فصيحا وهو صاحب التشبيهات التى أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره(١)

١٥ — ويقول فيه ابن حجة م ٨٣٧ هـ : من خلفاء بنى العباس كان مع كماله وغزارة فضله لم يزل منغصا فى مدة حياته ومحله من الأدب لايخفى(٢) .

١٦ — ويقول فيه أبو الفداء ٧٣٢ هـ : كان ابن المعتز فاضلا شاعرا وتشبيهاته وأشعاره معروفة وله الكلام البديع(٣) .

١٧ — ويقول فيه الشهاب الخفاجى : قال الأدباء بدىء الشعر بملك وختم بملك ، والأول امرؤ القيس ، والثانى ابن المعتز ، فانه ممن أرتى جوامع الكلم نظما ونثرا وإنشاء وشعرا ، والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام ؛ وقيل أبو فراس ، والأول أقرب إلى القياس ، وابن المعتز كما فى اوراق للصولى شاعر مفاق واسع الفكر فى العلم والنظم والنثر من شعراء بنى هاشم وعلمائهم ، كان إماما فى الأدب ومعرفة كلام العرب ، وكان المبرد يجله ويسعى إليه ويستفيد منه ،إلا أنه كانت له هنات فى حب بنى هاشم والغلو فى تقديمهم وله فى ذلك قصائد ثم رجع عن ذلك وقال ما يناقضه وكان ثعلب يقدمه ويقول هو أشعر أهل عصره(١) .

(ب) آراء المحدثين :

١ — دائرة المعارف الإسلامية :

ابن المعتز شاعر من أهم شعراء العصر العباسى جمع إلى موهبته الطبيعية وابتكاره الذى كان من الطراز الأول ، العلم الصحيح والذوق السليم ، فلم يقلد شعراء العرب الاقدمين ، وإنما كان يعادلهم فى حسن طريقة انتقاء ألفاظه ، كما أن أسلوبه يمتاز بالبساطة والسلاسة إلى حد كبير وتناول شعره جميع الفنون التى كانت تدخل فى باب الشعر وقتذاك ، وجل شعره فى وصف حياة الترف ، تستشف منه كل مافى تلك الحياة من ألوان البذخ وبعض ما فيها من التكلف والتظاهر ، وقد عنى

---

(١) ٨٣ : ١ حياة الحيوان الكبرى للدميرى .

(٢) ١٣ : ١ ثمرات الاوراق .

(٣) تاريخ أبى الفداء أخبار عام ٢٩٦ هـ .

(٤) ٣٢٠ ريحانة الالبا للشهاب الخفاجى .

عناية خاصة بالأغانى التى تصف الخمر وتشيد بذكر مجالس الشراب ، يشهد بذلك كتابه « فصول التماثيل » الذى لأشعاره فيه المكان الأول(١) .

٢ — ويقول فيه الاسكندرى م ١٩٣٦ : هو صاحب النظم البديع والنثر الفائق وأبرع الناس فى الأوصاف والتشبيهات ، وكان ابن المعتز سهل العبارة كثير مراعاة البديع فى قوله مع رشاقه ورقة تكلف وتصنع ، وقل فن المدح فى كلامه إلا فى أهل بيته من الخلفاء ، وزاد فى الأوصاف الطبيعية والتشبيهات البديعية ووصف محاسن الطبيعة ومجالس الأنس ومراسلة الإخوان ودعوتهم ووصف الصيد وكلابه وفهوده والقلم والقرطاس ونحو ذلك ، والمتأمل فى شعره يعرف فيه نضرة النعيم وترف الملك ورقة الخيال ولطف الوجدان (٢) .

٣ — ويقول فيه جورجى زيدان : كان ابن المعتز شاعرا مطبوعاً مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيـــد القريحة ، ومن مزاياه الإبداع للمعانى وميزته على الخصوص ما فى شعره من البديع .. ومن شعره قصيدة من نوع الشعر القصصى مدح بها المعتضد (٣) .

٤ — ويقول فيه الزيات : ولد فى بيت الملك وموئل الخلافة وربى فى باحة النعيم وموطن الجلالة ، وكان لنشأته أثر ظاهر فى شعره فهو رقيق اللفظ سهل العبارة صافى الأسلوب لرقة طبعه وسهولة خلقه وصفاء خاطره وهو بليغ الاستعارة رائع التشبيه دقيق الوصف لرقة حسه ولطف شعوره وامتلاء ذهنه بروائع الجمال وبدائع الخيال ورونق الحضارة، وكان يقول الشعر إرضاء لنفسه وتصويرا لحسه فبرىء من كاذب المدح ولؤم الهجاء، وانصرف إلى وصف الطبيعة ومجالس الأنس ومطاردة الصيد ومراسلة الإخوان وله ولع بالبديع فى حسن صوغ وقلة تكلف ، ونثره لا يقل عن شعره فى نقاء الأسلوب وجودته ودقة التخيل (٤) .

٥ — وكتب عنه الأستاذ إبراهيم البديوى كلمة فى السياسة الأسبوعية ، كما

---

(١) ٢٧٩ و ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ١٩١ وما بعدها آداب اللغة فى العصر العباسى للاسكندرى ، ٢٧٠ وما بعدها الوسيط . ويعتمد الكتاب اعتمادا كبيراً على رأى الاسكندرى فى كتابته عن ابن المعتز .

(٣) ١٦٢ : ٢ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان .

(٤) ٢٧٥ وما بعدها تاريخ الآداب العربى للزيات .

كتب عنه الأستاذ مصطفى عبد الغنى (١) وأصحاب المفصل (٢) ، وله ترجمة فى سطور فى هامش المنتخب (٣) ، وفى هامش العصر العباسى للسباعى بيومى (٤) .

وكتب عنه الدكتور طه حسين فى إيجاز شديد فى كتابه «من حديث الشعر والنثر»

وبعد فلابن المعتز مكانته فى الأدب والقريض وقد أشاد به جميع نقاد الأدب وعلمائه على شتى العصور بما سبق ذكره ، وبما سيأتى الكثير منه ، وحسبنا ذلك الآن ؟ وفى الفصول الآتية ستعرف إلى أى مدى كانت منزلة ابن المعتز فى الشعر وإمارته فى القرن الثالث الهجرى .

---

(١) ص ١١ ومابعدها تراجم الشعراء والكتاب لمصطفى عبدالغنى لتلاميذ المدارس الثانوية

(٢) ١٩٣ : ١ المفصل للمدارس الثانوية طبعة ١٩٣٦ . والكلمة بعينها ل ٧٤ وما بعدها تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية ١٩٣٧ .

(٣) هامش ٢٨٠ : ٢ المنتخب من أدب العرب لتلاميذ المدارس الثانوية طبعة ١٩٣٦ .

(٤) هامش ٢٨٤ من تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى للسباعى بيومى طبعة ١٩٣٦ .

الفصل الثالث

أغراض الشعر عند ابن المعتز

(١)

أغراض الشعر هى فنونه وموضوعاته التى يقول فيها الشعراء من مدح وهجاء وفخر ورثاء ، وغزل وحكم ، وما شاكل هذه الموضوعات التى عرفها الشعر والشعراء من قديم .

وأغراض الشعر طرقها الشعراء فنا ولكن لم يصطلحوا عليها اصطلاحا ، وكانت أقسام الشعر فى الجاهلية ـ كما يقول أبو هلال ـ خمسة : المديح ، والهجاء ، والتشبيب ، والمراثى حتى زاد فيها النابغة سادسا هو الاعتذار فأحسن فيه ، ولا أعرف أحدا من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البحترى (١) ، وليس للعرب شىء ينسب إلى التهانى ، وما جاء عنهم من شكلها فهو فى جملة المدح (٢) .

وقالوا : بنى الشعر على المدح والهجاء والنسيب والرثاء ، وقالوا قواعد الشعر : الرغبة ومنها يكون المدح والشكر ، والرهبة ومعها يكون الاعتذار والاستعطاف ، والطرب ومعه يكون الشوق ، ورقه النسيب ، والغضب ومعه يكون الهجاء والعتاب .

وقال الرمانى أكثر أغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف (٣) .

وقالوا . للشعراء فنون كثيرة تجمعها أربعة: المديح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فمن المديح المراثى والافتخار والشكر

---

(١) ٩١ : ١ ديوان المعانى .

(٢) ٩٢ : ١ المرجع .

(٣) ١٠٠ : ١ العمدة .

واللطف فى المسألة وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه ، ومن الهجاء الذم والعتب والاستبطاء والتأنيب وما أشبه ذلك وجانسه ، ومن الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شاكل ذلك ، ، ومن اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر وما أشبه ذلك وقاربه(١) .

وأول من عد فنون الشعر وميز بينها تمييزاً هو أبو تمام فإنه رتب كتابه الحماسة فى عشرة أبواب : الحماسة ، والمراثى والأدب ، والتشبيب ، والهجاء والاضياف والمديح ، والصفات ، والسير ، والملح ، ومذمة النساء .

أما البحترى فقد خالف أبا تمام فى ذلك وجعل حماسته التى عارض بها حماسة أستاذه أبى تمام ١٧٤ بابا وأهداها للفتح بن خاقان . ونجد الحماسة البصرية(٢) لأبى الحسن البصرى اثنى عشر بابا : الحماسة والمديح ، الرثاء . الأدب . الغزل . الاضياف . الهجاء . مذمة النساء . الصفات . النعوت . السير . الأكاذيب الخرافات . الزهد .

ويجعل عبد العزيز أبى الأصبع أغراض الشعر ثمانية عشر(٣)

ورواة الشعر العربى فى العصور الأولى كان لهم أثر كبير فى تقسيم الشعر إلى فنون وأبواب :

لجامع ديوان أبى نواس(٤) يقسمه إلى فنون ثمان : المديح المراثى . العتاب الهجاء ، الزهد . الطرد . الخمريات . الغزل والمجون .

وديوان أبى تمام(٥) قسم إلى سبعة أبواب : المديح . المراثى . المعاتبات . الاوصاف . الغزل . الفخر . الهجاء

وديوان ابن المعتز رواية الصولى مقسم إلى عشرة أبواب : الفخر . الغزل .

---

(١) ٨١ نقد النثر .

(٢) ٢٠ه أدب مخطوط بدار الكتب الملكية .

(٣) ٧١ : ٣ تاريخ آدب العرب للرافعى .

(٤) اعتنى بجمع شعره جماعة منهم الصولى وعلى بن حمزة الاصفهانى وإبراهيم بن أحمد الطبرى

(٥) جمعه الصولى ورتبه على الحروف وجمعه على بن حمزة الاصفهانى ورتبه على الأنواع (٢٨٣ : ١ كشف الظنون)

المديح . الهجاء . الخمريات . المعاتبات . الطرد . الاوصاف . الرثاء . الزهد .

وكان كثير من دواوين الشعر ترتب بحسب الحروف الهجائية للقوافى لا بحسب الأغراض، ومنها ديوان البحترى(١) ، أما ديوان ابن الرومى فلم يطبع إلا اختارات منه ولا نعلم على أى نهج صنع جامعه فى ترتيب شعره(٢) .

على أن ليس من السهل تقسيم الشعر العربى إلى أبواب شاملة تستوعب جميع ماجادت به قرائح الشعراء. لأنها تختلف باختلاف العصور و باختلاف شخصيات الشعراء.

و بعض العلماء والنقاد يدخل بعض هذه الفنون فى بعض ، فقدامة يرجع فى نقد الشعر الرثاء إلى المدح ويرى أن لا فرق بينهما إلا فى اللفظ دون المعنى(٣)، وإن كان هذا لم يحل بينه و بين أن يجمل أغراض الشعر ستة : المديح والهجاء والرثاء والتشبيه والوصف والنسيب .

ثم جاء البارودى فى العصر الحديث فسار قريبا من نهج أبى تمام فى تقسيم الشعر إلى فنونه المختلفة وهى عنده سبعة : الأدب . والمديح . والرثاء . والصفات والنسيب . والهجاء . والزهد .

هذا وأدباء الغرب يجعلون أبواب الشعر عامة ثلاثة : الشعر القصصى أو شعر الملاحم ، والشعر الغنائى أو الانشادى ، والشعر التمثيلى أو المسرحى .

وهذه الأقسام الثلاثة قد ظهرت للمرة الأولى فى الأدب اليونانى ، ثم أخذ الرومان يقلدون اليونان فى فنونهم، وسار الأدب اللاتينى فى الطريق التى سار فيها الأدب اليونانى ، وفى عهد النهضة أخذ الأوربيون يدرسون الأصول اليونانية فتأثرت بها آدابهم تأثرا مباشرا ، وبنى الشعر الأوربى الحديث على الأصول اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة (٤) ، والعرب مع اطلاعهم

(١) جمعه الصولى ورتبه على الحروف وجمعه على بن حمزة الاصفهانى ورتبه على الانواع (٣٧٨ : ١ كشف الظنون) .

(٢) عمل شعره ورتبه على الحروف الصولى وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدون من جميع النسخ فزاد فيه نحو ألف بيت وابن سيدنا انتخبه وشرح مشكلات شعره (٣٨٢ : ١ كشف)

(٣) ٦١ نقد الشعر .

(٤) ٢٥٨ التوجيه الأدبى .

على علوم اليونان وفلسفتهم لم يهتموا بالإنتاج الأدبي اليوناني فلم يصل فن التمثيل إلى البلاد العربية إلا في العصر الحديث عن طريق الغربيين ، كذلك لم ينشىء شعراء العربية قصصا منظومة كالالياذة (١) ، والشعر العربي الذي بأيدينا اليوم كله من الشعر الغنائي (٢) .

وبعد فإني أرى أن يقسم الشعر إلى أقسام يكون من أهمها :

١ — الشعر الوجداني وهو الذي يصف عواطف النفس ومشاعرها وآمالها وآلامها وأحزانها ومسراتها وحبها ولهوها .

٢ — الشعر الاجتماعي وهو الذي يحدثك عن المجتمع وحالته والبيئة والمؤثرات فيها والشخصيات وأثرها الاجتماعي في حياة المجموعة العامة .

٣ — الشعر السياسي ويتناول وصف الحياة السياسية وأحداثها والرجال الذين بيدهم زمام الأمور في الدولة ممن تربطهم بالشاعر صلات خاصة أو عامة .

٤ — شعر الآداب والحكم والأخلاق .

٥ — الشعر الفني ، وهو الذي يصور الحياة ومظاهر الطبيعة والأحياء ، ويرسم لك صورا فنية لكل مافي الوجود من كائنات .

٦ — الشعر الإنساني الذي يتحدث عن الإنسانية وعواطف البشر وحقائق الحياة الخالدة .

هذا وقد نظم ابن المعتز في كثير من فنون الشعر وأغراضه التي تلائم حياته وبيئته ونفسيته وشخصيته ، فافتخر وتغزل ، ومدح وهجاء ورثى ، ونظم في العتاب والخمريات والطرد والأوصاف والزهد مما ينطق به ديوانه ، ومما سنأخذ في الكلام عليه .

(٢)

الشعر الوجداني في فن ابن المعتز :

ونقصد به ما يترجم عن عواطف الشاعر وشعوره وآماله وآلامه ؛ وما يختلج

---

(١) ٢٢٠ المرجع . ويمكننا اعتبار أرجوزة ابن المعتز في المعتضد وتاريخه من شعر الملاحم والقصص

(٢) ٢٢١ المرجع

فى صدره من سرور وحزن وأمل ويأس ، وما يفيض به قلبه من حب وحنين وهوى ولذة وتفاؤل وتشاؤم بالحياة . فهو يطلق على الأشعار التى ليست من الشعر القصصى ولا التمثيلى ، والتى يعبر فيها الشاعر عن خواطره وآرائه وتأملاته ومشاعره .

وهذا الفن فى تراث ابن المعتز الأدبى يشمل كثيرا من باب الفخر كما يتناول باب الغزل كله وآثارا قليلة من شتى أبواب الشعر فى ديوانه مما صور فيه الشاعر أمانيه ولذاته ونفسه وأخلاقه وأهدافه فى الحياة ، وسنفيض فى تحليله ذلك كله .

الغزل والحب فى شعر ابن المعتز (١) :

١ — الغزل فن من فنون الشعر الأولى ، وقل أن يخلو منه شعر شاعر من الغزلين والمقلدين على السواء ، حتى لقد كان ابن المولى . وهو من مخضرمى الدولتين ، يشبب بمحبوبته ليلى ، فلما سئل عنها قال : امرأتى طالق إن كانت إلا قوسى هذه سميتها ليلى لأذكرها فى شعرى (٢) .

وقد بدئت بالغزل أكثر القصائد فى الجاهلية والإسلام ، ولم يشذ عن ذلك

(١) الغزل والنسيب والتشبيب ليست بمعنى واحد . أما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن والسرفيما ذكرته فى شىء وقد نبه على ذلك قدامة فى نقد الشعر (١١١ : ٢ العمدة) ؛ فالغزل التصابى والاستهتار بمودات النساء (٧٣ نقد الشعر) ، وإن لم يتعلق القائل منهن بهوى أو صبابة (١١٠ الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى لمحمد هاشم) ؛ والنسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن (٧٣ نقد الشعر) فهو أثر الحب وتبريح الصبابة (١١٠ محمد هاشم) ؛ والتشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة وأصله من الارتفاع ويجوز أن يكون من الجلاء يقال شب الخمار وجه الجارية إذا جلاها ووصف ما تحته من محاسنه (٢٢١ : ٢ العمدة) وهو ما يقصد إليه الشاعر من ذكر المرأة فى مطالع الكلام وما يضاف إلى ذلك من ذكر الرسوم والاطلال (١١٠ محمد هاشم) .

وفى رأيى أن الغزل والنسيب والتشبيب ثلاثتها بمعنى واحد هو وصف الجمال والحب وأثرهما فى النفوس وتصوير عواطف الشاعر أمامهما وآماله وآلامه التى يقاسيها فى سبيلهما ، ويسير على ذلك الرأى الأستاذ محمود مصطفى (٢٧٥ الأدب العربى فى العصر الإسلامى) .

(٢) ٨٨ : ٣ الأغانى ، ٤١١ معجم الشعراء .

إلا القليل ، كعمرو بن كلثوم فى معلقته التى بدأها بوصف الراح ، وكأبى نواس الذى دعا إلى افتتاح القصائد بذكر الراح :

صفة الطلول بلاغة القـدم   فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وتبعه فى ذلك ابن المعتز فقال :

أف من وصف منزل   بعكاظ فحومل
غير الريح رسمـه   بجنـوب وشمـال

شهر امرؤ القيس فى العصر الجاهلى بغزله واستهتاره ودبيبه ، وفى العصر الأموى عاش شعراء وقفوا حياتهم وشعرهم على الغزل وحده ، فهم موكلون بالجمال يتبعونه ويصفونه ويتغزلون به ، كعمر (٢٣ - ٩٣) وجميل وقيس بن ذريح وسواهم . وفى العصر العباسى اشتهر بشار بالغزل ، وكذلك العباس بن الأحنف (١) وحمدان بن أبان اللاحقى قصيدة طويلة فى وصف الحب (٢) ، وكان البحترى أرق الناس نسيبا وأملحهم طريقة لاسيما إن ذكر الطيف وهو الباب الذى اشتهر به ، ولم يكن لأبى تمام حلاوة توجب له حسن التغزل وإنما يقع له من ذلك التافه اليسير فى خلال القصائد (٣) .

وأسلوب الغزل يمتاز بجماله وسلاسته وعذوبته مما لا يصلح شىء منه فى مواقف الجد وأوصاف الحرب ، وإن كان المتنبى يستعمل ألفاظ النسيب والغزل فى ذلك وهو مما لم يسبق إليه وتفرد به (٤) .. ويشيع فى الغزل التهالك وإظهار الصبابة .

---

(١) قصر شعره على الغـزل من بين فنون الشعر (١١٧ : ٣ الرافعى) ، وكان شاعراً ظريفاً مفوهاً منطيقا مطبوعاً ، وكان صاحب غزل رقيق ولم يكن يمدح ولا يهجو إنما كان شعره كله فى الغزل والوصف (١١٩ طبقات ابن المعـتز) ويشبه بابن أبى ربيعة (١١٩ المرجع ، ٨٣ : ٤ زهر ، ٣٣٥ الشعر والشعراء ، ٦٧ : ١ العمدة) وكان شاعراً مجيداً غزلا (٩٢ خاص الخاص) وأشاد به بشار وأبو نواس والعلاف (٨٣ : ٤ زهر) ، وهو من أوائل الشعراء المجيدين (٦٧ المثـل السائر) ونوه دعبل بقوله : هى الشمس مسكنها فى السماء (٢٦٩ : ١ ديوان المعانى) .

(٢) ٥٧ — ٦٢ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٣) ١١٣ : ٢ العمدة .

(٤) ١٦٤ : ١ اليتيمة .

٢ — ولابن المعتز مجال كبير فى الغزل ، والغزل فى شعره فن تسرى الجودة والحياة والدمانة والرقة والعذوبة فى أعطافه ، وهو فيه مجيد صاحب طبع مطبوع وملكة موهوبة ، ولا بدع فى ذلك فقد أفعمت نفسه بألوان الجمال ، وأشربت حبه ، وغذيت بمتعه وصباباته ولهوه ولذاذاته ، وكان لطيف الحس رقيق العاطفة ملتهب الإحساس والشعور يسقى شبابه الظامىء من ينبوع الحب المتفجر ، ويجد من بيئته وعصره حرية تسمح له بالهيام بالجمال والتبتل فى معابد السحر والفتنة فشـــدا بألحانه الساحرة أناشيد ناطقة بما فى نفسه وعواطفه من حب ووفاء وما امتزج بروحه وسرى فى دمه من هيام وشغف بألوان الجمال . وفن ابن المعتز فى الغزل يقف بجانب فن امرىء القيس وابن أبى ربيعة والعباس بن الأحنف وسواهم من المجيدين فى هذا الباب .

ويقول الصولى : « وهو متقدم فى الغزل لأن الشعراء الذين أحسنوا فى الغزل حتى تفردوا به وكان الغزل قطعة من شعرهم قليلون وخاصة من عمل فى المـــذكر والمؤنث ، وهو أول من حصل هذا وجعله فنين ، وأضاف إليه فنا ثالثـاً سماه مجونا وكثره حتى تقدم فيه من سبقه وتبعه الناس » (١) .

٣ — تغزل ابن المعتز كثيراً بشريرة وهى جارية كان يحبها ويهيم بها وله معها أخبار(٢) ، ويجد فى تحريف اسمها لذة وجمالا ، فيقول :

عصيت فى شر فما أنساها

ويقول :

ما رأينا لشرير قط فى النـــاس شبيها

ويقول :

وقلت تعالى ياشريرة نمتزج كمثل امتزاج الماء والخمر نصفين

كما تغزل بهند :

يا هند حسبك من مصارمتى لا تحكى فى الحب بالظن

---

(١) ١١٤ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٢) ١٤٢ : ٩ الأغانى .

وبثنى :

فدع ذكر بثنى قد مضى ليس راجعا   فذلك دهر قد تولى وذا دهر

وبأسماء : ألا انتظرونى ساعة عند أسماء .

وبسلمى :

آل سلمى غضاب   فلماذا ؟ على ما ؟

ولعلها سليمى التى يقول فيها وذكر الريح :

هل أصابت بعدنا   من سليمى منزلا

وبأم مالك :

وقلت لأصحابى انظروا هل بدا لكم   ضمير بلاد غيبت أم مالك

وبعباس — ولعله تصغير ترخيم لعباسة :

عباس لا تستعجلى لمنيتى .

وبالياسرية : والياسرية موسم العشاق .

وهذه الأسماء كلها ما عدا شريرة لانعرف عنها شيئا ، ولعلها أسماء مستعارة كما يقول ابن المعتز :

قالت تبدلت أخرى قلت أفديك   من كل سوء ومكروه وأحميك
قالت وسميتها فى الشعر قلت لها   سميت غيرك لكن كنت أعنيك

ويقول ابن المعتز :

ما تبدلت ماحييت ولا حد   ثت نفسى من بعد حبى بحب

ولكنه بعد أن أكد إخلاصه لحبيبه ينقض ذلك فى قوله :

ألم تكن قد منيتى أيها القلب   إذا فارقت شر فانك لاتصبو
فقال ظننت الحب يغلبه الفتى   هو الموت لكن قيل لى إنه الحب

وهو مع ذلك يتغزل بكثير من الغلمان ولعلهم من سقاة الراح .

ومنهم أحمد ويعقوب ويوسف ويحيى ومكتوم وهم الذين ذكرهم فى شعره ، وقد كان لابن المعتز إجادة رائعة فى الغزل بنوعيه : المؤنث والمذكر ، أو حب المرأة وحب الجمال فى الغلمان .

٤ — وفن ابن المعتز فى الغزل قسمان : فن تقليدى ، وفن جديد يتصل بنفسه وأعماق عواطفه ومشاعره ، ويأتى فيه بشكل رائع مبتكر .

(ا) فهو فى غزله التقليدى ينهج نهج القدامى فى مذاهبهم وأساليبهم ، فيقول :

لما ظننت فراقهم لم أرقد وهلكت إن صح التظنن أو قد
ما أسرع التفريق إن عزموا غدا لاشك أن غدا قريب الموعـد

الخ، مما تأثر فيه تأثرا واضحا بدالية النابغة « من آل مية رائح أو مغتدى » .

ويقول :

بان الخليط ولم تطق صبرا ووجـدت طعم فراقهم مرا
وكأنما الأمطار بعـدهم كست الطلول غلائلا خضرا
هل تذكرين وأنت ذاكرة مشى الرسول إليكم سرا
إن يغفلوا يسرع لحاجته وإذا رأوه أحسن العذرا
فطن يؤدى ما يقال له ويزيد بعض حديثنا سحرا
قالت لأتراب خلون بها وبكت فبلل دمعها النحرا
ما باله قطع الوصال ولم يسمح زيارة بيتنـا شهرا
حتى طرقت على مخاطرة أطأ الصوارم والقنا الحمرا
ياليـلة ما كان أقصرها لازلت أشكو بعدها الدهرا

فتجد روح ابن أبى ربيعة فى الغزل والحوار ، والتهالك من المرأة على حبه ، وان كان ذلك مما يذمه النقاد فى فن الغزل ، فالعادة عند العرب أن الشاعر هو المتغازل المتهالك (١) ، وإنما توصف المرأة بالحياء (٢) ، ولكنك مع ذلك تجد فى القطعة جمالا لايعدله جمال فى وصف الرسول .

ويقول :

لاتلوموني على حب هند سحرتني إنما الحب سحر

---

(١) ١١٨ : ٢ العمدة .

(٢) ٢٥٤ ديوان ابن أبى ربيعة والنقاد كثيرا ما نقدوا ابن أبى ربيعة فى وصفه لتهالك المرأة على حبه (١١١ : ٢ عمدة ، ٢٥٢ ديوان ابن أبى ربيعة) .

نلبع الأسياف من دون هند ولها عندى هوى مستمر
غصن بان قد مضت بعد عشر أربع حتى استوى وهو بدر

فتجده يمزج حلاوة المحدثين بروح البداوة فى الغزل .

(ب) وأما فن ابن المعتز الجديد فى الغزل فهو ما نظمة بعيداً عن روح التقليد وساير فيه عواطفه وحياته ولذاته فأتى فيـــه بـكل معنى طريف وبـكل مبتكر جديد .

وإن شئت فاقرأ قصيدته :

يا غزال الوادى بنفسى أنتـا لا كما بت ليـلة الهجر بتا

واقرأ قوله :

تعاهدنك العهاد يا طلل حدث عن الظاعنين ما فعلوا
فقال لم أدر غير أنهم صاح غراب بالبين فاحتملوا
فلا تحليت بالرياض ولا النور ومغناى منهم عطل
على هذا فما عليك لهم ؟ قلت زفير ودمعة همـــل
وأننى مقفل الضمائر من حب‌سواهم ما حنت الإبل
فقـال هلا تبعتهم أبدا إن نزلوا منزلا وإن رحلوا
هيهات إن المحب ليس له هم بغير الهوى ولا شغل
تركت أيدى النوى تقودهم وجئت عن حديثهم تسل ! !
فقلت للركب لا قرار لنـا من دون سلمى وإن أبى العذل
حتى تبدى فى الفجر ظعنهم وسائق الصبح بالدجى عجل
فلم يكن بيننا سوى اللحظ والد مع كلام لنا ولا رسل

فسيبهرك رقة الأسلوب وجمال الحوار المبتكر وسحر المعانى ولطفها مما يسمو بفن ابن المعتز فى الغزل إلى منازل الملهمين العبقريين من الشعراء .

إلى غير ذلك من رائع غزله وبديع صبابته التى يبثها فى شعره وتملؤك روعة وسحرا وجمالا .

ولابن المعتز فى الغزل قصيدة مشهورة مطلعها :

بخلا بهذا الدمع لست أراك وإذا سلا أحد فلست كذاك (١)

وهى قصيدة تغلب عليها مسحة التقليد واحتذاها شوقى فى كافيته المشهورة .

٥ — وبعد فغزل ابن المعتز ساحر رائع كثير متعدد الألوان ، فلقد بكى الديار كما بكى الأحباب وتحدث عن عواطف الحب كما تحدث عن سحر الجمال ، ووصف ليالى الهجر كما وصف ليالى الوصال ، وترنم بالشعر يصف به مجالس الأنس كما تبتل به فى هياكل الهوى ومعابد الجمال . ووصف عواطف المرأة ومشاعرها والرجل ووجداناته ، والرسل وساعات اللقاء ومواقف الوداع ، ولم يترك معنى من معانى الحب والغزل الا قال فيه ، ولابن المعتز فى الطيف كثير من الأبيات ، قال :

أبصرته فى المنـــام معتذرا إلى عما جنـــاه يقظانا
ولان حتى إذا هممت به نبهت عند الصباح ، لا كانا

والبيت الأول شبيه بقول البحترى :

هجرتنا يقظى وكادت على عا داتها فى الصدود تهجر وسنى(٢)

وهو من قول قيس بن الخطيم :

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه فى النوم غير مصرد محسوب

وقال ابن المعتز :

بعث الخيـــال إلى وامتنعا ريم مضت نفسى له تبعـــا
ما زال طول الليـل مرتحلا يلقى المتيم كلـــا هجعا

وقال وهو من أجود ما قيل فى الخيال :

---

(١) راجعها فى: ديوانه ، ٢٧٧ الأوراق ، ١٠ : ٢ ديوان المعانى ، ٢٢٨ : ١ زهر الآداب فى روايات يكمل بعضها بعضا .

(٢) نقد الآمدى بيت البحترى وقال انه غلط لأن خيالها يتمثل له فى كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى والجيد قوله : « نعذب أيقاظا وتنعم هجدا » (١٦١ موازنة) ، وقول قيس من أجود ما قيل فى الخيال (٢٧٦ : ١ ديوان المعانى) ، ومثله قول عمرو بن قيئة :

خيال يخيل لى نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالا

ومنهما أخذ المحدثون أكثر معانيهم فى الخيال (٢٧٧ : ١ ديوان المعانى) ، ولاشتهاره به قيل خيال البحترى (١٢٥ : ٣ زهر) وراجع فى ذلك ٩٩ ديوان الصبابة و ٢١٣ : ٢ العمدة و ٦ — ٩ : ٣ أمالى المرتضى .

لا فرج الله عن عيني برؤيته إن كنت أبصرت شيئا بعده حسنا
إلا خيالا عسى إن نمت يطرقني وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا

ويمتاز غزله مع ذلك بالجمال والعذوبة والرقة غالبا ، وبأنه ينبع من قلب عاش في ملذات الحياة والشباب ، وبأنه صورة واضحة لكثير من المشاعر الإنسانية مما يدل على أن الشاعر ذاق الجمال وعرفه ونفذ إلى أسرار الحب وأعماق العاطفة ،

فيقول :

ما المـــوت إلا الهجر أو كالهجر

ويقول :

ويح المحبين ما أشقى جدودهم إن المحبين أحياء كأموات(١)

ويقول : كذب الهوى متصنع الحب شيء لا يطاق

ويقول : لقد ذل في الدنيـــا المحب وعـذبا

ويقول : فما الحب إلا أنة وبكاء

ويلتهم الحسن التهاما في ذوي الجمال ويرحم القبح في ذوي الدمامة :

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شـــيئا فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهـواه

ويملأ قلبه الحب والحبيب :

قلبي بكفيك فانظر هل فيــــه خلق سواكا

ويمتاز أيضا غزل الشاعر بكثرة القصص والحوار وبامتلائه بكثير من الأبيات الفنية الجميلة والخيالات المبتكرة والمعاني الطريفة ، فوق ما فيه أيضا من صدق عاطفة وقوة شعور ودقة وإحساس وحسن تذوق للجمال ، والغزل على أي حال أحد الفنون التي تفوق فيها ابن المعتز ، ووقف فيها في الصف الأول مع أمراء النسيب في الشعر العربي .

٦ — ومع ذلك كله فقد أخطأ ابن المعتز في بعض معانيه في الغزل وهو القائل :

فإن أردت وصالا فاقبلي صلتي وإلا فهجران بهجران

---

(١) هو من قول العباس بن الأحنف :

ويح المحبين ما أشقى جدودهم ان كان مثل الذي بي بالمحبينا

وهو أسلوب بعيد عن الغزل وليس منه فى شىء . ويقول :

تقول : من ذا ؟ لست أعرفه   يالصـــة القلب جئت أطلبه

وهو أسلوب قريب من الهجاء . ويقول :

نؤم كمبة حسن خالها حجر   فى الخـد أسوده فى أبيض يقق

ففيه تكلف كثير ما كان أغناه عنه ، ويقول :

و : جاء بجيش الحسن فى   عـــديده وعـــدته
فقوســــه   وسهمه وسيفه فى لحظته الخ

فلست أستحسن تصويره لمحبوبه هـذا التصوير الذى أظهره فيه فارسا محاربا وكان الأولى أن يجعله غزالا نافرا أوظبيا شاردا أو ما شا كل ذلك من معانى الغزل.

الشباب والمشيب فى شعر ابن المعتز :

ومن أولى من ابن المعتز بوصف شبابه الناضر وأيام صباه الجميلة وذكريات ربيع حياته المشرق ؟

ثم من أولى منه بوصف مشيبه الذى قطعه عن ثمر اللهو ومرح الشباب ، وأثار فى نفسه ذكريات ملؤها الحزن على عهود شبابه الساحرة .

اسمع إليه يصور الشباب وجماله ولذاته والمشيب وآلامه وأسقامه وهمومه :

واها لأيام الصبا   محيت من الأيام محوا
أزمان أبلغ فى المنى   أقطارها مرحا ولهوا
أيام تغفر زلتى   ويظن عمد الذنب سهوا
من كل عيش قدأصبت   لذيذه وسلكت نحوا
سـل المشيب سيوفه   فسطا على اللذات سطوا

ويقول يذكر فضل المشيب :

وسع الشيب النهى   فأصـــاب منزلا
ما على الناصح أن   ينتهى من جهلا
غير أن حـــذوه   وأراه السبلا

ويحاول أن يقنع شريرا بفضل المشيب فيقول :

صدت شرير وأزمعت هجرى   وصغت ضمائرها إلى الغـدر
قالت كبرت وشبت قلت لهـا   هـذا غبار وقائع الدهر

ويقول لهند :

أنـكرت هنـد مشيبى وولت   بدموع فى الرداء سجوم
فاعـذرى يا هند شيبى بهمى   إن شيب الرأس نور الهموم

ولـكن يعود فيضجر بمشيبه :

قـل لمشيبى قـد بدا   فابيض منى المفرق
يا فضـة   حليتها   لـكنها   لا تنفق
لامرحبـا . لا مرحبـا   أنت العدو الأزرق

ويقول :

نور الرؤوس واللحى   وظلمة   القـلوب

ويقول :

لهفى على دهر الصبا القصير   وسـكره   وذنبه   المغفور

ويقول فى ظرف :

وإذا أردت تصابيـا فى مجلس   فالشيب يضحك بى مع الأحباب

ويقول :

لقد ابغضت نفسى فى مشيبى   فـكيف تحبنى الخود الـكعاب؟

وهكذا نعم ابن المعتز بالشباب ثم فارقه وحل به المشيب فسخط عليه وأنكره ثم صالحه وهادنه ثم رضى عنه واحتج له وأخذ يتحايل على بيـان فضله حتى وافاه أجله المحتوم .

الفخر فى شعر بن المعتز :

١ — يرى ابن رشيق أن الفخر هو المديح نفسه ، ولـكن الشاعر يخص نفسه وقومه (١)، ويراه أديب محدث تأريخا لفضيلة الفرد والجماعة (٢)، وفى الحق أن الفخر إشادة الشاعر بنفسه أو قومه وتنويهه بأدبه أو حسبه ، ولا يدعو إليه

(١) ١٣٦ : ٢ العمدة   (٢) ٩٩ : ٣ الرافعى

عاطفة الأثرة والأنانية فى كل وقت بل قد يكون الشاعر مضطرا لأن يساجل خصومه ويسجل على أعدائه ماخفى عنهم من صفاته وآدابه ، أو ما جحدوه من مآثره وفضائله ، وليس من شك فى أن حب النفس عاطفة من العواطف ، وأن الشعر مجال للعواطف الشخصية والإنسانية جميعا ، والذى نطالب به الشاعر حين يفتخر هو الصدق والتجرد عن مظاهر الكبرياء وتمثيل الحقائق الواقعة التى لاتركن إلى الخيال بل إلى الواقع نفسه فى تصورها وتصويرها .

٢ — ولابن المعتز من بين المحدثين مجال كبير فى الفخر ، وشعره فيه لايدانيه شعر شاعر منهم ، ويشيد بفخره الأدباء والنقاد جميعا ، فيذكره ابن شرف منوها بافتخاراته الملكية وهماته العلوية(١) ، ويقول الباقلانى : وتجد لابن المعتز فى مواقع شعره من القلب فى الفخر وغيره ما لا تجد لغيره لأنه إذا قال :

إذا شئت أو قرت البلاد حوافرا   وسارت ورائى هاشم ونزار

أو قال :

قد ترديت بالمكارم دهرا   وكفتنى نفسى من الافتخار
أنا جيش إذا غدوت وحيدا   ووحيد فى الجحفل الجرار

أو قال :

أيها السائلى عن الحسب الأ   طيب ما فوقه لخلق مزيد
نحن آل الرسول والعترة   الحق وأهل القرى فماذا تريد ؟
ولنا ما أضاء صبح عليه   وأتته رايات ليل سود

ويقول من قصيدة له :

وأسهر للمجد والمكرمات   إذا اكتحلت أعين بالكرى

فانظره فى هذه القصيدة كلها ، ثم فى جميع شعره نعلم أنه ملك الشعر ، وأنه يليق به من الفخر خاصة ، ثم مما يتبعه مما يتعاطاه ما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواه(٢) .

---

(١) ٢٤٩ رسائل البلغاء .

(٢) ٢٠٩ و ٢١٠ إعجاز القرآن .

٣ — ترجع أسباب اجادة ابن المعتز فى هـذا الفن إلى مجده فى نسبه ومجـده فى أدبه ، وإلى شعوره بهذا وذاك ، وإلى اعتزازه بشخصيته وتقديره لها ، وإلى رغبته فى اظهار فضائله أمام خصومه وحساده ، فضلا عن ملـكته القادرة وشاعريته الصناع .

ومن الحق أن ابن المعتز كان له من جلال المحتد وعظمة الشخصية ومجد الأدب والخلق ما تـكاد شاعريته تضيق عنه وتعجز عن تقديره .

٤ — يشيد ابن المعتز بأسرته ويفتخر بفضائله فيقول :

حسبي مكانى من أسرة كرمت ... من فخرها أحمد وجـــبريل

ويقول :

ونسب صحيح ينطق عنى جهرا

ويقول فى فخر بليغ وأسلوب ساحر وتعريض بخصومه :

خليلى إن الدهر ما تريانه ... فصبرا وإلا أى شىء سوى الصبر
سألتـكما بالله ماتعلمانى ... ولا تـكتما شيئا فعندكما خبرى
أأرفع نيران القرى لعفاتها ... وأضرب يوم الروع فى ثغرة الثغر
وأسأل نيـــلا لا يجاد بمثله ... فيفتحه بشرى ويختمه عـذرى
ويارب يوم لا توارى نجومه ... مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
فسبحان ربى ما لقوم أرى لهم ... كوامن أضغان عقاربها تسرى
إذا ما اجتمعنا فى الندى تضاءلوا ... كما خفيت مرضى الكواكب فى الفجر
نمتنى إلى عم النبى خـلائف ... علوا فوق أفلاك الكواكب والبدر

ويقول :

جـل امرؤ منفردا وجـلا ... فى زمن لم ير فيه مثلا
قـد أكل الحمد تلادى أكلا ... والعضب لا يثنيه أن يفلا

والبيت الأول من قول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ ... دد والمجد والمكارم مثلا

وأخذه المتنبى فقال :

وما عز فيها مراد أراده وإن عز إلا أن يكون له مثل

إلى غير ذلك من روائع فخره المتلثة قوة وروعة وسحرا وطلاوة والتى تحتل مكانتها فى باب الفخر فى الشعر العربى، وحسبها ما تمتاز به من تدفق المعانى واضطرام العاطفة وقوة الأسلوب وجزالته وصدق العاطفة وحرارتها .

(٢)

الشعر الاجتماعى فى أدب ابن المعتز:

ونقصد بالشعر الاجتماعى هذه الآثار الأدبية التى تتناول المجتمع وحياته بالشرح والتحليل، وتصور الشخصيات الواضحة فيه وأثرهم فى الحياة وفى نفس الشاعر على الخصوص .

ويتناول ذلك بعض شعر ابن المعتز فى المديح والتهنئة كما يتناول أبواب الهجاء والعتاب والرثاء .

(أ) فلابن المعتز قصائد كثيرة من باب المديح، كقصيدته « سلمت أمير المؤمنين على الدهر » فى تهنئة الخليفة المعتضد بقصر الثريا، وكأبياته وهو معتقل إلى أستاذه ثعلب يتشوقه :

إنا على البعـــاد والتفرق لنلتقى بالذكر إن لم نلتقى

وكأبياته فى أبى الحسين بن ثوابه :

انى رزقت من الأخوان جوهرة ما ان لهـا قيمة عندى ولا ثمن

وكغيرة ذلك من آثار شعره الاجتماعى الكثيرة فى باب المدح .

(ب) وكذلك من الهجاء كثير من الآثار الاجتماعية فى شعر ابن المعتز مما تناول فيها إخوانه وأصدقاءه وبعض رجال المجتمع بالذم والنقد أو التهكم والسخرية.

وعلى أى حال ففن ابن المعتز فى الهجاء لا خطر له، وليس له قيمة فنية خاصة فى شعر ابن المعتز لأنه لم يخلق لمثل هذا الفن الذى يجيده الحطيئة وجرير وبشار ودعبل وابن الرومى وابن بسام مثلا، ولعل أجود معانيه فى الهجاء قوله :

وأبليت آمالى بوصل يكدها ولست بذى ضر ولست بذى نفع
لئيم إذا جاء اللئام تخلقا يحب سؤال القوم شوقا إلى المنع

وقوله فى سخرية رائعة :

خلقت لا شك عندى من فضل طينة قرد

ويقول :

ضحك المشرفات فى يوم عيد إذ رأوا جعفراً يحث العنانا
قلن لما رأينه حالكا أسود جعداً يناسب السودانا
ليت هذا لنا فنعمل من جلدته فى وجوهنا خيلانا

(ح) والعتاب فى شعر ابن المعتز ، فيه ناحية سياسية كعتابه العلويين ، وناحية اجتماعية وهى الغالبة عليه كعتابه إخوانه وأصدقاءه وأهل بيته وحساده وغيرهم ، مما يجيد فيه ابن المعتز إجادة بالغة . ومما سنتناوله بالتحليل فى باب الاخوانيات ، ومن أولى من ابن المعتز بالاجادة فى العتاب وهو الرقيق الإحساس النبيل الخلق المهذب النفس ، والذى شاهد من أحداث الزمن وتقلب الإخوان ما لم يشاهده سواه ، والذى عاصر البحترى « شيخ الصناعة وسيد الجماعة وأحسن الناس طريقا فى عتاب الاشراف (١) » ، وعاصر ابن الرومى الذى كان له آثار ممتازة فى الهجاء (٢) .

شعر الاخوانيات عند ابن المعتز :

ولابن المعتز فى باب الاخوانيات شعر كثير جيد ، تناول فيه الصداقة ، وما فى طبيعة الاخوان من تقلب ووفاء ، وشكا الحسد والحساد ، وآلامه الكثيرة وضجره بالمجتمع الذى يعيش فيه ، إلى ما سوى ذلك من معانيه الجيدة فى هذا الفن الحافل بالجودة والطبع والروح والإبداع والحكمة ، ولا عجب فابن المعتز

---

(١) عمدة ٢ : ١٥٢

(٢) كقصيدته فى عتاب أبى القاسم الشطرنجى :

يا أخى أين عهد ذاك اللقاء أين ما كان بيننا من صفاء

فى إخوانياته شاعر ينطق عن شعور ، ويسترسل مع الطبع ، ويسير مع أخلاقه الواضحة ، وعاطفته ووجدانه الرقيق ، وهو وفى حامد لمن رعى عهود الصداقة .

يقول يصف الإخوان وطبيعة الناس فى عصره :

وأفردنى من الإخوان علمى بهم فبقيت مهجور النواحى
إذا قل مالى قل مدحى وان أثريت عادوا فى امتداحى

ويقول :

خلد الغدر ولم يبق وفاء ليس إلا كاذب العهد قطوع
كلهم أعمى إذا ما كان خير ولدى الشر بصير وسميع

ويقول فى صديقه النميرى :

جفانى النميرى فيمن جفا وما كان إلا كمن قد سرى
وما لى منه سوى الاعتذار نصيب وسائره للعدى
بأى سلاح تلاقى العدو وسيفك فى كفه منتضى
وما جمع الله حب امرىء وحبك أعداءه فى حشا

ويقول :

بلوت أخلاء هذا الزمان فأقللت بالهجر منهم نصيبى
وكلهم إن تصفحتهم صديق العيان عدو المغيب

ويقول :

خلقت فى شر عصبة خلقت أنكلنيها رب السموات
كلاب حى إذا حضرت فان غبت فواقا فأسد غابات
يلقون ذا الفقر بالقطوب وذا الوفر بلبيك والتحيات

ويقول :

كان لنا صاحب زمانا لحال عن وده وخانا
تاه علينا فتاه منا فلا نراه ولا يرانا

وقال .

نبئت أن قوى قد دفنوا لى مكرا
طال عليهم عمرى فاستعجلوا بى القبرا
هل الأغر ذنب ان لم يكونوا غرا

ويقول فى الحسد والحساد :

كم حاسد حنق على بلا جرم فلم يضررنى الحنق
متضاحك نحوى كما ضحكت نار الذبالة وهى تحترق

ويقول .

يا من عنانى حسده يقيمه ويقعده
سهرت ليلا أرقده حظ الحسود كمده

ويقول :

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

ويقول فى طلب العفو وهو فى نهاية الحسن والروعة :

سيدى قد عثرت خذ بيدى ولا تدعنى ولا تقل تعسا
واعف فإن عدت فاعف ثانية فقد يداوى الطبيب من نكسا

الرثاء فى شعر ابن المعتز :

الرثاء من أهم موضوعات الشعر عند ابن المعتز ، واشتهر بالإجادة فيه أوس(١) والأعشى وأبو زبيد الطائى ولبيد م ٤١ هـ ، ومتمم بن نويرة وأبو ذؤيب ومالك ابن الريب وكعب بن سعد(٢) ، وانفردت به الخنساء ، ثم اشتهر بعد ذلك حسين ابن مطير والكميت فى مراثيه للعلويين ودعبل فى مرثيته معاهد العلويين ، ثم أبو تمام ، وهو من المعدودين فى ذلك ،(٣) ، ومثله ديك الجن وهو فى هذا أشهر من حبيب (٣) ، وللبحترى فى الرثاء آيات رائعة ومنها مرثيته فى المتوكل ، وكذلك ابن الرومى كما فى مرثيته لولديه ، بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى ، .

(١) ومرثيته : «أيتها النفس أجلى جزعا» عند الاصمعى لم يبتدىء أحد من الشعراء مرثية أحسن من ابتدائها (٣٤ : ٣ الامالى)
(٢) وقالوا ليس للعرب مرثية أجود من بائيته فى أخيه أبى المغوار (١٧٨ : ٢ ديوان المعانى)
(٣) ١٤١ : ٢ العمدة

ولابن المعتز فى الرثاء آثار كثيرة نظامها فى ديوانه المخطوط وفى شتى كتب الأدب العربى وقد شوه ناشر ديوانه آثاره الأدبية فى الرثاء فلم ينشر منها عشر شعره فى هذا الباب .

كانت حياة بن المعتز والنكبات التى نزلت به وبأسرته والآلام النفسية التى كانت تملأ صدره تدعوه إلى نظم القصائد ، يرثى بها أهله وأسرته وأصدقاءه الذين أخلصوا له المودة ، ويرثى بها كل عزيز عليه مكين عنده من رجالات الدولة وعظمائها . ومراثيه يظهر فيه بوضوح أثر هذه الآلام والنكبات ، ويمتزج مافيها من حزن بحكم الحياة الاجتماعية وعبرها ومواعظها وبروح الشكوى والأنين ، وبعاطفة الوفاء البعيد الذى يشيع فى نفس الشاعر ووجدانه .

فهو يرثى أهله بقصيدته :

أبى علينك الدهر مقتدراً والدهر ألام غالب ظفرا (١)

ويرثى أباه بقصيدته :

رب حتف بين أثناء الأمل وحياة المرء ظل ينتقل (٢)

ويرثى أبا الحسين بن ثوابة بقصيدته :

ليس شىء لصحة ودوام غلب الدهر حيلة الأقوام (٣)

ويرثى المعتضد بقصيدته :

قالت شريرة ما لجفنك ساهرا قلقاً وقد هدأت عيون النوم (٤)

---

(١) ديوان ابن المعتز المخطوط ، ١١٤ : ٤ ، زهر ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز ، والقصيدة طويلة جدا .

(٢) ديوان ابن المعتز المخطوط ، ١٢٦ رسائل ابن المعتز ، وقد جارى فيها قصائد الرثاء فى الشعر العربى القديم فذكر فى أولها ما ذكره أبو ذؤيب فى عينيه وسواه من الشعراء ، من أن الموت لايبجو منه حيوان ولو كان فى ذرى الجبال ، ويشير إلى ذلك ابن رشيق فى عمدته (١٤٢ : ٢ العمدة) ، ومن القصيدة :

ونرى القتل بقاء ثانيا ونرى الموت قبيحا بالرجل
إن يكن خضبه أعداؤه بدم فالدم حناء البطل

(٣) ٨١ : ٣ زهر ، ١٣٠ ابن المعتز .

(٤) ١٩٩ : ٣ زهر ، ١٣١ رسائل ابن المعتز .

وفى تعزيته للموفق بابنه هارون م ٢٧٠ هـ :

يا ناصر الدين إذ هدت قواعده وأصدق الناس فى بؤس وإنعام(١)

تكلف وتقليد وصنعة لأن الشاعر نظمها فى طور التقليد الذى عاش فيه فى أول شبابه قبل أن يبلغ مرحلة الاستقلال فى حياته الفنية . وله قصيدة طويلة يرثى فيها الحسين بن على ومطلعها :

كم قتيل لك فى الطف غالى أرخصته غصلات العوالى(٢)

ويقول فى عبيد الله بن سليمان الوزير م ٢٨٨ هـ :

لم تمت أنت إنما مات من لم يبق فى المجد والمحامد ذكرا
لست مستسقيا لقبرك غيثا كيف يظما وقد تضمن بحرا؟ (٣)

ويقول فى رثاء الموفق م ٢٧٨ هـ :

ألست ترى موت العلا والمحامد وكيف دفنا الخلق فى قبر واحد(٤)
وللدهر أيام تسىء عوامدا ونحسن إن أحسن غير عوامد

وله قصائد طويلة جيدة فى الرثاء تجدها فى ديوانه المخطوط .

وبعد فانتاج ابن المعتز فى الرثاء كثير جيد ، وهو بمراثيه الجيدة وألحانه الحزينة ومعانيه الطريفة وأساليبه التى يشيع فيها الوفاء فى الرثاء لايصمد على أى حال إلى مكانه أبى تمام وابن الرومى فى هذا الباب .

(٤)

الشعر السياسى

ونقصد به مايمس الدولة وسياستها والشخصيات الحاكمة فيها ، وما يوضع

---

(١) ٢٠٠ : ٣ زهر ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز .
(٢) ديوانه المخطوط .
(٣) من قول أبى تمام :
وكيف احتمالى للسحاب صنيعة بإسقائها قبرا وفى لحده البحر
(٤) من قول جرير :
إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضابا
وقول أبى نواس :
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

أهداف الشاعر السياسية ، وآراءه فى هذه الناحية ، وهو يتناول باب المدح والتهنئة فى شعر ابن المعتز وبعض أبواب العتاب والفخر والهجاء .

ولقد كان لابد لابن المعتز — مهما أظهر بعده عن السياسة وانصرافه عنها إلى الأدب — أن يتأثر بالحياة السياسية تأثراً خاصاً ، وأن يظهر آثار هذا التأثر فى شعره وإنتاجه .

كان يعيش فى ظروف قاسية حتمت عليه الوفاء للخلفاء الحاكمين من أسرته ، وكثيراً ما كان يندفع بعاطفته كعباسى متحمس إلى الإشادة بأعمالهم فى سبيل دعم صرح الخلافة وتوطيد مكانها كما فعل مع المعتضد ومع وزيره عبيد الله .

وابن المعتز من أسرة الخلافة ، وممن تجرى فى عروقه روح الرغبة الصادقة فى أن تكون الخلافة فى حاضرها قوية قوتها فى ماضيها كما كانت فى عهد المنصور والرشيد والمأمون ، ولكن حالة الخلافة فى عهده كانت حالة ضعف وانحلال ، فكان لابد له أن يدعو الخلفاء من أهل بيته إلى اليقظة والحزم والقوة وإلى العمل المجدى لإعادة مجد الخلافة الخالد وماضيها التليد ، ونازل ابن المعتز بدافع هذه الحماسة جميع الثائرين على الدولة والطامعين فيها من خارجين وعلويين وقرامطة وسواهم ، فناضلهم نضال الأبطال بلسانه وروائع بيانه ، ثم أحس ابن المعتز بأن موجة من الشعوبية تريد أن تكتسح الدولة وتعمل فى الخفاء لتدبير الدسائس والمكائد لها فخاصمها وحاربها بشدة وعنف لايخشى فى الحق شيئاً . وذلك كله هو أهم عناصر شعره السياسى الذى ألم به ونظم فيه .

وتبعاً لهذا الرأى الذى آمن به الشاعر ، والظروف خاصة أخرى ، نظم ابن المعتز قصائده فى المدح وفى كثير من أبواب العتاب والهجاء ، مدح الخلفاء وزاد اتصاله بالمعتضد والمكتفى خاصة ، ومدح كثيراً من الوزراء وعلى الأخص عبيد الله بن سليمان وابنه القاسم ، ومدح سواهم من رجالات الدولة وأصدقائه فيها ، وقصائده فى هـــذا كله إنما هى صميم شعره السياسى ، فأما أن نعدها مدائح فهذا قد يستساغ إذا فهمنا أن المدح غير التكسب بالشعر وأنه تقدير الرجال والأعمال والإشادة بها فى أشخاص بعض الشخصيات ، ذلك أن ابن المعتز لم يقف أمام هؤلاء جميعاً موقف المادح ، بل موقف المؤرخ الصادق ، فقدر من أعمالهم ما كان يجب أن يقدره ، نوه بهم حين كان الواجب يحتم عليه ذلك ، واستبشر

بما نالوه فى الحياة من توفيق فى سبيل عظمة الخلافة ومجد الدولة ، فشتان بين مدائحه ومدائح المتكسبين بالشعر كالاعشى والنابغة وكالأخطل وجرير وكأبى العتاهية والبحترى وسواهم من الشعراء ، وكذلك كان الجانب السياسى فى هجائه وعتابه دعاية قوية لآرائه السياسية وأهدافه العامة ، وصورة لما يختلج فى صدره من حب للخلافة ونقمة على الخارجين عليها ، فهجا أبا الصقر الوزير ، وعاتب الذين كان لا بد له أن يعاتبهم من الرجال ونقد ما كان لا بد له أن ينقده من الإهمال .

وقد مضى ذكر ألوان من مدائحه فى الخلفاء والوزراء فى الكلام على حياة الشاعر ، ومن أروع مدائحه قصيدته فى المعتضد :

عرف الدار فحيا وناحا بعد ما كان صحا واستراحا

ومنها :

جمع الحق لنا فى إمام قتل البخل وأحيا السماحا
فرح الأعداء بالسلم منه وهو فى السلم يعد السلاحا
فرقت أيديهم المال كرها ولقد كانوا عليها شحاحا
خاط أفواههم وقديما مزقوها ضحكا ومراحا

وقصيدته فيه « هذا الفراق وكنت أفرقه » .

وقصيدته التى مدحه بها عام ٢٨٧ هـ حين قضى على ثورة صالح بن مدرك الطائى : « ياقاتلا لايبالى بالذى صنعا » .

وقصيدته فى المكتفى :

لا ورمان النهود فوق أغصان القدود

والتى يقول فيها الحصرى: إنها من الشعر الذى يجرى فى النفس مجرى النفس(١) إلى غير ذلك من جيد قصائده فى المدح .

ويقول ابن المعتز يرسم للخلفاء السياسة التى يجب أن يعملوا لها :

ياقوم – بل لا قوم لى – هبوا من الرقدات

---

(١) ٢٦٦ : ٣ زهر

إنى أرى ريب الزما ن موليا بشتات
هبوا إفاقة حازم ثم اسكروا سكرات
فالنمر بعد وقوعه فى الناس ذو وثبات

ويقول :

شدوا أكفكم على ميراثكم فالحق أعطاكم خلافة أحمد
ومتى يرمها الرائمون فبادروا هاماتهم حصداً بكل مهند
طورا مجاهرة وطوراً غيلة كم قاتل بغرار كيد مغمد

وكان ألد أعداء الخلافة العباسية القرامطة والعلويون والخارجون عليها باسم الملك حينا وباسم الدين أحيانا ، وقد حاربهم ابن المعتز بشعره حربا لاهوادة فيها مما تجده واضحا فى ديوانه ، وكان العلويون من ألد خصوم الدولة إذ كانوا لايزالون يطمحون إلى الخلافة ويدافعون عن حقهم فيها بالسيف كما يدافعون عنه باللسان : وقد ملأ ابن المعتز شعره ثورة عليهم ، وغضبا لسوء صنيعهم ، ودعوة للانتقام منهم ، والقضاء على ثوراتهم ، وكان الشاعر يذهب إلى ذلك حرصا منه على مجد أسرته وكرامتها ، وهناك قطعة صغيرة فى هذا الباب :

بنى عمنا الأدنين من آل طالب تعالوا إلى الأدنى وعودوا الى الحسنى
أليس ابن عباس بجن أبيكم وموضع نجواه وصاحبه الأدنى
وأعطاكم المأمون عهد خلافة لنا حقها لكنه جاد بالدنيا
ليعلم أن التى قد حرصتم عليها وغودرتم من أجلها صرعى
يسير عليه فقدها غير مكثر كما ينبغى للصالحين ذوى التقوى
فات (الرضا) من بعد ما قد علمتم ولاذت بنا من بعده مرة أخرى
وعادت الينا مثل ما عاد عاشق الى وطن له فيه كل ما يهوى
دعونا ودنيانا التى كلفت بنا كما قد تركناكم ودنياكم الأولى

ويقول :

يا بنى عمنا الى كم وحتى ليس ما تطلبونه يستقيم

فدعوا الملك نحن بالملك أولى   قد أقرت لنا بذلك الخصوم(١)

وهو حوار قوى طريف .

وله قصيدة مشهورة رائعة فى ذلك ، أكد فيها حق العباسيين فى الخلافة ، وذاد العلويين عن حياضها وتراثها الموروث . ومطلعها :

ألا من لعين وتسكابها   تشكى القذى وبكاها بها

ومنها :

نصحت بنى رحمى لو وعوا   نصيحة بر بأنسابها
قتلنا أمية فى دارها   ونحن أحق بأسلابها
ونحن ورثنا ثياب النبي   فلم تجذبون بأهدابها ؟
لكم رحم يا بنى بنته   ولكن بنو العم أولى بها
وأنتم أنكم تملون   بأنا لها خير أربابها

وهى قصيدة طويلة جيدة كان لها أثرها البعيد فى نفوس العلويين وأنصارهم ، وعارضها كثير منهم بقصائد على وزنها وقافيتها ، ورد عليها القاضى أبو القاسم التنوخى (٢٧٨ — ٣٤٢ هـ) بقصيدة نحلها بعض العلويين ، أولها :

من ابن رسول الله وابن وصيه   إلى مدغل فى عقدة الدين ناصب
نشا بين طنبور وزق ومزهر   وفى حجر شاد أو على رأس ضارب
ومن ظهر سكران إلى بطن قينة   على شبه فى ملكها وشوائب

إلى آخر هذه القصيدة(٢) ، وعارضها تميم بن المعز الفاطمى م ٣٧٤ هـ بقصيدة أولها :

إذا فزع الشوق حب القلوب   كواها بشدة تلهابها

ومنها :

ألا قل لمن ضل من هاشم   ورام اللحوق بأربابها
أعباسها كأبى حربها   على وقاتل نصابها

---

(١) ٦٣ وما بعدها ديوانه ، ١١١ وما بعدها الاوراق .

(٢) ٣٤١ : ٥ وما بعدها معجم الأدباء .

بني هاشم قد تعاميتم فخلوا المعالي لأصحابها
أعباسكم كان سيف النبي إذا أبدت الحرب عن نابها
عجبت لمرتكب بغيه غوى المقالة كذابها
يقول فيظلم زور الكلام ويحكم تمنيق أذهابها
لقد جار في القول عبد الاله وقاس المطايا بركابها

وعارضها صفي الدين الحلي م ٧٥٠ ﻫ بقصيدة طويلة (١) أولها :

ألا قل لشر عباد الإله وطاغي قريش وكذابها
أأنت تفاخر آل النبي وتجحدها فضل أحسابها ؟

وكان لهذه القصيدة التي نظمها ابن المعتز في العلويين آثارها السياسية البعيدة وكانت محور أحاديث ودعايات سيئة أحيطت بها شخصية ابن المعتز وحكم على ضوئها على أدب ابن المعتز كثير من الناس ، فعدلوا عن ثلبه في الآداب الى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء علي بن أبي طالب (٢) » .

وهذه القصائد كلها لم تكن بغضا لعلي ولا للعلويين ، فقد صرح بأنه يهوى عليا « وكان ابن المعتز يسلم عليه أصحاب رسول الله لا يذكر أحد منهم إلا عدد فضائله وناضل عنه ونصره وما سمع في حال من الأحوال ينتقص أحدا ولا عرض بذلك ولا أومأ إليه (٣) » « وكان يحلف بالله لئن ملك من هذا الأمر شيئا ليجعلن البطنين بطنا واحدة وليزوجن هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء حتى يصيرا شيئاً واحدا(٤) » ، إلا أنه كان يقدم بني هاشم ويفضلهم ونظم في آخر حياته قصائد فيها مفاخرة لأهله وبني عمه الطالبيين وكان يرى أنهم يناقضونه فاجتمع إليه جماعة من الطالبين منهم ابن البصري العلوي وكان يجالسه على قديم الأيام والقاسم ابن اسماعيل لحلفوا له ما يقول هذه الأشعار أحد منهم فندم على ما كان من قوله ، وكان يقول : من عذيري من الناس ؟ تأتيني مثل هذه الأشعار فأجيب بتعريض عن مائة كلمة قد صرح بها كلمة فأنسب إلى ما أنسب إليه ، ثم عمل أشعارا يعتذر فيها ويمدح عليا وولده وأعطى الله عهدا ليقولن باقي عمره في هذا الفن(٥)

---

(١) راجعها ﻝ ٢٤٣ : ١ وما بعدها فوات
(٢) ١٤١ : ٩ الأغاني .
(٣) ١٠٧ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٤) ١٠٩ المرجع (٥) ١٠٧ الاوراق وما بعدها

فالداعى إذا لابن المعتز على نظم هذه الأشعار هو دعايات العلويين وتعصبهم عليه لتقديمه لبنى هاشم وتفضيله لهم كما يقول الصولى فى الأوراق ، ونضيف إلى ذلك : حب الشاعر لمجد الخلافة العباسية ، وكثرة ثورات العلويين ومن يدعون أنهم علويون على الخلافة والخلفاء . وقد كانت هذه الخصومة ضررا على ابن المعتز ومكانته عند كثير من الجماهير وكانت مجال دعاية تنشر حوله فى كل مكان ، ولكن ابن المعتز قد خفف فى آخر أيامه من حدة هذه الخصومة ونظم قصائد كثيرة يعتذر فيها للعلويين ويبين أنه إنما كان يهجو المدعين الذين يحتالون على الملك تحت ستار أنهم علويون ، ومنها قصيدته :

رأيت الحجيج فقال العدا ة سب عليا وبيت النبى
أآكل لحمى وأحسو دمى فيا قوم للعجب الأعجب
على يظنون بى بغضه فهلا سوى الكفر ظنوه بى
بلى قرمطيين متوا إليه بالنسب الأجرب الأكذب

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة(١) .

وهكذا كان ابن المعتز قويا أيضا فى جدله للشعوبيين قوته فى جدله للعلويين والقرمطيين ، كان الشعوبيون ينادون بمساواة الأجناس وتمادى كثير منهم ففضل العجم وتنقص من العرب وقد أبلى كثير من العلماء فى الرد عليهم كالجاحظ وسواه، وكان ابن المعتز يبغض الشعوبية والشعوبيين ، وله فى ذلك آثار كثيرة منها قصيدته :

أسمع قولا ولا أرى أحدا من ذا الشقى الذى أباح دمه ؟

وهى فى الرد على يحيى بن المنجم فى قصيدة له افتخر فيها بالفرس على العرب(٢)
وله يهجو الفرس قصيدة طويلة جدا مطلعها :

قد حال دون الرجاء تعليل فالوعد كل والكل مأمول(٣)

وبعد ففن ابن المعتز فى شعره السياسى يمثل عصره وسياسة الدولة فيه تمام

---

(١) ١٠٩ الاوراق وما بعدها ، ١٢٩ ديوانه .
(٢) راجع ورقة ٣٣ من الاوراق قسم المقتدر وما بعدها مخطوط ، وديوانه المخطوط .
(٣) راجع الاوراق قسم المقتدر ، وفى ص ١٩٩ من ديوانه ثلاثة أبيات منها .

التمثيل ، وتتمشى الجودة وقوة العاطفة وسلامة الأسلوب فى أعطافه ، وفيه روح وطبع وشاعرية ، وهو فن نبغ ابن المعتز وأجاد فيه وطامه بروح شاعر وأسلوب قوى جزل فى أكثر الأحيان ، وهو على أى حال من أجود شعره وأطبعه . ويمتاز مافيه من مدح بصدق العاطفة ومجافاة الإغراق وتصوير الواقع الذى يعرف الشاعر أنه واقع وحق. كما يمتاز بأسلوبه وخياله ومعانيه المخترعة الجليلة ، وفى عهد تقليده الفنى شاع فى قصائده فى المدح التقليد لأسلوب الجاهلية وجزالتهم كما فى مدحته الموفق :

بكاء على مافى الضمير دليل ولكن مولاه عليه بخيل

ثم أخذت الرقة والعذوبة تسرى فى أعطاف مدائحه مع ظهور الكلف فيها كما فى مدحته المعتضد :

وحلو الدلال مليح الغضب يشوب مواعيده بالكذب

والتى وصف فيها لذاته ولهوه ومجالس الأنس ثم أفاض فى مدح الخليفة وإعلان سروره بولايته إلى غير ذلك مما ضمنه هذه القصيدة ، وبعد هذا الطور الفنى أخذ أسلوب الشاعر يفيض قوة وطبعا وجمالا مع الجزالة حينا والرقة أحيانا مما تراه فى مدائحه فى المعتضد والمكتفى بالله وقصيدته فى القاسم بن عبيد الله الوزير:

يا قلب ويحك خنتنى وفعلتها وحللت عقدة توبتى ونقضتها

(٥)

الحـــكمة فى شعر ابن المعتز

الحكمة هى آثار التفكير فى الإنسان والمجتمع والوجود والحقائق والأشياء وهى ثمرات العقل الإنسانى والاحساس الفكرى بالحياة .

والحكمة قديمة فى الشعر العربى تجدها فى الجاهلية فى شعر زهير وأضرابه وفى الإسلام فى شعر كعب الغنوى(١) وكثير من الشعراء، وكان الحارث بن كلدة طبيب العرب المشهور شاعرا ذا حكمة فى شعره(٢)

---

(١) كان يقال له كعب الأمثال لكثرة مافى شعره من الأمثال (٣٤١ معجم الشعراء)
(٢) ١٧٢ المؤلف للآمدى .

وكان عمران بن حطان أشعر الناس فى الزهد(١) ، وكان القطامى كثير الأمثال فى شعره(٢) وكان أبو بكر بن محمد بن عبد الله الكوفى جل أشعاره آداب وأمثال وأدرك الدولتين .(٣) . ثم جاء عصر المحدثين ، فأكثروا من الحكمة كصالح ابن عبد القدوس وأبى العتاهية ومحمود الوراق ، كان صالح من الشعراء الفلاسفة وجميع شعره فى الحكمة والأمثال ، وكان مذهبه مذهب السوفسطائية الذين يزعمون أن الأشياء لاحقيقة لها وله كتاب سماه الشكوك(٤) وكان أبو العتاهية لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الأخبار والآثار(٥) ، وأكثر شعره فى الزهد والأمثال(٦) ، وكان أكثر شعر محمود الوراق أمثالا وحكما ومواعظ ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس(٧) . ولأبى تمام كثير من الحكم الاجتماعية فى شعره .

وكانت الحكمة فى العصر الجاهلى مستمدة من تجارب الشاعر وآرائه الخاصة فى الحياة ، وفى العصر الإسلامى كثرت الحكمة وتنوعت بما دخلها فوق ذلك من أثر القرآن والحديث وعلومهما فى التفكير والاخلاق والاجتماع ، وفى بدء عصر المحدثين أضيف إلى تلك العناصر الحكمة الفارسية التى احتذاها الشعراء ونظموا كثيراً من معانيها ، ثم جاءت الفلسفة والحكمة اليونانية ، فلقحت العقول بلقاح جديد ظهر أثره فى هذا الفن فى العصر الثانى على يد أبى تمام م ٢٣١ ﻫ وابن الرومى م ٢٨٣ ﻫ والناشىء الأكبر ٢٩٣ ﻫ وسواهم من الشعراء .

ولابن المعتز مجال كبير فى الحكمة التى سنعرض ألوانا منها من شعره فى الأدب والاخلاق والاجتماع والسياسة ، لنرى إلى أى حد كان ابن المعتز يفكر ويحكم على الأشياء :

(١) المال : ابن المعتز جواد متلاف ، ويعلل جوده فى فلسفة هادئة :

---

(١) ٩١ المرجع　　(٢) ٢٤٤ معجم الشعراء

(٣) ٤١ المرجع　　(٤) ١٣٢ و ١٣٣ : ٣ الرافعى

(٥) ٢٣٨ : ١ الكامل للمبرد .

(٦) ١٢٢ : ٣ الأغانى .

(٧) ١٧٤ طبقات الشعراء لابن المعتز .

إذا لم أجد بالمال جاء به الدهر على وارق والكف فى قبرها صفر
وكيف أخاف الفقر والله ضامن لرزق وهل فى البخل من بعد ذا عذر؟

وهو يعرف قيمة المال وأثره فى حياة الناس حيث يقول :

إذا كنت ذا ثروة من غنى فأنت المسود فى العالم
وحسبك من نسب صورة تخبر أنك من آدم

ويرى أن الاسترسال فى الانفاق يقود الى الفقر والهوان :

يارب جود جر فقر امرىء فقام للنـــاس مقام الذليل
فاشدد عرا مالك واستبقه فالبخل خير من سؤال البخيل (١)

ولذلك فهو يرى استثمار المال ليعين على المكرمات :

ونصلح ما أبقى لنا منه جودنا لنجرى ما عشنا على عادة الفضل

ومع ذلك فهو يدعو الى ترك الحرص :

فيا بنى الدهر كم ذا الجهد والتعب الله يرزق ليس الحرص والنصب

فليس مستغنيا ما عاش انسان :

وفى الممات غنى للمرء يستره وليس مستغنيا ما عاش انسان

والرزق مقدور :

قل للطالب قد أنضى ركائبه لاتعجلن فان الرزق مقدور

وفلسفته فى هذا الباب بسيطة غير معقدة وأساسها المصدر الدينى والاجتماعى دون ما سواهما من نظريات وآراء ، وله كثير من الشعر يدور حوله ما بسطناه .

(ب) الأخلاق : وابن المعتز فى شبابه رجل مستهتر يدعو الى ملذات الحياة :

صاح ان أمكنك لذة عيش فلا تذر

لأنها هى سعادة الحياة :

---

(١) من قول علقمة :

والجود نافية للمال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومذموم

(١٩١ مفضليات) ، ومنه قول مسلم :

ما أعلم الناس أن الجود مدفعة للذم لكنه يأتى على النشب

(١١٤ : ٤ زهر) .

وما الملك فى الدنيا بهم وحسرة   ولكنما ملك السرور هو الملك

ولا يبالى فى ذلك بالناس :

وما خفنا من الناس   وهل فى الناس إنسان ؟

ثم عاد يدعو الى الرشاد :

خل الذنوب كبيرها   وصغيرها   فهو التقى

ويعاقب نفسه اتباطؤها فى التوبة الى الله :

جد الزمان وأنت تلعب   العمر فى لا شىء يذهب
كم قد تقول غدا أتوب   غدا غدا والموت أقرب

وهو يدعو الى القوة وعدم الجبن والهوان :

ألا رب حلم عاد رقا وذلة   وجهل به يعطيك ذو الجهل ما ترضى

وتردد فى شبابه فى قيمة الصبر :

لو أطعنا الصبر عند الرزايا   ما عرفنا شدة من رخاء

ولكنه يعود فيدعو اليه بعد تجارب الحياة :

عليك بحسن الصبر فى كل مورد   من الأمر كى تحظى بحسن المصادر

وابن المعتز لا يؤمن بالقرابة ولا بالأقارب لأنه ذاق منهم كثيرا من الآلام :

لحومهم لحمى وهم يأكلونه   وما داهيات المرء إلا أقاربه

ويقول :

وما نسب الأقوام إلا عداوة   وأكثر ما يشقى به من يناسبه

وكذلك رأيه فى كثير من الصداقات والأصدقاء :

بلوت أخلاء هذا الزمان   فأقللت بالهجر منهم نصيبى
وكلهم ان تصفحتهم   صديق العيان عدو المغيب

ويدعو إلى المكيدة للقضاء على الشر : كم قاتل بغرار كيد مغمد .

وقد يكون السيف أحسم للداء المستفحل :

والسيف أحسم للداء الذى امتنعا

ويدعو الى انتهاز الفرص فى الأعداء :

فان فرصة أمكنت فى العدو فلا تبد فعلك إلا بها
فان لم تلج بابها مسرعا أتاك عدوك من بابها
وإياك من ندم بعدها وتأميل أخرى فأنى بها ؟

ويرى قبول عذر من اعتذر كاذبا كان أو صادقا :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره وقد أجلك من يعصيك مستترا

(ج) الحياة والمجتمع :

وقد جرب ابن المعتز الحياة ، وخبرها ، وذاق حلاوتها ومرها ، وعرف شرها وخيرها ، ودعا إلى الحذر منها :

يا من تبجح بالدنا وزخرفها كن من صروف لياليها على حذر

ويقول فى روعة وبلاغة

يا آمنا لا تبق من حذر إن المخافة جانب الأمن

فالدهر يهدم ما بنى :

والدهر يهدم ما بنى بيد فيه وان زرع السرور حصد
والدهر من أخلاقه استرجاع ما قد سلفا

وهو مقسم بين الصفو والكدر :

إن الزمان إذا جربت خلقته مقسم الأمر بين الصفو والكدر

وهو يحسن ويسيء :

وعند كان الحظ يخشى زواله كما لغريق اللجة الرى والقحط

ولا يغالب الدهر إنسان :

ومبرم أمره والدهر ينقضه هل غالب الدهر يا للناس من أحد ؟

والحياة مصيرها إلى الفناء :

راح فراق أو غدا لست بباق أبدا
لا تخدعن إنما كوالد من ولدا
من سار كل ساعة نحو المنايا وردا

ويقول فى حكمة و بلاغة :

وما العيش إلا مدة سوف تنقضى   وما المال إلا هالك عند هالك

ويقول :

رأيت الدهر ينقض كل يوم   قوى حبل البقاء وكل عام
يقتل بعضنا بأكف بعض   ويشحذ بيننا سيف الحمام

ولكنه يذم الموت كما يذم الحياة :

الموت مر والعيش هم   وأى هذين لا أذم

ثم يعود فيؤثر الموت :

من أحب البقاء دام عليه   مع طول البقاء هم طويل

ويحسد سكان القبور :

لقد حبب الموت البقاء الذى أرى   فياحسدا منى لمن سكن القبرا

لأن الزمان لئيم على الكريم : « إن الزمان على الكريم لئيم »

ولأنه مقلوب الأوضاع :

قد ملىء الزمان بالعجائب   وارتفع المنسم فوق الغارب

ولكنه يدعو إلى الصبر والهدوء:

قرى للزمان الصعب ويحك واصبرى   فما ناصحات المرء إلا تجاربه

ويقول : وكم نعمة لله فى صرف نقمة   ترجى ومكروه حلا بعد امرار

ويقول :

رب أمر تتقيه   جر أمرا ترتجيه
خفى المحبوب منه   وبدا المكروه فيه
فاترك الدهر وسلمه   إلى عدل يليه

والحياة على أى حال لاتستحق شيئا عنده فهو يعيش فيها مكرها :

سكنتك يادنيا برغمى مكرها   وما كان لى فى ذاك صنع ولا أمر

وهو يعيش فيها وكأنه غريب عنها :

إنى غريب بدار لاكرام بها   كغربة الشعرة السوداء فى الشمط
ماأطلق العين فى شىء أسر به   ولستأبدى الرضا إلاعلى السخط

والموت أولى من هذه الحياة :

الموت أولى للفتى من أن يرى ظالع دهر كلما شاء انقلب

لأن الناس فيها قد ركبوا مطايا باطل جموح :

والناس قد ركبوا مطايا باطل والحق وسعاهم برحل فارغ

وللجهل فيهم دولة :

كن جاهلا أو فتجاهل تفز للجهل فى ذا الدهر جاه عريض

ويقول :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقلا(١)

وهو من قول البحترى :

أرى الحلم بؤسا للمعيشة للفتى ولا عيش إلا ماحباك به الجهل

وقول الشاعر :

إنى رأيت الحظ حظ الجاهل ولم أر المغبون غـير العاقل

ويقول المتنبي :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وأخلاق الناس قد مسخت أخلاق ذئاب :

لست من بعدهم أرى صورة الإنـ ـس يقينا إلا الأخلاق ذئب

ويقول لنفسه :

لا تظنى الناس ناسا أى أسد فى الثياب(٢)

وهو لذلك حكم فى أموره كل الحكمة :

إنى إذا فطن الزمان لناطق وسكت حين رأيت دهرا أبلها(٣)

د — حكم اجتماعية أخرى :

ويقول ابن المعتز : والمرء مادام حيا خادم الأمل .

ويقول : والمرء يعشق لذة الدنيا فتمقره المصائب

---

(١) يشيد الثعالبى بهذا البيت (٣٥٢ : ٢ اليتيمة) .

(٢) قريب من قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

ونسبه صاحب الشعر والشعراء للأحيمر السعدى (٣٠٧ الشعر والشعراء)

(٣) هو من قولهم : لا تدل بحجتك حتى تجد قضاة عدولا

ويرى أن العظيم لا يظفر بتقدير أقاربه وحساده :

وإذا ملكت المجد لم تملك مودات الأقارب

ويقول :

ما لذة العيش إلا للمجانين

ويقول فى بلاغة وسحر تصوير يصور حزم المعتضد :

فرح الأعداء بالسلم منه ... وهو فى السلم يعد السلاحا
فرقت أيديهم المال كرها ... ولقد كانوا عليها شحاحا

ويقول :

من مكرمات الفتى تقديمه الحرما

ويقول :

ومن شر أيام الفتى بذل وجهه ... إلى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الإحسان من لم تكن له ... إلى طلب الإحسان نفس تنازع

إلى غير ذلك من حكمة المتعددة التى تركنا كثيرا منها خوف الاطالة

وبعد فالحكمة فى شعر ابن المعتز أكثرها سهل مأخوذ من الثقافة العربية ، والقليل منها صقله التفكير العقلى والثقافات الأجنبية ، فخرج رائع الأسلوب بعيد المنزع واضح الدلالة على ثقافة صاحبه وعقليته وبعد منزعه فى التفكير .

والحكمة فى شعر ابن المعتز أكثرها يدور حول الأخلاق والاجتماع وشكوى الزمان والناس . وله فيها معان جيدة وأساليب جميلة ، ولكنه لم يتناول فيها شيئا من الالهيات أو العقائد ، ومع ذلك فهى لا ترفعه إلى مكانة شعراء الحكمة فى الأدب العربى من مثل أبى تمام والمتنبى والمعرى ، ولكنه يجىء تاليا لهذه الطبقة وبعيدا مع المجيدين فى هذا الباب الذى هو أكثر أبواب الشعر صعوبة وأحوجها إلى الشاعرية والطبع والملكة والإلهام .

(٦)

الشعر الفنى فى تراث ابن المعتز فى القريض

وهو باب يشمل من تراث ابن المعتز فى الشعر أبواب : الوصف والطرد والخمريات ووصف الطبيعة(١) ؛ وسنتناول كل فن من هـــذه الفنون بالبحث والتفصيل .

الوصف فى شعر ابن المعتز :

١ — الوصف تصوير خواص الأشياء الحسية والمعنوية(٢) ، أو هو ذكر الشىء بما فيه من الأحوال والهيآت(٣) ، وأحسن الوصف مانعت به الشىء حتى يكاد يمثله عيانا.(٤) وما استوعب أكثر معانى الموصوف حتى كأنه يصوره لك(٥).

والوصف أكثر أبواب الشعر العربى ؛ وكثير من النقاد يرى أن الشعر الأقله راجع إلى باب الوصف(٦) . وقد وصف شعراء الجاهلية كلما وقعت عليه أعينهم من شتى ألوان بيئتهم التى عاشوا فيها ومظاهر الحياة التى ألفوها فى هـذه البيئة ، وكان امرؤ القيس وأبو دؤاد وطفيل الغنوى والنابغة الجعدى من وصاف الخيل(٧)

---

(١) ويعد ابن رشيق الطرد والخمريات من باب الوصف (٢٨٠ : ٢ العمدة) ويتابعه فى ذلك كثير من النقاد ، ويعدون أيضا شعر الطبيعة من باب الوصف (٢٥٢ التوجيه الأدبى)

(٢) الأسلوب للشايب .

(٣) ٧٠ نقد الشعر

(٤) ٢٧٨ : ٢العمدة

(٥) ١٢٣ صناعتين

(٦) ٢٧٨ : ٢ العمدة ، ٢٥١ التوجيه الأدبى .

(٧) واقرأ وصف الجوارى الخمس لخيل آبائهن (١٧٨ : ١ الامالى) ، ومقصـــورة أبى صفوان الأسدى فى وصف الخيل (٢٤٠ : ٢ الأمالى) .

كما كان طرفة وأوس بن حجر وكعب بن زهير م ٢٤ هـ، والشماخ من وصاف الإبل(١) وكان عبيد بن الأبرص مجيدا فى وصف المطر (٢)، واستمر الأمر كذلك فى العصر الإسلامى وانفرد بعض الشعراء بالتفوق فى بعض الأوصاف، فكان الشماخ من أوصف الناس للقوس والحمر (٣)، وكان ذو الرمة أوصف الناس لرمل وهاجرة وفلاة وقراد وحية(٤) وأحسن الناس وصفا للمطر(٥)، ويذكر بعض الباحثين أنه يكاد يكون أكبر شعراء الوصف فى العصر المتقدم كما (٦) وكان ابن أحمر وهو إسلامى قديم وشاعر مجيد وصافا للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء(٧) وللتغلبى أجود قصيدة قيلت فى وصف القطا(٨)، ولعبيد ابن أيوب العنبرى إجادة وشهرة فى وصف الصحارى والمجاهل وما فيها من حيات وكائنات(٩)، وكان مزاحم العقيلى يذمت الملوات فيجيد وشهد له بذلك الفرزدق وجرير والأخطل عند عبد الملك(١٠)، وكان الراعى أوصف الناس للإبل(١١) كما كان الفرزدق والحطيئة يجيدان صفات الخيل والقسى والنبل(١٢). وفى العصر العباسى هجر الشعراء الأوصاف التقليدية فى الشعر العربى فدعا مطيع إلى وصف الجمال لا إلى وصف المهامة والقفار:

لأحسن من بيد تحار بها القطا ومن جبلى طى ووصفكما سلعا
تلاحظ عينى عاشقين كلاهما له مقلة فى وجه صاحبه ترعى

ودعا أبو نواس إلى أن تفتح القصائد بأوصاف الراح:

---

(١) ٢٨٠ : ٢ العمدة، ١٢٥ : ٣ الرافعى.

(٢) راجع قصيدتيه الحائية والنافية فى وصف المطر (١٧٣ : ١ الأمالى، ١٧٨ : ١ الأمالى أيضاً) وراجع وصف الأعراب للمطر (١٧١ و١٧٣ : ١ الأمالى).

(٣) ١٠٩ الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٢٨٠ : ٢ العمدة.

(٤) ٢٧ الشعر والشعراء (٥) ٣٥ المرجع

(٦) ٢٠٢ التوجيه الأدبى

(٧) ٣٧ المؤلف

(٨) راجع ١٦٩ : ٥ الحيوان

(٩) راجع ٥٠ : ٦ الحيوان

(١٠) راجع ١٥٥ : ٢ ديوان المعانى.

(١١) ٢٨٠ : ٢ العمدة.

(١٢) ٢٨٠ : ٢ العمدة.

صفة الطول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وقال :

يا ربع شغلك انى عنك فى شغل لاناقتى فيك لو تدرى ولا جملى

وتابعه فى ذلك ابن المعتز فقال :

أحسن من وقفة على طلل ومن بكاء فى اثر محتمل
كأس مدام أعطتك فضلها كف حبيب والنقل من قبل

وقال :

لانبك للظاعنين والعيس ومنزل ظل غير مأنوس

وقال :

أف من وصف منزل بعكاظ فحومل

وقال :

مالى وللباكرات والظعن ومقفرات الطلول والدمن
شغلى عنها بالراح فى غلس ووضع ريحانة على اذن

وقال :

لا تقف بى فى دارس الأطلال شغل فعلى عنها وشغل مقالى
إن دمعى لضائع فى رسوم وسؤالى محيلة من محال

وقال :

خليلى بالله اقعدا نصطبح بلا قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
ويارب لاتنبت ولاتسقط الحيا بسقط اللوى بين الدخول لحومل
ولكن ديار اللهو يارب فاسقها ودل على خضرائها كل جدول

وكان أبو نواس شعوبيا فى مذهبه كما يقول هو :

عاج الشقى على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد
تبكى على طلل الماضين من أسد لا در درك قل لى من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ومن يمن ؟ ليس الأعاريب عند الله من أحد

ولم يكن يدعو إلى فكرة أدبية جديدة بل إلى إدخال أنواع من المجون فى

الشعر(١) ، ولكن ابن المعتز كان ناقدا يبحث فى الصلة بين الأدب والحياة ويحاول أن يلائم بينهما ، وينادى بتحضر الشعر وترك روح البداوة فيه ، والنقاد يختلفون فى هذه المناهج ، فابن قتيبة يدعو إلى المحافظة على سنن العرب فى ابتداء القصائد بذكر الديار والنسيب ثم وصف الرحلة إلى الممدوح والتخلص إلى المدح(٢) . ويرى ابن رشيق أنه لامعنى لذكر الحضرى الديار إلا مجازا(٣) وأن ليس بالمحدث من الحاجة إلى وصف الإبل والقفار لرغبة الناس فى الوقت عن تلك الصفات وعلمهم بأن الشاعر إنما يتكلفها والأولى فى هذا الوقت صفات الخمر والقيان(٤)

وقد أجاد الشعراء العباسيون فى الأوصاف إجادة بالغة ، وجاءوا فيها بالتشبيه المفرط البعيد(٥) ، على حين كان من قبلهم يجرون فى أوصافهم على الصدق ويسيرون فى ظل الحقائق القريبة ، وهذا مذهب من مذاهب العرب فى أن يصفوا الشىء على ماهو وعلى ماشوهد من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع(٦) ، وأشهر قصائد الوصف سينية البحترى التى ليس للعرب مثلها كما يقول ابن المعتز(٧) ، وبرع ابن الرومى فى التصوير وخاصة فى ما كان يرجع منه إلى باب التهكم والسخرية ، وكان الحمدونى من أصلح الناس شعراً وأقدرهم على الوصف وكان عامة شعره فى طيلسان ابن حرب (٨) ، واشتهر بجودة الوصف ابن المعتز(٩) ثم كشاجم بعده(١٠)

---

(١) ١٨٢ مقدمة لدراسة بلاغة العرب لضيف .

(٢) ١٤ و١٥ الشعر والشعراء .

(٣) ١٩٩ : ١ العمدة .

(٤) ٢٧٩ : ٢ العمدة .

(٥) راجع ١٢٤ : ٣ الرافعى — والوصف مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ، والفرق بينهما أن الوصف إخبار عن حقيقة الشىء والتشبيه مجاز وتمثيل (٢٧٨ : ٢ العمدة) .

(٦) ١٨٩ الموازنة .

(٧) ٢١٨ : ١ و ٦٤ : ٢ ديوان المعانى ، ٥٠٢ الأدب العباسى لمحمود مصطفى ، ٣٢ رسائل ابن المعتز ، ٧ و٨ مقدمة ديوان البحترى

(٨) ١٧٦ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٩) ٢٧٩ : ٢ العمدة .

(١٠) اشتهر بوصف آلات المنادمة (١٢٦ : ٣ الرافعى) ، وكان يجيد الوصف ويحققه (٢٥٠ رسائل البلغاء) ، وله كثير من القصائد فى الوصف (راجع ٢٨٢ — ٢٨٥ : ٢ العمدة ، ١٠٤ : ٢ وما بعدها زهر) .

والصنوبرى وهو وحيد جنسه فى صفة الأزهار وأنواع الأنوار (١) ، وكذلك أبو طالب المأمونى م ٣٨٣ هـ وله شعر كثير فى الأوصاف (٢) ، وكذلك السرى الرفاء وعلى ابن إسحاق الزاجى م ٣٥٢ هـ ثم ابن خفاجة وابن حمديس (٣) ، ولم يكن المتنبى من أهل الأوصاف كما يرى الواحدى (٤) .

٢ — اشتهر ابن المعتز بالإجادة فى الأوصاف كلها كامرىء القيس فى الجاهليين وأبى نواس والبحترى وابن الرومى (٥) فى المحدثين ، ورسم صوراً صادقة لكل ماوقعت عليه عينه من أمور الحياة ومظاهر الحضارة ، وفى وصفه رقة وسلاسة ودقة وتفصيل وابتداع فى الأسلوب وتجديد فى التشبيه والاستعارة وإكثار من الصور الحية الرائعة ، وقد نمى ماملكته فى نفسه دقة حسه ولطف شعوره وامتلاء ذهنه بمشاهد الجمال وروائع الخيال ورونق الحضارة وأنه يقول الشعر إرضاء لنفسه وتصويراً لحسه مما صرفه إلى الإجادة فى هذا الباب الذى تناول فيه وصف ألوان معيشته ومظاهر حياته وأنواع ترفه ولهوه وأتى فى ذلك بالرائع البليغ والجيد الممتاز وظهر فيه طابعه الخاص من أوصافه الملوكية التى تستمد صور الأوصاف من صور حياته التى كان يحياها كأمير وكولى عهد وكشخصية بارزة من شخصيات أسرة الخلافة العباسية التى أغرقها الترف فى عصره إلى حد بلغ فى ذلك مبلغ الأساطير .

أما عناية ابن المعتز بالحسى من الأوصاف خاصة فترجع إلى كثرة مظاهر الحضارة الحسية فى عصره وبيئته ، وإلى سكون قلبه إلى ترف الحياة وجمال الزخرف والحلى النفيس من مظاهر العيش ، وإلى عاطفته الشعرية التى كانت حريصة على أن تمثل جمال الحضارة فى صور من جمال الفن مصبوغة بصبغة حسية خالصة .

وبحق لقد كان ابن المعتز أستاذ الوصافين فى عصره كما كان شيخ المشبهين ، وكثير من أوصافه سيأتى فى باب التشبيه ، ولكننا نذكر هنا صوراً قليلة من أوصافه انرى منها مدى جودته فى هذا الباب :

---

(١) ٢٥٠ رسائل البلغاء .
(٢) ١٤٩ : ٤ اليتيمة — وله ترجمة فى اليتيمة (١٤٩ — ١٧٩ : ٤)
(٣) ١٢٠ و١٢٦ : ٣ الرافعى
(٤) ويرد عليه العكبرى ذاهباً إلى أنه كان يحسن الأوصاف فى كل فن (١٦٥ : ٤ العكبرى)
(٥) ويجعلهم ابن رشيق من الذين أجادوا فى كل الأوصاف (٢٧٩ : ٢ العمدة) .

قال يصف كلاب الصيد :

عواصف مشابهات الأسد ... لما عدون وعدت خيل الطرد

فبلغ نهاية الجودة فى تشبيها بالعاصفة : ويشبهها بزوبعة الريح فيقول :

وزوبعة من بنات الرياح ... تربك على الأرض شدا عجب
لما بجاس فى مكان الرديف ... كنركية قد سبتها العرب

فيجيد إجادة بالغة ، ويصف الحمام فيقول :

سحبن فى الوكور دائرات ... حواصلا أودعن خرمات(١)
كأنها صرار لؤلؤات ... فلم تزل كذاك دائبات
طائرات القلوب طائرات ... تلوح مثل النجم للهداة

ويصف طول الليل فيقول :

عسى الشمس قد مسخت كوكبا ... وقد طلعت فى عداد النجوم

ويصف طول شعر امرأة فيقول :

دعت خلاخيلها ذوائبها ... لجئن من رأسها إلى القدم

ووصفه للثريا فى قصيدته فى المعتضد :

سلمت أمير المؤمنين على الدهر ... ولا زلت فينا باقيا واسع القدر
حللت الثريا خير دار ومنزل ... فلا زال معمورا وبورك من قصر

وصف رائع جيد قل أن نجد له نظيرا فى أوصاف المتقدمين . وله يصف فرسا :

ولقد وطئت الغيث يحملنى ... طرف كلون الصبح حين وقد
يمشى ويعرض فى العنان كما ... صدق المعشق ذو الدلال وصد
طارت به رجل مرصعة ... رجامة لحصا الطريق ويد
وكأنه موج يسيل إذا ... أطلقته وإذا حبست جمد

ويقول :

كأن جنان الفلاة تضربه ... كأن ماهرب منه مايطلبه
يكاد لولا اسم الإله يصحبه ... نأكله عيوننا وتشربه

---

(١) مقدم الأنف والفم

ويقول :

وليلة من حسنات الدهر ما ينمحي موضعها من ذكرى
سريت فيها بخيول شقر سياطها ماء السحاب الغر
كأنه ذوب لجين يجرى وشادن ضعيف عقد الخصر
يمضى بموج ويجى ببدر يفعل بالليل فعال الفجر
يا ليلة سرقتها من دهرى ما كنت إلا غرة فى عمرى

فتجد روعة وجمالا وسحرا وبلاغة .

ويقول :

ومجلس جل أن نشبهه جن به مزهر ومزمار
وزانه من بنى العباد رشا بالجيد والمقلتين سحار
قد ركبت كفه مشعشعة إبريقها فى الكؤوس هدار

ويصف رسولا فيقول :

ورسول يقول ما تعجز الأ فاظ عنه حلو الحديث أديب

ويصف فرسا فيقول :

طاعن فى العنان يستنكر السوط مدلا ويأخذ الأرض أخذا
وإذا ماعدا فثار أذاعت بدخان تمده الريح هذا
بحر شر يشاغب الصخر قرعا بصخور ويلبذ القرب نبذا

فتجد تصويرا جميلا ووصفا جيدا.

ويقول :

قدرت أربعه للوحوش أجلا

ويقول : جنة طارت بفتيان .

ويقول :

يبلغ ما تبلغه الريح ولا تبلغ ما يبلغه إذا طلب

ويقول :

يا ليلة نسى الزمان بها أحداثه كرنى بلا لجم
راح ببدرها الصباح ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
ثم انقضت والقلب يتبعها فى حيث ماسقطت من الدهر

ويصف ناقته فيقول :

تصغى إلى أمر الزمام كما عطفت يد الجانى ذرى الغصن

إلى غير ذلك من شتّى أوصافه المبثوثة فى ديوانه والتى سيجىء الكثير منها فى باب التشبيهات ؛ ويشيد ابن رشيق فى باب الأوصاف برائية أبى نواس فى الخصيب وجيمية ابن المعتز المردفة فى الضرب الثانى من الكامل(١) ، وهذه القصيدة يذكر فيها الشاعر ربوع أحبابه وعصف الرياح الهوج والمطر المنهل بها ويذكر جوبه الفلوات فى الليالى الحالكة :

فى ليلة أكل المحاق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج (٢)
والصبح يتلو المشترى فكأنه عريان يمشى فى الدجى بسراج

ويصف جواده وطراده للصيد ثم يختمها بتحذير أعدائه من كيده وانتقامه وهى غريبة قوية جزلة الأسلوب ، وقد تأثر فى بعضها بجرير فى جيمته فى مدح الحجاج .

أوصاف الطبيعة فى شعر ابن المعتز :

الطبيعة توحى للشعراء فى كل عصر بكثير من المعانى والآثار الادبية الرائعة ، وقد افتن بها الشعراء وصوروها فى مختلف مظاهرها ورسموا لها صورا تجمع غالباً بين صدق الأداء وبراعة الوصف وإظهار الدقائق والتفاصيل وحرارة الاحساس .

---

(١) ٢٧٩ : ٢ العمدة — والقصيدة فى ديوان ابن المعتز ص ٢٦١ ومطلعها :
حث الفراق بواكر الاحداج وشجاك يوم نأوا (بحكم) شاجى
وكتم الله تعريف مكتوم اسم محبوب له

(٢) سوار من عظم ناب الفيل

صورها شعراء الاغريق وخاصة هوميروس فى إلياذته (١) ، كما صورها الشعراء الجاهليون فى قصائدهم وآثارهم التى تشابهت رغم تعددها وخلت من مظاهر التنوع والكثرة وخصوبة الصور ، ولكنها على أى حال صورة صادقة لتلك البيئة ، فامرؤ القيس فى معلقته يذكر المطر والبرق كما يذكر يوم الغدير ولذاته فى نظرة عابرة ، والأعشى يصف روضة من الرياض فى لاميته ، وعنترة يصف الذباب وهو يغنى بها فى معلقته كما يصف فرسه والمعارك التى خاضها ، وهكذا نجد فى الشعر الجاهلى والاسلامى صورا كثيرة لمظاهر الطبيعة القريبة من نجوم وسماء وأنهار وأماكن وقفار ورمال :

وفى العصر العباسى أخذ الشعراء يهتمون بأوصاف الطبيعة من ربيع ورياض وأزهار وأنهار وبرك ، ومن سماء ونجوم وكواكب ، ورائية أبى تمام فى الربيع وهائية البحترى فى وصف بركة المتوكل وجيميته فى الربيع مثل جيدة لشعر الطبيعة فى هذا العهد . وللغزال يحيى بن الحكم البكرى الشاعر الأندلسى المشهور لامية مشهورة (٢) يصف فيها البحر ورحلته إلى قسطنطينية موفداً من قبل عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام عام ٢٢٥ ﻫ إلى امبراطور الروم فى مهمة سياسية ومنها :

قال لى يحيى وصرنا بين موج كالجبال
وتولتنـــا رياح من دبور وشمـال
فرأينا الموت رأى العين حالا بعد حال

ولعبد الصمد بن المعذل قصيدة طويلة فى روضة جميلة (٣) ؛ واشتهر السرى

---

(١) ويرى بعض الباحثين أن شعر الطبيعة شعر حديث ليس له صلة بالأدب اليونانى القديم (راجع ٩٨ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى)

ملاحظة : شعر الطبيعة هو الشعر الذى يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه ، والطبيعة : الحى مما عدا الإنسان ، والصامت كالحدائق والحقول والغابات والجبال وما إليها (ص ١١ شعر الطبيعة فى الأدب العربى تأليف السيد نوفل ط ١٩٤٥)

(٢) ١٤٤ : ١ نفح الطيب

(٣) ١٥ : ٢ ديوان المعانى ، وراجع ٤٠ : ٢ المرجع نفسه

والصنوبرى م ٣٣٤ هـ والتنوخى م ٣٨٤ هـ بالروضيات (١) ولابن وكيع م ٣٩٣هـ قصائد فى الرياض (٢) .

وفى الحق أن العباسيين قبل أبى تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز كانوا قلما يلجأون إلى تصوير الطبيعة التى عاشوا فيها ، وقد ألم بها البحترى وأبو تمام إلماما دون أن يتصل حبها بأعماق قلبهما ، واقبل ابن الرومى عليها يصورها تصوير العاشق المفتون حيث أولع بالطبيعة وتصويرها وكان يحبها حبا جما فلا فرق عنده بين الطبيعة والشعور ولايكاد ينظر إلى إنسان إلا تذكر الروضة والبستان (٣) . وقد علل العقاد ذلك بيونانيته (٤) ؛ ووراثه اليونانية أصل فنه الأدبى عند العقاد ويضيف إليها طه حسين الثقافة اليونانية الاسلامية التى كان يتثقفها الشعراء فى القرن الثالث (٥) ، ففيه يونانية أصلية ويونانية مكتسبة أهم من الأولى ، وفيه أيضا إسلامية مكتسبة فى فنه عناصر ثلاثة تؤثر فيه لا عنصر واحد (٦) .

أما ابن المعتز فقد كان شاعر الطبيعة (٧) ووصافها الممتاز ؛ وله كثير من الآثار فى وصف شتى مظاهرها من رياض وأزهار وقصور وطيور وبرك وميادين ومن نجوم وكواكب وأفلاك وسوى ذلك من شتى أوصاف الطبيعة ؛ كان يعيش مع الطبيعة عيشة الهائم المتبتل والفنان الشادى والمصور المفتون ، منحها شعوره وشعره وهيامه وفنه أكثر من أى شاعر آخر سبقه وأولع بتصوير كثير من مظاهرها المتعددة .

وإن شئت فانظر إلى تصويره للربيع ، حدث جعفر بن قدامة قال : كنت

---

(١) ٣١ : ٢ المرجع

(٢) راجع ٣٢٩ — ٣٣١ : ١ اليتيمة .

(٣) راجع ٢٨٢ — ٢٨٨ ابن الرومى للعقاد

(٤) ٢٨٢ المرجع وينقد ذلك الرأى صاحب « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » (٩١و٩٩)

(٥) ٢٣٧ من حديث الشعر والنثر

(٦) ٩٣ الفن ومذاهبه

(٧) ويقول أحد الباحثين عنه : كان يحب الطبيعة ويفتن بها لكنه لتمويه الصورة قبل كل شىء ، وهو فى إخراجه للصور والأشكال يحتال ويتأنق ويكتفى بالإشارة ويستخدم براعة عجيبة (١٨٢ شعر الطبيعة فى الأدب) ، فهو مفتون بالطبيعة يرى فيها صوراً جذابة (١٨٨ المرجع) .

أسرح مع ابن المعتز فى يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة فقال :

حبذا آذار شهر　　فيه للنور انتشار

ينقص الليل إذا جا　　ء ، ويمتد النهار

نقشه آس ونسر　　ين وورد وبهار (١)

وعلى الارض اخضرار　　واصفرار واحمرار

فكأن الروض وشى　　بالغته فيه التجار

وانظر إليه يصف الروض والازهار والطبيعة :

والروض مغسول بليل ممطر　　جلالنا وجه الثرى عن منظر

كالعصب أو كالوشى أو كالجوهر　　من أبيض واحمر واصفر

والشمس فى اضحاء جو أخضر　　كدمعة حائرة فى محجر

نسقى عقارا كالسراج الازهر　　يديرها كف غزال أحور

تخبر عيناه بفسق مضمر　　بعلم الفجور من لم يفجر

وأبو هلال يعجب بهذه الاوصاف (٢) :

ويقول فى وصف روضة :

تضاحك الشمس أنوار الرياض بها　　كأنما نثرت فيها الدنانير

ويأخذ الريح من دخانها عبقا　　كأن تربتها من مسك كافور (٣)

ويقول :

وانظر إلى دنيا ربيع أقبلت　　مثل النساء تبرجت لزناة

والريح قد باحت بأسرار الندى　　وتنفس الريحان بالجنات

وهو من قول ابن الرومى :

---

(١) ١٤٥ ٩ : الأغانى .

(٢) ١٦ : ٢ ديوان المعانى

(٣) ٢١٤ : ١ فوات .

أصبحت الدنيا تروق من نظر   بمنظر فيـه جلاء البصر
تبرجت بعـد حيـاء وخفر   تبرج الأنثى تصدت للذكر

وبستانيته التى هى جزء من أرجوزته فى ذم الصبوح مثـل جيد لأوصاف الطبيعة فى شعره (١)

ويصف الآزريون فيقول :

وروضـة كأنمـا   جلد سماء عارية
كأنمـا أنهـارها   مياه ورد جارية
كأن آذر يونها   غب سماء صافية
مداهن من ذهب   فيها بقايا غاليـة (٢)

ويقول فى النرجس :

عيون اذا عاينتها فكأنمـا   وقوع الندى من فوق أجفانها در
محاجرها بيض وأحداقها صفر   وأجسادها خضر وأنفاسها عطر

ويقول فى البنفسج :

ولا زوردية تزهو بزرقتهـا   بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النار فى أطراف كبريت (٣)

وله فى ليمونة ٤ :

كأنهـا كافورة   لها غشاء من ذهب

وفى النارنج :

---

(١) ٢٤١ و٢٤٢ : ٢ زهر ، ٣٠٧ ديوانه ؛ ١٠٨ رسائل ابن المعتز .

(٢) أخذه البوشنجى فقال فى الآذريون ٨٩ : ٤ اليتيمة :

كمداهن من ذهب أحمـر   مضمنا مسـكا إلى نصفه

(٣) يصحح أبو هلال أنه فى الخرم لا فى البنفسج بدليـل قوله « كأنها فوق قامات ضعفن بها » لأن ساق البنفسج لا يضعف من حمل وردتها ؛ وهذا الوصف بالخرم أشبه لـكبر نوره ودقة ساقه (٢٤ : ٢ ديوان المعانى) .

(٤) يشبه قول ابن الحسن الشامى فى المشمش :

منقب الهامات من غير تعب   كأنه بنادق من ذهب

وكأنما النارنج فى أغصانه   من خالص الذهب الذى لم يخلط
كرة رماها الصولجان إلى الهوا   فتعلقت فى جوه لم تسقط(١)

وله فى أوصاف الرياض والأنهار والأزهار وشتى مشاهد الطبيعة كثير من الأوصاف الجيدة الممتازة التى ترفعه إلى القمة مع أكبر وصافى الطبيعة فى الأدب العربى حتى العصر الحديث .

الطرد فى شعر ابن المعتز :

الصيد ووصف افتراسه كان مألوفا ببساطة فى الشعر الجاهلى لأنه كان مألوفا فى الحياة الجاهلية الساذجة ، وفى شعر النابغة مثل كثيرة له ، وكذلك عند بعض الشعراء سواه ، وفى العصر الإسلامى هجر الناس اللهو وعاشوا حياة كلها جد وإقدام ونشاط وعمل فانصرفوا عن الصيد إلا قليلا منهم كالشمردل بن شريك(٢) فله فى الصيد والطرد أراجيز حسان(٣) ، وفى العصر العباسى نبغ أبو نواس فى الطرد وكاد أن يخلق هذا الباب خلقا جديدا . فنظم الأراجيز فى وصف كلاب الصيد وآلاته وافتراسه ووصف الرحلات التى كان يقوم بها للصيد واشتهر بالإجادة فى هذا الباب وعكف عليه تجويدا وتجديدا ولم يقم به أحد من الشعراء بعده فيه إلا ابن المعتز الذى اشتهر بالصيد والطرد شهرة أبى نواس(٤) ، ويشيد بطردها الحاتمى فى مناظرته للمتنبي(٥) ، وللناشىء م ٢٩٣ ه طرديات على أسلوب أبى نواس(٦) .

وصف ابن المعتز الصيد ورحلاته وآلاته من كلاب وفهود وبزاة وغربان وصقور وسواها من أسلحة ، ووصف لذاته به ولهوه فيه ، كل ذلك فى قصائد يغلب أن تكون من الرجز ويغلب عليها صبغة الغريب ، وهى مع ذلك جميلة ساحرة

---

(١) وقريب منه قول أبى الحسن العقيلى فى نارنجة :
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة   بدت ذهبا فى صولجان زمرد
(٢) شاعر إسلامى من بنى غطفان وكان شاعر فصيحا وفارسا شجاعا (١:٣٦٦ شرح الحماسة)
(٣) ١٣٩ المؤلف
(٤) ٢٨٠ : ٢ العمدة ، ١٢٥ : ٣ الرافعى .
(٥) ٥٠٩ : ٦ معجم الأدباء .
(٦) ٤٧١ : ١ وفيات الأعيان .

دقيقة الوصف والتصوير والتشبيه ، وطردياته هى الباب السابع من ديوانه ، وفيها كثير من الصور البيانية الجيلة والتشابيه الساحرة البديعة مما يرفع من مكانته فى هذا الفن الذى لا ينطق فيه إلا القليل من الشعراء ، وسأذكر قليلا جدا من شعره فى هذا الباب ..

قال يصف كلبة الصيد :

لما تعرى أفق الضياء　　مثل ابتسام الشفة اللمياء
وشمطت ذوائب الظلماء　　قدنا لعين الوحش والظباء
داهية محـذورة اللقاء　　تحملها أجنحة الهواء
أسرع من جفن إلى إغضاء　　وخطفا موثق الأعضاء
كأثر الشهاب فى السماء　　ويعرف الزجر من الدعاء
بأذن سافطة الأرجاء　　كوردة السوسنة الشهلاء
ذا برثن كمثقب الحذاء　　ومقلة قليلة الأقـذاء
صافية كقطرة من ماء

ويصف فرس الصيد :

أسرع من ماء إلى تصويب　　ومن نفوذ الفكر فى القلوب
ومن رجوع لحظة المريب　　نار لظى باقية اللهيب

ويقول فى كلب الصيد :

ذى مقلة تهتك أستار الحجب　　كأنها فى الرأس مسمار ذهب

ويقول فى الباشق:

لابتقيه هارب بفوت　　لاعيب فيه غير عشق الموت

ويقول فى البازى :

يركض فى الهواء بالجناح　　كركض طرف السبق فى المراح

ويقول :

لما غدونا بسحر　　نأخذ أرضا ونذر
وقام رام فابتدر　　أوتر قوسا وحسر
إذا رى الصف انتثر　　فارتاح من حسن الظفر

وقال فى البازى :

يحز أعناق الرياح حزا
وسامها قبضا ونقدا وخزا
يطلب فى رؤوسهن كنزا

والبيت الأخير فى نهاية الروعة والجودة ، ويقول فى كلبة صيد :

وكلبة غدا بها فتيان   أطلقهم من يده الزمان
كأنها إذا تمطت جان   والنجم فى مغربه وسنان
والصبح فى مشرقه حيران   كأنه مصبح عريان

فستجد روعة لا يماثلها روعة فى التصوير والوصف وسحر البيان ، إلى غير ذلك مما وصف به كلاب الصيد وبزاته ونسوره وأقواسه وأوتاره وأسراب الوحوش والطيور والظباء وسوى ذلك من شتى معانى طرده الجيد البارع التى تمتاز بروعة التشبيه وجمال الوصف وتنوع الخيال وسموه .

خمريات ابن المعتز :

وصف الخمر ومجالسها قديم فى الشعر العربى ، وكان الأعشى امام هذه الصناعة فى الجاهلية(١) ، وممن ألموا بوصفها عمرو بن كلثوم فى معلقته ؛ وبعد عهد الجاهلية اشتهر بوصفها أبو محجن الثقفى(٢) وعمرو بن حسان بن هاني(٣) . يزيد بن معاوية(٤) والوليد بن يزيد(٥) وقد ذهب به الشراب كل مذهب(٦) ، ثم أبو الهندى(٧)

---

(١) ٢٤ حلبة الكميت للنواجى .

(٢) ١٦٢ الشعر والشعراء .

(٣) ٢٣٢ معجم الشعراء .

(٤) ٩٧ و٣٤٢ حلبة الكميت ، وله فيها أشعار (٣٠ و٤٠ و٤٨ و١٢٢ و١٣٩ حلبة الكميت) وربما كان ذلك من دعاية خصومه السياسيين .

(٥) ٩٨ حلبة الكميت .

(٦) ٣٢٨ : ٤ العقد ، وراجع ترجمته فى مهذب الأغانى (٥٧ — ٩٢ : ٧) ، والوليد هو الذى جمع ديوان العرب وأشعارها وأنسابها وأخبارها ولغاتها (١٢٤ فهرست) .

(٧) ٢٢ و٩٦ حلبة الكميت ، ٤١ : ٢ الكامل ، ٣٢٣ : ٤ العقد ، ٥٨ — ٦١ طبقات الشعراء لابن المعتز .

وكان جماعة مثـــل أبي نواس والخليع وأبي هفـان وطبقتهم انما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الهنـدي وبما اســـتنبطوا من معانى شعره(١) ، وكذلك كان سحيم(٢) ، والأخطل شهرة واسعة فى باب الخمريات فى العصر الأموى وهو وارث الأعشى فى هذه الصناعة ، على أن ذلك لم يجعل الخمريات بابا مستقلا من أبواب الشعر العربى فلما جاء العصر العباسى بترفه ولهوه ومجونه وبحرية الحياة فيه اتسع هذا الباب ونظم فيه كثير من كبار الشعراء وقصدوا إليه على أنه باب مستقل من أبواب الشعر ومذهب خاص من مذاهب القريض ، واشتهر به دلامة(٣) ، ووفق الخليع فيه أبو نواس فلم يعدل بوصف الراح شيئا حتى بلغ ماقاله فيها بضعة آلاف من الأبيات ولذلك عد إمام واصفيها بالإجماع وكان يحتذى فى أوصافه لهـا الوليد بن يزيد ، وله فيها معان لم يأت بها غيره(٤) ، وهو من المجيدين فى وصفها(٥) ، وكان النواسى يقول :

« أشعارى فى الخمر لم يقل مثلها وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس وهما أجود شعرى إن لم يزاحم غزلى ماقلته فى الطرد(٦) » .. ويشيد الجاحظ بخمرياته(٧) والمأمون(٨) وصاحب الموشح(٩) ، وكان يغير على معانى الحسين بن الضحاك فى الخمريات(١٠) ، وكذلك اشتهر بالخمريات ديك الجن ، ويقول الصولى : سمعت بعض العلماء بالشعر يقول : أول الشعراء المتقدمين فى صفة الخمر : الأعشى ثم الأخطل ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك ثم ابن المعتز(١١) .

---

(١) ٦١ طبقات ابن المعتز

(٢) وله فى الراح :

هى الحيا والحياة واللهو لا أنت ولا ثروة ولا ولد

(٣) ١٧ طبقات ابن المعتز .

(٤) ٣٢٣ الشعر والشعراء .

(٥) ٢٨٠ : ٢ العمدة ، ١٢٥ : ٣ الرافعى ، ٢١٢ : ٧ مهذب الأغانى .

(٦) ٢١٠ : ٧ مهذب الأغانى .

(٧) ١٤١ و١٤٢ : ٤ العقد .

(٨) ١١١ حلبة الكميت .

(٩) ٢٨٢ الموشح للمرزبانى .

(١٠) ٣٠ : ٤ معجم الأدباء .

(١١) ١١٤ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

والخمريات فن من فنون الشعر عند ابن المعتز أجاد فيه وأحسن وفاق كثيرا من نظرائه، وقارب، إن لم يكن وافق شاعر الراح المبدع أبا نواس. ولم لايجيد ابن المعتز فى وصف الراح والساقى والنديم ومجالس الأنس والشراب وفى وصف الكأس وصفائها والراح وعتقها وسورة الخمر ودبيبها فى الأعضاء وتلألؤها بالنور والضياء وامتزاجها بالنمير العذب من الماء، وفى كل ما يمكن لشاعر صادق الشعور قوى الأنس إلى الراح أن يتكلم فيه من معان وينطق به من أساليب ويعرض له من خيال فى خمرياته، وهو شاعر الجمال والنعيم والترف واللهو واللذة وشاعر الشعور الصادق والقلب الخافق بالحياة وحبها؟ بل لم لايجيد هذه الإجادة وحياته وعاطفته فى عهد الشباب كانت صورة واضحة لهذه الأشياء وتلك الألوان، ولذاته كانت هى تلك اللذات الجميلة وتلك السعادة المشرقة بالفرح واللهو والسرور؟ أليس هو الذى يقول:

تعالوا فـقوا أنفساقبل موتها ... ليأتى ما يأتى وهو رواء
نبادر أيام السرور فإنها ... سراع وأيام الهموم بطاء
وخل عتاب الحادثات لوجهها ... فإن عتاب الحادثات عناء

ويقول:

بحيـــاتى ياحيـــاتى ... اشربى الكأس وهاتى

ويقول:

إذا كان يومى ليس يوم مدامة ... ولا يوم ندمان فما هو من عمرى
وإن كان معمورا بعود وقينة ... فذلك مسروق لعمرى من الدهر

ويقول:

وما الملك فى الدنيا بهم وحسرة ... ولكنما ملك السرور هو الملك

ويقول:

أعاذل قد أبحت اللهو مالى ... وهان على مأثور المقال
دعينى هكذا خلق دعينى ... فـما لك حيلة فيه ولالى
وساق يجعل المنديل منه ... مكان حمائل السيف الطوال
غلالة خده صبغت بورد ... ونون الصدغ معجمة بخال

بكأس من زجاج فيه أسد فرائسهن ألباب الرجال (١)

ولابن المعتز كثير من آيات الشاعرية الجيدة فى الخمر وكل ما يتصل بها ،

يقول :

قل لمن حيى فأحيا ميتاً يحسب حيا
ما الذى ضرك لو أبقيت لى فى الكأس شيا
إن يكن رشدا فرشدا أو يكن غياً فغيا
قد تولى الليل عنا وطواه الغرب طيا

ويقول :

لا تملا حثنا واسقيانا قد بدا الصبح لنا واستبانا
واقتلا همى بصرف عقار واتركا الدهر فما شاء كانا
إن للمكروه لذعة شر فاذا دام على المرء هانا
وامزجا كأسى بريقة شر طاب للعطشان وردا وحانا

ويقول :

وندماى فى شباب وحسن أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أفواههم حديث قصير هو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالراح كما ناح فى الغصون الحمام
وكأن السقاة بين الندامى ألفات بين السطور قيام

(١) أحسن ما شاء فى هذا الشطر وإن كان أصل المعنى لأبى نواس فى ذكر تصاوير الكأس :

قرارتها كسرى وفى جنباتها مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

ولأبى نواس أيضاً :

بنينا على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

ولابن المعتز فى هذا المعنى :

يعج سلاف الخمر فى عسجدية توهج فى يمناه كالكوكب الفرد
محفرة فيها تصاوير فارس وكسرى غريق حوله خرق الجند

ويذكر النواجى فى حديث طويل السبب فى تصوير كسرى وقيصر فى كؤوس الراح (١٦٩ وما بعدها حلبة الكميت) ، وقول ابن المعتز « فرائسهن ألباب الرجال » أخذه شاعر فقال :

تقلد سيفاً يقد المقولا

ويقول :

لم ينم ليلى ولم أنم مفردا بالوجـد والسقم
فاسقنى للراح صافيـة تنشر الاصباح فى الظلم
وحلها كف تـدير به من فم الابريق نحو فمى
لا تلم عقلى ولم طربى إن عقلى غـير متهم

ومطلع هذه القصيدة من قول أبى نواس :

ياشقيق النفس من حكم نمت عن ليلى ولم أنم

وله :

أباح عينى لطول الليـل والأرق وصاح إنسانها فى الدمع بالغرق
ظبى تخلى من الأحزان أوقره ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكأن الـكأس فى يده هلال أول شهر غاب فى شفق (١)

وله :

أى حسن تخفى الدنان من الرا ح وحسن تبديه منها الـكؤوس؟
من كميت كأنها أرض تبر فى نواحيه لؤلؤ مغروس (٢)

---

(١) فى هذا المعنى كما فى فصول التماثيل ص ٣١ :

كأنما نصب كأسه قمر يكرع فى بعض أنجم الفلك

وينسب للحسين بن الضحاك (١٧٣ : ٢ العمدة)

وله أيضا فيه : أبصرته والـكأس بين فم منه وبين أنامل خمس
فـكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

(٣١ فصول التماثيل ، ١١٦ سدرة الأدب فى متشابهات العرب) وينسبان لابن الرومى (١٧٣ : ٢ العمدة) ولابن المعتز فيه :

كأننا والورى رقود نقبل الشمس فى الظلام

وأصل المعنى لأبى نواس :

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقد أخذه من الحسين بن الضحاك كما فى العمدة (١٧٣ : ٢)

(٢) وأصل المعنى لأبى نواس :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

ولديك الجن : فأتت كؤوسكاءلى ماخيلت كالتبر معجونا بماء لجين

ولابن الرومى : لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللآلىء الفلق

ولابن المعتز وهو من عجائب أوصافه وتشبيهاته كما يقول الثعالبي :

وقد يباكرنى الساقى فأشربها   راحا تريح من الأحزان والكرب
وأمطر الكأس ماء من أبارقه   فأنبت الدر فى أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجبا   نورا من الماء فى نار من العنب
لم يبق منها البلى شيئا سوى شبح   يقيمه الظن بين الصدق والكذب
ما زال يقبض روح الدن فى لطف   كما تنطف سلك الدر فى الثقب (١)

وقصيدته :

أمكنت عاذلى من صمت أباء   ما زاده النهى شيئا غير إغراء

عارض بها قصيدة للحسين بن الضحاك مطلعها :

بدلت من نفحات الورد بالآء   ومن صبوحك در الإبل والشاء (٢)

ويقول :

كتبت وفى يدى قدح   فأكثر نقلنا القبل
وقد غنى على قدحى   ثقيل بعده رمل

---

(١) من قول إبراهيم بن سيار :

ما زلت آخذ روح الدن فى لطف   وأستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى   والدن مطروح جسم بلا روح

(٣٥ فصول التماثيل) وينسبان لأبى نواس (١٤٩ ديوان أبى نواس)

(٢) ٨٢ : ٤ مختارات البارودى ، والقصيدة نسبها أبو نواس لنفسه ، والآء شجرة تسمى صرحة يأكله النعام ، ومطلع قصيدة ابن المعتز من قول أبى نواس :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

وأصل المعنى للأعشى :

وكأس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه مجنون ليلى :

تداويت من ليلى بليلى من الهوى   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وللبحترى : تداوت من ليلى بليلى كما اشتفى   بماء الربى من بات بالماء يشرق

وكان الناس يستجيدون قول الأعشى إلى أن قال أبو نواس بيته فزاد فيه معنى اجتمع له به الحسن فى صدره وفى عجزه فللأعشى فضل السبق عليه ولأبى نواس فضل الزيادة

(١٣ الشعر والشعراء ، ١٣ فصول التماثيل ، ٢٤ حلبة الكميت ، ٢٣٨ الوشح)

أتيتك عائذاً بك منك لما ضاقت الحيل
وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل
فإن قتل الهوى رجلاً فإني ذلك الرجل(١)

ويقول :

تخفى الزجاجة نورها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء(٢)

وفي معناه قوله :

أتت دونها الأيام حتى كأنها تساقط نور من فتوق سماء

وله أرجوزة طويلة يذم فيها الصبوح ومطلعها :

لي صاحب قد لامني وزادا في شربي الصبوح ثم عادا
قال ألا تشرب بالنهار وفي ضياء الفجر والأسحار

وهي حوار أدبي جميل ويفيض فيها في شرح عيوب الصبوح من سوء أخلاق الساقي من أثر النوم ومن شدة البرد والحاجة إلى النار للدفء وما يصحب النار من الشرر يرمى به الجمر إلى الحدق ويحرق الملابس وترتفع شمس الضحى فيقبل الزائرون ممن نحتشم منهم فنقطع لذة الراح ، وهكذا يعدد معايب الصبوح عيباً بعد عيب إلى نهاية الأرجوزة وهي فريدة في الأدب العربي ، وتمتاز بأسلوبها القصصي الجميل وحوارها الأدبي الممتع وتشبيهاتها الفنية الرائعة وصورها الأدبية البديعة وخيالها الشعري المنوع وما فيها من أثر الفكاهة والمجون وهي من أجمل آثار ابن المعتز وتجدها منثورة في « رسائل ابن المعتز » ، ولابن المعتز قصيدة(٣) يذم فيها الشرب في يوم الغيم والمطر وأولها :

أنا لا أشتهي سماء كبطن العير والشرب تحتها في خراب
إنما أشتهي الصبوح على وجه سماء مصقولة الجلباب
حين تبدو الشمس المنيرة كالديـ ـنار تجلوه سكة الضراب

ثم ينقضي شباب ابن المعتز وتجيء رجولته فيترك الراح ولذاتها وينهاه الامام المعتضد عن شربها :

---

(١) ٨٥ فصول التماثيل
(٢) ينسب لابن المعتز كما في ديوانه وللبحتري ١٢١ الموازنة وديوان البحتري) ولأبي تمام كما في ديوانه
(٣) راجع جزءاً منها في ذيل « رسائل ابن المعتز » ص ١٣٨

ونهاني الامام عن سفه الكأس فردت على السقاة المدام
عفتها مكرها ولذات عيش قام بيني وبينهن الامام

وهو شبيه بقول أبي نواس :

نالني بالملام فيها إمام لا أرى لي خلافه مستقيما

وبعد فني خمريات ابن المعتز مرح ولهو ومجون ولذة ولكنه مرح الشباب ولذة الصبا ، ونحن لا نقول إلا ما يقوله ابن المعتز نفسه :

وكم ليلة للهو قصر طولها بساقية الكفين والعين للخمر
وإني وإن كان التصابي يحثني لأبلغ حاجاتي وأجرى على قدر
كريم ذنوب إن يصب بعض لذة يدع بعضها فوق الأحاديث والوزر

(٧)

الشعر القصصي في تراث ابن المعتز

١ — يشتمل الشعر القصصي على سرد واقعة أو حادثة أو سلسلة من الحوادث والوقائع ، والنظم فيه قديم في الأمم التي اغتذى خيالها بالدين والعادات ، ومن نماذجه المهابارانا عند الهنود ، والاوديسا والالياذة عند اليونان (١) ، والانياذة عند الرومان (٢) ، ومنها : شاهنامة الفردوس وشاهنامة الشاعر التركي الملقب بالفردوسي الطويل وقد نظمها كما في كشف الظنون في مليون وثمانمائة ألف بيت وكتبت في ٣٣٠ مجلدا فأمر السلطان بايزيد العثماني بانتخاب ثمانين مجلدا وإحراق الباقي فترك المؤلف بلاد الروم وذهب إلى خراسان فمات فيها كمدا (٣) ، ومنها الكوميديا الإلهية منظومة الشاعر الإيطالي دانتي الرائعة نظمها في أول القرن الرابع عشر الميلادي ، ومنها الفردوس المفقود للشاعر الانكليزي ملتون وهي ملحمة تصف نشأة العالم وخروج آدم وحواء من الجنة .

---

(١) راجع تحليلها في ٢٦٤ وما بعدها التوجيه الأدبي ، وهما من نظم هوميروس وقد نظم الالياذة نحو عام ٨٥٠ ق م

(٢) وهي ملحمة من نظم الشاعر الروماني فرجيل نظمها في القرن الأول قبل الميلاد (راجع ٢٦٨ التوجيه الأدبي) .

(٣) ١٤٦ : ٣ الرافعي .

٢ - وإذا كان الغرض من الشعر القصصي ما يجمع من التاريخ ويحفظ من الأخبار فذلك موجـــود في أشعار العرب ولكنهم لم يطيلوا إطالة الإلياذة وغيرها (١) . فالعجم يفضلون العرب في الاطالة كما فعل الفردوسي في نظم الشاهنامة وهي ستون ألف بيت من الشعر تشتمل على تاريخ الفرس ، وهـذا لا يوجد في الأمة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها (٢) . أما الشعر القصصي بالمعنى المصطلح عليه فلم يكن من طبيعة العرب ولا هو من مقتضيات اجتماعهم فلم ينظموا فيه قطعا في جاهليتهم ولم ينظمه من بعدهم لوقوفهم عند حد التقليد (٣) أما الأساطير الدينية فغير في العرب من تعمل لنظمها غـــير أمية ابن أبي الصلت (٤) . فقد تكون قصائد أمية بن أبي الصلت خطوة جديدة في الشعر العربي وبذرة من بذور الشعر القصصي في آداب اللغة العربية ، وفي العصر العباسي نظم أبان اللاحق قصيدته « ذات الحلل » ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق وغير ذلك وهي مشهورة ومن الناس من ينسبها لأبي العتاهية (٥) ولعلي بن الجهم م ٢٤٩ هـ قصيدة ذكر فيها الخلفاء إلى زمانه وتممها أبو الحسن أحمد بن محمد الأنباري (٦) ، وامتازت الأندلس بنظم التاريخ والتفوق في هذا الباب (٧) ومن الشعر الأندلسي أرجوزة طويلة في فتح الأندلس وأمرائها نظمها يحيى بن حكم البكري الغزال م ٢٥٠ هـ (٨) شاعر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ، وقد قلد الغزال في ذلك أبو طالب عبد الجبار الشاعر فنظم كتابا في تاريخ فتح الأندلس (٩) وذلك في أرجوزة طويلة من نظمه (١٠) ،

(١) ١٤٨ : ٣ الرافعي
(٢) ٣٢٤ المثل السائر . ولأبي العتاهية أرجوزة تبلغ أربعة آلاف بيت وسماها ذات الامثال.
(٣) ١٤٩ : ٣ الرافعي .
(٤) ١٢٤ : ٣ الرحمن .
(٥) ص ١ الاوراق قسم أخبار الشعراء .
(٦) راجع ٦٢ : ٢ معجم الادباء
(٧) ٢٤ بلاغة العرب في الاندلس لضيف .
(٨) راجع ٢٧٣ : ٣ تاريخ آداب اللغة للرافعي .
(٩) ٢٧٣ : ٣ الرافعي ، ٤٢ بلاغة العرب في الاندلس .
(١٠) راجعها في ص ٤٠٥ وما بعدها ج ٢ الذخيرة لابن بسام .

ولابن عبد ربه أرجوزة فى تاريخ الناصر وحروبه وأعماله خلال الفترة (٣٠٠ - ٣٢٠) وأولها :

سبحان من لم تحوه أقطار ولم تكد تدركه أبصار

وهى طويلة جدا (١) ولكنها إلى الشعر التعليمى أقرب منها إلى الشعر القصصى لجفافها وضعف خيالها وبعدها من قواعد الملحمة (٢) ولابن عبد ربه فى المنذر ابن محمد من ملوك الاندلس (٢٧٣ - ٢٧٥ ﻫ) :

بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الاندلس - الخ(٣)

ولمحمد بن عبد العزيز من شعراء اليتيمة قصيدة تربى على أربعمائة بيت فى وصف حالة تنذله فى الاديان والمذاهب والصناعات وهى تقارب المعنى المصطلح عليه فى الشعر العربى (٤) ، ثم نظم الشعراء المتأخرون فى السيرة النبوية خاصة كالبوصيرى فى بردته وهمزيته ، وتعتبر ألف ليلة وليلة مثالا غير مهذب للشعر القصصى ، وهذا هو كل ما أمكن استيعابه عن تاريخ الشعر القصصى فى الادب العربى .

٣ — وابن المعتز فى هذا الباب لا يلحقه أحد من شعراء العربية قبله ، فقد نهض بهذا الفن نهضة كبيرة ووضع أساس الملاحم فى الشعر العربى ، وله آثار خالدة نظمها على أسلوب المزدوجات(٥) .. ومن الآثار :

(١) أرجوزته فى تاريخ المعتضد وتبلغ نحو الأربعمائة والعشرين بيتا ، وهى صورة مصغرة لنمط الملاحم كالالياذة والشاهنامة ، وقد سدت بعض النقص الذى يوجد فى الشعر العربى (٦) ، وهى فى ديوان ابن المعتز (٧) ، وطبعت وحدها فى مصر عام ١٩١٣ ، وقد نشرها وشرحها وترجمها إلى الألمانية لانج الألمانى وطبعت

---

(١) راجعها فى ٢٠٩ — ٢٢٧ : ٣ العقد .

(٢) ٣١٨ الادب العربى للزيات .

(٣) ١٤٠ : ٣ نفح الطيب .

(٤) ١٥٤ : ٣ الرافعى

(٥) ألف الشعر العربى الازدواج من قبل العصر العباسى حتى نظم عليه الوليد بن يزيد خطبة دينية خطب بها الناس يوم جمعة ومطلعها :

الحمد لله ولى الحمد أحمده فى يسرنا والجهد

الخ — وراجعها فى ٨٠ و ٨١ : ٧ مهذب الأغانى

(٦) ٢٥ و٢٦ : ١ ظهر الإسلام

(٧) ١٥٢ — ١٧٤ الديوان

فى المجلة الألمانية الشرقية عام ١٨٨٦ م (١)، وفعل مثل ذلك لوث وطبعها فى ليبـك عام ١٨٨٢/١(٢)، وقد نشرتها وشرحتها على نظام جديد(٣)، والأرجوزة لها أهمية تاريخية كبيرة، وهى تصوير رائع للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى هذا العهد الحافل، وأكبر أثر تاريخى لعصر المعتضد، ومطلعها :

باسم الإله الملك الرحمن ذى العز والقدرة والسلطان

ومنها : هـذا كتاب سير الإمام مهذبا من جوهر الكلام

أعنى أبا العباس خير الخالق للملك، قول عالم بالحق

ويروى عن ابن المعتز أن المعتضد أمره بتأليف كتاب فى سيرته فقال قصيدته ووجه بها إليه، وختمها بأبيات مرثية بعد وفاته، وحفظها المعتضد جارية له فكانت تنشده إياها كثيرا واقتصر بها عن الكتاب الذى أمر بتأليفه(٤)، وأنا أرجح أنها نظمت بعد وفاته ولم تنظم فى حياته.

(ب) وفى زهر الآداب : وكان ابن المعتز يمدح الموفق وقد ذكر الصولى قصيدة لصاحبه فقال وقد اقتص خلفاء بنى العباس من أولهم :

ومعتمد من بعدهم وموفق يرد من إرث الخلافة ما ذهب

يذازله فى كل فضل وسؤدد وإن لم يكن فى المدمنهم ان حسب (٥)

فهل لابن المعتز أرجوزة أخرى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ؟

(ج) وأرجوزته فى ذم الصبوح من أقرب الآثار الأدبية إلى الشعر القصصى وأسلوبها ممزوج بالدعابة والمرح.

وبعد فلعل ابن المعتز هو الشاعر الذى كان له فى الشعر القصصى مجال كبير ومنزلة سامية خلدتها الأيام وحفظها التاريخ.

---

(١) ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية ، ١٦٣ : ٢ زيدان
(٢) ٦٣ : ٢ زيدان
(٣) ٨٠ — ١٠٧ رسائل ابن المعتز
(٤) ديوان ابن المعتز المخطوط بدار الكتب المصرية
(٥) ٢٠٣ : ٣ زهر

(٨)

ابن المعتز والموشحات

الموشح فن جديد من فنون الشعر العربي يمتاز بجماله الفني وكثرة صوره الشعرية وتعقيدها في صناعة الشعر وكثرة قوافيه وأدواره وبأوزانه الكثيرة التي تلائم الذوق وتوائم الغناء وتتمشى مع الترف والموسيقى وجمال الفن والحياة.

« والموشح جار على طريقة أهل الروم جاء من بلادهم خاليا من الكلام ليس فيه سوى النغمات المخصوصة ثم تأمل العرب أدواره ونظموا الموشحات على مقتضاها ». ويقال إن أول التواشيح هو المنسوب إلى أولاد النجار عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاستقبلوه والجواري ينشدن :

أشرقت أنوار محمد واختفت منه البدور
يا محمد يا محمد أنت نور فوق نور (١)

ولكن على أي حال هذه صور فنية ضئيلة جدا لا تنتسب إلى الموشحات إلا مجازا والصلة بينها وبين الموشح كما عرفه المتأخرون منقطعة أو بعيدة.

وقد وجدت في الشعر العربي في العصر العباسي صور شعرية جديدة كالمسمط والمخمس والمزدوج والدوبيت والمواليا والسلسلة ولعل بعض هذه الصور كان الأساس الأول للموشحات ؛ فالمخمسات نظم عليها محمد بن أبي بدر السلمي(٢) ومحمد ابن عيسى التيمي(٣) ، وسواهما من الشعراء العباسيين ومن أولهم بشار.

والسبب الأول في اختراع أوزان التوشيح هو الغناء(٤) لأن أوزانه أحفل بالتلحين - الذي كان ضروريا عند شعراء الأندلس - من أوزان الشعر(٥) واتخذ

---

(١) ١٣٤ وما بعدها الموشحات لعلام خليل نقلا عن القصيدة الدرويشية في تحرير السبع الفنون الأدبية للشيخ أحمد الدرويش مخطوطة بدار الكتب المصرية

(٢) ٤٤٩ معجم الشعراء

(٣) ٤٠٢ المرجع. ويراها ابن رشيق هي والسمطات دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه (١٥٧ : ١ العمدة)، وينسب لامرىء القيس سمط ، وينفي كثير من النقاد نسبته إليه (١٥٧ : ١ ، ٦٣ و ٩٠ : رسالة الغفران)

(٤) ١٦٣ : ٣ الرافعي

(٥) ٣١٢ : ٣ المرجع

فى أول الأمر أداة للهو والمجون ، ثم استعمل فى أغراض الشعر الأخرى (١) ، ولأبى الحسن النيرى الفارسى م ٦٣٨ هـ ديوان شعر أكثره موشحات فى التصوف ، ونظم السيوطى موشحا فى النجوم ، ونظم الرصافى فيما بعد موشحا ضمنه علم تكوين الأرض والنجوم على رأى العلامة وهو موجود فى ديوانه .

وتنسب لابن المعتز أول موشحة من الموشحات الفنية المعروفة (٢) وهى :

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وندیم همت فى غرته
وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه واتكا وسقانى أربعا فى أربع

ما لعينى عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ما شئت فاسمع خبرى

عشيت عيناى من طول البكا وبكى بعضى على بعضى معى

غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر فى البين بكى ويحه يبكى لما لم يقع

ليس لى صبر ولا لى جلد
يالقومى عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكواى مما أجد

مثل حالى حقه أن يشتكى كمد اليأس وذل الطمع

---

(١) ١٥٣ الموشحات

(٢) وهى موجودة فى ديوانه المخطوط والمطبوع وتناولها كثير من الباحثين المحدثين (٢٧٨ الزيات ، ٤١ بلاغة العرب الاندلس ، ٢٧٠ نظرات فى الأدب الاندلسى لكيلانى ، التوجيه الأدبى و ٧٩ الأدب العربى فى الاندلس لمحمود مصطفى)

كبد حرى ودمع يكف
يذرف الدمع ولا يذرف
أيها المعرض عما أصف

قد نما حبي بقلبي وزكا   لا تقل في الحب إني مدعى

وإذا كانت هذه الموشحة صحيحة النسبة لابن المعتز تكون أول موشحة عرفت في الأدب العربي ويكون لابن المعتز غالبا فضل ابتداع هذا الفن الجميل ، والباحثون يختلفون في ذلك اختلافا كثيراً :

فيتردد بعض الباحثين فيمن سبق إلى اختراع الموشحات : أهو ابن المعتز أم مقدم بن معافر القبري الأندلسي(١) . ويرى آخر أنه مع ذلك لا يستبعد أن تكون روح ذلك العصر التي أوحت إلى أحدهما بهذه الفكرة هي نفسها التي أوحت إلى الآخر بها دون تقليد (٢) ، ويرى آخرون أن الموشحات فن أندلسي خالص سبق إلى اختراعه الاندلسيون(٣) ، وهناك كثيرون جدا من الباحثين يجعلون ابن المعتز هو المبتدع للموشحات .

وفي رأيي أن هذه الموشحة ليست لابن المعتز لأنها بعيدة عن روح الشاعر وعواطفه ولا تمثل شيئا من نظراته في الحياة ولا فنه الأدبي في نظم القريض وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها وليس فيها شيء من خصائص فنه في الشعر، وعند ما نقرؤها تجد أنك قد انتقلت إلى جو بعيد عن جو ابن المعتز الأدبي وسماته الفنية مما يجعلنا نحكم أنها ليست له وإنما نسبت إليه خطأ ، وسمات الروح الأندلسية أظهر على هذه الموشحة من أي روح أخرى ، ولم يذكر أحد ممن عني قديما بابن المعتز من رجال الأدب شيئا عن هذه الموشحة ، ولو كانت له لقلده فيها من عاصره أو جاء بعده من شعراء الشرق ، ويؤيد ذلك الآراء التي سبق

---

(١) ٢٧٨ تاريخ الأدب العربي للزيات ، ٢١٩ التوجيه الأدبي

(٢) ٢٧٢ نظرات في الأدب الاندلسي

(٣) ٣٩ و ٤٢ و ٢٢٣ بلاغة العرب في الاندلس لضيف ، ٢٢٥ و ١٩٥ : ٤ نفح الطيب ١٣٠١ هـ ٢٤٣ سلافة العصر ، ٥٨٣ مقدمة ابن خلدون ، ١٦١ : ٣ وما بعدها للرافعي ، ٩٨ و ٩٩ الأدب العربي في الاندلس والعصر الحديث لحمود مصطفى ، ١٠٣ العصر العباسي له أيضاً ، ص ١ و ٢ حـ ٢ الذخيرة لابن بسام

ذكرها والتي نجمع على أن الموشحات فن أندلسي كما يؤيده بعض الباحثين (١)، وقد كنت أظن أن هذه الموشحة لابن معتز الأندلس مروان بن عبد الرحمن الأمير الشاعر المشهور وأنها نسبت لشاعرنا خطأ من الرواة، ولكني وجدت في في بعض المراجع نسبتها لأبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الأندلسي الاشبيلي (٢) (٥٠٧ — ٥٩٥ هـ).

ولابن بقي الأندلسي م ٥٤٠ هـ موشح على نمط هذا الموشح وأوله:

غلب الشوق بقلبي واشتكى ألم الوجد فلبى أدمعي (٣)

ولا ندري من سبق منهما (ابن زهر وابن بقي) إلى هذا الوزن ونهج سبيل تلك الموشحة ومن هو الذي قلد رفيقه فيها؟ ويغلب على ظني أن ابن زهر هو الذي احتذى حذو ابن بقي في موشحته، ولشاعر آخر موشحة على هذا النظام وأولها:

ملك الصب المعنى هل لكا في تلافيه بوعد مطمع (٤)

وبعد فهذه الموشحة ليست لابن المعتز وإنما هي لابن زهر، وابن المعتز هو ليس الذي ابتكر الموشحات وليس هو من الموشحين، وهو في غنى عن المجد الذي سيناله باختراع هذا الفن فليس فقيرا في فنه الشعري ومجده الأدبي حتى يكون بحاجة إلى مجد جديد منتحل وشرف لم نقلده إياه ملكانه وأعماله وأدبه، ومن هنا يدخل الشك في صحة ما نسب إليه في ديوانه من شعر، فلا بد أن يكون قد دخله تغيير بسبب كثرة النسخ والنساخ في شتى الأمصار وليس لدينا نسخ متعددة مخطوطة من الديوان حتى يمكن دراستها وتحقيق روايتها ومعرفة أول من نسب لابن المعتز هـذه الموشحة، ويكفينا ذلك من التحقيق في هذا البحث الآن.

---

(١) الفن ومذاهبه، مجلة الرسالة العدد ٤٥٩ من مقال لطه الراوي.

(٢) ٢٢ : ٧ معجم الأدباء، وابن زهر نشأ بالأندلس وبرع في العربية والشعر وكان يحفظ شعر ذي الرمة وانفرد بالإجادة في نظم الموشحات (٧١ : ٢ معجم الأدباء، وراجع ١٠ : ٢ وفيات الأعيان ط ١٣١٠ هـ، ٣١٣ : ٣ الرافعي. ١١٧ : ٤ نفح الطيب، ٥٨٥ مقدمة ابن خلدون).

(٣) راجع ٣٧ من الموشحات لغلام خابل، ٢٧٦ نظرات في الأدب الأندلسي.

(٤) ٩٦ و٩٧ من الموشحات.

(٩)

التشبيه فى شعر ابن المعتز[١]

١ — لابن المعتز فى فن التشبيه إجادة ، وله به شهرة ، وملكاته فيه ملكات المصور الفنان الملهم ، وترجع بواعث هذه الملكة المصورة فى نفس ابن المعتز ، وأسباب تلك القدرة البارعة على تصوير الأشياء وتشبيه بعضها ببعض إلى ذهنه الخصب ، وعقليته الناضجة ، وثقافته الواسعة ، وإلى إحساسه الدقيق ومشاعره المرهفة ، وهيامه الفنى بتذوق الجمال وتصوره وتصويره ، وإلى مظاهر الحياة وترف الحضارة التى عاش فيها كما يقول الثعالبى ، وإلى مذهب الصنعة الشعرية الذى آثره ليدل بترف الأسلوب على ترف الخيال والفكر والحياة .

عكف ابن المعتز على التشبيه ، وأفرغ فيه جهده ، وراح يوشى به شعره ، ويطرز به قصائده مستمدا مقوماته من حياته التى لم تتح لشاعر ، فأظهر فيه براعة معدومة منظير بما استنبطه من ألوان رائعة وصور خلابة (٢) فى كثرة هائلة حتى لاتخلو قصيدة من قصائده ولا قطعة من مقطوعاته من عدة تشبيهات نادرة ساحرة . وهى لا تقف عند وصف الطبيعة والرياض بل تتعداها إلى كل شىء يلتقطه خياله ، فكانت هذه الملكة القوية ظاهرة ملموسة فى فن ابن المعتز فى سائر شعره وشتى أغراضه ، وإن كثر ظهورها فى أوصافه وخمرياته وغزله وطرده ، وهو فى هذا يبذ جميع الشعراء الذين لم يكثر التشبيه فى شعرهم هذه الكثرة . نعم شغف ابن المعتز بالتشبيه شغفا شديدا ، وكان له عنده طراقة خاصة حتى حوله إلى صبغ له طاقة واسعة ، بل لقد خرج به عن نطاقه القديم ، فأصبح صبغا مستقلا له أوضاعه التى لا تحصى ، وفى هذا يظهر تصنيعه وتفوقه على شعراء عصره (٣) ، وكان صبغ التشبيه أبرز أنواع البديع فى شعره ، وكان يعجب بهذا المذهب اعجابا شديدا ، وأكثر من أوضاع صوره وتشبيهاته فى شعره وأفرط

---

(١) راجع كتابنا : التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى .

(٢) ٨٠ الصبغ البديعى لأحمد موسى مخطوط بمكتبة كلية اللغة .

(٣) ١٤٥ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى .

فيها حتى أصبح التشبيه عنده صبغا ثريا بأوضاعه المختلفة ، وأظهر فى ذلك مقدرة ممتازة وبراعة لم تتح لشاعر من قبله ، وفى وصفه للرياض (١) فى أرجوزته فى ذم الصبوح :

أما ترى البستان كيف نورا   ونشر المنثور زهراً أصفراً

مثل واضح لذلك ، فإنه ليملكك العجب حين ترى هذه الأوضاع الكثيرة التى استخرجها الشاعر من فن التشبيه وراح يطرز بها هذا الوصف البديع للرياض والتى جمعت تلك الصور الكثيرة التى يغرق فيها البصر والتى يعرضها علينا ابن المعتز فى تلك الألوان والطرائف النادرة .

٢ — وابن المعتز يسبغ على صوره فى التشبيه ظل حياته المترفة المفعمة بألوان الجمال والنعيم ، فيشبه الآذريون بكؤوس الذهب التى يحفظ فيها الطيب وفيها بقية منه ، ويشبه النرجس بكؤوس الدر التى فى حشوها عقيق ، ويشبه العنب بمخازن البلور ، ويشبه النار بأشجار الذهب ، ويشبه الهلال بزورق من فضة ، ويشبه مقلة كلب الصيد فى الرأس بمسمار ذهب ، ويشبه دنان الراح المصفوفة بجند قيام مصفوفة حوله ، إلى آخر هذه الأوصاف التى استمدها الشاعر من حياته وبيئته ، والتى تطوف بك فى تصور الوهم والخيال ، والتى إذا طالعتها فى ديوانه ملأت نفسك روعة ، وطارت بك إلى حياة مترفة تسمعها ولا تكاد تراها وتقف على صورة جديدة للتشبيه ذات ألوان متعددة تفيض بالخيال الرائع وتبرز مكامن هذه الحياة المترفة التى نشأ فيها وخالطها ابن المعتز بما فيها من مداهن التبر وأوانى الفضة وصحاف الذهب المحلاة بأنواع الجواهر الكريمة واللآلئ النادرة حتى يخيل إلى القارئ أن هذا الصبغ مع عذوبته وعدم تكلفه قد استحال على يد ابن المعتز إلى صبغ آخر جديد وذلك هو سر تفرده فى هذا اللون(٢) » ، وقد أمدته حياته ومافيها من ترف ومشاهد بصور لم يألفها أحد من معاصريه وكان له بذلك التفوق على كل شاعر سواه حتى لايدانيه أحد من الشعراء فى هذا الباب .

٣ — وتشبيهات ابن المعتز أكثرها تشبيهات حسية يستمدها من بيئته ، فهو يصور مظاهر الطبيعة وشتى ألوان الحياة المادية صورا مادية لها سحرها وجمالها

---

(١) ٣٠٧ ديوانه ، ٨ رسائل ابن المعتز .

(٢) ٨٠ الصبغ البديعى

الفنى الرائع . وقلما يعنى بتصوير الوجدانيات والعقليات ، لأن خياله كان ثريا بالألوان المادية للحياة المترفة التى شاهدها وعاش فيها ابن المعتز فلم يؤثر أن يتجاوزها إلى دائرة التخيل والتصوير للحقائق المجردة البعيدة عن مظاهر الإحساس فى الحياة ، فكان لحياته أثر بالغ فى صنعته فى التشبيه ، وجنوحه بها عن حقائق العلم والفلسفة التى استبدت بأبى تمام إلى أصباغ لزخرف الحسى التى مال إليها البحترى أيضا ، وذلك مع المحافظة على عمود الشعر العربى ومع الرقة والسهولة فى الأسلوب ، ويقول عبد القاهر : « تقول ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها تعنى تشبيه المبصرات بعضها ببعض وكل مالا يوجد فيه التشبيه من طريق التأويل وما كان من هذا الجنس ولا تريد نحو قوله :

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ماتأكله

وذلك لأن إحسانه فى النوع الأول أكثر وهو به أشهر(١) ، وهكذا تجد ابن المعتز يجيد فى شعره فى أصباغ الزخرف الحسى وألوانه المتعددة من جناس وطباق وتصوير ومشاكلة ، وينأى عن الزخرف العقلى . حتى حين كتب عن صنعة الشعر كتابه البديع فى عصر شبابه ، فليس فيه من ألوان الجمال التى تعتمد على العقل والتفكير إلا المذهب الكلامى الذى نقله عن الجاحظ ونقده ونسبه إلى التكلف ، وتقرأ ديوانه فيبهرك جمال صوره المادية وما فيها من دقة وجودة وإحكام تصوير مما يفيض رقة ويسيل عذوبة ويمثل الحياة المترفة فى أروع صورها . على أنه لم يعقد تلك الألوان ولم يمزج بعضها ببعض على نمط ما كان عند أبى تمام ، فأزجاها غالبا مجتمعة دون اتحاد وامتزاج ، وكان ابن الرومى يجيد ويكثر فى تشبيه الحسيات ولكنه يمزج أصباغها ويعقد فى ألوانها ويزجيها مجتمعة مركبة بعكس شاعرنا ابن المعتز ، انظر إليه يقول ، فى روعة تشبيه وعذوبة أسلوب ، يصف الهلال :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

ويقول فى القمر :

ومصباحنا قمر مشرق كترس اللجين يشق الدجى

---

(١) ٧٥ وما بعدها أسرار ، ٥٤ المصباح لابن مالك

ويقول :

وكأن السقاة بين الندامى ألفات بين السطور قيام

ويقول في ليمونة :

كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

إلى ما سوى ذلك من صوره الحسية الرائعة . ثم إن هذه التشبيهات الحسية يدور أكثرها كما رأيت حول الأشياء المحسة بحاسة البصر أكثر من سواها من المحسات . . ولابن المعتز كابن الرومي فن مستقل في تصوير الألوان خاصة من بين سائر المبصرات وهو ما يسميه البديعيون « تدبيجا » وما يبلغ فيه شاعرنا غاية الجودة والاحسان ، فيقول في الشمس حين الشروق « كأن سناها صب في الأرض زريابا » ، أي ذهبا ، ويقول في الشمس وشعاعها :

وشارق يضحك من غير عجب كأنه صب على الارض ذهب

والشارق الشمس , وفي البيت وقف على المنصوب بالسكون .

ويقول :

ووجنة كأنما يقدح منها الشرر

ويقول في الراح بأيدي الندامى :

كأنهم نثروا بينهم حريقا بأيديهم تستعر

ويقول في الساقي :

فكأن كفيه تقسم في أقداحنا قطعا من الشمس

٤ — والشعراء يلجأون عادة إلى التشبيه ولكن الشاعر الممتاز يترك المبتذل منه ويختار التشبيهات الجديدة المبتكرة ، وقد يجيء ذلك عفوا ومن تلقاء ذاته عند الشاعر المطبوع البعيد المنزع في تفكيره وفنه ، لمرانه الأدبي ، ومن الممكن أن نروض خيالنا على ابتداع تشبيهات جديدة حية ، والأغلب أن يتطلب ذلك في بادىء الامر جهدا ورياضة . لاجتناب أخذ الاوصاف المألوفة التي هي طافية على سطح تفكيرنا ، وللتنقيب في طبقة أعمق ، حيث نستطيع أن نظهر مواهبنا الخاصة في فن التشبيه : ونبتدع معاني وتشبيهات جديدة مقبولة ساحرة : ولقد كان

ابن المعتز ماهرا فى هذا الباب ، وله فيه تجديد وابتكار لايعرف لهما نظير عند الشعراء ، وله فى ذلك كثير جدا مما لا يكاد يحصى .

يقول فى فرسه وشدة عدوه :

كأنما طار تحتنا قزع على أكف الرياح ينتقل(١)

فيجيد ويبلغ حد الجمال الفنى فى التجديد والتصوير .

ويقول فى ورد أهدى له :

كأن أبيضه من فوق أحمره كواكب أشرقت فى حمرة الشفق

ويقول يصف سباق الخيل :

خرجن وبعضهن قريب بعض سوى فوت المذار أو العنان
ترى ذا السبق والمسبوق منها كما بسطت أناملها اليدان

فترى صورة محكمة إحكاما غريبا .

ويقول فى الهلال :

انظر إلى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا

فلا تجد أجمل ولا أبلغ من هذه الصورة ، ولقد شبه فيكتور هوجو الهلال بمنجل ذهب فراع أصحاب الأدب الفرنسى ، (٢) ، ولكن ابن المعتز لا يقف عند هذه الصورة العامة بل يضيف اليها زيادة غريبة ، فالمنجل من فضة ليكون شبيها بنور الهلال الفضى ، وهو يحصد الدجى بأضوائه وأنواره ، ولكن المنجل لايحصد إلا الزهور والنباتات ، فليكن للدجى حديقة أو حقل فيه زهور منوعة ، وليحصد المنجل من هذه الزهور نرجسها الذى يكاد يشبه الظلام ، وهذا أروع تفصيل وأدق مبالغة وملاحظة لخصائص المشبهات والمطابقة بينها وبين بعض .

ويقول أيضاً فى الهلال :

وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

(١) القزع : القطع المتفرقة من السحاب .
(٢) ١٤٧ الفن ومذاهبه .

فهيئة الهلال المنير الذى تترك منه ظلمات الليل قوسا صغيرا مضيئا تشبه هذا الزورق المضى المثقل بحمولة عنبر فلا يبدو منه على سطح الماء إلا قوس صغير شبيه بقوس الهلال (١)

ويقول فى عين البازى : « كأنما فى الرأس مسمار ذهب » .

ويقول فى النارنج :

وأشجار نارنج كأن ثمارها   حقاق عقيق قد مُلئن من الدر

ويقول فى حواصل الحمام :

« كأنها صرار لؤلؤات »

وفى العنب :

« كأنه مخازن البلور (٢) »

ويقول فى وصف سقاة الراح :

وتحت زنانير شددن عقودها   زنانير أعكان معاقدها السرر

فهذا تشبيه ما نعلم أنه سبق اليه ، يشبه بالزنانير المربوطة على خصورهن هذه الثنيات التى فى أجسادهن والتى يجعل السرر عقداً لها (٣)

ويقول فى وصفه الثريا ما لم يسبقه أحد إليه على كثرة ما وصفوا الثريا :

ولقد لمعت بين النجوم كأنها   قوارير فيها زئبق يترجرج (٤)

ويقول فى الآذريون :

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

---

(١) حاول الشعراء فى شتى العصور تقليد ابن المعتز فلم يبلغوا مبلغه فى هذا التشبيه الجيد الجميل ولابن المعتز فى القمر :

فى قمر مستوفى نصفه   كأنه مجرفة العطر

(٢) وينسب لابن الرومى (٣٧ : ٢ ديوان المعانى ، ١٠ : ٢ زهر ، وديوان ابن الرومى)

(٣) وينسب البيت لأبى نواس أيضا (٢٣١ : ٢ عمدة) وقد أخذه أبو هلال فقال فى تجويده

وقد شدت زنانيرا   على مثل الزنانير

(٤) وفى ألفاظ البيت زيادة على معناه كما يقول أبو هلال (٣٣٥ : ١ ديوان المعانى) ، وأخذه الخالدى أو كشاجم فقال :

والمشترى وسط السماء تخاله   وسنان مثل الزئبق المترجرج

ويقول فى الصبح :

وكأن الصبح لما لاح من تحت الثريا
ملك أقبل فى تاج يفدى وبحيا (١)

ويقول فى الراح :

كأن عناقيد الكروم وظلها كواكب در فى سماء زبرجد

ويقول فى النجم يشرق فيه الليل :

وقد تبدى النجم فى سواده كحلة الرهاب فى حداده

ويقول فى البدر :

والبدر فى أفق السماء كدرهم ملق على ديباجة زرقاء (٢)

وسوى ذلك من جديد تشبيهاته وجيدها المبتكر ، ولابن المعتز عدا ذلك تشبيهات لها جمالها الفنى البارع ، يقول فى الساقى :

قام كالغصن فى النقا يمزج الشمس بالقمر

ويقول فى الفرس وغرته : « قد سمرت جبهته بنجم »

وفى الراح وصفائها : « كأنها دمعة من عين مهجور » . وفى البازى :

يركض فى الهواء بالجناح كركض طرف السبق فى المراح

وفى الثريا :

وأرى الثريا فى السماء كأنها قدم تبدت فى ثياب حداد

---

(١) أخذه الوأواء فقال لى تقصير عن بلوغ شأوه :

وكأن الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكليل

(٢) أخذ منه أبو طالب الرقى بيته المشهور :

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

وأخذه سعيد الخالدى فقال :

كأنما نجومها فى مشرق ومغرب
دراهم منثورة على بساط أزرق

وله :

وماء دارس الآثار خال ‏ كدمع حار فى جفن كحيل

وله أيضا :

وتجرح أحشائى بعين مريضة ‏ كما لان متن السيف والحد قاطع

وهو من التشبيه القليل النظير(١) . ويقول :

والريح تجذب أطراف الرداء كما ‏ أفضى الشفيق إلى تنبيه وسنان(٢)

ويقول فى ناقته :

رمت أرض بها أرضا فأرضا ‏ كنبذ القوم صائبة السهام

وفى حبيبته :

كأنها حين تبدو من مجاسدها ‏ بدر تمزق فى أركانه الغسق

وفى الراح والماء الذى يمزج بها ، والحباب الذى يتولد من ذلك :

وأمطر الكأس ماء من أبارقه ‏ فأنبت الدر فى أرض من الذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجبا ‏ نورا من الماء فى نار من العنب

ويقول :

إلى أن تعرى النجم من حلة الدجى ‏ وقال دليـــل القوم قد ثقب الفجر

وقد أديم الفجر حين ترفعت ‏ لهم ليلة أخرى كما حوم النسر

وهو من قول شاعر مطبوع :

على حين ألقى القوم ضر من السرى ‏ وطارت بأخرى الليل أجنحة الفجر

ويقول فى شراء الراح :

وزنا لها ذهبا جامـــدا ‏ فكالت لنا ذهبا سائلا

ويقول :

كأن الثدى على صـــدرها ‏ حقاق من الدر فى مرمر

خشين السقوط فأثبتنها ‏ بشبه المسامير من عنبر

---

(١) ٢٣٦ : ١ ديوان المعانى

(٢) يقول الثعالبى : وهو من سائر تشبيهاته التى انفرد بها (١٨٢ ثمار القلوب)

٥ — وابن المعتز فى تشبيهه مصور بارع ينقل لك بريشته على صفحات شعره البديع صورا تمثل ما يصوره لك من أشياء ، هو فنى فى تصويره ، غنى بذهنه الخصب وخياله المصور الذى يقدر الأشياء ويقدر الصور بمقدارها ثم يخرجها لك تشبيهات تمثل أصلها فى كل خصائصه التى أرادها الشاعر وصوره من أجلها ، مما جعل تشبيهاته تمتاز بدقة التصوير ، وهى ناحية تفوق فيها ابن المعتز وبلغ فيها منتهى الاجادة وتقدم بها كثيرا من الشعراء الوصافين : كان فطنا دقيق الفطنة ملتفتا إلى كل ما تتطلبه صوره الشعرية من ألوان وأصباغ ، فهو يحكم ظلالها وأضواءها ويلائم بين ألوانها وأشكالها ويخرجها صورا مكتملة الحياة فى كل جزء من أجزائها. وكان يوضح الشبه بين الشيئين توضيحا بالغا مهما اختلفا فى الجنس وتباعدا فى الخيال ، وكثيرا ما كان يجمع بين المتباينات ويؤلف بين المتنافرات ، مما يدل على دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر ومما يعطيه الناقد فى كثير منه منزلة الحاذق الصانع والمصور الملهم ، فالبنفسج زهر غض يرف تبصر فيه زرقة أوراقه وحمرة ساقه ، فيشبهه ابن المعتز لا بزهر مثله ولا بنبات آخر شبيه به ، ولكن يشبهه بلهب نار لا يستطيع سوى الحاذق أن يتخذ منها له مثالا ، ثم لم يكتف بذلك بل دق فى التصوير ونظر نظرة خاصية غريبة فشبهه بزرقة النار أول ما تشتعل فى الكبريت . فبلغ غاية التصوير وملك زمام الإجادة حين يقول :

ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت (١)

ويقول فى الآذريون :

مــداهن من ذهب فيها بقايا غاليــة

ويقول :

وحمل آذريونة فوق خــده ككأس عقيق فى قرارتها مسك

والبيت الأول أدق فى التصوير وأبلغ فى التفصيل من الثانى (٢) ، لأن المسك يابس وهو فى الكأس لا يرتفع فى الجوانب ذلك الارتفاع الذى تراه فى السواد

---

(١) وهما فى الديوان برواية أخرى .
(٢) ويطيل عبد القاهر فى الأسرار فى شرح البيتين والموازنة بينهما (١٠٣ الأسرار) .

فى باطن الآذريونة ، أما الغالية فهى رطبة فهى تؤخذ بالأصابع فبقاياها ترتفع عن الفرارة فتكون شبيهة بذلك السواد ، ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا جرم له وذلك أصدق للتشبيه . والبرق فى حركته واستطالته فى أثناء وميضه يشبه ابن المعتز بالفرس ثم يدق فيجعل الفرس بلقاء ثم يدق فيجعلها تمرح وتجول ليكون قد راعى ما به يتم الشبه وهو معظم الغرض من تشبيهه ، وهو هيئة حركته وكيفية لمعه فيقول :

وترى البرق عارضا مستطيلا مرح البلق جلن فى الأجلال (١)

ونظيره قوله فى البرق :

ونارة تبصره كأنه أبلق مال جله حين وثب

فالقصد تشبيه البرق وحده ببياض البلق دون إدخال لون الجل فى التشبيه (٢). ويشبه الصبح والليل جميعا بالفرس الأشهب أجيلت جلاله عن ظهره وقد ظلت عالقة به فيقول:

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال (٣)

والصبح حين يظهر فى حواشى الظلمة ويدفع الليل دفعا يشبهه ابن المعتز بأشخاص غربان ذاهبة فى الفضاء طائرة فى جو السماء يدفعها الخوف لا الرجاء ، فيبدع فى ذلك غاية الإبداع حين يقول :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن تكون قوادم ريشها بيضاء لتلائم ضوء الصبح المشرق فى ظلمات الليل ، وأجاد الشبه والتصوير ، وتمام التصوير والدقة والسحر فى البيت أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ، ولا يرضى منها بأن تتمهل فى حركتها ، ثم صور ذلك كله فى قوله « نطير غرابا » دون أن يقول غراب أو غراب

---

(١) البيت فى الوساطة (١٤٩) ويفض عبد القاهر فى شرحه فى أسراره (١٤٩ الأسرار)
(٢) راجع ١٤٨ الأسرار وما بعدها .
(٣) راجع ١٤٧ وما بعدها أسرار البلاغة.

يطير ، لأن الطائر إذا كان واقفا فى مكانه فأزعج منه كان ذلك أسرع لطيره ، ومسيره إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا طار عن اختيار فانه يجوز أن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول (١) .

ويقول ابن المعتز وهو من أغرب ما قاله محدث :

وقد رفع الفجر الظلام كأنه ظليم على بيض تكشف جانبه

والشمس فى تموج شعاعها وفى إشراقها واستدارتها يشبهها ابن المعتز بتموج نور المرآة ، ولا يقنع بذلك بل يجعل المرآة فى كف أشل ، ويخرج ذلك فى صورة ساحرة فيقول : « والشمس كالمرآة فى كف الأشل (٢) » . ومن رائع التصوير ودقيق التشبيه وبديع الوصف قوله فى الفرس وسرعته :

كأن جنان الفلاة تضربه كأن ما يهرب منه يطلبه (٣)

إلى آخر هذه الأوصاف والتشبيهات الرائعة التى تنم عن دقة وتفصيل وعمق وتفكير بعيد فى صوغ التشبيه مما أعطى صاحبه ميزة التجديد وأكسبه ملكة الابتكار والتجويد فى التشبيه .

٦ — وابن المعتز يفتن فى أوضاع تشبيهاته الفنية ، فهو طالما يجمع الكثير من الصور الشعرية فى تشبيه ، ويمتاز فى ذلك بجمال هذه الصور وعذوبتها وبروح

---

(١) راجع ١٥٤ و ١٥٥ الأسرار .

(٢) أنشد به أبو هلال ونسبه لراجز (٣٥٩ : ١ ديوان المعانى) ، وينسب لابن المعتز ، ولأبى النجم أيضا (١٤٤ : ١ معاهد التنصيص) ، وصدره كما فى ديوان المعانى :
«صب عليه قانص لما غفل»

(٣) ويقول ابن المعتز :

وكابدنا السرى حتى رأينا غراب الليل مقصوص الجناح

فيجنح إلى التفصيل فى صورة الغراب ويصور بهذا النص الغريب لجناح الغراب ما ينتهى إليه أمر الليل وظلمته حين بدا فيه نور الصباح . ويقول :

ورفعنا خباءنا تضرب الريح حشاه كالجاذف المقصوص

فيشبه خباءه التام الذى تضرب الريح جوفه فتهزه هزا شبيها بما فعل المقصوص إذا جذف وذلك أن يرد جناحه إلى خلفه فيتحرك جانباه (راجع ١٩١ الأسرار) .

الصنعة الشبيهة بالطبع التي تسري فيها ، وبأن ألوانها تتراءى لك غالبا دون اتحاد أو امتزاج ؛ يقول في المعتضد :

وكالليث شد على أقرانه   وكالغيث جاد ، وكالبدر لاحا

ويقول :

وشعره من ظلام   ووجهه من نور

ويقول :

الغصن في أثوابه والدر في   فه وجيد الظبي في أزراره

ويقول في عكس لأطراف التشبيه :

بدر وليل وغصن   وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد   ريق وثغر وخد(١)

وله تشبيهات كثيرة يعكس فيها التشبيه ؛ يقول في حبيبه :

ويكاد البدر يشبهه   وتكاد الشمس تحكيه

ويقول :

كدت أقول : البدر شبه لها   أجملها كالبدر ؟ حاشاها(٢)

ويقول :

لاتخلطوا الدوشاب في قدح   بصفاء ماء طيب البرد
لاتجمعوا بالله ويحكم   مخاطظ الوعيد ورقة الوعد(٣)

وله في عكس التشبيه وهو ينم عن دقة ويدل عن جمال وخصب تصوير :

---

(١) ويذكر المرتضى أنه لم يجد تشبيه ستة بستة إلا لابن المعتز في هذين البيتين (٢٣ : ٤ أمالي المرتضى) ؛ ويجعله ابن رشيق من تشبيه ثلاثة بثلاثة (٢٦٢ : ١ العمدة) ، وراجع (٢٥ حسن التوسل ، ٨٥ المصباح)

(٢) وهو قريب من قول مسلم :

فبت أسقى البدر طورا حديثها   وطورا أناجي البدر أحسبها البدرا

(٣) راجع شرح عبد القاهر للبيتين في الأسرار (ص ٢٠٢)

مايحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

ولابن المعتز أيضاً كثير من الصور الشعرية التي يحاول فيها أن يركب التشبيه وقد مضى الكثير منها ، كما في قوله : «ولازوردية تزهو بزرقتها» .

ويقول :

كم حاسد حنق على بلا جرم فلم يضرني الحنق
متضاحك نحوى كما ضحكت نار الذبالة وهي تحترق(١)

ويقول :

اصبر على مضض الحسو د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ماتأكله(٢)

وأغلب هذه الصور الشعرية من التشبيهات الحسية المألوفة . هذا ولابن المعتز فوق ذلك تشبيهات استمدها من معان عقلية وترك فيها حديث المحسات وصورها، وهي قليلة في تشبيهاته بالنسبة لصوره الحسية الكثيرة . يقول :

ووجوه البلاد تنتظر الغيـ ث انتظار المحب رجع الرسول

ويقول في الكأس :

فلما صب فيها الماء ثارت كما ثار الشجاع إلى الجبان

ويقول في الراح :

وقد خفيت من صفوها فكأنها بقايا يقين كاد يدركه الشك

ويقول :

صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دق في ذهن جليل

٧ — وإذا كانت تشبيهات ابن المعتز تصورلك حياته وبيئته الخاصة التي عاش فيها وخالطها وما كان فيها من ترف ونعيم ، فهي مع ذلك تنم عن شعور ، وتصور

---

(١) وهو من قول العباس بن الاحنف :

أحرم منكم بما أقول وقد نال العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

(٢) يشرحهما عبد القاهر في أسراره (٧٨ الأسرار)

عواطف صاحبها ومشاعره ووجداناته . وكثيرا مانقرأ له صورا حية يدب فيها دم الحياة ، ويتدفق منها فيض الاحساس ، يقول ابن المعتز يصف وجنة معشوق:

وو جنة كأنما يقدح منها الشرر

فنجد صورة تنبض بالحياة ، وتصور لك إحساس الشاعر وشعوره ؛ ويقول في منزل أحبابه :

عفا غير سفع مائلات كأنها خدود عذارى مسهن شحوب

فتبكي وتتألم لهذا الربع العافي ، والديار التي رحل عنها أصحابها . ويقول :

وصولجان الصدغ مستمكن للضرب من تفاحة الخـد

فترى صورة تنم عن إحسان ، وتخفق بالحياة . ويقول :

وضم لم نـكن نحسبه في الريح أغصان
كما ضم غريق سابحا والماء طوفان

فنجد صوره ممثلة للمعنى ، مصورة للشاعر وشعوره حين شبه وصور هذا العناق الرائع الذي يدل على هيام وحب شديد .

ويقول :

ريم يتيه بحسن صورته عبث الفتور بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنته (١)

وهذه الصورة رائعة حقا لما أشاعه فيها الشاعر من جمال وبعث فيها من حرارة هي حرارة الوجنات التي يلهبها الفن ويذكيها الشعور . ويقول في ساقي الراح :

وكأن كفيه تقسم في أقداحنا قطعا من الشمس

ويقول في كلبة الصيد :

---

(١) كانت النساء تجعل شعر أصداغهن على صورة الواو أو على صورة العقرب وفي ذلك يقول ابن المعتز البيت (١٩١ : ٢ تاريخ الحضارة الاسلامية لميتز وترجمة أبو ريدة ، ٧٣ الفن ومذاهبه) .

وزوبعة من بنات الرياح تريك على الارض شداً عجب

ويقول فى تشبيه السماء وما فيها من نجوم برياض البنفسج تفتح بينها نور الاقاحى :

كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداه تفتح بينها نور الاقاحى

ويقول :

وداء دارس الآثار خال كدمع حار فى جفن كحيل

ويقول .

قد اغتدى والليل فى إهابه كالحبشى فر عن أصحابه

إلى آخر هذه التشبيهات الجميلة التى يرسمها ابن المعتز فى شعره صوراً متحركة يعطيها أوضاعاً تؤكد حقيقتها وتبعث فيها روح الحياة وتجعلنا كأننا نلمسها ونشاهدها لانها ليست صوراً جامدة بل هى حية ناضرة كأنما نقشت رسومها بالامس ، نقشها شاعر كان صباً يبعث الحياة والحركة فى صوره حتى ليحس من يقرأ أول ديوانه أنه يعيش فى دار من دور الصور المتحركة (١) » . وإن الإنسان ليذهل إزاء هذه القدرة والروعة فى التصوير حتى ليتمنى أن لو صار اليه شىء من إحساس ابن المعتز حين تمثل هذه الصور .

٨ — وكان ابن المعتز يقصد إلى أروع التشبيهات فى الشعر العربى فيصوغها بفنه ويخرجها إخراجاً جيداً أو يأتى لها بنظير فى التشبيه .

يقول البحترى فى صفة العناق :

ولم أنس ليلتنا فى العنا ق لف الصبا بقضيب قضيبا

فقال ابن المعتز وزاد عليه فى المعنى وجودة التصوير ودقة التعبير :

فلو ترانا فى قميص الدجى حسبتنا فى جسد واحد

ويقول بشار :

---

(١) ١٤٨ الفن ومذاهبه

وجيش كمثل الليل يزحف بالقنا وبالشوك والخطى حمر ثعالبه

أخذه ابن المعتز فقال :

وجيش كمثل الليل يسود شمسه ويحصر من أعدائه البر والبحر

فبالغ فى المعنى وفى التصوير . وقال كثير :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

أخذه ابن المعتز فقال:

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فقوله « سالت عليه شعاب الحى » يقابله الشطر الثانى كله من بيت كثير فهو أوجز وفى بيت ابن المعتز معان كثيرة وصور مزدحمة يتصل بعضها ببعض مما لانجد مثله فى بيت كثير .

ويقول بشار وهو من أجود ما قيل فى ارتفاع الغبار ولمعان الأسنة فيه:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويقول ابن المعتز :

وعم السماء النقع حتى كأنه دخان وأطراف الرماح شرار

فقصر عنه تقصيرا واضحا ... وقال الحكم بن مرة المازنى :

كأنما الشمس فى أعطافه لمعت حسنا أو البدر من أزراره طلعا

أخذه أحمد بن يحيى العراف الكوفى :

بدا وكأنما قمر على أزراره طلعا

وقال أبو نواس :

كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمرا

وقال الأصمعى فى الرشيد (١) : « كأنما ركب البدر فوق أزراره جمالا »

---

(١) من كلمة طويلة له (راجع ٤٠٤ : ٢ العقد)

وقال شاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

وقال ابن المعتز:

يحرك الدل فى أثوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قمرا

ويعده أبو هلال من أبلغ ما قيل فى حسن الوجه (١).

وقال شاعر (٢) فى الهلال وتشبيهه بقلامة الظفر:

كأن ابن ليلته جانحا فسيط لدى الأفق من خنصر (٣)

أخذه ابن المعتز فزاد وأجاد وحسن معرضه وسهل (٤) لفظه، حيث يقول:

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

ولابن المعتز فى الهلال وهو من عجيب ما قيل فيه:

إذا الهلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته
كهامة الأسود شابت لحيته

وقد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه، ونقله إلى موضع آخر فقال (٥):

قد بدا فوق الهلال كرته كهامة الأسود شابت لحيته

وقال أبو نواس فى حباب الراح:

« حصباء در على أرض من الذهب »

فقال ابن المعتز:

---

(١) ٢٣٢ : ١ ديوان المعانى

(٢) هو عمرو بن أمية كما فى ابن خلكان

(٣) أى كان ابن ليلته — وهو الهلال — لدى الأفق فسيط من خنصر، والفسيط قلامة الظفر، والبيت فى غاية من سوء الوصف.

(٤) ويشيد به النقاد (٣٣٩ : ١ ديوان المعانى، ٤٦٤ : ١ وفيات، وراجع ٢١٢ صناعتين، ٤١١ خزانة الأدب للحموى). ويرى ابن الأثير أن بيت ابن المعتز من عكس التشبيه وينقد قول القاضى الفاضل نقدا طويلا (١٦٢ المثل السائر).

(٥) راجع ٣٤٠ : ١ ديوان المعانى.

من كميت كأنها أرض تبر في نواحيه لؤلؤ مغروس

وقد أكثر الشعراء من وصف الحديث وفيه يقول بشار :

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وفى هذا المعنى يقول ابن المعتز فى محبوبته شريرة فيحسن غاية الإحسان :

لعمرك ماأجدى هواك سوى المنى على وما ألقاك إلا كما أخلو

و (شر) أحاديث عذاب كأنه جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل

فالناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل إلا أن ابن المعتز زاد هذه الزيادة الجميلة ..

وقال بعض العرب يصف قوة رائحة الشراب :

كميت تكاد وإن لم تذق تنفى إذا الساقيان استدارا

فذكر أنها تسكر برائحتها وهذا من المعانى الغريبة .. أخذه مسلم فقال :

كفانى من شربها شمها فرحت أجرر ثوب الثمل

وقال ابن المعتز فى إجادة وإبداع :

إن راحا قال الإله لها كو نى فكانت روحا وريحا وراحا

درة حيثما أديرت أضاءت ومشم من حيث ما شم فاحا

وقال أبو نواس فى الكأس والراح :

بنينا على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

فقال ابن المعتز :

وكأس من زجاج فيه أسد فرائسهن ألباب الرجال

فضعف عنه فى التصوير

٩ — وكان ابن الرومى - وهو معاصر لابن المعتز - من الشعراء المجيدين فى التصوير والتشبيه ، وله فى ذلك الباب الكثير مما ينطق بشاعريته ويصور الهامه وفنه (١) ، « وفى شعره من مليح التشبيه ما دونه النهايات التى لا تبلغ وإن لم يكن.

---

(١) راجع التصوير فى شعر ابن الرومى فى (٩٥ — ١٦٩ مراجعات العقاد) ، وفى ابن الرومى للعقاد.

التشبيه غالبا عليه كابن المعتز »(١) ، ويطول بنا البحث لو عرضنا ألوانا من تشبيهاته لنرى إلى أى حد بلغ فى هذا الباب ، وعلى أى حال فمع كثرة التشبيه فى شعر ابن الرومى فانه لم يدرك ابن المعتز فيه ولم يكثر كثرته فى شعره ، وإذا كان التشبيه عند ابن المعتز فن وملكة فهو عند ابن الرومى رغبة فى ابتداع الصور والمعانى لما أراد تصويره من حسيات ووجدانيات ، وألفاظ ابن الرومى وأسلوبه فى التشبيه لا يصلان إلى ما فى ألفاظ وأسلوب ابن المعتز من رقة وعذوبة وسحر وجمال وروح ابتكار ، ولكن ابن الرومى يمزج غالبا صوره ويركب ألوانها وأصباغها من حيث كان ابن المعتز يزجيها غالبا مجتمعة دون اتحاد أو تركيب ، وسنعرض بعض صور من تشبيهات الشاعرين ، نوازن بينها ونبين منزلة كل من الشاعرين فيها وفى فنه فى باب التشبيه عامة ، لتدرك مدى تفوق ابن المعتز فى صبغ التشبيه عمن سواه من الشعراء .

قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... أساريع ظبى أو مساويك إسحل

وقال ابن الرومى :

أشرن بقضبان من الدر قمعت ... يواقيت حمراً فاستبحن عفافى

ولشاعر (٢) :

أشارت بأطراف كأن بنانها ... أنابيب در قمعت بعقيق

فقال ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة ... مقومة أثمارهن عقيق (٣)

وقال أبو نواس فى الراح :

---

(١) ٢٦٦ : ٢ العمدة .

(٢) البيت فى ٦٤ عقد النثر

(٣) ويذكر ابن رشيق أن نفس الحضرى المولد ترغب عن مثل تشبيه امرىء القيس وإن كان تشبيهه أشد إصابة ، وأن طريق العرب القدماء قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله (٢٦٩ و ٢٧٠ : ١ العمدة)

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليـل كوكبا

وقال :

وكأنه والكأس فوق بنانه قمر يمد بها اليـك هلال

أخذه ابن الضحاك وأحسن :

كأنما نصب كأسه قـمـر يكرع فى بعض أنجم الفلك

وقال ابن الرومى فى إجادة عنهما :

فكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

وقال ابن المعتز وزاد عليهم جميعا :

وكأنه وكأن الكأس فى فه هلال أول شهر غاب فى شفق

فركب الصورة (١) فى رشاقة وجمال ، ويشيد ابن رشيق ببيت أبى نواس « إذا عب فيها الخ » (٢) . وينقده الباقلانى نقداً طويلا كما ينقد قول ابن الضحاك « يكرع » ويستجيد بيتى ابن الرومى لولا أنه أتى بالمعنى فى بيتين (٣) ، وأقول إن بيت ابن المعتز قد أربى على كل شعر سواه فى هذا المعنى بفضل اختصاره وعذوبته وتلاحمه وروح الطبع السارية فيه (٤) .

وقال أبو نواس :

تبكى فتذرى الدر من نرجس وتلطم الورد بعناب

أخذه سعيد بن حميد فقال :

وكأنما أثر الدموع بخدها طـل تساقط فوق ورد يانع

وقال البحترى وعكس التشبيه :

شقائق يحملن الندى فكأنه دموع التصابى فى خدود الخرائد

---

(١) ١٧٢ الأسرار (٢) ١٧٣ : ٢ العمدة .

(٣) ١٧٤ إعجاز القرآن للباقلانى .

(٤) وذلك مايشهد به أبو هلال (١ : ٣٠٧ ديوان المعانى) ، وراجع زهر الآداب (٢ : ١٣١)

وقال ابن الرومى فى دموع المحبين وقت الوداع :

كأن تلك الدموع قطـــر ندى   تقطر من نرجس على خـــد

فأجاد وأبدع باختصار اللفظ وحسن السبك .

وقال ابن المعتز وعكس كالبحترى :

كأن انحـــدار الطل فى جنباتها   دموع محب قد أضر به الهجر

وقال الأشهب بن رميلة :

ولاحت لساريها الثريا كأنها   لدى الأفق الغربى قرط مسلسل

وقال ابن الرومى :

طيب ريقـــه إذا ذقت فاه   والـــثريا بجانب الغرب قرط

وقال ابن المعتز :

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه   كذات قرط أرادته وقد سقطا

فركب التشبيه ولكن المصراع الأخير من بيته غير مختار الصياغة والنجم اسم مخصوص به الثريا . ونكتفى بذلك فى هذا السياق .

وقد يكون فى الإمكان الموازنة بين قصيدتين لابن الرومى وابن المعتز ودراسة منهج الشاعرين فيهما فى فن التشبيه ، ولكن هذه الدراسة لا تعطينا حكما على شاعرية أيهما ، لأنه كثيرا ما يأتى أحد الشاعرين بتشبيهات فى موضوع القصيدة لا يأتى بها الآخر ، ومع ذلك فسأعرض هاتين القطعتين اللتين اخترتهما لتقاربهما فى الخيال ووحدتهما فى الغرض فوق وحدتهما فى الوزن ، قال ابن الرومى من قصيدة فى وصف مجلس الراح :

شمس من الحسن فى معصفرة   ضاهت بلون لهـــا معصفرها
فى وجنات تحمر من خجل   كأن ورد الربيع حمـــرها
يسعى إليها بكأسه رشأ   أنشـــه الله وذكـــرها
فى كفه كشهاب لاح على   ظلماء ليل دجت فنورها
إن برزت للهـواء غيرها   أو قرعت بالمزاج كدرها

ويقول ابن المعتز فى مجلس الراح أيضا من قصيدة :

وبجلس جل أن نشبهه   جن به مزهر ومزمار
وزانه من بنى العباد رشا   بالجيد والمقلتين سحار
قد ركبت كفه مشعشعة   إبريقها فى الكؤوس هدار
يلمع فيها من كل ناحية   كوكب نور إليك نظار
فظلت فى يوم لذة عجب   وافى به للسعود مقدار
وقابل الشمس فيه بدر دجى   يأخذ من نورها ويمتار

ففى هاتين القطعتين وصف الساقى والراح ، وفى قطعة ابن الروى زيادة وصف القينة التى تغنى فى مجلس الراح .

يصف ابن الروى الساقى بالأنوثة ، ويصفه ابن المعتز بالسحر ، وذلك لاشك أبلغ ، فالأنوثة يشترك فيها الغادة الحسناء والزنجية السوداء ، ولكن السحر لا يكون إلا فى القليل النادر من النساء .

ويصف ابن الروى الراح بأنها أصفى من الماء وألطف من الهواء ، ووصف ابن المعتز حبابها بكواكب نور متوقدة ؛ ويشبه ابن الروى الراح بالشهاب ينير داجى الظلمات ، أما ابن المعتز فقد شبه الراح بالشمس والكأس بالبدر وجعل الكأس يأخذ من نورها ويمتار وهو حذق لانهاية له . وألفاظ ابن المعتز أكثر موسيقية وعذوبة من ألفاظ ابن الروى .

وبعد فيدلنا على مكانة ابن المعتز فى التشبيه هذه الرواية الأدبية التى رواها كثير من النقاد والأدباء (١) :

حكى أن لائما لام ابن الروى وقال له ، لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت

---

(١) راجع : ٣٨ و ٣٩ : ١ معاهد التنصيص ، ٢٢٥ : ٢ العمدة ، ص ٥ الخزانة الحموى ، ٣٣٥ الأدب العباسى لمحمود مصطفى ، ٢٧٣ الزيات ، ١٨٩ الأدب العباسى للأسكندرى ، ٦٨ و٦٩ ابن الروى للعقاد ، ١٨٤ الفرائد للغمراوى طبعة ١٩٢٤ بمصر ، ٣٦ المطالعة التوجيهية .

أشعر منه ، فقال له : ألا تنشدنى شيئا من قوله الذى استعجزتنى عن مثله ؟ فأنشده قوله فى الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة　　قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال له . زدنى : فأنشده قوله فى الآذريون :

كأن آذريونهـــا　　والشمس فيها كالية
مداهن من ذهب　　فيها بقايا غالية

فصاح : واغوثاه تالله لايكلف الله نفسا إلا وسعها ذلك إنما يصف ماعون بيته لأنه ابن خليفة وأنا أى شىء أصف ، ولكن أنظر أين يقع قولى من قول الناس ، هل لأحد مثل قولى فى قوس الغمام :

وساق صبيح للصبوح دعوته　　فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم　　فن بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا　　على الجود كنا والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأخضر　　على أحمر فى أصفر إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل　　مصبغة والبعض أقصر من بعض(١)

وقولى فى صانع الرقاق :

مابين رؤيتها فى كفه كرة　　وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ماتنداح دائرة　　فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر(٢)

وقوله فى قالى الزلابية (من أبيات) :

يلقى العجين لجينا من أنامله　　فيستحيل شبابيكا من الذهب

وفى روايه أخرى أن ابن الرومى سمع قول ابن المعتز :

« وانظر إليه كزورق من فضة البيت » فقال أنا لم أرقط زورقا من فضة

---

(١) نسب الثعالبي الأبيات لسيف الدولة وقال : وهذا من التشبيهات الملوكية التى لايكاد يحضر مثلها السوقة (٢٤ : ١ اليتيمة)

(٢) يعجب العقاد بهذه الأبيات (ابن الرومى) وراجع تحليل أديب لها (١٧٩ حصاد الهشيم)

وإنما أصف ماشاهدته وأشبه بما عاينته(١) .

وينقد ابن رشيق رأى ابن الرومى لاتحاد مشاهد البيئة أمام بصر الشاعرين . ثم يقول . اللهم إلا أن يريد ابن الرومى أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر إلى ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ماأراد وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر طالبا به الرزق ، ولا يمكن أن يقع أيضا عندى هذا(٢) ؛ ويرى العقاد أن لابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ من التى ذكرت فى القصة وأنقى فى المعنى والديباجة ولكنهم لايختارون فى مقام التحدى إلا هذه الأبيات وأمثالها لظنهم أن نفاسة التشبيه إنما تقاس بنفاسة المشبهات ولا فضل فيه للشعور والتخيل وهذا خطأ بعيد فى فهم الوصف والشعر فالمسافة عظيمة جدا بين شاعر يصف لك ماأرآه كما قد تراه المرآة أو المصورة الشمسية وشاعر يصف لك ماأرآه وتخيله وشعر به وأجاله فى روعه وجعله جزءا من حيانه ، إنما يعنيك من الشاعر أن يكون إنسانا حيا يشعر بالدنيا ويزيد حظك من الشعور بها فن وصف وشبه ولم يشعر فليس بشاعر ومن شعر وأبلغك مافى نفسه بغير وصف مشبه(٣) ، ونحن مع العقاد فى أن لابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ مماذكر فى الرواية ، ولكننا نخالفه فى أن يكون النقاد قد أخطأوا مثل هذا الخطأ أو خالوا ذلك الظن البعيد ، إنما أرادوا أن ابن المعتز تفرد بهذا اللون خاصة من التشبيه وهو مااستخدم فيه آلات حياته وترفه فى تلوين أصباغ تشبيهاته ووصفه ، على أن هذا اللون لايخلو كله من تصوير لعاطفة الشاعر ووجدانه وإحساسه بالحياة ، أما ماسوى ذلك اللون الذى انفرد به ابن المعتز فقد يشاركه بعض الشعراء الموهوبين فيه فلا داعى للتحدى به .

وبعد لحسبنا كلمة ابن الرومى شاهدا صادقا على مكانة ابن المعتز فى فن التشبيه فى عصره الذى حفل بأئمة الأدب والقريض والمجودين فى الوصف والتصوير والتشبيه .

---

(١) ٥٠ : ٢ الذخيرة، ويقول أديب محدث : « ولعمرى ماحدث ابن المعتز نفسه بأن يرى على ضفاف دجلة يوما ما زورقا من فضة تثقله حمولة عنبر وإنما ذلك حديث الخيال (٢١٠ تجديد ذكرى أبى العلاء الطبعة الثالثة ١٩٣٧) .

(٢) ٢٢٥ و ٢٢٦ : ٢ العمدة

(٣) راجع ٢٩٩ — ٣٠١ ابن الرومى للعقاد

١٠ — وخطأ ابن المعتز فى التشبيه نادر قليل لأن ملكاته الفنية كانت تعصمه من الخطأ فيه ، وسأذكر هنا ماوقع له من ذلك وماأخذه النقاد عليه من مآخذ فى باب التشبيه :

قال ابن المعتز يصف الساقى :

أرى ليلا من الشعر ... على شمس من الناس

كان الأولى أن يقول على شمس من الجمال أو على وجه كالشمس أو ماشابه ذلك مما ينأى بأسلوب التشبيه عن الضعف والخطأ لأنه إذا صح أن يقال ليل شعر على التشبيه فلا يصح أن يقال شمس ناس عليه أيضا ، وعد أبو هلال البيت من ردىء التشبيه لأن الجمع بين الليل والناس ردىء وقد وقع هاهنا باردا(١) . ومثل هذا البيت قول ابن المعتز :

وغزلان ناس لم يرين سوانحا ... يسارقن لحظاً أو سلاما مكتما

أراد الاستعارة والتشبيه فزجها بالتصريح بالمعنى فضعف الأسلوب وهبط الكلام عن مستوى الجودة والحسن .

ويقول فى سحابة :

فلما دنت جلجت فى السما ... رعداً أجش كجر الرحا

وهو تشبيه نازل وإن كان صحيحا ، لأن صوت الرعد أقوى وأروع فى السمع من صوت الرحا التى جعلها ابن المعتز المشبه به فى البيت .

ويشبه الورد بالخد والعكس ، وهو من المبتذل إلا إذا أضيفت إليه زيادة تنقله من العامى إلى الخاصى أو ضم اليه معنى يشفع به ، كما قال على بن الجهم :

عشية حيانى بورد كأنه ... خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وقال ابن المعتز حول هذا المعنى يصور بياض الورد وما فى جوانبه من احرار :

بياض فى جوانبه احرار ... كما احمرت من الخجل الخدود

---

(١) ٩ الصناعتين

فأبدع فى التصوير والتشبيه ، وقال أبو الحسن الجرجانى : الخجل إنما يحمر وجنتاه فأما منبت الأصداغ . وخط العذار فقليلا ما يحمران ، ولو اتفق له أن يقول حمرة فى جوانبها بياض لكان قد طبق المفصل ووافق شبه الخجل لكن أراد اجتماع البياض والحمرة لجمل الاحمرار فى جوانب البياض فراغ عن موقع التشبيه (١) ، وأيده ابن رشيق فعد البيت من سوء المقابلة لأن الخدود متوسطة وليست جوانب (٢) , وقال عبد القاهر ،إلا أنه لعله وجد الأمر كذلك فى الورد فشبه على طريق العكس فقال . هذا البياض حوله الحمرة كهذه الحمرة حولها البياض فى وجنة الخجل (٣) .

ويذكر بعض النقاد بيت ابن المعتز فى وصف كتاب (٤) :

ودونكه موشى نمنمته وحاكته الأنامل أى حوك
بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطوره أغصان شوك

ونقده لأنه مدح الكتاب لجعل سطوره أغصان شوك وان كان لاحظ الشبه التام فى صورته لكنه بالذم أشبه (٥)

وأقول ان ابن المعتز إنما لاحظ الشكل فى الشبه دون ما سواه ، وبعض النقاد يعد البيت من الابيات النادرة (٦)

وينقد بعض النقاد البيت :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قال : ولو قال باقة نرجس لكان أتم (٧)

ويذكر الثعالبى عدة تشبيهات لابن المعتز المشبه به فيها العنين وحاله مثل قوله فى الشمس :

---

(١) ١٥١ الوساطة
(٢) ١٧: ٢ العمدة
(٣) ١٧٢ الاسرار
(٤) يروى البيت بروايات أخرى
(٥) ٢٥١ طراز المجلس ، ٢٢١ ومابعدها ريحانة الالبا .
(٦) ١٢ التصحيف والتحريف
(٧) ٣٣٥ : ١ ديوان المعانى

تحاول فتق غيم وهو يأبى   كعنين يروم نكاح بكر

وأبيات أخرى مثل ذلك ، ويقول . كان ابن المعتز يستكثر فى أوصافه من التشبيه بالعنين حتى اتهم بأنه كان عنينا ولم يمكنه لمكان ابنه عبد الواحد (١) .

ويأخذ بعض الكتاب على ابن المعتز أنه لا يزيد فى تشبيهاته على أن يعطيك نسخة لما يرسم لك دون أن يعبر فى تصويره عن خلجات نفسه ومشاعره ، فهو حين يشبه الهلال بزورق من فضة أثقلته حمولة من عنبر لا يزيد على أن يعطيك نسخة من صورة الهلال ويكفى أن تتصور الهلال فى خيالك ثم تتصور بجانبه زورق ابن المعتز لتدرك الفارق الكبير وتعلم مقدار ماشوه ابن المعتز من منظر الهلال الجميل (٢) , وكذلك قوله فى الهلال أيضا :

كمنجل قد صيغ من فضة   يحصد من زهر الدجى نرجسا

ففضلا عن أنه لا تشابه بين الهلال والمنجل إلا فى الشكل الخارجى ولا صلة بينهما فى الطبيعة إلا صلة النظرة البصرية ، فضلا عن ذلك راح ابن المعتز يصنع المنجل من الفضة ثم جعله يحصد النرجس ولكن لهذا النرجس زهر ولكن هذا الزهر نابتا فى الدجى وليس وراء ذلك كل شىء من العاطفة والاحساس (٣) .

وهذا نقد لا يقوم على أساس ، ويتلخص فيما يلى :

(ا) البيتان السابقان لا يصوران الهلال تمام التصوير : وأقول أن هذا الادعاء سفسطة فارغة ، ويناقض الناقد نفسه فيه ، وقدوقف النقاد أمامهماحائرين معجبين بجمال الفن والتصوير فيهما ، ولقد أعجب أعلام الأدب الفرنسى بتشبيه فيكتور هوجو للهلال بمنجل من ذهب ، فكيف يقولون لو علموا بما أتى به ابن المعتز من هذا التصوير الجميل والتفصيل الدقيق وابراز الشبه التام للهلال فى هذين البيتين

---

(١) ١٠٥ خاص الخاص .

(٢) ويتحامل باحث على بيت ابن المعتز فيراه سخيفا وتشبيها متكلفاوهوأولىبأن يعد من هنات ابن المعتز لا دليلا على إبداعه (٢٧٤ نظرات فى الادب الاندلسى) .

(٣) ١٦ و١٨ مهمة الشاعر فى الحياة لسيد قطب

(٤) راجع ٣٠٠ ابن الرومى للعقاد ، ٤ و٥ مهمة الشاعر فى العصر الحاضر

(ب) أن التشبيه عند ابن المعتز فن خالص ولكن لا حياة فيه ويرى هذا الكاتب أن الشعر شعور وفن معا مما بسطه فى كتابه فى إفاضة .

أما أن الشعر شعور وفن معا فكلام الكاتب فى ذلك منقول عن العقاد وفكرته مأخوذة عنه (١)

وعلى أى حال فنحن نرى أن الشعر عند الملهمين من الشعراء فن وعاطفة وأنه يجب أن يكون كذلك وذلك ما سار عليه فحول النقاد فى القديم مما يطول بنا البحث لو عمدنا إلى شرحه .

وأما أن فن ابن المعتز فى التشبيه لا حياة ولا عاطفة أو إحساس فيه فنحن لا نسلمه له ولا يسلمه له أستاذه العقاد حين عاب على العقاد اختيار البيتين فى مقام التحدى لشاعر كابن الرومى ورأى أن فى شعر ابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ منهما وأجمل وأنق فى المعنى والديباجة (٢) ، وإذا كان العقاد يعترف لابن المعتز بأن فى شعره تشبيهات أبلغ من البيتين وهو لا يقر بشعر إلا إذا شعر به الشاعر وأجاله فى عواطفه وشعوره فقد اعترف بأن لابن المعتز من ذلك تشبيهات كثيرة ، وهذا ما يثبته البحث الأدبى لفن التشبيه فى شعر ابن المعتز وما سبق أن أفضنا فى شرحه، لقد كان ابن المعتز فى هيام دائم بحب الطبيعة وكانت حياته فى بيت الخلافة تلون شعره فى وصف الطبيعة والهيام بها بألوان خاصة فذة ، فكيف يعاب ابن المعتز بأن فنه لا حياة فيه وهو إنما شبه وشعر عن حياة وعاطفة وملكة فى التشبيه وإذا كان البيتان السابقان وبعض أبيات أخرى تشبهما مما لا تؤجج نار العاطفة عند السامع فانها على أى حال أثر أدبى يستثير الاعجاب .

(ج) أن ابن المعتز فى تشبيهه بعيد الفكرة بعيد عن الوضوح ، وردى على ذلك أن نظرية الوضوح والخفاء فى الأدب لا تزال محل بحث النقاد إلى الآن ، ولم يتفق عليها بعد اثنان ، فالجاحظ حين كان ينادى بالوضوح والإفهام وبأن البليغ من الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك إنما كان — كما يقول عبد القاهر فى أسراره — يدعو إلى أن يجتهد المتكلم فى تهذيب اللفظ وترتيبه

---

(١) راجع ٣٠٠ ابن الرومى للعقاد ، ٤ و ٥ مهمة الشاعر فى العصر الحاضر.
(٢) ابن الرومى للعقاد

وصيانته عن كل ما أخل بالدلالة وعاق دون الإبانة ولم ير أن خير الكلام العامى المرذول ، والقاضى الجرجانى لم يحاسب المتنبى فى وساطته على إثقاله البيت بالمعانى لأن ذلك سمة عامة فى شعر المحدثين ، وعبد القاهر فى أسراره (١) يقسم الغموض إلى : ماسببه الدقة فى المعنى فيشيد به ويرى أن المعانى الشريفة لابد فيها من بناء ثان على أول وردتال إلى سابق ، ويرى بعض المحدثين أن الغموض فى فن المتنبى هو سر عبقريته الشاعرة . وتحدث ناقد آخر عن قصيدة المقبرة البحرية للشاعر الفرنسى بول فاليرى وكيف أنها أثارت اهتمام النقاد جميعا فى فرنسا فلم يتفقوا على شىء حول مذهب الشاعر فى فن الشعر أو حول الوضوح والغموض فى فن الشاعر كما نسميه ، وأنا أستجيد هذا الغموض ما دام سببه دقة المعنى وبعد الثقافة وعمق التفكير ، فهذا الغموض هو سر الخلود فى انتاج الشعراء فى القديم والحديث

وينقد محدث آخر(٢) البيتين (٣) « ولا زردية تزهو بزرقتها الخ » لأن أولها رث المعنى وهو يذكرنا بمقارنات ابن المعتز الجوهرية والمعدنية والثانى ينم عن معنى ضعيف وخيال معكوس فان مرأى البنفسج بل أى زهر آخر لا يشعر الإنسان بالجودة التى يرمز اليها الكبريت ، كذلك لا ينفرد الحس النظرى بمشاهدته بل تصحبه خواطر وعواطف حسية جديرة بالتعبير عنها ؛ فشتان بين البنفسج العطر والكبريت الخانق برائحته الكريهة ، والنرجس يشعر فى ميله بالحياة الوادعة وبغير ذلك من المعانى النفسية فكيف يغفل هذا الشعور فيموت حبا منا فى التعلق بعيدان الكبريت .

وهذا النقد يتلخص فى :

(ا) بين طرفى التشبيه بون بعيد ، وهذا عيب عند الناقد ، وقد ذكرنا من قبل أن عبد القاهر يرى ذلك سر جماله وسحره ودليل ملكة الشاعر الملهمة فى فن التشبيه .

---

(١) ص ١١٨ وما بعدها

(٢) ٨٨ المنتخب من شعر أبى شادى ط ١٩٢٦

(٣) وينسبها لأبى العتاهية

(ب) أن الشاعر صور منظر البنفسج الحسى وأغفل نواحى أخرى من نواحيه فى التشبيه ، وهذا ناحية بسطنا القول فيها سابقا .

وبعد فهذا هو ما ننقد به فن ابن المعتز فى التشبيه وما نقده به سوانا من الباحثين القدماء والمحدثين .

ورأيى أن ابن الأثير قد أطلق القول إطلاقا حين قال : « وقلما أكثر من التشبيه أحد إلا عثر كما فعل ابن المعتز وابن وكيع فانهما أكثرا من ذلك ولا سيما فى وصف الرياض والأشجار والازهار والثمار ، لاجرم أنها أتيا بالغث البارد الذى لايثبت على محك الصواب (١) » . أطلق القول :

لان ابن المعتز لم يسقط فى تشبيهاته هذا السقوط الذى يصوره ، وما أخذ عليه لم يصل إلى أن يكون من الغث البارد الذى لايثبت على محك الصواب كما يقول ، لان ما أخذ عليه كان نادرا جدا بالنسبة إلى كثرة التشبيه فى شعره ، لان التشبيه كان عند ابن المعتز ملكة وفطنة بدقائق الأشياء والصور ، ومن النادر القليل أن يخطىء ابن المعتز ، على أن ابن الاثير لم يتعمق فى قراءة شعر شاعر سوى أبى تمام والبحترى والمتنبى الذين هم لات الشعر وعزاه ومناته كما يقول (٢) ، وهو لم يرجع إلى ديوان ابن المعتز أو يعن بقراءته عناية خاصة ، ويتجلى ذلك فى مثله السائر فهو لايشير فيه إلى ابن المعتز إلا فى ثلاثة مواضع على التحديد (٣)

١٤ — والاستعارة باب من أبواب التشبيه ولابن المعتز فيها إجادة منقطعة النظير شأنه فى ذلك شأنه فى تشبيهاته .

انظر إليه يقول :

وجاءنى فى قميص الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر

ويقول :

---

(١) ١٥٢ المثل السائر

(٢) ٣٠٢ المثل السائر

(٣) ٩٨ و ١٦١ و١٦٢ المرجع

فلو ترانا فى قيص الدجى   حسبتنا فى جسد واحـد

ويقول :

جار هذا الدهر أو آبا   وقراك الهم أوصابا
، ولقد أقرى الأسى ناقة   أو جملا
، قرينا بعضهم ضربا وجيبا

وفى الراح :

نغم قوى السمع على شربها   نفخ المزامير وعزف القيان
، لله منى قلب يقرى البلايا   شكرا

فتجد جمالا فى استعارة القميص والحلة لليل وفى لفظ القرى لايعد له جمال ، ومثل ذلك :

وتوشحنا بضمته

ويقول :

وسل البيداء عن رجل   يخطم الريح بثعبان
ماهر فيك ومقلته   ليس يكسوها بأجفان

فتجد فى « توشحنا » واستعارتها للعناق ، وفى استعارة الثعبان لجواده ، وفى قوله « يخطم الريح » وفى « يكسوها » جمالا فى الاستعارة يصل بها إلى حد التجويد والإبداع .

ويقول فى ظلام ليلة من ليالى الشتاء :

يقيد اللحظ فيها عن مسالكه   كأنها لبست أثواب رهبان

وفى إبله المعدة لقرى الضيوف :

وقيدها بالنصل خرق كأنه   إذا جد لولا ماجنى السيف مازح

فيروعك ويسحرك مافى استعارة الكلمتين من إبداع ، وقوله : لولا ماجنى السيف ، احتراس أو اعتراض رائع ، والبيت من قول عتبة بن بجير المازنى فى قرى الضيوف وذبح السوام لهم :

فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح (١)

أخذه ابن المعتز فزاد فى المعنى وأبدع فى التصوير ، وبلغ بقوله « وقيدها بالنصل » وبقوله « لولا ماجنى السيف » غاية الاجادة فى التصوير .

ويقول ابن المعتز :

وكابدنا السرى حتى رأينا غراب الليل مقصوص الجناح
فبات بليل باكية ثكول ضرير النجم متهم الصباح

« حتى تبدى فى الفجر ظعنهم وسائق الصبح بالدجى عجل
ويقول : وضاع من ليلى غده طوبى لامين تجده
« ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم حتى توقد فى ثوب الدجى الشفق

فتملأ نفسك هذه الاستعارات وذلك التصوير روعة وسحرا .

وفى حوافر جواده :

تصالح الترب إذا ما ركضت لكنها مع الصخور تصطخب

ويقول فى كلبة الصيد : « تحملها أجنحة الهواء » ، وفى البازى : « يحز أعناق الرياح حزا » . ويقول : « تهادى فوق أعناق الرياح » ، ويقول فى محبوبه :

أتى عجلا يطير به جناح الخوف والوجل

ويقول :

وقد ركضت بنا خيل الملاهى وقد طرنا بأجنحة السرور

ويقول :

فرسان قطر على خيل من الدهر (٢) تحثهن سياط الريح فى الشجر

ويقول : « منتقب الوجنتين بالخجل » .

وفى الوجنات أيضا : « تنقبت بالخجل »

---

(١) من قصيدة له فى مختصر الحماسة (٢٤٠ : ٢)
(٢) هنا خطأ عروضى يعرفه النقاد .

وفى الساقى :

وقام بكفيه بقايا خماره وعيناه من خديه قد جنتا وردا

وفى مدح المعتضد :

جمع الحق لنا فى أمام قتل البخل وأحيا السماحا

وفى الساقى :

يقطع فى كأسها رؤوس مدارى ذهب

فتجد استعارات عليها مسحة الجمال الفنى والابتكار والتجديد .

ويقول : تسيل بنا قود الجياد الزواحف .

، سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير(١)

، وأذن الصبح لنا فى الإبصار(٢)

فتجد خصبا فى التصور والتصوير ، وثراء فى الألوان والأصباغ ، وتفوقا فى الفكر ، ونفاذا فى الخاطر وبلاغة فى الاستعارة ، وروعة فى التشبيه .

وبعد فلابن المعتز مع ذلك كله استعارات نافرة خرج فيها عن المألوف القريب فى الاستعارة . يقول :

فى وجهه ورق النعيم ملأ العيون ملاحة وطرافة وجمالا

فتجد « ورق النعيم » سخفا لا يقبله ذوق .

ويقول للمعتضد : « وفرشت الأمن للخائفينا » فيصدك « فرش الأمن » عن كل شىء بعد ذلك

ويقول : « مالى أرى ديباج خدك أصفرا » ، فديباج الخد من السخيف المقيت . ويقول :

أغار عليه من ألحاظ قلبى إذا ما صورته أكف فكرى

---

(١) يشيد عبد القاهر ببلاغته (٥٨ و ٥٩ دلائل الإعجاز)

(٢) وهو — كما يقول عبد القاهر — من بديع الاستعارة ونادرها ، والمعنى حتى إذا تهيأ لنا أن نبصر شيئا (٦١ دلائل الإعجاز)

فتجد بعدا فى صوغ الاستعارتين : « ألحاظ قلبى » و « أكف فكرى » مما لاتحسن معه الاستعارة. ويقول :

جاء بجيش الحسن فى عديده وعدته

فيصور الحبيب المعشوق فى صورة القائد ويبعد بذلك عن الحسن والاحسان . ويقول :

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريها برقيب

فتجد قبحا قبيحا فى « ماء الوجه » وفى « شروق العين بالرقيب » .

ويقول : « أشرب الراح وهى تشرب عقلى » ، فتشرب استعارة سخيفة ،وإنما يقلل من قبحها المشاكلة . ويقول :

ووردنا الرمح مختضبا لدماء الوحش شرابا

فقوله « شرابا » استعارة نافرة عن القبول والذوق ، ويقول فى المطايا :

إذا نسفت أفواهها النور خلته مواقع أجلام على شعر شابا

فنسفت استعارة يمجها الذوق وينفر منها الطبع . ويقول فى ربع حبيبه :

عفته الريح بعدك كل يوم وجالت فيه أفراس السيول

وأفراس السيول » استعارة بعيدة لايقبلها ذوق شاعر ، ويقول :

وإخوان شر قد حرثت إخاءهم فكانوا لغرس الود شر بقاع

لحرث الإخاء قبيح ممقوت . ويقول :

كم صامت تخفق أكياسه قد صاح فى ميزان وراث

ويروى « ميراث » ، والصامت : المال من العين من الذهب والفضة خاصة ، فصياح المال استعارة قبيحة ، ولعله أتى بها ليتم له المطابقة ، وقد سبقه أبو نواس فقال :

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح(١)

ويقول ابن المعتز . كل وقت يبول زب السحاب ،

---

(١) استهجنه النقاد (٢٤٠ : ١ العمدة)

فيهوى وينزل إلى الحضيض ، وهذا كما يقول ابن رشيق : أردأ من كل ردىء وأمقت من كل مقيت مع أنه كان أنقد النقاد(١) . وبعد فنحن لا نحتج لابن المعتز فى هذه الاستعارات البعيدة النافرة بما احتج به القاضى الجرجانى للمتنبى وبما ذهب إليه من أن إبعاد الاستعارة سمة عامة فى شعر المحدثين وموجود فى شعر المتقدمين وأن عذر أبى الطيب فيه عذر سواه من الشعراء الذين أبعدوا إبعاده وأن علينا أن نحمل ما يجىء من ذلك على وجوه تقربهم من الإصابة ونلتمس لهم شتى المعاذير(٢) ، فذلك عذر واه ضعيف . وابن المعتز الذى قسا فى أحكامه الأدبية على أبى تمام فى رسالته فى محاسن شعر حبيب ومساويه جدير بأن يحاسب هذا الحساب ، فذلك أولى بالإنصاف ، وأجدر بأحكام النقد الأدبى العادلة .

وهذا آخر الفصل الثالث الذى وقفناه على بحث أغراض الشعر عند ابن المعتز وننتقل بعد ذلك إلى الفصل الذى يليه » .

(١) العمدة ١ : ٢٤٠

(٢) راجع ٣٢٣ — ٣٢٧ الوساطة

الفصل الرابع

أسلوب ابن المعتز وألفاظه

ما هو الأسلوب :

الأسلوب فى اللغة الطريق وعنق الأسد والسطر من النخيل والوجه والمذهب والفن .

والأسلوب الأدبى يعرفه ابن خلدون فى حديث طويل بأنه « المنوال الذى ينسج فيه التراكيب أو القالب الذى يفرغ فيه(١) . فهو يراه فى الصوره الأدبية الممتازة التى يحتذيها الأدباء والشعراء وينسجون فى أدبهم وشعرهم على منوالها » . ويعرفه بعض المحدثين بأنه طريقة اختيار الألفاظ والمعانى للتعبير بها عن المعانى قصد الاقناع والتأثير ، أو هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير(٢) ويعرفه آخر بأنه المعنى المصوغ من ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعل فى نفوس سامعيه . ويعرفه آخرون بأنه طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثر فى نفس القارىء أو السامع ، ويذكرون أن له غرضين : نقل الحقائق أو المعانى إلى ذهن السامع أو القارىء ، ونقل شعور الكاتب أو المتكلم إلى نفسيهما للتأثير .

ونعرفه نحن بأنه نهج الكاتب والشاعر فى صوغ أدبه وشعره وآداء أفكاره ومعانيه ، والطريقة التى يسير عليها فى اختيار كلماته وتراكيبه ، وما يؤثر فى لغة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ومن عذوبة أو جزالة ومن وضوح أو خفاء وطبع أو صنعة ، وألوان الصنعة فى شعره وأدبه من تشبيه واستعارة وكناية وطباق ومقابلة وتعليل ومبالغة ، وتورية وتدبيج وعكس ومشاكلة ، وطرق الأداء التى يسير عليها فى صياغته من تقديم أو تأخير وذكر أو حذف وفصل أو وصل

---

(١) ٥٧٠ مقدمة ابن خلدون

(٢) راجع ٣٣ — ٣٩ الأسلوب للشايب

وإيجاز أو إطناب إلى غير ذلك من شتى أوصاف الأسلوب ، وما يراعيه الكاتب والشاعر من أوصاف فى بدء كلامه وفى فصوله وخاتمته .

والأسلوب هو الوسيلة التى ينقل بها الأديب فكرته وعاطفته وآراءه ومعانيه إلى الناس . ومقياس جودة الأسلوب هو القدرة على نقل ذلك والتعبير عنه بدقة وقوة تأثير .

ويمتاز أسلوب الشعر بما فيه من عاطفة ، وما يشيع فى نظمه من خيال وسحر وعذوبة موسيقى وحرية فى الاداء والتصوير ، وبشدة تأثيره فى النفوس وأثره فى العاطفة والشعور والوجدان : أنشد أبو العتاهية المهدى قصيدته :

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

وكان بشار حاضرا ، فلما سمع الأبيات اضطرب وسحر وقال : انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده (١) . وسمع الجاحظ رجلا ينشد أرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذوات الأمثال ، فبلغ قوله :

يا للشباب المرح التصابى روائح الجنة فى الشباب

فقال للمنشد ، قف ، ثم قال : انظروا إلى قوله . روائح الجنة فى الشباب ، فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير (٢).

نعم إن الشعر ينبعث غالبا عن إحساس قوى ، ويلبس حلة جميلة من النظم تصور المعانى تصويرا قويا رائعا ، فكل ذلك يجعله ذا أثر شديد فى نفوس سامعيه وقارئيه على السواء .

أسلوب ابن المعتز :

وأسلوب ابن المعتز أسلوب المحدثين فى رقتهم وعذوبتهم وجمال صياغاتهم ، وفى سحر التعبير وروعة التأثير والتصوير ، وفى التجويد والتجديد وخصب الملكة

---

(١) ١٣٧ : ٣ الاغانى ، ٦٨ المثل السائر
(٢) ٣٨ : ٣ الاغانى ، ٣٦٦ : ٢ عصر المأمون

التى تساعد على خصوبة الأداء وفى تمثيله لحياة المحدثين وترفهم والحضارة التى كانت تغمر بيئتهم وعصرهم .

ويشيع فيه نضرة النعيم وترف الملك ورقة الشعور ولطف الوجدان وبراعة التصوير ودقة التصور وجودة القريحة وسهولة الأداء وجمال الفن والقدرة على الخلق والابتكار واختراع الصور الجديدة التى تعبر عن حياة الشاعر ومظاهر بيئته ودقيق عواطفه التعبير الدقيق المؤثر الصادق .. تشيع فى أسلوب ابن المعتز الصياغة الفنية الممتازة روحا وحياة وموسيقى ووضوحا فى دقة تصوير وقرب مأخذ وجودة قريحة فى بعد فكرة وجدة خيال ، ويمتاز أيضا بألفاظ الملوكية كما يقول الصولى (١) : وينم أسلوبه عن سمو النفس وجلال الشخصية ونبل الخلق ودقة الاحساس والشعور بالحياة وما فيها من ألوان الجمال ، ويمتاز مع ذلك بجودة الوصف والابداع فيه ، وبثروته الخصبة فى وصف مناظر الطبيعة والافتنان فى تصويرها وبكثرة التشبيه والاستعارة وجودتهما وبلطف الصنعة وجمال البديع بشتى ألوانه ، وبعمق الخيال وتعدد صوره وألوانه ، وبالرونق والعذوبة فى جزالة تشيع فى أعطاف شعره حينا وسهولة ورقة يفيض بها شعره أحيانا . ويحاكى ابن المعتز الشعراء المجيدين أحيانا فى نظم القصيد وفى معانيه : كامرىء القيس فى وصف لذات الشباب ومآربه ، وكالنابغة وابن أبى ربيعة والعباس بن الأحنف فى الغزل ، وأبى نواس فى الخمر والطرد ، وأبى تمام ومسلم فى الترف البيانى وصنعة البديع .

وبعد فأسلوب ابن المعتز فيه روح الشاعرية الملهمة ، وتتجلى فيه شخصية ابن المعتز الاجتماعية والفنية واضحة ظاهرة ، وهو يملك عليك عقلك ووجدانك وقلبك لما أودعه من جمال وبلاغة وعذوبة وسلاسة وبساطة يمتاز بها . وهى من أهم خصائص الفن فى أسلوب ابن المعتز فى شعره ، مما سنبسط القول فيه الآن بمشيئة الله .

---

(١) ١١٤ الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

الجزالة والرقة فى أسلوب ابن المعتز :

١ — الجزل من الكلام هو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله فى محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لاينغلق معناه (٢) . ويقول ابن الأثير :

الالفاظ تنقسم فى الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الالفاظ أن يكون وحشيا متوعراً عليه عنجهية البداوة بل أعنى به أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا ، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام :

ناعمات الاطراف لو أنها تلبس أغنت عن الملاء الرقاق (٣)

ويقول :

وأما البداوة فى الألفاظ فتلك أمة قد خلت وقد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (٤) .

وقد عرف النقاد أمر الجزالة والرقة وشأنهما فى الكلام ، وبحثها منهم كثيرون فى نقدهم ودراساتهم . فالفرزدق يقول فى جرير : ما أحوجنى مع فسوق إلى رقة شعره وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى (٥) ، فهو يرى أن الجزالة والرقة بحسب الشاعر والموضوع الذى ينظم فيه . ويقول عبد الملك فى الأعشى : قاتله الله

(١) ٦٤ الصناعتين
(٢) ٦٦ المرجع
(٣) ٦٥ المثل السائر
(٤) ٦٨ المثل السائر .
(٥) ٢٧ الشعر والشعراء .

ما كان أعذب بحره وأصلب صخره»(١) . ويقول الأصمعى فى شعر النابغة : إن قلت ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت (٢) . وقال أبو عبيدة فى شعره : له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مسسته ذاب وإن شئت قلت صخر لو رديت به الجبال لأزالها (٣) . ويحث الجرجانى فى وساطته الجزالة والرقة بتفصيل (٤) . وذكر أثر نفس الشاعر وخلقه وبيئته وعصره ولون معيشته فيهما، ورأى أن الرقة إنما تأتيك من قبل العاشق المتيم والغزل المتهالك ودعا إلى (٥) تنزيل الجزالة والرقة منازلهما بحسب المعانى والأغراض والموضوعات . وقد ذكر الجاحظ فى البيان الجزالة والرقة عرضا ، فتراه يقول : ومن الكلام الجزل والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربى وبكل قد تكلموا (٦) وذكر أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى وأنه قد يحتاج إليه بعض المواضع وربما أمتع كثيراً (٦) .

ويقول : وحاجة الكلام إلى الحلاوة كحاجته إلى الجزالة (٧) . ويدعو إلى ترك الوحشى والسوقى فى مواضع كثيرة من بيانه (٨) . وعرض لهما ابن المدبر عرضا فقال : لايعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا جزلا (٩) . وعرض لهما أرسطو فى كتابه الخطابة فذكر أنه « لا ينبغى أن تكون الألفاظ سفسافة ولا مجاوزة فى المتانة مبلغ الأمر الذى يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تحوج إلى الكلفة المشنوءة » وذكر أنه « ينبغى أن يلاءم بين اللفظ والمعنى فالمعنى الجزل يعبر عنه بألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق(١٠) » .

---

(١) ٣٨ الجرة .

(٢) ٣٨٠ : ٣ العقد .

(٣) ٣٢ جمهرة أشعار العرب .

(٤) ٢٢ وما بعدها من الوساطة .

(٥) ٢٩ المرجع .

(٦) ١١٠ : ١ البيان والتبيين .

(٧) ٣٠ : ١ البيان .

(٨) ١٠٥ و ١١٠ و ١٧٦ : ١ المرجع .

(٩) ١١ الرسالة العذراء .

(١٠) راجع الفن الثامن من الخطابة فى الشفاء لابن سينا — مخطوط .

٢ — وبعد فيقول أبو الفرج فى شعر ابن المعتز :

« وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين ، فانه فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين . وأشياء ظريفة من أشعار الملوك فى جنس ماهم بسبيله ليس عليه أن يتشبه فيه بفحول الجاهلية ، فليس يمكن واصفا لصبوح فى مجلس شكل (١) ظريف بين ندامى وقيان وعلى ميادين من النور والبنفسج والنرجس ومنضود من أمثال ذلك . إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرش ومختار الآلات ورقة الخدم . أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام البسيط الرقيق الذى يفهمه كل من حضر إلى جيد الكلام ووحشيه وإلى وصف البيد والمهامه والظبى والظليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة ، ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل : مسىء ، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط فى البعض وتطرف فى اليسير ، وينسب إلى التقصير فى الجميع لنشر المقابح . فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد ممن تقدم لوجده مساغا ، ولو أن قائلا أراد الطعن على صدور الشعراء لقد رأى أن يطعن على النابغة والأعشى . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشىء أحسنه ، ويلغى ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذا به ؛ ولكن قوما أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ويشيدوا بذكرهم الخامل ويعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقدح فيهم فلا يزدادون بذلك إلا ضعة ، ولا يزداد الآخرون إلا ارتفاعا ، ألا ترى إلى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه فى كل فن من العلوم إلا رفعة وعلوا (٢) » . وكلمة أبى الفرج تغنينا عن كل كلام فى هذا البحث ويشير فيها إلى أمور كثيرة أهمها :

(ا) أسلوب ابن المعتز فيه الكثير من الجيد الجزل المختار .

(ب) رقة شعره ترجع إلى عدة أمور :

١ — حياة الملك التى تستدعى الترف والرقة .

---

(١) الشكل بالكسر دل المرأة وغزلها .

(٢) ١٤٠ وما بعدها : ٩ أغانى .

٢ – وصفه لألوان اللهو والترف مما يطلب رقة الأسلوب .

٣ – البعد بين الشاعر ونفسيته وحياته وبين موضوعات الشعر البدوية .

(ج) يجب على النقاد ألا يغمطوا حق المحسن وأن يعرفوا المحسن إحسانه وللمقصر تقصيره وأن يضعوا الشاعر فى منزلته الصحيحة حسب ما فى شعره من إحسان وجودة أو إساءة وقبح أو توسط ومقاربة بين طرفى الجودة والرداءة دون ميل مع عصبية أو تأثر بهوى ، ويجب أن يتحرى الناقد الانصاف والعدالة الأدبية فى أحكامه دون شيء آخر .

(د) والنقاد الذين يؤاخذون ابن المعتز جاهلته ورقة شعره قد أغفلوا أثر البيئة والمعيشة ولون الحياة فيه أوتحاملوا عليه مدفوعين بعوامل العصبية والأهواء .

٣ – وحقاً أن فى أسلوب ابن المعتز الكثير من الجيد الجزل الذى تلمح فيه جزالة القدماء مع عذوبة المحدثين .

فأنت تقرأ مثلا قصيدته :

هاتيك دارهم فعرج واسأل مقسومة بين الصبا والشمأل

فتجد أسلوباً بدوياً جزلا مع لون من الجمال مما تأثر فيه الشاعر بالقدماء وخاصة بعنترة فى لاميته المشهورة .

وتقرأ قصيدته :

قرى الذكر منى أنة ونحيب وقلب شج إن لم يمت فكئيب

فتجد جزالة ممزوجة بعذوبة لا تجدها فى كثير من شعر الشعراء .

وتقرأ له :

نؤوم على غيظ الأعادى محسد لأعلى مراقى العز تسمو خواطره
إذا ما أراد الحاسدون انهدامه بناه إله غالب العز قاهره

أو قوله فى الغزل :

وأنت الذى ذللت للناس جانبي وأكثرت أحزان الفؤاد المروع

أو قصيدة الجيمية التى تأثر فيها بجيمية جرير فى مدح الحجاج :

حث الفراق بواكر الاحـــداج وشجاك يوم نأوا (بكتم) شاجى

وهى قصيدة غريبة قوية قد لايكون لها نظير فى غرابتها فى شعره .

أو قصيدته :

سأثنى على عهد المطيرة والقصر وأدعو لها بالساكنين وبالقطر

أو قصيدته الطائية :

ألا تريان البرق ماهو صانع بدمعة صب شفه النأى والشحط

وسوى ذلك من آثاره الأدبية فستجد جزالة وأساليب قوية وروحا عربية تشاكل روح الإسلاميين القدماء ، وسترى الشاعر يظهر بمظهر بعيد عن حياة القرن الثالث وترفه ولهوه وعذوبة الشعر ورقته فيه ، وليس ذلك ببعيد على ابن المعتز وهو الشاعر الذى تتلمذ على المبرد وثعلب وقرأ أشعار القـــدماء والإسلاميين وتأدب بها منذ طفولته الأولى ، فالجزالة فى شعر ابن المعتز ترجع إلى : روحه العربية ، ولون ثقافته الأدبية الأولى ، وإلى موضوعات الشعر التى تناولها والتى لايليق بها إلا الجزل من الاساليب كالفخر والعتاب والمدح والطرد ، وإلى معارضته للقدماء من الشعراء فى أساليبهم وقصائدهم ، وهو مع ذلك فى جزالته عذب الأسلوب حلو التعبير والاداء .

٤ — وشعره مع ذلك فى سائره رقيق الحاشية لطيف الصوغ سمح الأسلوب يمثل مدرسة المحدثين الادبية وذوقهم الفنى وملكاتهم التى تأثرت بالبيئة والحضارة والترف ومثلت هذه الحياة فى فنها تمثيلا صحيحا ونأت عن التقليد للقدماء فى وحشية الاسلوب وغرابته ، وما كان لابن المعتز وهو حضرى تتمثل أمامه الحضارة فى أبهى مظاهرها وتلوح لعينيه المدنية فى أبهج وأجمل مناظرها أن ينأى عن الرقة والعذوبة والحلاوة بعد أن سرى ذلك فى نفسه وخلقه وطباعه من أثر الحياة والعيش والبيئة والعصر . انظر إلى عذوبته ورقته فى قصيدته :

طار نومى وعاود القلب عيد وأبى لى الرقاد حزن شديد

جل ما بى وقل صبرى فنى قلبى كلوم وحشو جفنى السهود

سهر يفتق الجفون ونار تتلظى منها بقلبي وقود
لامنى صاحبى وقلبى عميد أين مما أريده ما يريد ؟

إلى آخر هذه القصيدة الممتعة . أو فى قصيدته :

هى الدار إلا أنها منهم قفر وأنى بها ثاو وأنهم سفر
حبست بها لحظى وأطلقت عبرتى وما كان لى فى الصبر لو كان لى عذر

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة التى تمثل لك عذوبة المحدثين وجمال آثارهم الأدبية تمثيلا صحيحا والى نظامها فى ذكرى أحبابه ووصف الطبيعة .

أو فى قوله :

تعاهدتك العهاد ياطلل حدث عن الظاعنين مافعلوا
فقال لم أدر غـير أنهم صاح غراب بالبين فاحتملوا

أو اقرأ قصيدته :

لامثل منزلة الدويرة منزل يادار جادك وابل وسقاك

أو قصيدته : .

نبهت ندمانى فهبا طربا إلى كأسى ولى

وغير ذلك من سائر شعره فستجد رقة وسحرا وجمالا ولطفا وسهولة وعذوبة وفنا خالصا من شوائب التقليد وأسلوبا ممثلا للشاعر وعصره أدق تمثيل، وسيتراءى أمامك الشاعر وفنه فى صورة يحوطها الإعجاب والتقدير عما يسمو بمكانتها فى نفسك وفى حكم الفن والذوق والشعر والشعور .

ه — وقل أن ينزل الشاعر بأسلوبه إلى درجة الساقط السوقى أو النافر الوحشى .

فلا تجد غريبا نافرا فى شعره إلا القليل جدا مما تجد مثله فى : بعض أراجيزه فى الطرد الذى استن فيه من قبل أبونواس الغرابة وحشاه بالغريب ، وفى بعض

قصائده فى العتاب كجيميته وبعض قصائده فى المدح كلاميته فى الموفق وقد سبق الإشارة إلى ذلك ، وفى آثار قليلة من بقية أغراضه فى شعره .

وكذلك لاتجد له سوقيا ساقطا مبتذلا إلا القليل النادر فى شعره الذى نزل فيه أسلوبه إلى درجة العامية المبتذلة (١) مما لا يقبله ذوق وينفر منه القلب والسمع والوجدان .

الطبع والصنعة فى شعر ابن المعتز :

١ — المطبوع من الشعراء كما يقول ابن قتيبة من سمح بالشعر واقتدر على القوافى وأراك فى صدر البيت عجزه وفى فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة (٢) . والمصنوع هو المنقح المثقف من الشعر الذى قومه صاحبه بالثقاف ونقحه بطول التفتيش ولم يذهب فيه مذهب المطبوعين (٣) ، مما يظهر للنقاد مهما كان محكما (٤) وتجد البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضموما إلى غير لفقــه (٥) ، على أن أئمة الصنعة فى الشـــعر العربى كانوا يجعلون قصائدهم نمطا واحدا مما يجعلها مستوية الشاعرية كالحطيئة وســواه ولذلك قال الأصمعى : الحطيئة عبد لشعره ، قال الجاحظ : عاب شعره حين وجـده كله متخيرا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه (٦) ، وقال الأصمعى أيضا : زهير والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من يجود فى جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى تخرج أبيات القصيدة كلها مستوية فى

---

(١) كقوله : يحسب فلفى ويحه سكره ليس يدرى أن فلفى حنظلة
وقوله : مافى يدى منه غير عض يدى ورب بخت فى الحب منحوس
وقوله : فلم يزل من بين أنفاسها بعضها أكثر مما يبوس

(٢) ٢٤ الشعر والشعراء

(٣) ١٦ المرجع

(٤) ٢٢ المرجع

(٥) ٢٣ المرجع ولذلك أخذ النقاد القدماء كالصاحب والثعالبى والبديعى على المتنبى كثرة التفاوت فى شعره

(٦) ١٥٠ : ١ البيان والتبيين

الجودة(١)، قال ابن رشيق : يريد الأصمعى أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما(٢) ، وكان الأصمعى يقول : وإنما الشعر المحمود كشعر الجعدى ورؤبة ولذلك قالوا فى شعره : مطرف بآلاف وخمار بواف (٣) ، وكان الأصمعى يفضله من أجل ذلك(٤) ، قال الجاحظ : وكان يخالف فى ذلك جميع الرواة والشعراء(٥) ويرى أنه مسبوق بذلك الرأى، فقد روى أنه قيل الرماح : لو أصلحت شعرك لذكرت به ، فقال : إنما الشعر كنبل فى جفيرك ترمى به الغرض فطائع وواقع وقاصد(٦) ، ورد بشار على من عابه بالتفاوت فى شعره بأن الشاعر المطبوع كالبحر يقذف مرة صدفه ويقذف طورا خرزة(٧) . وعلى هذا الرأى يسير بعض المحدثين ممن يرى أن التفاوت فى شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه وهو الآية الناطقة على شاعرية المتنبى عنده(٨) . وإذا كان الشاعر مصنعا بان جيده من سائر شعره كأبى تمام وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبن جيده كل البينونة وكان قريبا من قريب كالبحترى ومن شاكله(٩) .

ويرى بعض المحدثين أن الشعر إذا كان صادراً عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع أو شعر الفطرة(١٠) فأينما وجدت النفس المتأثرة بما يزحمها من بواعث الشعور فقد وجدت هنالك شعر الفطرة(١١) . ويذهب إلى ذلك العقاد حيث يرى

(١) ٢٥ : ٢ المرجع وتروى كلمة الاصمعى برواية أخرى هى: زهير والنابغة وكان النقاد يعدون النابغة من المصنعين ويروى عن أبى عبيدة قال : سمعت أبا عمرو يقول :زهير والحطيئة عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين (٥ ١٠ إعجاز القرآن)

(٢) ١١٢ : ١ العمدة (٣) ٢٥ : ٢ البيان

(٤) ١٥٠ : ١ البيان

(٥) ٢٦ : ٢ البيان . وكان الأصمعى مع كراهته للصنعة يستحسن التفاوت فى الشاعرية لأنه مظهر الطبع وحلو الشعر من آثار الصناعة

(٦) ٨٨ : ٢ الأغانى

(٧) ٢٧٥ : ١ زهر

(٨) ٢٧٦ مطالعات للعقاد .

(٩) ١١١ : ١ العمدة

(١٠) ص ٧ الطبع والصنعة فى الشعر

(١١) ١٦ المرجع

أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والتكلف فإذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع وإلا فهو متكلف (١) ، ويرى أن الأديب المطبوع من كان غير مقلد فى معناه أو فى لفظه وأن يكون صاحب هبة فى نفسه وعقله لافى لسانه فقط (٢) وكذلك ذهب صاحب « تاريخ النقد الأدبى عند العرب » الذى ذكر رأى ابن قتيبة وحمله بأنه يريد من الطبع فى الشعر معنى الارتجال لاالطبع والشعور والملكة الشعرية الموهوبة ثم بنى على ذلك نقده لابن قتيبة ورأيه (٣)

ورأى المحدثين اصطلاح جديد فى الطبع والصنعة ومعناهما ، وهو لاينقض الرأى الأول الذى ذهب إليه القدماء ، بل لعل القدماء قد لاحظوه واكتفوا فى تعريفهم للطبع والصنعة بآثارهما الفنية فى الأدب والشعر .

ونحن نرى أن الأولى فى تحديد معنى الطبع والصنعة أن نجمع بين الرأيين ، فالطبع هو الملكة القادرة فى نفس الشاعر والأديب التى توحى إليه بفنه وأدبه وحى الفطرة والطبيعة واستجابة لعواطفه ومشاعره دون تكلف ودون تعب فى الصوغ أو استجداء لترف الأسلوب والصناعة ، فإذا جاء شىء من آثار هذا التكلف الفنى فى شعر المطبوعين من الشعراء فإنما يجىء عفوا وعن غير قصد ودون عناء ودون أن يطغى شىء على نفس الشاعر وشعوره وخلجات قلبه ونزعات عقله وإحساسه ، والصنعة هى : إحساس الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفنى وترف الأداء وزخرف الأسلوب ، وحبه لهذا الجمال والترف والزخرف ، وهيامه الفنى بها وقصده إليها وتعمده لها فى شعره وأدبه ،حتى ليطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من ملكاته الفنية التى غلبت عليها هذه النزعة واستبد بها هذا الأسلوب ، وكادت تكون فنا خالصا يطغى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة ، ويستبد بالظهور والغلبة عليها فى الفن ، أو يشاركها فى تراث الشاعر والأديب الفنى فتقلل من ظهور نزعاته ووجداناته فيه ، ولذلك عاب القدماء من النقاد الصنعة والتصنيع ، وكرهوا الصانعين والمصنعين ، ورأوا مذهبهم يخالف مذهب القدماء من الشعراء فى الجاهلية والاسلام .

---

(١) ٢٧٧ مطالعات

(٢) ٢٢٦ مطالعات

(٣) ١٣١ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

٢ — ولقد كان الشعر العربى أثرا للفطرة والقريحة ، واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة فى الجاهلية ، وكان أكثره ارتجالا أو مايشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتى به عفو الخاطر ، ترد إلى ذهنه المعانى وتتابع ، فتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، وتأتيه الأساليب شعرا وشعورا وسحرا وجمالا ، كل ذلك فى سهولة وتدفق وفطرة ودون تثقيف وتهذيب وتنقيح ، وقد يتفق للشاعر منهم فى شعره من آثار الصنعة التى لم يقصدها البيت والبيتان فى القصيدة ، « وربما قرئت » من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع » وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادرا ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل (١) ، وليس متكلفا تكلف أشعار المولدين ، وإنما وقع لهم من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفوا ، فلم تكن العرب تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق او تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافى وتلاحم الكلام بعضه ببعض (٢) ، فكل شىء للعرب فانما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فكرة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذى اليـــه يقصد فتأتيه المعانى ارسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا (٣)

وفى العصر الجاهلى بدأ لون جديد من الوان التثقيف والصنعة فى الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما : كان أوس من أصحاب التنقيح وكان يسمى محبرا لحسن شعره (٤) وتتلمذ عليه زهير (٥) ، وكان طفيل كذلك وقد قيل إن زهير روى له (٦) وتتلمذ عليه ، وكذلك كان النمر بن تولب من أصحاب التثقيف والتهذيب

---

(١) ١٦ البديع
(٢) ١٠٨ : ١ العمدة
(٣) ١٥ : ٢ البيان .
(٤) ١١٣ : ١ العمدة
(٥) ١٧٢ : ٢ المرجع
(٦) ١٠٢ و ١٧٤ و ١٧٥ : ١ العمدة

وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس (١) ، ومن أبرز رجال هذه المدرسة زهير ، وكان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيف والتنقيح , يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقيب ، بعد أن يكون قد فرغ من عملها فى ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك (٢) ، ، وكان يعمل القصيدة فى ستة أشهر ويهذبها فى ستة أشهر ثم يظهرها فتسمى الحوليات (٣) ، ، وعمل سبع قصائد فى سبع سنين وكان يسميها الحوليات (٤) ، وقيل كان ينظمها فى شهر ثم لا يزال يهذبها حتى يمر عليها الحول (٥) ، قال الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا (٦) ، وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكات والمقلدات (٧) ، وقال : وكان زهير وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات (٨) ، ولعل رأى النقاد فى أنه كان يدع القصيدة عنده حولا يهذبها ويقوم ثقافها ويصبغها بصبغة من الصنعة والتنقيح مبالغة فى إطالة نظره فيها وصنعته لها . وقد احتج أصحاب مذهب الصنعة بأن امرأ القيس كان يثقف شعره ويعيد فيه نظره ويسقط رديئه ويثبت جيده (٩) ، وكان امرؤ القيس راوية أبى دؤاد الأيادى مع قوة غريزة وكان يلوذ به فى شعره ويتوكأ عليه كثيرا (١٠) . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم ؛ فكان الحطيئة صانعا حاذقا يقوم على شعره وينقحه (١١) . كان يعمل القصيدة فى شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها (١٢) ، وكان يقول : خير الشعر الحولى المنقح (١٣) أو المحكك (١٤) ،

---

(١) ١١٢ : ١ العمدة (٢) ١٠٨ : ١ العمدة

(٣) ١٣٤ صناعتين (٤) ٢٦٦ سر الفصاحة

(٥) ٣٨ : ٣ الرافعى (٦) أى كاملا

(٧) ٢١ : ٢ البيان والتبيين

(٨) ١٤٩ : ١ و ٢٤ : ٢ البيان ، ١٠٥ إعجاز القرآن

(٩) ١٧٤ : ١ العمدة .

(١٠) ١٧٢ : ١ العمدة .

(١١) ٦٠ من التصحيف والتحريف للعسكرى .

(١٢) ٣٥ صناعتين .

(١٣) ١٤٩ : ١ البيان .

(١٤) ٢٥ : ٢ البيان ، ١٧٥ : ١ العمدة ، ويروى ذلك عن زهير (٢٦٦ سر الفصاحة)

ويشبهون طريقة الحطيئة فى الشعر بطريقة زهير (١) ، وكان الأصمعى يعيبه من أجل (٢) صنعته . وكان الحطيئة راوية زهير (٣) ، وكان الفرزدق يروى للحطيئة كثيرا وكان أبو حية النميرى وهو من أحسن الناس شعرا وألطفهم كلاما مؤتما بالفرزدق آخذاً عنه كثير التعصب له والرواية عنه (٤) ، كما كان هدبة بن الخشرم راوية الحطيئة وجميل راوية هدبة وكثير راوية جميل (٥) .

وهكذا استمر هذا المذهب مذهب التثقيف وطول التهذيب منهجا فنيا يسير عليه بعض الشعراء من المحدثين ، فكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة ثم ينظر فيها ويلقى أكثرها ويقتصر على العيون منها (٦) ، ويقال إنه كان يعمل القصيدة ثم يتركها أياما ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيرا منها (٧) ، ويحرص على هذا فينفى الردىء ويبقى الجيد (٨) ، وكان مسلم صاحب راوية (٩) ، وكان البحترى يلقى من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب فيه لخرج شعره مهذبا وكان أبو تمام لا يفعل ذلك ويرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير (١٠) ، وكان أبو عبيدة ويونس يعتذران لزهير والحطيئة وأشباههما فى هذا الاتجاه الفنى الذى قصدوه بتكسبهم بالشعر والتماسهم به صلات الأشراف والقادة (١١) ، مما كان يدعوهم إلى القيام على الشعر ومعاودة النظر فيه وتتبع الشاعر على نفسه حتى يخرج شعره جيداً (١٢) .

---

(١) ٢٦٧ سر الفصاحة .

(٢) ١٥٠ : ١ و ٢٥ : ٢ البيان .

(٣) ٧٨ : ٧ الأغانى .

(٤) ١٧٢ و١٧٣ : ١ العمدة ، ٢٩٩ الشعر والشعراء .

(٥) ٤٨ : ٣ الرافعى ، ٣٠٠ الأدب الجاهلى ، ١٧٢ : ١ العمدة ، وكان كثير راوية جميل ومفضلا له (١٦ : ٤ العقد) .

(٦) ١٣٥ صناعتين .

(٧) ٢١١ : ٧ مهذب الأغانى .

(٨) ١٧٥ : ١ العمدة . وكان مسلم صاحب روية وفكرة (١٦٦ : ١ العمدة) . وفى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٩١) ما يناقض ذلك ففيها أن أبا نواس كان لا يحفل شعره ولا يقوم عليه .

(٩) ١٦٦ : ١ العمدة

(١٠) ١٣٥ صناعتين

(١١) ٢٦ : البيان

(١٢) راجع ٣٧ : ٣ الرافعى

٣ — وفى عصر المحدثين أو قريب منه بدأ لون جديد من ألوان الصنعة يدخل الشعر العربى . وهو أهم ألوانها وأبرز سماتها ، وهو الذى سماه النقاد بالبديع (١) .

كان الشعراء المحدثون يقصدون إلى ألوان خاصة من الأساليب الساحرة التى يتجلى فيها ترف الفن وجمال الصنعة وسحر الأداء ، من استعارة وتشبيه وجناس وتطبيق ومقابلة وحسن تعليل وسوى هذه الألوان ، التى يقصدونها قصدا ويفتنون فيها افتنانا ، ويحرصون على توشية شعرهم وقصائدهم بها وتجميل آثارهم بزخرفها ، وكان الراعى مقدمة لهذا اللون من الصنعة ، فكان كثير البديع فى شعره (٢) .

وأول من فتق البديع من المحدثين بشار وابن هرمة (٣) ، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا منهما (٤) ، ثم اتبع بشارا وابن هرمة مقتديا بهما العتابى والنمرى ومسلم وأبو نواس (٥) ، فالعتابى يذهب شعره فى البديع (٦) ، وكان يحتذى حذو بشار فى البديع (٧) ، كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك

---

(١) كان البديع يأتى قبل ذلك عفوا للشعراء والأدباء ولكنهم كانوا يكرهونه ، فقد روى أن معاوية أملى كتابا إلى رجل فقال فيه : لهو أهون على من ذرة أو كلب من كلاب الحرة ، ثم قال : امح « من كلاب الحرة » واكتب « من الكلاب » كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة والسجع (راجع ١٥٥ رسائل الجاحظ) .

هذا والبديع فى اللغة يدور حول الجديد والمحدث والمخترع ، جاء فى لسان العرب : بدع الشىء بدعا وابتدعه : أنشأه وأبدعه ، والبديع : المحدث العجيب ؛ وأبدعت الشىء : اخترعته لا على مثال ، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها لا عن غير مثال سابق ، وأبدع الشاعر : جاء بالبديع

(٢) ٢٤٢ : ٣ البيان

(٣) ١١٠ : ١ العمدة

(٤) ٥٥ : ١ البيان

(٥) ١١٠ : ١ العمدة

(٦) ٢٤٢ : ٣ البيان

(٧) ٥٥ : ١ البيان

من المولدين كالنمري ومسلم وأشباههما (١) ، وأستاذه بشار أبو المحدثين واستاذهم (٢) وكانت تتباين طبقات شعره فيصعد كبيرها ويهبط قليلها بكثيرها وكذلك كان حبيب (٣) ، كان أبو نواس ثاني بشار في منزعه لفظا ومعنى ، وكثيرا ما صب على قوالبه وجرى في مضماره . حتى قال الجاحظ فيهما : معناهما واحد والعدة اثنان ! بشار حل من الطبع بحيث لم يتكلف قط قولا ولا تعب من عمل شعر ، وأبو نواس حل من الطبع بحيث يصل شعره إلى القلب بلا إذن وليس بعد بشار مولد أشعر من أبي نواس (٤) ؛ وكان أبو نواس يشبه بالنابغة (٥) ؛ وكان أسير المحدثين شعرا (٦) ، والصنعة واضحة بشكل ملموس في ميميته :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه   بحلمي عنه وهو ليس له حلم (٧)

على أن هذه الصنعة الشعرية لم تصبح ظاهرة فنية مقصودة وتهذيبا أدبيا واسعا للشعر ومذهبا جديدا مأثوراً إلا على يد المحدثين عامة (٨) وعلى يد مسلم وأبي تمام على الخصوص ، فمسلم أول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وأكثر منها ولم يكن في الأشعار المحدثة قبله إلا النبذ اليسيرة وهو زهير المولدين وكان يبطىء في صنعته ويجيدها (٩) ، بل هو فيما زعموا أول من قال هذا الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس بالبديع واللطيف (١٠) ، وأول من أفسد الشعر بالبديع (١١) ، ويشيد به النقاد جميعا في مذهب الصنعة والبديع منوهين بأثره

---

(١) ٥٤ : ١ البيان

(٢) راجع : ٢٠ : ٣ الأغاني ، ١١٠ : ١ العمدة ، ١٣ : ٢ زهر ، ٢٠٠ موشح ، ص ٣ طبقات ابن المعتز . وكان الأصمعي يقول : هو خاتمة الشعراء (٢٣ : ٣ الأغاني)

(٣) ٢٦٣ رسائل البلغاء من رسالة الانتقاد لابن شرف

(٤) ١٦١ العصر العباسي للاسكندري

(٥) ١١٠ : ١ العمدة

(٦) ١٧٣ : ٢ العمدة

(٧) وهي في ديوانه ، وتنسب لمعن بن أوس خطأ

(٨) ١٧٣ : ١ العمدة

(٩) ١١٠ : ١ العمدة

(١٠) ٢٠ : ١ معاهد التنصيص

(١١) ٨ الموازنة

فى هذا الباب (١) ،كان يتخذ الصنعة مذهبا يطبق عليه نماذجه بيتا بيتا فمن ضروب التصنيع والزخرف المختلفة من جناس وطباق واستعارة ومشاكلة وأقام ألفاظه وتعابيره كما يقيم المثالون تماثيلهم وحقا كان مسلم زعيم التصنيع فى عصره فقد استطاع أن يجعله الغاية من صنع نماذجه فالقصيدة عنده لا تعبر عن خواطر وإنما تعبر عن ألوان (٢) .

وعمت موجة التصنيع بعد مسلم ، وعلى نمطه وحذوه سار أبو تمام والبحترى ، فكانا يطلبان الصنعة ويولعان بها ، فأما حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرها يأتى الأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة ، وأما البحترى فكان أملح الناس صنعة وأحسنهم مذهبا فى الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة(٣) ، كان لأبى تمام مذهب فى المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء(٤) ؛ وربما أسرف فى المطابق وفى المجانس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها(٥) ، ولا تجتمع الاستعارة اجتماعها فيما نظمه(٦) ، وهو أول من شرع البديع وأنبع عيون التقسيم والتصريع والاستعارة وأرى الناس غرائب أنواع الجناس (٧) ، وعلى أى حال فأبو تمام ومسلم هما اللذان طرقا إلى الصنعة ومعرفتها طرقا سابلة وأكثرا منها فى أشعارهما تكثيرا سهلها عند الناس على أن مسلما أسهل شعرا من حبيب وأقل تكلفاً (٨) ، كان أبو تمام يستخدم فى صناعة

---

(١) ٦٨ المثل السائر ، ١٠٩ طبقات ابن المعتز ، ٣٧٢ معجم الشعراء ، ٢٤٨ رسائل البلغاء ، ١٣٣ : ٤ زهر

(٢) ٨١ و ٨٣ الفن ومذاهبه

(٣) ١٠٩ : ١ العمدة

(٤) ١٦٨ : ٧ مهذب الأغانى

(٥) ٩٦ إعجاز القرآن

(٦) ٩٢ رسالة الغفران

(٧) ٣٠٠ الريحانة للشهاب من ظلامة أبى تمام التى ذكرها الشهاب الخفاجى فى ريحانته (٣٠٤ — ٣٠٩) وقد صنفها الخالدى على لسان أبى تمام يشكو فيها الطائى من الواعظ الموصلى الذى كان يغير على شعر أبى تمام فى كلامه وشعره

(٨) ١١٠ : ١ العمدة

شعره وشى للتصنيع الذى عرف عند مسلم من طباق وجناس ومشاكلة وتصوير، وأضاف اليها شيئا آخر من الثقافة والفلسفة وعقد فيها تعقيدا فكان يعتمد فى تصويره على صبغ التدبيج وقد استوعب الفلسفة والثقافة وحولها إلى فن وشعر فالطباق والجناس والمشاكلة كل ذلك وسواه تجتمع فى شعره فيجاله الغموض فى كثير من جوانبه وأجزائه وهو الغموض الفنى الذى آخذه به النقاد فهو يبتكر أفكارا وصورا جديدة ولكنه يحس بأن اللغة لاتستطيع أن تؤدى مايريد. وجانب الغموض والمعانى الغويصة فى شعره هو الذى أثار ضجة واسعة حول شعره تشبه تلك الضجة التى شبت فى فرنسا حول مذهب الرمزيين حين تفرع من مذهب البرناسيين، وكان أبو تمام يستخدم الطباق استخداما معقدا يلونه بأصباغ فلسفية وكان يسميه توافر الأضداد(١) وهو المقابلة، وكان البحترى يتشبه بأبى تمام وينحو نحوه ويحذو حذوه فى البديع(٢).

وكان لايرى فى التجنيس مايراه أبو تمام (٣) ويقل التصنع له فإذا وقع فى كلامه كان فى الأكثر حسنا رشيقا وتصنعه المطابقة كثير حسن وتممقه فى وجوه الصنعة على وجه طلب السلامه والرغبة فى السلاسة(٤)، والبحترى على أى حال لم يكن متفلسفا ولم يكن من رجال الفكر العميق، كان بدويا أعرابيا فظلت أدوات الصناعة عنده ساذجة بسيطة (٥)، كان يتتبع الألفاظ وينقدها نقدا شديدا كما يقول الباقلانى، وكانت ألفاظه كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلى كما يقول صاحب المثل السائر، بل كانت كالعسل حلاوة(٦)، أما ابن الرومى فقد كان من الشعراء الذين يؤثرون المعنى اللفظ فيطلبون صحته

---

(١) راجع ١١١ و١١٥ و١٢١ و١٢٣ و١٢٣ و١٢٤ و١٣١ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

(٢) ١٨٣ : ٧ مهذب لاغانى

(٣) أى من إسرافه فيه

(٤) ٩٦ إعجاز القرآن

(٥) ٩٠ الفن ومذاهبه

(٦) ٣٥ طبقات ابن المعتز. والآمدى يفضل ابتداءاته (١٠٥ : ١ العمدة) وكان متصرفا فى الخروج من النسيب إلى المدح (٤١ إعجاز القرآن)، ويفضله الجرجانى بجودة الابتداء على حبيب والمتنبى وفضلهما عليه فى جودة الخاتمة (٢٠٥ : ١ العمدة)

ولا يبالون حيث وقع من هجنة اللفظ وخشونته (١) ، فكان يصنع شعره على طريقة المدرسة المحافظة ولم يستطع أن يخرج إلى المدرسة الحديثة مدرسة التصنيع (٢) ، فهو حديث فى ثقافته ولكنه لايستطيع أن ينهض فى فنه بألوان التصنيع وزخارفه . وحقا قد شغف بالتصوير ولكن هذا الشغف لايخرجه إلى مجال المصنعين(٣) ، وهو مع ذلك قد يأتى بألوان الزخرف الفنى فى شعره ولكن دون أن يتخذها مذهبا ، وكان يستخدم الطباق والجناس فى شعره وهو يشبه البحترى فى ذلك إلا أن البحترى يكثر من الجناس ، وقد استعار من أبى تمام صبغ التدبيج (٤) .

٤ — وانتهى علم البديع والصنعة إلى ابن المعتز وختم به(٥) ، وكان ابن المعتز هو الشاعر الذى انتهت إليه الصناعة الشعرية فقد كان يحب الفن للفن وينظم الشعر ليلهو به وكان فى العباسيين كالوليدفى الأمويين وكان متكلفا مجيدا فى تكلفه كما كان الوليد مطبوعا مجيداً فى طبعه .

ويقول عبد القاهر فيه :

« وطريقة ابن المعتز طريقة أبى تمام ولم يكن من المطبوعين » (٦) . . وكان عبد القاهر يؤثر المطبوع وما قاربه من المصنوع ...

ويصف ابن رشيق صنعة ابن المعتز فيقول :

«وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من ابن المعتز ، فان صنعته خفيه لطيفة

---

(١) ١٠٦ : ١ العمدة ، وابن الرومى أكثر الشعراء اختراعا للمعانى (٢٣٢ ج١ العمدة) ، وأدبه أكثر من عقله وكان يتعاطى علم الفلسفة (١٦١ رسالة الغفران)

(٢) ٩٤ الفن ومذاهبه

(٣) ٩٥ المرجع

(٤) وكان يلزم حركة ماقبل الروى فى أكثر شعره (١٣٣ : ١ العمدة) وكان يلتزم مالا يلتزم فى القافية ١٣٧ و١٣٨ : ١ العمدة وقد يلتزم الحرف ، وحركته قبل الروى ١٧٢ سر الفصاحة

(٥) ١١٠ ج ١ العمدة

(٦) ٢٦٢ أسرار البلاغة

لاتكاد تظهر فى بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر وهو عندى ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتنانا وأقربهم قوافىوأوزانا ولا أرى وراءه غاية لطالبها فى هذا الباب (١) ، ولقد صدق ابن رشيق فى حكمه الأدبى على ابن المعتز وصنعته فان له من رائع الصنعة وسحر البديع وجمال الأداء ولطف الأساليب ودقة المذهب وحلاوة الصياغة فى صناعته مايروع القارىء ويستبد بإعجاب المنصف من النقاد، وكان أبو تمام متكلفا للبديع وكان البحترى وابن المعتز يجريان مع الطبع وكان مسلم ينهج نهجاً وسطا ، (٢) . ولا شك أن ذلك أثر لعصره وبيئته وحياته ووجدانه وشعوره ، وآية ناطقة بحبه للجمال السارى فى الحياة . وسآخذ فى تحليل ألوان الصناعة فى شعره وفى شرحها ونقدها لتعرف إلى أى حد بلغ ابن المعتز فى هذا الباب .

ألوان الصنعة فى شعر ابن المعتز :

(ا) التشبيه والاستعارة :

رأيت فى الفصل الذى عقدناه للتشبيه فى شعره كيف بلغ ابن المعتز درجة الجمال والروعة الفنية ، وكيف ملك زمام الإجادة وانفرد فيهما بالحسن والإعجاب ، ، وأتى فيهما بالرائع النادر والجديد المبتكر ، مما سبق فيه جميع الشعراء ، وتفرد فيه على كل شاعر سبقه أو أتى بعده ، حتى ضرب المثل بتشبيهاته وصارت دلالة على شاعريته ، وسمة على ملكاته الفنية فى باب القريض

(ب) جودة الابتداء :

وابن المعتز فى هذا مجيد مبدع ، تسرى فى شتى ابتداءاته روح الجمال وملكة الإجادة ويملك عليك شعورك وعاطفتك ويستبد بتقديرك وإعجابك ، فأنت تقرأ له :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

---

(١) ١٠٩و١١٠ج١ العمدة

(٢) ١٧٠ وما بعدها الأسلوب للشايب

و : طار نومي وعاود القلب عيد ... وأبى لي الرقاد حزن شديد
و : ساءني على عهد المطيرة والقصر ... وأدعو لها بالساكنين وبالقطر
و : شجتك لهند دمنة وديار ... خلاء كما شاء الفراق قفار
و : الدار أعرفها ربي وربوعا ... لكن أساء بها الزمان صنيعا
و : طال ليلي وساورتني الهموم ... وكأني لكل نجم غريم
و : نبهت ندماني فهبا ... طربا إلى كأسي ولي
و : بحياتي ياحياتي ... اشربي الكأسي وهاتي
و : من يذود الهموم عن مكروب ... مستكين لحادثات الخطوب ؟

وغير ذلك من مطالع قصائده ، وابتداء شعره ، التي يسرى في اعطافها السحر ويشيع فيها روح الشاعرية والجودة والأحسان . وإنه ليعز عليك أن تجد لابن المعتز ابتداء نافرا أو مطلعا غير مقبول ، وكثير من ابتداءاته مصرعة ، وله بعض ابتداءات أخرى ترك فيها التصريع وإلحاق العروض بالضرب مما تجده مفرقا قليلا في شعره ، وعدم التصريع مذهب لكثير من الشعراء (١) ، وكان بعض الشعراء كامرىء القيس يلهجون بالتصريع (٢)

أما ختام قصائده فيغلب عليه الجمال الفني والإحسان والجودة ، ولكن ختام قصائده لايصل في بلاغته إلى جودة ابتداءاته .

وأما التخلص في شعره ، ويسميه ابن المعتز في كتابه « البديع » خروجا ، فضئيل الحظ من الجودة والبلاغة والجمال فتراه في قصيدة له يقول في الغزل بعد عدة أبيات :

فلم يكن بيننا سوى اللحظ والد ... مع كلام انا ولا رسل

ثم يتخلص بعد ذلك البيت من الغزل إلى غرضه من القصيدة تخلصا سخيفا مثل ما ألف عند الجاهلية فيقول :

هذا لهذا ، فالذي إحن ... يدس كيده لي ويختتل

وفي قصيدة له في المكتفي وصف في أولها لذاته في الحب وقال :

نقرع الثغر بثغر ... طيب عند الورود

---

(١) ١٠٢ : ١ العمدة

(٢) ١٧٩ : سر الفصاحة

ثم قال بعد ذلك مباشرة يمدح الخليفة :

مرحبا بالملك القادم بالجد السعيد

(ج) الطباق فى شعر ابن المعتز :

والطباق من الوان البديع ، وذكره ابن المعتز فى كتابه « البديع » ، وهو الجمع بين الشيء وما يقابله فى الكلام .

وهو أحد ألوان البديع ، التى أجاد فيها الشاعر وتفوق فيها على كثير من الشعراء ، فأنت تقرأ له :

أبصرته فى المنام معتذرا إلى مما جناه يقظانا

، ساءت بك الدنيا وسرت مرة فأراك من حسناتها وذنوبها

، خاضوا الظلام بعدى وكنت فيهم لجرا

. وشعره من ظلام ووجهه من نور

، يامن عنانى حسده يقيمه ويقعده

سهرت ليلا أرقده حظ الحسود كمده.

ويقول فى دار أحبابه :

حبست بها لحظى وأطلقت عبرتى وما كان لى فى الصبر لو كان لى عذر

إلى غير ذلك من أبياته التى وشاها بلون الطباق ، فتجد فنا ساحرا وصنعة رائعة وجمالا لاينقصه شيء من الروح والحياة ، وقل أن تجد فى شعره طباقا نافرا غير مقبول ، وقد استقصيت ذلك فلم أجد فيه إلا هذه المثل القليلة :

قال ابن المعتز :

وإنى رأيت الدهر فى كل ساعة يسير بنفسى المرء والمرء جالس

فهذا طباق سخيف وأسلوب قبيح .

وقال :

أيا من حسنه عذر اشتياقى ويحسن سوء حالى فى هداه

فتجد طباقا لايستوفى حظه من الجمال لتكلفه وعدم طلب المعنى له وبعده عن الذوق والقبول .

ويقول :

يكون سرور فى الهوى وشقاء .

وكان الأولى أن يقول « يكون نعيم فى الهوى وشقاء » .

(د) المقابلة فى شعر ابن المعتز :

والمقابلة مع صعوبتها الفنية إلا على الممتازين من الشعراء تجىء فى شعر ابن المعتز جميلة رائعة ساحرة وبليغة نادرة ، وتحوز من القارى والسامع الإعجاب والثناء ، وهاك مثلا لها فى شعره :

قال ابن المعتز :

فأمامى المر من عمرى ووراثى منه ما طابا

ويقول فى إخوته :

إذا قل مالى قل مدحى وإن أثريت غالوا فى امتداحى

ويقول :

أنا جيش إذا غدوت وحيدا ووحيد فى الجحفل الجرار

ويصح أن يكون من باب العكس .

ويقول :

مات وصال وعاش صد وذل مولى وعز عبد

ويقول :

هو سقم حين أفقده وشفاء السقم لو أجده

ويقول :

أصدق الناس بلا أكذب الناس نعم

ويقول :

وللدهر أيام تسىء عوامدا وتحسن ان أحسن غير عوامد

ويقول :

رب أمر تتقيه جر أمرا ترتجيه

خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه

والمقصود البيت الثانى وحده :

ويقول :

قد لبسنا صباحا وخلعناظلاما

ويقول :

ضاحكا من الأسى باكيا من الفرح

ويقول :

نبادر أيام السرور فإنها سراع ، وأيام الهموم بطاء

ويقول :

ويا من مدحه كذب ويا من ذمه صدق

ويقول :

صديق وفرى عدو فقرى

فنجد شعرا وسحرا وصنعة وجودة وحسنا وإحسانا وجمالا واتقانا وفنا من الصنعة فى باب المقابلة لا تجده الا عند القليل من الشعراء حتى ليأتى بها فى شطر واحد من البيت وفى سهولة فنية لا تشعرك بتكلف ولا تحس فيها أثرا للتعمل البغيض ، وبعض أبياته فى المقابلة تتركب من ثلاث طباقات كما فى قوله :

اذا ما التقينا سرنى منه ظاهر فان غاب عنى ساءنى منه باطن

ويقول :

رب عذر حلو أبيتم وعتبتم ووفاء مر صبرتم عليه

وقل أن تأخذ على ابن المعتز شيئا فى هذا الباب ، ومن ذلك قوله :

ثم ظنى بأنما يسعد العاقل والحاسد المعنى الشقى

فالمقابلة بين العاقل والحاسد مقابلة غير تامة الا على سبيل التسامح والمجاز .

(ه) الجناس فى شعر ابن المعتز :

وفن ابن المعتز فى الجناس فن جيد غالباً ونازل ضعيف فى القليل النادر من شعره ، وابن المعتز يتصرف فى شتى ألوان الجناس فى قدرة وجمال صنعة .

يقول :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

ويقول : طار نومى وعاود القلب عيد

ويقول : الدار أعرفها ربى وربوعا

ويقول :

سأثنى على عهد المطيرة والقصر وأدعو لها بالسا كنين وبالقطر

ويقول :

بنو العم لا بل هم بنو الغم والأذى وأعوان دهرى ان تظلمت من دهرى

ويقول فى ربع أحبابه :

أبلى جديد مغانيك الجديدان

ويقول : نطقت مناطق خصره بصفاته

ويقول : عذرته السلافة العذراء

ويقول :

تاه علينا فتاه منا فلا نراه ولا يرانا

ويقول : هذا الفراق وكنت أفرقه

ويقول :

قل لمن حيا فاحيا ميتا يحسب حيا

ويقول : وقوما فامزجا راحا بروحى

وسوى ذلك . فنجد تجنيسا مقبولا بليغا ، وصنعة مطبوعة أو كالمطبوعة ، وفنا استدعاه المعنى وظهرت فيه خلجات الشاعر وشعوره .

ولابن المعتز بعض ابيات من الجناس الممقوت الذى يظهر عليه أثر التكلف والصنعة ويغطى فنه فيه على روح الشاعر واحساسه بالحياة وسأذكر مثلا لذلك الآن .

قال ابن المعتز :

المـــال يفرق من كـف تفرقـــه

جاءت كلمة « يفرق » فى الأسلوب طلبا للجناس

وقال : أبا حسن قراك الله حسنا

ولو قال : جزاك الله خيرا ، لكان أحسن من هذا الجناس البغيض

وقال : تعاهدنك العهاد ياطلل

والتجنيس هنا لم يضعف روح الشاعر وإحساسه ولكنه مشعر بالتكلف الممقوت .

ويقول :

ومال قد سخوت به وجاه وجيه لا يخاف أذى الحجاب

ويقول :

ألم تحزن على الربع المحيل وآثار وأطلال محول

فتجد فى البيتين صنعة متكلفة وتجنيسا مقصوداً لنفس التجنيس .

ويقول :

أبى آبى الهوى ألا تفيقا

ويقول :

وصاحب سوء وجهه لى أوجه

ويقول فى الأسد :

ويبطل أبطال الرجال من الذعر

ويقول فى المعتضد :

له راحة ما لها راحة

ويقول فيه :

فكم فضة فضها فى سرو ر يوم وكم ذهب قد ذهب

ويقول فيه :

أيحمل شر برق أم براق ؟

فتجد فى ذلك كله سخفا وتكلفا وصنعة متعملة وأسلوبا نازلا لا فائدة فيه ولا معنى وراءه لأنه لايجرى وراء المعنى المقصود ولا يمثل شعور الشاعر وعواطفه وخلجات قلبه ، وليت ابن المعتز حذفها من شعره .

(و) الاعتراض فى شعر ابن المعتز :

وفن ابن المعتز فى الاعتراض فن جميل موهوب ، وصنعته فيه صنعة جيدة مختارة لا تجد لها نظيراً عند كثير من الشعراء .

وإن شئت فاقرأ قوله :

شيبتنى وما يشيبنى السن همومٌ تترى ودهر مريد

أو قوله :

شجتك لهند دمنة وديار خلاء ـ كما شاء الفراق ـ قفار

أو قوله فى دار أحبابه :

حبست بها لحظى وأطلقت عبرتى وما كان لى فى الصبر ـ لوكان لى ـ عذر

أو قوله :

هل تذكرين ـ وأنت ذاكرة ـ مشى الرســول إليكم سرا

أو قوله :

شقيت ـ كمن يشقى ـ بريم أحبه على وجهه نور من الحسن يشرق

أو قوله :

أراد ـ لما رأى سقمى فرق له ـ برئى فقد زادنى سقما على سقم

أو قوله فى الطيف :

ولان حتى إذا هممت به نبهت عند الصباح ، لا كانا

أو قوله فى إخوانه :

عسى أرجى رجوع غايتهم فكيف ـ لا كيف لى ـ بأموات

أو قوله :

ياقوم ـ بل لا قوم لى ـ هبـــوا من الرقدات

وسوى ذلك فستجد جمالا وسحرا لا نظير لهما فى شعر وصنعة الشعراء .

(ز) صور أخرى من الصنعة فى شعر ابن المعتز :

ولابن المعتز صور أخرى رائعة لصنعة الشعر وفنه ، من كناية ومجاز وبلاغة إيجاز وحسن تعليل واستطراد وإيغال واقتباس وقسم وتقسيم وتوجيه وسوى ذلك من ألوان الصنعة وزخارفها .

١ — يقول ابن المعتز :

وقت إلى الكوم الصفايا بمنصلى فصيرتها جدا القوى وأحسابا

ويقول فى ضيفه :

وبات بممسى ليلة غاب شرها وقت فأطعمت الشاء وأسقيت

ويقول :

وضاع من ليلى غده طوبى لمن تجدده

ويقول :

أخذت من شبابى الأيام وتولى الصبا عليه السلام(١)

ويقول :

والنجم فى مغربه وسنان والصبح فى مشرقه حيران

ويقول :

وناقة فى مهمه رمى بها هم إذا نام الورى سرى بها

ويقول :

تصغى إلى أمر الندام كما عطفت يد الجانى ذرى الغصن

ويقول :

قد أكل الجد تلادى أكلا

---

(١) البيت ساحر فى تناسب القسمين كما يقول ابن حجة (٣ خزانة الأدب) .

ويقول :

وربّ نار أقت الجود بوقدها في ليلة من جمادى ذات تهتان

فتجد روعة في التصوير وجمالا في التجوز ولطفا في الصياغة وسحرا في الأسلوب يبلغ حدود الاحسان والتجويد .

٢ — ويقول ابن المعتز :

والصبا يمتلئ حاجة وأملا

ويقول :

وظباء غرائر مثبجات المآزر

فيبهرك جمال التصوير وروعته في البيت الأول وحسن الكناية وعذوبتها في البيت الثاني .

ويقول :

لا ورمان النهود فوق أغصان القدود

ويقول :

لا والذي لا إله إلا هو أنت بهذا على تياه

فلا تجد أبلغ من هذا القسم الجميل ، الذي يعجبك منه هذا الهيام في الحب والهوان أمام عزة المحبوب .

ويقول ابن المعتز في الراح :

نور وإن لم يغب ووهم اذا صح وماء لو كان ينسكب

ويقول في أقداحها :

وتحسب الماء زجاجا جرى وتحسب الأقداح ماء جمد

ويقول :

فاذا طفا كيد رسا واذا رسا كيد طفا

فتجد صورا من الصنعة رائعات ، وجمالا في الفن لا يعدله جمال .

ويقول ابن المعتز :

فما بكت عليهم السماء   لما أتيح لهم القضاء

فنجد اقتباسا جميلا من كتاب الله الكريم « فما بكت عليهم الأرض والسماء » .

ويقول :

لاتحسبوا اليوم الجديد كأمسكم   أين الصباح من الظلام الغاسق ؟

فنجد تدفقا وروعة وقوة تأثير

ويقول :

تعاونت فى دمى محاسنها   لكن خذوا سحر عينها بدمى

فنجد عمقا فى المعنى وجمالا فى التصوير ، فحبيبه كل حسن وسحر ، وما يدرى أى عضو من أعضائه وحسن من محاسنه يحمله دمه ويطالبه بثأره ؟ ولكن عينه هى التى تنفذ إلى أعماق القلوب وتؤثر فى حبات الأفئدة وتجعل العزيز فى حبها مهانا ، فليطالبها الشاعر بدمه المسفوك ، وهل بعد ذلك جمال فى التصوير والأداء ، ومثله

أراقت دمى عمدا محاسن وجهه   فأضحى وفى عينيه آثاره تبدو

وهو من بليغ حسن التعليل ، أتى بحمرة العين وجعل إراقة الدم فى صورة العلة ، وهو يعلم أنها مخترعة موضوعة فليس ثمة إراقة دم .

ويقول :

والورد يضحك من نواظر نرجس   قذيت وآذن حينها بممات

الضحك فى الورد وكل زهر ونور يتفتح مشهور ، ولكنه فى هذا البيت جعل الورد كأنه يعقل ويميز فهو يشمت بالنرجس لانقضاء زمنه وإدبار دولته وظهور آثار الفناء فيه ، وأعاد هذا الضحك من الورد فقال :

ضحك الورد فى قفا المنثور   واسترحنا من رعدة المقرور

أراد إقبال الصيف وحر الهواء كما يوضح ذلك قوله بعده :

واستطبنا المقيل فى برد ظل   وشممنا الريحان بالكافور

فالرحيل الرحيل ياعسكر   اللذات عن كل روضة وغدير

فهذا من شأن الورد الذى عابه ابن الرومى وفضل النرجس عليه (١) وقد جعله ابن المعتز لهذا الطرد ضاحكا ضحك من استولى وظفر، ومما يشوب الضحك وفيه شىء من التعليل قول ابن المعتز أيضا :

وإذا أردت تصابيا فى مجلس   فالشيب يضحك بى مع الأحباب

فلهذا الضحك زيادة معنى على قول دعبل « ضحك المشيب برأسه فبكى » لأنه جعل المشيب يضحك ضحك المتعجب من تعاطى الرجل ما لا يليق به ، وكذلك قوله : « فى شارق يضحك من غير عجب » ، وذلك لأن نفيه العلة اشارة إلى أنه من جنس ما يعلل وأنه ضحك قطعا وحقيقة (٢) . ويقول ابن المعتز :

ضعيفة أجفانه   والقلب منه حجر

كأنما ألحاظه   من فعله تعتذر

ويقول :

سقانى وقد سل سيف الصبا   ح والليل من خوفه قد هرب

لم يقتنع بالتشبيه الظاهر والقول المرسل كما فعل فى قوله :

حتى بدا الصباح من نقاب   كما بدا المنصل من قراب

ولكنه أراد أن يحقق دعواه أن هناك سيفا مسلولا ويجعل نفسه كأنها لا تعلم أن ههنا تشبيها لجعل الظلام كالعدو المنهزم الذى سل السيف فى قفاه فهو يهرب مخافة أن يضرب به ، ومثل هذا فى أن جعل الليل يخاف الصبح قوله :

سبقنا إليها الصبح وهو مقنع   كمين وقلب الليل منه على حذر (٣)

---

(١) وذلك فى قوله :

خجلت خدود الورد من تفضيله   خجلا توردها عليه شاهد

ويقول فى هذه القطعة :

فصل القضية أن هذا قائد   زهر الرياض به وهذا طارد

وهذه الأولى إشارة للنرجس والثانية للورد

ولابن لنكك البصرى رسالة فى تفضيل الورد على النرجس (٢٠٩ : ٢ الفرج بعد الشدة)

(٢) راجع ٢٥٢ أسرار وما بعدها

(٣) راجع ٢٥٤ ما بعدها أسرار البلاغة

ويقول ابن المعتز :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهد عجب

ويقول :

لعمرك ما أزرت بيوسف لحية ولكنه زاد حسنا وأضعفا
فلا تعتذر عن حبه بالتحائه فما يحسن الدينار إلا مشنفا

ويقول :

ألا أيها الربع الذى عطل الدهر عفاك بكائى فيك لم يعفك القطر

ويقول :

قالت كبرت وشبت قلت لها هـذا غبار وقائع الدهر

أنكر أن يكون الذى نزل به شيبا ورأى الاعتصام بالجحد أخصر طريقا إلى نفى العيب وقطع الخصومة ، ولم يسلك الطريق العامية فيثبت المشيب، ثم يمنع العائب أن يعيب ، يريه الخطأ فى عيبه ، كما فعل البحترى فى قوله :

وبياض البازى أصدق حسنا إن تأملت من سواد الغراب

وقول أبى تمام :

فلا يرعك إيماض القتير به فان هذا ابتسام الرأى والأدب

ويقول ابن المعتز :

فى كفه عضب إذا هزه حسبته من خوفه يرتعد

اخترع لهزة السيف علة لجعلها رعدة تناله خوفا من الممدوح(١)

وقال :

عاقبت عينى بالدمع والسهر إذ غار قلبى عليك من بصرى
واحتملت ذاك وهى راجحة فيك وفازت بلذة النظر

---

(١) ٢٠١ أسرار البلاغة

العادة فى دمع العين وسهرها أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب ونحو ذلك ولكن ابن المعتز ترك ذلك كله وادعى أن العلة غيرة القلب منها على الحبيب وإيثاره أن ينفرد برؤيته، ولابن المعتز أيضا فى عقوبة العين بالدمع والسهر :

قل لأحلى العباد شكلا وقدا أبجد ذا الهجر أم ليس جدا
ما بذا كانت المنى حدثتنى لهف نفسى أراك قد خنت ودا
ما ترى فى متيم بك صب خاضع لا يرى من الذل بدا
إن زنت عينه بغيرك فاضربها بطول السهاد والدمع حدا

جعل البكاء والسهاد عقوبة على ذنب أتته للعين كما فعل فى الأول، إلا أن صورة الذنب ههنا غير صورته هناك، فالذنب ههنا نظر إلى غير الحبيب واستباحتها من ذلك ما هو محرم محظور، والذنب هناك لنظرها إلى الحبيب نفسه ومزاحمتها القلب فى رؤيته، وغيرة القلب من العين سبب هناك فأما هنا فالغيرة كائنة بين الحبيب وشخص آخر، ولا شك فى قصور الثانى عن الأول وأن الأول عليه فضلا كبيرا، وذلك بجعله بعضه يغار من بعض وجعل الخصومة فى الحبيب بين عينه وقلبه، فأما الغيرة فى البيت الثانى فعلى ما يكون وما ألف أبدا، ولفظة « زنت » وإن كان ما يتلوها من إحكام الصنعة يحسنها، وورودها فى الخبر « العين تزنى » يؤنس بها، فلا تخلو من إدخال نفرة على القلب والنفس ؛ وحول هذا المعنى يقول شاعر :

تقول وفى قولها حشمة أتبكى بعين ترانى بها
فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها(١)

إلا أن الاستاذية تبد ظاهرة فى بيت ابن المعتز، فانه لا يكون أبلغ فى الذى أراد من تعظيم شأن الذنب من ذكر الحد وذلك لا يتم إلا بلفظة « زنت » ومن هذه الجهة يلحق الضيم كثيرا من شأنه (٢) .

وهكذا تجد جمال التعليل وجودة الحجاج والاحتجاج مما يصعد بفن ابن المعتز وصنعته فى مصاعد الجودة والاحسان .

---

(١) الابيات موجودة فى الصناعتين ومن المحاسن نسبتها لابن الرومى م ٣ ٥٤ هـ كما فى أزهار الرياض (٨٨ : ٣)
(٢) راجع ٢٦٠ أسرار

٤ ــ ويقول ابن المعتز فى البازى :

لا يتقيه هارب بفوت لاعيب فيه غير عشق الموت

فنجد تاكيدا المدح بما يشبه الذم يبلغ فيه الشاعر ما أراد من جودة وحسن صنعة .

ويقول فى صديق له :

عين أصابت وده لا رأت وجه حبيب أبدا مقبل

ويقول فى المعتضد :

ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتـــابع أيام الفتوح له

فنجد صورتين من صور الصنعة يبلغان فى البلاغة وجودة التصوير ودقة الاداء لمـــا يريد الشاعر أداءه من معان مبلغا كبيرا .

ويقول :

نطق اللئام فمن يقول ومن سبحانك اللهم يارب

حتى وحتى لست أذكرهم إنى لأكرم عنهم سبى

ويقول :

وجفاء الاخوان حتى وحتى سم ماشئت من حبيب قريب

ويقول يصف بازيا : مبارك اذا رأى فقد رزق .

ويقول : سقى الله اهل الحى وابلا سفوحا وقل لاهل الحى

فنجد بلاغة فى صنعة الايجاز ، وجمالا فى توشيته للأسلوب

ويقول :

يا مسكة العطار وخال وجه النهار

ويقول : ورضا لحظ مقلة بعد عتب

ويقول فى النجوم :

ركوع رهبان دير فى صلاتهم

ويقول :

وظلت تدير الراح أيدى جآذر عتاق دنانير الوجوه ملاح

فتجد جمالا فى هذه الإضافات مع تعددها ومع قبح هذا التعدد فى شعر كثير من الشعراء.

٥ — ويقول ابن المعتز :

دعونا ظالمين فما نكلنا وجئنا فاقترعنا بالصفاح

، صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدى سراع وأرجل(١)

، وإنا لنعطى الحق من غير حاكم ولو شئنا لمتنا مع الظلم

فيعجبك هذا الأسلوب الجيد أسلوب الاحتراس للمبالغة فى أداء المعنى المقصود كل الإعجاب .

ويقول :

لئيم إذا جاد اللئيم تخلقا يحب سؤال القوم شوقا إلى المنع

ويقول فى النحول :

ماذا ترى فى مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيته فما يطيق ضعفه حمل اسمه
فلا يراك عائدا إلا بعين وهمه

فتأخذك جمال هذه المبالغة بحسنها وجمال الصنعة فيها .

ويقول ابن المعتز فى استطراد :

ولقد شربت مدامة كرخية مع ماجد طلق اليدين حميد
علت بماء بارد فكأنما علت ببرد قصيدة ابن سعيد

وله فى الإيغال :

(١) ذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئا مما عندها من العدو فكانوا ظالمين لها ويشبه قوله « أضيع شيء سوطه إذ نركبه » ولو لم يقل ظالمين لجاز أن يفهم أنها إنما ضربت لبطئها فى السير كما عاد على امرىء القيس فى قوله: « فللسوط الهوب وللساق درة » ، فقالوا إذا أحوج إلى هذا كله فليس بسريع فقال ابن المعتز « ظالمين » تحرزا من هذا الطعن (٢٥٨ سر الفصاحة)

فأنتم بنو بنه دوننا ونحن بنو عمه المسلم

وله فى الآذريون :

آذريون أتاك فى طبقه كالمسك فى نشره وفى عبقه
قد نفض العاشقون ماصنع الهجر بألوانهم على ورقه(١)

٦ — وبعد فجميع هذه الألوان تنطق بمكانة ابن المعتز فى صناعة الشعر، ومنزلته فى فن البديع، وهيامه بمذهب الصنعة، وولوعه بمنهج الترف والرونق والجمال فى الأسلوب. وهو هيام اشتهر به ابن المعتز عند النقاد ودفعه إلى مادفعه اليه من صور الصناعة المتعددة الألوان الباهرة الحسن والاحسان المزدحمة فى البيت من الشعر، والتى تشابهت جميعا فى أنها كانت قريبة من الطبع قريبة من الشعور، فلم تحل بين الشاعر ورسم عواطفه والتعبير عن مشاعره ووجداناته، اللهم إلا حيث كان يتعمد الغوص فى بحار الترف ويستمد من شتى ألوان الملوكية وحياتها صور تشبيهات أثقلها بحلى الصنعة والزخرف إثقالا شديدا واستمد جمالها من جمال الفن الخالص

ولم يأت بعد ابن المعتز أحد يشبهه فى صنعته أو يضارعه فى مذهبه. والشعراء الذين أولعوا بالجمال الفنى وترف الاداء بعده مقصرون عن مداه ونازلون عن مكانته أو متأثرون به محتذون حذوه فى هذا الباب، وبحق ماقال ابن رشيق أنه قد «انتهى علم البديع والصنعة اليه وختم به»، فهو بحق خاتمة المصنعين والغاية الفذة التى وصلت اليها الصنعة فى الشعر العربى القديم.

بعض خصائص أخرى لأسلوب ابن المعتز :

١ — وبعد فأسلوب ابن المعتز فيه روح الشاعرية الموهوبة وتظهر فيه بوضوح شخصية ابن المعتز الاجتماعية والفنية، وهو يملك عليك عقلك وقلبك لما أودعه من جمال وبلاغة وعذوبة وسلامة وبساطة يمتاز بها ابن المعتز وهى من أهم خصائص أسلوبه فى شعره

(١) وبعده أسامة بن منقذ من الإطناب لأن البيت الأخير كل معناه أنه أصفر (٣٥١ لباب الآداب ط ١٩٣٥)

٢ — وأظهر سمة لأسلوب ابن المعتز هي المقدرة على الخلق الفني والابتكار في الأساليب والتجديد في صور الأداء، وظهور ملكات الشاعر بمظهرها البارع القادر على الاحساس والحياة والتجويد واختراع الصور الخاصة للمعاني والاغراض التي تمثل نفسيته وحياته وخصائص فنه الادبي وسمات مذهبه في البلاغة والبيان، والتي تمتلىء بالروح والشعور والحياة والوضوح والموسيقى مع دقة التصوير وجودة القريحة وجدة الخيال. فاللغة عند ابن المعتز ليست صورا جامدة ولا أساليب تقليدية وإنما هي حياة متدفقة تنطق بها الكلمات والتعابير في بساطة وتجديد، ولذلك كان له أساليب خاصة ينفرد بها وحده، وقد سبق ذكر كثير منها في شتى فصولنا الماضية، وأنت تقرأ له:

والصبا   تمتلىء   حاجة   وأملا

فتجد روحا تتحدث، وحياة تتدفق، وبيانا يصور أمامك حياة الشباب وآماله ولذاته. وتقرأ له:

بحياتي   يا حياتي   اشربي الكأس وهاتي

أو : نبهت ندماني فهبا   طربا إلى كأسي ولي

أو : والنجم في مغربه وسنان   والصبح في مشرقه حيران

فتجد أسلوبا بارعا، وسحرا نادرا، وجمالا فنيا يتدفق من صياغته، وحياة تتمثل في هذه الصياغة وذلك الفن، وتقرأ له في وجنة الحبيب حين يدني فاه منها محب وامق

تفاحة معضوضة   كانت رسول القبل

تناولت كفي بها   ناحية من أملي

وله يصف الساقي وقد قام ترنحه سنة الكرى:

وقام بكفيه بقايا خماره   وعيناه من خديه قد جنتا وردا (١)

وله : والنجم في حلة ليل يسرى

و : لما رأى في الليل فجرا يمشي

و : وشعره من ظلام   ووجهه من نور

---

(١) أخذه الخالدي فقال:

فقام وفي أعطافه فضل سكرة   وفي عينه من ورد وجنته بعض

و : يا ليلة سرقتها من دهرى

و : ووجنة كأنما يقدح منها الشرر

وتقرأ له كثيرا من أشباه ذلك فتجد صورا جديدة وخلقا فنيا ساحرا وملكة بيانية طيعة قادرة على تصوير مظاهر الحياة والشعور . ويعد بعض المحدثين من الصور الحية الدقيقة قوله ابن المعتز فى موقف التوديع :

ولما استمرت من دجى الليل دولة وكاد عمود الصبح بالصبح ينجلى
فلم تر إلا عبرة إثر عبرة مرقرقة أو نظرة بتأمل

فهو يصور موقف التوديع كما يكون فى الواقع بين الأحبة فهو نظر المتأمل وعبرة الباكى وبين ذلك صمت لايقطعه غير حديث العيون (١) .

٣ — وسمة أخرى فى أسلوب ابن المعتز هى الوقف غالبا بالسكون على المنون المنصوب (٢)، كقوله :

قدرت لى لحبذا هذا القدر وإن ملأت العين دمعا وسهر

وقوله : خل قلبى هكذا لاترد قلبى هم

وقوله : لم أبك ربعا مقفرا ولا طلل

وقوله :

وزوبعة من بنات الرياح تريك على الأرض شدا عجب

وسوى ذلك من الشواهد الكثيرة لهذا الباب فى شعر ابن المعتز .

٤ — ويكثر فى شعر ابن المعتز عدم استقلال كل بيت بمعناه ، بل يحتاج الأول إلى ما بعده ليتم الغرض الذى قصده الشاعر ، وكثيرا ما يكون محتاجا اليه فى تركيب الأسلوب أيضا ؛ فتراه يذكر المطيرة ويدعو لها بالمطر ويقول :

فطالما نبهتنى للصبوح بها فى غرة الفجر والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير فى صلاتهم سود المدارع نعارين فى السحر

ويقول :

---

(١) ١٤٥ الطبع والصنعة

(٢) وهى لهجة شائعة فى لغة ربيعة (١٣٣ : ٤ الاشمونى حاشية الصبان)

لما رأونا فى خميس يلتهب

وبعد ذلك بكثير يقول :

تترسوا من القتال بالهرب

ويقول :

هل لدنيا قد أقبلت نحونا دهراً فصدت وليس منا صدود
من معاد أم لا معاد لديها ؟ فاسل عنها فكل شىء يبيد

ويقول :

إن أكن قد عشت بعد أناس كان فيهم للمروءة ذخر

وبعده بأبيات يقول :

فعلى منهاجهم أنا ساع وورائى سائق مستمر

ويقول :

حاشا لشرة بل طوبى لعاشقها لو كانت الشمس تحكيها أو القمر
إذا لكان يرى فى كل ما طلعت شبه لها فيقل الهم والفكر

ويقول :

سقانى وقد سل سيف الصبا ح والليل من خوفه قد هرب
عقارا إذا ما جلتها السقا ة ألبسها الماء تاج الحبب

فتجده فى ذلك وفى كثير غيره مما تركناه اختصارا يجعل المعنى وحده أساسا فنيا لوحدة الأبيات ، فيجعل البيت الأول متصلا معناه بما بعده وقد يجعل الأسلوب نفسه فى صدر البيت أو وسطه مفتقرا فى التركيب إلى شىء فى البيت الثانى وذلك كله ليس عيبا عند علماء الشعر . انما المعيب تعليق قافية البيت وحدها بما بعده مما يسميه العرضيون «تضمينا» ، ومثاله فى شعر ابن المعتز :

وقد دت الحجر الظلاما تحسبها فى ليلها إذا ما
تنفس الصبح ولما يشتعل بين النجوم مثل فرق مكتهل

٥ — ويدخل ابن المعتز فى أسلوبه أحيانا كلمة « ذا » فتجده يقول :

أنت لا تحسنين وعدك هذا   كل من شاء أخلف الميعادا
ليس كل العشاق صبا ولكن   ذا حسام يقطع الأكبادا

ويقول فى تقبيل الحبيب .

لست أرجى غير ذا   يا ليت ذا قد دام لى

ويقول :

ألا ما لذا الليل لا ينقضى   كذا ليل كل محب طويل

ويقول فى حبه للسفر :

تسعدن الأقدار جهدى وإلا   لم أمت فى دار الحى موت النساء

ويقول :

كن جاهلا أو فتجاهل تفز   للجهل فى ذا الدهر جاه عريض

ويقول :

وقالوا النصول مشيب جديد   فقلت الخضاب شباب جديد
إساءة ذا باحسان ذا   فان عاد هذا فهذا يعود

وهذه هى الظاهرة الفنية الواضحة فى شعر المتنبي أيضا والتى آخذه عليها النقاد وربما كان مصدرها شعور الرجلين بالعظمة : عظمة ابن المعتز فى مجده وحسبه وتعاظم أبي الطيب فى نفسه وأدبه ، مما دعاهما إلى النظر إلى الأشياء بشىء من عدم الاكتراث والمبالاة ، والتعبير عنها بما يتلاءم مع هذا المزاج النفسى والشعور الغالب على نفس الشاعرين .

٦ — والسمة الأخيرة لأسلوب ابن المعتز هى غلبة القصص على فنه وشيوع الأسلوب القصصى فى شعره ، وخاصة غزله وخمرياته ، وأرجوزته فى ذم الصبوح قطعة فنية يشيع فيها أسلوب القصص الجميل ، وكذلك (ملحمته) التاريخية فى المعتضد ، وكثير من قصائده ومقطوعاته فن جميل ، وقصص طريف ، ومقالات

عذبة ، وحوار جيد . والسبب الأول فى ذلك راجع إلى حياته الخاصة وعيشته الاجتماعية التى جملته ينصت للمجتمع ويتحدث عنه ، وكثرة الجوارى والقيان والغلمان فى بيته وبيوت أسرته التى تدفعه إلى الحديث والحوار معهن فى حياته وفى وفى بيانه وشعره .

ألفاظ ابن المعتز :

١ — وألفاظ ابن المعتز تجدها فى كثير من الاحيان سلسلة سهلة وجميلة عذبة بعيدة عن التقعير والوحشية والغرابة ، وكان ابن المعتز يذم المتقعرين وينعى عليهم حبهم للغريب ، ويذم أبا الصقر الوزير فيقول :

يستعمل الغريب فى كلامه — وغامضات النحو فى كتابه

ويزجر الناس إذا تكلما — مفخما بجوهرا ملغصما

كأنه قحطان أو معد — وداره تهامة أو نجد

فينعى عليه حبه للغرابة والحوشية والظهور بمظهر البدوى أو المتبدى كأنه يسكن نجداً أو تهامة مع أنه حضرى مترف ومدنى غذى الرقة والسلالة وعذوبة الحياةوالتفكير .

وهذا المذهب — مذهب السهولة والسلاسة وترك الغريب من الألفاظ — كان سائداً فى القرن الثالث فى الشعر والكتابة ،وهو الذى أكثر النقاد — كالجاحظ وسواه — من الدعوة اليه بعد عصر ابن المعنى أيضا ، حتى قال ابن الاثير : وأما البداوة والعنجهية فتلك أمة قد خلت ومع أنها قد مضت وكانت فى زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن (١) ، ومع حب ابن المعتز لمذهب السلاسة والسهولة فى الأسلوب فقد كان أحيانا يحب إظهار ملكاته ومقدرته اللغوية التى أفادها من أستاذيه : المبرد وثعلب ، فينظم بعض القصائد يحشوها بالألفاظ العربية كما ترى فى جيميته « حث الفراق بواكر الاحداج » ، وفى

(١) ٦٨ المثل السائر

بعض قصائد أخرى وأبيات مفرقة فى شعره .

٢ — وألفاظه عربية إلا فى القليل النادر حين ذكر بعض الألفاظ الاعجمية فى شعره تظرفا واستعملها فى الندرة وعلى سبيل الخطرة ، كما فعل الاعشى قديماً وأبو نواس حديثا (١) ، وكان الشعراء يتملحون بأن يدخلوا شيئاً فى شعرهم من كلام الفرس كما فعل العمانى والعذافر الكندى وأسود ابن أبى كريمة ويزيد بن مفرغ (٢) .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وما زلت قديما فرسا فيه ففرزنتا

ويقول :

وخـــده من در مزرر التـلويز
كأنه فرنيـــة كثيرة الشونيز(٣)

ويقول :

ومقرطق يسعى إلى الندماء بعقيقة فى درة بيضاء (٤)

وقوله من أبيات يذم بها بغداد :

وحيطان كشطرنج صفوف فما تنفك تضرب (شاه) ماتا

ويقول :

أما ترى أربعا للهو قد جمعت جنك وعود وقانون ومزمار

ويكثر فى أوصافه من ذكر الآذريون والنيلوفر والنرجس وكثير من هذه الأسماء المعربة .

٣ — وفى ألفاظ ابن المعتز بعض أسماء اصطلاحية استعارها من الفلسفة

---

(١) ١٠٧ : ١ العمدة

(٢) راجع ٨١ : ١١٠ : ١ البيان

(٣) التلويز : الحشو باللوز . الفرنية : الرغيف الغليظ ، الشونيز : الحبة السوداء

(٤) المقرطق : لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد

والكلام وشتى العلوم ، ويقول ابن رشيق : « والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر فإن وقع فيه شيء منهما فبقدر ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكأ واستراحة وإنما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع (١) » ، وينهى بشر بن المعتمر فى وصيته فى البلاغة من استعمال ألفاظ المتكلمين (٢) ، قال الجاحظ . وقد تحسن هذه الألفاظ فى مثل شعر أبى نواس وفى كل ماقالوه على جهة التظرف والتملح(٣) . ونجد لابن المعتز من ذلك كثيرا من الأبيات كقوله :

خرج كثير ودخل نزر فلم لا أعزى
فالخرج لا يتناهى والدخل لا يتجزى

وقوله فى أبى الصقر يذمه فى أرجوزته فى المعتضد :

وذكر السعود والنحوسا والجوهر المعقول والمحسوسا

ويذكر لفظ الفقيه فى الغزل فيسمج وينزل عن الإحسان حين يقول :

ألا تسألون الله برء متيم تمكن منه السقم فى اللحم والدم
وقد(سألوا(٤))غيرالفقيه بأمره ومن يلق مالاقى من الناس يعلم

أخطاء فى ألفاظ الشاعر وأساليبه :

ومع ذلك كله فابن المعتز يقع أحيانا كثيرة فى خطأ مقيت فى صياغة ألفاظه وأساليبه مما نعدد لك كثيرا منه الآن .

١ — قال

ما على الناصح أن ينتهى من جهلا

وقال فى كلب الصيد :

وهوى اذا عرى لصيد فاضطرب عروا سكاكينهم من القرب

وهو خروج عن المألوف من قواعد النحو الأولى ، وكان الصواب . « عرى

(١) ١ : ١٠٧ العمدة
(٢) ١ : ١٠٦ البيان
(٣) راجع ١٠٨ : ١ البيان
(٤) فى الديوان « وقد تيدوا » ولا معنى له .

وينتهيَ ، لولا ضرورة الوزن التى أوقعته فى ذلك .

ويقول فى الحمام :

وقد علون غير مكرمات منابرا ولسن خاطبات

ويقول :

مالى أرى ديباج خدك أصفرا ونرجسى عينيك ذابلتين

ويقول : أبى الله إلا كل ما سر أحمدا .

بتنوين هذه الأسماء وهى لا تستحق التنوين لأنها ممنوعة من الصرف .

ويقول فى عمه ابن المتوكل :

يعرفن المعروف طبعا ويثنى بيد الجود فى عنان الثناء

والتأكيد هنا لايدعو إلى وجوبه أو استحسانه شىء .

وهذه كلها أخطاء ترجع إلى النحو وقواعده .

ويقول ابن المعتز :

كنت امرأ من الأنام معتزل على ستر دون دمى منـدل

بتشديد نون « دمى » للوزن ، وتشديدها خطأ لغوى واضح .

ويقول :

أثمرت أغصان راحته لجناة الحسن عنـابا

فعدى « أثمرت » ، وقد أنكره صاحب الدمية (١) .

ويقول :

أين مسك من حمأة وبحور من بحار وصفوة من قذى؟

البحور والبحار : جمع بحر وهو الماء الكثير أو الملح فقط فالتفرقة بينهما لغويا غير معروفة ، وصفوة الشىء : ما صفا منه ، وهنـا فى البيت لا يريد الشىء الموصوف بالصفو وإنما يريد الصفو نفسه .

ويقول :

---

(١) راجع ٣٢١ الريحانة للشهاب الخفاجى .

لا ويوم الرقيب وقت التلاقى وارتداء الاثنين بالاعتناق

فقطع همزة الوصل .

ويقول :

فمن قد بكى شجوه الأصدق ومن زار صاحبه الأشوق

والصواب « الاشد شوقا » . لأن هذه المادة لا يصاغ منها أفعل التفضيل .

ويقول :

مرت بنا سحر طير فقلت لها طوباك يا ليتنا إياك طوباك

عابوا عليه قوله «طوباك» قالوا وصوابه طوبى لك ، قال الشهاب الخفاجى(١) : وفيه نظر عندى فإنه إذا استعمل لفظ فى كلامهم على وجه من الوجوه ثم استعمل على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يعد خطأ ، فإن اللام هنا مقدرة والمقدر فى حكم الملفوظ .

٣ — ويقول ابن المعتز :

وسط غاب وأيكة يتغنى فوق أغصان أيكها القمرى

فأيكها حشو غير مقبول .

ويقول فى البازى :

كأنه لما غـدا والصبح لم يفبلج

قائد جيش جحفل سار لقبض المهج

و « جيش جحفل » من الحشو المذموم .

ويقول فى الراح :

تخرج من دنها وقد حدبت مثل هلال بدا بتقويس

وهو تشبيه رائع وإن كان قوله « بدا بتقويس » حشو لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا كذلك .

ويقول :

---

(١) راجع ٣٢٢ الريحانة .

ويبرز للرائين وجها كأنه   كساه أبوه من قشور الخنافس

وشتان بين هذه القشور والقشور التى ذكرها فى قوله الراح :

موج من الذهب المذاب تضمه   كأس كقشر الدرة البيضاء

وإن كان الأول يناسب غرض الشاعر من الذم والثانى يناسب قصده من الوصف الجميل .

ويقول :

ولقد أصابنى الزمان ببؤسه   ونعيمه ففنرت ذاك لذاك

فنجد أسلوبا ركيكا ولفظا سخيفا .

ويقول :

موتى كذا ألم الهوى   لكن صبرى لا يكون

ويقول :

لما أتتنى رسله بالرضا   أنسيت ما مر على رأسى

ويقول :

وحويت بنت وزارة   كالشمس حين طلوعها

فترى عامية وابتذالا وسخفا وقبحا شديدا .

ويقول :

ياليلى بالكرخ دوى هكذا   ياليلتى لاتذهبى لاتذهبى

ويقول :

عناء المحب طويل طويل   وصبر المحب قليل قليل

فنجده يبعد فى هذا الأسلوب عن الإحسان والجمال الذى امتاز بهما عن سواه من الشعراء .

هذا ومن خطأ ابن المعتز قوله فى المكتفى(١) :

فلقد أصبح أعدا   ؤك كالزرع الحصيد

ثم قد صاروا حديثاً   مثل عاد فى ثمود

---

(١) ذكر هذا النقد هنا عرضا وتتميما للفائدة وإن كان متصلا بالمعنى أكثر من اتصاله بالاسلوب

يريد كحديث قوم عاد فى قوم ثمود . وهذا المعنى مع دقته قبيح ، لان حديث عاد وسوء فعلهم وقبيح مصائرهم قد صار حديثاً على مر الاعصار ، فالتخصيص بأنه صار حديثاً فى ثمود لا داعى له ولا قيمة لذكره وكان الأبلغ أن يقول : مثل عاد وثمود وكان ذلك يرتفع بالاسلوب وبلاغته إلى حد كبير .

وبعد فهذه خاتمة حديثنا عن أسلوب ابن المعتز والفاظه وسنلحق به الكلام على أوزانه وقوافيه

أوزان ابن المعتز وقوافيه :

١ — نظم ابن المعتز على شتى الاوزان المألوفة عند العروضيين ، وأكثر من النظم على الاوزان الخفيفة السهلة التى تلائم الغناء والترف وموضوعات قصائده وسلس معانيه ، كمجزوء الرجز ، والمديد ومجزوئه (١) ، والوافر ومجزوئه ، والمنسرح ومجزوء الكامل والبسيط ، والسريع ، والمتقارب ، والرمل ومجزوئه كقصيدته :

منزل أقوى لسلمى وربوع تمذر الانفاس فيه والدموع
ولقد كنت أراها آهلا وكذاك الدهر يعصى ويطيع

وهو هنا يجعل العروض صحيحة فى كل أبيات القصيدة ، مع أنها لا تجىء فى الرمل إلا محذوفة ، فتكون ، فاعلاتن ، فى عروض الرمل ، فاعلن ، بحذف السبب الخفيف ، ولا تجىء فاعلاتن فيه غير محذوفة إلا للتصريع فى أول القصيدة ، كما نظم على الخفيف ومجزوئه كثيرا كقوله :

طال وجدى وداما وفنيت سقاما

فالقصيدة من مجزوء الخفيف والضرب مجزوء مخبون مقصور والعروض مثله تصريعا ، ولكن ابن المعتز يلتزم ذلك فى أعاريض هذه القصيدة ، وهو خروج على الصحيح من قواعد الاوزان فى الشعر .

---

(١) ومما نظمه على مشطور المديد قوله :

خان عهدى وظلم جائر فيما حكم — الخ

ويقول الصاحب : كنت أقرأ على ابن العميد شعر ابن المعتز متخيرا الانفس فالانفس فابتدأت قصيدة على المديد الاول فرسم تجاوزها ، وقدرته يستفظها ولا يرضاها فسألته عنها فقال : هذا الوزن لا يتهم طلبه للمحدثين فى جيد الشعر ، فتتبعت عدة قصائد على هذا الضرب فوجدتها فى نهاية الضعف (ص ٧ الكشف عن مساوىء شعر المتنبى)

وقصيدة ابن المعتز :

فك حر الوجد قيد البكاء فاعذريني أولا فوقي بدائي

ومنها :

زمن مر قد مضى بنعيم وصباح غافل ومساء

تجدها مختلطة الوزن تتردد بين الخفيف والمديد فى شتى أبياتها وقد يكون ذلك من خطأ الديوان ، ولعل ذلك تحريف من الناسخين والناشرين لديوانه ، والبيتان المذكوران وكل أبيات القصيدة تسير على هذا الاضطراب . والصواب فى البيتين حذف « لا » و « قد » ليتلاءما مع وزن المديد .

وهكذا نظم ابن المعتز أكثر شعره على الأوزان السهلة التى تصلح للغناء وحياة الترف التى كان يحياها الشاعر .

٢ والقافية أساس الشعر العربى وعنصر من عناصره وهناك لغات لا تعرفها مطلقا كما فى الشعر اللاتينى واليونانى ، ولغات أخرى تشتمل عليها وتخلو منها أيضا كمعظم اللغات الأوربية الحديثة .

وكان ابن المعتز يلتزم غالبا فى شعره القوافى السهلة ، ومع ذلك نجد له الكثير من القوافى على الجيم والصاد والشين والضاد والزاى والطاء والغين ، مما يصعب النظم عليها إلا على القادرين من الشعراء . وإذ كان المتنخل الهذلى الشاعر المحسن صاحب الطائية التى يقول منها :

كأن مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السياط

والتى يقول الأصمعى فيها إنها أجود طائية قالتها العرب(١)، فإن طائية ابن المعتز :

ألا تريان البرق ما هو صانع بدمعة صب شفه النأى والشحط

تعد من أجمل القصائد المنظومة على هذه القافية الصعبة وفى شعر ابن المعتز بعض الأخطاء فى القافية نذكرها فيما يلى .

قال ابن المعتز :

يحسب ظلمى ويحه سكرة وليس يدرى أن ظنى حنظلة

---

(١) ١٧٩ المؤتلف

وهو رجز سار فيه على التزام اللام والهاء، فقوله سكرة خطأ واضح .

ويقول ابن المعتز من قصيدة عينية له مكسورة الروى :

وان الجديدين الذين تضمنا حياتى بأحداث إلى سراع

فسراع بالضم خبر ان مع أن القافية مكسورة، فيكون فى البيت اقواء لاختلاف حركة الروى بالكسر والضم .

ويقول ابن المعتز فى المعتضد :

أفنى العداة إمام ماله شبه ولا ترى مثله فينا ولم تره
ضار إن انقض لم تحرم مخالبه مستوفز لاتباع الحق منتبه
ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

الهاء هنا قد تحرك ما قبلها فهى صلة وماقبلها يجب أن يكون رويا ملتزما، ولكن ابن المعتز لم يلتزمه هنا حين أتى بالراء وبالياء وباللام خطأ وظنا منه أن القافية هى الهاء لا ما قبلها، وهذا مخالف لقواعد علم القافية , ووقع فى مثل هذا الخطأ أيضا فقال يصف كلاب الصيد فى أرجوزة

إن خرجت من قدها لم ترها
الا وما شاء من الصيد لها

وقد وقع ابن المعتز فى الايطاء، وهو من عيوب القافية مما لا داعى لذكر مثله

٣ — وابن المعتز يجيد فى القصائد وفى المقطوعات(١)، وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصرا فى القطع عن رتبه القصائد (٢) . وابن المعتز لا يطيـــل فى كثير من قصائده اللهم إلا فى ارجوزته فى المعتضد وأرجوزته فى ذم الصبوح .

وكان فوق ذلك من المجيدين فى الأراجيز والمشهورين بها والمتفوقين المطيلين

---

(١) راجع ٦٣ : ١ العمدة حيث عده ابن رشيق مع المشهورين بجودة القطع وكان ابن الرومى مجيدا فيهما (٦٤ : ١ العمدة)

(٢) ١٦٣ : ١ المرجع، ولكن أبا تمام يشهد لنفسه بالاجادة فيهما

سبقت حتى اقتطفت دونهم ماشئت من ٨٤ ومن قطعه

فيها(١)، وديوانه مملوء بالأراجيز الطوال الجيدة ، ومن أشهرها أرجوزته في الخليفة المعتضد وهي نحو ٤٢٠ بيتا ، وأرجوزته في ذم الصبوح وهي نحو ١٢٠ بيتا وهي حوار مع صاحب له يستحسن الشراب في الصباح فيذمه ابن المعتز فيه . وطرده - إلا القليل جدا من - الأراجيز .

وبعد فهذه خاتمة حديثنا عن أسلوب ابن المعتز وألفاظه وأوزانه وقوافيه ويتلو ذلك الفصل الخامس في الكلام على أخيلته ومعانيه .

(١) كان الشعر كله رجزا وقطعا ، وقصد على عهد هاشم بن عبد مناف على يد مهلهل وامرىء القيس قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين سنة (١٦٤ : ١ العمدة ، ١٤ : ٣ الرافعي) . وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلي شيئا يسيرا وكان على عهد النبي ثم أتى العجاج بعده فافتن فيه الاغلب والعجاج والأغلب في الرجز كمهلهل وامرىء القيس في القصيد (١٦٤ : العمدة) ، فالأغلب أول من أطال الرجز (٢٣٥ الشعر والشعراء)

الفصل الخامس

أخيلة ابن المعتز ومعانيه

(١)

الخيال فى شعر ابن المعتز :

١ — الخيال ملكة خصبة تقتدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف والآراء تخيلا وتصورا يوضح لنا نواحيها الغامضة ويعرض علينا مافيها من أسباب الروعة والجمال عرضا مؤثرا تحسبه حقيقة او كالحقيقة الملموسة : يأخذ الشاعر الأشياء المألوفة التى يراها الناس ويحسون بها جميعا ثم يعمل فيها خياله فيخرجها فى صورة جديدة لم نكن نتوهمها ، فليس الخيال دائما مجافاة للحقائق وبعدا عن المألوف وقدرة على الإغراب والإتيان بما لا يكون ، بل المهم أنه مرآة تنطبع فيها الصور فيعكسها وقد صفاها من كل شائبة وأخرجها إخراجا جديدا. والخيال خادم للحقيقة وغايته تصوير ماحجب عنا من حقائق الوجود ، وهو فى حسن اختيار التفاصيل المميزة وحركة الذهن فى انتقاء هذه التفاصيل وضم بعضها الى بعض وترتيبها ، فالشاعر يشعر بما حوله ويعتاد الملاحظة الدقيقة فى الحياة المحيطة به بما يتصل بالإحساس والشعور والعاطفة والتفكير ويلاحظ ذلك جملة وتفصيلا فتسجله ذاكرته بدقة ثم يركز ذلك فى ذهنه وأعماق شعوره تركيزا تاما ويأخذ فى الغوص فى أغوار الذهن على التفاصيل ودلالاتها ، مستغرقا فى نشوته الروحية ، وفى تأملاته وتصوره وتخيله استغراقا تاما يساعده على نشر المطوى من الملاحظات وإظهارها فى فن جميل وآية من سحر القريض ، وهذا الاستغراق وتلك النشوة والغبطة بالتعبير عن النفس يفجران ينبوعا من القوة الباطنة يلهم

الشاعر روائع الشاعرية وآثارا من الفن والجمال ، فمادة الشعر الأولى فى العواطف الانسانية من حب وحزن وأمل ويأس وغير ذلك مما يشعر به الشاعر ويحس به الإنسان .

وهذه العواطف هى الينابيع الصادقة للشعر (١) ، وهى التى يعمل الخيال عمله لتصويرها ويسعى ليركب الصور المودعة فى العقل الباطن ومشاهده ليصوغها فنـا شعريا يعبر عنها ويوضح ما خفى منها ، فليس الشعر صورا وألفاظا وعبارات إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال صناع وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة فى صور من الألفاظ والأساليب ، وجمال الشعر وروعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة وقدرة الخيال على تصويرها ، فاذا كانت صور الخيال غير محكمة إحكاما شديدا أو ناشئة عن عاطفة سقيمة أو سطحية كان الأثر الأدبى متكلفا مصنوعا لاحظ له من التقدير ، وإذا كان عمل الخيال محكما وإحساس العاطفة قويا نال حظه من الجودة والأعجاب ، والخيال إذا كان عمله وتأليفه لصور جديدة اختيرت عناصرها من بين الحقائق والمشاهدات المبعثرة المخزونة فى الذاكرة وألفت تأليفا جديدا سمى خيالا مبتدعا. ونهاية هذا الحديث أن هناك صلات وثيقة بين الخيال والعاطفة فهو الذى يصورها ويبعثها قوية مؤثرة ، وقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، فإذا كانت صادقة قوية خلقت خيالا رائعا ، وإذا أردنا الأدب قوة وخلودا فعلينا أن ننمى بتهذيب الشعور ليكون إدراك الشاعر للحياة صادقا عميقا وآثاره الأدبية جليلة رائعة ، وخياله الأدبى موهوبا ملهما ، فالخيال أنفع المواهب والملكات فى فن الشعر لأنه المعبر عن العاطفة واللغة الطبيعية لأداء الانفعالات والعواطف الانسانية .

٢ — والخيال فى شعر ابن المعتز يقظ مشبوب يعتمد على إحساس الشاعر

---

(١) والقدماء من النقاد يختلفون فى مادة الشعر اختلافا كبيرا ، فالجاحظ يراها فى الأسلوب والنظم كما يدلنا على ذلك قوله : والمعانى مطروحة فى الطريق وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ وجودة السبك فانما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٤٠ : ٣ الحيوان) ، وعلى رأى الجاحظ يسير عبد القاهر فى الدلائل ؛ أما قدامة فيرى أن مادة الشعر هى المعانى (١٤ نقد الشعر) والآمدى وابن خلدون يريانها فى الالفاظ (١٨٣ الموازنة ٥٧٧٠ مقدمة ابن خلدون)

وشعوره بالحياة اعتماداً كبيراً ، وهو خيال واقعي يستمد من صور الوجود وألوان الحياة ومظاهرها كل ما يريد من معنى ووصف . ويعنى بالمشاهدات والمحسات من الأشياء خاصة ، ذلك أن ذهن ابن المعتز كان مفعماً بصور شتى لألوان الحضارة والعيش في عصره ، وكان في هيام شديد بهذه الألوان والمشاهدات ففاضت هذه الصور والألوان التي أثرى بها خياله وتصوره على صفحات شعره ، فملكة الخيال عند ابن المعتز شديد الاتصال بحسه المادي وهو قوي الحس قوي الشعور بما يحسه ويلمسه من أشياء. قوة اتصال الخيال بهذا الاحساس والشعور ، شديد الاعتماد على حواسه فيما يؤلفه تخيله من الصور الشعرية ، فهو يرى الهلال لا كما يراه كل الناس قوساً صغيراً من الضوء يبدد ظلام السماء ويزداد على مر الليالي سعة وضوءاً ولكنه يراه ويتخيله في صورة يركبها خياله مما ألفه في حياته وبيئته من أشياء ومشاهدات. يتخيله زورقاً فضياً لا يطفو منه على سطح الماء إلا جزء صغير شبيه بقوس الهلال، لأن هذا الزورق مثقل بحمولة عنبر تدفع به إلى باطن الماء لولا ما يؤثر على الأجسام الطافية على سطح الماء من قوانين ونواميس ، أو يتخيله في صورة منجل فضي يحصد من زهر الدجى نرجساً كما يقول أو يزرق أحشاء الظلام كما نقول . والناس إذا استطرفوا زورق ابن المعتز الفضي الذي شبه به الهلال أو أعجبوا به ، فسبيلهم سبيل من يعجب بأمل ان يظفر به وان يحصل عليه ولو أتيح له مرآه لا تيحت به السعادة ونعمة البال ولعمري ما حدث ابن المعتز نفسه بأن يرى على ضفاف دجلة يوماً ما زورقاً من فضة تثقله حموله عنبر إنما ذلك حديث الخيال وزخرفة التصور والتصوير (١) ، وهو قد استعمل الاصباغ الحسية في وصفه وتصويره ،وآثرمنها الاصباغ التي تكثر مشاهدته لها في قصور الخلفاء والأمراء من أسرته . ويرى ابن المعتز القمر قد بدا منه نصفه فلا يشعر به كما يشعر به كل الناس ، ولكنه يشعر به شعوراً خاصاً . ويتخيله خياله في صورة بجرفة العطر كما يقول :

في قمر مسترق نصفه كأنه بجرفة العطر

ويرى الحمام وحواصله فيستحضر خياله لها صورة يستمدها مما ألف وشاهد وأحس به من آلات عيشه وحياته ويشبهها بصرار اللؤلؤات كما يقول «كأنها صرار لؤلؤات» : ويشاهد ليمونة فيتخيلها كافورة لها غشاء من الذهب حيث يقول :

---

(١) راجع ٢١٠ تجديد ذكرى أبي العلاء ط ١٩٣٧

كأنها　كافورة　لها غشاء من ذهب

ويرى كلبة الصيد وهى تتمطى وتثب على ماتريد أن تصيده فيصورها فى هذه الحالة بصورة جان :

وكلبة　غدا بها　فتيان　أطلقهم من يده الزمان
كأنها　إذا　تمطت　جان　والنجم فى مغربه وسنان

والصبح فى مشرقه حيران

إلى غير ذلك من شتى صوره التى يبرزها خياله فى صورة مادية تتصل ألوانها وأشكالها بشعور الشاعر وحياته وبيئته وثيق الاتصال .

وحين تتكاثر هذه الألوان المادية التى يصبغ بها الشاعر أوصافه وتزدحم فى البيت الواحد يخيل اليك أنك أمامها فى معرض من الصور التى قلما أخرجها وأبرزها خيال شاعر ، وتكاد تحس بأثر الفن الخالص الذى لا أثر للعاطفة والشعور فيه لأن كثرة الألوان والاصباغ والصور غطت على شخصية الشاعر وشعوره فى فنه ، واستنفد تخيلها وتركيبها والمجهود الذى بذل فى صياغتها ونشرها كل نشاطه .

وبعد فان ابن المعتز كثيرا ما كان يلون خياله بصور من التشبيه والاستعارة ليسمو بمعانيه الى إلهام الفن وحقائق الخيال ، ولينزع بشعره دائما نحو إجادة التصوير والبراعة فى الوصف .

(٢)

معانى الشعر فى أدب ابن المعتز .

(١) ولابن المعتز مكانة ظاهرة فى معانى الشعر تعادل مكانته فى باب الاساليب .

نحن نعلم مكانة امرىء القيس فى معانى الشعر فقد اخترع كثيراً منها مما ذكر ابن رشيق بعضا منه فى باب المخترع ، وبذلك فضل ، لأن الذى فى شعره من دقيق

---

(١) ٢٣٢ : ٢ العمدة .

المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعراء فى الجاهلية والإسلام. ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرء القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر شعراء أهل زمانه . ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا فى تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير وأول من قال قيد الاوابد الخ فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه (١) » . وللشعراء الاسلاميين كثير من المعانى التى ابتكروها ، وفى أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التى لايقع مثلها للقدماء إلا فى الندرة القليلة ، ثم أتى بشار وأصحابه فزادوا معانى ما مرت قط بخاطر جاهلى ولا مخضرم ولا إسلامى » (٢) ، وكان بشار يهتدى إلى حقائق فى الوصف لا يبلغها تمييز المبصر (٣) ، وسئل : بم فقت أهل عصرك وسبقت أبناء عصرك فى حسن معانى الشعر وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ما تورده على قريحتى ويناجينى به طبعى ويبعثه فكرى ونظرت إلى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت اليها بفكر جيد وغريزة قوية فأحسنت سبرها وانتقيت حرها وكشفت عن حقائقها(٤) .

ومعانى أبى نواس واختراعاته كثيرة(٥) ويقولون :

كانت المعانى مدفونة فأثارها أبو نواس(٦) ، ويجعله أبو عبيدة فى المحدثين مثل امرىء القيس فى المتقدمين لأنه فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعانى (٧) . وأكثر المولدين اختراعا وتوليدا أبو تمام وابن الرومى (٨) ، فأبو تمام أكثر

---

(١) ١٨٠ الموازنة
(٢) ٢٢٦ : ٢ العمدة
(٣) ١٦١ : ١ البيان
(٤) ٢٣٧ : ٢ العمدة ، ١٥٠ : ١ زهر
(٥) ٢٣١ : ٢ العمدة
(٦) ٦٤ أخبار أبى نواس لابن منظور
(٧) ٢٠٩ : ٧ مهذب الأغانى
(٨) ٢٣٥ : ١ و ٢٣١ : ٢ العمدة

الشعراء المتأخرين ابتداعا للمعانى (١) ، بل هو رب المعانى (٢) ، وكان شغوفا بشعر مسلم وأبي نواس (٣) ، وله استخراجات لطيفة ومعان طريفة (٤) ، ولا يدفع عن لطيف المعانى ودقيقها والابداع والإغراب فيها والاستنباط لها (٥) ، وكان كثير الأخذ من ديك الجن (٦) وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر، وأراد المتنبي أن يسلك مسلكه فقصرت عنه خطاه (٧) ، وكان ابن الرومى ضنيناً بالمعانى حريصاً عليها كثير التوليد (٨) لها ، وكان أكثر الشعراء اختراعا (٩) ، وكان ممن يؤثرون المعنى على اللفظ فيطلبون صحته ولا يبالون حيث وقعوا من هجنة اللفظ (١٠) ، وهو أولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه (١١) وكان من محققى معانى الشعر والمجودين فى القصير والطويل وكان أقل أدواته الشعر (١٢) ، وكان أدبه أكثر من عقله وكان يتعاطى علم الفلسفة (١٣)

(ب) وقد ورث ابن المعتز هذه الثروة الشعرية فى المعانى وحفظ الكثير منها وأخذه فى شعره كما ابتكر معانى كثيرة وولد توليدات عجيبة تشهد بحذقه وفطنته وثقوب ذهنه وترفع من منزلته بين المحدثين من الشعراء ، ومعانيه تتصل بنفسه وحسه وحياته وكثيرا ما يكون فيها دقيق الفكرة بعيد المنزع محكم التصوير مجددا حينا ومقلدا محتذيا أحيانا أخرى

---

(١) ١٢٥ المثل السائر
(٢) ٦ الابانة للعميدى
(٣) ١٢٤ طبقات ابن المعتز ، ٣٢ رسائل ابن المعتز ، ١٠٦ إعجاز القرآن
(٤) ٩٦ أخبار أبي تمام للصولى ، ١٢ رسائل ابن المعتز
(٥) ١٨٠ موازنة
(٦) ٥٦ : ١ و ٣١٦ : ٢ ديوان المعانى
(٧) ٣٠٢ المثل السائر
(٨) واجع ٢٢٦ : ٢ العمدة
(٩) ٢٣٢ : ٢ العمدة
(١٠) ١٠٦ : ١ العمدة
(١١) ٢٥٥ : ١ العمدة
(١٢) ٢١٤ : ٤ المسعودى
(١٣) ١٦١ رسالة الغفران

(ح) وهو حين يأخذ معانى الشعراء قبله يأخذها غالبا بحذق ولطف وصفاء طبع وعذوبة لفظ وحلاوة أسلوب ، مع استكمال شروط الاخذ إذا لحظ المعنى البديع ، واستيفاء حدود الاحتذاء إذا نقله إلى صورة أخرى وكساه لفظا غير اللفظ الذى كان فيه ، مع غوصه الدقيق فى سبيل ذلك دان مايستصفى ماؤه ورونقه. وقد مضى حكم النقاد بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أن يجعل السبق لاقدمهما وأولهما موتا وينسب الاحتذاء إلى المتأخر (١) . ولا يعلم فى الأرض شاعر متقدم فى تشبيه مصيب أوفى معنى غريب عجيب أو فى ومعنى شريف كريم ، أو فى بديع مخترع ، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده إن هو لم يقدر على لفظه فيأخذه فانه لايدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكافيه(٢) فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تبادل المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم على أن المعانى مشتركة بين العقلاء وإنما تتفاضل الناس فى الألفاظ وتأليفها (٣) ، والمخترع معروف له فضله غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده فهو أولى به فأما ان ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه وضعف قدرته (٤) ، ويقول أبو العتاهية :

ان خير الكلام ما يستعير الناس منه ولم يكن مستعارا

ويجعل البحترى الاحتذاء فى الأسلوب سرقة وأخذا وان اختلف المعنى(٥) والسرقة إنما تقع فى البديع النادر والخارج عن العادة (٦) والذى ليس للناس فيه اشتراك (٧) وقد تشترك الجماعة فى الشىء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى لها دون

---

(١) ١٠٠ أخبار أبى تمام للصولى ، وراجع فى ذلك ٢٧٦ : ٢ العمدة
(٢) ٩٦ : ٣ الحيوان .
(٣) ١٨٩ صناعتين.
(٤) ٢٧٤ : ٢ العمدة .
(٥) راجع ١٦٦ : ٣ زهر .
(٦) ١٤ قراضة الذهب لابن رشيق .
(٧) ٢٣ موازنة

غيره فيريك المشترك المبتذل في صورة المخترع (١) ، فالمشترك العامي قد يصير خاصيا إذا غيرت صورته وهذبت طريقته (٢) ، ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في اضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقـدمه ولا يفتضح به (٣) ، على أن كثيرا من أعلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوىء الشعراء وخاصة المتأخرين إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر (٤) .

وسنحاول استقصاء معاني ابن المعتز التي وجدته قد أخذها من الشعراء قبله أو احتذاهم وتأثر بهم فيها رغم مافي ذلك من مشقة الدراسة وعنت البحث وإجهاد الفكر والتفكير والنقد وكثرة الاستقصاء لأشعار ابن المعتز وأشعار القدماء ، فلقد كان ابن المعتز كثيرا ما يأخذمن الناس ويستمين فيحسن ، وكثيرا ما يتكىء على نفسه (٥) ، وقد مضى كثير من هذه المعاني التي أخذها من الشعراء وسأكتفي الآن بذكر بعض معاني ابن المعتز التي احتذى فيها الشعراء .

١ — قال امرؤ القيس يصف كثرة شعر محبوبته : « تضل العقاص في مثنى ومرسل » .

وقال ابن أبي ربيعة ،

مثل الأساود قد أعيا مواشطه تضل فيه مداريها وتنكسر

فقال ابن المعتز في وصف الشعر وطوله :

دعت خلاخيلها ذوائبها لجئن من قرنها إلى القدم

ومن المبالغة المشهورة قول امرىء القيس ،

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

أخذه حسان فقال :

---

(١) ١٥٠ وساطة .
(٢) ٢٩٥ أسرار البلاغة .
(٣) ٢٤ رسائل ابن المعتز .
(٤) ١٣١ الموازنة .
(٥) ١١٣ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

لو يدب الحولى من ولد الذ ر عليها لأندبتها الكلوم

وتناول ابن المعتز هذا المعنى فقال :

رق فلو مرت به ذرة في رجلها نعل من الورد
لازقت ديباجتى خده من غير أن جازت على الخد

فبالغ أشد مبالغة وتجاوز الحد فى المعنى .

وقال امرؤ القيس يصف بقايا أطلال أحبابه :

كما خط عبرانية بيمينه بتيماء حبر ثم عرض أسطرا

أخذه ابن المعتز فقال يصف ظعائن أحبابه :

بدت فى بياض الآل والبحر دونها كأسطار رق أمرض الخط كاتبه

فأوضح العبارة وأبرز المعنى ، وقول امرىء القيس عرض أسطرا ، ليس من العرض خلاف الطول ولا العرض الذى هو الناحية ولكنه من التعريض كأنه أدق السطور فصار كأنه معرض خفى لم يظهر ولم يصرح .

وقال امرؤ القيس :

فقمت بها أمشى تجر وراءنا على إثرنا أذيال مرط مرحل

فيه تكلف لأنه قال ، وراءنا على أثرنا ، ولو قال على إثرنا لكان كافيا — فضلا عما فى الاضافة المتتالية لضمير واحد هنا من البغض — فلذيل إنما يجر وراء الماشى فلا فائدة لقوله ، وراءنا ، ، وتقدير الكلام ، فقمت أمشى بها ، وهذا أيضا ضرب من التكلف ، وقوله ، أذيال مرط ، كان سبيله أن يقول ، ذيل مرط ، ، وقد روى ، على أثرينا ذيل مرط ، . وقد قال ابن المعتز ما هو أحسن من بيت امرىء القيس ، وهو قوله :

فبت أفرش خدى فى الطريق له ذلا وأسحب أذيالى على الأثر

٢ — وقال قيس بن الخطيم ،

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا (١)

---

(١) الملاحى : عنب طويل أبيض . نور الزرع : أدرك ، ونور التمر : خلق فيه النوى . وفى البيانة (ص ٨٥) البيت منسوب لأبى قيس بن أبى الاسلت .

فقال ابن المعتز :

كأن الثريا فى أواخر ليلها تفتح نور أو لجام مفضض

فرق كبير بين تشبيه الثريا بعنقود ملاحية حين نور وتشبيهه بتفتح النور على الاطلاق من غير تفصيل ، ولذلك قصر ابن المعتز فى بيته تقصيرا كثيرا عن قيس ، ومثل البيت أيضا فى المعنى ويشبهه فى التقصير قوله :

وقد لاحت لساريها الثريا كأن نجومها نور الأقاحى

ولسويد بن أبى كاهل :

مغرب اللون إذا الليل انقشع

يعنى الصبح وإنما شبه بالمغرب من الخيل وهو الذى تتسع غرته حتى تجاوز عينيه ، ولذلك قال ابن المعتز :

والصبح قد أسفر أو لم يسفر حتى بدا فى ثوبه المعصفر
كأنه غرة مهر أشقر

والمخبل السعدى يصف دارا مقفرة :

وكأنما أثر النعام بجوها بمدافع الركنين ودع جراد

أخذه ابن المعتز فقال فى وصف دار :

كأن آثار وحشى الظباء بها ودع تخلفه أظلافها سبق

ولعلقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبى على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

أراد بسبائب أى حبال لخذف ، ولابن المعتز :

وكأن إبريق المدامة بيننا ظبى على شرف أناف مدلها

وله :

كأن أباريق اللجين لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام

وللفند الزمانى :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

فقال ابن المعتز :

جزينا الامويين ودناهم كما دانوا

والأسود بن يعفر :

جرت الرياح على مقر ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

ولابن المعتز يصف روضة :

تبدو إذا جاء السحاب بقطره فكأنما كانا على ميعاد

والمأمون الحارثى يخاطب قلب حبيبته :

أحديد أنت أم حجر ؟

أخذه ابن المعتز فقال :

ضعيفة أجفانه والقلب منه حجر
كأنما ألحاظه من فعله تعتذر

٣ — وقال الفرزدق وهو أبو عذرة هذا المعنى .

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

ألم به ابن المعتز وأجاد إجادة منقطعة النظير وزاد عليه زيادة جميلة فقال .

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشفيق إلى تنبيه وسنان

وأخذه الشريف الرضى :

وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا على الكثيب فضول الريط واللمم

وقال ابن زيدون متأثرا بابن المعتز :

وللنسيم اعتلال فى أصائله كأنه رق لى فاعتل إشفاقا

وقال عدى بن الرقاع يصف ولد الظبى :

تزجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وقد حسده جرير على هذا التشبيه (١) ، والبيت من داليته المشهورة وأنشدها

(١) ١٣٢ أسرار البلاغة ، ٩٤ : ٢ الكامل للمبرد .

الأصمعي للرشيد في مجلس سمره فأعجب بها إعجابا شديدا (١) ، وقال ابن المعتز متبعا له في ذلك ووصف غزلانا :

قد أطلعت إبر القرون كأنها   أخذ المراود من سحيق الإثمد

وقال الطرماح :

لقد زادني حبا لنفسي أنني   بغيض إلى كل امرىء غير طائل

فقال مروان بن أبي حفصة :

ماضرني حسد اللئام ولم يزل   ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وقال أبو تمام :

لقد آسف الأعداء فضل ابن يوسف   وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مولع

وقال ابن المعتز :

ما عابني إلا الحسو   د وتلك من إحدى المناقب

وقال المتنبي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

أتى أبو الطيب في المعنى بلفظ مخالف للفظ مروان وأتى أبو تمام به في جزء من لفظ مروان وتممه بلفظ من عنده وأتى به ابن المعتز في لفظ غير لفظيهما مع الاختصار وحسن السبك .

٤ – وقال بعض العباسيين المتقدمين :

دعوا الأسد تكنس أغيالها   ولا تضربوها وأشبالها

فقال ابن المعتز من قصيدته في مناقضة ابن طباطبا العلوي :

دعوا الأسد تكنس غاباتها   ولا تدخلوا بين أنيابها

ولكنه أخذه ساجا ورده عاجا وغل قطيفة ورد ديباجا كما يقول البغدادي (٢)

---

(١) راجع هذه الرواية الأدبية بطولها في العقد الفريد (٤٠٣ — ٤٠٦ : ٣) ، وفي ٩٦ — ١٠٠ : ٢ أمالي المرتضى .

(٢) ٢٥٣ : ١ الخزانة للبغدادي نشر محي الدين عبد الحميد

وقال ابن المعتز :

ورأيا كمرآة الصناع أرى به سرائرَ غيب الدهر من حيث ما سعى

أخذه من قول المنصور لابنه المهدي : لا تبرم أمرا حتى تفكر فيه فإن فكر العاقل مرآته يريه قبحه وحسنه ؛ ولما دفن المنصور وقف الربيع على قبره وقال من كلمة له : وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأي كما ترى ظاهره .

ويقولون (١):

الفكر مرآة تريك حسنك من قبيحك (٢)

وقال عبد الملك بن صالح للرشيد لما سأله عن ليل منبج ، سحر كله ؛ وفي البيان والتبيين . سئل رجل كيف ليلكم ؟ فقال ، سحر كله ، وقال أبو تمام :

أيامنا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

أخذه ابن المعتز فقال :

يارب ليل سحر كله مفتضح البدر عليل النسيم

وغضب ابن المعتز على بعض وكلائه فاستشفع الوكيل بالمبرد فكتب اليه : أنت والله كما كتب مسلم في جدك الرشيد :

يغدو عدوك خائفاً فاذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجاكا

وهو معنى كثير ...

وقال أعرابي :

وكالسيف إن لاينته لان متنه وحداه إن خاشنته خشنان

---

(١) ٧ ٢٣٧:١ الكامل المبرد .

(٢) ولابن المعتز من نثره الأدبي :

ولا يحمد الله إلا بتوفيق منه يقتضى حمدا ، وقد أخذه من قول محمود الوراق :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة على له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الايام واتصل العمر

وأخذه الوراق من قول أبي العتاهية :

أحمد الله فهو ألهمني الحمد على الحمد والمزيد المزيد

وهذا يناسب قول ابن المعتز فى بعض جهاته :

ويجرح أحشائى بعين مريضة ... كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال أعرابى :

ألا ياشفاء الناس ليس بعالم ... بك الناس حتى يعلموا ليلة القدر

سوى رجمهم بالظن والظن كاذب ... مرارا، وفيهم من يصيب ولا يدرى

وأخذه العباس بن الأحنف :

قد جرر الناس أذيال الظنون بنا ... فرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم ... وصادق ليس يدرى أنه صدقا

وقال ابن المعتز :

لما رأيت الدمع يفضحنى ... وقضت عليه شواهد الصب

ألقيت غيرك فى ظنونهم ... فسترت وجه الحب بالحب

وقال على بن جبلة :

وأرى الليالى ما طوت من قوتى ... زادته فى عظتى وفى أفهامى

أخذه ابن المعتز فقال :

وما ينتقص من شباب الرجال ... يزد فى نهاها وفى ألبابها

وقلبه أبو الطيب :

ليت الحوادث باعتنى الذى أخذت ... منى بحلمى الذى أعطت وتجريبى

وقال ابن أبى فنن وهو شاعر عاش فى عصر المتوكل ومدح وزيره الفتح ابن خاقان :

وحياة هجرك غير معتمد ... إلا رجاء الحنث فى الحلف

ما أنت أحسن من رأيت ولا ... كلفى بحبك منتهى كلفى

أراد أنها أحسن من رأى وأن كلفه بها فوق كل كلف فأقسم بحياة هجرها وتوخى الخلاف فى الجواب ليظهر أنه لا يريد الهجر وأنه يتمنى أن ينتهى الصدود إلى غير رجعة .

وقد أشار ابن المعتز إلى هذا المعنى بقوله :

وحياة عاذلى لقد صارمته ... وكذبت ، بل واصلته وحياته

وقال الواثق بالله الخليفة العباسى :

لم تكن عينه لتجحد قتلى ودمى شاهد على وجنتيه

أخذه ابن المعتز فقال :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهد عجب

٥ — وقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أخذه مسلم فقال :

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور

وابن المعتز فقال :

وتقدم ولا تقف فاز فى الحب من جسر

فأتى بالمعنى فى أبدع لفظ وأخصر عبارة .

وقال أبو نواس :

مالى فى الناس كلهم مثل مائى خمر ونقلى القبل

أخذه ابن المعتز فقال :

فشربنا من المدام كئوسا وجعلنا التقبيل نقل الشراب

فأطال المختصر وقصر عنه ...

وقال مسلم :

فبت أسر البدر طورا حديثها وطورا أناجى البدر أحسبها البدرا

وقال البحترى :

وباتت ترينى البدر والبدر طالع وقامت مقام البدر لما تغيبا

فقال ابن المعتز :

بانت يريها هلال الدجى حتى إذا غاب أرتنيه

وقال المتنبى :

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتنى القمرين فى وقت معا

وقال مسلم :

يكسو السيوف دماء الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه ابن المعتز ونقل جميع معنى البيت وبعض ألفاظه فقال :

ويجعل هامات أعدائه قلانس يلبسهن الرماحا

لجعل القلانس مكان التيجان ، ويلبس مكان يكسو ، وقصر عن صريح لأنه أسقط المعنى بتركه ذكر السيوف والدماء ، والذى ابتكر هذا جرير فى قوله :

كأن رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

ولابن المعتز أيضا :

ألا رب يوم قد كسوكم عمائما من الضرب فى الهامات حمر الذوائب

فاستوفى المعنى وأجاد الأخذ والسبك ، وللسرى فى هذا :

وكست مفرق عمامة ضرب أرجوانية الذوائب تندى

٦ — وقال أبو تمام :

وقفت وأحشائى منازل الأسى به وهو قفر قد تعفت منازله

فقال البحترى : عفت الديار وما عفت أحشاؤه .

وقال ابن المعتز :

بؤسا لدهر غيرتك صروفه لم يمح من قلبي الهوى ومحاك

وقال المتنبي :

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

وبيت المتنبي أرجح من بيت الطائى لأنه ذكر منازل الحزن فخص والمتنبي ذكر المنازل فعم ، وقد أحسن ابن المعتز فى شطره الأخير جمع المعنى وحسن سبك اللفظ .. وقال أبو تمام يصف الكأس :

أو درة بيضاء بكر أطبقت حبلا على ياقوتة حمراء

فقال ابن المعتز فى زامرة بيضاء فى فمها ناى من الآبنوس :

كأنما تلثم طفلا لها زنت به من ولد الزنج

لجاء ذكر الزنا أقبح شيء ، وقال الصابي في غالية في قدح بلور :

كأنها فيه وقد حازها رومية حبلى بزنجية

لجيب أجودهم لفظا مع سبقه وابن المعتز أرذلهم لفظا ومزج الصابي بين الاجادة والتقصير . وقال أبو تمام في المدح بثبات الجنان في الحرب :

أنسى ابتسامك والألوان كاسفة تبسم الصبح في داج من الظلم

أخذه ابن المعتز فقال :

لما تفرى أفق الضياء مثل ابتسام الشفة اللمياء

جعل الشفة بازاء الليل واللمى بازاء الصبح ... وقال البحتري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ دد والمجد والمكارم مثلا

ولابن المعتز :

جل امرؤ منفردا وجلا في زمن لم نر فمه مثلا

وقال المتنبي :

وما عزه فيها مراد أراده وإن عز الا أن يكون له مثل

وقال البحتري في الليل : لم تكد أواخره من بعد قطريه تلحق ، أخذه ابن المعتز فقال في ليلة :

بعيدة ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صبحها حين بشرا

وحول هذا المعنى ووصف طول الليل يقول ابن المعتز أيضا :

كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجزن على النقد

وهو معنى رائع وتشبيه جميل ، يريد أن نجومه واقفة لا تسير فكأنها دراهم زائفة فليست تنقد ..

وبعد فهذا وما سبق في شتى أبواب هذه الدراسة يصور لنا كيف كان ابن المعتز يصوغ معانيه ، وكيف كان يجيء أحيانا سابقا وإماما ، وأحيانا في وسط الميدان ، وأحيانا متخلفا وانيا ، ويكفينا ذلك في هذا المقام ففيه كفاية .

(د) وابن المعتز فوق ذلك له كثير من المعاني المبتدعة التي ابتكرها وسلم

الشعراء له بها واحتذوه فيها وهى مبثوثة فى ديوانه وفى تشبيهاته على الخصوص ، وقد سبق ذكر كثير منها فى باب التشبيه : ونحن الآن نلم ببعض قليل منها حسبما يتسع له المقام .

١ — روى ابن رشيق له البيت :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير أعكان معاقدها السرر

فى باب المعانى المحدثة وقال : إنه تشبيه لم يسبق إليه (١) . وقال العسكرى : ومن الفرد الذى لا شبيه له قول ابن المعتز :

ومحجل غر اليمين كأنه متبختر يمشى بكم مسبل(٢)

ويقول : ومن غريب ما قيل فى الهلال وعجيبه قول ابن المعتز : .

إذا الهـــلال فارقته ليلته بدا لمن يبصره وينعته
كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه عن أحد أعرفه(٣)

وقال ابن المعتز فى رثاء عبيد الله بن سليمان الوزير :

هذا أبو القاسم فى نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وهو أول من نطق بهذا المعنى (٤) كما يقولون ، وفى رأيى أنه مأخوذ من قولهم فى المدح ، هو كالجبل الراسخ وكالطود الشامخ ، ثم قيل فى الرثاء : زال الطود ورضوى يسير على كواهل الرجال . وما شابه ذلك ، ويقول عدى بن الرقاع :

أبت لكم مواطن طيبات وأحلام لكم تزن الجبالا

وقال الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

---

(١) ٢٣١ : ٢ العمدة
(٢) ١١٢ : ٢ ديوان المعانى
(٣) ٣٤٠ : ١ ديوان المعانى
(٤) ١٦١ : ١ سمط اللالىء

وقال أيضا :

انا لنوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجبال

وقال آخر :

وعظيم الحلم لو وازنته بثبير أو برضوى لرجح

وقد احتذى ابن الرومى قول ابن المعتز كما يقولون فقال :

من لم يعاين سير نعش محمد لم يدر كيف تسير الأجبال

وقال المتنبى :

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدى الرجال تسير

وقال الشريف الرضى فى رثائه الصاحب :

أكذا المنون تقطر الأبطالا وكذا الزمان يضعضع الاجبالا

٢ — ومن جيد معانيه قوله فى الحية :

كأنها حين تبدو من مكامنها غصن تفتح فيه النور والورق

وهو تشبيه لم يسبق إليه فيما علم .

ومن جديد معانيه المبتكر تشبيهه الهلال بزورق من فضة أثقلته حمولة عنبر كما يقول ، وتشبيه إياه بمنجل من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا ، وسوى ذلك من جديد تشبيهاته وجيد أوصافه التى يضيق المقام عن تعدادها . ومن جديد معانيه قوله :

ياليالى بالمطيرة والكرخ ودير السوسى بالله عودى

كنت عندى أنموذجات من الجنة لكنها بغير خلود

وقوله فى دار هند :

لو حللنا وسط جنة عدن لاقترحناك عليها اقتراحا

ويشبهه قول شوقى :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

وهذا البيت يستبد بشرف المعنى وجمال اللفظ وسحر الأسلوب والتصوير وبلاغة الاعجاز .

ومن جيد معانيه فى الراح قوله :

نور وإن لم يغب وهم إذا ۞ صح وماء لو كان ينسكب

وهو فى هذا التهكم الساخر مجدد مجيد :

ضحك المشرقات فى يوم عيد ۞ إذ رأوا جعفراً يحث المنانا

قلن لما رأينه حالكا أسود جعداً يناسب السودانا

ليت هذا لنا فنعمل من جلدته فى وجوهنا خيلانا

ويبدع كل الابداع فى قوله فى ناقته :

وقيدها بالنصل خرق كأنه ۞ إذا جد لولا ماجنى السيف مازح

كما يبدع فى قوله فى ليلة مظلمة :

يقيد اللحظ فيها عن مسالكه ۞ كأنها لبست أثواب رهبان

وليس لهذا البيت نظير فى الجودة والاحسان وهو قوله فى وصف الفرس :

بحر شر يشاغب الصخر قرعا ۞ بصخور وينبذ الترب نبذا

ووصف الرسول العظيم صلوات الله عليه فرسا بالبحر ، ومن هنا استمد ابن المعتز وصفه الجميل فى بيته السابق . ويصف صديقا له فيقول :

كماء طريق الحج فى كل منهل ۞ يذم على ما كان منه ويشرب

وفى طول الليل يقول :

والنجم فى مغربه وسنان ۞ والصبح فى مشرقه حيران

فنجد صورة جديدة يرسمها الشاعر ببراعة الحاذق الصناع . ويقول يصف بخيلا وهو من معانيه الغريبة :

يا بخيلا ليس يدرى ما الكرم ۞ حرم اللؤم على فيه نعم

حدثونى عنه فى العيد بما ۞ سرنى من لفظه حين حكم

قال : لا قربت إلا بدنا ۞ ذاك خير من أضاحى الغنم

فاستخار الله فى كربته ۞ ثم ضحى بقفاه واحتجم (١)

إلى غير ذلك من جيد معانيه وجديدها المبتكر .

(ﻫ) وإذا كان ابن المعتز قد اقتبس من معانى الشعراء الذين تقدموه أو عاصروه

---

(١) ويعجب الشهاب الخفاجى بهذه الأبيات ومعناها إعجابا كثيراً (٣٢٠ ريحانة الالبا)

وأخذ عنهم بعض معانى شعره ، فان الشعراء الذين أتوا بعده قد احتذوه وتأثروا به إلى حد كبير :

١ — فأبو الطيب المتنبى كان كثير الأخذ من ابن المعتز على تركه الأقرار بالنظر فى شعر المحدثين (١) ، وكان يجحد فضل من تقدمه من الشعراء وينكر حتى أسماءهم ويزعم أنه لا يعرف الطائيين وهو على ديوانيهما بغير ولم يسمع بابن الرومى وهو من بعض أشعاره يغير ، ويسبهم ونظراءهم إذا قيل : فى شعرهم إبداع (٢) ، ونحن نذكر بعض ما أخذه أبو الطيب من ابن المعتز من معان :

قال ابن المعتز :

لا أشرك الناس فى محبته   قلبى عن العالمين قد ختما

وقال المتنبى :

أروح وقد ختمت على فؤادى   بحبك ان يحل به سواكا

وقال ابن المعتز يصف فرسا :

يرى بعيد الشىء كالقريب

فقال المتنبى :

وكانت من خيل بعيد مرامها   قريب على خيل حواليك سبق

وقال المتنبى فى راحة ممدوحه :

إن يكن النفع ضر باطنها   فربما ضر ظهرها القبل

وما علمت أن أحدا جعل القبل تضر إلا المتنبى فى المبالغة .

ولابن المعتز :

ويح الطبيب الذى بالجهل مس يدك   ما كان أجهله فيما به اعتمدك

لو أن الحاظه كانت مباضعه   ثم انتحاك بها من رقة فصدك

واللحظ دون القبل ، وأبلغ من هذا قوله وفيه مبالغة .

ومر بفكرى خاطرا فجرحته   ولم أر شيئا قط يجرحه الفكر

وقال ابن المعتز :

وأرى الثريا فى السماء كأنها   قدم تبدت فى ثياب حداد

---

(١) ١١٤ : ١ ، اليتيمة ، ٣٠ نقد شعر المتنبى للثعالبى ط ١٩١٦

(٢) ٧ الأبانة للعميدى

وقال المعوج الرقى :

كأن بنات نعش فى دجاها   خرائد سافرات فى حداد

وقال ابن المعتز :

فكرت كنصل السيف تتلو لواقحا   كأن حصا الصيان من وقعها رمل

فقال المتنبي :

إذا وطئت بأيديها صخورا   يفئن بوطء أرجلها رمالا

وقد أحسن فى الشطر الثانى ، وزاد بأن جعل الأيدى ماجعله الأول لجلة القوائم ، وللاول من الفضل أنه خص الحصا وهو أشد من الصخر وأصلب ، وهذا المعنى كثير مبتذل ، وإنما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظا ومعنى .

وقال المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى   وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وقد أجاد فيه وكرره فى مواضع من شعره كقوله :

وكم لظلام الليل عندك من يد   تخبر أن المانوية تكذب

وإنما أخذه من مصراع لابن المعتز :

لا تلق إلا بليل من تواعده   فالشمس نمامة والليل قواد (١)

وقد هجن المعنى بذكر « نمامة » و « قواد » ، وأجاد أبو الطيب فى حسن السبك وجودة المقابلة وجمال الأسلوب .

وقال ابن زيدون فى المعنى :

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا   حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

---

(١) وقيل إنما أخذ المتنبي بيته من قول أبى عبد الله الانصارى :

وليلة سرت سرا فى حنادسها   حتى افترقنا وضوء الصبح نمام

ومصراع ابن المعتز على صغره ولين لفظه فيه معنى بيت المتنبي على جلالة لفظة وحسن تقسيمه (راجع ٣١ نقد شعر المتنبى للثعالبى ، ١١٤ : ١ اليتيمة)

فزاد فيه على المتنبي بجميل الاستعارة، وكل من إلى هذا أشار لخوالي المثل دار «الليل اخفى للويل»، والشاعر: الليل اخفى والنهار أوضح» (١).

وقال ابن المعتز:

وجالت صواهلها المقربات بأفعال جن وأشباح ناس

فقال المتنبي:

نحن ركب من الجن فى زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال

وقال ابن المعتز:

يا من سبا قلبي بأول نظرة فى نظرة أخرى إلى شفاء

فقال المتنبي:

فى نغرم الأولى من اللحظ مهجتى بثانية والمتلف الشيء غارمه

لجاء بمعنى بيت ابن المعتز ونقل من قوله «أول نظرة»، وقوله «فى نظرة أخرى»، فقال. الأولى من اللحظ بثانية، غير أنه زاد ذكر الغرامة، وذيل البيت بما ذيله به وعقب بلزوم ذلك.

وقال ابن المعتز:

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

فقال المتنبي:

تكسب الشمس منك النور ساطعة كما يكسب منها نوره القمر

وقال ابن المعتز يعزى عبيد الله بن سليمان عن ابنه أبى محمد ويسليه ببقاء أبى الحسين القاسم:

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته بأبى الحسين وقد ربحت عليه

وأبو محمد الجليل مصابه لكن يمنى المرء خير يديه

أخذه المتنبي فقال يعزى سيف الدولة عن أخته الصغرى ويسليه ببقاء الكبرى:

---

(١) البيان ١ : ١١٤

قاسمتك المنون شخصين جورا   جعل القسم نفسه فيك عدلا
فاذا قست ما أخذن بما غا   درن سرى عن الفؤاد وسلى
وتيقنت أن حظك أوفى   وتيقنت أن جدك أعلى

٢ — وكذلك كان غير أبي الطيب من الشعراء يرجعون إلى ابن المعتز ويقتبسون من معانيه ويحذون حذوه فى القريض ونظمه ، ونحن نحصى بعضا من ذلك الآن :

قال ابن المعتز :

غلالة خده صبغت بورد   ونون الصدغ معجمة بخال (١)

فقال الأسعد الأندلسى :

توهم عطف الصدغ نونا بخده   فبات بمسك الخال ينقطه نقطا

وقال ابن برد الأصغر الأندلسى :

يا شاربا أشمنى شاربا   قد هم فيه الآس أن ينبتا

أخذه من قول ابن المعتز :

وشارب قد نم أو   هم عليه الشعر

وليس ابن برد بمقصر عن مرمى ابن المعتز لولا التكرار الذى فى بيته وإطنابه فى صياغة المعنى وركاكة أسلوبه بعض الشىء ، وقول ابن المعتز على عذوبته وإيجازه ووضوحه لا يكاد يخرج عن لفظ العامة ، والجناس فى بيت ابن المعتز بين « نم وهم » أروع وأعذب من الجناس فى بيت ابن برد « شارب وشارب » .

وقال ابن المعتز :

بكيتك حتى قيل قد ألف البكا   وتحتك حتى قيل إلف حنين
ورقت دموع العين حتى كأنها   دموع كروم لادموع جفون

أخذه الصابى فقال :

وكأن مافى العين من كأس جرى   وكأن مافى الكأس من أجفانى

---

(١) نثره بعض الكتاب فقال : أعجمت يد الجمال نون صدغه بخال (١٥٥ : ٣ زهر)

وقال ابن المعتز :

والله لا كلمتها ولو انها … كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى(١)

أخذه الصاحب فقال :

والله لا راجعته ولو أنه … كالبدر أو كالشمس أو كبويه

وقال ابن المعتز :

وكأن الربيع يجلو عروسا … وكأنا من قطره فى نثار

فقال الصاحب :

فكأن السماء صاهرت الأرض … فصار النثار من كافور

وقال ابن المعتز :

كم من عناق لنا وكم قبل … مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة … من النواطير يانع الرطب

أخذه ابن رشيق فقال :

وملنا لتقبيل الثغور ولثمها … كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا(٢)

قال فى الوافى : ومقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق لأن ابن رشيق ذكر أنه فى ليلة أمن وهى عنده من حسنات الدهر فهذا أحسن فى تشبيه التقبيل مع الأمن بالتقاط الطير الحب لأنه يتوالى دفعة بعد دفعة . وأما ابن المعتز فإنه كان خائفا يختلس التقبيل ويسرقه كما يفعل العصفور فى نقر الرطب اليانع لأنه يقدم جازعا خائفا من الناطور الحارس ، فلا يطمئن فيما يتم .

وقال سيف الدولة فى هذا المعنى فأحسن :

أقبله على جزع … كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فواقعه … وخاف عواقب الطمع

(١) هكذا ذكر الثعالبى (٢٥١ : ٣ اليتيمة) حيث نسب البيت لابن المعتز . على أنه وهو الصحيح ينسب لأبى بكر ابن السراج النحوى (٣٣٢ : ٢ و ١٠ : ٧ معجم الادباء)

(٢) يفضله الابيوردى على قول ابن المعتز (٧٢ : ٣ معجم الادباء)

وصادف فرصة فدنا ولم يلتذ بالجرع(١)

وقال ابن المعتز :

محاسنها نزهة للعيون ومعرضها كل ما تلبس

فقال كشاجم :

كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تتمنى فهو مقترح

وقال ابن المعتز :

كأن الثريا فى أواخر ليلها تفتح نور أو لجام مفضض

فقال كشاجم فى فرس وزاد فى المعنى :

فكأنه بينات نعش ملبب وكأنما هو بالثريا ملجم

وللشاشى :

والثريا كأنها رأس طرف أدهم زين باللجام المحلى

وقال ابن المعتز :

وزنا لها ذهبا جامدا فكالت لنا ذهبا سائلا

فقال ابن الحجاج (٢) :

أوفيه خلاص التبر وزنا فيسبكه ويعطينيه كيلا

وقال ابن المعتز :

كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

فقال أبو سعيد الرستمى :

كذاك النار حين أعوزها ما أحرقته تبيت تحترق

وقال الوأواء الدمشقى (٣) :

متى أرعى بروض الحسن منه وعينى قد تضمنها غدير ؟

---

(١) راجعها فى ٢٤ و ٢٥ : ١ اليتيمة

(٢) ترجمته فى ٢٥ — ٨٨ : ٣ اليتيمة

(٣) من حسنات الشام وصاغة الكلام كما يقول الثعالبى (٢٣٥ : ١ اليتيمة) ، وهو حسن الاستعارة جيد التشبيه (١٤٦ : ٢ فوات الوفيات) ؛ وترجمته فى اليتيمة (٢٣٥ـ٢٤٤ : ١)

ألم فيه بقول ابن المعتز :

وإن تك فى خديك للحسن روضة　　　فان على خدى غديرا من الدمع

وقوله :

فبخديك للربيع رياض　　　وبخدى للدموع غدير

وقال السرى الرفاء (١) :

فضى وقد منع الجفون خفوقها　　　قلب لذكرك لا يقر خفوقا

أخذ اللفظ من قول ابن المعتز : ما بال قلبك لا يقر خفوقا .

وقال السرى :

ضعفت معاقد خصره وعهوده　　　فكأن عقد الخصر عهد وفائه

اللفظ من قول ابن المعتز : وشادن ضعيف عقد الخصر ، ومعنى السرى رائع .

وقال ابن المعتز :

وصلوا عليه خاشعين كأنهم　　　وفود وقوف للسلام عليه

فقال ابن الانبارى فى ابن الوزير لما صلب :

كأن الناس حولك حين قاموا　　　وفود نداك أيام الصلات

وقال المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب　　　فلولا الغمد يمسكه لسالا

وكأنه نظر إلى قول ابن المعتز :

يكاد أن يخرج من إهابه　　　إذا تدلى السوط لولا اللبب

وقوله :

يكاد يجرى من القميص من　　　النعمة لولا القميص يمسكه

° ° °

وبعد فهذا نهاية حديث فى معانى شعر ابن المعتز ويلى ذلك الفصل السادس فى طبقة ابن المعتز :

---

(١) صاحب مر الشعر الجامع بين نظم عقود الدر والنفث فى عقد السحر كما يقول الثعالبى (٢ : ١٠٣ اليتيمة) وكان فى طريق كشاجم يذهب وعلى قالبه يضرب (٢ : ١٠٤ المرجع نفسه ، واتصل بسيف الدولة

الفصل السادس

طبقة ابن المعتز

(١)

الطبقة كل جماعة عاشوا متقاربين فى الزمان وجرت عليهم أحكام واحدة من تأثير البيئة وإن لم يتحدوا فى المنزع أو يدخلوا فى مناقضة أو يتزاحموا على باب ملك (١) ، ومعنى الطبقة أنهم نظراء (٢) وأنهم قريبون من بعض فى منزلتهم الأدبية العامة وإن اختلفوا فى اتجاهاتهم الفنية وإنتاجهم الأدبى .

والشعراء أربع طبقات ؛ جاهليون ومخضرمون وإسلاميون ومولدون وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعالجوها بالصناعة وهم شعراء بنى العباس (٣) ، ويضيف اليهم الشهاب الخفاجى طبقات أخرى هى المحدثون ثم المتأخرون والمصريون (٤)

والشعراء العباسيون يقسمون إلى طبقات :

فالطبقة الأولى من العباسيين هم مخضرمو الدولتين . كابن هرمة وأبى دلامة م ١٦١ ﻫ والحسين بن مطير وأبى حية النميرى وسديف بن ميمون ويحيى بن زياد وأبو الهندى وابن الخياط المكى (٥) وبشار م ١٦٧ ﻫ وصالح بن عبد القدوس م ١٦٧ ﻫ أيضا (٦) وحماد عجرد م ١٦٨ ﻫ ومطيع م ١٦٩ ﻫ والسيد الحميرى م ١٧٣ ﻫ ومروان بن أبى حفصة (١٠٥ — ١٨١ ﻫ) ، ومن رجازها أبو نخيلة السعدى ورؤبة م ١٤٥ ﻫ

---

(١) ١ : ٤٠١ الأدب العباسى لمحمود مصطفى
(٢) ٨٤ تاريخ النقد الادبى عند العرب
(٣) ٤٤ تاريخ الأدب العربى الزيات
(٤) ٣١٠ و ٣١١ الريحانة
(٥) شاعر ظريف ماجن مدح المهدى (٩٤ : ١٨ الأغانى)
(٦) وفى الدميرى أنه قتل عام ١٩٧ ﻫ (٢٧ : ١ الدميرى) ولعله تحريف

وقد تأثرت هذه الطبقة ولاسيما بشار بالفرس وحضارتهم تأثرا قويا وكان تأثرهم بعلوم اليونان قليلا بالقياس إلى من بعدهم .

وزعيم هذه الطبقة بشار ، وهو أشهرهم وأشعرهم (١) ، فهو أستاذ المحدثين (٢) وتقدمه فى طبقاتهم ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغنى عن وصفه وإطالة ذكر محله (٣) ، وسمى أبا المحدثين لأنه فتق لهم أكمام المعانى ونهج لهم سبل البديع فاتبعوه (٤) ، وهو أستاذ المحدثين وبدرهم وصدرهم (٥) .

ويجعل ابن رشيق أبا العتاهية م ٢١١ هـ من هذه الطبقة (٦) والصواب عده من الطبقة الثانية .

والطبقة الثانية : نشأت فى صدر الدولة ، ومن شعرائها : والبة م ١٧٥ هـ ، ومسلم م ١٨٦ هـ (٧) ، والعباس بن الأحنف م ١٩٢ هـ ، وأشجع م ١٩٥ هـ ، وأبو الشيص م ١٩٦ هـ (٨) ، وأبو نواس م ١٩٨ هـ (٩) ، والحكم بن قنبر ، والفضل الرقاشى م ٢٠٠ هـ ، وأبان م ٢٠٠ هـ (١٠) : ومحمد بن كناسة م ٢٠٧ هـ ، وعلى بن جبلة العكوك (١٦٠ — ٢١٣ هـ) ، وبكر بن النطاح ، ومحمد بن بشير الرياشى ، ومنصور النميرى (١١) ، ومسلم بن الوليد م ٢٠٨ هـ ، وأبو العتاهية م ٢١١ هـ ،

---

(١) ٨٣ : ١ العمدة

(٢) ٢٥٠ الموشح

(٣) ٢٠ : ٣ الأغانى

(٤) ١٣٦ : ٢ زهر

(٥) ٨٤ خاص الخاص

(٦) ٨٣ : ١ العمدة

(٧) ويعده بعض النقاد من الطبقة الأولى (٨٣ : ١ العمدة ، ٣٨٠ العصر العباسى للسباعى بيومى

(٨) راجع ترجمته فى ٢٤٥ — ٢٤٨ : ٧ مهذب الأغانى

(٩) وفى الدميرى (٤٣ : ١) أنه توفى عام ١٩٤ هـ

(١٠) ترجمته فى ١ — ٥٢ الاوراق قسم أخبار الشعراء

(١١) تلميذ العتابى وراويته ووصف اسحاق الموصلى شعره وشعر مسلم أمام الفضل بن يحيى ووصفه رائعا (راجع ٦٥ — ٦٩ : ١٣ تاريخ بغداد)

وأبو سعيد المخزومى (١) ، والعتابى م ٢٢٠ هـ ، وعمارة بن عقيل م ٢٤٠ هـ ، ودعبل (١٤٨ ٢٤٦ هـ) وهو ساقتهم (٢) ، وعوف بن محلم الخزاعى ٢٤٨ هـ ، والحسين بن الضحاك م ٢٥٠ هـ

وليس فيهم نظير أبى نواس وليس يفضل عليه مولد سوى بشار (٣). واشتهر منهم أبو العتاهية ، وكان شيخ الطبع (٤) وكان غزير البحر لطيف المعانى سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف إلا أنه كان كثير الساقط المرذول ، وهو وبشار والسيد أطبع الناس (٥) ، ويقول فيه ابن الأعرابى . مارأيت أجمع ولا أقدر على بيت شعر منه وما أحسب مذهبه الا ضربا من السحر (٦) ، وقال الأصمعى (٧) : شعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف ، وروى أبو حاتم عن أصحابه : لو ان طبع ابى العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس (٨) وشعره كالماء الجارى رقة ألفاظ ولطافة سبك (٩) ، والبارد فى شعره كثير (١٠) ويقول المبرد فيه : وهو حسن الشعر قريب المأخذ .

وزعيم هذه الطبقة أبو نواس ، وتجد له من بهجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتحير فيه (١١) ، ويقول فيه النظام : كأنه جمع له الكلام فاختار أحسنه (١٢) ، وامتاز بفحش مجونه وتصويره لأخلاقه ولبيئته ووصفه الخمر ، وهو ثانى بشار فى منزعه لفظا ومعنى .

---

(١) بغدادى كثير الشعر جيده . ومدح المأمون (٥٧٨ : ١ سمط اللالى ، ٢٦٠ معجم الشعراء ، ١٣٩ - ١٤٠ طبقات ابن المعتز طبع أوربا ، وفى الامالى قصيدة لامية له (٢٥٩ : ١ الأمالى)
(٢) ويعده بعض الباحثين فى الطبقة الثالثة (٤٠٢ الأدب العباسى لمحمود مصطفى)
(٣) ٨٣ : ١ العمدة
(٤) ٨٢ : ١ العمدة :
(٥) ١٢٢ : ٣ الأغانى
(٦) ١٢٧ : ٣ الأغانى
(٧) ١٤٠ : ٣ الأغانى
(٨) ١٥٢ : ٣ الأغانى
(٩) ٦٨ المثل السائر
(١٠) ٥٩ صناعتين
(١١) ١٧٢ إعجاز القرآن للباقلانى (١٢) ٢١٤ : ٧ مهذب الاغانى

وبعد هذه الطبقة يختلف النقاد :

١ — ففريق يجعل أبا تمام م٢٣١ ﻫ والبحتري م ٢٨٤ ﻫ وابن الرومي م ٢٨٣ ﻫ وابن المعتز م٢٩٦ ﻫ طبقة واحدة هي الطبقة الثالثة التي خلفت طبقة أبي نواس (١) ويقول ابن رشيق: طبقة حبيب والبحتري وابن الرومي وابن المعتز طبقة متداركة وتلاحقوا وغطوا على من سواهم حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز الا من ذكر بسببهم في مكاتبة أو مناقضة (٢) .

٢ — وفريق يقسم هؤلاء ومن عاصرهم طبقتين فيجعل في الطبقة الثالثة : أبا تمام (١٩٠ — ٢٣١ ﻫ) وديك الجن (١٦١ — ٢٣٥ ﻫ) ، ومحمود بن الحسين الوراق م ٢٣٠ ﻫ ، وعبد الصمد بن المعذل م ٢٤٠ ﻫ ، وأخوه أحمد ، والحمدوني إسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه البصري ، وأبا العميثل كاتب الطاهر م ٢٤٠ ﻫ ، والعطوي ، وعلي بن الجهم م ٢٤٩ ﻫ . ويجعل في الطبقة الرابعة : محمد ابن اسحق الصيمري ، وعلي بن يحيى المنجم م ٢٧٥ ﻫ ، وابن الرومي (٢٢١ — ٢٨٣ ﻫ) ، والبحتري (٢٠٥ — ٢٨٤ ﻫ) ، وأبا العباس الانباري م ٢٩٣ ﻫ ، وابن المعتز ٢٩٦ ﻫ ؛ والبسامي م٣٠٢ ﻫ ، والخبز أرزي م ٣١٧ ﻫ(٣) .

٣ — وفريق يقسمهم ثلاث طبقات : فيجعل في الثالثة أبا تمام وديك الجن ودعبل وابن الجهم ، ويجعل في الرابعة البحتري وابن الرومي ، وفي الخامسة ابن المعتز والبسامي (٤) ، وأنا استحسن ذلك لان ابا تمام وطبقته ورثت مجد القريض من أوائل القرن الثالث إلى نحو ثلثه الأول ، وطبقة البحتري وابن الرومي تتلمذت على هذه الطبقة وظلت إلى ما بعد عام ٢٨٠ ﻫ بقليل ، وطبقة ابن المعتز تتلمذت على هاتين الطبقتين وشغلت الثلث الأخير للقرن الثالث كله على وجه التقريب ، هذا من ناحية النشأة والتكوين الأدبي ، أما من ناحية المذاهب

---

(١) ٨٣ : ١ العمدة

(٢) ٨٣ : ١ العمدة

(٣) ٤٠٢ الأدب العباسي لمحمود مصطفى ، ١٤٣ العصر العباسي للاسكندري

(٤) ٣٨٠ العصر العباسي للرباعي بيومي

الأدبية العامة فإننا نجد في القرن الثالث اتجاهين مستقلين : اتجاها يجمع بين الشعر وشتى الثقافات وهو المنهج الذى سلكه أبو تمام ، واتجاها يحتفظ للشعر بطابعه العربى القديم مع مسايرته للحضارة فى عذوبة ألفاظه وأساليبه وهو المنهج الذى كان يمثله البحترى .

وبعد فقد كان ابن المعتز على رأس الطبقة الخامسة من شعراء المحدثين ، ومن أشهر رجال هذه الطبقة : الناشيء م ٢٩٣ والبسامى م ٣٠٢ والخبز أرزى م ٣١٧ هـ وأبو بكر الحسن بن على المعروف بابن العلاف م ٣١٨ هـ وابن طباطبا العلوى الأصفهانى م ٣٢٢ هـ وسواهم من الشعراء .

وتمتاز هذه الطبقة بجمعها بين مذهبى أبى تمام والبحترى فى الشعر ، فهى تتعمق فى المعانى والأفكار الحديثة والثقافات العامة كما كان أبو تمام وابن الرومى ، وهى تحافظ على عذوبة الأسلوب وجماله وتوشيه بآثار الصنعة والترف وألوان البديع كما كان يفعل البحترى وسواه . وشعر شعراء هذه الطبقة ما عدا ابن المعتز يكاد يكون مفقودا مما يتعسر معه الموازنة بين ابن المعتز وسواه من رجال طبقته ، وابن المعتز على أى حال زعيم هذه الطبقة ومكانته فى الشعر دفعت النقاد أو كثيرا منهم إلى أن يضعوه مع أبى تمام البحترى وابن الرومى فى طبقة واحدة ، وفى الحق أن فن ابن المعتز فى الشعر فن رائع يصعد به إلى مكانة كبيرة بين الشعراء الموهوبين ويرتفع به عن طبقته إلى طبقة أبى تمام وصاحبيه .

وإذا كان شعر طبقة ابن المعتز مفقودا كله أو جله ، وإذا كان ابن المعتز قد وضع فى الموازنة الأدبية مع أبى تمام والبحترى وابن الرومى ، فقد وجب علينا بصرف النظر عن طبقته التى آثرنا وضعه فيها أن ندرس ونحلل ونوازن بينه وبين هؤلاء الشعراء ، حبيب وأبى عبادة البحترى وابن الرومى .

(٢)

وهذه موازنة أدبية جديدة بين هؤلاء الشعراء حيث سندرس كثيرا من الآثار الأدبية التى تجمعها وحدة واضحة فى الغرض أو فى الاتجاه ؛ لنكون من هذه الدراسة رأيا صحيحا فى أحكامنا الأدبية على هؤلاء الشعراء .

١ — قال أبو تمام فى الغيث :

ديمة سمحة القياد سكوب ... مستغيث بها الثرى المكروب
لو سعت بقعة لإعظام أخرى ... لسعى نحوها المكان الجديب
لذ شؤبوبها وطاب فلو تسطيع ... قامت فعانقتها القلوب
فهى ماء يجرى وماء يليه ... وعزالى (١) تنشا وأخرى تذوب
كشف الروض رأسه واستسر ... المحل منها كما استسر المريب
فاذا الرى بعد محل وجرجا ... ن لديها يبرين أو ملحوب
أيها الغيث حى أهلا بمغدا ... ك وعند السرى وحين تؤوب

وقال ابن الرومى :

سحائب قيست بالبلاد فألفيت ... غطاء على أغوارها ونجودها
حدتها النعامى مثقلات فأقبلت ... تهادى رويدا سيرها كركودها
غيوث رأى الإمحال فيه حمامه ... فرين حياة الأرض بعد همودها
اظلت فقال الحرث والنسل هذه ... فتوح سماء أقبلت فى سدودها
فأطفأ نيران الغليل مواطر ... مضرحة نيرانها فى وقودها

وقال البحترى :

ذات ارتجاز بحنين الرعد ... مجرورة الذيل صدوق الوعد
مسفوحة الدمع بغير وجد ... لها نسيم كنسيم الورد
جاءت بها ريح الصبا من نجد ... فانتثرت مثل انتثار العقد
فراحت الأرض بعيش رغد ... من وشى أنوار الربا فى برد

وقال ابن المعتز :

وغيث خصيب الترب تندى بقاعه ... بهم الذرى أثواب قيعانه خضر
رحيب كموج البحر يلتهم الربا ... ويغرق فى أكلائه النعم الدثر
ألحت عليه كل طخياء ديمة ... إذا ما بكت أجفانها ضحك الزهر

---

(١) جمع عزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها

فما طلعت شمس النهار ضحية ولا أصلا إلى ومن دونها خدر
كأن الرجاب الجون والفجر ساطع دخان حريق لا يضىء له جمر

وقال أيضاً :

وسارية لا تمـــل البـكا جرى دمعها فى خدود الثرى
سرت تقدح الصبح فى ليلها ببرق كهندية تنتضى
فلما دنت جلجلت فى السما ء رعدا أجش كجر الرحا
ضمان عليها ارتداء اليفاع بأنوارها واعتجار الربا
فما زال مدمعها باكيا على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فأضحت سواء وجوه البلاد وجن النبات بها والتقى

فتجد لأبى تمام الأسلوب الجيد والتصوير الجميل والاستعارات الرائعة والمعانى المبتكرة والمبالغة المقبولة والشعور العميق بأثر الغيث فى الأرض وحاجة الأرض للماء .

ونجد ابن الرومى يصف الغيث بالكثافة والإطباق وكثرة الماء وحاجة الأرض اليه ، مع تقصير عن أبى تمام فى التصوير والوصف والأسلوب ، ومع اعتماد عليه وأخذ من معانيه كما تراه فى بيته الذى قبل الأخير .

وتجد للبحترى أسلوبه الجميل وصياغته الفنية ولكنك لا تحس بأثر لشخصيته فيما وراء الاسلوب من معنى وتصوير وخيال ، بل هو فى ذلك مقلد كسواه من الكثير من الشعراء .

ولكنك تجد ابن المعتز قد ازدحمت فى أسلوبه الصياغة الفنية الدقيقة والصور الشعرية الكثيرة التى تغلب عليها روح الإيجاز وجزالة الأسلوب فى قطعته الأولى وعذوبته فى الثانية مع جمال التشبيه والاستعارة والطباق ، وهو فى قطعته الثانية يقف بجانب أبى تمام فى المعانى والتصوير وظهور اثر شخصيته الواضحة فى الأسلوب والتعبـــير .

٢ — وقال أبو تمام فى ذكر فراق أحبابه له :

فسائلها أى المواطن حلت وأى بلاد أوطنتها وأيت

وماذا عليها لو أشارت فودعت ... الينا بأطراف البنان وأومت
وما كان إلا أن تولت بها النوى ... فولى عزاء القلب لما تولت
فأما عيون العاشقين فأسخنت ... وأما عيون الكاشحين فقرت
ولما دعاني البين وليت إذ دعا ... ولما دعاها طاوعته ولبت
فلما أر مثلى كان أوفى بعهدها ... ولا مثلها لم ترع عهدى وذمتى

ويقول فى موقف الوداع :

أما وقد كتمتهن الخدور ضحى ... فأبعد الله دمعا بعدها اكتتما
لما استحر الوداع المحض وانصرمت ... أواخر الصبر إلا كاظما وجما
رأيت أحسن مرئى وأقبحه ... مستجمعين لى : التوديع والعنما
فكاد شوقى يتلو الدمع منسجما ... إن كان فى الأرض شوق فاض فانسجما

وقال ابن الرومى :

است أنسى امتناع صبرك للتو ... ديع والبين مؤذن بشتات
وانحدار الدموع كاللؤلؤ الرطـ ... ـب هوى من مدامع قرحات
والتفاتا نحوى وقد قبضتنى ... عنك أيدى الفراق حال التفاتى
ومقالا جرى وللشوق فى الأحشاء ... نار أليمة الحـرقات
حاطك الله بالكلاءة والصـ ... ـنع ووقاك أعين العائدات

وقال البحترى :

ما أرى البين مخليا من وداع ... أنفس العاشقين حتى تبينا
وبود القلوب يوم استقلت ... ظعن الحى أن تكون عيونا
منزل هاج لى الصبابة والشو ... ق قريبى فيه فساء قرينا
يوم كان المقام فى الدار شكا ... يبعث الحزن والرحيل يقينا

وقال :

قد أرتك الدموع يوم تولت ... ظعن الحى ما وراء الدموع
عبرات ملء الجفون مرتها ... حرق للفراق ملء الضلوع
إن تبت وادع الضمير فعندى ... نصب من عشية التوديع

وقال ابن المعتز :

لا مثل من يعرف العشاق حبهم ... بل أنت من بينهم تشقى بمن تمق
نأوا بليل فزموا كل يعملة ... ويعمل جل فى أنفه الحلق
إنى وأسماء والحى الذين غدوا ... بها على الكره من نفسى وما وثقوا
لكالربيط وقد سيقت قرينته ... ينازع الحبل مشدودا وينطلق
فطيروا القلب وجدا بين أضلعه ... وعذبوا النفس حتى ما بها رمق
ما انس لا أنس إذ قامت تودعنا ... بمقلة جفنها فى دمعها غرق
تفتر عن مقلة حمراء موقدة ... تكاد لولا دموع العين تحترق
كأنها حين تبدو من مجاسدها ... بدر يمزق أركانه الغسق

فنجد أبا تمام يتصرف فى المعانى المعروفة تصرفا حسنا ويصوغها صياغة قوية فيها صنعة كثيرة أظهرها المقابلة ، فهو فى البيت الأول يتساءل فى حزن عن الديار التى أمتها محبوبته مع بعض القبح فى تكرير « أى وأيت » إذلا فائدة لهذا التكرار ولا جديد وراءه ، وفى البيت الثانى يتحسر لعدم توديع محبوبته له قبل سفرها البعيد ولو باشارة عابرة بأطراف البنان ، ويصور فى الثالث حزنه لفراقها وكذلك فى الرابع إلا أنه يضيف فيه إلى ذلك فرح خصومه بهذا الفراق ، وفى البيتين الأخيرين يصور وفاءه لعهد الحب وخيانتها لهذا العهد المقدس ، وكذلك هو فى أبياته الأخرى : معان واضحة معروفة يلم بها الشاعر فى كثير من تعقيده الفنى فى صياغته وصناعته الشعرية .

ولكنك تجد لابن الرومى تصويرا بارعا . ينطق عن شعور صحيح بألم الوداع وإدراك صادق لأحزان الفراق ، وتأثر واضح بهذه الساعات الحافلة بالذكريات والتى يعز فيها على الأحباب الصبر ، فتنحدر الدموع من عيونهم القرحات ، ويعزون أنفسهم بتتبع أبصارهم للحبيب الراحل حين رحيله ، وبالدعاء له بأن يحوطه الله بالرعاية ، وأن يحفظ عليه شبابه وجماله ، ويمنع عنه أذى الحاسدين والعائدات .

وينزل البحترى عن هذه الدرجة العالية التى بلغها ابن الرومى فى أبياته ، فهو لا يشعر إلا بما يشعر به سائر الناس وإن أوتى عذوبة التعبير وجمال الأداء ، بل

إنه يخرج على أدب الحب فيما سخطه على حبيبه الراحل .

وابن المعتز يصل فى أبياته إلى درجة ابن الرومى ولكن يهبط به أنه لم يتناول موقف الوداع وتصويره ببساطة ابن الرومى وصدق تصويره ، ولكنه على أى حال فوق أبى تمام والبحترى فى قوة الشعور وتأجج العاطفة وظهور الشخصية ووضوح التصوير الذى يمتزج فيه الفن بالفكرة والشعور، ويتراءى فى ثوب من العذوبة والعرف لولا بيته الثانى الذى أضعفه بيممنه ويعمله الجمل كما يقول :

٣ — وقال أبو تمام فى الشيب :

لعب الشيب بالمفارق بل جد ... فأبكى تماضرا ولعوبا
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد ... وما أن رأت شواتى خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إلا ... الفظيعين : ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى ... حسناتى عند الغوانى ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد ... أنكرن مستنكرا وعبن معيبا
لو رأى الله أن فى الشيب خيرا ... جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

وقال :

فلا يؤرقك إيماض القتير به ... فان ذاك ابتسام الرأى والأدب

وقال :

له منظر فى العين أبيض ناصع ... ولكنه فى القلب أسود أسفع

وقال ابن الرومى :

قالوا المشيب نذير : قلت : لا وأبى ... لكن بشير يجلى وجهه الكربا
أليس يخبر من رسى بساحته ... أن اللحاق بحب النفس قد قربا
ياحسن هاتيك بشرى عند ذى أسف ... على الشبيبة والعيش الذى نضبا
لم يرع حق شباب كان يصحبه ... من لم يحبب اليه فقده العطبا
لو لم يجب حفظه إلا بأن له ... حق الرضاع على إخوانه وجبا
أخى وإلفى وتربى كان مولدنا ... معا ورِبتُنى الأيام حيث ربا
يضمنا حجر أم فى رضاعتنا ... وملعب حين ناغت بيننا اللعبا

إن الشباب لمألوف لصحبته تلك القديمة ، مبكى إذا ذهبا
والشيب مستوحش منه اقربته والشيء مستوحش منه إذا غربا

وقال :

لا بدع أن ضحك القتير فبكى لضحكته الكبير

وقال :

قد يشيب الفتى وليس عجيبا أن يرى النور فى القضيب الرطيب

وقال البحترى :

عيرتنى المشيب وهى بدته فى عذارى بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازى أصدق حسنا ان تأملت من سواد الغراب

وقال :

عذلتنا فى عشقها أم عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلة فى شروق
ولعمرى لولا الاقاحى لابصرت أنيق الرياض غير أنيق
أى ليل يبهى بغير نجوم أو سحاب يندى بغير بروق ؟

وقال ابن المعتز :

صدت شرير وأزمعت هجرى وصغت ضمائرها إلى الغدر
قالت . كبرت وشبت ، قلت لها هذا غبار وقائع الدهر

وقال :

ان شيب الرأس نور الهموم

وقال :

قد أنكرت مشيبا عمر رأسى واستمر
يا هند ما شاب قلبي وإنما شاب الشعر

وقال :

رأت أقحوان الشيب لاح وآذنت ملاحات أيام الصبا بوداع
فقالت: محاك الدهر فى صبغة الصبا وكنت من الفتيان خير متاع

فنجد الصنعة تهجن من أبيات أبى تمام الأولى الثلاثة وتضع من قيمتها ثم تخف وطأة هذه الصنعة فى الثلاثة الأخيرة فتعجبك. وتعجب بها وباحتجاجه للشيب مع شعوره بالحزن منه.

ولكنك تجد عند ابن الرومى عمق شعور بالشباب وشدة حزن عليه ووفاء له، وعمقا فى تصوير ذلك كله، يفوق كل حد، ويبلغ غاية الجمال، ويملك عاطفتك، ويستبد باستحسانك واستجادتك، مع تعليل للنفس فى بيته الأخير.

والبحترى فى أبياته يحاول إقناع حبيبته أم عمرو بالرضا بحاله ومشيبه، فاحتج بما أسعفه بيانه وتفكيره بالاحتجاج به، فى أسلوب مألوف ومعان قريبة، وبيته، وبياض البازى، قريب المعنى، إلا أنه جميل التصوير صادقه ساذج التفكير سهل الاستنباط.

وأما ابن المعتز فينهج نهج أبى تمام والبحترى ولكنه لا يصل إلى مكانة ابن الرومى فى تصوره وتصويره للشباب والمشيب.

٤ — وقال أبو تمام فى الربيع:

رقت حواشى الدهر فهى تمرمر وغدا الثرى فى حليه يتكسر
يا صاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى إذا حل الربيع فإنما هى منظر
من كل زاهرة ترقرق بالندى فكأنها عين إليك تحدر
حتى غدت وهداتها ونجادها فئتين فى حلل الربيع تبختر
مصفرة محمرة . فكأنها عصب تيمن فى الوغى وتمضر

وقال ابن الرومى:

أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء البصر
أثنت على الله بآلاء المطر فالأرض فى روض كأفواف الحبر
نيرة النوار زهراء الزهر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الأنثى تصدت للذكر

وقال البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا   من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غسق الدجى   أوائل ورد كن بالامس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه   يبث حديثا كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباسه   عليه كما نشرت وشيا منمنما
أحل فأبدى للعيون بشاشة   وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الروض حتى حسبته   يجىء بأنفاس الاحبة نعما

وقال ابن المعتز :

انظر إلى دنيا ربيع أقبلت   مثل النساء تبرجت لزناة
وإذا تعرى الصبح من كافوره   نطقت صنوف طيورها بلغات
والورد يضحك من نواظر نرجس   قذيت وآذن حيها بممات

ويقول :

أتاك الربيع بصوب البكر   ورف على الجسر برد السحر
ونقرت الارض عن جوهر   فمنتظم منه ومنتثر
وقد عدل الدهر ميزانه   فلا فيه حر ولا فيه قر

للبحترى فى قطعة أبى تمام شعورا واضحا قويا بجمال الربيع وحياته ومناظره الفاتنة ، وأسلوبا باهرا رائعا قوى التعبير والتصوير .

وتجد كذلك عند ابن الرومى شعورا وتصويرا صادقين للربيع والحياة الطبيعة فيه ، ولكنه ينزل عن أبى تمام فى سمو التعبير وجودته وروح الفن التى تشيع فى أبيات أبى تمام .

أما أبيات البحترى الجميلة عذبة ممتازة فى أسلوبها ولكن تنقصها الروح والحياة وقوة الشعور التى تتدفق فى أبيات أبى تمام وابن الرومى ، وتضعف من روح البحترى فيها قيود الصنعة التى تطغى عليه وتضعف من شعوره فيها .

وتجد عند ابن المعتز شعورا واضحا بالحياة وأسرار الطبيعة فى الربيع ، إلا أن أسلوبه ضعيف لا يبلغ أسلوب أبى تمام ، وأول أبياته مسروق من ابن الرومى :

٥ — ويقول أبو تمام فى الفرس :

أو أدهم فيه كتة أمم	كأنه قطعة من الغلس
مخلق وجهه على السبق	تخليق (١) عروس الابناء للعرس
صهصلق (٢) فى الصليل تحسبه	أشرج (٣) حلقومه على جرس

ويقول ابن المعتز :

وسابح مسامح ذو ميعة	كأنه حريق نار تلتهب
تراه إن أبصرته مستقبلا	كأنما به علو من الأرض حدب
عارى النسا ينتهب التراب له	حوافر باذلة ما ينتهب
تصافح الترب إذا ما ركضت	لكنها مع الصخور تصطخب
تحسبه يزهى على فارسه	وإنما يزهى به إذا ركب
أسرع من لحظته إذا رنا	أطوع من عنانه إذا جذب
يبلغ ما تبلغه الريح ولا	تبلغ ما يبلغه إذا طلب
ذو غرة قد شدخت جبهته	واذن مثل السنان المنتصب
وناظر كأنه ذو روعة	وكفل ململم ضافى الذنب
ومنخر كالكير لم تشق به	أنفاسه ولم يخنها فى تعب
قد خاض فى يوم الوغى فى حلة	حمراء تسديها العوالى والقضب

فترى فى أبيات أبى تمام وصفا للفرس تطيف به الحوشية والغرابة لا سيما فى بيته الأخير.

أما أبيات ابن المعتز فتفوق أبيات أبى تمام لكثرة معانيها وقوة تصويرها والجدة فى أساليبها ولجمال استعاراتها وتشبيهاتها الدقيقة مع المبالغة والعذوبة فى ألفاظها وأسلوبها مما يظهر بوضوح أمام النقد العادل النزيه .

---

(١) التخليق : التلطيخ بالطيب

(٢) أى شديد الصوت

(٣) أى شد

٦ - وإذا قرأت قطعة ابن الرومى فى وصف الأسد :

فما أسد جهم المحيا شتيمه (١) خبعثنة ورد السبال غضنفر

التى جمع فيها كثيرا من المعانى والأوصاف التى تصور خلق الأسد وقوته أوضح تصوير . ثم قرأت قطعة البحترى فى الأسد :

غداة لقيت الليث والليث مخدر يحدد نابا للقضاء ومخلبا

والتى ألم فيها بطرف مما ذكره بشر بن عوانة فى رائيته فى الأسد (٢) ، مع جمال فى الأسلوب وطلاوة فى السبك وجودة فى الصياغة وان كانت معانيها واضحة محدودة قريبة .

ثم قرأت قطعة ابن المعتز فى الأسد :

وما ليث غاب يهدم الجيش خوفه بمشية وثاب على النهى والزجر
يجر إلى أشباله كل ليلة عقيرة وحش أو قتيلا من السفر
يزعزع أحشاء البلاد زئيره ويبطل أبطال الرجال من الذعر
إلى آخر هذه القطعة الرائعة :

وجدت ابن المعتز يربى على البحترى فيها بكثرة ما أتى به من معان ، ولكنه لا يصل إلى ابن الرومى فى قطعته .. وجدته يحاول أن يعطيك صورة واضحة للأسد فى قوته وفزع الناس والبلاد منه ؛ فهو لا يجىء فيها سابقا ولا يلحق وانيا ، وإنما يسير وراء قائد القافلة ورائد الركب موفور الإجادة والتصوير .

وبعد فهذه خاتمة موازناتنا المبتكرة بين هؤلاء الشعراء الخالدين ، وكم كنا نود أن يتسع المقام لتحليل أوسع وشرح أضفى وموازنة أدق ولكن ، هيهات وأنا مضطر أمام تشعب البحث وكثرة الدراسة فى الكتاب أن أحذف الكثير ، وأكتفى بالقليل ، واستغنى بالإشارة ، واختصر فى العبارة ، حتى لا أطيل فوق ما أطلت .

---

(١) أى كريهه

(٢) رواها البديع فى مقاماته ، وأولها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا
إذا لرأيت ليثا أم ليثا هزبرا أغلبا لاقى هزبرا

وهى قصيدة من النمط العالى الذى لم يأت أحد بمثله

الفصل السابع

ابن المعتز والشعراء الذين تأثروا به

(١)

وقد اتخذ كثير من الشعراء على مر العصور الأدبية شعر ابن المعتز مصدرا أدبياً لهم ، يحتذون حذوه ، وينهجون نهجه ، ويتأثرون به فى نظم الشعر وفهم القريض ، وقد سبق ذكر كثير من المعانى التى أخذها عنه كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده ، وسنحاول إكمال ذلك البحث الآن فى هذه الدراسة .

(٢)

ابن معتز الأندلس (٣٥٢ — ٤٠٠ هـ) :

فمن الشعراء الذين تأثروا به الأمير الأندلسى أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر الأموى ، وكان يلقب ابن معتز الأندلس ، ويعرف بالطليق .

كان أديباً شاعراً مكثراً وأكثر شعره فى السجن ، قال أبو محمد بن حزم : هو فى بنى أمية كابن المعتز فى بنى العباس ، ملاحة شعر ، وحسن تشبيه

سجن وهو ابن ست عشرة سنة لأنه كان فيما ذكر يتعشق جارية كان أبوه قد رباها معه وذكرها له ، ثم بدا له فاستأثر بها ، فاشتدت غيرة الشاعر لذلك ، فانتضى سيفا وانتهز فرصة من بعض خلوات أبيه معها فقتله فسجن فى أيام المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر ، ومكث فى السجن ستة عشر عاما ، ثم أطلق بعد ذلك فلقب الطليق لذلك ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وتوفى نحو عام ٤٠٠ هـ

ومن مستحسن شعره :

غصن يهتز فى دعص نقـــا يجتنى منـــه فؤادى حرقا
أطلع الحسن لنـا من وجهه قمرا ليس يرى ممتحقـا
ورنا عن طرف ريم أحور لحظـــه سهم لقلبى فوقا

ومن هذه القطعة :

أصبحت شمسا وفوه مغربا ويد الســـاقى المحيى مشرقا
فاذا ما غربت فى فـمه تركت فى الخـد منه شفقا (١)

وقد حاولنا أن نعثر له على شىء سوى ذلك من أخباره وشعره فلم نجد فيما بين أيدينا من المصادر شيئا آخر عنه ولا عن شعره ، مما يجعل الموازنة الأدبية بينه وبين شاعرنا ابن المعتز متعسرة ، ومهما كان فعلى أبيات الأمير الأندلسى صبغة الجمال الفنى والترف فى الأسلوب والصنعة وحب التشبيه وعذوبة اللفظ وسلامة التركيب وكثرة الصور الفنية فى شعره ، مما يشبه فى ذلك شاعرنا ابن المعتز إلى حد كبير ، ومما استوجب أن يلقبه النقاد ابن معتز الأندلس ، الذى أشبهه حتى فى النشأة والتكوين وظروف الحياة .

(٣)

تميم بن المعز الفاطمى (٣٣٧ — ٣٧٤ هـ) :

ولد تميم فى المغرب الذى قضى فيه وفى ظلال والده المعز الخليفة عهد شبابه وثقافته ، وأحب الأدب وعشق الشعر ونظم القريض ، متأثرا بالنهضة الشعرية التى كان يرعاها والده والتى كان من أبطالها ابن هانى الأندلسى شاعر المعز . ولتميم كثير من الآثار الشعرية التى نظمها فى المغرب وهى كلها مفقودة ، وهاجر تميم مع والده إلى مصر عام ٣٦٢ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، فبدأ فى مصر حياته الشعرية الحافلة ، وألهمته مصر وبيئتها الساحرة روائع الشعر ، ثم توفى والده عام ٣٦٥ هـ . وتولى أخوه نزار الخلافة وحرم تميم منها ، فأثر ذلك فى شعره وشعوره

---

(١) راجع ترجمته فى ص ٤٤٧ بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس للضبى وهو الجزء الثانى من المكتبة الأندلسية ، وتحمل ترجمته رقم ١٣٤٣، وتجد بعض هذه الترجمة فى هامش ٣:١٨٦ نفح الطيب للمقرى نشر فريد الرفاعى بتعليق الأستاذ أحمد يوسف نجاتى

وفنه وعاطفته ، وبدأ يشعر بمرارة الحرمان ، ، وظل كذلك حتى توفى عام ٣٧٤هـ فى خلافة أخيه عن سبعة وثلاثين عاما .

كانت حياة تميم صورة لحياة ابن المعتز ، فكلا الشاعرين نشأ فى أسرة الملك وبيت الخلافة ، وشاهد وذاق فى صدر شبابه شتى ألوان الترف والنعيم ، كما ذاق فى صدر رجولته وما يليه من باقى أيام حياته ألوان الآلم والحسرة لحرمانه من الخلافة ومجدها .

وكان هذا التشابه فى الحياة سببا للتشابه فى الروح والشاعرية والحياة الأدبية ، فقد كان تميم أشبه شىء بابن المعتز فى قوة الشاعرية وخصبها ، وكان يعجب بشعر ابن المعتز ويحتذى حذوه ويترسم خطاه ، بل كان يعده إمامه فى الشعر ونظمه ، فكان كما يقول الحصرى : يحتذى مثال ابن المعتز ويصف فى التشبيهات بجانبه ويفرغ فيها على قالبه (١) . هذا مع اختلافهما فى الرأى والعقيدة فقد كان ابن المعتز سنيا عباسيا يدعو للعباسيين ويرد على خصومهم من شيعة وسواهم ، وكان تميم علويا فاطميا يتعصب لأسرته وللشيعة من الفاطميين ويذود عنهم ويناضل من ناوأهم بشعره ويراعه ، ولو كان هذا الذى يرد عليه أستاذه فى الشاعرية وفى الفن والادب ، ولو كان ابن المعتز نفسه .

وإذا كان تميم حرم مجد الخلافة فقد تبوأ عرش الأدب فكان شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا ، يشعر بخلجات نفسه ونبضات قلبه ، ويصف حياته اللاهية من حب وعشق وهيام ومجون كما وصف حياته الحزينة بعد عصر الشباب بما فيها من آلام وأشجان وذكريات ، ويمتاز تميم بصدق الشعور ورقة الشعر وسلاسته ، حتى كان فى ذلك أستاذ البهازهير بعده ، كان يمتاز بسمو الخيال وطرافة الشعر وطرافة التشبيه وروعة التعبير ولاسيما فى أوصافه ، وله ديوان كبير طبع بدار الكتب المصرية وفى زهر الآداب كثير من المختارات من شعره (٢) .

وبين الشاعرين من مظاهر التشابه فى الشعر والشاعرية كثير من السمات :

١ — فقد كان تميم يأخذ كثيرا من معانى شعر ابن المعتز :

---

(١) ١٨٣ : ٣ زهر

(٢) ١٨٣ — ١٩٠ : ٣ زهر ، وفى اليتيمة (٣٩٠ — ٣٩٧ : ١) ووفيات الاعيان (١٧٢ — ١٧٣ : ١) كثير من شعره

قال ابن المعتز :

وكأن الصبح لما لاح من تحت الثريا
ملك أقبل فى تاج يفدى ويحيا

فقال الوأواء :

وكأن الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكليل

وقال تميم :

والبدر منتصف مابين أنجمه فكأنه ملك ما بين موكبه

وقال ابن المعتز :

حتى إذا هزم الإصباح ليلهم بعسكر من جنود النور مبثوث

فقال تميم :

وانظر إلى الليل كالزنجى منهزما والصبح فى إثره يعدو بأشهبه

وقال ابن المعتز :

أما الظلام فحين رق قميصه وأرى بياض الفجر كالسيف الصدى

فقال تميم :

كأن عمود الصبح فى غرر الدجى صحيفة سيف قد تصدى من المهج

المشبه به عند ابن المعتز وهو السيف الصدى هو نفس المشبه به عند تميم ، وكذلك المشبه عند الشاعرين واحد وهو الظلام المشوب بضياء الصباح ، وفى بيت ابن المعتز لطف جمال وحسن استعارة صورت المعنى بصورة أنست لها النفس وطرب بها الفؤاد وذلك قوله « رق قميصه » .. ولتميم أيضا حول هذا المعنى :

كأن سواد الليل والفجر طالع بقية لطخ الكحل فى الأعين الزرق

وقد أحسن فى هذا البيت ما شاء له الإحسان كما يقول الثعالبى (١)

وقال ابن المعتز :

وهلال السماء طوق عروس بات يجلى على غلائل سود

---

(١) اليتيمة ١ : ٢٠٥

وقال :

وكأن الهلال نصف سوار والثريا كف تشير إليه

فيقول تميم :

وانجلى الغيم بعد ما أضحك الرو ض بكاء السماء فيه بوبل
عن هلال كصولجان نضار فى سماء كأنها جام ذبل

ويقول :

وانجلى الغيم عن هلال تبدى فى يد الأفق مثل نصف سوار

قال الثعالبى : وأحسن فى هذا البيت ما شاء (١) .

وقال ابن المعتز فى الثريا :

وقد لمعت حتى كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرج

فيقول تميم :

كأن الثريا تحت حلكة لونها مداهن بلور على الأرض تضطرب

خالف ابن المعتز فى المشبه به ولكنه لاحظ قصده من الشبه فصور الثريا بصورة مداهن تضطرب على الارض من حيث صورها ابن المعتز بقوارير فيها زئبق يترجرج .

(ب) وفى شعر تميم قصائد تأثر فيها بابن المعتز :

وذلك كما فى قصيدته :

رب صفراء عللتنى بصفرا ، وجنح الظلام مرخى الإزار
بين ماء وروضة وكروم ورواب منيفة وصحارى

فهى تشبه فى روح الشاعرية والفن قصيدة ابن المعتز :

اسقنى الراح فى شباب النهار وانف همى بالخندريس العقار

وقد عارض تميم بقصيدته :

إذا نزع الشوق حب القلوب كـواها بشدة تلهابها

---

(١) ٣٩٥ : ١ اليتيمة

قصيدة ابن المعتز فى الطالبيين :

ألا من لعين وتسكابها تشكى القذى وبكاها بها

(ج) وكان تميم يحفل بالطبيعة ووصفها فى شعره كابن المعتز ، وله فى ذلك مقدرة فائقة لم تتح إلا للقليل من الشعراء ، وله خمريات أجاد فيها إجادته فى الفخر والمدح وفى شكوى الزمان مما اشتهر به جميعه ابن المعتز ، وقصيدة تميم فى العزيز :

جارية مرهفة القد ظالمة مظلومة الخد

تشبه فى سلاستها وعذوبتها وجمالها الفنى الرائع قصيدة ، ابن المعتز فى مدح المكتفى :

لا ورمان النهود فوق أغصان القدود

(د) وهناك أبيات كثيرة تنسب للشاعرين وتوجد فى ديوانيهما وذلك مثل :

ألا سقيانى قهوة ذهبية فقد لبس الآفاق جنح الدجى دعج
كأن الثريا والظلام يحفها فصوص لجين قد أحاط به سبج

فالبيتان فى ديوان ابن المعتز وفى ديوان تميم أيضا .

ومثل :

كأن البركة الغناء لما غدت بالماء مفعمة تموج
وقد لاح الدجى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليج

فهما فى ديوان ابن المعتز (١) وهما مع أبيات أخرى فى ديوان تميم فى وصف بركة الجيش وخليج بنى وائل ، وينبسان لأبى فراس (٢) أيضا .

(٤)

أبو فراس الحمدانى . (٣٢٠ — ٣٥٧ هـ) (٣) .

---

(١) ص ٣٠٥ طبع بيروت

(٢) ٣٠٢ حلبة الكميت

(٣) راجع ٢٧ — ٧١ : ١ اليتيمة ، ٢٢٤ — ٢٢٧ : ١ وفيات

شعر أبي فراس مثال الشعر القديم متانة وأسلوبا إلا أن عليه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك وقد تصرف فى أغلب فنون الشعر فأجاد ، إلا أن منزلته فى الفخر والاستعطاف والعتاب أعلى ، ورومياته أجل وأدل على فضله .

وكان كثير الفخر بنفسه وحسبه ، عزوفا عن اللهو والشراب والمجون ، وأشعاره ، كلها أوضاح وغرر وعقود فرائد ودرر ، (١) وهو كما يقول الثعالبي فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلا وكرما ونبلا ومجداً وبلاغة ، وشعره مشهور سائر بين الجودة والحسن والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك .

ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا فى شعر ابن المعتز (٢) : وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ولا يجترىء على مجاراته .

وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس (٣) ، وشعره كله حسن لتناسبه وعذوبة مشارعه ولا سيما الروميات التى رمى بها هدف الاحسان وأصاب شاكلة الصواب (٤) .

وكان الصاحب يقول :

بدىء الشعر بملك وختم بملك يعنى امرأ القيس وأبا فراس (٥) .

وقال الشهاب :

قال الأدباء بدىء الشعر بملك وختم بملك والأول امرؤ القيس فانه أول من هلهل الشعر وهذبه ونسج نسيبه ورتبه ، والثانى ابن المعتز فانه ممن أوتى جوامع الكلم نظما ونثرا وإنشاء وشعرا والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام وقيل أبو فراس والأول أقرب (٦) .

---

(١) ٣٢٤ الريحانة ،الالبا

(٢) ٢٧ : ١ اليتيمة

(٣) ٢٧ : ١ اليتيمة

(٤) ٧٠ : ١ اليتيمة . وقد أسره الروم عام ٣٥١ هـ ، وفودى عام ٣٥٥ ، وتوفى بعد ذلك بقليل عام ٣٥٧ هـ

(٥) ١٧٥ : ١ زهر ، ٢٧ : ١ اليتيمة ، ٧٢ : ١ العمدة ، ص ٢ ديوان أبي فراس

(٦) ٣٢٠ الريحانة

ويقول الثعالبي :

وأبو فراس يعد أشعر من ابن المعتز عند أهل الصنعة (١) .

وهذا رأي ينفرد به الثعالبي وحده والمنصفون من النقاد لا يوازنون بين ابن المعتز وأبي فراس ولا يضعونهما في منزلة واحدة ، لكثرة تصرف ابن المعتز وفنونه وكثرة شعره ومعانيه وجودة صنعته وعلى الاخص تشبيهاته ، ولعذوبة أسلوبه وجمال ألفاظه وامتزاج الطبع بالصنعة وشتى ألوانها في شعره ، ولا يبذ أبو فراس ابن المعتز إلا في متانة أسلوبه وجزالته غالبا ، ولعل الثعالبي إنما فضله من أجل هذه الجزالة والمتانة وحدهما ، على أن أبا فراس قد ينزل بأسلوبه إلى درجة السوقية والضعف ، فالفخر وهو من الموضوعات التي تستدعي جزالة الأسلوب وقوته نجد أبا فراس يقول فيه :

سلي عني نساء بني معد يقلن بما رأين وما سمعنه
ألست أمدهم لذوى ظلا وأوسعهم لدى الاضياف جفنة

إلى آخر القصيدة (٢) ، حيث نجد أسلوبا بعيدا عن أساليب الفخر الجيدة ، وأبو فراس مقصر في الغزل عن رتبة ابن المعتز وليس له شيء من الخمريات ، وطرده قليل جدا وأهم ما له فيه أرجوزته :

ما العمر ما طالت به الدهور العمـــر ما تم به السرور

وليس لشعره في الرثاء ولا الحكمة والزهد قيمة تذكر ، وأقول إن حكم الثعالبي هذا جائر وغير مقبول .

وبعد فأبو فراس كان ينهج منهج ابن المعتز في ملوكيته وفخره وظرفه ، وتأثره به واضح في شعره .

وهناك أبيات تنسب للشاعرين مثل :

---

(١) ١٧ : ١ اليتيمة

(٢) راجع ١٤٣ ديوان أبي فراس

وسارية لا تمـــل البـكا جرى دمعها فى خدود الثرى

وهى أول قصيدة فى ديوان ابن المعتز ، فأولها إلى قوله :

ومصباحنـا قمـــر مشرق كترس اللجين يشق الدجى

ينسب لأبى فراس (١) .

ومثل البيتين :

كأن البركة الغناء لما بدت غدت بالماء مفعمـة تموج

وقد لاح الضحى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليج

ينسبان لابن المعتز وهما فى ديوانه وينسبان لأبى فراس أيضا (٢) ، كما ينسبان لتميم بن المعز ..

(٥)

ابن سناء الملك : (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) :

القاضى السعيد هبة الله ، كان من جلة الرؤساء والكتاب والشعراء والأدباء فى عصره ، كتب فى ديوان الانشاء المصرى مدة وكان بارع الترسل والنظم ، وهو صاحب كتاب الموشحات الذى الذى سماه « دار الطراز » ، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسماه روح البيان (٣) ، وكان ابن سناء كما يقول عن نفسه : « يجرى خلف ابن المعتز ويطلب مطالبه ويحتذى حذوه (٤) » وكان معجبا بشعر ابن المعتز إلى حد بعيد ، وبلغ إعجابه به أنه كان يحتج بشعر ابن المعتز ليدفع عن نفسه الخطأ والتقصير فقد عاب القاضى الفاضل عليه قوله :

صلينى وهذا الحسن باق فربما يعزل بيت الحسن بعد ويكنس

لقوله « يعزل ويكنس » . فأجابه ابن سناء بأنه ما أوقعه فى الكنس إلا ابن المعتز فى قوله :

---

(١) ٣٢ الريحانة

(٢) ٣٠٣ الـكميت

(٣) ص ١٠ روضة الأدب فى طبقات شعر العرب لشهاب الدين الانصارى المصرى

(٤) ١٩ و ٢٠ ثمرات الأوراق لابن حجة

وقوامى مثل القناة من الخط   وخدى من الحيتى مكنوس

والسيد القاضى يعلم انى لم أزل أجرى خلف هذا الرجل وأتعثر وأطلب مطاليه فتنعسر على وتتعذر ، ووجدت هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز يقول .

وقفت بالروض أبكى فقد مشبهه   حتى بكت بدموعى أعين الزهر

لو لم أعرها دموع العين تسفحه   لرحمنى لاستعارتها من المطر

وقال :

قدك غصن لا شك فيـــه كما   وجهك شمس نهاره جسدك

فوجدت طبعى إلى هذا الأمر مائلا فنسجت على هذا الأسلوب وغاب على خاطرى مع على أننى المغلوب ، وقد نظمت تلك اللفظة فى الأبيات تقليدا لابن المعتز (١) ، فأجاب القاضى الفاضل بأن ابن المعتز غير معصوم من الغلط ولا يقلد إلا فى الصواب فقط ، وقد علم (الأخ) مما ذكره ابن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين وصفه ومخالفة وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا تنبس عليه الثياب (٢) . وكان ابن سناء مولعا بالخمر والشراب وسوى ذلك من اللذات ، وله شعر فى شتى فنون الشعر يتجلى فيه السلاسة والطبع وحسن التصوير

(٦)

ابن خفاجة الأندلسى (٤٥٠ — ٥٣٣ هـ)

وهب ابن خفاجة نفسه للجمال وفكره للخيال والطبيعة التى تتنقل بين رباها وخمائلها ، وجال بين مروجها وجداولها ووقف عند كل مشهد من مشاهد الجمال والسحر فيها يتأنى فى وصفه ونظم الشعر فيه

فهو شاعر الطبيعة الذى صور جمالها فى صورة مختلفة رائعة الأساليب وكان ينتقى الأساليب الجميلة والألوان الفاتنة ويدبجها بزخرف البديع ويوشيها بألوان المجاز والتشبيه ، وكان يوازن بأبى تمام فى شعره ومذهبه ، وبابن العميد

---

(١) ١٨ وما بعدها المرجع

(٢) ٢٠ : ١ ثمرات الأوراق ؛ وليس فى نسخة العمدة المطبوعة شىء من ذلك

أو الهمذانى فى النثر والكتابة ، (١) ، وهو يكثر من ألوان التصنيع الحسية فى شعره ويظهر فيها مهارة واسعة ويمزج بينها مزجا دقيقا وكان يكثر من الرسوم والصور فى شعره حتى قال ابن خلدون : «كان شيوخنا يعيبون شعر ابن خفاجة لكثرة معانيه وازدحامها فى البيت الواحد (٢)» يريد كثرة الصور وما يطوى فيها من خيالات معقدة ، ويقول المقرى فيه : أديب الأندلس وشاعرها وأوحد الناس فى وصف الأنهار والأزهار والرياض والبساتين وكان يلقب صنوبرى الأندلس (٣) وقصيدته :

أما والتفات الروض عن أزرق النهر وإشراق جيد الغصن فى حلية الزهر

قصيدة حافلة ويتجلى فيها مذهبه وصنعته وروحه .

قلد ابن خفاجة شاعرنا ابن المعتز فى صناعة الشعر وفى كثرة الصور الشعرية فى البيت وفى الإكثار من التشبيه وفى العناية بأوصاف الطبيعة وفى كثير من خصائص الشاعرية وسماتها الفنية مما هو معروف للباحثين والنقاد ، ومما يغنينا وضوحه عن الافاضة فيه .

* * *

ونضيف إلى ذلك كله ما سبق شرحنا له من أن المتنبى كان يغير على شعر ابن المعتز ومعانيه (٤) . كما كان ابن وكيع المصرى م ٣٩٣ هـ يحتذى حذو ابن المعتز فى تشبيهاته وأوصافه . وكذلك كشاجم والسرى والوأواء وسواهم من الشعراء . فلنكتف بهذه الاشارة عن الشرح والتحليل ولننتقل إلى بحث آخر جديد .

---

(١) ١٩١ بلاغة العرب فى الأندلس (٢) ٥٧١ مقدمة ابن خلدون

(٣) ٣٧٨ و ٣٨٨ : ٥ نفح الطيب نشر فريد رفاعى

(٤) راجع ١١٤ : ١ اليتيمة

الفصل الثامن

شعر ابن المعتز وأثره فى الدراسات البيانية

ابن المعتز أكثر الشعراء الذين يستشهد بشعرهم فى دراسة البلاغة والبيان ، وأشعاره وخاصة تشبيهاته لها قيمة كبيرة فى هذه الدراسات وقد أكثر من تحليلها وشرحها فى إجادة عبد القاهر فى الأسرار .

ونحن نعرض أمامك جميع الشواهد من شعر ابن المعتز لتعلم إلى أى مدى كان لشعره هذه المنزلة الكبيرة فى الأدب والشعر والبيان .

١ — فبيته :

سألت عليه شعاب الحى حين دعا   أنصــاره بوجوه كالدنانير

من خاصى الاستعارة ونادرها وقد أفاض عبد القاهر فى شرحه وتحليله وتبعه علماء البيان (١) .

٢ — وكذلك من نادر الاستعارة وبديعها قوله :

وأذن الصبح لنا فى الأبصار .

، بخيل قد بليت به   يكد الوعد بالحجج

، يناجينى الإخلاف من تحت مطله

فتختصم الآمال واليأس فى صدرى (٢)

٣ — ويستشهد ببيته :

يا مسكة العطــار   وخال وجه النهار

، فظــلت تدير الراح أيدى جــآزر

عتــاق دنانير الوجوه مـــلاح

.

(١) ٥٨ و ٥٩ دلائل الإعجاز ، ٣٩ و٥٩ حسن التوسل إلى صناعة التوسل ، ٢٩١ الايضاح للقزوينى؛ وقد ذكره عبد القاهر فى موضع آخر من الدلائل (ص ٧٨) يشير إلى أن بلاغته إنما هى فى نظمه

(٢) ٦١ الدلائل

على جمال أسلوب الاضافة بعد الاضافة فيه مع أن من شان هذا الضرب أن يدخله الاستكراه (١)

٤ — ويذكر عبد القاهر بيته :

أثمرت أغصان راحته   لجناة الحسن عنابا

ويجعله مثالا لنظرية أن الاستعارة تزداد حسنا كلما زدت ارادتك التشبيه اخفاء (٢)

٥ — ويذكرون الاستعارة فى الفعل فى بيته :

جمع الحق لنا فى إمام   قتل البخل وأحيا السماحا (٣)

٦ — والبيتان :

اصبر على مضض الحسو   د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها   إن لم تجد ما تأكله

من شواهد تشبيه التمثيل (٤)

٧ — ويذكر عبد القاهر فى بحث التشبيه وأثره قول ابن المعتز :

بدلت من يوم كظل حصاة   ليلا كظل الرمح غير موات

ويصور (٥) فضله على قولهم : « أيام كأباهم القطا » (٦)

٨ — والبيتان :

ولا زوردية تزهو بزرقتها   بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها   أوائل النار فى أطراف كبريت

---

(١) ٨٢ دلائل ، ٧ الايضاح (٢) ٣٤٦ دلائل ، ٣٠ حسن التوسل

(٣) ٤٠ أسرار البلاغة . ٣١ حسن التوسل ، ٢١٦ الايضاح

(٤) ١٤٨ المفتاح . ١٧٩ المفتاح الايضاح

(٥) ١٠٧ الأسرار

(٦) لجرير :

ويوم كابهام القطاة مزين   إلى صباه غالب لى باطله

وذكر أعرابى حبيبة له فقال : ما كانت أيامى معها إلا كاباهيم القطا قصرا (٣٤ أخبار النساء لابن الجوزية) وبيت ابن المعتز فى ديوانه هكذا :

أنزلت من ليل كظل حصاة   ليلا كظل الرمح وهو موات

من شواهد التشبيه (١)

ويطيل عبد القاهر فى شرح بلاغة البيتين وأنهما أبلغ من تشبيه النرجس بمداهن الدر فى قوله :

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عقيق

للبعد بين طرفى التشبيه (٢) ، وهما فى الديوان برواية تختلف قليل عن هذه الرواية (٣) ، وينسبان لابن الرومى (٤) ، ولأبى العتاهية أيضا .

٩ — ومن شواهد التشبيه أيضا قوله .

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا (٥)

ويشرح عبد القاهر البيت وبلاغته لشدة الائتلاف مع شدة الاختلاف بين طرفى التشبيه .

١٠ — ومن شواهد التشبيه أيضا قوله :

كأن الثريا فى أواخر ليلها تفتح نور أو لجام مفضض (٦)

وكذلك قوله :

فجاءت بها فى كأسها ذهبية لها حدق لم تتصل بجفون

وهو من دقيق التفصيل فى التشبيه ، وكذلك قوله فى البازى :

ومقلة تصدقه إذا رمق كأنها نرجسة بلا ورق (٦)

وقوله :

تكتب فيه أيدى المزاج لنا ميمات سطر بغير تعريق (٧)

---

(١) ١١٠ الأسرار . ١١١ الايضاح ، ١٤٦ المفتاح ، ٥٣ المصباح لابن مالك
(٢) ١١٠ الأسرار (٥) ٣٠٤ ديوان ابن المعتز
(٣) ١٥٣ : ١ معاهد التنصيص
(٤) ١٣١ الأسرار ، ١٦٤ و ١٦٨ الايضاح ، ١٤٤ : ١ معاهد التنصيص
(٥) ١٣١ وما بعدها الأسرار ، واشار عبدالقاهر إلى ذلك مرة أخرى (١٥٩ الأسرار) ، وعد البيت من غريب التشبيه ومثله عنده فى ذلك قوله :
بلفظ يأخذ الحرف المحلى كأن سطوره أغصان شوك (١٣٦ الأسرار)
(٦) ١٨١ الأسرار ، ويشرح عبد القاهر هذا التشبيه فى ص ١٤٦ الأسرار أيضا
(٧) راجع ١٤٤ و ١٤٥ الأسرار

ومن التفصيل فى التشبيه أيضا قوله :

والصبح تحت الليل باد   كطرف أشهب ملقى الجلال (١)

وكذلك قوله :

وحلى أذريونة فوق خده   ككأس عقيق فى قرارتها مسك

وقوله :

كأن آذريونها   والشمس فيها كالية
مداهن من ذهب   فيها بقايا غالية (٢)

ومن بليغ شواهد الاستقصاء فى التفصيل فى التشبيه قوله :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى   نطير غرابا ذا قوادم جون (٣)

وقوله : والشمس كالمرآة فى كف الأشل (٤) وهو من التشبيه الذى اقترنت فيه هيئة الحركة غيرها من الأوصاف كالشكل واللون ، واللون ، وهو من التشبيهات الغريبة لقلة رؤية العيون له (٥) .

١١ — ومن شواهد التشبيه أيضا قوله :

وتوقد المريخ بين نجومها   كبهار (٦) فى روضة من نرجس (٧)

وقوله :

والصبح فى طرة ليل مسفر   كأنه غرة مهر أشقر (٨)

وقوله :

أدهم مصقول ظلام الجسم   قد سمرت جبهته بنجم

وقوله :

---

(١) ١٤٧ الأسرار ، ١٧٧ الايضاح
(٢) ١٥٣ الأسرار ، ١٨٧ الايضاح
(٣) ١٥٤ الأسرار ، ١٨٤ الإيضاح
(٤) ١٥٧ الأسرار ، ١٦٣ و ١٧٦ الإيضاح ، ١٤٤ : ١ معاهد التنصيص
(٥) ١٦١ الأسرار
(٦) واحده البهار ، وهو نبت طيب الرائحة
(٧) ١٨١ أسرار
(٨) ١٨٢ الوجع

وأنهار ماء كالسلاسل فجرت لترضع أولاد الرياحين والزهر (١)

وقوله :

لدى نرجس غض وسرو كأنه قدود جوار ملن فى أزر خضر (٢)

وقوله :

تسق بأنهار مفجرات مثل السيوف المتفريات (٣)

وقوله :

وتراه يصغى فى القناة بكفه نجما ونجما فى القناة يجر

ومثله سواء قوله :

كأنما الحربة فى كفه نجم دجى شيعه البدر (٤)

وقوله :

وحت الثمرى وجوزاوها كمثل زج جره رامح (٥)

وقوله :

تخال الدجى والفجر قد مد خيطه رداء موشى بالكواكب معلما

وقوله فى معناه :

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم (٦)

وقوله :

وكأن الشمس المنيرة دينا ر جلته حدائد الضراب (٧)

وقوله يشبه حركة الخباء بحركة الطائر المقصوص :

ورفعنا خباءنا تضرب الر يح حشاه كالجاذف المقصوص (٨)

---

(١) ٢٥٠ المرجع (٢) ١٨٣ المرجع

(٣) ١٨٥ أسرار . وهو شبيه بقول ابن الرومى

على حفاف جدول مسجور كمثل متن الصارم المشهور

(٤) ١٨٧ الأسرار (٥) ١٨١ المرجع

(٦) ١٩٣ الاسرار ، والبيت الأخير من شواهد الايضاح أيضا (١٧٤ الايضاح)

(٧) ١٩٣ وما بعدها الأسرار (٨) ١٩١ الأسرار

١٢ — ومن شواهد حسن التعليل قوله :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم   من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت   والدم فى النصل شاهد عجب (١)

١٣ — ومن شواهد الادماج (٢) قوله فى الخيرى :

قد نفض العاشقون ما صنع الهجر بألوانهم على ورقه
فأدمج الغزل فى الوصف (٣)

١٤ — ومن شواهد التلميح (٤) قوله :

أترى الجيرة الذين تداعوا   عند سير الحبيب وقت الزوال
علموا أنى مقيم وقلبى   راحل فيهم أمام الجمال
مثل صاع العزيز فى أرحل القوم   ولا يعلمون ما فى الرحال (٥)

١٥ — ومن شواهد التوشيع (٦) قوله :

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها   شبيهة خديها بغير رقيب
فما زلت فى ليلين : شعر وظلمة   وشمسين من خمر وخد حبيب (٧)

١٦ — ومن شواهد التكميل ويسمى الاحتراس ، وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه ، قول ابن المعتز :

صببنا عليها ظالمين سياطنا   فطارت بها أيد سراع وأرجل (٨)

---

(١) ٢٤٤ أسرار ، ٢٤ إيضاح ، ١٦ و ١٧ : ٢ معاهد التنصيص
(٢) هو أن يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر
(٣) ٢٦٨ الايضاح ، ٤١ : ٢ معاهد التنصيص .
ولعضد الدولة فى الخيرى :
كان أوراقه فى القد أجنحة   صفر وحمر وبيض من دنانير
(٤) هو أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره
(٥) ٢٩٩ الايضاح . ونسب الثعالبي للابيات للخباز البلدى الشاعر (١٩٠ : ٢ اليتيمة)
(٦) هو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر
(٧) ١٤١ الإيضاح ، ونسب صاحب العقد البيت الثانى للمعتز « ١٣٢ : ٤ » ،ونسبها الثعالبي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر « ١٠٥ خاص الخاص »
(٨) ١٤٥ إيضاح ، وعده ابن رشيق من باب المبالغة (٥٢ : ٢ العمدة) . ويذكر البيت نفسه فى باب الحشو (٦٥ : ٢ العمدة) ، ويقول الحصرى: « ظالمين » أبدع حشو جرى فى بيت (٢٦ ج ٢ زهر)

١٧ — ومن شواهد الاعتراض قوله :

إن يحيى — لا زال يحيى — صديقى
وخليلى من دون هـذا الأنام (١)

١٨ — ويذكر بيت ابن المعتز :

فأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

شاهداً لنوع من الإيغال يسمى الاستظهار ، فقوله « المسلم » استظهار ، لأن العلويين من بنى عم النبى أيضا أعنى أبا طالب ، ولكنه مات جاهليا ، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة (٢) .

١٩ — ومن شواهد التكرار قوله :

لسانى لسرى كتوم كتوم ودمعى بحبى نموم نموم (٣)

ومن شواهد التفريع قوله :

كلامه أخدع من لحظة ووعده أكذب من طيفه

فبينما هو يصف خداع كلامه خرج فيه ووصف كذب وعده وقوله أيضا :

حتى إذا صب المزاج تبسمت عن ثغرها لحسبتها من ثغره(٤)

ومن شواهد تجاهل العارف قوله :

وسكرت لاأدرى أمن خمر الهوى أم كأسه أم فيه أم عينيه(٥)

ومن شواهد جمع المؤتلف والمختلف قوله (٦) ،

والله ما أدرى بكنه صفاته ملك القلوب فأوبقت فى أسره
أبوجهه أم شعره أم ثغره أم نحره أم ردفه أم خصره ؟

---

(١) ١٨١ المفتاح (٢) ٥٧ : ٢ العمدة ، ٩٩ حسن التوسل

(٣) ٥٧ : ٢ العمدة ، ١٠٥ المصباح

(٤) ١٠٩ المصباح ، والبيت الأول فى ٣٨٥:٤ حاشية السبكى إحدى حواشى شروح التلخيص

(٥) ٣٨٩ صناعتين (٦) ٣٩٤ صناعتين

ومن شواهد الاستطراد قوله :

يا ليت لى من جلد وجهك رقعة　　فأقد منها حافرا للأشهب (١)

وهو من قول أبى تمام :

أيقنت إن لم تثبت أن حافره　　من صخر تدمر أو من وجه عثمان

وقول البحترى :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته　　يوما خلائق حمدويه الأحول

وبعد فشعر ابن المعتز ثروة كبيرة فى الدراسات البيانية ، وقل أن نجد لشاعر من الشعراء مثل ما له من كثرة الشاهد فى هذا الباب .

---

(١) ٣٩٠ صناعتين

الفصل التاسع

معارضات ابن المعتز — أبياته المشهورة — شعر ينسب له ولغيره

(١)

معارضات :

لابن المعتز قصائد تأثر فيها بالشعراء قبله أو عارضهم بها ، ونحن نعرض عليك ألوانا من ذلك فى هذا البحث .

١ — قصيدة ابن المعتز :

سقيا لدار بنهر الكرخ من دار   تركت فيها لباناتى وأوطارى
كم فيك يادار من عصر لهوت به   ياليته لى من عمرى بأعصار
يرون فيها الظباء الأدم سانحة   يشبهن شرا بأعناق وأبصار
ثم التفت إلى شيبى فذكرنى   حلمى فأبت إلى يأس وإقصار

ثم يصف كلاب الصيد وصفا دقيقا (١) . وهذه القصيدة شبيهة فى روحها وبعض معانيها بقصيدة النابغة :

عوجوا لحيوا لنعم دمنة الدار   ماذا تحيون من نؤوى وأحجار؟

٢ — قصيدة ابن المعتز :

حث الفراق بواكر الأحداج   وسقاك يوم نأوا بكتم شاجى
هل غير إمساك بأطراف المنى   فيها لطالب خلة أوراجى

ومنها :

وإذا المنية أخرت أيامها   فالحى من شرك العداوة ناجى

وهى على نمط قصيدة جرير فى الحجاج :

---

(١) ٢٦٦ ديوان ابن المعتز

هاج الهوى بفؤادك المهتاج فانظر بتوضح باكر الأحداج (١)

وتتشابه القصيدتان فى جزالتهما والغرابة التى تغلب عليهما وفى روح الشاعرية ومنهج الشاعرين ..

٣ — قصيدة ابن المعتز :

أمكنت عاذلتى من صمت أباء ما زاده النهى شيئا غير إغراء

وقد عارض بها قصيدة الحسين بن الضحاك :

بدات من نفحات الورد بالآء (٢) ومن صبوحك در الأبل والشاء (٣)

٤ — قصيدته :

بان الخليط ولم تطق صبرا ووجدت طعم فراقهم مرا
قالت لأتراب خلون بها وبكت فبلل دمعها النحرا
ما باله قطع الوصال ولم أطأ الصوارم والقنا السمرا

إلى آخر القصيدة التى يظهر لك فيها بوضوح روح التأثر بعمر بن أبى ربيعة فى تهالكه إلى حد كبير

٥ — وقصيدته :

شجاك الحى إذ بانوا فدمع العين تهتان

ومنها :

جزينا الأمويين ودناهم كما دانوا

فيها روح التأثر بقصيدة الفند الزمانى فى حرب البسوس :

صفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان

ومنها :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان

---

(١) راجعها ف ٢٣ : ١ ديوان جرير
(٢) ثمر شجرة يأكله النعام وتسمى السرحة
(٣) راجع ٨٢ : ٤ وما بعدها مختارات البارودى

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان
وبعض الحلم عند الجهـــل للذلة إذعان
وفى الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان (١)

٦ — قصيدته :

هاتيك دراهم فمرج واسأل مقسومة بين الصبا والشمأل

ومنها :

ولرب قرن قد تركت مجدلا جزرا لضارية الذئاب العسل
صدى به والموت يخفر روحه وبرأسه كفم الفنيق الأهزل

فيها روح التأثر الواضح بلامية عنترة المشهورة .

٧ — وقصيدته :

لقد صاح بالبين الحمام الصوداح وهاج لك الشوق الحمول الروائح

ومنها :

وقيدها بالنصل خرق كأنه إذا جد لولا ماجنى السيف مازح

على نمط قصيدة لعتبة بن بجير يقول منها :

فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح

الخ ، وتجدها فى الحماسة .

٨ — وقصيدته :

لما ظننت فراقهم لم أرقد وهلكت إن صح التظنن أوقد

ومنها :

ما أسرع التفريق إن عزموا غدا لاشك أن غدا قريب الموعد

---

(١) تجدها فى ١٥ : ١ شرح مختصر ديوان الحماسة

وجرت لنا سنحا جآذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد
وقد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراود من سحيق الإثمد
أشباه آنسة الحديث خريدة كالشمس لاقتها نجوم الأسعد

واضحة التأثر البعيد بدالية النابغة :

من آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

والتى يقول فيها :

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود

٩ — وقصيدته :

وقت إلى الكوم الصفايا بمنصلى فصيرتها مجدا لقوى وأحسابا

ومنها :

لجئت على ضوء ورقبة غائر أحاذر حراسا غضابا وحجابا

على نمط شعر امرىء القيس ، وفيها فخر بقرى الضيف ، وبالبكور على الأفراس للصيد وزيارة الأحباب على خوف ورقبة غائر ، وبشرب الراح المعتقة وسماع الغناء الجميل ، وهو النهج الذى كان يسير عليه امرؤ القيس فى قصائده .

(٢)

ما ينسب له ولغيره :

وهناك شعر ينسب لابن المعتز ولشعراء آخرين ، فتجد بعض أبيات فى ديوان ابن المعتز وهى مع ذلك تروى لغيره الشعراء ، وسأذكر من ذلك مثلا تؤيد ما أقول:

١ — يروى لابن المعتز فى مغن :

لا يعد الصوت فيه نفور لا ولا يقطعه منه بهر
فبهذا قد أسغت حياة طعمها لولا التعلل مر

وينسبان لابن الرومى ،

٢ — ويروى لابن المعتز :

بلوت أخلاء هذا الزمان   فأقللت بالهجر منى نصيبى
فكلهم إن تصفحتهم   صديق العيان عدو المغيب

والبيتان يرويان للمعتز والد شاعرنا عبد الله (١) .

٣ — والبيتان :

كأننى عانقت ريحانة   تنفست فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدجى   حسبتنا فى جسد واحد

لابن المعتز ، ويرويان لخالد الكاتب(٢) .

٤ — ولشاعر ويقال لابن المعتز:

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرق   فأعرضن عنى بالخدود النواضر

والبيت فى البيان والتبيين منسوب للعتبى(٣)

٥ — ويروى لابن المعتز :

ورازقى مخطف الخصور   كأنه مخازن البلور

الأبيات (٤) ، وتروى لابن الرومى (٥) :

٦ — سقتنى فى ليل شبيه بشعرها   شبيهة خديها بغير رقيب
فبت ولى ليلان بالشعر والدجى   وشمسان من خمر ووجه حبيب

يرويان لابن المعتز (٦) ، وينسبان لابن أبى طاهر (٧) ، ولسواه :

٧ — غدير ترجرج أمواجه   هبوب الرياح ومر الصبا

هما لابن المعتز وفى ديوانه (٨) ، وقيل هما لابن وكيع فى الشمس على الماء (٩)

---

(١) ٤٩ الكشكول
(٢) ١٧٢ ديوان الصبابة لابن أبى حجلة ، ٢١٧ تزيين الاسواق
(٣) ١٣٩ : ٢ البيان   (٤) ١٠ فصول التماثيل
(٥) ديوان ابن الرومى ، ١٠ : ٢ زهر ، ٣٧ : ٢ ديوان المعانى
(٦) راجع : ديوانه ، ٢٢٧ : ١ الأمالى ، ١٥ : ٣ زهر .
(٧) ٣٤٤ : ١ ديوان المعانى   (٨) ص ٣٠٠   (٩) ٣٢٣ حلبة الكميت .

٨ — وسارية لا تمل البكا جرى دمعها فى خدود الثرى

الأبيات ، وهى لابن المعتز (١) ، وتروى لأبى فراس (٢) .

٩ — تخفى الزجاجة لونها وكأنها فى الكف قائمة بغير إناء

لابن المعتز (٣) ، وينسب لأبى تمام (٤) ، وللبحترى (٥)

١٠ — ومهفهف عقد الشراب لسانه فحديثه بالرمز والإيماء
حركته بيدى وقلت له انتبه يا فرحة الخلطاء والندماء

الأبيات ، وهى لابن المعتز (٦) ، وتنسب لأبى نواس (٧)

١١ — ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت

لابن المعتز ، وتنسب لأبى العتاهية ، وتنسب لابن الرومى (٨) أيضا

١٢ وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

تنسب لابن المعتز (٩) ، وتنسب لابن الرومى وهى فى ديوانه

١٣ - أطال الدهر فى بغداد همى وقد يشقى المسافر أو يفوز
ظللت بها على كره مقيما كعنين تعانقه عجوز

لابن المعتز (١٠) ، وتنسب لابن الرومى (١١) ،

١٤ - كأن الثريا هودج فوق ناقة
يحث بها حاد إلى الغرب مزعج

---

(١) ص ٥ دونه (٢) ٣٢ : الريحانة .
(٣) راجع كتاب فصول التماثيل وديوانه (٤) ص ٣ ديوان أبى تمام
(٥) ص ٥ و ١٢٩ الموازنة ، وديوان البحترى .
(٦) ٢٠٧ ديوانه ، ٤٦٣ : ١ وفيات الأعيان .
(٧) ١٢٥ ديوان أبى نواس (٨) ١٥٣ : ١ معاهد التنصيص .
(٩) ٢١٢ المنتحل للثعالبى (١٠) ٣١٩ ديوانه
(١١) ١١١ ديوان ابن الرومى .

وقد لمعت حتى كأن بريقها قوارير فيها زئبق يترجرج

لابن المعتز (١) . وتنسب لأبي القاسم التميمي (٢) .

١٥ — كأن البركة الغنـاء لما غدت بالماء مفعمة تموج

وقد لاح الضحى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليج

لابن المعتز (٣) ، وتنسب لأبي فراس (٤) .

١٦ — فليس للهم إلا شرب صافية كأنها دمعة من عين مهجور

لابن المعتز كما في ديوانه ، ويروى لأبي نواس (٥) .

١٧ — وتحت زنانير شددن عقودها زنانير أعكان معاقدها السرر

لابن المعتز وينسب لأبي نواس (٦) .

١٨ — قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب

حمرتها من دماء من قتلت والدم في النصل شاهد عجب

لابن المعتز وتروى لابن الرومي (٧) .

١٩ — وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقم واغتنم واشرب على كل روضة وفي كل بستان وبين الحدائق

فما العمر إلا صحة وشبيبة وكأس وقرب من حبيب موافق

ومن عرف الأيام لم يغترر بها وبادر باللذات قبل العوائق

لابن المعتز (٨) ، والبيتان الأولان يرويان لابن دريد (٩) .

---

(١) ٣٠٥ ديوانه (٢) ٣٤٦ حلبة الـكميت

(٣) ٣٠٥ ديوانه ، ٣٠٣ حلبة الـكميت .

(٤) ٣٠٣ حلبة (٥) ٦١ على السفود للرافعي

(٦) العمدة ، و ٤٥ : ٢ زيدان ، ٣٣٧ الأدب العباسي لمحمود مصطفى .

(٧) ٣٨٧ الأدب العباسي لمحمود مصطفى .

(٨) ١٤٣ حلبة الـكميت .

(٩) ٤٨ : ١ ثمرات الأوراق ، ٧٠ : ١ ديوان الصبابة لابن أبي حجلة بهامش تزيين الأسواق ط ١٣٢٨ ، ووفيات الأعيان .

٢٠ — وكأس كمصباح السماء شربتها على قبلة أو موعد بلقاء
لابن المعتز كما فى ديوانه ، وينسب لأبى نواس (١) .

٢١ — وذكر ابن رشيق أبياتا للعباس بن الأحنف ، وقال إن شيخنا رواها لابن المعتز (٢).

(٣)

أبياته المشهورة :

ولابن المعتز أبيات كثيرة مشهورة نذكر بعضها :

قال ابن المعتز :

وكان ماكان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وهو بيت سائر رائع . .

، فأمامى المر من عمـــرى وورائى منـه ما طابا

، ويقول :

والصبـا يمتلىء حاجة وأمـلا

، وما خفنا من الناس وهل فى الناس إنسان ؟

، حظ مضى ما كنت أعرف قدره حتى انتهى فعرفته حين انتهى

ومثله قوله أيضا :

عجبا للزمان من حالتيه وبلاء دفعت منه اليه

رب يوم بكيت منه فلمـا صرت فى غيره بكيت عليه (٣)

، أم الـكرام قليلة الأولاد

---

(١) ٨٥ فصول التماثيل ، ديوان أبى نواس .

(٢) راجع ٨١ : ٢ العمدة

(٣) هو من قول إبراهيم بن العباس الصولى :

سقيا ورعيا لأيام لنا سلفت بكيت منها فصرت اليوم أبكيها

كذاك أيامنا لا شك نندبها إذا تقضت ونحن اليوم نشكوها

، قالوا جننت بلا شك فقلت لهم ما لذة العيش إلا للمجانين

، ما زال صرف الزمان يقسمنا على المسرات والمساءات

خلقت فى شر عصبة خلقت أشكانيها رب السموات

يلقون ذا الفقر بالقطوب وذا الوفر بلبيك والتحيات

ويقول :

إنى غريب بدار لا كرام بها كغربة الشعرة السوداء فى الشمط

، أخذت من شبابى الأيام وتولى الصبا ، عليه السلام

، إن للمكروه لذعة شر فاذا دام على المرء هانا

. والشيخ فى لذاته مستكثر الحركات

، إن الزمان إذا جربت خلقته مقسم الأمر بين الصفو والكدر

، ويقول فى المشيب :

نور الرؤوس واللحى وظلمة القلوب

ويقول : قد ملىء الزمان بالعجائب وارتفع المنسم فوق الغارب

عذ بالكفاء عن رجاء كاذب

، إذا كنت فى ثروة من غنى فأنت المسود فى العالم

، وحدثتنى يا سعد عنهم فزدتنى جنونا ؛ فزدنى من حديثك ياسعد

، رب أمر تتقيه جر أمرا ترتجيه

خفى المحبوب منه وبدا المكروه فيه

فاترك الدهر وسلمه إلى عدل يليه

ويقول :

وللدهر أيام تسىء عوامدا وتحسن إن أحسن غير عوامد

، وحدثتنى يا سعد عنها فزدتنى جنونا فزدنى من حديثك ياسعد

، إن الزمان على الكرام لئيم

ويقول :

متى يدرك الإحسان من لم تكن له إلى طلب الإحسان نفس تنازع

الفصل العاشر

مقطوعات وقصائد لابن المعتز

ليست فى ديوانه المطبوع فى مصر وبيروت

ورد لابن المعتز :

أشكو إلى الله هوى شادن أصبح فى هجرى معذورا
إن جاء فى الليل تجلى وإن جاء صباحا زاده نورا
فكيف احتال إذا زارنى حتى يكون الأمر مستورا(١)

وقال (٢)

الآن زاد على عشر بواحدة من بعد أخرى وشاب الحب بالخدع
وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه وجرر الوعد بين اليأس والطمع

وقال (٣) :

إذا ما جحدت الحب قالت عواذلى فمالك تبكى ؟ دمع عينيك أصدق
شقيت ـ كمن يشقى ـ بريم أحبه على وجهه نور من الحسن يشرق

وقال (٤) :

قالت : بليت ، بحق جسمى أن يبلى ، وهل أبقيت من جسمى ؟
إن الرسول أشاع قولك لى إياك أن تزداد من علم

وقال يرثى أباه من قصيدة طويلة فى ديوانه المخطوط :

---

(١) ٢٢٩ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٢) ٢٣٤ المرجع .
(٣) ٢٣٥ « .
(٤) ٢٤٢ « .

رب حتف بين أثناء الأمل وحياة المرء ظل ينتقل
أين من يسلم من صرف الردى حكم الموت علينا فعدل
وكأنا لا نرى ما قد نرى وخطوب الدهر فينا تتصل
إن للكامل فى ذا حفرة سوف أبكيه بأطراف الأسل
ونرى القتل بقاء ثانيا ونرى الموت قبيحا بالرجل
إن يكن خضبه أعداؤه بدم فالدم حناء البطل
ولقد خلف من بعدهم لهم صل الأعادى أى صل
فرويدا بظلام صبحه فهى الأيام والدهر دول
إن مفتاح الذى تطلبه بيد المقدور فاصبر واتكل
فرغ الله من الرزق ومن مدة العمر ومن وقت الأجل

وقال يرثيه أيضا من قصيدة طويلة فى ديوانه المخطوط :

نبه السيف على واتريه حي الجهل ومات السرار
لو به أقتل كل قريب وبعيد لم ينم لى ثار
مطالته النصل منى سن لم تطل بى لخطاها قصار

وقال يصف أرضة أكلت له كتابا :

تثنى أنابيب لها فيها سبل مثل العروق لا ترى فيها خلل

وهو مقلوب قول ابن الرومى يهجو مغنية :

فإذا غنت ترى فى حلقها كل عرق مثل بيت الأرضة (١)

وكتب إلى أبى الطيب القاسم بن محمد النميرى :

يا أيها الجافى ويستجفى ليس تجنيك من الظرف
إنك فى الشوق إلينا كمن يؤمن بالله على حرف
محوت آثارك من ودنا غير أساطيرك فى الصحف
فإن تحاملت لنا زورة يوما تحاملت على ضعف

---

(١) ١١١ : و ١١٢ : ٢ زهر — وبيت ابن المعتز من قصيدة طويلة فى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء وسيأتى بعضها .

وهو على قول أبى نواس :

صحت علانيتى له وأرى دين الضمير له على حرف (١)

وقال فى القاسم بن عبيد الله لما عرض ليخاف أباه :

قلم ما أراه أم فلك يجـ ـرى بما شاء قاسم ويشير
خاشع فى يديه يلثم قرطا سا كما قبل البساط شكور
ولطيف المعنى جليل نحيف وكبير الأفعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حتـ ـف وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالدجى نهارا فما أد رى أخط فيهن أو تصوير
وكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى إلى العلا ويصير
عظمت منة الإله عليـه فهناك الوزير وهو الوزير (٢)

وقال :

لاشىء يسلى همى سوى قدح تدمى عليه أوداج إبريق
فى يوم غيم ترجى سحائبه برق ابتسام ورعد تصفيق (٣)

وكان أحمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم المعتز بقوم سألوها أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتا من النهار فأجابت أو كادت تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل الخبر بى جلست فى منزلى غضبان لما بلغنى عنها ، وكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة :

أصبحت يا ابن سعيد خذن مكرمة عنها يقصر من يحفى وينتعل
سربلتنى حكمة قد هذبت شيمى وأججت نار ذهنى فهى تشتعل
أكون إن شئت قسا فى خطابته أو حارثا (٤) وهو يوم الحفل مرتجل
وإن أشا فكزيد (٥) فى فرائضه أو مثل نعمان (٦) لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضيا أخا فطن أو الكسائى نحويا له علل
تعلو بداهة ذهنى فى مراكبها كمثل ما عرفت آبائى الأول

---

(١) راجع ١٢٩ و ١٤٠ : ٢ زهر (٢) ١٤٤ : ٢ زهر
(٣) ١٦٤ : ٢ زهر
(٤) هو الحرث بن حلزة اليشكرى الشاعر الجاهلى ومن أصحاب المعلقات .
(٥) زيد بن ثابت الأنصارى كاتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٦) هو أبو حنيفة م سنة ١٥٠ هـ .

وفى فى صارم ماسله أحد من غمده فدرى ماالعيش والجذل
عقباك شكر طويل لا نفاد له يبقى بجدته ماأطت الإبل (١)

وقال فى القاسم بن عبيد الله :

إذا ما مدحناه استعنا بفعله فنأخذ معنى قولنا من فعاله (٢)

وقال :

وغنت فأغنت عن المسمعين وارتج بالطرب المجلس
محاسنها نزهة للعيون ومعرضها كل ماتلبس

أخذه كشاجم فقال :

كل اللباس عليها معرض حسن وكل ماتتغنى فهو مقترح (٣)

وقال وذكر المرآة :

فبينتنى لى كلما رمت نظرة وناصحتنى من دون كل صديق
يقابلنى منك الذى لاعدمته باجة ماء وهو غير غريق (٤)

وقال يرثى عبيد الله بن سليمان بن وهب :

ياابن وهب بالكره منى بقيت عجبى يوم مت كيف حييت
إنما طيبك الثناء الذى خلف ت لا مسك نعشك المفتوت
واختصرت الطريق بعدك للمو ت فلاقيته ولست أفوت
كيف يبقى على الحوادث حى بيد الدهر عوده منحوت (٥)

وقال يرثيه أيضاً ، والبيتان فى الديوان ، .

---

(١) ٢٦٧ : ٢ زهر ، ١٣٢ : ١ معجم الأدباء نشر مرجليوث.
(٢) ٢٧٦ : ٢ زهر .
(٣) ٣٠ : ٣ « .
(٤) ٣٢ : ٣ « .
(٥) ٨٥ و ٨٦ : ٣ زهر .

ذكرت عبيد الله والترب دونه   فلم تحبس العينان منى بكاهما
وحاشاه من قول سقى الغيث قبره   بداه تروى قبره من نداهما

وهذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة   بإسقائها قبرا وفى لحده البحر (١)

وقال يرثى أبا الحسين بن ثوابة :

ليس شىء لصحة ودوام   غلب الدهر حيلة الأقوام
وتولى أبو الحسين حميدا   فعلى روحه سلام السلام
حين عاقدته على الحفظ للعهد   وصالحته بكف الذمام
واصطفته دون الأخلاء نفسى   كاصطفاء الأرواح للأجسام
كان ريحانة الندامى وميزا   ن القوافى شعرا وبحر كلام
ومكان الوهم الذى لا يرى الشـ   ـك ولا يستغيث بالأوهام
سامر الوحى فى القراطيس لا تحـ   ـبس عنه أعنة الأقلام
فإذا ما رأيته خلت فى خديـ   ـه صبحاً منقباً بظلام
نفس صبرا لا تجزعى إن هذا   خلق من خلائق الأيام (٢)

وقال يهجو على بن بسام (٣)

من شاء يهجو عليا فشعره قد كفاه
لو أنه لأبيه ما كان يهجو أباه (٤)

وقال :

فما تنفع الآداب والعلم والحجى   وصاحبها عند الكمال يموت
كما مات لقمان الحكيم وغيره   فكلهم تحت التراب صموت (٥)

وقال فى الليلة التى قتل فى صبيحتها :

---

(١) ٨٦ : ٣ زهر .
(٢) ٨٨ : ٣ »
(٣) شاعر هجاء مجيد توفى سنة ٣٠٢ هـ .
(٤) ٩٠ : ٣ زهر وهما فى الديوان .
(٥) ٩٧ و ٩٨ : ١٠ تاريخ بغداد .

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك خانتك من بعد طول الأمن دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها طوباك يا ليتنى إياك ، طوباك
لكن هو الدهر فالقيه على حذر فرب مثلك تنزو بين أشراك
إن كان قصدك شرقا فالسلام على
شاطى الصراة(١) ابلغى إن كان مسراك
من موثق بالمنايا لا فكاك له يبكى الدماء على إلف له باكى
فرب آمنة حانت منيتها ورب مفلتة من بين أشراك
أظنه آخر الأيام من عمرى وأوشك اليوم أن يبكى لى الباكى(٢)

وقال حين قتله :

وقل للشامتين بنا رويدا أمامكم المصائب والخطوب
هو الدهر الذى لابد من أن يكون إليكم منه ذنوب(٣)

وقال :

سقيـــا لظل زمانى ودهرى المحمـــــود
ولى كليلة وصـــــل قدام يوم صـــــدود(٤)

وقال ابن المعتز :

ولقد وطئت الغيث يحملنى طرف كلون الصبح حين وفد
جاع أطراف الصوار فـا الـ أخرى عليه إذا جرى بأشد
يمشى فيعرض فى العنان كما صدف المعشق ذو الدلال وصد
فكأنه موج يذوب إذا أطلقته فإذا حبست جمد(٥)

وقال :

وفتيان سروا والليل داج وضوء الصبح متهم الطلوع

---

(١) كان فيها دار ابن المعتز (تاريخ بغداد) .
(٢) ٩٨ و ١٠٠ : ١٠ تاريخ بغداد .
(٣) ١٠٠ : ١٠ تاريخ بغداد
(٤) ٢٢٦ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٥) ٢٢٠ : ١ زهر الآداب نشر الدكتور مبارك ، الطبعة الثانية

كأن بزاتهم أمراء جيش على أكتافهم صدأ الدروع (١)

وقال :

وغادر منى الدهر عضبا مهندا يفل شبا خصمى وقلبا مشيعا (٢)
ورأيا كمرآة الصناع أرى به سرائر غيب الدهر من حيث ما سعى (٣)

أخذه(٤) من قول المنصور لابنه المهدى : لا تبرمن أمرا حتى تفكر فيه فإن فكر العاقل مرآته ، يريه قبحه وحسنه .

ولما(٥) دفن المنصور وقف الربيع على قبره فقال :

رحمك الله يا أمير المؤمنين ، وغفر لك ، فقد كان لك حمى من العقل ، لا يطير به الجهل ، وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأى ، كما ترى ظاهره .

وقال :

وجنة للدنايا خضت غمرتها بصارم ذكر صمصامة خذم
وقارح صبغ الخيلان دهمته بسهبة كاختلاط الصبح بالظلم (٦)

وقال :

أنعت رقطاء لا ينجو لرقيتها لوقدها السيف لم يعلق به بلل
تلقى إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كم درع قده بطل (٧)

وقال ابن المعتز يمدح الشراب فى الصحو ويذمه فى المطر :

أنا لا أشتهى سماء كبطن الـ عير والشرب تحتها فى خراب
بين سقف قد صار منخل ماء وجدار ملقى وتل تراب

---

(١) ٢١٩ : ١ زهر الآداب
(٢) ٥١ ديوان ابن المعتز طبع بيروت ، ص ٢٢٢ : ١ زهر الآداب .
(٣) ٢٢٣ : ١ زهر الآداب وليس هذا البيت فى ديوانه.
(٤) ٢٢٣ : ١ زهر الآداب.
(٥) ٢٢٣ : ١ زهر .
(٦) ٢٢٢ : ١ زهر .
(٧) ٢٢٢ : ١ زهر .

وبيوت يوقع الوكف فيهن ... وإيقاعه بغـير صواب
إنما أشتهى الصبوح على وجـ ... ـه سماء مصقولة الجلباب
ونسيم من الصبا يتمشى ... فوق روض ند جديد الشباب
وكأن الشمس المضيئة دينا ... ر جلته حـدائد الضراب
فى غداة وكأسها مثل شمس ... طلعت فى ملاءة من شراب
أو عروس قد ضمخت بخلوق ... فهى صفراء فى قميص حباب
وغناء لاعـذر للعود فيه ... بتندى الأوتار والمضراب
ونشاط الغلمان إن عرضت حا ... جاتنا فى مجيئهم والذهاب
وجفاف الريحان والنرجس الغض ... بأيدى الخـلان والأصحاب
ذاك يوم أراه غنما وحظا ... من عطاء المهيمن الوهاب (١)

وقال :

كم فرصة ذهبت فعـادت غصة ... تشجى بطول تلهف وتندم (٢)

وقال :

إن للمكروه لذعة شر ... فإذا دام على المرء هانا (٣)

وقال يصف شرابا :

كأن أباريق اللجين لديهم ... ظباء بأعلى الرقمتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رءوسهم ... من اللين لم يخلق لهن عظام

البيت الأول من قول علقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبى على شرف ... مفدم بسبا الكتان ملثوم

أراد : بسبائب ، فحذف .

والثانى من قول أبى نواس :

كأن أرؤسهم والنوم واضعها ... على المناكب لم تخلق بأعناق (٤)

---

(١) ٢٤٢ : ١ زهر الآداب .
(٢) ٢٥٨ : ١ » » .
(٣) ٢٨٣ : ١ » » .
(٤) راجع ٢٨٩ : ١ زهر .

وقال :

كم من أخ لى لم يلده والد وابن قربى كان هما ووجل

وقال :

ألا فاسقيانى والظلام مقوض

ونجم الدجى تحت المغارب يركض

كأن الثريا فى أواخر ليلها تفتح نور أو لجام مفضض (١)

وقال يمدح الخضاب فأحسن :

وقالوا النصول مشيب جديد فقلت الخضاب شباب جديد
إساءة ذا بإحسان ذا فإن عاد ذا فهذا يعود (٢)

وقال (٣) :

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهة خدها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر وخد حبيب

وهو شبيه بقول مسلم :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر

وقال :

أراجعتى فداك بأعوجى كقدح النبع فى الريش اللؤام
بأدهم كالظلام أغر يجلو بغرته دياجير الظلام
ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق فى جو الغمام (٤)

وقال من أبيات :

وسكرت لا أدرى أمن خمر (٥) الهوى أم كاسه أم فيه أم عينيه (٦)

وقال :

---

(١) ٢٥ : ٢ زهر .
(٢) ١١٠ : ١ أمالى طبعة ١٩٢٦ .
(٣) ٢٢٧ : ١ أمالى . ويروى : وخمرين من راح وخد حبيب، ١٥ : ٣ زهر، وراجع شعراً لبعض الشعراء فى هذا المعنى ف ١٥ : ٣ زهر الآداب .
(٤) ٢٦ : ٢ زهر .
(٥) رواية ديوان المعانى : سكر الهوى .
(٦) ٢٤٣ الأوراق ، ٢٢٧ : ١ ديوان المعانى ط ١٣٥٢ هـ

أشرن على خوف بأغصان فضة   مقومة أطرافهن عقيق
سلاما كإسراء الندى تحت ليله   أتى حيث لم يرصد عليه طريق
وشكوى لو ان الدمع لم يطف حرها   تولد منها بينهن حـريق
بنى عمنا إنا فريق على العدى   نفل شباهم والأنام فريق
فلا تاهبوا نار العداوة بيننا   فليس سواكم فى قريش صديق (١)

وقال (٢) :

لهفى على دهر الصبا القصير   وغصنه ذى الورق النضير
وسكره وذنبه المغفور   ومرح القلوب فى الصدور
وطول حبل الأمل المجرور   فى ظل عيش ناعم غرير
قد أغتدى بين الدجى والنور   نمرح فى الأطواق والسيور

وقال (٣) :

غدوت فى ثوب من الليل خلق   بطارح النظرة فى كل أفق
ذى منسر أقنى إذا شك خرق   ومقلة تصدقه إذا رمق
• كأنها نرجسة بلا ورق •

وقال :

غلالة خده صبغت بورد   ونون الصدغ معجمة بخال (٤)

وقال يرثى المعتضد :

قضوا ماقضوا من أمرهم ثم قدموا   إماما إمام الحق بين يديه
فصلوا عليه خاشعين كأنهم   صفوف قيام للسلام عليه (٥)

---

(١) ٢٧٦ الأوراق وديوانه المخطوط .
(٢) ٢١٣ « « «
(٣) ٢١٨ الأوراق .
(٤) ١٠٥ : ٣ زهر . نثر البيت بعض الكتاب فقال : أعجمت يد الجمال نون صدغه بخال ١٠٥ : ٣ زهر ، والبيت فى الديوان ص ٢٤٣ طبعة بيروت . ويروى معجون بدل : معجمة ١٦٥ : ٣ زهر .
(٥) ١٩٩ : ١ زهر .

وقال يرثيه :

قالت شريرة ما لجفنك ساهراً قلقاً وقد هدأت عيون النوم
ماقد رأيت من الزمان أحل بى هذا وتحت الصدر مالم تعلمى
يانفس صبرا للزمان وريبه فهو المليء بما كرهت فـلمى
إن الذى حاز الفضائل كلها هو ذاك فى قعر الضريح المظلم
أما السيوف فمن صنائع بأسه لولاه لم يروين من سفك الدم
وكأن أحداث الزمان عبيده فنى يؤخرهن لا تتقــدم
يقظان من سـنة المضيع قلبه ومعول للعول المتظلم
يرعى الضغائن قبل ساعة فرصة فإذا رآها أمكنت لم يحجم
كم فرصة تركت فصارت غصة تشجى بطول تلهف وتندم
ولرب كيد ظل يسجد بعدها فى بشر وجـه مطلق متجهم
وهى المنايا إن رمين بنبلها يرمين فى نفس الأجل الأعظم
لله درك أى ليث كتيبة والخيل تعثر بالقنا المتحطم
ولقد عمرت ولا حريم معاند حرم ولا الإسلام بالمستسلم (١)

وقال للمعتضد يعزيه بابنه هرون :

ياناصر الدين إذا هدت قواعده وأصدق الناس فى بؤس وإنعام
وقائد الخيل مذ شدت مآزره مذللات بإسراج وإلجـام
كأنهن قنا ليست لها عقد يهزها الزجر فى كر وإقدام
قب كطى ثياب القصر مضمرة تقرب النار بين البيض والهام
وسائس الملك يرعاه ويكلؤه إذا علا الغمض فى أجفان نوام
تحوى أنامله الدنيا لصاحبها ونصله من عداه قاطر دامى
كالسهم يبعثه الرامى بصفحته يلق الردى دونه والفوق للرامى
لا يشتكى الدهر إن خطب ألم به إلا إلى صعدة أوحد صمصام
صبرا فديناك إن الصبر عادتنا وإن طوينا على حزن وتهيام

---

(١) ١٩٩ و ٢٠٠ : ٣ زهر .

فبادر الأجر نحو الصبر محتسبا   إن الجزوع صبور بعد أيام(١)

وقال :

يارب جود جر فقر امرىء   فقام للناس مقام الذليـــل
فاشـــدد عرا مالك واستبقه   فالبخل خير من سؤال البخيل (٢)

وهو شبيه بقول علقمة :

والجود نافية للمال مهلكة   والبخل مبق لأهليه ومذموم (٣)

ولمسلم :

ما أعلم الناس أن الجود مدفعة   للذم لكنه يأتى على النشب (٤)

وقال يرثى بعض أهله :

أخنى عليك الدهر مقتدرا   والدهر ألأم قادر ظفـــرا
ما زلت تلقى كل حادثة   حتى حناك وبيض الشعرا
فالآن هل لك فى مقاربة ؟   فلقد بلغت الشيب والكبرا
لله إخـــــــــوان فقدتهم   سكنوا بطون الأرض والحفرا
أين السبيل إلى لقائهم ؟   أم من يحدث عنهم خبرا
كم مورق بالبشر مبتسم   لا أجتنى من غصنه ثمرا
ما زال يولينى خلائقه   وصبرت أوفيه وما صبرا
وعدو غيب طالب لدمى   لو يستطيع لجاوز القدرا
يورى زنادى كى يخادعنى   ويطير فى أثوابى الشررا(٥)

وقال :

وإنى على إشفاق نفسى من العدا   لتسنح منى نظرة ثم أطرف

---

(١) ٢٠٠ : ٣ زهر والصواب أنها فى الموفق يعزيه بابنه هرون م ٢٧٠ هـ .
(٢) ٢٦١ : ٣ » .
(٣) ١٩١ مفضليات .
(٤) ١١٤ : ٤ زهر
(٥) ٣١ : ٤ زهر وهى فى ديوانه المخطوط .

كما حلئت عن برد ماء طريدة   تمد إليه جيدها وهى تعزف (١)

وقال :

ومازلت مذشدت يدى عقد مئزرى   غناى عن الغير افتقارى إلى نفسى
ودل على الحمد بجدى وعفتى   كما دل إشراق النهار على الشمس (٢)

وقال :

سعى إلى الدن بالمبزال ينقره   ساق توشح بالمنديل حين وثب
لما وجاها بدت صفراء صافية   كأنما قد سير من أديم ذهب (٢)

وقال :

لبست صفرة فكم فتنت من   أعين قد رأينها وعقول
مثل شمس الغروب تسحب ذيلا   صبغته بزعفران الأصيل (٣)

وقال :

دعتنى إلى (داعى) الصبا ربة الخدر   وألقت قناع الخز عن وضح الثغر
وقالت وماء العين يخلط كحلها   بصفرة ماء الزعفران على النحر
لمن تطلب الدنيا إذا كنت قابضا   عنانك عن ذات الوشاحين والشذر
أراك جعلت الشيب للهجر علة   كأن هلال الشهر ليس من الشهر (٤)

وقال :

يا من كلفت بحبه   كانى بكاسات العقار
وحياة مافى وجنتيـ   ـك من الشقائق والبهار
وولوع ردفك بالترجـ   ـرج تحت خصرك فى الإزار
ما إن رأيت لحسن وجـ   ـهك فى البرية من نجار

---

(١) ٣١ و ٣٢ : ٤ زهر .
(٢) ٣٢ : ٤ زهر .
(٣) ٣٢ : ٤ زهر .
(٤) ٤١ : ٤ » .

لما رأيت الشيب من وجهى بما يحكى الخمار
قالت ذهبت بحجتى عـــنى بحسن الاعتذار
يا هذه أرأيت ليـ لا مذ خلقت بلا نهار (١)

وقال ، وقد كتب أبو أحمد بن المنجم إلى أخيه أبى القاسم رقعة يدعوه فيها فغلط الرسول فأعطاها لابن المعتز فقرأها وعلم أنها ليست له فقلبها وكتب :

دعانى الرسول ولم تدعنى ولكن لعلى أبو القاسم (٢)

وقال (٣) :

ومن عجب اللذات يوم سرقته من الدهر لم يعلم به الدهر سالف
غدونا ولما ترتقى الشمس فى أفقها تسيل بنا قود الجياد الزواحف
تشق رياضا قد تنفط نورها وبللها دمع من المزن ذارف
كأن عباب المسك بين بقاعها تفتحها أيدى الرياح اللطائف

وقال (٤) :

يا رب ليلى ضاع منى كوكبه مشتبه مشرقه ومغـــربه
قد اكتسى برد الشباب غيهبه والبرق فى حافاته يشببه
كأنه والمزن ضاف هيدبه لابسة ثوب حداد تسحبه
وقام فيه رعده يؤنبه وقارح تركبه أو تجنبه
يكاد لولا اسم الإله يصحبه تأكله عيونهم وتشربه
أضيع شىء سوطه إذ تركبه يعطيك من ورائه ما يكسبه

وقال فى بستانه (٥) :

لله ما ضيعته من الشجر أطفال غرس ترتجى وتنتظر
ومعجبات من بقول وزهر مصفرة قد هرمت على صغر

---

(١) ٤١ و٤٢ : ٤ زهر
(٢) ٩٧ : ١٠ تاريخ بغداد طبعة سنة ١٩٣١ .
(٣) ٢١٧ الأوراق .
(٤) ٢٤٦ الأوراق ، وديوانه المخطوط .
(٥) ٢٦١ الأوراق .

في بقعة لا سقيت صوب المطر حالقة لنبتها حلق الشعر
ضميرها نار وإن لم تستعر كم أكلت غبراؤها من الخضر

وقال (١) :

أفق عنك حانت كبرة ومشيت أما للتقى والحق منك نصيب
أيا من له في باطن الأرض منزل أتأنس في الدنيا وأنت غريب

وقال (٢) :

قد ملىء الزمان بالعجائب وارتفع المنسم فوق الغارب
عذ بالكاف من رجاء كاذب واقعد فقد أعذرت في المطالب

وقال يصف أرضة أكلت كتابا له :

لم أبك ربعا مقفرا ولا طلل ولا شبابا حان منه مرتحل
ولا حبيبا قطع الوصل ومل لكن لعظم حادث بي قد نزل
كنت امرأ عن الأنام معتزل على ستر دون دمى منسدل
على الذي يملك رزقي متكل لا راجيا لعطفة من الدول
شغلي إذا ما كان للناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل
فدب فيهن دبيبا قد أكل عصا سليمان فظل منجدل
يأكل أثمار العقول لا أكل وصير الكتب سحيقا منسحل (٣)

وقال (٤) في النخل :

أعددت للجار وللعفاة كوم الأعالي متساميات
تسقى بأنهار مفجرات على حصا الكافور فائضات
تظل فيها الطير ناعمات على الغصون متجاورات
حتى إذا صرن إلى ميقات رحن من الجوهر موقرات

---

(١) ٢٨٠ الأوراق .
(٢) ٢٨١ »
(٣) ٢٦٦ الأوراق وديوانه المخطوط .
(٤) ٢٦٧ » » »

بالذهب الرطب مكللات وباليواقيت منـــــوجات

وقال :

كلامه أخدع من لحظه ووعده أكذب من طيفه(١)

وقال :

لا تعاتب إذا هويـ ـت ولا تكثر العلل(٢)

---

(١) ٢٢٥ الأوراق.

(٢) ٢٣٩ المرجع.

أرجوزة ابن المعتز فى دم الصبوح

لى صاحب قد لامنى وزادا ... فى ترك الصبوح (١) ثم عادا
وقال ألا تشرب بالنهار ... وفى ضياء الفجر والأسحار
إذا وشى بالليل صبح فافتضح ... وذكر الطائر شجوا فصدح (٢)
والنجم فى حوض الغروب وارد ... والفجر فى أثر الظلام طارد
ونفض الليل على الورد الندى ... وحركت أغصانه ريح الصبا
وقد بدت فوق الهلال كرته ... كهامة (٣) الأسود شابت لحيته
فنور الدار ببعض نوره ... والليل قد أزيح من ستوره
وقدت (٤) المجرة الظلاما ... تحسبها فى ليلها إذاما
تنفس الصبح ولما يستعل ... بين النجوم مثل فرق مكتهل (٥)
وقال : شرب الليل قد أذانا ... وطمس العقول والأذهانا
وشكت الجن إلى إبليس ... لأنهم فى أضيق المحبوس
أما ترى البستان كيف نورا ... ونشر المنثور زهراً (٦) أصفرا
وضحك الورد إلى (٧) الشقائق ... واعتنق القطر اعتناق الوامق (٨)
فى روضة كحلة العروس ... وخرم كهامة الطاووس (٩)
وياسمين فى ذرى الأغصان ... منتظما كقطع العقيان
والسرو مثل قطع الزبرجد ... قد استمد الماء من ترب ندى
على رياض وثرى ندى ... وجدول كالبرد الحلى

---

(١) الشرب فى الصباح
(٢) الشجو : الحزن ، صدح : غرد ؛ والمعنى : لانشرب حين ظهور ضوء الصباح فى الليل.
(٣) الهامة : الرأس
(٤) أى شقت
(٥) تنفس : ظهر . يستعل مخففة من يستعلى ، الفرق : وسط الرأس
(٦) « زهرا » رواية زهر الآداب (٢٤١ : ٢) ورواية الديوان : « بردا »
(٧) هذه رواية الزهر ، ورواية الديوان : « على »
(٨) العاشق
(٩) الحلة : الثياب ، الهامة : الرأس ، الخرم : نوع من الزهور

وفرج(١) الخشخاش جيبا وفتق كأنه مصاحف بيض الورق
حتى إذا ما انتثرت أوراقه وكاد أن يرى إلينا ساقه
صار كأقداح من البلور كأنما تجسمت من نور
وبعضه عريان من أثوابه قد خجل الأعين من صحابه
تبصره بعد انتثار الورد مثل الدبابيس بأيدى الجند
والسوسن الأبيض منثور الحلل كقطن قد مسه بعض البلل
نور فى حاشيتى بستانه ودخل البستان فى ضمانه
وقد بدت فيه ثمار الكنكر(٢) كأنها جماجم(٣) من عنبر
وحلق البهار(٤) فوق الآس جمجمة كهامة الشماس
خلال شيح(٥) مثل شيب النصف وجوهر من زهر مختلف
وجلنار(٦) كاحمرار الخد أو مثل أعراف ديوك الهند
والأقحوان كالثنايا الغر قد صقلت أنوارها بالقطر(٧)

* * *

قل لى أهذا أحسن بالليل وبلى مما تشتهى وعولى(٨)
رأكثر الفصول والأوصافا فقلت قد جنبك الخلافا
بت عندنا حتى إذا الصبح سفر كأنه جدول ماء منفجر
قمنا إلى زاد لنا معد وقهوة(٩) صراعة للجلد

---

(١) هذه رواية الزهر (١ ٢٤ : ٢) ، ورواية الديوان : وفرش
(٢) نوع من الثمار
(٣) ورواية الديوان جاجم وهى تحريف
(٤) البهار · نبت طيب الرائحة
(٥) هذه رواية الزهر ، ورواية الديوان حبال لسج
(٦) زهر الرمان ورواية الديوان مثل جر الخد
(٧) الأقحوان : نبات له زهر أبيض ووسطه أصفر ، الثنايا: مقدم الأسنان فى الفم، الغر: البيض
الأنوار : الأزهار
(٨) العول : الشدة
(٩) الخمر

كأنما حبابها (١) المنثور كواكب فى فلك تدور
ولا تقل لقد ألفت منزلى فتفسد القول بعذر مشكل

* * *

فقال هذا أول الجنون متى ثوى الضب بوادى النون (٢)
دعوتكم إلى الصبوح ثم لا أكون فيه إذ أجبتم أولا
لى حاجة لابد من قضائها فتستريح النفس من غشائها
ثم أجى والصبح فى عنان من قبل أن يبدأ بالأذان
ثم مضى يوعد بالبكور وهز رأس فرح مسرور
فقمت منه خائفا مرتاعا وقلت ناموا ويحكم سراعا
ونحن نصغى السمع نحو الباب فلم نجد حسا من الكذاب
حتى تبدت حمرة الصباح وأوجع الندمان سوط الراح
وقامت الشمس على الرؤوس وملك السكر على النفوس
جاء بوجه بارد التبسم مفتضح لما جنى مذمم
يعثر وسط الدار من حيائه ويكشف الأهداب من ورائه
تعطمط (٣) القوم به حتى بدر وافتتح القول بعى وحصر
لتأخذ العين من الرقاد حظا إلى تغلية المنادى
فسحت جنوبنا المضاجعا ولم أكن للنوم قبل طائعا
ثمة قمنا والظلام مطرق والطير فى أوكارها لا تنطق
وقد تبدى النجم فى سواده كحلة الراهب فى حداده (٤)
وقال ياقوم اسمعوا كلامى لا تسرعوا ظلماً إلى ملامى
لجاءنا بقصة كذابة لم يفتح القلب لها أبوابه

---

(١) الفقاقيع التى تظهر فوقها
(٢) النون : الحوت
(٣) تعطعطوا : ضجوا وأجلبوا ، بدر : أسرع ، العى والحصر : السكنة وعدم الندرة على الكلام
(٤) الحداد : لبس السواد

كمذر العنبين (١) يوم السابع إلى عروس ذات حظ ضائع
قال اشربوا فقلت قد شربنا أتيتنا ونحن قد سكرنا
فلم يزل من شأنه منفردا يرفع بالكأس إلى فيه يدا
والقوم من مستيقظ نشوان أو غارق فى نومه وسنان
كأنه آخر خيل الحلبه له من السواس ألف ضربه
مجتهدا كأنه قد أفلحا يطلع فى آثارها مفتحا

* * *

فاسمع فإنى للصبوح عائب عندى من أخباره العجائب
إذا أردت الشرب عند الفجر والنجم فى لجة ليل يسرى
وكان برد بالنسيم يرتعد وريقه على الثنايا قد جمد
وللغلام ضجرة وهمهمه وشتمة فى صدره بجمجمة (٢)
يمشى بلا رجل من النعاس ويدفق الكأس على الجلاس
ويلعن المولى إذا دعاه ووجهه إن جاء فى قفاه
وإن أحس من نديم صوتا قال مجيبا : طعنة وموتا
وإن لم يكن للقوم ساق يعشق لجفنه بجفنه مـــدبق
ورأسه كثل فرق قد مطر وصدغه كالصولجان (٣) المنكسر
أعجل عن مسواكه وزينته وهيئة تنظر (٤) حسن صورته
جاءهم بفسـوة اللحاف محولة فى الثوب والأعطاف
كأنمـا عض على دماغ متهم الأنفـاس والأرفاغ
فإن طردت الكأس بالسنور (٥) وجئت بالكانون والسمور

(١) هو من لايأتى النساء عجزا ، وفى الديوان ، فمنذر العنبن ونسر «عذر» بمنى اتخذ طعام السرور ، وهو كله خطأ وتحريف
(٢) أى غير ظاهرة
(٣) الصدغ مابين الأذن والعين ، الصولجان: العصا المنعطفة الرأس
(٤) أى تكون نظيراً لها
(٥) لبوس كالدرع

فأى فضل للصبـــوح يعرف على الغبوق والظلام مسدف
بحس من رياحـــه الشمائل صوارما ترسب فى المفاصـــل

* * *

وقد نسيت شرر الكانون كأنه نثار ياسمـــين
يرمى به الجمر إلى الأحـــداق فإن ونى قرطس فى الآماق
وترك النياط بعـــد الخز ذا نقط سود كجلد الفهـــد
وقطع المجلس فى اكتئاب وذكر (١) حرق النار للثياب
ولم يزل للقوم شغلا شاغلا وأصبحت جبابهم مناخـــلا
حتى إذا ما ارتفعت شمس الضحى قيل فلان وفـــلان قد أتى
وربما كان ثقيـــلا يحتشم فطول الكلام حينا وجشم (٢)
ورفع الريحـــان والنبيذ وزال عنـــا عيشنا اللذيذ

* * *

ولست فى طول النهار آمنا من حادث لم يك قبل كائنا
أو خبر يكـــره أو كتاب يقطع طيب اللهـــو والشراب

* * *

فاسمع إلى مثالب الصبوح فى الصيف قبل الطائر الصدوح
حين حلا النوم وطاب المضجع وانحسر الليل ولذ المهجـــع
وانهزم البق وكن رتعا على الدماء واردات شرعا
من بعد ما قد أكلوا الأجسادا وطيروا عن الورى الرقادا
فقرب الزاد إلى نيـــام ألسنهم ثقيـــلة الكلام
من بعد أن دب عليه النمل وحية تقذف سما صل

---

(١) معطوف على « شرر » السابقة أو على « اكتئاب
(٢) جشم ، تكلف على كره

وعقرب مســــدودة قتاله وجعل (١) وفارة بواله
وللدغنى عارض فى حلقه ونفسه قد قدحت فى حذقه

* * *

وإن أردت الشرب عند الفجر والصبح قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تجيــــك الدامغه بنارها فلا يسوغ سائغه
ويسخن الشراب والمزاج ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا حميا وطعموا من زادهم سموما
وغيمت أنفاسهم أقداحهم وعذبت أقداحهم أرواحهم
وأولعوا بالحك والتفرك وعصب الآباط مثل المرتك (٢)
وصار ريحانهم كالقت فكلهم لكلهم ذو مقت
وبعضهم يمشى بلا رجلين ويأخذ الكأس بلا يدين
وبعضهم محمــــرة عيناه من السموم محرق خداه
وبعضهم عند ارتفاع الشمس يحس جوعا ؤلما للنفس
فإن أسر ما به تهوسا ولم يطق من ضعفه تنفسا
وطاف فى أصداغه الصداع ولم يكن بمثله انتفــــاع
وكثرت حدته وضجره وصار كالحمى يطير شرره
وهم بالعربدة الوحشيه وصرف الكاسات والتحيه
وظهرت مشقة فى حلقه ومات كل صاحب من فرقه
وإن دعا الشق بالطعام خبط جفنيه على المنــــام
وكلما جاءت صلاة واجبه فسا عليها فتولت هاربه
فكدر العيش بيوم أبلق أقطاره بلهــــوه لم تلتق

* * *

(١) هى الخنفساء
(٢) اسم دهن

فمن أدام الشقاء هذا من فمله والتذه التذاذا
لم يلف إلا دنس الأثواب مهوسا مهوس الأصحاب
فازداد سهواً وضنى وسقما ولا تراه الدهر إلا فدما (١)
ذا شارب وظفر طويل ينغص الزاد على الأكيل
ومقـــــلة مبيضة المآق وأذن كحفـــــة الدباق
وجسد عليه جلد من وسخ كأنه أشرب نفطا أو لطخ
تخال من تحت إبطه إذا عرق لحية قاض قد نجا من الغرق
وريقه كمثل طوق من أدم (٢) وليس من ترك السؤال يحتشم
فى صدره من واكف وقاطر كأثر الذرق على الكنادر (٣)
هذا كذا وما تركت أكثر لجربوا ما قلته وفكروا (٤)

(١) الفدم : الثقيل الغليظ
(٢) الأدم : الجلد
(٣) الواكف : السائل . الذرق : خرء الطائر . الكنادر، جمع كندرة، وهى مقعد البازى يهيأ له من خشب .
(٤) لابن حيدرة العقيلى الشاعر أرجوزة طويلة ناقض فيها ابن المعتز فى هذه الأرجوزة (٦٠ : ٢ فوات الوفيات ط ١٢٨٣ هـ)

الفصل الحادي عشر

شرح أرجوزة ابن المعتز في تاريخ الخليفة المعتضد

(٢٧٩ — ٢٨٩ هـ)

حياة المعتضد :

١ — أبو العباس المعتضد أحمد بن الموفق بن المتوكل ، ولد عام ٢٤٣ هـ ، ونشأ في ظلال والده الموفق . وكان له عوناً في حروبه وأعماله ، واشترك في القضاء على ثورة الزنج بالبصرة عام ٢٧٠ هـ ، ثم غضب عليه والده فحبسه عام ٢٧٥ هـ ، وكان والده الموفق هو المهيمن على جميع شئون الخلافة في عهد أخيه الخليفة المعتمد بن المتوكل (٢٥٦ — ٢٧٩ هـ) ، فلما حان أجل الموفق خرج ابنه أبو العباس من السجن عام ٢٧٨ هـ ، وتوفى والده فحل محله في تصريف أمور الدولة لعمه المعتمد ، وبعد قليل توفى المعتمد عام ٢٧٩ هـ فتولى أبو العباس المعتضد مقاليد الخلافة بعده.

٢ — كان المعتضد حازما قويا شجاعا ، استردت الخلافة العباسية في عهده سالف مجدها وماضي عزها ، وغطى نفوذه على نفوذ الأتراك الذين كان بيدهم شئون الخلافة آنذاك ، فحسنت الأحوال ، وانتظم الأمن ، وعم الناس الاطمئنان والرخاء والسلام . وقام المعتضد بحروب كثيرة انتصر فيها على الثائرين والخارجين على الدولة ، كما قام بإصلاحات عامة كثيرة كان لها أثرها الاجتماعي في حياة الناس في عصره.

٣ — وكان ابن المعتز وثيق الصلة بالمعتضد وأشاد به في قصائده ومنظوماته ، ثم أمره المعتضد بتأليف كتاب في سيرته ، فكتب ابن المعتز هذه الأرجوزة ووجه بها اليه . وختمها بأبيات مرثية بعد وفاته وحفظها المعتضد جارية له فكانت تنشده إياها كثيرا ، واقتصر بها عن الكتاب الذى أمر بتأليفه(١)

---

(١) راجع ديوان ابن المعتز المخطوط بدار الكتب الملكية .

٤ — والأرجوزة طويلة تبلغ نحو العشرين والأربعمائة بيت ، وهى « صورة مصغرة لنمط الملاحم كالإلياذة. والشاهنامة، وسدت بعض النقص الذى يوجد فى الشعر العربى (١) » وهى فى ديوان ابن المعتز ، وطبعت وحدها عام ١٩١٣ ؛ وقد نشرها وشرحها وترجمها إلى الألمانية لانغ الألمانى (٢) .

وقد بقيت القصيدة مهملة بحوادثها التاريخية المجهولة حتى قمت بشرحها ونشرها فى هذا الكتاب، وهو عمل له قيمة كبيرة فى خدمة تراث ابن المعتز الأدبى .

٥ — ويشرح ابن المعتز فى هذه القصيدة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفسادها قبل المعتضد ، واشتراكه مع والده فى توطيد دعائم الخلافة العباسية والقضاء على الثائرين ، ثم يذكر توليه العرش وإنقاذه الخلافة من الضعف الذى كاد يقضى عليها وأعماله الكبيرة وحروبه التى قام بها ، والأرجوزة إشادة منقطعة النظير بالمعتضد ، وها هى ذى نقدمها إلى القراء .

تمهيد :

باسم الإله الملك الرحمن ذى العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على آلائه أحمده والحمد من نعمائه
أبدع خلقاً لم يكن فكانا وأظهر الحجة والبيانا
وجعل الخاتم للنبوة أحمد ذا الشفاعة المرجوة
الصادق المهذب المطهرا صلى عليه ربنا فأكثرا
مضى وأبقى لبنى العباس ميراث ملك ثابت الأساس
برغم كل حاسد يبغيه يهدمه كأنه يبنيه

أبو العباس المعتضد :

هذا كتاب سير الإمام مهذبا من جوهر الكلام

(١) ٢٥ و ٢٦ : ١ ظهر الإسلام ط ١٩٤٥ .

(٢) راجع ١٦٣ : ١ تاريخ آداب اللغة لجورجى زيدان ، ودائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ص ٢٨٠ .

أعنى (أبا العباس) خير الخلق   للملك قول عالم بالحق

حالة الخلافة قبل المعتضد :

قام بأمر الملك لما ضاعا   وكان نهباً فى الورى مشاعا
مذللا ليست له مهابه   يخاف إن طنت به ذبابه

الفوضى الاجتماعية :

وكل يوم ملك مقتول   أو خائف مروع ذليل
أو خالع للعقد كيما يغنى   وذاك أدعى للردى وأدنى
وكم أمير كان رأس جيش   قد نغصوا عليه كل عيش
وكل يوم شغب وغصب   وأنفس مقتولة وحرب
وكم فتى قد راح نهبا راكبا   إما جليس ملك أو كاتبا
فوضعوا فى رأسه السياطا   وجعلوا يردونه شطاطا (١)
وكم فتاة خرجت من منزل   فغصبوها نفسها فى المحفل
وفضحوها عند من يعرفها   وصدقوا العشيق كى يقرفها (٢)
وحصل الزوج لضعف حيلته   على نواحه ونتف لحيته
وكل يوم عسكراً فعسكرا   بالكرخ(٣) والدور(٣) مواناً أحمر
ويطلبون كل يوم رزقا   يرونه ديناً لهم وحقا
كذاك حتى أفقروا الخلافه   وعودوها الرعب والمخافه
فتلك أطلال لهم قفارا   ترى الشياطين بها نهارا
بالتل والجوسق والقطائع (٤)   كم ثم من دار لهم بلاقع
كانت تزار زمناً وتعمر   ويتقى أميرها المؤمر
وتصهل الخيل على أبوابها   ويكثر الناس على حجابها
وكم هناك والجاً كريما   وراجعا مدفعاً مظلوما

(١) السياط : جمع سوط ، الإرداء : الإهلاك ، شطاطا : طولا
(٢) يقرفها : يتهمها .
(٣) ضاحية من ضواحى بغداد
(٤) أماكن بسر من رأى

وواقفا ينظر من بعيد   مخافة العقاب والتهديد
حتى إذا ما ارتفع النهار   ضجت بها الأصوات والأوتار
ودارت السقاة بالمدام   وارتكبت عظائم الآثام
ثم انقضى ذاك كأن لم يفعل   والدهر بالإنسان ذو تنقل
فما بكت عليهم السماء   لما أتيح لهم القضاء

الفوضى السياسية والثورات قبل المعتضد :

وكان قد مزق ثوب الملك   طوائف إيمانهم كالشرك
فمنهم فرعون مصر الثانى (١)   عاصى الإله طائع الشيطان
والعلوى (٢) قائد الفساق   وبائع الأحرار فى الأسواق
والدلفى (٣) العود والصفار (٤)   ومنهم إسحاق (٥) البيطار
أعلم خلق الله بالماخور (٦)   وبحساب مثلث وزور
وأعشق الناس لمن ينصره   حتى يطيل ليله ويسهره
ومنهم عيسى ابن شيخ وابنه (٧)   كلاهما لص حلال لعنه
يدعون للإمام كل جمعه   ولا يردون إليه قطعه
وهم يجورون على الرعيه   فساد دين وفساد نيه
ويأخذون مالهم صراحا   ويخضبون منهم السلاحا

---

(١) يشير إلى أحمد بن طولون الذى ملك عرش مصر مدة كبيرة (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ
(٢) « « العلوى صاحب الزنج وقد قتل بالبصرة عام ٢٧٠ هـ
(٣) هو ابن أبى دلف الذى استقل بكردستان ، وهو عربى ، وخرج على الدولة فأخمدت ثورته عام ٢٨٣ هـ
(٤) يعقوب بن الليث الصفار توفى بالأهواز عام ٢٦٥ هـ وتولى أمر دولته بعده أخوه عمرو الذى ظل فيها حتى قتل عام ٢٨٧ هـ
(٥) الظاهر أنه من زعماء بنى شيبان الذين هزمهم المعتضد عام ٢٨٠ هـ
(٦) بجمع أهل الفسق
(٧) أحمد بن عيسى بن شيخ استقل بآمد وظل بها حتى توفى عام ٢٨٥ هـ وقام ابنه محمد مقامه ثم حاصرته جيوش المعتضد فسلم نفسه له عام ٢٨٦ هـ

أبو العباس وأعماله فى عهد أبيه الموفق :

ولم يزل ذلك دأب الناس   حتى أغيثوا بأبى العباس
الساهر العزم إذا العزم رقد   الحاسم الداء إذا الداء ورد
لجمع الرأى الذى تفرقا   وأبرأ الداء الذى أعيى الرقى
كم عزمة بنفسه أمضاها   لم يكل الأمر إلى سواها
كان لنا كأزدشير فارس   إذ جد فى تجديد ملك دارس
حتى اتقوه كلهم بالطاعه   وصار فيهم ملك الجماعه

فتنة العلوى الثائر وقضاؤه عليها عام ٢٧٠ هـ :

فلم يزل بالعلوى الخائن   المهلك المخرب المدائن
والبائع الأحرار فى الأسواق   وصاحب الفجار والمراق
وقاتل الشيوخ والأطفال   وناهب الأرواح والأموال
ومهلك القصور والمساجد   ورأس كل بدعة وقائد
حتى علا رأس القناة رأسه   وزال عنه كيده وبأسه
شيخ ضلال شر من فرعون   لحيته كذنب البرذون
إمام كل رافضى كافر   من مظهر مقالة وساتر
يامن أصحاب النبى المهتدى   إلا قليلا عصبة لم ترتدد
فكفر الناس سواهم عنده   فلعنة الله عليه وحده
مازال حيناً يخدع السودانا   ويدعى الباطل والبهتانا
وقال سوف أفتح السوادا(١)   وأملك العباد والبلادا
ويدخلون عاجلا بغدادا   فلم ير الكذاب ذا ولاذا
صاحب قوما كالحمير جهله   وكل شىء يدعيه فهو له
وقال إنى أعلم الغيوبا   لم ير فيهم عالما مجيبا
وبعضهم يريد منه نفقه   ويترك الدس عليه صدقه
خرب الأهواز والأبله(٢)   وواسطاً قد حل فيها حله

---

(١) أى سواد العراق
(٢) فى الأصل : والنائلة وهو خطأ والأبلة أحرقت سنة ٢٥٦ .

وترك البصرة من رماد | سوداء لانوقن بالمعاد
وأطعم الزنوج أطفال الناس | مكيدة منه فأعظم من باس
فواحد يشدخ بالعمود | وواحد يدخل فى السفود
وبعضهم مسمط مربوط | وبعضهم فى مرجل مسموط (١)
وجعل الأسرى مكتفينا | أغراض نبل ومقللينا
وبعضهم محرق بالنيران | وبعضهم يلقى عن الحيطان
وبعضهم يصلب قبل الموت | وبعضهم بأن تحت البيت
وهزم العساكر الجليله | بشدة البأس ولطف الحيله
ورامه موسى(٢) فما أطاقه | وبجه من فيه حين ذاقه
وقدسقى مفلح (٢) كأس القتل | وشكه بمخصف (٣) ذى فصل
وترك الأتراك بعد فقده (٤) | كذى يد قد قطعت من زنده
وقتل (ابن جعفر منصورا) | وكان قبل قتله كبيرا
من بعد ماصابر أى صبر | وأرجف الناس له بالنصر
والشيخ قد أغرقه (نصيرا) | وقال حسبي فقد هذا خيرا
أعنى غلاما لسعيد الأعورا | قد كان فى الحروب موتاً أحمرا
وكم سوى ذاك وهذاك وذا | أبادهم حتفاً وقتلا هكذا
حتى إذا ما أسخط الإلها | وبلغت فتنته مداها
وشكت الأرض إلى السماء | ما فوقها من كثرة الدماء
وضاقت القلوب فى الصدور | وأيقنت بحادث كبير
وارتفعت أيدى العباد شرعا | بعد الصلاة جمعا لجمعا
أغرى به الله هزبرا ضيغما | إذا رأى أقرانه تقدما
قد جرب الحروب حتى شابا | فإن دعاه حادث أجابا
لا عاجز الرأى ولا بليدا | لكن شجاعا يخضب الحديدا
فلم يزل عاما وعاما ثانيا | وثالثا يكابد الدواهيا

(١) مسمط : معلق . المرجل : القدر من النحاس .
(٢) قائد كان فى محاربة أصحاب الزنج .
(٣) المخصف : مخرز الاسكاف .
(٤) أى بعد قتل (مفلح) .

مجاهداً برأيه ونصله وماله وقوله وفعله
حتى لقد سموه بالكناس وعاينوا صعبا شديد الباس
مسايفا مطاعنا منابلا موافقا منازلا مجاولا
فكم له من شدة وحمله وضربة وطعنة وقتله
إن رقدوا فإنه لا يرقد أو قعدوا فإنه لا يقعد
يحبو المطيع ويبيد العاصيا ويخضب السيوف والعواليا
ويقبل المستأمن المنيبا ويغفر الزلات والذنوبا
ولا تراه ناقضا لعهده ولا يشوب باطلا بجده
حتى قضى الله له بالفتح من بعد طول تعب وكدح
ونصب الناس له القبابا وشكروا المهيمن الوهابا

رحلة أبي العباس إلى الشام وقضاؤه على الخارجين فيها:

ثم سما من بعد للشامين جرعوا من كأسه الصابين(١)
وعرفوا عند اللقاء صبره وشده يوم الوغى وكره

* * *

سل عنه قيلا صرعه بشيزرا وآخرا وآخرا وآخرا
وراكباً على النجيب هاربا لما رأى من فعله العجائبا
جاء من الشام إلى الفسطاط يحث عدو الخيل بالسياط

محاربته للصفار عمرو بن الليث :

وحارب الصفار بعد الزنج فطار إلا أنه في سرج
وفر من قدامه فرارا وكان قدما بطلا كرارا

مصرع أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير وكان قبض عليه عام ٢٧٨ :

وما نسينا مصرع الكفور الجاهل المخلط المغرور
إذ قدر الخلاف والعصيانا فزاده رب العلا هوانا

(١) في النسخة الخطية : « الأمرين » .

يكنى بصقر وأبوه بلبل هذا لعمرى باطل لايقبل
ما زال فى نخوته وتيهه لا يأخذ الصواب من وجوهه
بجهور اللفظ إذا تكلما ويزجر العانى والمسلما

فظائع أبى الصقر :

أجرأ خلق الله ظلماً فاحشا وأجور الناس عقابا بالوشى(١)
يأخذ من هذا الشقى ضيعته وذا يريد ماله وحرمته
وويل من مات أبوه موسرا أليس هذا محكما مشهرا
وطال فى دار البلاء سجنه وقال : من يدرى بأنك ابنه ؟
فقال : جيرانى ومن يعرفنى فنتفوا سباله (٢) حتى فنى
وأسرفوا فى لكمه ودفعه وخدرت أكفهم فى صفعه
ولم يزل فى أضيق الحبوس حتى رمى إليهم بالكيس
وتاجر ذى جوهر ومال كان من الله بحسن حال
قيل له عندك للسلطان ودائع غالية الأثمان
فقال : لا ، والله ما عندى له صغيرة من ذا ولا جليله
وإنما أربحت فى التجاره ولم أكن فى المال ذا خساره
فدخنوه بدخان التبن وأوقدوه بثقال اللبن
حتى إذا مل الحياة وضجر وقال ايت المال جمعا فى سفر
أعطاهم ما طلبوا فأطلقا يستعمل المشى ويمشى العنقا
ثم بنى من الغصوب دارا فأصبحت موحشة قفارا
ماماتت حتى انتهبت وهو يرى وبلغوا فى هدمها إلى الثرى
وأثبت الأعراب فى الديوان وقال إنى من بنى شيبان
مضطرب الآراء والأحوال والزى والألفاظ والأفعال
يستعمل الغريب فى خطابه وغامضات النحو فى كتابه

---

(١) أى بالوشاية

(٢) السبال : ماأسبل من شعر الشارب فى اللحية

ويزجر الناس إذا تكلما مفخما مجهورا مفلصما
كأنه قحطان أو معد وداره تهامة أو نجد
وكان قد كنى ابنه بثعلب كذا يكون العربى واقاب (١)
وهو على الفطام ذو زئير أبلغ المجدى من التنور
مرسم ليافع طويل مثل جناح الطائر المبلول
ثم إذا ما قام عن غذائه ومزجت قهوته بمائه
تناول الريشة والطنبورا فأضحك الصغير والكبيرا

مذهب أبى الصقر :

وضاعت الأمور عند ذاكا وأظهر التعطيل والإشراكا
ومدح أفلاطون والفلاسفه وساعدته فى هواه طائفه
وذكر السعود والنحوسا والجوهر المعقول والمحسوسا
وذرع طول الأرض والأفلاك وكم بلاد الصين والأتراك
والعرض الظاهر فى التجسيم والقول فى طبائع النجوم
وذكر التعديل والإقامه وقدم النظام أو ثمامه (٢)
واستثقلوا من قام للصلاة فكيف من طول فى القراة (٣)
وطعنوا فى الفقه والحديث وعجبوا من ميت مبعوث
فلم يزل ذلك دأب الجاهل حتى رمى بسهم حتف قاتل
فليت شعرى كان ذا فى لحمه وكان ذا فيما يرى من علمه
سبحان من أراح منه الخلقا فكيف يحيا مثله ويبقى ؟
ثم استوت من بعده الخلافه وزالت الرهبة والمخافه

ولاية المعتضد الخلافة عام ٢٧٩ هـ .

وولى الملك إمام عادل قائل كل حكمة وفاعل

(١) هكذا فى الأصل
(٢) إمامان من أئمة المعتزلة وتوفيا فى الربع الأول من القرن الثالث
(٣) أى القراءة

مثل حسام العضب فى جلائه غدا به صيقله بمائه
فلقيت بيعته بالطاعه ورضيت بذلك الجماعه

مصر تصلح علاقتها بالخليفة :

فأنفذت مصر إليه مالها فأصلحت حصراً إليه حالها

الصفار عمرو بن الليث يذعن للخليفة :

وسارع الصفار بالإذعان وقبـــــل البيعة غير وان

عناية الخليفة بالجيش واختيار جنوده :

واختار من جنوده كل بطل مجرب إن حضر الموت قتل
ثم نفى كل دخيل قد مرق إذا رأى السيف جرى من الفرق
فإن غدا من فوق ظهر ندب(١) كان إلى الأرض سريع الجنب
وإن رمى كان مريض السهم ذا وتر رخو ضعيف الرجم
يضحك منه كل من يراه ويشتهى برجاسه(٢) قفاه
وهربت سهامه من الهدف كأنه يرمى برجل لا بكف
وإن بدا بالرمح كان أعجبا تحسبه قرداً يجر ذنبا

سير المعتضد إلى الموصل .

حتى إذا صفى خيار الجند وقال يا حرب اهزلى أوجدى
سار إلى الموصل ينوى أمرا فملأ البر معا والبحرا

قضاؤه على اللصوصية التى انتشرت فى البلاد وفى نهر دجلة :

وكبس اللصوص والأفرادا وأمن البـــلاد والعبادا
وجزعت من خوفه الفراعنه وأصبحت سفن التجار آمنه
وكان فى دجلة ألف ماخر لم يمنها إلا جناح طائر
يجبون كل مقبل ومدبر مجاهرين بالفعال المنكر

---

(١) الندب : الخفيف النشيط
(٢) البرجاس : غرض على رأس رمح أو غيره

كم تاجر راوغهم بزورقه ... فأغمدوا سيوفهم فى مفرقه
وفرت الأعراب فى البلاد ... وأهلكوا إهلاك قوم عاد
فأودعوا السفن مكتفينا ... مغلغلين ومصــفدينا
وبعضهم مراقة دماؤهم ... قد عبقت بريحهم صحراؤهم
وكلهم قد كان لما عاديا ... ما زال قدما يعمل الدواهيا
لما رأى من السيوف برقا ... ملا السراويل الطوال زرقا
فداسهم(١) دوس الحصيد اليابس ... بالخيل والرجال والفوارس
حتى أتى الموصل فاستهلت ... لو قدرت صامت له وصلت

خضوع أحمد بن عيسى للخليفة :

وأرسل الرسل إلى ابن عيسى ... وكاد أن يجعله قسيسا
وهم أن يدخل أرض الروم ... وظل فى كرب وفى هموم
حتى افتــدى حياته وأدى ... مالا يهد الحاملين هدا
وأرسل الرسـل مع الهدايا ... من عنده فكان هذا رايا (٢)
فآثر الحيـاة والهوانا ... وما هدى حتى رأى الأمانا
وجاء إسحاق (٣) مطيعاً سامعا ... ولم يجد شيئاً سوى ذا نافعاً

حمدان بن حمدون بقلعة مادرين وظفر المعتضد به وحبسه ببغداد عام ٢٨٢ :

وقد أتى (حمدان) مثـل هذا ... فأدخـلوه صاغراً بغداذا
وهدمت قلعـته الحصينه ... وأخــذت نعمته الثمينه

هارون الشارى وظفر المعتضد به عام ٢٨٢ بالموصل :

ولم يدع من بعـده (هارونا) ... وكان رأساً للشراة حيناً
مراوغا كالثعلب الجــوال ... مستبصراً فى الكفر والضلال
يلعن عثمان ويبرا من على ... والله منه ذو الجلال قد برى

(١) الفاعل يعود إلى الخليفة
(٢) أى رأيا .
(٣) الظاهر أنه من زعماء بنى شيبان الذين هزمهم المعتضد سنة ٢٨٠ فطلبوا الصفح والأمان .

خليفة الأكراد والأعراب وقائد الفجار والحراب(١)
يدعونه أمير مؤمنينا بل كافراً أمير كافرينا
حتى حواه كفه(٢) أسيرا وألبسوه الوشى والحريرا
وأركبوه أكبر البهائم مركب كسرى ملك الأعاجم
آكل خلق الله للمصايد وماضغ اللحوم والثرايد
يشرب جبا ويعرى مائده وهى عليه فى العشى عائده
حتى إذا قام إلى الحفيرة ألفى كعنز ربضت كسيرة
فثل هذا طلبوا الرياسه ولحير الناس أضحوا ساسه
لالمقالات وعقد دين لكن لخدع الجاهل المفتون
فنزلوا منازلا عليه وارتفعوا عن موضع الرعيه

رافع بن هرثمة وهزيمته عام ٢٧٩ ثم قتله عام ٢٨٣ على يد عمرو بن الليث :

وكان مما كان قبل (رافع) الناكث العهد الغرور الخالع
غرس من الروض زكا وأينعا فاجتث من مكانه واقتلعا
إذا أراد فتنة لاتجترى خوفا ويبدى غير ذاك ويرى
مازال يبدى طاعة مريضه وهو يرى عصيانها فريضه
حتى إذا ما استحكمت مراثره وثقلت من دائه ضمائره
وقاد آلافا من الضلال يمدهم للحرب والقتال
ناداه سلطان الأمانى الكاذبه وهى على رأس الشقى غالبه
وأظهر الخلاف والعصيانا ونصر الباطل والبهتانا
وبيض الزى على أجناده لخلع السودد من سواده
وما الذى أنكر من تسويدنا ومن عليه لج فى تفنيدنا ؟
وإنما كان حداد الهيم على الحسين(٣)وعلى إبراهيم(٤)
وكم حوى من لجة وغيه مذكراً بما حوت أميه
ولم يزل دهراً على ضلاله ذا بطر لجنده وماله
يدعو النبى وعليا الرضى منهم وعنا وجهه قد أعرضا

(١) الحراب جمع حارب وهو الغاصب الناهب .
(٢) أى كف الخليفة .
(٣) الحسين بن على بن أبى طالب .
(٤) هو إبراهيم الإمام الذى قتله بنو أمية عام ١٢٤ هـ .

ولو أضاع الناس هـذا الدينا لقمدوا يبغونه سفينا
فاختلفوا فقال قوم : هـذا ، وقال قوم آخرون : لا ، ذا
وضاعت الأحكام والشرائع ولم يكن للناس أمر جامع
وقرت المين من الشيطان بمـا يرى فى أمة الإيمان
من خـير آل أحمد المطهر وارث كل عزة ومفخر
عليك لمن الخالق المهيمن إلا بنو عم النبى المؤمن
ذاك سقى الله به (عليا) (وعمرا) من السماء الربا(١)
ونصبوه قائمـا يدعو لهم لخفق الرحمن فيه سؤالهم
وهل رضا إلا أبو العباس الواسع الحلم الشديد الباس

رافع وإرسال رأسه إلى بغـداد :

مازال يأتى لك ما تريد حتى أتى برأسـه البريد
وابتهج الحق وأهل السنه وشكروا لله تلك المنه
وأصبح الروافض الفجار يخفون حزنا فوقه استبشار

المعتضد يأمر عام ٢٨٢ بترك افتتاح الخراج فى النيروز وتأخيره إلى اليوم الحادى والعشرين من حزيران وسمى ذلك النيروز المعتضدى .

ومن أياديه على الكبير من العباد وعلى الصغير
والنازح الدار البعيد عنه فى كل أرض والقريب منه
تأخيره النيروز والخراجا ولو أراد أخـذه لراجا
تكرما منه وجوداً شاملا وحزم تدبير وحكما عادلا

مساوىء نظام الخراج القديم :

وعهدنا بكل من كان ملى مستأديا والزرع لم يسنبل
فـكم وكم من رجل نبيل ذى هيبة ومركب جليل
رأيته يعتل بالأعوان إلى الحبوس وإلى الديوان
حتى أقيم فى جحيم الهاجره ورأسه كمثل قدر فائره

(١) الربى مفعول سقى ، وهو يشير إلى استسقاء عمر بالعباس لما امتنع المطر

وجعـلوا فى يده حبالا ... من قنب(١) يقطع الأوصالا
وعلقوه فى عرى الجدار ... كأنه برادة فى الدار
وصفقوا (٢) قفاه صفق الطبل ... نصبا بعين شامت وخـل
وحمروا نقرته بين النقر ... كأنها قد خجلت ممن نظر
إذا استغاث من سعير الشمس ... أجابه مستخرج برفس
وصب سجان عليه الزيتا ... فصار بعد بزة كميتا(٣)
حتى إذا طال عليه الجهد ... ولم يكن مما أراد بد
قال إئذنوا لى أسأل التجارا ... قرضا وإلا بعتهم عقارا
وأجـلونى خمسة أياما ... وطوقونى منكم إنعاما
فضيقوا وجعـلوها أربعة ... ولم يؤمل فى الكلام منفعه
وجاءه المعينون الفجره ... وأقرضوه واحـدا بعشرة
وكتبوا صكا ببيع الضيعه ... وحلفوه بيمين البيعه
ثم تأدى ما عليـه وخرج ... ولم يكن يطمع فى قرب الفرج
وجاءه الأعوان يسألونه ... كأنهـم كانوا يذللونه
وإن تلكأ أخـذوا عمامته ... وجشوا أخـدعه وهامته
فالآن زال كل ذاك أجمع ... وأصبح الجور بعـدل يقمع

قصر الرباب الذى بناه المعتضد عام ٢٨٧:

ولا بنى بان من الخلائف ... ولا ملوك الروم والطوائف
كما بنى من أعجب البناء ... لا يزال فينا دائم البقاء
فرجعت كفادة كعاب ... تقر فيها أعين الأحباب
فمن رأى مثل (الرباب) قصرا ... كم حكمة فيه تخال سحرا (٤)
والنهر والبستان والبحيره ... قد جمع الماء إليها طيره
وللبزاة معها وقائع ... فغائص فى جوفها وواقع
وبعضها يذبح فى الأكناف ... مأسورة قد رميت بحتف

(١) القنب : نبات ليفى يفتل منه الحبال .
(٢) الصفق : الضرب يسمع له صوت
(٣) البزة : الهيئة والشارة الحسنة ، الـكميت : بين الأشقر والأدهم
(٤) كذا فى الأصل

وما رأى الراءون مثل الشجرة ذات غصون مورقات مثمرة
ولم يكن غرسا ترابه الثرى ولم يكن من جنة تسقى بما
لكنها تخبر عن حكيم موفق مجرب عليم
مفكر من قبل أن يقولا ويحسن التفهيم والتمثيلا
كأنها من شجرات الجنه أنزلها إلهنا ذو المنه
والقبة العلياء والأترجه ملك فيها أربعين حجه

جمال المبانى بالزبيدات :

وبالزبيدات فلا تنساها قرة عين كل من رآها
أبنية فيها جنان الخلد لكل ذى زهد وغير زهد
رب عدو هابها وذعرا وملأت عينيه لما نظرا
كانت على ساكنها دليلا جليلة قد وصفت جليلا
ومذكرات لجنان الخلد لطيفة ما إن لها من ند
ومظاهرات قوة الإسلام على أعاديه من الأنام
تخبر عن عز وعن تمكين وحكمة مقرونة بالدين
كذاك كان فاعلا سليمان إذ أمكنته حكمة وسلطان
والتبعيون وبخت نصر وحكماء الروم والإسكندر
وملك الملوك أعنى جعفرا(١) كفى به للفاخرين مفخرا
كم لهم من نهر وقصر وأثر باق جديد الذكر
فلم يزل للغابرين عجبا ومفخراً للوارثين حسبا
ومن أطاع رغبة ورهبه أكثر من قوم أطاعوا حسبه(٢)
لاسيما إن طال عمر الأمه ونظرت سلامة ونعمه
واختلفت وأحدثت أحداثا والتاث أمر دينها التياثا
فما لذاك الداء من دواء إلا امتزاج الخوف بالرجاء

---

(١) هو جعفر المنصور الخليفة العباسى الثانى م سنة ١٥٨ هـ وهو بانى مدينة بغداد
(٢) أى أجراً وثوابا

وكلما تفخم أمر المملكة وجد من ضغن الأعادي حنكه

فتح آمد بالأمان عام ٢٨٦ هـ وكان صاحبها محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ وقبض المعتضد عليه وحبسه عام ٢٨٧ هـ :

ومعظم الفتوح فتح آمد معقل كل فاجر معاند
لم تر قط مثلها مدينه منيعة بسورها حصينه
فلم يزل برأيه وحزمه وجده في قوله وعمله
يذوقها بالرفق أى ذوق والجيش حول سورها كالطوق
حتى استغاثت بالأمان صاغره وأغمد السيف بكف قادره
وحاز منها كل ما كان جمع فيها قديما ابن الكع ابن الكع
ثم عفا عن ابن شيخ بعدما قد نقض العهد الذى قد أحكما

الخليفة فى الرقة وقبضه على راغب مولى أحمد عام ٢٨٦ هـ :

ثم أتى الرقة ينوى أمرا فلم يزل فيها مقيما شهرا
فزلزل الشام وشق داره وقربت منها شبا أظفاره
وبادرت مصر إلى رضائه خشية أن تصعق من سمائه
وحملت أموالها إليه وخافت البطشة من يديه
وعاد منصوراً إلى (الثريا) وكل ما أراد قد تهيا

قدوم الوزير عبيد الله بن سليمان والأمير على بن المعتضد بغداد بعد أعمال حربية كبيرة عام ٢٨٦ هـ :

وجاء الوزير والأمير بغبطة فكمل السرور
مظفر من قد أباد (بكرا)(١) ومات خوفا منهما وذعرا
لما رأى الجيوش صار ثعلبا يجر فى كل البلاد ذنبا
وقتلا اللصوص والأكرادا وعمرا من بعدها البلادا
لم ير قط صاحبا إمام مثلهما فى سائر الأنام

---

(١) هو بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف وقد مات بطبرستان

إلا أبا الحسين أعنى قاسما(١) أحضر خلق الله رأيا حازما
ثلاثة الملك كالأثافى قوادم أيست من الخوافى
دينهم الطاعة للخليفة ونية ناصحة عفيفه
وحزمة فى الرأى والمشوره قديمة معروفة مشهورة
وانظر إلى التوفيق باختيارهم والعلم بالناس وباختبارهم

قتل صالح بن مدرك الطائى عام ٢٨٧ وكان قطع طريق الحاج عام ٢٨٥ هـ:

وصالح بن مدرك قد أدركا بما جناه ظالما وانتهكا
فكم ملب أشعث قد أحرما يرجو من الله العطاء الأعظما
جاء إلى الكعبة من أرمينيه ومن خراسان ومن إفريقيه
وعابد جاء من الشامات قد سار فى البر وفى الفرات
وتاجر مع حجة وعمرته يطلب ربح ماله فى سفرته
مقدر فى الربح أضعاف الثمن من قاصد صنعا إلى أرض عدن
فهم كذاك سائرون ظهرا أو تحت ليل أوضحى أوعصرا
إذ قال قد جاءكم الأعراب وكثر الطعان والضراب
وصار فى حجهم جهاد واحمرت السيوف والصعاد(٢)
و(صالح) يسعر نار الحرب فى شر أعوان وشر صحب
فكم أباح من حريم ممنوع وكم قتيل وجريح مصروع
وكم وكم من حرة حواها سبية وزوجها يراها
وتاجر عريان يدعو بالحرب لامال أبقاه له إلا سلب
فلم يزل كيد الإمام يرقبه يتركه طوراً وطوراً يطلبه
حتى إذا حاطت به آثامه وقربت من الردى أيامه
دس إليه قاصداً (أبا الأغر)(٣) بحيلة مكتومة عن البشر

---

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزر للمعتضد بعد وفاة أبيه سنة ٢٨٨ هـ
(٢) هى الرماح
(٣) هو أبو الأغر السلمى وهو الذى احتال حتى قتل صالح بن مدرك .

قد راضها فى قلبه زمانا حتى إذا أتقنها إتقانا
أظهر مافى أمره المقبول لجاءه برأسه المحمول
يميل مغروزاً على القناة كثمل نشوان على الأصوات

رؤية المعتضد الرسول صلى الله عليه وسلم :

حتى إذا قارب عد العشر فى ملكه من السنين الزهر
وقمع الجور بحكم عادل وملأ الدين بحق شامل
بدا له النبى فى المنام حلم يبين ليس كالأحلام
يشكره لحزمه ورأفته وحسن مايفعل فى خلافته
بشارة دلت على الرضوان من ربه ذى المن والإحسان
والله يولى الفضل من يشاء بكل شىء سبق القضاء
فدفع الله الخطوب عنه ونحن للسوء فداء منه

أسر إسماعيل بن أحمد السامانى لعمرو بن الصفار عام ٢٨٧ وإرساله أسيرا إلى بغداد عام ٢٨٨ وعودة فارس إلى نفوذ الخليفة :

ثم حوى من بعد ذاك فارسا كم نهب مال كان منه آيسا
وطالما كانت لعمرى طعمه يأكل منها ثمرات جمة
وكان لا يحمل من أموالها شيئا ويستقصى على استئصالها
سوى هدايا كل حول كامل يشهرها فى السوق والمحافل
منها رمادى كميت قد صفن وغلة فى القد يعلوهم درن (١)
فإن عدا ذاك فباز أبيض وفرس حافره مفضض
ثم أتت سعادة الخليفة وحيلة خفية لطيفه
وانقض إسماعيل من بلاده إليه حتى صار فى قياده
وهكذا عاقبة الطغيان وطاعة الأنفس للشيطان
وجاء مال فارس موفرا كعهده فيما مضى وأكثرا

---

(١) القد : السير يقد من الجلد . الدرن : الوسخ .

وحل الصـــفار فى القيود إلى إمام الأمة السعيد

قتل إسماعيل السامانى لمحمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان عام ٢٨٧ :

ثم ابن زيد بعد ذاك قد قتل لم ينجه حصن ولا رأس جبل
وأسلمته للسيوف والقنا جند أجابوا منه حين قد دنا
وطالما عاث وجار وعند وقام يبغى الملك حينا وقعد
سل عنه كل كدة وحجر فى طبرستان وواد وعر (١)
فكان ماقد خيف أن يكونا وصار حقا قتله يقينـــا

القبض على وصيف وقتله عام ٢٨٨ :

واسأل ثغور الشام عن وصيف تخبر بفتح عجب ظريف
قال أريد الغزو وهو آبق وليس يخفى كاذب وصادق
وقال ولونى فى مكان وجاهر الإسلام بالعصيان
وسار بل طار إليه عسكره ما كان إلا بالعيان خبره
فاين الموت الذى منه هرب ومن يفوت قدراً إذا اقترب ؟
فكم وكم من هارب ذايل وكم أسير خاضع مغلول
وتائب إلى الإمام يعدو وذله من قبله أشده
لما أتيح لوصيف خاقان فعلمت كيف الرجال الخصيان

مؤنس ووصيف وجهودهما فى القضاء على وصيف التركى خادم أبى الساج :

و (مؤنس) عادية عليه وغل من ساعته يديه
ولوصيف فى وصيف أيضا يد فقد خاض المنايا خوضا
من بعدماأردى وصيف فى الوغى سميه ولم يكن ممن بغى
ومات الافشين (٢) عليه حسره وما بكت عين عليه قطره

---

(١) الـكدة : الأرض الغليظة . الحجر جمع حجرة وهى الناحية .
(٢) هو محمد بن أبى الساج الملقب بالأفشين ومات بأذربيجان سنة ٢٨٨ هـ .

القبض على ثوار آخرين :

وصار أيضا قد طغى نغيل ذاك الذى تصحيفه نغيـل
فوافق الخادم فى الطريق مقيدا أقبح من رقيق
وابن البغيل وأناس أخر قد كسبوا من أرضهم وأثروا
فأدخلوا مدينة الســلام وآخـذتهم ألسن الأنام
تخطر من تحتهم الجمال وفوقهم قلانس طوال

القرمطيون وشرائعهم الفاسدة :

والقرمطيون ذوو الآجام طغوا فقد باءوا مع الآثام
وشرعوا شرائع الفساد وأهلكوا إهلاك قوم عاد
كانوا يقولون إذ قتلنـا صبراً على ملتنـا رجعنا
من بعد أيام إلى أهلينا فقبح الرحمن هذا الدينا
وضرط العنز على هذا الخبر فهؤلاء الحق من يأتى سقر ؟
يجاهدون عن إمام مختفى يقرب الوعد لهم ولا يفى
يال على يا أبا على هذا لعمرى سفه وغى
ليس يزيدالناس أن تروسوا(١) ولا يزيد الملك أن تسوسوا
ولا أراكم تحسنون ذاكا كلا ولا أن تهلكوا إهلاكا
ولا تكونوا حطباً للنار فرب أشرار من الأخيار

الصفار يدخل بغداد مأسورا عام ٢٨٨ ومات فى الحبس عام ٢٨٩ :

وأدخل الصفار شر مدخل يئن من عص جديد مثقل (٢)
بغداد فوق جمل مغلولا أول يوم من جمادى الأولى
وقال شادان وقد رآه كما يحب كل من عاداه
ليث رماه الله ذو المعارج بفالج قبل ركوب الفالج (٣)

(١) مخفف ترأسوا من الرئاسة .
(٢) عص الشىء : صلب واشتد .
(٣) الفالج الجمل الضخم

وفود ملك الروم إلى المعتضد عام ٢٨٨ للفداء :

وملك الروم أتى كتابه بذلة تزفه أصحـــــابه
فادخلوا بغداد فى شهر رجب وأيقن الترك بنصر وغلب
وسأل الهـدنة والفـداء فـــــلم يجد من دائه شفاء
ثم بدا للصيد من آل على بجانب فمال ذى الرشد التقى

بنو يعفر بصنعـاء :

حبذا رعادا بصنعـاء اليمن دباغ أجلاد وقتنا ذا الدرن
وناسجا للبرد والحبير وآكلا للبال فى الهجير
أتباع أمرة وأسرى هدهد إن حضروا لم يكرموا فى المشهد
وحقروا لما عتوا وأشركوا ففرقوا بغارة وأهلكوا
راغوا عن الإرشاد والتسديد واقتبسوا خلائق القرود
وسمعوا نعقــة غاو جاهل فاتبعوه رغبة فى الحاصل
فسلطوا (ابن يعفر) عليهم ، وسار فى عســكره إليهم
فأصبحوا كأنهم ما كانوا جزءا ما قد جروا وخانوا

فتح المعتضد لبلادهم عام ٢٨٨ ه :

وجاء بالفتح كتاب وارد بصدقه اشتد بريد جاهـــــد
وأشخص الأمير نحو طاهر يسحب أذيالا من العساكر
حتى نفاه من تخوم فارس وبان عنها بضمـــــير آيس

الــــــــكوفة :

واستمع الآن حديث الكوفه مدينـــــة بعينها معروفه
كثيرة الأديان والأئمه وهمها تشتيت أمر الأمه
مصنوعة بكفر بختنصر وكفر نمروذ إمام الكفر
وعشش الشحر بها وفرخا ثم بنى بأرضها ورسخـــــا
وغرق العالم-من سنورها جزاء شر كان من شرورها

وهربت سفينة الطوفان   منها إلى الجودي والأركان
وهم بنوا للجور صرحا محكما   فانخروا إلى السماء سلما
ولم يزل سكانها فجارا   مستبصرا في الشرك أو سخارا
تفرقوا وبدلوا بلبالا   وبدلوا من بعد حال حالا
وهم رموا في النار إبراهيما   لما رأوا أصنامهم رميما
ودانيالا طرحوا في الجب   كفرا وشكا منهم في الرب
وخذلوا وقتلوا (عليا)   العادل البر التقي الزكيا
وقتلوا الحسين بعد ذاكا   فأهلكوا أنفسهم إهلاكا
وجحدوا كتبهم إليه   وحرفوا أقرانهم عليه
ثم بكوا من بعده وناحوا   جهلا كذلك يفعل التمساح
فقد بقوا في دينهم حيارى   فلا يهود هم ولا نصارى
والمسلمون منهم براء   رافضة ودينهم هباء
فبعضهم قد جحدوا الرسولا   وغلطوا في فعله جبريلا
وبعضهم قالوا على ربنا   وحسبنا ذلك دينا حسبنا
ومنهم الشراة والخراب   إن سمعوا ببيعة أجابوا
كم أسلموا من طالب مغرور   وهربوا يوم وغى مشهور
وليس منهم سوى ابن للنبي   وأنا أفديه بأمي وأبي
حتى إذا ما الحرب قامت سوقها   بالضرب والطعن وصاح بوقها
طاروا كما طار رماد الجمر   ووهبوه للرماح السمر

ابن أبي القوس بالكوفة وقتله وصلبه ببغداد :

و (ابن أبي القوس) لهم نبي   إمام عدل لهم مرضي
خفف عنهم صلاة الفرض   وقال ناب بعضها عن بعض
فاذهب إلى الجسر تجده فارسا   على طمر لا سرير جالسا
ونلك عقبى الغي والضلال   والكفر بالرحمن ذي الجلال
ثم انقضى أمر الإمام المعتضد   بكل عمر فإلى يوم نفد
ومات بعد مائتين قد خلت   في عام تسع وثمانين مضت
والحي منقاد إلى الفناء   والرزق لابد إلى انتهاء

الفصل الثاني عشر

التشبيه بين ابن المعتز وبين ابن الرومي

(ملحق ببحث التشبيه في شعر ابن المعتز)

التشـــبيه

عنصر من عناصر الأسلوب وبلاغته ، يعتمد على التصوير والبيان والتمثيل والتشخيص .

وهو فن واسع من فنون الكلام ، أداته المشاهدة والخيال ، وغايته رسم صور دقيقة لكل ما يدركه الحس أو العقل أو الوجدان ، سواء كانت هذه الصور بأداة من أدوات التشبيه أو جيء بها على سبيل الاستعارة والتمثيل .

وزعيم التشبيه في العصر الجاهلي أمرؤ القيس ، وفي العهد الإسلامي ذو الرمة ، وفي العصر العباسي شاعرنا أبو العباس عبد الله ابن المعتز ، ويليه في منزلته الفنية في باب التشبيه ابن الرومي الشاعر العباسي المشهور .

وقد تدرج فن التشبيه منذ العصر الجاهلي حتى اليوم ، فحاول تصوير البيئة والحياة الإجتماعية ومناظر الطبيعة وتمثيل مظاهر الحضارة ، في شتى العصور والأجيال ، وقد يكون هذا الفن أكثر الفنون دلالة على حياة الأمم وحضارتها وثقافتها وتفكيرها ، لأنه مؤرخ صادق لمشاهدة الطبيعة وروائع العمران والحياة البدو والحضر والقرى والمدن والمجتمعات والشعوب ، وهو من ناحية البلاغة الأدبية فن واسع الأثر ، عظيم المدى في الاستدلال والاقناع ، والتمثيل والتصوير ، والبيان والتعبير ، وإثارة المشاعر والعواطف والوجدانات .

فما أحراه بالدراسة لمعرفة حياتنا الماضية ، ومدى ما وصل إليه أجدادنا من حضارة وثقافة ، والاستدلال به على تاريخنا المجهول . فوق ما يرشد إليه التشبيه من أحكام في الأدب والنقد والبيان والبلاغة هي موضوع بحثنا الآن .

ابن المعـــتز

منزلته وحياته :

ابن المعتز أديب ساحر ، وشاعر ملهم ، وشخصية بارزة بين الشخصيات التى نبغت فى القرن الثالث الهجرى ، وهو أمير التشبيه فى الشعر العربى : القـــديم والحـديث .

يعد فى الطبقة الثالثة من المحدثين ، وهى الطبقة التى خلفت طبقة أبى نواس ، وطبقة بشار زعيم المحدثين .

ويعدون معه فى طبقته أبا تمام والبحترى وابن الرومى ، وإن كان بعض النقاد يجعل أبا تمام والبحترى طبقة وحدهما ، ويجعل ابن الرومى وابن المعتز طبقة رابعة من طبقات المحدثين .

ويقول ابن رشيق : « طبقة حبيب والبحترى وابن المعتز وابن الرومى طبقة متداركة ، وتلاحقوا ، وغطوا على من سواهم من الشعراء (١) » . ويقول : « وليس فى المولدين أشهر اسما من أبى نواس ، ثم حبيب والبحترى ، ثم تبعهما فى الاشتهار ابن الرومى وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كأبى نواس فى المحدثين ، وامرىء القيس فى القدماء (٢) » .

ولد أبو العباس عبد الله بن المعتز فى شعبان سنة ٢٤٧ ، أو ٢٤٩ ﻫ كما ، يقول ابن خلكان ، فى بيت الخلافة ، وولى والده المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العرش عام ٢٥٢ ﻫ ، ومكث فيه ثلاث سنين قتل بعدها بيد الأتراك ، الذين كان فى بيدهم جميع أمور الدولة إبان هذه الفترة الحافلة ، وكان لنكبة والده أثر عميق فى حياته ونفسيته .

تلقى ثقافته فى الدين واللغة والأدب على يد شيوخ العربية وأئمتها ، الذين حفل بهم هذا العصر الزاخر بألوان العلوم والثقافات والآدب . وكان من أساتذته المبرد

---

(١) ٨٣ : ١ العمدة .

(٢) ٨٢ : ١ العمدة .

المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، وثعلب م سنة ٢٩١ هـ ، وسواهما من فحول العلماء .

وظهرت شاعريته فى أول عهده بالشباب ، فامتلأت بها حياه ، كما انصرف عن مؤامرات السياسة إلى حياة العلم والأدب ، فكان البليغ الساحر والشاعر المجيد ، والناقد الواقف على خصائص الأدب والبيان ، وله مؤلفات كثيرة جيدة ، منها : كتاب البديع ، وفصول التماثيل ، وطبقات الشعراء ، وديوانه مطبوع فى جزئين فى مصر والشام ،

عاصر ابن المعتز بعد وفاة والده أربعة من الخلفاء العباسيين هم : المهتدى (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) ، والمعتمد (٢٥٦ — ٢٧٩) ، والمعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩) ، والمكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥) ، وعاش بينهم معتزا بشخصيته ، نبيل النفس ، عظيم الخلق ، يظهر انصرافه عن الخلافة ، وهو فى نفسه ناقم على الحياة التى ملكت سواه مقاليدها ، وقبض عليه عدة مرات أطلق فيها سراحه ، ووضع موضع المراقبة ، وكان يقول فى شعره :

من يشترى حسبى بأمن خمول من يشترى أدبى بحظ جهول ؟

ولما مات المكتفى عام ٢٩٥ هـ ، ولى الأتراك ابنه المقتدر العرش بعده ، وكان طفلا ، فثار الناس فى بغداد ، وانتهت هذه الثورة المسالمة بخلع المقتدر ، وتولية ابن المعتز الخلافة عام ٢٩٦ هـ ، ومكث فيها ليلة واحدة . حيث قاوم حزب المقتدر هذه الثورة ، تؤيد القوة الحربية فى الدولة ، وقبض على ابن المعتز ، ووزيره محمد ابن داود بن الجراح ، وقتلا عام ٢٩٦ هـ ، وبذلك انتهت حياة شاعر كبير ، من شعراء العربية المعدودين .

بيئته :

عاش ابن المعتز فى بغداد ، وسر من رأى ، فى البيئة العامة التى امتاز بها القرن الثالث ، والتى حفلت بألوان الحضارة وشتى فنون العلوم والثقافات والآداب ، كما عاش فى بيئته الخاصة الحافلة بألوان الترف والنعيم والمجد ، فى قصور الخلفاء والأمراء ، وكان لذلك كله أثره الواضح فى شخصيته وشاعريته .

شاعريته وخصائصها :

أرهفت نفسية ابن المعتز وحياته وبيئته وثقافته ، مشاعره ووجدانه وإحساسه

فنشأ شاعرا بطبعه ، ملهم الشاعرية ، قوى الملكات .

ونظم الشعر يرضى به عواطفه ، ويصور فيه مشاعره وما يختلج فى صدره من آمال وآلام ، وما تزخر به حياته من مظاهر الترف والحضارة .

فشعره إذاً صورة لحياته الخاصة أولا ، ولحياة الطبقة المترفة ثانيا ، وللاتجاهات العليا فى السياسة والاجتماع والآداب أخيرا . وهو فوق ذلك صورة صادقة للفن الخالص ، الذى يؤمن بالفن للفن لا لأغراض الحياة وحاجاتها ، لأنه كان يحيا حياة فنية خالصة ، فلم يكن ينظم الشعر لمجد ، أو لمال ، أو لرضاء خليفة ، إنما كان ينظمه لنفسه ، ليرضى به نفسه ووجدانه وذوقه .

أجاد فى الشعر السياسى ، كما أجاد فى الفخر ، والإخوانيات ، والغزل . وخمرياته فيها دقة معان ، ورقة تصوير ، وكثرة تشبيهات (١) ، وكذلك كان فى الصيد والطرد مجيدا مبدعا ، يقتفى فيه آثار امرىء القيس وأبى نواس ، والعتاب والشكوى من الفنون الشعرية التى تفوق فيها ، وكذلك بلغ ابن المعتز فى الوصف حد الجودة والإبداع ورسم صورا صادقة لكل ما وقعت عليه عينه ، من مناظر الطبيعة ومظاهر الحضارة ، ووصفه وصف وجدانى ، له موسيقى عذبة ، وفيه رقة وسلاسة ، وروح وطبع ، ودقة وعمق ، وابتداع فى الأسلوب وتجديد فى التشبيه والاستعارة ، وقد نمى ملكته فى نفسه دقة حسه ، ولطف شعوره ، وامتلاء ذهنه بمشاهد الجمال ، وروائع الخيال ، ورونق الحضارة ، وأنه يقول الشعر إرضاء لنفسه ، وتصويرا لحسه ، مما صرفه إلى وصف الطبيعة ، ومجالس الأنس ، ومطارد الصيد : أما المدح والهجاء والرثاء والزهد ، فكان نصيب ابن المعتز منها قليلا ، ترك الزهد لأبى العتاهية ، والرثاء لأبى تمام . والهجاء لابن الرومى ، والمدح للبحترى ، وعاش هو شاعر الترف والفن والجمال ، وهو مشهور بجودة قطعه الشعرية كما يقول ابن رشيق (٢) .

ومعانى ابن المعتز تتصل بنفسه وحسه وحياته ، وهو فيها دقيق الفكرة ، بعيد

---

(١) وفنه فيها يقف بجانب فن أبى نواس فى خمرياته وسيأتى تحليل لبعضها

(٢) العمدة ١ : ١١٠

المنزع ، محكم التصوير ، مجدد مبتكر حينا ، ومقلد أحيانا أخرى .

وخياله الشعرى خيال واقعى ، يستمد من صور الوجود وحقائقه وألوان الحياة الحسية ومظاهرها ، ما ينطق به من معنى ووصف وتصوير ، وخياله النشط يعنى بمحسات الأمور ومرئياتها المشاهدة دون أن يكلف نفسه الجرى وراء عالم المثل والمعنويات .

ويمتاز أسلوبه بكثرة التشبيه وروعته ، وجودة التصوير ودقته ، وبالرونق والعذوبة ، فى جزالة تشيع فى أعطافه حينا ، وسهولة ورقة يفيض بها شعره حيانا ، ومع جمال فى ترف البيان وألوان البديع ، مما حذا فيه حذو بشار ومسلم وأبى تمام ، وتشيع فى أسلوبه الصياغة الفنية ، الممتلئة روحا وحياة وموسيقى ، ووضوحا فى دقة تصوير ، وقرب مأخذ وجودة قريحة فى فكرة وجدة خيال كما يقول :

والصبـــــــــا بملىء حاجة وأمـــــــــلا

والمدرسة الأدبية التى يمثلها ابن المعتز ، هى مدرسة المحدثين ، التى قاد زمامها أبو تمام والبحترى ، والتى امتازت بميزتين :

الأولى : هى التعمق فى المعانى واستنباطها ، مما يتجلى لك فى شعر أبى تمام وابن الرومى واضحا ملموسا .

والثانية : هى الصناعة الشعرية المتأنقة ، التى تطلب ألوان الجمال فى الأداء ، وتعتمد على البيانى فى الأسلوب ، من : جناس وطباق ، وتشبيه واستعارة وتمثيل ، وكانت العرب — كما يقول ابن رشيق — « لا تنظر فى أعطاف شعرها ، بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، أو تترك لفظة للفظه ، أو معنى لمعنى ، كما فعل المحدثون ، ولكن كان نظرها فى فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وما وقع فيه من هذا النوع فمن غير قصد ولا تعمل ، مما عرفوا وجه اختياره على غيره حتى صنع زهير الحوليات على وجه التثقيف والتنقيح ، وأول من فتق البديع للمحدثين بشار وابن هرمة ، ثم قلدهما فيه مسلم والعتابى ، والنمرى وأبو نواس ، واتبع هؤلاء أبو تمام والبحترى وابن المعتز . فانتهى علم البديع والصنعة إليه . وختم به (١) . فابن المعتز إذاً هو الشاعر الذى انتهت إليه الصنعة الشعرية المعتمدة المتكلفة .

---

(١) ١٠٨ — ١١٠ : العمدة

فقد كان يحب الفن للفن ، وينظم الشعر ليلهو به ، وكان فى العباسيين كالوليد فى الأمويين ، وكان متكلفا مجيدا فى تكلفه ، بقدر ما كان الوليد مطبوعا مجيدا فى طبعه . ويصف ابن رشيق صنعته فيقول : « وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعا من ابن المعتز . فان صنعته خفية لطيفة ، لا تكاد تظهر فى بعض المواضع ، إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندى ألطف أصحابه شعرا ، وأكثرهم بديعا وافتنانا ، وأقربهم أوزانا وقوافى ، ولا أرى وراءه غاية لطالبها فى هذا الباب (١) .

ويقول الجرجانى فيه : وطريقة ابن المعتز طريقة أبى تمام ، ولم يكن من المطبوعين(٢) ، وكان الجرجانى يؤثر المطبوع وما قاربه من المصنوع .

ويقول أبو الفرج فى وصف شعره وخصائصه : هو وإن كان فيه رقة الملوكية ، وغزل الظرفاء ، وهلهلة المحدثين ، فان فيه أشياء كثيرة تجرى فى أسلوب المجيدين ، ولا تقصر عن مدى السابقين ، وليس يمكن واصفا لصبوح فى مجالس اللهو بين ندامى وقيان وعلى ميادين من النور والبنفسج والرياحين إلى غير ذلك أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام البسيط الرقيق ، الذى يفهمه كل من حضر ، إلى جيد الكلام ووحشيه ، وإلى وصف البيد والمهامه ، والظبى والظليم ، والناقة والجمل ، والديار والقفار » . والأصفهانى يشير بذلك إلى أن أسلوب ابن المعتز فيه جيد جزل كثير وإلى أن رقة أسلوبه غالبا ترجع إلى حياة الملك التى تستلزم الترف ، وإلى وصفه لألوان اللهو التى تستدعى رقة الأسلوب ، وإلى بعد نفسية الشاعر غالبا عن أغراض الشعر البدوى ، فرقة شعره ودقة تشبيهاته إذا أثر من آثار البيئة فيه .

ويقول ابن شرف القيروانى فى رسالة الانتقاد : ابن المعتز ملك النظام له التشبيهات المثلية ، والاستعارات الشكلية ، والإشارات السحرية ، والافتخارات العلوية ، والغزل الرائق ، والعتاب الشائق ، ووصف الحسن الفائق .

التشبيه فى شعر ابن المعتز :

وطارت شهرة ابن المعتز الأدبية والفنية فى باب التشبيه وأتى فى ذلك بما سحر الناس وخلد صفحات الشعر والأدب . وسار المثل فى القديم والحديث بتشبيهات

(١) ١٠٩ : ١ العمدة (٢) ٢٦٢ أسرار البلاغة

ابن المعتز، لأنها أظهر سمة وأبلغ تعبير عن شاعريته وتصوير لفنه، وفى الحق أننا لا نجد التشبيه ملكة من الملكات الفنية عند شاعر من الشعراء كما نجده عند ابن المعتز ولا نجد هذه الكثرة مع تلك الجودة عند أحد سواه، وكان ابن المعتز يقول: إذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه فض الله فى (١).

وجميع النقاد يعترفون لابن المعتز بمكانته الأدبية الكبيرة فى باب التشبيه، يقول الباقلانى: وأنت تجد فى شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذى يشبه السحر وقد تتبع من هذا مالم يتتبع غيره واتفق له مالم يتفق لغيره من الشعراء (٢)، ويقول الثعالبى: تشبيهات ابن المعتز يضرب بها المثل فى الحسن والجودة ويقال إذا رأيت كاف التشبيه فى شعره فقد جاءك الحسن والإحسان ولما كان غذى النعمة وربيب الخلافة ومنقطع القرين فى البراعة تهيأ له من حسن التشبيه ما لم يتهيأ لغيره ممن لم يروا ما رآه ولم يستحدثوا ما استحدثه من نفائس الأشياء وطرائف الآلات. وبهذا المعنى اعتذر ابن الرومى فى تصوره عن شأو ابن المعتز فى الأوصاف والتشبيهات وقلائد تشبيهاته ولطائف تمثيلاته أكثر من أن تحصى (٣).

ويقول المطوعى: جل كلام ابن المعتز فى التشبيه عن أن يمثل بنظير أو شبيه (٤). ويقول العباسى: هو أشعر الناس فى الأوصاف والتشبيهات (٥). ويقول ابن رشيق: وقالت طائفة الشعراء ثلاثة: جاهلى وإسلامى ومولد، فالجاهلى هو امرؤ القيس، والإسلامى ذو الرمة، والمولد ابن المعتز. قال ابن رشيق: وهذا قول من يفضل البديع وبخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر (٦). ويقول: ولا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه ويسهل عليه تناولها كابن المعتز فى التشبيه (٧). ويقول الحصرى: وليس

(١) ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص، ٦٩٣ : ١ دائرة المعارف للبستانى. ومقدمة ديوان ابن المعتز المطبوع ببيروت وينسبها الرافعى لذى الرمة (٢٥ : ٣ الرافعى) وهو غير صحيح.

(٢) ٢٠٧ إعجاز القرآن للباقلانى.

(٣) ١٨٢ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب

(٤) ١٧٤ : ١ زهر الآداب.

(٥) ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص.

(٦) ٨٢ جـ ١ العمدة.

(٧) ٢٥٥ جـ ١ » .

بعد ذي الرمة أكثر افتنانا وأكثر تصرفا فى التشبيه من ابن المعتز (١) . ويقول الدميرى : وهو صاحب التشبيهات التى أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره (٢) . ويشيد بتشبيهاته كثير من الباحثين (٣) .

وقد وضع عبد القاهر هذه التشبيهات موضع الدراسة والنقد وأشاد بها فى أسراره . وتوضع تشبيهات ابن المعتز مع روائع الشعر العربى ، قال الخوارزمى : من روى حوليات زهير واعتذاريات النابغة وخمريات أبى نواس وزهديات أبى العتاهية ومراثى أبى تمام ومدائح البحترى وتشبيهات ابن المعتز ثم لم يخرج إلى الشعر فالموت أولى به . ويقول بعض المحدثين : فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته كما أسكرهم أبو نواس بخمرياته (٤) .

وقد قلده الشعراء فى فن التشبيه وساروا على نهجه فيه . فكان تميم بن المعز يحتذى حذو ابن المعتز فى التشبيهات ويقف بجانبه ويفرغ فيه على قالبه (٥) . وكان العقيلى أبو الحسن على بن الحسين من أئمة المدرسة التى تعنى بالتشبيه وتجيده وهو من شعراء القرن الخامس وسلك مسلك أبى نواس وابن المعتز فى الخمر وتوليد المعانى (٦) وكذلك احتذاه فى تشبيهاته : ابن وكيع الشاعر م ٣٩٢ (٧) هـ وأبو نواس والوأواء (٨) وابن خفاجة وسواهم .

ترجع بواعث هذه الملكة المصورة فى نفس ابن المعتز ، وأسباب تلك القدرة البارعة على تقدير الأشياء ، وعلى تشبيه بعضها ببعض إلى : ذهنه الخصب ، وعقليته الناضجة ، وثقافته الواسعة ، وإلى إحساسه الدقيق ، ومشاعره المرهفة ،

---

(١) ٢١٩ ج ١ زهر .

(٢) ٨٣ ج ١ دميرى .

(٣) ٢٢٢ : ٢ شذرات ، ٢٧٠ الوسيط ، ٢٨٤ العصر العباسى الساعى بيومى ، ٢٤٩ رسائل البلغاء

(٤) ويشيد بها كثير من علماء الأدب والبيان

(٥) ١٨٣ : ج ١ زهر

(٦) ٢١٤ : ج ١ ظهر الاسلام

(٧) راجع ١٥٢ المثل السائر

(٨) شاعر مطبوع منسجم الألفاظ عذب العبارة حسن الاستعارة جيد التشبيه ، ١٤٦ : ٢ فوات الوفيات

وهيامه الفنى بتذوق الجمال وتصوره وتصويره ، وإلى مظاهر الحضارة وترف الحياة التى عاش فيها وإلى مذهب الصنعة الشعرية الذى آثره ، ليدل بترف الأسلوب على ترف الخيال والفكر والحياة .

أوصاف التشبيه فى شعر ابن المعتز :

ويمكننا أن نصور التشبيه فى فن ابن المعتز ، تصويرا واضحا . على نمط من التفصيل ، فنقول : إنه يمتاز بميزات كثيرة ، أهمها ما يأتى :

أولا : كثرة التشبيهات فى شعره كثرة هائلة ، حتى لا تخلو قصيدة من قصائده ، ولا قطعة من مقطوعاته من عدة تشبيهات نادرة ساحرة ، وكانت هذه الملكة القوية ظاهرة ملموسة فى فن ابن المعتز فى سائر شعره ، وشتى أغراضه ، وإن كثر ظهورها فى أوصافه وخمرياته وغزله وطرده ، وهو فى هذا يبذ جميع الشعراء ، الذين لم يكثر التشبيه فى شعرهم هذه الكثرة ، فقد عكف ابن المعتز على التشبيه ، وأفرغ فيه جهده ، وراح يوشى به شعره ، ويطرز به قصائده ، ويظهر فيه براعة معدومة النظير (١) .

ثانيا : تشبيهات ابن المعتز تشبيهات حسية يعنى فيها بتصوير المحسات ، وبإخراجها فى مظاهر حسية يستمدها من بيئته ، هو يصور مظاهر الطبيعة وشتى ألوان الحضارة المادية ، فى صور لها سحرها وجمالها الفنى الرائع . وقلما يعنى بتصوير الوجدانيات والعقليات . لأن خياله لم يؤثر أن يتجاوز نطاق الحياة المادى ومجالها الحسى إلى دائرة التحليل والتصوير للحقائق المجردة البعيدة عن مظاهر الأحساس فى الحياة ، وفاضت صنعته - كما يقول بعض المحدثين (١) - بأصباغ الزخرف الحسى . الذى لم يغص فى بحار الفلسفة . وهى مع ذلك تفيض رقة ، وتسيل عذوبة ، وتمثل الحضارة المترفة فى أروع صورها وأجلها . بما يفيض بالخيال الرائع ، ويبرز مكامن هذه الحياة المترفة التى نشأ فيها وخالطها ابن المعتز ، بما فيها من مداهن التبر ، وأوانى الفضة وصحاف الذهب المحلاة بأنواع الجواهر الكريمة ، واللآلى النادرة ، حتى ليخيل إلى القارىء أن هذا الصبغ مع عذوبته وعدم بلوغه حد التكاف قد استحال على يد ابن المعتز ، إلى صبغ آخر جديد . وذلك هو

---

(١) ٧٨ و ٨٠ الصبغ البديعى فى اللغة العربية مخطوط

سر تفرده فى هذا اللون ، ثم هذه التشبيهات الحسية يدور أكثرها على الأشياء المدركة بحاسة البصر ، أكثر من سواها من الحسات ، ولابن المعتز فن مستقل فى تصوير الألوان خاصة من بين سائر المبصرات ، يبلغ فيه غاية الجودة والإحسان ، وسيأتى كثير من مثل ذلك فى شعره وتشبيهاته . وكان ابن المعتز إذا اضطر إلى تشبيهات عقلية ، استمد صورها من المظاهر الحسية فى غالب الاحايين فيقول :

رددت إلى التقى نفسى فقرت   كما رد الحسام إلى القراب

أو يقول :

اصبر على مضض الحسو   د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها   إن لم تجد ما تأكله

أو يقول :

فى ليلة فيها السماء مرزة   سوداء مظلمة كقلب الكافر

أو يقول :

لا تجمعوا بالله ويحكمو   غلظ الوعيد ورقة الوعد

ثالثا : وابن المعتز فى تشبيهه مصور بارع ، ينقل لك بريشته على صفحة شعره البديع صورة مطابقة كل المطابقة لما يصوره من أشياء ، هو فنى فى تصويره ، وغنى بخياله المصور ، وذهنه الخصب ، الذى يقدر الأشياء ، ويقدر الصور بمقدارها ، ثم يخرجها تشبيها شعريا يمثل أصله فى كل خصائصه التى أرادها الشاعر ، وصوره من أجلها ، ثم هو لم يحب أن يمثل عواطفه فى تشبيهاته ، لئلا تخرج عن حقائق الأمور التى تمثلها أمام العقل ، وفى رؤية البصر ، ثم يظهر لك أصباغ صوره كلها دون أن يمزجها بعضها ببعض ، أو يلونها بلون خاص .

رابعا : وظاهرة أخرى فى تشبيهات ابن المعتز هى دقة التصوير التى امتاز بها وبلغ فيها منتهى الإجادة وتقدم بها كثيرا من الشعراء الوصافين . كان يوضح الشبه بين الشيئين توضيحا بالغا مهما اختلفا فى الجنس وتباعدا فى الخيال ، وكثيرا ما كان يجمع أعناق المتنافرات فى ربقة ، ويعقد بين المتباينات معاقد النسب والألفة ، مما يدل على دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر ومما يعطيه الناقد فى كثير منه منزلة الحاذق الصانع والمصور الملهم ، الذى سبق إلى اختراع نوع من

الصنعة حتى صار إماما فيه وأمسى من بعده عيالا عليه وتبعاً . فالبنفسج زهر غض يرف تبصر فيه زرقة أوراقه وحمرة ساقه ، يشبهه ابن المعتز لا بزهر مثله ولا بنبات آخر شبيه به ولكن يشبهه بلهب نار لا يستطيع سوى الحاذق أن يتخذ منه له مثالا ، ثم لم يكتف بذلك ، بل دق فى التصوير ، ونظر نظرة حاصية غريبة ، فشبهه بزرقة النار ، أول ما تشتعل فى الكبريت ، فبلغ غاية التصوير ، وملك زمام الإجادة حين يقول :

ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت

والبرق فى حركته واستطالاته فى أثناء وميضه ، يشبهه ابن المعتز بالفرس ، ثم يدق فيجعل الفرس بلقاء ، ثم يدق فيجعلها تمرح وتجول ، ليكون قد راعى ما به يتم الشبه ، وهو معظم الغرض من تشبيهه ، وهو هيئة حركته ، وكيفية لمعه . فيقول:

وترى البرق عارضا مستطيلا مرح البلق جلن فى الأجلال

والصبح حين يظهر فى حواشى الظلمة ويدفع الليل دفعا يشبهه ابن المعتز بأشخاص الغربان ، ولكنه يجعل الغربان بيض قوادم الريش ، ثم يجعل الغربان ذاهبة فى الفضاء طائرة فى جو السماء . يدفعها الخوف لا الرجاء . فيبدع فى ذلك كله غاية الابداع حين يقول :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون

فيجيد الشبه والتصوير . وتمام التدقيق والسحر فى هذا التشبيه ، فى أن جعل ضوء الصبح ، لقوة ظهوره ، ودفعه لظلام الليل ، كأنه يحفز الدجى ويستعجلها . ولا يرضى منها بأن تتحول فى حركتها . ثم صور ذلك كله فى قوله : « نطير غرابا » دون أن يقول غراب أو غراب يطير ، وذلك لأن الغراب وكل طائر إذا كان هادئا واقفا فى مكانه فأزعج وأخيف وأطير منه كان ذلك أسرع لطيرانه . ومسيره إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا طار عن اختيار ، لأنه يجوز أن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وكذلك يقول ابن المعتز وهو من أغرب ما قاله محدث :

وقد دفع الفجر الظلام كأنه ظليم على بيض تكشف جانبه

والشمس فى تموج شعاعها وفى إشراقها واستدارتها يشبهها ابن المعتز بتموج نور المرآة ، ولايقنع بذلك بل يجعل المرآة فى كف الأشل ويقول : والشمس كالمرآة فى كف الأشل . ويصور أشعة الشمس فى تلألؤها وإشراقها ووقوع أشعتها على الأرض فيقول فى إجادة :

وشارق يضحك من غير عجب   كأنه صب على الأرض ذهب

ومن عجيب التصوير ودقيق التشبيه . ويبلغ القول فى سرعة الفرس قوله :

كأن جنان الفـــلاة تضربه   كأن ما يهرب منه يطلبه

إلى آخر هذه التشبيهات الـكثيرة الجيدة الصنعة والاتقان .

خامسا : وابن المعتز يسبغ على صوره فى التشبيه ظل حياته المترفة المفعمة بألوان النعيم . فيشبه الآذريونة بكؤوس الذهب التى يحفظ فيها الطيب وفيها بقية منه ، ويشبه النرجس بكؤوس الدر التى فى حشوها العقيق ،ويشبه العنب بمخازن البلور ، إلى آخر هذه الأوصاف التى استمدها الشاعر من حياته وبيئته .

القيمة الأدبية لتشبيهات ابن المعتز :

وهذا عنصر أدبى من عناصر الحديث عن تشبيهات ابن المعتز ، ومجال الـكلام فيه ضيق عسير إلا على فحول النقاد . ولـكن سأسير فيه إلى منتهى غايات البحث ، فأقول :

أولا : لابن المعتز تشبيهات مبتكرة لم يحم حولها أحد وسأشير هنا إلى بعضها.

قال ابن المعتز فى وصف سقاة الراح :

وتحت زنانير شددن عقودها   زنانير أعكان معاقدها السرر

وهذا تشبيه ما نعلم أنه سبق إليه ، يشبه بالزنانير المربوطة على خصورهن والمعقودة فوقها ، هذه الثنيات التى فى أجسادهن والتى يجعل السرر عقدا لها .

وقال مبتدعا غير متبع فى وصف العنب :

كأنه مخازن   البلور   لم يبق منه وهج الحرور

إلا ضياء فى ظروف نور

وقال فى وصف الهلال ما لم يسبق اليه :

انظر إليه كزورق من فضة   قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال فيه أيضا :

كنجل قد صيغ من فضة   يحصدمن زهر الدجى نرجسا

ويقول فى الثريا ما لم يسبقه أحد إليه على كثرة ما وصفوا الثريا :

وقد لاحت بين النجوم كأنها   قوارير فيها زئبق يترجرج

ويقول فى وصف السراب وسط الصحراء ، مالا يعرف النقاد تشبيها فى معناه أحسن أو أصوب منه :

والآل ينزو بالصوى أمواجه   نزو القطا الكدرى فى الاشراك

ويشبه الشرب جلوسا فى مجالس الراح ، والسقاة وقوفا بينهم تشبيها مبتدعا فيقول :

وكأن السقاة بين الندامى   ألفات بين السطور قيام

إلى ماسوى ذلك من تشبيهاته الجديدة المبتكرة كتشبيه الآذريون بمداهن من ذهب فيها بقايا غالية . وتشبيه النرجس بكؤوس من الدر فى حشوهن عقيق الخ .

ثانيا : ولابن المعتز تشبيهات بعضها استمدمعانيها عن تقدمه من الشعراء ولكنه زاد عليهم فى المعنى ، أو فى حسن السبك وسحر الاسلوب وبعضها الآخر وجد الشعراء قالوا فيها صورا فقال هو فيها صورا أخرى وهى كثيرة مبثوثة فى كل باب من أبواب شعره ، وسأذكر عدة مثل لها .

قال عتيبة بن بجير يصف جوده ونهوضه إلى قرى ضيوفه وذبح إبله :

فقام أبو ضيف كريم كأنه   وقد جد من فرط الفكاهة مازح

أخذه ابن المعتز فزاد فى المعنى وأبدع فى التصوير . فقال :

وقيدها بالنصل خرق كأنه   إذا جد لولا ماجنى السيف مازح

فبلغ بقوله « وقيدها بالنصل » ، وبقوله : « لولا ماجنى السيف » غاية الاجادة فى التصوير .

ويقول البحترى فى صفة العناق :

ولم أنس ليلتنا فى العناق   لف الصبا بقضيب قضيبا

أخذه ابن المعتز وزاد عليه فى المعنى وفى جودة التصوير ، ورقة التعبير . فقال

فلو ترانا فى قيص الدجى حسبتنا فى جسد واحد

وقال كثير :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الاباطح

أخذه ابن المعتز فقال :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فقوله « سالت عليه شعاب الحى » يقابل الشطر الثانى كله من بيت كثير ، فهو أوجز . على أن « سالت عليه شعاب الحى » أبلغ فى التصوير من قول كثير

ومن أعجب التشبيه فى النار قوله :

وموقدات بتن يضرمن اللهب
يشبعنه من فحم ومن حطب
يرفعن نيرانا كأشجار الذهب

هذا تشبيه لانظير له فى فى شعر الشعراء ، فليوضع مع التشبيهات التى ابتكرها ابن المعتز .

ويقول شاعر :

لاتعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

أخذه ابن المعتز ، فزاد عليه ، وأجاد فيه ، فقال :

يحرك الدل فى أثوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قمرا

ويشبه الفرس بالنار فى عدوه ، ومن أجمع ماجاء فى ذلك قول ابن المعتز :

فهو نار والدخان تراب مستطير وحصى الأرض جمر

ومن أجود ماقيل فى سمن الإبل قوله :

لنا إبل ملء الفضاء كأنما حملن التلاع الحو فوق الحوارك

وليس فى شعر المحدثين فى الحية أجود من قوله :

كأنها حين تبدو من مكامنها غصن تفتح فيه النور والورق

وقال شاعر فى الهلال وتشبيهه بقلامة الظفر :

كأن ابن ليلته جانحا فسيط لدى الأفق من خنصر

أخذه ابن المعتز ، فزاد وأجاد ، وحسن معرضه . وسهل لفظه . فى قوله :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة إذ قدت من الظفر

وقال ذو الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص فى العين واحد

أخذه ابن المعتز . ونقله إلى ماهو أحسن منه معنى . وأرق لفظا . فقال :

وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا

« وجلباب الشاب » أبدع تصويرا من « جلباب العروس » وقال شاعر مبدع :

على حين أفنى القوم ضر من السرى وطارت بأخرى الليل أجنحة الفجر

أخذه ابن المعتز فقال :

إلى أن تعرى النجم من حلة الدجى وقال دليل القوم قد ثقب(١) الفجر

وقد أديم الفجر حتى ترفعت لهم ليلة أخرى كما حوم النسر

وقال أبو نواس فى الراح :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

أخذه ابن المعتز فأجاد حين يقول :

من سماء كأنها ارض تبر فى نواحيه لؤلؤ مغروس

ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويخرج أحشائى بعين مريضة كما لان متن السيف والحد قاطع

وفى وصف الحديث يقول بشار :

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

---

(١) ثقبت النار : اتقدت

وفى هذا المعنى يقول ابن المعتز فى محبوبته شرير ، فيحسن غاية الاحسان:

(وشر) أحاديث عذاب لوأنه جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل

والناس كلهم شبهوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل . إلا ابن المعتز فإنه زاد هذه الزيادة الجميلة .

وقال بعض العرب . يصف قوة رائحة الشراب :

كميت تكاد وإن لم تذق تنشى إذا الساقيان استدارا

فذكر أنها تسكر برائحتها . وهذا من المعانى القريبة . أخذه مسلم فقال :

كفانى من شربها شمها فرحت أجرر ثوب الثمل

وقال ابن المعتز .

إن راحا قال الإله لها كونى فكانت روحا وريحا وريحانا

درة حيثما أديرت أضاءت ومشم من حيثما شم فاحا

فأجاد وأبدع كل الإجادة والإبداع

وبعد فيطول بنا الحديث لو ذكرنا كل تشبيهات ابن المعتز وما فيها من ابتداع ، وما فى كثير منها من إجادة ، وما قصر فى قليل منه عن الشعراء ، (١) فلنكتف بهذا القدر فى هذا البحث ، ففيما ذكرت كفاية . وهو يرشدنا إلى عدة نتائج لها أهميتها فى فهم التشبيه فى شعر ابن المعتز .

أولا : أن ابن المعتز كان ذا ملكة قوية فى التصوير والتشبيه ، وكان يقصده قصدا ويفتتن به افتتانا .

---

(١) وهو كثير وسيأتى بعضه ومنه قول ابى نواس :

بنينا على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

أخذه ابن المعتز فقال :

وكأس من زجاج فيه أسد فرائسهن ألباب الرجال

وزاد على أبى نواس فى المعنى ولكنه ضعف عنه فى التصوير

ثانيـا : أنه كان يقصد إلى أروع التشبيهات فى الشعر العربى . فيصوغهـا بفنه صوغامختارا . ويخرجها إخراجا جيدا . أو يأتى بنظير لها فى التشبيه .

ثالثـا : أنه فيما حاكى فيه الشعراء منها مجيد ، وفيما ابتكره من تشبيهات إمام الشعراء جميعا لايدركه منهم أحد .

فن ابن المعتز فى موازين النقد الأدبى :

أولا : العامة تشبه الورد بالخد والخد بالورد . وهو من المبتذل ، إلا إذا أضيفت إليه زيادة تنقله من العامى إلى الخاصى ، أو ضم إليه معنى يشفع به ، كما قال على بن الجهم :

عشية حيانى بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وهذا من قصيدة ، مدح بهـا إبراهيم بن المهدى ، ولمـا سمع إبراهيم منه هـذا البيت ، زحف حتى صار فى ثلثى الفراش ، وقال : يا فتى شبهوا الخدود بالورود ، وأنت شبهت الورود بالخدود(١) .

على أن فى بيت ابن الجهم زيادة تبعده عن الابتذال . وهو إضافة بعضهن إلى بعض . وقال ابن المعتز فى هذا المعنى ، يصور بيـاض الورد وما فى جوانبه من احمرار :

بياض فى جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الخدود

فأبدع فى التصوير والتشبيه : قال القاضى الجرجانى فى وساطته : ولو اتفق له أن يقول : حمرة فى جوانبها بياض لكان طبق المفصل ووافق شبه الخجل (٢) . قال عبد القاهر : إلا أنه لعله وجـد الأمر كذلك فى الورد . فشبه على طريق العكس . فقال : هـذا البياض حوله الحمرة كهذه الحمرة حولها البياض فى وجنة الخجل(٣) . ويقول ابن رشيق : البيت من سوء المقابلة وإن عده القاضى الجرجانى

---

(١) ١٥٨ : ٢ زهر الآداب

(٢) ١٥١ وساطة

(٣) ١٧٢ أسرار

غلطا فى التشبيه (١) .

ثانيا : ويقول أبو هلال (٢) :

ومن ردىء التشبيه قول ابن المعتز :

أرى ليلا من الشعر على شمس من الناس

فالجمع بين الليل والناس ردىء : وقد وقع هنا باردا .

وأقول أنا : إن رداءة التشبيه إنما جاءت من أنه جعله شمسا فبالغ فى الشبه والتصوير ، ثم ناقض نفسه فى هذا الادعاء حين قال من الناس .

ثالثا : ويأخذ بعض النقاد على ابن المعتز قوله فى وصف كتاب :

بشكل يرفع الأشكال عنه كأن سطوره أغصان شوك

لأنه مدح الكتاب بجعل سطوره شوكا . وإن كان لاحظ الشبه التام فى صورته . لكنه بالذم أشبه (٣) .

وردى على هذا النقد : أن ابن المعتز إنما لاحظ الشكل فى الشبه دون ماسواه .

رابعا : ويأخذ عليه بعض الكتاب . أنه لا يزيد فى تشبيهاته على أن يعطيك نسخة لما يرسم لك . دون أن يعبر فى تصويره عن خلجات نفسه ومشاعره . فهو حين يشبه الهلال « بزورق من فضة أثقلته حمولة من عنبر » لا يزيد على أن يعطيك نسخة من صورة الهلال ، لاعلاقة بينها وبين إحساسه ، ومع ذلك فلم يحسن فى نقل نسخة تامة الشبه بالهلال . ويكفى أن تتصور الهلال فى خيالك ثم تتصور بجانبه زورق ابن المعتز ، لتدرك الفارق الكبير . وتعلم مقدار ماشوه ابن المعتز من منظر الهلال الجميل . وكذلك قوله فى الهلال أيضا :

كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا

فضلا عن أنه لا تشابه بين الهلال والمنجل إلا فى الشكل الخارجى ، ولا صلة

---

(١) العمدة ٢ : ٧١

(٢) الصناعتين ٢٢٩

(٣) طراز المجالس ٢٥٢ .

بينهما فى الطبيعة إلا صلة النظرة البصرية . فضلا عن ذلك فقد راح ابن المعتز يصنع المنجل من الفضة . ثم يجعله يحصد النرجس . وليكن لهذا النرجس زهر . وليكن هذا الزهر ثابتا فى الدجى . وليس وراء ذلك كله شىء من العاطفة والأحساس أو إدراك شىء من خفايا الجمال . وأسرار العاطفة . وهذا نقد لايقوم على أساس ويتخلص فيما يلى :

١ — أن البيتين السابقتين لا يصوران الهلال تمام التصوير .

٢ — أن التشبيه عند ابن المعتز فن خالص ولكن لا حياة فيه .

٣ — أنه فى تشبيهه بعيد الفكرة ، بعيد الوضوح .

١ — وردى على الأول هو أن ادعاء عدم تصوير اليقين للهلال تصويرا تاما سفسطة ويناقض الناقد نفسه فيه ، ولما شبه هوجو الشاعر الفرنسى الهلال بمنجل من ذهب راع أعلام الأدب الفرنسى فكيف يراعون لو كانوا يعلمون بما أتى به ابن المعتز .

٢ — وردى على الثانى هو أن فن ابن المعتز فى التشبيه لا يخلو كله من التعبير عن عواطفه وشعوره ، وماخلا من ذلك فانما كان الشاعر فيه يساير الفن الخاص ، لئلا تبعد الصور التى يرسمها عن حقائقها المرسومة ، وأى ضير على الفنان فى ذلك ، وهل اتفق النقاد بعد على أن الفن تصوير ، وعاطفة تلون هذا التصوير بلونها الخاص ؟ اللهم لا ، على الفن وحده مهما سار فى طريقه بعيدا عن العاطفة ، فهو وحده مظهر يستثير العاطفة والوجدان .

٣ — وردى على الثالث هو أن نظرية الوضوح والخفاء فى الأدب لا تزال محل بحث النقاد الآن ، ولم يتفق عليها بعد اثنان ، فالجاحظ حين كان ينادى بالوضوح والإفهام ، وبأن البليغ من الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك ، إنما كان يدعو إلى أن يجتهد المتكلم فى تهذيب اللفظ وترتيبه ، وصيانته من من كل ما أخل بالدلالة ، وعاق دون الإبانة ، ولم ير أن خير الكلام العامى المرذول ؛ والقاضى الجرجانى لم يحاسب المتنبى فى وساطته على عمقه فى التفكير والتصوير ، لأن ذلك سمة عامة فى شعر المحدثين ، وعبد القاهر فى أسراره يقسم

الغموض إلى ما سببه التعقيد فى الأداء فيرده ، وإلى ما سببه الدقة فى المعنى فيشيد به ، ويرى أن المعانى الشريفة لا بد فيها من بناء ثان على أول ، ورد تال إلى سابق، ورأى بعض الباحثين من المحدثين : أن الغموض فى فن المتنبى هو سر عبقريته الشاعرة ، التى أرتفعت به إلى مقام الخالدين من الشعراء :

وتحدث كذلك ناقد آخر ، عن قصيدة المقبرة البحرية للشاعر الفرنسى بول فاليرى وكيف أثارت اهتمام النقاد جميعا فى فرنسا فلم يتفقوا على شىء حول مذهب الشاعر فى فن الشعر ، أو حول الوضوح والغموض فى فن الشاعر كما يسميه كثير من النقاد .

وبعد فهذا ردى الموجز على هذا النقد الجرىء ، ولا نتقل إذا إلى العنصر الثالث من عناصر هذا البحث .

ابن الرومى

منزلته وحياته :

ابن الرومى شاعر مجيد . وعلم من أعلام القريض فى القرن الثالث الهجرى ، ويعد فى الطبقة الثالثة من شعراء المحدثين ، وهى الطبقة التى كان من أبطالها : أبو تمام والبحترى وابن المعتز ، وورثت مجد الشعر بعد طبقة أبى نواس ، وكان لها منهجها الأدبى الخاص ، الذى يقوم على العناية بالصناعة الشعرية ، وتوليد المعانى وعمق الخيال .

ولد أبو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى عام ٢٢١ هـ ، من أبوين مختلفى الأرومة ، فأمه تنحدر من عنصر فارسى ، وأبوه ينحدر من عنصر رومى كان يحتفظ بطبيعته الشاعر ويعتز به طول حياته ، كان مولى لحفيد من أحفاد الخليفة أبى جعفر المنصور ، وولد فى بغداد فى دار بإزاء قصر مولاه ، ومات والده فى طفولة الشاعر ، فنشأ ابن الرومى فى ظلال والدته وأخيه الأكبر يعيش هو وأسرته على مال ضئيل خلفه لهم أبوه ، وأخذ يتزود بقسط من ثقافة عصره . فلم يلبث أن أحاط بكل ما يمكن أن يحاط به من العلوم والآداب ، ونبغ فى الشعر ، ونظم القريض وطارت شهرته فى سماء بغداد ، ولكن هذه الشهرة لم تنفعه ، كان فقيراً يريد أن

بعيش، وجائعا بريد أن يأكل ، وظمآن بريد أن يروى ، وخلق الشباب يبحث عما يلبسه ، وقصد بشعره رجالات الدولة فى عصره مادحا لحرموه العطاء ، فعاش ساخطا على الحياة والأحياء .

فى دوانى أنا مغصوب وفى زمنى عودى ظمىء بلا رى ولا بلل

كان شابا جميلا قوى الملكات ، مزودا بشتى ألوان الثقافة ، فلم يغنه ذلك شيئا فى حياته ، وكان يسمع ويرى حياة الترف التى يحياها فى عصره كثير من الناس ، فتمنى لنفسه حظا من النعمة ، فلم يحظ بطائل ،وهو الشاب الذى ذاق ألم اليتم والشاعر المرهف الإحساس، فاشتد سخطه على الناس وأمطرهم وابلا من أهاجيه ،التى بغضته إلى الكثير وزادت من آلامه في الحياة .

تزوج فأعقب ثلاثة أولاد فقدهم جميعا . وفقد بعدهم أخاه ثم زوجته وأمه . فعاش حزينا مهموما .

وكانت هذه الحياة الحافلة بالأحداث سببا فى هذه الطيرة التى لازمت ابن الرومى طول حياته .

عاصر المعتصم والواثق والمتوكل المنتصر والمستعين والمعتز ، والمهتدى والمعتمد . وتوفى فى عهد المعتضد سنة ٢٨٣ ، أو ٢٨٤ هـ كما يقول ابن خلكان .

شاعريته وخصائصها :

كان للدم الرومى وأثر الوراثة ، ولحياة الشاعر وبؤسه ، ولثقافته وبيئته ، ولمشاعره المرهفة ووجدانه الرقيق ، كان لذلك كله أثره البعيد فى شاعرية الشاعر وفنه الأدبى ، الذى كان صورة مكبرة لكل ألوان هذه الحياة . اجتمعت له دقة الملاحظة والإحساس ، وعمق الشعور بالمتناقضات فى نفسه وفى زمنه ، فولدت فى نفسه روح السخرية ، وأشاعت فى فنه هذا اللون الجيد من ألوان الشعر والشعور ، وهو فن الهجاء ، الذى امتاز به الشاعر وأجاده ، حتى حين يهجو من لم يؤذه بشىء ، كما يقول يهجو مغنيا من قصيدة طويلة :

ومسمع لا عدمت فرقته فانها نعمـــة من النعم
مجلسه مأتم اللذاذات والقصـــف وعرس الهموم والندم

كأنى من طول ما أشاهده أشرب كأسى ممزوجة بدمى
إذا الندامى دعوه آونة تنادموا كأسهم على الندم

وكان لبؤسه فى الحياة وفقده كثيرا من الأعزاء ، أثر واضح فى إجادته فن الرثاء ، وداليته فى رثاء ابنيه من أجود قصائد الرثاء ومطلعها :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وكذلك جيميته فى رثاء يحيى العلوى الذى قتل عام ٢٥٠ هـ وميميته فى رثاء البصرة حين ضربها الزنج عام ٢٥٧ هـ(١) . وشغف قلب ابن الرومى بالحياة ، وتطلعه إلى متعها ولذاذاتها ، وحياته فى مظاهر الحضارة التى كانت تغمر عصره ، وأثر الوراثة فى نفسه ، كل ذلك جعله من أعظم الوصافين فى الشعر العربى ، وقصيدته فى وحيد المغنية مثل من أمثلة هذه الإجادة ، ويقول منها :

يا خليلى تيمتنى وحيد ففؤادى بها معنى عميد
غادة زانها من الغصن قد ومن الظبى مقلتان وجيد
تتجلى للناظرين إليها فشقى بحسنها وسعيد
تتغنى كأنها لا تغنى من سكون الأوصال وهى تميد
مد فى شأو صوتها نفس كاف كأنفاس عاشقيها مديد
فتراه يموت طورا ويحيا مستلذ بسيطه والنشيد
خلقت فتنة : غناء وحسنا ما لها فيهما جميعا نديد
هى شىء لا تسأم العين منه ولها كل ساعة تجديد
منظر ، مسمع ، معان من اللهـو ، عتاد لما يحب عتيد

وكذلك نونيته فى يوم المهرجان مثل ساحر لوصف ابن الرومى الجيد ومنها فى وصف المغنيات وآلات الغناء اللاتى يحملنها :

وقيان كأنها أمهات عاطفات على بنيها حوانى

---

(١) ذاد عن مقلتى لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام
، أمامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم وأعوج

مطلقات وما حملن جنينا مرضعات ولسن ذات لبان
كل عود يدعى بأسماء شتى بين عود ومزهر وكران
أمه دهرها تترجم عنه وهو بادى الغنى عن الترجمان

إلى غير ذلك من روائع قصائده فى الوصف والتصوير ، كما أجاد فى وصف الخمر وفى وصف الأخلاق والعواطف ، ويبلغ فى العتاب الغاية فى الجودة ، كما فى قصيدته فى عتاب أبى القاسم الشطرنجى ، التى مطلعها :

يا أخى أين عهد ذاك اللقاء أين ما كان بيننا من صفاء

وله آيات فى المدح تحوز الإحسان والإجادة ، ومنها نونيته فى أبى الصقر ، ومطلعها :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان

ويقول فيها :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان

ويمتاز ابن الرومى بتفضيله المعنى على اللفظ كما كان المتنبى ، فهو يطلب صحة المعنى ولا يبالى حيث وقع من هجونة اللفظ وخشونته ، كما يقول ابن رشيق (١) . كان بديع المعانى بعيدها ، كثير الاختراع والتوليد فيها ، والاستقصاء لها ، لا يترك فيها بقية لغيره ، والقدرة التامة فى تشقيق المعانى وتفصيلها هى أخص خصائص شاعرية ابن الرومى ، ويقول ابن رشيق فيه : « إنه أكثر الشعراء اختراعا للمعانى » .

أما أسلوبه فجمع بين الجيد والردىء وروح الصنعة ظاهرة فيه ، وإن كانت فى شعره أقل منها فى شعر ابن المعتز ، لم يكن ابن الرومى يعنى بتهذيب شعره وتنقيحه ، ولو أسقط رديئه لكان فى ذلك أجود الشعراء ، وفى الغالب أن شعراء المعانى كابن الرومى وأبى تمام ، فلما تنهض ألفاظهم بأداء معانيهم ، وقد كان ابن

---

(١) ٨٢ : ١ العمدة .

الرومى لا يحفل باللفظ إلا بقدر أداء المعنى . وتمتاز قصائده بطول النفس ، عالا يجاريه فيه إلا ابن هانىء الأندلسى . وقد ساعده على الإطالة أسلوبه الخاص فى تناول كل معنى من معانيه بالإفاضة والشرح ، وتقليبه على كل نواحيه كما تمتاز قصائده بالانسجام والوحدة فى تأليفها ، حتى لكأنها قطعة واحدة ، مؤلفة تأليفا منطقيا لاعوج فيها ولا ضعف ولا استطراد .

وخياله خيال يقظ ، حسى فى غالب شعره ، يترك الحس إلى عالم العقل أحيانا ، أوتى ملكة التصوير ولطف التخيل ، وبراعة اللعب بالمعانى والأشكال .

ولا تكاد تجد شاعرا اختلف النقاد فى منزلته الأدبية مثل ابن الرومى ، أهمله صاحب الأغانى إهمالا ، يعلله بعض بالخصومات الأدبية التى كانت بين ابن الرومى والأخفش ، أستاذ أبى الفرج ، ويعلله آخر بان ابن الرومى كان شيعيا وأبا الفرج كان أمويا . وقال آخرون : إن روح السخط على ابن الرومى كانت لاتزال متأججة اللهب ، لأهاجيه فى رجالات الدولة ، وأعلله أنا بأن أبا الفرج لم يرتض مذهب ابن الرومى فى الشعر ، ونهجه فى نظم القريض . يقول القاضى الجرجانى عنه فى وساطته : « وقد نجد كثيرا ينتحل تفضيل ابن الرومى ، ويغلو فى تقديمه ، ونحن نقرأ القصيدة الواحدة من شعره ، وهى قد تناهز المائة أو تزيد ، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذى يروق أو البيتين . ثم قد تنسلخ قصائد منه ، وهى واقفة تحت ظلها جارية على رسلها(١) ، لايحصل منها السامع إلاعلى عدد القوافى ،وانتظار الفراغ منها (٢) » . ويقول ابن رشيق فى عمدته : « وأما ابن الرومى فأولى الناس باسم شاعر ، لكثرة اختراعه ، وحسن افتنانه ، وقد غلب عليه الهجاء (٣) » . ويقول ابن شرف القيروانى فيه : « وابن الرومى شجرة الاختراع ، وثمرة الابتدع ، وله فى الهجاء ، ماليس له فى الإطراء ولقد كان واسع العطن ، لطيف الفطن(٤) » . ويقول المعرى عنه فى رسالة الغفران : « وابن الرومى أحد من يقال إن أدبه أكثر من عقله ، وكان يتعاطى علم الفلسفة (٥) » . ويقول فيه ابن

---

(١) الرسل : التؤدة

(٢) ٥٤ وساطة

(٤) ٢٢٥ : ١ العمدة

(٤) رسائل الانتقاد

(٥) ١٦١ — ١٦٤ رسالة الغفران

خلكان : « هو صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعانى النادرة فيستخرجها من مكامنها ، ويبرزها فى أحسن صورها ، ولا يترك المعنى حتى يستوعبه إلى آخره ، ولا يبقى فيه بقية » . ويقول المسعودى فيه : « كان من مختلقى معانى الشعر ، والمجودين فى القصير والطويل ، وكان الشعر أقل أدواته » ، وقد أشاد به أدباء العصر الحديث وعدوه شاعر الفن والتصوير فى الشعر العربى ، ويقول ناقد من المحدثين : إنما جنى عليه وغربه عند أهل عصره ، وفى أذواقهم ، تفرده ، ووحدة ذوقه وبعده عن أذواق الناس ، فلم يألفوه ولم يطربوا له ، طربهم لأشباهه الذين ينظرون إلى الحياة بأعينهم ، ويتناولون المعانى على طريقته (١) ، وقد صور ابن الرومى رأيه فى شعره فى قصيدته التى يقول فيها :

قولا لمن عاب شعر مادحه   أما ترى كيف ركب الشجر
ركب فيه اللحاء (٢) والخشب   اليابس والشوك دونه الثمر
وكان أولى بأن يهذب ما يخلق   رب الأرباب لا البشر
فليعذر الناس من أساء ومن   قصر فى الشعر ، إنه بشر

التشبيه فى شعر ابن الرومى :

وابن الرومى مع كل سمات شاعريته وخصائصها ، مصور يجيد التصوير ، ومشبه يأتى برائع التشبيهات ، ورسام يرسم بعاطفته ومشاعره التى تشيع فى فنه صور الأشياء ، وشتى المحسات والوجدانيات .

نمى فى نفسه هذه الملكة ، وتلك القدرة الفنية : عواطفه المتأججة وإحساساته المرهفة ، وحبه للجمال ، وفتنته بالطبيعة ، مع خصوبة ذهنه ، وقوة خياله ، ونضج ملكاته ، وتنوع ثقافاته ، ومع ترف الحضارة التى كانت تغمر بيئته وعصره ، والتى عاش يستلهمها الخيال ، ويلتقط من الطبيعة شتى الصور والأشكال .

كل هذه الحوافز وسواها نمت فى نفس ابن الرومى ملكات التخييل والتصوير ونفحته بروائع الصور . وجيد التشبيهات .

---

(١) مقدمة ديوان ابن الرومى للعقاد

(٢) قشر الشجر

خصائص تشبيهاته الفنية :

والتشبيهات ابن الرومى خصائص وسمات غالبة عليه ، ظاهرة فيه ، يمكننا أن نوضحها فيما يلى :

أولا : أجاد ابن الرومى وأكثر من تشبيه الحسيات . أما المعنويات فصورها فى شعره قليلة مع إجادة بالغة . ومنها قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لولم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

وكذلك قوله :

وتدابيرك اللطاف اللواتى هن أخفى من مستسر الهباء
لك مكر يدب فى القوم اخفى من دبيب الغذاء فى الأعضاء
بل من مسر فى ضمير محب أدبته عقوبة الإفشاء
أو دبيب الملال فى مستهام بين إلى غاية من البغضاء
أو مسير القضاء فى ظلم الغيب إلى من يريده بالشقاء
أو سرى الشيب تحت ليل سواد مستحير فى لمة سوداء

ويقول :

وكأن لذة صوته ودبيبها سنة تمشت فى مفاصل نعس

ويقول فى الشباب :

أخى وتربى والذى كان مولدنا معا وربتنى الأيام حيث ربى

ويقول : ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس

وبعض هذه التشبيهات استمدها من مظاهر الحس والمحسات .

ثم كانت أبرز حاسة يتكىء عليها فى تصويره هى حاسة الابصار ، وبرزت من بين مرئيات هذه الحاسة الألوان خاصة ، فكان يبهرك فى هذه الفطنة الحسية حاسة اللون المتوهجة ، التى تطالعك فى كل وصف من أوصافه ، للحسان والازهـــار والراح . وغيرها من المناظر التى تلامس البصر بألوانها ، فتراه يقول :

ليت شعرى أسحر عينيك داء القلب أم نار خدك الوهاج

ويقول الراح :

صفراء تنتحل الزجاجة لونها فتخال ذوب التبر حشو أديمها
لطمت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شعاعها ونسيمها

ويقول فيها :

ثوت تصطلي شمس الظهائر برهة إلى أن أفادت لون شمس الاصائل

ويقول في قوس قزح :

يطرزها قوس السحاب بأخضر على أحمر في أصفر إثر مبيض

ويقول في وصف الصوت :

وتراه يموت طورا ويحيا مستلذ قصيده والنشيد
فيه وشى وفيه حلي من النغـ ـم مصوغ يختال فيه القصيد

ويصف الحركات مع دقتها فيبدع ويجيد ، كقوله في وصف حركة الرقاق :

ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تندح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

ويصف حركة الري في النبات فيبدع حين يقول :

ويحور الخريف وهو ربيع وتسور (١) المياه في العيدان

ويصف الحركة البطيئة في سير السحاب المثقل بالماء فيقول :

حدتها النعامى (٢) مثقلات فأقبلت تهادى رويدا . سيرها كركودها

إلى غير ذلك مما فيه صدق تمثيل للحركة في الجلة والتفصيل .. والتفات الشاعر هذا الالتفات الدقيق ، إلى كل لمحة من لمحات اللون والظل ، وإلى كل صغير وكبير من دقائق الأشكال والحركات ، دليل على أنه مطبوع على التصوير ، وقصيدته النونية في المهرجان ، والتي مطلعها :

يمن الله طلعة المهرجان كل يمن على الأمير الهجان

مظهر لملكة التصوير عند ابن الرومي ، وهكذا ظهرت مقدرته البارعة في التشبيه والتشخيص ، في مظهرها الحسي المتعدد الصور والألوان ، لأنه كان له عين

---

(١) سورة الغضب : وثوبه .

(٢) ريح الجنوب وهي أبل الرياح وأرطبها .

تلمح فتعى ، ونفس تحس فتستوعب ، وخيال يبصر الجمال المنظور فيثرى بالألوان والسمات .

ثانيا : ويمتاز التشبيه فى شعر ابن الرومى بدقة التصوير . فهو فطن دقيق الفطنة ، ملتفت إلى كل ما تتطلبه صوره الشعرية من الألوان والأصباغ ، يحكم ظلالها وأضواءها ، ويلائم بين ألوانها وأشكالها ، ويخرجها صورة مكتملة الحياة فى كل من أجزائها . يقول فى وصف أحدب :

قصرت أخادعه وطال قذاله ... فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنما صفعت قفاه مرة ... وأحس ثانية لها فتجمعا

وهى دقة وفطنة بالغة لا نظير لها فى وصف الشكل والحركة ، فصورة الرجل وهو يتهيأ لأن يصفع ، ثم يتجمع فيتقى الصفعة الثانية ، هى صورة الأحدب ، التى لا ينقصها شىء ، ولا يعوزها زيادة ، وهكذا يحكم الشاعر خلق الصورة ، ويضحك بالمقابلة بين الشىء وشبيهه ، ولقد كان ابن الرومى فى مجال فنه ، لا تفوته من الأغراض فائتة ، فى اللفظ أو المعنى أو التصوير ، كما كان لا يفوته لون من الألوان التى تنسجها خيوط الشمس .

وكذلك يقول فى هجاء مغنية :

وإذا غنت بدا فى جيدها ... كل عرق مثل بيت الأرضة (١)

فصور بقوله « فى جيدها » كل ما يمكن أن يبلغه التصوير ، وينا له التعبير ، وأراك القبح من حيث ترى سمات الحسن ، ووضع يدك على العيب بعد أن وضع يدك على الجمال ، فكان ذلك أدعى لإعجابك بالتشبيه ، وسرورك بهذه الصورة الحاذقة .

وكذلك يقول فى وصف أصلع :

فوجهه يأخذ من رأسه ... أخذ نهار الصيف من ليله

فيجيد ، ويدق فى التصوير :

---

(١) دويبة تأكل الخشب .

ويقول فى هجاء مغن :

وتحسب العين فكيه إذا اختلفا عند التنغم فكى بغل طحان

فيبلغ بالتصوير ، وبالسخرية فيه غاية الإتقان

ويقول فى صانع الزلابية :

يلقى العجين لجيناً من أنامله فيستحيل شبابيكا من الذهب

فيبدع التصوير أى إبداع

ويصور المغنيات يحمان أعوادهن على صدورهن ، فيقول :

وقيان كأنها أمهات عاطفات على بنيها حوانى

ويصف افتنان الطبيعة فى توشية الرياض بألوان الزهر ، فيقول :

ورياض تخايل الأرض فيها خيلاء الفتاة فى الأبراد

ثالثاً : وتمتاز تشبيهات ابن الرومى بأنه يفيض عليها من حياته وعواطفه ما يلبسها ثوب الحياة ، لأنه كان يحس الحياة بكل جارحة فيه ، فهو حين يصور الطبيعة يعيرها روحه ، ويفضى إليك بإحساسه فى تصويرها ؛ ويحاول أن يدمج هذه المحسات فى عواطفه ووجداناته ، وهذا من أبرز خصائصه فى فنه التشبيهى ، والفرق عظيم بين شاعر يصف لك مارآه وشعر به وتخيله ، وأجاله فى صدره ، وجعله جزء من حياته ، وشاعر يسجل الصور فحسب . ومن أجل ذلك كانت الطبيعة فى تشبيهات ابن الرومى ، ليست مجرد صورة ولا حلية ، ولكنها جسم نابض بالحياة ، يصف قدحا من أقداح الراح فيقول :

كنفم الحب فى الحلاوة بل أحـ لى وإن كان لا يناغى بحرف

ويقول فى وصف حالته فى شيبه :

لاح شيبى فرحت أمرح فيه مرح الطرف فى العذار المحلى

رابعا : وقد استمد ابن الرومى صور تشبيهاته ، من مشاهد الحياة التى تألفه ويألفها ، ويراها فى بيئته العامة والخاصة والتى هى فى متناول كل رجل ، يعيش فى مثل المجتمع الذى كان يعيش فيه ابن الرومى ، ويحيا حياته التى كان يحياها ، ثم يأخذ فى عقد تلك الصور ومزج تلك الأصباغ ، وتركيب هذه المواد المنتزعة من من مظاهر حياته وبيئته

القيمة الأدبية لتشبيهات ابن الرومى

سنستعرض هنا بعض تشبيهات، لنرى مدى جودتها أو مدى ما فيها من ابتداع وتجديد:

قال ابن الرومى فى امرأة ورقيبها :

ما بالها قد حسنت ورقيبها   أبدا قبيح . قبح الرقباء
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى   أبدا يكون رقيبها الحرباء

وهى صورة شعرية غنية بنفسها عن الإعجاب والشرح .

وأجود ما قيل فى الريق قوله :

يا رب ريق بات بدر الدجى   يمجـــه بين ثناياكا
يروى ولا ينهاك عن شربه   والماء يروى وينهاكا

فليس لهذا البيت نظير فى معناه .

وقال فى الخمر والنرجس :

ريحانهم ذهب على درر   وشرابهم درر على ذهب

فأجاد وأبدع فى إخراج هذه الصورة الساحرة .

وقال فى خبو الشمس حين غروبها :

كأن خبو الشمس ثم غروبها   وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوص عين بين أجفانها الكرى   يرنق (١) فيها النوم ثم تغمض

وهى صورة جيدة الشبه للشمس عند الغروب .

ومن جيد تشبيهات أبى نواس وقد نبه نديما للصبوح قوله :

فقام والليل يجلوه الصباح كما   جلا التبسم عن غر الثنيات

ولابن الرومى التقدم عليه بقوله فى الراح ، وقد أخذ أصل المعنى ونقله إلى وصفها :

---

(١) رنقه : كدره

يفتر ذاك السواد عن يقق   من ثغرها كاللآلىء النسق
كأنها والمزاج يضحكها   ليل تعرى دجاه عن فلق

وقال أبو نواس :

تبكى فتذرى الدر من نرجس   وتلطم الورد بعناب

أخذه سعيد بن حميد فقال :

وكأنما أثر الدموع بخدها   طل تساقط فوق ورد يانع

وقال البحترى فى هذا المعنى :

شقائق يحملن الندى فكأنه   دموع التصابى فى خدود الخرائد

وقال ابن الرومى فى دموع المحبين وقت الوداع :

كأن تلك الدموع قطر ندى   تقطر من نرجس على ورد

فأجاد وأبدع باختصار اللفظ وحسن السبك . ومن الأبيات الجامعة فى المدح قول ابن الرومى :

هو الغرة البيضاء من آل هاشم   وهم بعده التحجيل والناس أدهم

ومن أجود ما قيل فى الثريا قول بعض الشعراء :

ولاحت لساريها الثريا كأنها   على الأفق الغربى قرط مسلسل

أخذه ابن الرومى فقال :

طيب طعمه إذا ذقت فاه   والثريا فى جانب الغرب قرط

ومن أحسن ما قيل فى شروق الكأس قول ابن الرومى ، وأتى بشىء لم يسبق إليه ، وهو تشبيه الحباب بفلق اللؤلؤ ، فقال :

لها صريح كأنه ذهب   ورغوة كاللآلىء الفلق (١)

وقال ابن الرومى :

---

(١) الفلق : الصبح

وقبلت أفواها عذابا كأنها ينابيع خمر خضبت لؤلؤ البحر

قال أبو هلال فى ديوان المعانى (١) : البحر زيادة لا يحتاج إليها . لأن اللؤلؤ لا يكون إلا فى البحر . فلو كان فى غير البحر لؤلؤ فليس لذكره إليه فائدة . وأخيرا فلابن الرومى القدرة الفائقة على تهجين ما أجمع الناس على استحسانه كما فعل فى الورد من تهجينه وتفضيل النرجس فى صورة جميلة مؤثرة (٢) . وبعد فيغنينا ذلك كل الغنى فى فهم القيمة الأدبية لتشبيهات ابن الرومى .

ولننتقل بعد ذلك إلى البحث الأخير فى الكتاب .

موازنات أدبية بين التشبيه فى شعر الشاعرين :

أولا : التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى حسى ، وإن ألم ابن الرومى ببعض التشبيهات فى غير الحسيات .

ثانيا : لحاسة البصر ، والألوان خاصة ، منزلة كبيرة فى تشبيهات الشاعرين .

ثالثا : كل من الشاعرين يستمد مادة التشبيه من بيئته ، ولذلك كثرت فى تشبيهات ابن المعتز ألوان الحياة المترفة ، من كؤوس التبر ، وأوانى الفضة ، وصحاف الذهب المحلاة بأنواع الجواهر الكريمة واللآلئ النادرة ، مما لا يوجد نظيره عند ابن الرومى إلا نادراً .

رابعا : التشبيه عند ابن المعتز ملكة ، وعند ابن الرومى رغبة فى ابتداع الصور والمعانى ، ولذلك كثر فى شعر ابن المعتز ، حتى لا تبلغ كميته عند ابن الرومى حد تلك الكثرة .

خامسا : وألفاظ ابن المعتز أرق من ألفاظ ابن الرومى فيه ، أما دقة التصوير فهى سمة للتشبيه فى شعر الشاعرين .

---

(١) ٢٣٩ : ١

(٢) وذلك فى قطعة شعرية طويلة أولها :

خجلت خدود الورد من تفضيله خجلا توردها عليه شاهد

وقد حللها عبد القاهر وبين منزلتها فى البيان وفى جودة التخييل وحسن التعليل حتى قال فيها : « إنه جاء بحسن وإحسان لا تجد مثله إلا له » ٢٤٨ أسرار .

سادساً : ابن الرومي في صوره يمزج الألوان امتزاجاً ويركب الصور ، وابن المعتز يزجيها مجتمعة دون اتحاد وامتزاج .

سابعاً : وهذا لون آخر من ألوان الموازنة بين التشبيه في شعر الشاعرين ، قال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

وحول هذا المعنى يقول أبو نواس :

تعاطيكها كف كأن بنانها إذا اعترضتها العين صف مداري

ويقول ابن الرومي :

أشارت بقضبان من الدر رقمت يواقيت حمراً فاستباح فؤادي

ويقول ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق

وقال ابن الرومي :

أعانقه والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد العناق تدان؟
كأن فؤادي ليس يشفي غليله سوى أن يرى الروحان يمتزجان

وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :

يا رب إخوان صحبتهمو لا يملكون لسلوة قلبا
لو تستطيع قلوبهم فقدت أجسادها وتعانقت حبا

وقال أبو نواس في الراح :

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

أخذه ابن الضحاك وأحسن :

كأنما نصب كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك

وقال ابن الرومي فيه ، وكان أحسن منهما :

فكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

وقال ابن المعتز فزاد عليهم جميعاً :

وكأنه وكأن الكاس فى فمه هلال أول شهر غاب فى شفق

وهو أحسن ما وصف به كأس على فم . ومن أحسن ما قيل فى وصف مغن قول ابن المعتز :

ومغن ملحق كل نفس بهواها ، وهو للسكر عذر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومى :

تتغنى كأنما لا تغنى من سكون الأوصال وهى تميد

ولها الدهر لائم مستزيد ولها الدهر سامع مستجيد

وقال ابن الرومى :

كأن نسيمها أرج الخزمى ولاها من بعد وسمى ولى

إذا أنفاسها نسمت سحيرا تنفس — كالشجى — لها الخلى

وحول هذا المعنى يقول ابن المعتز :

وما ريح قاع عازب طله الندى وروض من الريحان ذرت سحائبه

لجاءت سحيرا بين يوم وليلة كما جر فى ذيل الغلالة ساحبه

ثامنا : وقد يكون فى الإمكان الموازنة بين قصدتين للشاعرين ، فى موضوع واحد ، انرى من هذه الموازنة مدى فن كل من الشاعرين فى التشبيه ، ولكن هذه الموازنة لا تعطينا حكما حاسما على شاعرية أيهما ، فكثيرا ما يأتى أحد الشاعرين بتشبيهات فى موضوع القصيدة لا يأتى بها الآخر ، ومع ذلك فأنا أعرض هاتين القطعتين . اللتين اخترتهما من شعر الشاعرين لتقاربهما فى الخيال ، ووحدتهما فى الموضوع ، فوق وحدتهما فى الوزن . قال ابن الرومى من قصيدة فى وصف مجلس الراح :

شمس من الحسن فى معصفرة ضاهت بلون لها معصفرها

فى وجنات تخمر من خجل كأن ورد الربيع حمرها

يسعى إليها بكأسه رشأ أنشأه الله وذكرها

في كفه كالشهاب لاح على ظلماء ليل دجت فنورها
إن برزت للهواء غيرها أو قرعت بالمزاج كدرها

ويقول ابن المعتز في مجلس الراح أيضا من قصيدة :

ومجلس جل أن نشبهه جن به مزهر ومزمار
وزانه من بني العباد رشا بالجيد والمقلتين سحار
قد ركبت كفه مشعشعة إبريقها في الكؤوس هدار
يلمع فيها من كل ناحية كوكب نور إليك نظار
فظلت في يوم لذة عجب وافى به للسعود مقدار
وقابل الشمس فيه بدر دجى بأخذ من نورها ويمتار

١ — ففي هاتين القطعتين وصف للساقي والراح ، وفي قطعة ابن الرومي زيادة وصف للقينة التي تغني في مجلس الراح .

٢ — وصف ابن الرومي الساقي بالأنوثة ، ووصفه ابن المعتز بالسحر .

٣ — شبه ابن الرومي نور الراح في الكأس ، بالشهاب في ظلام الليل ، أما ابن المعتز فقد شبه الكأس بالبدر ، والراح بالشمس . وجعل الكأس يأخذ من نورها ويمتار .

٤ — وصف ابن الرومي الراح بأنها أصفى من الماء وألطف من الهواء ووصفها ابن المعتز بكوكب نور متوقد .

٥ — ألفاظ ابن المعتز موسيقية ، وأعذب من ألفاظ ابن الرومي ،

٦ — وابن الرومي في جملة الأمر يركب الصور ويمزج التشبيهات ولكن ابن المعتز يقف عند حدود التصوير . لا يتعمد لمزج تلك الأصباغ بعضها ببعض بل يزجيها مجتمعة دون اتحاد أو امتزاج .

٧ — وابن الرومي يفوته أحيانا ما هو أبلغ في الوصف ، وأروع في أداء الغرض من حيث لا يفوت ابن المعتز ذلك كما رأينا في وصف ابن الرومي للساقي بالانوثة ، ووصف ابن المعتز له بالسحر .

تاسعا : وليس هناك شيء آخر يمكن أن نعرضه في سياق الموازنة بين الشاعرين في التشبيه ، إلا هذه الرواية الأدبية التي رواها ابن رشيق في العمدة والبغدادي في خزانة الأدب والعباسي في معاهد التنصيص، فقد لام لائم ابن الرومي ، وقال له :

لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ، فقال : ألا تنشدنى شيئا من قوله، الذى استعجزتنى عن مثله ، فأنشده قوله فى الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة   قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال له زدنى ، فأنشده قوله فى الآذريون (وهو زهر أصفر فى وسطه خمل أسود وليس بطيب الرائحة) :

كأن آذريونها والشمس فيها كالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فصاح : واغوثاه : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، ذاك إنما يصف ماعون بيته ، لأنه ابن خليفة ، وأنا أى شىء أصف ؟ ولكن انظر إذا وصفت ماأعرف ، أين يقع قولى من الناس هل لأحد قط مثل قولى فى قوس الغمام ؟

وساق صبيح للصبوح دعوته   فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم   فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا   على الجو دكنا والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأخضر   على أحمر فى أصفر إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل   مصبغة والبعض أقصر من بعض

وقولى فى صانع الرقاق

ماأنس لا أنس خبازا مررت به   يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
مابين رؤيتها فى كفه كرة   وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة   فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر

وقولى فى قالى الزلابية :

رأيته سحرا يقلى زلابية   فى رقة القشر والتجويف كالقصب
يلقى العجين لجينا من أنامله   فيستحيل شبابيكا من الذهب

أئمة الشعر فى القرن الثالث

كان أبرز شعراء القرن الثالث أبو تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز . وقد علمت مما سبق عن ابن الرومى وابن المعتز الكثير .

كان أبو تمام وابن الرومى يتعمقان فى الثقافة وينزعان إلى التفكير ويؤثران المعانى العميقة والآراء البعيدة فى الشعر . وكان أبو تمام مع ذلك يتخذ الشعر صناعة فنية دقيقة ، فهو يختار ألفاظه وأسلوبه اختيارا دقيقا ، ويصوغه صياغة خاصة مصبوغة بألوان الترف والزخرف وأصباغ البديع المتعددة التى عرفها شعراء القرن الثالث بذوقهم وعقلهم ؛ من حيث كان ابن الرومى قائما بالغوص على المعانى دون التفات أو إيثار لألوان الجمال فى الأسلوب ؛ أما أبو عبادة البحترى فقد كان قريبا فى أفكاره واضحا فى أسلوبه ، يحب الصنعة ولكنه يؤثر منها ما كان موائما للفطرة العربية السليمة وللذوق الأدبى الخالص الذى لم تفسده آثار الحضارة وألوان الثقافة ومذاهب الصنعة فى الشعر ، وكان شعره صورة لهذا الاتجاه دون ماسواه ؛ أما ابن المعتز فقد شغف بصناعة الشعر شغفا شديدا ، فتأنق فى ألفاظه وفى أسلوبه وأجاد فى ألوان البديع وأصباغ الزخرف التى وشى بها شعره ، وعنى بذلك عناية كبيرة ، ومع ذلك فإنه لم يغفل نزعات التفكير التى كان يدفعه إليها عقله وبيئته وألوان الثقافات التى امتزجت بالحياة العقلية فى هذا العصر الخصب ، فكان شعره صورة عامة لمدرسة أبى تمام ومدرسة البحترى ومثلها أدق تمثيل مع ظهور شخصيته ووضوح أثره فى الحياة الأدبية وتطور الشعر فى عصره .

ونحن بعد ذلك لا غنى لنا عن عرض آراء النقاد فى أبى تمام والبحترى وابن الرومى عرضا واسعا يوقفنا على اتجاه ومنهج كل شاعر فى التفكير والانتاج .

أما أبو تمام فشاعر مبدع ألقيت إليه زعامة الشعر من جميع الشعراء فى عصره وآثر فى نظم الشعر تجويد المعنى ودقته ، فكان « لطيف الفطنة دقيق المعانى غواصا على ما يستصعب منها (١) » ، « وهو » متكلف إلا أنه مصيب ، وشغله المطابقة والتجنيس ، جزل المعانى ، مدحه ورثاؤه لا غزله وهجاؤه ، وطارت له أمثال وحفظت له أقوال (٢) » ، « ولا يتعلق بجيده جيد أمثاله ورديئه مرذول مطروح (٣) » ، « وكان صاحب طريقة مبتدعة ومعان كالللؤلؤ متتبعة (٤) » . وهو رأس

(١) ١٦٨ : ٧ مهذب الأغانى
(٢) ٢٤٩ رسائل البلغاء من رسائل الانتقاد لابن شرف
(٣) ٢ الموازنة
(٤) ١٦٦ رسالة الغفران

فى الشعر ومبتدىء لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه (١)، وقد شغف بجزالة اللفظ ومتانة الاسلوب وبالصنعة وقصد البديع فهو أكثر الشعراء بديعا وافتنانا وصنعة فى شعره إلا أن مصنوعه جيد يغبه أن يكون مطبوعا والحلاوة شعره ودقة أسلوبه خفيت الصنعة فيه كثيرا، وهو من المعروفين بجودة الرثا.(٢)، ولم يكن له حلاوة توجب له حسن التغزل (٣)، وكان يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك فى شعره (٤)، وكان يأتى فى شعره برد الأعجاز على الصدر ولا يأتى به إلا شاعر متصنع كحبيب ونظرائه(٥). وقصيدته «متى أنت عن ذهلية الحى ذاهل» محشوة بالصنعة وتكلف فيها ألوان البديع بما عيب هو وأشباهه عليه (٦)

وشعره مباين للشعر فى عصره مباينة واضحة من حيث تصوره للشعر وشدة أخذه نفسه بتجويد المعنى ووحدة القصيد وفى كلفه بوصف الطبيعة وميله إلى المعانى الفلسفية يضمنها شعره أيا كان الموضوع الذى ينظم فيه، ويرى بعض المحدثين أنه يجيد فى هذا المعنى وذاك ولكنه لايعرض عليك العالم كله فى حالة من الحالات(٧). ويرى آخر أن أبا تمام لا يعد فى نظر أهل العصر الحاضر مثلا أعلى للشعر لأنه لم ينقل فى شعره كثيرا من صور العواطف التى كانت تجيش بصدر المجتمع فى ذلك الحين ولم يمثل الحياة القومية فى عصره تمثيلا صحيحا ولم يكن كأبى العلاء حرا فى إبداء ما يختلج بنفسه من المعانى ولا شجاعا فى بيان ما يعتقده حقا (٨)، ومهما يكن فقد كان أبو تمام رأس طبقته، وأخمل هو والبحترى فى زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد كما يقولون، وتتلمذ عليه كثيرون كالبحترى وسواه، وكان البحترى يقدمه وكذلك ابن الرومى (٩) ولم يدركه ابن المعتز وإن كان تتلمذ على أدبه وشعره.

° ° °

(١) أخبار أبى تمام للصولى. وراجع رد الآمدى عليه فى ذلك ص ٦ من الموازنة

(٢) ٢٤١ : ٢ العمدة

(٣) ١١٣ : ٢ العمدة

(٤) ١٨٢ : ١ العمدة

(٥) ١٨٣ : ١ العمدة

(٦) راجع ١٩٥ إعجاز القرآن

(٧) راجع مقالة للعقاد فى الرسالة عدد ٤٥٨

(٨) ص ٨ مقدمة مختصر شرح ديوان الحماسة

(٩) ٦٥ أخبار أبى تمام

واما البحترى فتلميذ أبى تمام . وكان يتشبه به فى شعره . ويحذو حذوه فى البديع وكان يراه صاحبا وإماما (١) . ترسم خطا أبى تمام ومضى على أثره فى البديع إلا أنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر ففنى (٢) , استمد معانيه من وحى الخيال وجمال الطبيعة لا من آراء العلم وقضايا المنطق والفلسفة فأعاد للشعر ماذهب من بهجته وورونقه حتى قال المتنبى فيه « أناوأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى » ويشيد النقاد بعذوبته وجمال لفظه وأسلوبه(٣). وهو فى عذوبة اللفظ وسهولته يبذ غيره فى هذا الميدان . والكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ويقدمون رأيه فى البلاغة على ماوصفه :

فى نظام من البلاغة ماشك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا حك فى رونق الربيع الجديد
حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المرام البعيد (٤)

وهو من المكثرين فى وصف الخيال المجيدين فيه (٥) ، وأحسن الناس طريقا فى العتاب (٦) ، وكان بعض النقاد يختم به الشعراء (٧) ونوه به الآمدى فى الموازنة أعظم تنويه (٨) ، وكان يذكر أن أجود شعره « أهلا بذلكم الخيال المقبل » (٩) وكان ابن المعتز يشيد بشاعريته وبقصيدته فى وصف إيوان كسرى وقصيدته فى

---

(١) ١٨٣ : ٧ مهذب الأغانى
(٢) ٢ ٣ : المثل السائر
(٣) راجع : ٢٤٩ رسائل البلغاء ، ٧٣ أخبار أبى تمام للصولى ، وكان يقال لشعره سلاسل الذهب ، ٣٧٨ : ١ كشف الظنون . وكثر الغناء فى شعره استظرافا لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة ، ١٢٨ : ١ العمدة .
(٤) ١٠٠ إعجاز القرآن
(٥) ٩٩ ديوان الصبابة لابن أبى حجلة
(٦) ١٥٢ : ٢ العمدة
(٧) ١٨٣ : ٧ مهذب الأغانى
(٨) راجع الموازنة ، ٢٠٥ : ١ العمدة
(٩) ١٧٥ إعجاز القرآن

بركة المتـوكل واعتذاراته (١) ، وكان الصاحب يعجب بطريقة شعراء الشام المثلى التى هى طريقة البحترى فى الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة (٢)

وإنما يوازن شعر البحترى بشعر شاعر من طبقته ومن هو فى مضماره أوفى منزلته (٣) ونحن نفضل البحترى بديباجة شعره على ابن الرومى وغيره من أهل زمانه ونقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعقيده فى قوله (٤) ، والكتاب يفضلون البحترى على أهل دهره (٥) ، ويطيل الآمدى فى الموازنة بينه وبين أبى تمام (٦) .

وقد اتصل البحترى بابن المعتز ، وله فى والده وفيه فى عهد طفولته قصائد كثيرة سبق الإشارة إليها ، وترجم له ابن المعتز فى كتابه طبقات الشعراء ترجمة موجزة (٧) وكان يشيد بشاعريته وبسينيته فى إيوان كسرى وهائيته فى بركة المتوكل (٧) ، وكان يجتمع به ويجلس معه(٩)

* * *

وأما ابن الرومى فشجرة الاختراع وثمرة الابتداع وكان واسع العطن لطيف

---

(١) راجع ٣٣ رسائل ابن المعتز

(٢) ٩ : ١ اليتيمة

(٣) ١٩٠ إعجاز القرآن

(٤) ١٩١ المرجع

(٥) ١٩٢ المرجع

(٦) راجع الموازنة وعلى الأخص ص ٢ و ١٨٠ و ١٨١ ويقول الآمدى إن النقاد لم يتفقوا على أنهما أشعر ص ٢ الموازنة

(٧) ١٨٦ و ١٨٧ طبقات الشعراء لابن المعتز وله تراجم فى ٩٦ — ١٠٣ : ٣ وفيات ، ١٨٣ : ٧ وما بعدها مهذب الأغانى ، ٣٣٠ الموشح وما بعدها

(٨) راجع ٣٣ رسائل ابن المعتز

(٩) ٦ مقدمة ديوان البحترى

الفطن(١) ، وهو أشعر أهل زمانه بعد البحترى وأكثرهم شعراً(٢) ، ويمتاز بطوله نفسه فى قصائده(٣) ولم يجعل اللفظ شغلا شاغلا فى صناعته(٤) ، وكان من مختلق معانى الشعر (٥) وهو أولى الناس باسم شاعر (٦) ، وهو غريب الأخذ (٧) ، ويرى صاحب الوساطة أن قصائده على طولها لا تعثر فيها إلا بالبيت الذى يروق أو البيتين (٨) وهو على أى حال شاعر مجيد وعلم من أعلام القريض فى القرن الثالث ، ويمتاز ابن الرومى بتفضيله للفظ على المعنى وباستقصائه واختراعه وتوليده فى معانيه .

كان ابن الرومى شاعر مكتهل السن وابن المعتز مايزال يافعا شابا ، وكان ذلك يضع ابن الرومى موضع الأستاذ لابن المعتز ، ولكن شاعرنا ابن المعتز لم يبال به ولا تأثر تأثرا واضحا بشعره ، لأنه كان بين الشاعرين صلات مقطوعة ، ففضلا عن تفاوت السن كان ابن المعتز سنيا وابن الرومى معتزليا ، وكان ابن الرومى يحب المستعين ويكره المعتز كما أحب المهتدى وهجا المعتز قبل قتله وقد سبق ذكر ذلك ، وكان لذلك ولا شك أثره فى نفس الأمير ، فنقم على ابن الرومى واعتزله ورفض الاتصال به ولم يترجم له فى كتابه طبقات الشعراء مع أنه ترجم للبحترى (٩) ولأبى تمام (١٠) ولأبى العيناء (١١) والناشىء م ٢٩٣ (١٢) وسواهم .

وأما ابن المعتز فشاعريته وشعره وبسط الكلام فى ذلك وفى كل ما يتصل به هى موضوع هذا الكتاب .

---

(١) ٢٤٩ رسائل البلغاء من رسائل الانتقاد لابن شرف
(٢) ٢٨٩ معجم الشعراء
(٣) ٣٠٨ ابن الرومى للعقاد
(٤) ٣١٦ المرجع
(٥) ٢١٤ : ٤ المسعودى
(٦) ٢٥٥ : ١ العمدة
(٧) ١٠٥ : ٣ زهر ، وكان يأخذ الحكم الفارسية فينظمها شعراً (راجع ٢٧٨ : ٣ زهر)
(٨) ٥٤ الوساطة
(٩) ١٨٦ طبقات ابن المعتز
(١٠) ١٣٣ المرجع
(١١) ١٩٦ المرجع
(١٢) ١٩٨ طبقات الشعراء لابن المعتز

الباب الرابع

ابن المعتز
وأثره فى النثر الأدبى

الفصل الأول

(١)

النثر الأدبي أو الفني هو الكلام الذي يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن أو قافية .

ويرى بعض الباحثين من الأدباء المحدثين ومن بينهم الدكتور طه حسين أن القرن الأول الهجري لم يكن فيه نثر فني يعتد به إنما كان الشأن للشعر - والقرآن ليس نثرا بل ولا شعرا (١) ، وقد احتذى الدكتور في ذلك حذو الأستاذ موسيه الفرنسي وهو أول من ذهب إلى ذلك وإلى أن النثر الفني في الأدب العربي يبتدىء بابن المقفع(٢) ، وابن المقفع في نظر هؤلاء أول ممثل للتطورات الجديدة في الإنشاء العربي(٣) وهو أول مؤلف للإنشاء الأدبي في اللغة العربية (٤) وقد آمن الدكتور طه حسين بهذا الرأى وبأن الشعر أسبق من النثر الفني في آداب اللغة العربية وأذاع ذلك في كثير من مؤلفاته (٥) وقد ثار بعض الباحثين في وجه هذه النظرية وهاجموها (٦) :

وهذه النظرية وهي أن الشعر سبق النثر الفني في الوجود نجد أصولها عند أرسطو في كتابه الشعر فهو يقول فيه : « والأقدم من الأشعار الأقصر والأولون

---

(١) ٣٣ : ١ النثر الفني

(٢) ٣٨ : ١ المرجع

(٣) مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر سنة ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب بعنوان : خواطر في الأدب العربي

(٤) ص ١٩ المرجع السابق

(٥) التوجيه الأدبي ١٢ و ٣٦٤ — ٣٦٨ الأدب الجاهلي و ١٥ و ١٦ المجمل في تاريخ الأدب العربي ، من حديث الشعر والنثر

(٦) راجع ٥٨ — ٦٦ تاريخ الأدب في العصر الجاهلي للأستاذ محمد هاشم ، و ٣٢ : ١ النثر الفني .

كانوا يقرون الاعتقاد فى النفوس بالتخييل الشعرى ثم نبغت الخطابة بعد ذلك ، وهى نوع من أنواع النثر ، وقد عمم بعض المحدثين من المستشرقين ذلك الحكم فذهبوا إلى أن الشعر أسبق من النثر الفنى وجودا ، على أن بعض المستشرقين من علماء الألمان كجلدزيهر وبروكلمان على الرأى القائل بأن السجع كان المرحلة التى عبرها النثر إلى السفر عند العرب (١)

ونحن لا نميل إلى هذا الرأى الجديد ولا نؤيده فالقرآن أثر من آثار النثر الفنى وكذلك الكتب الدينية والأدبية القديمة التى يشير إليها القرآن الكريم وكثير من الأمم القديمة كان لها نثر فنى قبل الميلاد بكثير : فلليونانيين آثار كبيرة فى الخطابة من قبل الميلاد بقرون عديدة ، وللرومانيين آثار فيها قبل الميلاد وبعده (٢)، فلماذا لا يكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون ؟ مع أن لعبد الحميد الكاتب آثارا كبيرة فى النثر الفنى وهو قبل ابن المقفع على أى حال . والقدماء من النقاد يؤيدون سبق النثر للشعر ، فابن رشيق يقول : وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا (٣) وكذلك صنع كثير من الباحثين كالزهاوى (٤) وسواه

وإذا فالنثر الفنى فى الأدب العربى وجد قبل القرآن بقليل وصاحب نزول القرآن وتأثر به تأثرا عظيما ثم اتصل المسلمون بالفرس بعد الفتح الإسلامى واحتذوهم فى ألوان من أدبهم احتذاء ظهر أثره فى النثر الفنى منذ آخر القرن الأول الهجرى على أيدى بعض الكتاب .

(٢)

كان كثير من الكتاب والموالى يعرف اللغة الفارسية وبعضهم كان يعرف الرومية أو اليونانية أو السريانية مما كان له أثر فى النثر

---

(١) ٦٢ الأدب الجاهلى لمحمد هاشم

(٢) راجع ٦٠ — ٧٣ التوجيه الأدبى

(٣) ٨ : ١ العمدة

(٤) راجع الجزء الأول من سحر الشعر

فزيد بن ثابت تعلم كما يقال الفارسية من رسول كسرى والرومية من صاحب النبي والحبشية من خادم النبي والقبطية من خادمه (١) وتعلم السريانية بأمر الرسول الكريم(٢)، وأبو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك وأستاذ عبد الحميد الكاتب وأحد الواضعين لنظام الرسائل نقل رسائل ارسطو إلى الاسكندر(٣) إلى العربية مما يدل على معرفته للغة غير اللغة العربية وكان جبلة بن سالم كاتب هشام أحد النقلة من الفارسي إلى العربي(٤) وكذلك كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية وقد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي(٥) وهو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية(٦) وكذلك كان ابن المقفع وهو من سلالة فارسية عريقة ومن ذلك يظهر بوضوح أثر الثقافات والأدب الفارسي على الخصوص في تطور الكتابة والنثر الفني في أدب لغتنا العربية :

وعبد الحميد الكاتب هو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل وعنه أخذ المترسلون (٧) وهو أحد كتاب القرن الثاني الذين فهموا الفصول كما كان يفهمها علماء البيان من اليونانيين (٨) وهو أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر(٩) وآلت إليه زعامة الكتابة فمهد سبلها ووضع معالمها ورسم لها رسوما خاصة في بدئها وختامها والإطناب فيها مرة والإيجاز أخرى فكان بذلك شيخ الكتاب(١٠)

---

(١) ٦ جـ ٣ العقد

(٢) ٧٣ الأدب الإسلامي لمحمود مصطفى

(٣) ١٧١ الفهرست

(٤) ٣٤٢ الفهرست

(٥) ٦٩ صناعتين و ٨٩ : ٢ ديوان المعاني

(٦) ٥٧ : ١ النثر الفني وما بعده

(٧) ١٧٠ فهرس

(٧) ١٠ مقدمة نقد النثر

(٩) ٧ : ٣ العقد

(١٠) ٢٩ العصر العباسي للاسكندري ، وراجع في ذلك ١٩٣ تاريخ الأدب العربي للزيات وقد توفي عبد الحميد عام ١٣٢ هـ وله من الآثار الأدبية : رسالة إلى الكتاب (١٧٢ — ١٧٥ رسائل البلغاء) ورسالة في الشطرنج (١٦٤ — ١٦٦ المرجع) ورسالة في نصيحة ولي العهد (١٣٩ — ١٦٤ المرجع) وكلمات ورسائل أخرى (١٦٦ — ١٧٢ المرجع)

وبحق لقد قيل بدئت الكتابة بعبد الحميد (١) .

ثم ازداد أثر الفارسية فى النثر الأدبى فنقل الفرس إلى العربية القصص الغرامى والغزل بالمذكر (٢) .

(٣)

ثم ظهر ابن المقفع عام ١٤٢ هـ وأحدث أثره فى النثر الأدبى وفى تطوره (٣) .

كان ابن المقفع من عنصر فارسى وهو أحد النقلة من الفارسية إلى العربية — وذاع أنه ترجم كتب أرسطو من الفارسية (٤) إلى العربية — والصحيح أن الذى قام بذلك هو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع وهو الذى كان كاتب المنصور لا أبوه (٥) .

وابن المقفع هو إمام المنشئين فى ذلك العصر وكان إمام الطبقة الأولى من الكتاب فى العصر العباسى وهى الطبقة التى أدركت الدولتين ومن شخصياتها: يحيى بن زياد الحارثى وعمارة بن حمزة وأبو أيوب وزير المنصور وكاتبه . وقد آخى ابن المقفع فى طريقته بين التفكير الفارسى والبلاغة العربية وكان مقدما فى بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعانى وابتداع السير . فأدبه وإن كان عربى اللفظ والأسلوب فهو أعجمى الفكر والتأليف فقد استخلص من الأسلوب الفارسى والعربى طريقة عرفت به وأخذت عنه (٦) ، وتظهر مزيته فى ترتيب أفكاره وحسن تقسيمها . ويغلب على أسلوب عبد الحميد الصبغة العربية ، كما تشيع فيه الحكمة التى يروضها بعذوبة ألفاظه وسلامة أسلوبه ، وحقا لقد كان أمة فى البلاغة ورصانة القول وشرف المعانى مع وضوح الغرض وسمو الأسلوب

---

(١) راجع ٢٩٤ التوجيه الأدبى ، والنقاد يقولون : فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد

(٢) راجع ١٤٧ — ١٦٢ : ١ النثر الفنى ، والغزل بالمذكر أظهر فى الشعر منه فى النثر

(٣) ١٧٢ الفهرست

(٤) ويقول ابن النديم : وكتاب المقولات لأرسطو فسره ابن المقفع ٣٤٨ فهرست، ويقول وكتاب العبارة لأرسطو اختصره ابن المقفع ٣٤٨ فهرست ١٠ ابن المقفع لمردم بك ، ويقولون: وابن المقفع أول من اعتنى فى الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية للمنصور ، ٣٨ ابن المقفع لمردم بك .

(٥) ١٠٥ — ١٢٠ التراث اليونانى لعبد الرحمن بدوى (٦) ٢٢٢ الزيات

وهو أكثر كتاب عصره تأنقا فى صوغ الجملة فكان يقوم فى النثر بما كان يقوم به زهير فى الشعر، وهو أحد الكتاب الذين لم يلتزموا السجع (١) فكان فى كلامهم قليلا ولكنهم لايكادون يخلون بالمناسبة بين الألفاظ فى الفصول والمقاطع إلا فى مواضع يسيرة(٢)، وقد اهتموا ببسط المعانى وتأكيدها وتركوا مذهب الإيجاز الذى كان شائعا فى القرن الأول إلى الإطناب وتنويع العبارة وتقطيع الجملة والمزاوجة بين الكلمات وتوخى الإفهام، وابن المقفع أول من أفسح مكان الأدب العربى بالترجمة فهو الذى ترجم كليلة ودمنة ترجمة عما ينم عن جهد بذله المترجم فى تحوير الخصائص الهندية الصميمة التى للكتاب الأصلى (بنشاشترا) ليجعله ملائما للذوق العربى وأضاف إليه فصولا جديدة فى مواضع مختلفة (٣).

خلف ابن المقفع طائفة من الكتاب تأثروا به تأثرا واضحا بعيد المدى فى تطور النثر الأدبى والكتابة الفنية ومنهم يعقوب بن داود وزير المهدى وأبو الربيع محمد بن الليث وكتب للمهدى والهادى والرشيد والقاسم بن صبح وسهل بن هارون (٤) ويحيى بن برمك ثم أبناء جعفر بن يحيى (١٤٢ — ١٨٧ هـ) وأخوه الفضل والحسن سهل (٥) وأخوه الفضل (٦) وأحمد (٧) بن يوسف م ٢١٣ هـ وعمرو بن (٨) مسعدة عام ٢١٧ هـ والعتابى م. ٢٢٠ هـ ومحمد بن يزداد وزير المأمون (٩).

---

(١) ٧١ : ١ النثر الفنى

(٢) ١٦٧ سر الفصاحة ولا تكاد تجد كاتبا فى القرن الأول والثانى وأوائل القرن الثالث يتخذ السجع طابعا ملازما لنثره وقد كان السجع كثيراً فى الجاهلية وغلب على النثر فى عصر النبوة ثم أخذ سلطانه يضعف قليلا فى العصر الأموى ولكنه عاد يسترد قوته فى أول القرن الثالث

(٣) ولابن المقفع آراء كثيرة متفرقة فى البلاغة ، راجع ٩١ : ١ البيان و ٥ — ٧ الصناعتين ويروى له : البلاغة كشف ما غمض من الحق وتصوير الباطل صورة الحق ، ٥٣ صناعتين والصحيح أن ذلك للعتابى ٩٠ : ١ البيان

(٤) راجع ٥٥ : ١ البيان و ٢٨٢ : ٢ زهر و ٢٦٠ : ٣ زهر أيضا

(٥) يشيد به الجاحظ ٨٤ : ١ البيان وله كلمة يعرف بها أنواع الآداب ، ١٩٥ : ١ زهر

(٦) تبناه يحيى البرمكى وضمه إلى المأمون ٧٤ المكافأة ، وأشاد الحصرى ببلاغته ، ٩٦ و ١٩ : ١ زهر

(٧) له ترجمة فى الأوراق قسم أخبار الشعراء ٢٠٦ — ٢٣٦ ، وكان عالى الطبقة فى البلاغة ولم يكن فى زمانه أكتب منه وله شعر جيد ، ١٤٨ : ٢ زهر ، وكان ممن نبغوا فى الكتابة ، ١١ : ٣ العقد ، وهو أول من افتتح الكتابة فى التهانى بالنيروز والمهرجان ، ٩٥ : ١ ديوان المعانى

(٨) راجع ١٧٥ فهرس و ٣٥٢ معجم الشعراء (٩) راجع ٤٢٤ معجم الشعراء

(٤)

وفى العصر العباسى الثانى بلغ النثر الفنى منزلة سامية وامتاز بسهولة العبارة وانتقاء الألفاظ وجودة الأسلوب ، كما امتاز بجودة المعانى واختراعها ودقة الأخيلة وابتداعها وظهور آثار الثقافات الحديثة وخاصة اليونانية فيه بل الاحتفال بها والطعن فيما سواها مما شكا منه النقاد(١) ومال الكتاب إلى الإطناب حتى قال ابن قتيبة : (ولو كتب كاتب إلى أهل بلده فى الدعاء إلى الطاعة والتحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان وأما بعد فإنى أراك تقدم رجلا و تؤخر أخرى الخ لم يعمل هذا الكلام فى أنفسهم عمله فى نفس مروان ولكن الصواب أن يطيل ويدور ويعيد ويبدأ ويحذر وينذر (٢) ، والإطناب مذهب فارس حتى فى الأساطير وكتابة التاريخ ويقول ابن الأثير والعجم يفضلون العرب فى الإطالة فإن شاعرهم يذكر كتابه من أوله إلى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال كما فعل الفردوسى فى نظم الشاهنامة وهو ستون الف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها(٣) ولم يحفل الكتاب فى أوائل العصر الثانى بالبديع والتأنق الكثير فى الاسلوب ، ويعيب البديع الجاحظ لأن كلامه بعيد الإشارات قريب العبارات قليل الاستعارة ليس له لفظة مصنوعة الخ ... (٤) كما عابه الباقلانى بقرب كلامه وكثرة الاقتباس فيه (٥) .

وكان حامل لواء هذه الطريقة الجديدة إمام البيان الجاحظ واقتدى به كتاب عصره كالصولى وابن الزيات والحسن وسليمان ابنى وهب وسعيد بن حميد وأحمد ابن مخلد وبنى المدبر وسواهم من الكتاب الذين نشأوا فى هذا العصر وجمعوا بين

---

(١) ص ٢ أدب الكاتب لابن قتيبة بهامش المثل السائر و ٤٢ و ٤٣ رسائل الجاحظ حيث يقول الجاحظ : والناشىء من الكتاب إذا أراد وطء مقعد الرياسة يكون أول بدوه الطعن على القرآن فى تأليفه ولا يرتضى من الكتب إلا المنمق ... ومثل ذلك يقول ابن قتيبة، وهذا ينفى رأى ابن الأثير من أن الكتاب والشعراء لم يتأثروا بثقافة اليونان ، ٢٠ المثل السائر

(٢) راجع مقدمة أدب الكاتب

(٣) ٣٢٤ المثل السائر وقد وجدت رسائل مطولة كثيرة فى هـذا العصر كرسالة الخميس ١٠٧ — ١١١ : ٢ ابن طيفور مخطوط

(٤) ٨٢ مقامات البديع المقامة الجاحظية

(٥) راجع ١٩٤ إعجاز القرآن

الآدب والنقد والبلاغة العربية والدخيلة وقرأوا كتب الفرس واليونان والهند وظهر أثر ذلك فى تفكيرهم وانتاجهم وآثارهم الآدبية المتعددة الألوان .

آثر الجاحظ الطبع والبعد عن التكلف والتعقيد والحوشية والسوقية كما آثر الوضوح وظهور شخصيته فيما يكتبه من رسائل أو مؤلفات واحتال على نشاط القارىء بالفكاهة ومزج الجد بالهزل وبالاستطراد وبراعة الأسلوب وسحره وبالرواية والنقد والتمحيص والإطناب والانتباه العقلى والتغلغل الفكرى ودقة الملاحظة والشرح والتحليل والتعمق وشمول الفكرة ونفوذها ، وإحاطتها بشتى جوانب الحياة أظهر سمات أسلوب الجاحظ ؛ وهو مع ذلك متقد الحماسة للعرب والعربية ، يفضل بلاغة العرب على كل بلاغة ويستشهد بكلمة العربى وبيت البدوى كما يستشهد بحكمة الحكيم ورأى المفكر وفى انشاء الجاحظ كثير من أساليب الخطابة والجدل وكان من المعجبين بابن المقفع ونوه بفكره ولكنه لم يسلك مسلكه فى الآدب لأنه رأى أفق الآدب أوسع من أن يقصر على الحكم والمواعظ .

حقا لقد كان الجاحظ وسحر بلاغته (١) وسمو أسلوبه وشخصيته البارزة فى كل فقرة من فقراته وثقافته الواسعة فى شتى آثاره الآدبية نسيج وحده وفريد عصره كما يقولون، ورسالته التربيع والتدوير والحيوان من مظاهر ثقافته الواسعة العميقة .

وإذا كان ابن المقفع امام المنشئين فى عصر الترجمة فإن الجاحظ إمامهم فى عصر التأليف .

---

(١) ويقول الجاحظ من رسالة له إلى ابن الزيات : نحن أعزك الله نسحر بالقول ونموه بالبيان ٣٩١ دلائل الإعجاز

الفصل الثاني

ابن المعتز وأثره في النثر الأدبي

(١)

ابن المعتز مع أنه شاعر مشهور كاتب من كبار الكتاب في عصره بل هو إمام الكتاب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، فهو أحد المترسلين وشيخ المنشئين والذي بلغ في عصره الذروة في بلاغة القول وسحر البيان وسمو الأسلوب ، وتدوول كلامه ورواه النقاد والأدباء والكتاب والمؤلفون في شتى العصور كما فعل الصولي والحصري وسواهم ، وينقل الثعالبي من كلامه « قلائد وروائع » وشي بها كتابه سحر البلاغة (١) .

نبغ في عصر ابن المعتز كثير من الأعلام في النثر والكتابة ، كعبيد الله بن سليمان بن وهب ، وأبي العباس بن ثوابه ، وأبي الحسن علي بن الفرات ، ومحمد ابن داود الجراح ، وعلي بن عيسى بن الجراح وسواهم ممن كتبوا للمعتمد والمعتضد والمكتفي ؛ وكان ابن المعتز على رأس هؤلاء الفحول في النثر والترسل ، وخلف هو وطبقته طبقة الكتاب التي كان يتزعمها الجاحظ شيخ البيان العربي م ٢٥٥ هـ ، وكان هو وطبقته يحتذون الجاحظ وأسلوبه وتفكيره ، وابن المقفع في حكمته وأخلاقياته ودراسته وتوجيهه ونصائحه للمجتمع ، ويجعلون النثر كما جعلوا الشعر وسيلة فنية للتعبير عن الحياة في جدها ولهوها وعن الطبيعة ومشاهدها والوجود وآثاره والمجتمع ونقده والأفكار العامة وتصويرها والآراء والمذاهب والعلوم والفنون وتحليلها رغم كثرة الأسباب التي كانت تدعو إلى فتور أمر الكتابة وهبوط منزلتها ، من ضعف التشجيع وخطر الشعوبية وانصراف الناس إلى العلوم العقلية وجهل الكثير بأصول الكتابة وأدواتها مما حفز ابن قتيبة إلى تأليف كتابه « أدب الكاتب » .

---

(١) « سحر البلاغة طبع مطبعة الترقي بدمشق ، ١٦٨ : ١ زهر » .

(٢)

تمتاز كتابة ابن المعتز الأدبية بسلامة الأسلوب وجماله وإشراقه ، وبسمو المعانى ودقتها وغلبة روح الحكمة والنقد الاجتماعى . والتوجيه الخلقى عليها ، وبصدورها عن طبع مطبوع . وفطرة جياشة . وعقل واسع الثقافة والتفكير ، واضح الاتجاه والرأى ، سليم الفكرة والمنزع .

وكتابته تمثل فوق ذلك شخصيته ، وترشد إليها وتدل عليها بوضوح ، وهو فيها قليل الاقتباس من غيره ، يسجع فيها سجعا قصير الفقرات جميل الأثر ، وقد يستغنى عن السجع أحيانا فيقطع الجملة تقطيعاً فنياً دقيقاً له جماله وسحره .

وموضوعات نثره الفنى تدور غالبا حول التهنئة والتعزية والاعتذار والاستعطاف والشفاعة والنصائح والآداب والحكم والأخلاق والوصف وسوى ذلك من الأغراض والموضوعات .

ونحن ننتقل من هذا الإجمال الموجز إلى التحليل الواسع لنثره الفنى وخصائصه الأدبية العامة .

(٣)

إن أسلوب التشبيه الذى رأيناه سمة واضحة فى شعر ابن المعتز يظهر كذلك واضحا كثيراً فى نثره الأدبى ، وكذلك ألوان البديع من طباق وتجنيس وكذلك السجع وسواه ، مما يراه القارىء لنثره والباحث فيه .

يقول فى شجرة الكرم : الكرمة شجرة مكرمة شريفة المنصر ، تزهو بورق يجلو البصر ، كأنه السندس الأخضر ، وتضحك عن ثمر حلو الخبر ، كأنه شماريخ الجوهر . وكبائس الشذر المعنبر ، استخرجته الأيام من الغمام ، ونقلته الأزمان إلى ضمائر الأغصان ، فصار غذاء يراه العيان بعد أن كان هواء خفى المكان ، ثم عاد كماء الزعفران ، وكعصارة المرجان ، لطيف المخبر ، جميل المصور ، يدل على حقيقته شيئان : لون معصفر ، ونسيم معطر ، كأنه المسك الأزفر (١) .

---

(١) ٧ فصول التماثيل .

ويقول فى الشراب : الشراب مشمة الملك ، وتاج بدره ، وعروس مجلسه وتحفة نفسه وشفاء حزنه (١) .

فتجد فنا خالصا ، وتصويرا ساحراً ، وروح الصنعة الواضحة فى كلماته وجمله وفصوله ، وتجد التشبيه والاستعارة واضحتين غالبتين على أسلوبه ، كما تجد السجع أهم خصائص هذا الأسلوب . والسجع يشيع فى نثر ابن المعتز فى موضوعاته الفنية الخالصة ، فتجده يقول فى الشراب . يمازج الأشباح ، ويراوح الأرواح ، ويؤدى إلى نشأة القوى ، وانبساط الهوى ، ويعفى من الحذر ونصبه والتحذر وتعبه الخ (٢) ، ويقول فى فصل له : قد ملت اليك فما أعتدل ، ونزلت بك فما أرتحل ، ووقفت عليك فما أنتقل ، ويقول (٣) : ذكرت حاجة فلان ، لافصلها الله بالنجاح ، ولا يسر بابها لانفتاح ، فإنه خبيث النية ، فاسد الطوية ، جائز المعاتب طالب للمعايب ، يقلب لسانه بالملق ، ساتر بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند الرجاء مفقود عند البلاء ، ويقول : قد آن للحق أن يتضح (٤) ، وللباطل أن يفتضح ، ويقول فى سر من رأى : كتبت من بلد أنهض الله مكانها ، وأقعد حيطانها ، فشاهد اليأس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حق جوار ، كوكبها يقظان ، وجوها عريان ، وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ، وترابها أذفر ، ويومها غداة وليلها سحر الخ (٥) .

وأحيانا يعمد ابن المعتز فى نثره إلى المزاوجة والتقطيع ، فيقول فى بشار : وشعره أنق من الراحة ، وأصفى من الزجاجة (٦) ، وأحيانا يرسله إرسالا دون تقيد بسجع ، أو حرص على ازدواج ، فيقول : الحق فى منادمة النظراء هو وجه المناصفة ، والتحفظ ، وقد كان يقال : إن من الأدب تركك الأدب عند من

---

(١) ١٠ فصول التماثيل

(٢) ١٢ فصول التماثيل

(٣) ٥١ رسائل ابن المعتز ، ٢٩٢ الأوراق قسم أخبار أولاد الخلفاء

(٤) ٥٧ رسائل ابن المعتز ، ورقة ٢٥ من الأوراق قسم المقتدر مخطوط

(٥) ٥٨ رسائل ابن المعتز ، ٢٤٢ : ٢ معجم البلدان ، ٨٢ : ١ النثر الفنى

(٦) ٤ طبقات الشعراء لابن المعتز

لا تحتشمه ، فأما منادمة العظماء فشرائطها أكثر من منافعها عند من عقل أمره ، وحصل فكره (١).

ونثره يصورلك ثقافته الواسعة ، وعقليته الناضجة ، وتفكيره العميق ، وهو أظهر دلالة من شعره على ذلك ، فتجده يقول : حفظ الله النعمة عليك وفيك ، وتولى إصلاحك والإصلاح لك ، وأجزل من الخير حظك ، ومن عليك وعلينا بك (٢) ؛ ويقول فى التعزية : لئن حرم الأجر ببرك ، لقد كفر الاثم بعقوقك ، ولئن لجمت بفقده ، لقد أمنت الفتنة به (٣) . ويقول لأستاذه الدمشق : قيد نعمتى عندك بما كنت أستدعيها به وذب عنها أسباب سوء الظن واستدم ما أحب منى بما أحب منك (٤) . ويقول : الله يعلم أن خيالك شمس نفسى إذا نمت ، وذكرك سراجها إذا انتبهت (٥) ، وفصوله القصار مثال لدقة تفكيره وعمق إدراكه وسعة ثقافته .

ويتراوح نثره الفنى بين الجملة القصيرة الدالة على حكمة أو المسوقة لغرض آخر ، والرسالة الطويلة يصف بها مشاعر نفسه ، وخلجات عواطفه ، وشتى إحساساته ، مما تراه فى كتابنا « رسائل ابن المعتز » الذى أغنانا نشره عن الإفاضة والتحليل والإطناب فى هذا الباب . وقد نشر عام ١٩٤٦ فى القاهرة .

وقد كان نثر ابن المعتز مرجعا أدبيا هاما فى عصره وبعد عصره ، حتى احتذاه أئمة الكتاب ، وكبار المنشئين ، احتذاء ظهر أثره فى إنتاجهم الأدبى ، وظهر به تفوق ابن المعتز عليهم ، وصحة طبعه وجمال صنعته فى أسلوبه مما لم يدانوه فيه ، ويظهر ذلك من هذه الموازنات القليلة :

(ا) يقول ابن المعتز يعتذر للقاسم الوزير : ترفع عن ظلمى إن كنت بريئا ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئا ، فوالله إنى لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطولا ، وأزداد تذللا ، وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها : وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله تعالى

---

(١) ٧١ فصول التماثيل

(٢) ٥٠ رسائل ابن المعتز ، ٩٧ : ٢ ديوان المعانى

(٣) ٤٩ رسائل ابن المعتز ، ٢٩٠ الأوراق قسم أخبار أولاد الخلفاء

(٤) ٥٤ رسائل ابن المعتز ، ٢٦٦ : ٢ زهر

(٥) ٥١ رسائل ابن المعتز ، ٢٩١ الأوراق قسم أخبار أولاد الخلفاء

أن يجعل حظى منك بقدر ودى لك ، ومحلى من رجائك بحيث أستحق منك (١) .

وقد احتذى ابن زيدون معانى ابن المعتز فى هذه الرسالة وضمن الكثير منها رسالته الجدية التى استعطف بها ابن جهور أمير قرطبة وهو محبوس فى سجنه ، وإن شئت فاقرأ قول ابن زيدون فيها :

« ماهذا الذنب الذى لم يسعه عفوك ، والجهل الذى لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذى لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذى لم يف به احتمالك ، ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين العدل ؟ أو مسيئا فأين الفضل ؟ » .

(ب) ويقول ابن المعتز فى مطلع رسالة له إلى عبيد الله بن سليمان الوزير : أخرتنى العلة عن الوزير أعزه الله ، لحضرت بالدعاء فى كتابى ليتوب عنى ، ويعمر ما أخلته العوائق منى الخ(٢) . ويقول البديع الهمدانى م ٣٩٣ هـ من رسالة له : « يعز على أطال الله بقاء الرئيس أن ينوب فى خدمته قلبى عن قدمى ، ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ، ويرد مشروع الأنس به كتابى قبل ركابى ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمة : وعلى أن أسعى وليس على إدراك النجاح .

بل إن الشعراء أخذوا كثيراً من معانى نثر ابن المعتز ونظموه فى شعرهم ، مما يشهد بمقدرته وتفوقه ، قال ابن المعتز : الموت سهم مرسل اليك وعمرك بقدر مسيره اليك » ، أخذه بعض الشعراء فقال :

الموت سهم مرسل والعمر قدر مسافته

إلى غير ذلك من مظاهر التأثر والاحتذاء ، التى يغنينا ما ذكرناه عن مزيد الإفاضة فيها .

(٤)

وتشتمل آثار ابن المعتز فى النثر الأدبى والكتابة الفنية على :

أولا — رسائل ابن المعتز إلى أصدقائه من رجالات الدولة وعظمائها وأمرائها وكبار الشخصيات فيها والأدباء والشعراء الذين اتخذهم له أصدقاء وإخوانا ، وقد

---

(١) ٥٤ رسائل ابن المعتز ، ٢٢٧ : ١ زهر ، ٢٩٢ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٢) ٥٥ رسائل ابن المعتز ، ٢٢٦ : ١ زهر ، ٢٠٠ : ٢ ديوان المعانى .

جمعت طائفة منها و نشرتها فى « رسائل ابن المعتز » ، وهى لاشك أنها قليلة بالنسبة لما له من رسائل ، ولكنها على أى حال كل ما أمكننا العثور عليه فى شتى كتب الأدب وأصوله إلى الآن .

ثانيا - ولابن المعتز رسالة طويلة فى الغناء ومذاهبه ورأيه فى التجديد فيه ، وقد بعث بها إلى صديقه ابن حمدون (١) وهى مفقودة لم نعثر عليها للآن ، ولاشك أنها كانت تفيدنا كثيراً لو أن الحظ ساعدنا فى العثور عليها .

ثالثا — نثر ابن المعتز الوصفى ، وفى كتابنا « رسائل ابن المعتز » بعض منه كوصفه لسرمن رأى ، وللحمام والجيش ، وسوى ذلك ، ومن هـذا الباب كثير مما كتبه ابن المعتز فى كتابه « فصول التماثيل » . .

رابعا — الفصول القصار ، وسنعرض له بشىء من التحليـــل والشرح فى هذا البحث .

(٥)

الفصول القصار لابن المعتز :

هو كتاب فى الحكم والآداب والاخلاق والاجتماع والسياسة ، وقد أشار اليه فى كتابه البديع (٢) ، مما يدل على أنه ألفه قبل عام ٢٧٤ هـ ، وهو العام الذى ألف فيه كتابه البديع (٣) ، وهو مفقود ، وقد جمعت منه طائفة كبيرة عثرت عليها فى شتى كتب الأدب (٤) ، وعلى نهجه وضع الشهاب الخفاجى كتاباً مشابها له سماه الفصول القصار ، أشار اليه ونقل منه كثيراً فى كتابه « الريحانة » (٥) ، كما نقل الماوردى م ٤٥٠ هـ فى كتابه أدب الدنيا والدين عنه كثيراً من الحكم مما ترى بعضه مذكورا فى هامش « رسائل ابن المعتز » .

والفصول القصار تأثر فيه ابن المعتز بالحكمة الفارسية عامة وحكم ابن المقفع

---

(١) ٩ : ١٤١ الأغانى

(٢) ص ٩٠

(٣) ١٠٦ البديع

(٤) ٦٤ — ٧٦ رسائل ابن المعتز

(٥) ٢٨١ وما بعدها ريحانة الألبا

على الخصوص . كما تأثر فيه بالحكم الأجنبية التى نقلت إلى الأدب العربى (١) .

والكتاب دليل على نبوغ كبير ، وعبقرية فذة ، وذكاء شديد ، وتفكير بعيد لشاعرنا ابن المعتز ، وهو تصوير لكثير من الآداب الشخصية والفضائل الخلقية وتحليل لأخلاق المجتمع ودراسة لنفسية الجمهور ، ولحاشية السلطان ، ونحن نعرض عليك ألواناً من حكمه الاجتماعية المثبوته فى الكتاب ، قال ابن المعتز .

— فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح .
— الملك بالدين يبقى ، والدين بالملك يقوى .
— المعروف رق والمكافأة عتق ، والمعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة .
— يكفيك للحاسد غمه بسرورك .
— عبد الشهوات أذل من عبد الرق .
— الزهد فى الدنيا الراحة العظمى .
— لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب .
— لا تتعرض لعدوك فى دولته ، فانها إذا زالت كفتك مؤونته .
— العقل غريزة تربيها التجارب .

لا تصح للكذاب رؤيا لأنه يخبر عن نفسه فى اليقظة بما لم ير ، فتريه نفسه فى النوم ما لا يكون

والحكمتان الأخيرتان من أدق الحكم التى يمكن أن يهتدى إليها عقل إنسان ، والأولى منهما لها أثرها فى التربية الحديثة ! والثانية كشف لأسرار و الأحلام ، التى عجز العلماء عن فهمها وتعليلها حتى العصر الحديث ، وذلك دليل على نضوج فى التفكير ودقة فى تصوير الأشياء وعمق فى فهم الأمور والحكم عليها .

---

(١) ومن كتب الحكمة التى ترجمت إلى العربية كتاب « سر الأسرار فى الحكمة الذى ترجم فى زمن المأمون ، ٢٤ : ٢ كشف الظنون

الفصل الثالث

نصوص من نثر ابن المعتز الفنى

تهنئة (١)

كتب ابن المعتز يهنىء الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب بقدومه :

الحمد لله على ما امتن به فى الوزير أعزه الله ، من جميل السلامة ، وحسن الإنابة ، حمداً يستمد أمر مزيده ، وإخلاصاً مستدعيا لقبوله ، وبارك الله له فى قدومه ومسيره ، فى جميع أموره ، وجعل له منة وافية على نعمه ، وأبقاه الملك يحرسه ، ومؤمل ينعشه ، وعاثر يرفعه ، وحفظ له ماخوله ، كما حفظ له ما استرعاه ، ووفقه فيما طوقه ، وزاده كما زاد منه .

تعزية (٢)

وكتب يعزى الوزير عبيد الله بن سليمان عن ابنه أبى محمد :

علم الوزير ، أبده الله بذخائر الأجر ، يغنى عن تعزيته(٣) فيه ، وسبقه إلى الصبر يكفينى تذكرة به ؛ لكن لولى الوزير - أيده الله - موضع ، إن خلاه دخل فى جملة المضيعين لحقه ، اللاهين عما عناه . وقد كان من قضاء الله فى أبى محمد رضى الله عنه ، ماخصصت به المصيبة مواقع نعم الوزير ، وآثار إحسانه ، حاشا لله . إقراراً بالحق ، وتنجيزاً للوعد . وعظم الله أيها الوزير أجرك ، ووفر ذخرك ، وعمر بقينك ، وكثر عددك ، وسرك ولاساءك ، وزادك ولانقصك ، ووصل بسلام الزمان نعمتك ، وأولاك ماتحب فيما حولك ، وكل مصيبة وإن عظمت صغيرة فى ثواب الله عليها ، ضئيلة بين نعم الله قبلها وبعدها ، ومازال أولياء الله يعرضون على المحن فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بالشكر

---

(١) ص ٢٨٨ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء طبعة ١٩٣٦ مطبعة الصاوى ، وقد أخطأنى اسم الوزير حيث ذكره عبد الله ؛ لا عبيد الله ، وعبيد الله وزر للمعتمد والمعتضد وتوفى عام ٢٨٨ هـ

(٢) ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ الأوراق .

(٣) ل الأوراق : تزعته ، وهو تحريف

وتنفذ بصائرهم مذموم أوائلها إلى محمود عواقبها ، ويعدونها مراقى إلى شرف الآخرة ، ومراتب لأهل السعادة ، فى دار لا تلجها الهموم ، ولا يزول فيها النعيم ، وإذا تأمل الوزير ما تجاوزت هذه الحادثة عنده من النعم فى ولده أبى الحسين ، الذى قد نهض بما حمله ، ووفى آماله ، وأقر عينه ، وغاظ حاسده ، واكتسى لباس كرامته ، وقام للخلافة بخلافته ، علم أنه راع على الدهر ، حقيق بتجاوز الصبر إلى الشكر ، فجعل الله الخلف للوزير من الماضى طول عمر الباقى ، وحرسه من المكاره كلها ؛ وكفاه وكفانا فيه .

وقال (١) : إنما قلبى (٢) نجى ذكرك ، ولسانى خادم شكرك .

تعزية بولد (٣)

لئن حرم الأجر ببرك ، لقد كفى الإثم بعقوقك ، ولئن فجعت بفقده ، لقد أمنت الفتنة به .

عذر مقبول (٤)

وقال : كيف أرد عذر من لا تهتدى إليه الموجدة ، ولا تتسلط عليه التهمة ، والله ما عرضت لك ، وحركت منك ، إلا بخلا بما ذخرته من مودتك ، واعتمدت عليه من إخلاصك ، لخوفى مع ذلك أن تصير غفلتك تغافلا ، وذلك تعمداً ، وهذا مالا أحبه لك ، وإن كنت أحتمله منك ، وما أعتذر من مطالبتك بما جعلك أهلا للمعرفة به . وجعلنى بودك مستحقا له .

وقال (٥) : موصل كتابى فلان ، وقد جعلت الثقة بك مطيته إليك ، فلا تنضها بمطالك ، وأسرع ردها بسابق إنجازك ، وتصديق الأمل فيك ، والظن بك .

---

(١) ٢٨٩ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء

(٢) فى الأوراق : قلبى

(٣) ٢٩٠ الأوراق

(٤) ٢٩٠ الأوراق

(٥) ٢٩٠ الأوراق

فصـــل (١)

قد ملت إليك فما أعتدل ، ونزلت بك فما أرتحل ، ووقفت عليك فما أنتقل.

فصـــل (٢)

لولا أن الإطناب فى وصف مطية للتخرص ، وتهمة للتخلص ، لأطلت به كتابى ، وكفى بمقاساة ذى النقص مذكراً بأهل التمام ، قد لبثت بعدك بقلب يود لو كان عيناً ليراك ، وعين تود لو كان قلباً فلا تخلو من ذكراك ،

وفاء (٣)

وقال : كيف ينقطع ذكرى لك ، بغير خلف منك ، وينصرف قلبى عنك ، والتجارب تزوى إليك ، والله يعلم أن خيالك شمس نفسى إذا نمت ، وذكرك سراجها إذا انتبهت ، وإن ذلك لأقل حقوقك ، ولا ظلمت غيرك بك ، ولامات عليك لك .

ذم (٤)

ذكرت حاجة فلان ، لافصلها الله بالنجاح ، ولا يسر بابها لانفتاح ، ووصفت عذراً له ، نصح به غير نفسه ، وما نصح عنها ، ولكنه نصح عليها ، وأنا والله أصوبك عنه ، وأنصح لك فيه ، فإنه خبيث النية ، فاسد الطوية ، جائر المعاتب ، طالب للمعائب ، يقلب لسانه بالملق ، ساتر بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند الرجاء ، مفقود مع البلاء ، فأتعب عقلك باختباره (٥) ، ولا توحش نعمتك باصطناعه .

---

(١) ٢٩١ الأوراق قسم أخبار الشعراء .

(٢) ٢٩١ « .

(٣) ٢٩١ « .

(٤) ٢٩١ الأوراق .

(٥) فى الأصل : باختياره .

كلمات

وقال : لما ولى الخلافة :
قد آن للحق أن يتضح ، وللباطل أن يفتضح (١) .
وقال : انسأل الله عونا وتوفيقا (١) .

الشعوبيون

وقال فى جماعة من الشعوبيين الذين يظهرون حب آل البيت (ويقصد بهذا يحيى ابن على المنجم) .

كلاب قد عدتهم أنعمنا ، وأشادت بذكرهم خدمتنا ، سعوا بالباطل علينا ، وجحدوا إحساننا ، وهجوا نبينا صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كظهم العذاب ، وأسكتهم الجواب ، تحسنوا بالترفض ، ومدحوا أهلنا وأخص الناس بنا ، وبالغوا فى هجائنا مفرقين بذلك بيننا ، لتنصرهم علينا طائفة ، وليؤلفوا (٢) قلوبا نفرت عنهم ، ولو يعلم الجاهل الكافر أنا وبنى عمنا من آل أبى طالب ، ولو افترقنا فى كل شىء تجتمع الناس عليه ، ما افترقنا فى أن الثالب لرسول الله كافر ، والفاخر عليه فاجر ، وأنا نرى جميعا قتله ، ونستحل دمه ، وليس بمسلم من يخالف فى هذا قولى (٣) .

مجلس حظ (٤)

قال ابن المعتز : كان لنا مجلس حظ ، أرسلت بسببه خادمة إلى قينة ، فأجابت ، فلما مرت فى الطريق وجدت فيه حارسا حراميا ، فرجعت ، فأرسلت أعاتبها ، فكتبت إلى تعتذر ، فأجبتها :
كيف أرد عذر من لا تتسلط التهمة عليه ، ولا تهتدى الموجدة إليه ؟ وكيف أعلمه قبول المعاذر ، ولا آمن بعض جواهره إلى يسير إلى انتهاز فرصة فيما عاد إلى

---

(١) ورقة ٢٥ من كتاب الأوراق فى أخبار المقتدر للصولى مخطوط بمكتبة الأزهر رقم ٦٧٢٧ أباظة
(٢) فى الأصل : وليألفوا .
(٣) ورقة ٢٦ : المرجع السابق
(٤) زهر ٣٠ : ٤ .

الفرطة ، فإن سلمت من ذلك فمن يجيرنى من توكله على تقديم العذر ، ووقوعه موقع التصديق فى كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعـلة ، وتنقضى أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرس آثار المودة ، وكتبت آخر الرقعة :

إذا غبت لم تعرف مكانى لذة ولم يلق نفسى لهوها وسرورها
وبدلت سمعاً واهيا غير محسن يقول وعينا لايرانى ضميرها

كتاب شكر

وكتب ابن المعتز فى الشكر :

« قد جلت نعمتك عن شكرى ، فتولى الله مكافأتك ، عن عجزى بعد جهدى . بما هو أرفع له ، وأقدر عليه ، بمنه ورأفته » .

وهذا من قول طريح :

« فقصرت مغلوبا وإنى لشاكر » (١)

وصف حمام

وكتب ابن المعتز يصف حماما طلبه من إنسان :

أريده حرى الطريق عاجى المنقار ، أغن الهدير ، ذا ذنب قصير ، يسحب حوصلته إذا هدر ، وتروح صفقته إذا صفق ، قرطاسى الدفتين ، سبجى الجناحين ، كأن رجليه خاضتا دما ، أو شربتا عندما ، وكأن عينيه جمرة ، ورأسه زبدة (٢) .

سر من رأى (٣)

وقال ابن المعتز : يمدح سر من رأى ويصف خرابها ويذم بغداد :

كتبت من بلد أنهض الله سكانها , وأقعد حيطانها ، فشاهد اليأس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكأن عمرانها يطوى وخرابها ينشر ، وقد تمزقت

---

(١) ١٠٣ و ١٠٤ : ٢ ديوان المعانى
(٢) ١٣٦ : ٢ ديوان المعانى
(٣) النثر الفنى ٨٢ : ١ ، معجم البلدان ٢٤٢ : ٢

بأهلها الديار، فإنجب فيها حق جوار، لحالها تصف للعيون الشكوى، وتشير إلى ذم الدنيا، على أنها (جفيت)(١) معشوقة السكنى، رضية المثوى، كوكبها يقظان، وجوها عريان، وحصباؤها جوهر، ونسيمها معطر، وترابها أذفر، ويومها غداة وليلها سحر، وطعامها هنىء، وشرابها مرىء، لا كبلدتكم الوسخة السماء، الومدة(٢) الماء والهواء، جوها غبار، وأرضها خبار(٣) وماؤها طين، وترابها سرجين، وحيطانها نزوز(٤) وتشرينها تموز؛ فكم فى شمسها من محترق، وفى ظلها من غرق، ضيقة الدار، وسيئة الجوار، أهلها ذئاب، وكلامهم سباب، وسائلهم محروم، ومالهم مكتوم، لايجوز إنفاقه، ولا يحل خناقه، حشوشهم(٥) مسابل، وطرقهم مزابل، وحيطانهم أخصاص، وبيوتهم أقفاص، ولكل مكروه أجل؛ وللبقاع دول، والدهر يسير بالمقيم، ويمزج البؤس بالنعيم.

فكاهة وجد(٦)

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز:

استعرت من على بن يحيى المنجم(٧) جزءا فيه أخبار معبد، بخط حماد بن اسحاق الموصلى، وكان وعدنى به، فبعث إلى بست ورقات لطاف، فرددتها وكتبت إليه:

إن كنت أردت بقولك جزء الجزء الذى لايتجزأ فقد أصبت، وإن كنت أردت جزءا فيه فائدة القارىء، ومتعة للسامع، فقد أحلت(٨)، وقد رددته عليك بعد أن طار اللحظ عليه طيرة.

---

(١) هكذا بالأصل.

(٢) الومد بالفتح: الحر الشديد مع سكون الريح.

(٣) الأرض الصلبة.

(٤) النز بفتح النون وكسرها: مايتحلب من الأرض من الماء.

(٥) الحش بفتح الحاء وضمها: البستان، والمخرج أيضا.

(٦) زهر ١٨٩ : ١ وما بعدها.

(٧) صديق لابن المعتز كاتب شاعر بليغ توفى عام ٢٧٥ هـ.

(٨) أحال: تكلم بالمحال.

شوق (١)

إنى لآسف على كل يوم فارغ منك ، وكل لحظة لا تؤنسنا رؤيتك، وسقيا لدهر كان موسوما بالاجتماع معك ، معموراً بلقائك ، جمع الله شمل سرورى بك ، وعمر بقائى بالنظر إليك .

شفاعة (٢)

من عظمت النعمة عليه ، كثرت الرغبة إليه ،فاستجلب بالإنعام منك إنعام الله عليك ، واسترد مانهب منك بما يهب لك ، واجعل حظى من ولايتك قبول اختيارى لك هذا الرجل ، واخلطه بأوليائك القائلين فى ظلك ، فقدأفردك رغبته ، وصرف إليك وجه رجائه ، وليس فيه فضل للانتظار ، ولا بقية للإذكار ، فعجل إن نويت جودا ، وبادرإن نويت صنعا، ولا تكن ممن ولايته وعد ،وصرفه اعتذار

فراق (٣)

كأن الدهر أبخل من أن يمليني بك ، وأنكد من أن يسوغنى قربك ، وإنى له لصابر إلا على فقدك ، وراض إلا ببعدك .

تهنئة بمولود (٣)

اتصل بى خبر مولودك ، فسرنى لك ماسرك ، وأنا أسأل الله أن يتبع النعمة به عليك ببقائه لك ، وأن يعمرك حتى ترى زيادة إليه منه ، كما رأيتها به .

دعاء (٤)

قال : تولى الله عنى مكافأتك ،وأعان على فعل الخير نيتك ، وأصحب بقاءك عزاً ،

---

(١) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٩٢ .

(٢) ٢٩٣ الأوراق

(٣) ٢٩٣ الأوراق .

(٤) ٢٩٤ الأوراق .

بسط يدك لوليك ، وعلى أعدائك ، وكلاءة تذب عن ودائع مننه عندك ، وزاد فى نعمك وإن عظمت ، وبلغك آمالك وإن انفسحت .

وقال (١) : لا أزال الله عنا ظلك ، وأعلى فى شرف المنازل مرتقاك ، ولا أعدمنا فيك إحسانا باقيا ، ومزيداً متصلا ، ويوما محمودا ، وغداً مأمولا ، وعزاً يمكن قبضتك ، ويمد بسطتك .

تعـــزية (١)

عارية سرك الله بمدتها ، وآثرك بثوابها ، وأثابك عند ارتجاعها ، فأبشر بعاجل من صنعه ، وآجل من جزائه ومثوبته .

عظم الله أجرك ، وجعل الثواب عوضك ، ووفقك لنيل مرضاته ، وإنا لله . قولا بما علم ، تنتجز به ما وعد .

دعـــوة بالشفاء

وله فى عليل :

آذن الله فى شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية إليك ، ووجه وافد السلامة إليك ، وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك (٢) .

نصيحة (٣)

وكتب إلى بعض الرؤساء :

لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام ، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من

---

(١) ٢٩٤ الأوراق .

(٢) زهر الآداب ، ٢٢٦ : ١ ، وقد مضت برواية أخرى عن ديوان المعانى ، وهى فى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء مع اختلاف قليل «ص ٢٩٠» وفى الريحانة للشهاب الخفاجى أيضاً «ص ٣٢٢»

وتنسب لابن الرومى « راجع ٩٧ ابن الرومى للعقاد ، ١٤٩ مجموعة النظم والنثر» .

(٣) ٢٢٧ : ١ زهر ، و٣٢٢ الريحانة للشهاب الخفاجى ، و٢٩٣ الأوراق قسم أشعـــار أولاد الخلفاء مع بعض تغيير فى الرواية .

الأعذار طريقا ، حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا ، ولم يسر ميلا ، حتى اتخذ حسن الظن دليلا .

اعتــــذار

وكتب يعتذر إلى القاسم بن عبيد الله (١) :

ترفع عن ظلمى إن كنت بريئا ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئا ، فوالله إنى لأطلب عفو ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطولا ، وأزداد تذللا ، وأنا أعيذ حالى عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظى منك بقدر ودى لك . ومحلى من رجائك ، بحيث أستحق منك (٢) .

وله إلى القاسم أيضا :

لو كان فى الصمت موضع يسع حالى لخففت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجها من فكره ، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حاله ، كان فى الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرنى على ستر أمرى حتى خذلنى (٣) .

حكمة فى رسالة

وكتب ابن المعتز إلى أحمد بن محمد (٤) جوابا عن كتاب استزاره فيه :

قيد نعمتى عندك بما كنت استدعيتها به ، وذب عنها أسباب سوء الظن ، واستدم ما تحب منى بما أحب منك (٥) .

---

(١) ولى الوزارة للمعتضد عام ٢٨٨ بعد وفاة والده عبيد الله ، وتوفى عام ٢٩١هـ .

(٢) زهر الآداب ٢٢٧ : ١ ، والأوراق ص ٢٩٢ مع تغيير فى الرواية ، وتنسب لابن الرومى « ١٠٩ : ١ معراج البيان ، ٩٧ ابن الرومى للعقاد ، ١٥٠ مجموعة النظم والنثر » .

(٣) زهر الآداب ٢٢٧ : ١ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن سعيد الدمشقى أستاذ ابن المعتز وكان أديباً عالماً راوية توفى عام ٣٠٦ هـ « راجع ١٣٣ : ١ معجم الأدباء لياقوت نشر مرجليوث » ، وهذه الرسالة فى المعجم « ص ١٣٤ : ١ » مع تغيير قليل فى الرواية ، وله ترجمة أيضاً فى تاريخ بغداد « ١٧١ : ٤ » .

(٥) زهر ٢٦٦ : ٢ .

وكتب إليه جوابا عن اعتذار كان من الدمشقى فى أمر بلغ ابن المعتز عنه :

والله لاقابل إحسانك منى كفر ، ولا تبع إحسانى إليك من ، ولك عندى يد لاأقبضها عن نفعك ، وأخرى لاأبسطها إلى ظلمك ، فتجنب مايسخطنى ، فإنى أصون وجهك عن ذل الاعتذار(١) .

اعتذار من وشاية

وكتب إلى بعض الوزراء(٢) :

مازال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب الحبائل ، ويطلب الغوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك شيئا زخرفه ، وكذبا زوره ، وكيف الاحتراس ممن يحضر وأغيب ، ويقول وأمسك ؟ مرتصد لايغفل ، وماكر لايفتر ، وربما استنصح الغاش ، وصدق الكاذب ، والحظوة لاتدرك بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة(٣) .

تهنئة بالعيد

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب(٤) الوزير فى يوم عيد :

أخرتنى العلة عن الوزير — أعزه الله — لحضرت بالدعاء فى كتابى لينوب عنى ، ويعمر ماأخلته العوائق منى ، فأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على الوزير ، ودون الأعياد المستقبلة فيما يحب ويحب له ، ويقبل ماتوسل به إلى مرتضاه ، ويضاعف الإحسان عليه على الإحسان منه ، ويمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ، ولا يريه فى مسرة نقصا ، ولا يقطع عنه مؤيداً ،

---

(١) زهر ٢٦٦ وما بعدها : ٢ ، ١٣٤ : ١ معجم الأدباء .

(٢) لعله القاسم بن عبيد الله الوزير م ٢٩١ هـ .

(٣) زهر الآداب ٣١ : ٤ .

(٤) وزير المعتمد والمعتضد وتوفى عام ٢٨٨ هـ .

ويجعلنى من كل سوء فداه ، ويصرف عيون الغير عنه ، وعن حظى منه(١) .

مرض الإخاء

وكتب إلى بعض الكتاب :

قد طالت علتك أو تعاللك ، واشتد شوقنا إليك ، فعافاك الله مما بك ، من مرض فى بدنك أو إخائك ، ولا أعدمناك(٢) .

سؤال

وقال ابن المعتز فى كتابه البديع(٣) :

قلت لبعض فقهائنا وأنا عليل ـ وقد سألنى عائد بحضرته : كيف أنت ؟ ـ : أترانى إن قلت فى عافية كاذبا ؟ فقال لى : لا ، إن أعلك الله من بدنك ، فقد أصحك من ذنوبك .

المحامد والشرف(٤)

وقال : لن تكسب ـ أعزك الله ـ المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤونة لاشترك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعاء من ذوى الأخطار ، ولكن الله تعالى خص بها الكرماء ، الذين جعلهم أهلها ، فخفف عليهم حملها ، وسوغهم فضلها ، وحظرها على السفلة ، اصغر أقدارهم عنها ، وبعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقشعرارها منهم .

---

(١) زهر الآداب ٢٢٦ : ١ ومابعدها ، وديوان المعانى ١٠٠ : ٢ مع تغيير قليل فى الرواية . وتنسب هذه القطعة لابن الرومى « ١٤٥ : ١ معراج البيان » . وقد أخذ ابن المعتز بعض معانى هذه التهنئة من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام وعود الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفيا على ماقبله مقصرا عما بعده .

(٢) ٣٨ البديع لابن المعتز طبعه ١٩٤٥ .

(٣) ٨٢ البديع .

(٤) ص ١٣٢ تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى للسباعى بيومى طبعة ١٩٣٦ ، و١٢١ : ٤ زهر الآداب نشر الدكتور زكى مبارك ، ١٤٧ مجموعة النظم والنثر ط ١٩١٤ .

تعزية [1]

الخلود فى الدنيا لايؤمل ، والفناء لايؤمن، ولاسخط على حكم الله ، ولاوحشة مع خلافته ، والأنس بطاعته ، فأد ما استرد صابرا ، وأصبح لما استرجع مسلما، فإن من علم أن النعمة تفضل من واهبها ، شكرها مقبلة ، وصبر عنها مولية ، جعلك الله محتملا للنعمة ، مؤديا للشكر ، صابرا عند المحنة ، محفوظا موفور أجرها ، والعوز بالصبر عليها .

سلوى [2]

وكتب ابن المعتز :

قد علمتنى نبوتك سلوتك ، وأسلمنى اليأس منك إلى الصبر عنك .

إلى صديق

وكتب أيضاً :

حفظ الله النعمة عليك وفيك ، وولى إصلاحك والإصلاح لك ، وأجزل من الخير حظك ، ومن عليك وعلينا بك (٣) .

دعاء بالشفاء

وكتب إلى عليل :

مسحك الله بيد العافية ، ووجه إليك وافدالسلامة ، وملاكما أفادك،وهنأك ما قسم لك ، وأمتع بك وليك ، وألان لك طاعة عدوك ، وجمل الدولة ببقائك ، وزينها بدوام نعمائك(٤)

---

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ الأوراق

(٢) ٩٧ : ٢ ديوان المعانى

(٣) ١٠٠ : ٢ المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه ١٠٠ : ٢ وما بعدها

وصف جيش (١)

وقال : فلان فى جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقمصة الحديد ، وكأن رماحهم قرون الوعول(٢)، وكأن أدراعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالنقع(٣) سرادقها ، قد نشرت فى وجوهها غرر كأنها صحائف الرق(٤) ، وأمسكها تحجيل كأنه أسطورة اللجين(٥) ، وقرطت عذرا(٦) كأنها الشنف ، تناقف الأعداء أوائله(٧) ولم تنهض أواخره ، قد صب عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ريح النصر(٨) .

---

(١) وتنسب لابن الرومى «راجع ١٤٨ مجموعة النظم والنثر ط : ١٩١١» .

(٢) جمع وعل وهو التيس الجبلى .

(٣) الغبار .

(٤) جلد رقيق يكتب فيه .

(٥) الفضة .

(٦) جمع عذار ؛ والشنف بالفتح القرط .

(٧) فى مجموعة النظم والنثر : أوائلها وأواخرها .

(٨) زمر ٢٦ : ١

حكم وآداب لابن المعتز

الله وعظمته

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله :

إن الله جل ثناؤه لا يمثل بنظير ، ولا يغلب بظهير ، جل عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطف عن ألحاظ خطرات الفكر ، لايحمد إلا بتوفيق منه يقتضى حمدا ، فمن تحصى نعماؤه ، وتكافأ آلاؤه (١) ؟

وقال : عجز أقصى الشكر عن أداء نعمته ، وتضاءل ما خلق فى سعة قدرته ، قدر فقدر ، وحكم فأحكم ، وجعل الدين جامعا لشمل عباده ، والشرائع منارا على سبيل طاعته ، يتبعها أهل اليقين به ، ويحيد عنها أهل الشك فيه (٢) .

البيان

ولابن المعتز (٣) : البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ومجلى الشبهة ، وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرسل الذى انقاد به المصعب (٤) ، واستقام الأصيد (٥) وبهت الكافر ، وسلم الممتنع ، حتى أشب (٦) الحق بأنصاره ، وخلا ربع الباطل من عماره . وخير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ، ليسرع الفهم إلى تلقيه ، وموجزا ليخف على اللفظ تعاطيه (٧) .

---

(١) زهر الآداب نشر الدكتور زكى مبارك — الطبعة الثانية ص ١٣٧ : ١

(٢) ولابن المقفع : الدين أفضل المواهب التى وصلت من الله إلى خلقه ، وأعظمها منفعة ، وأحمدها فى كل حكمة ، فقد بلغ من فضل الدين والحكمة أن مدحا على ألسنة الجهال على جهالتهم بهما ص ٣٥ الأدب الصغير ط ١٩٢٧

(٣) راجع تعريف البيان فى العقد الفريد ٢٢٠:١ ط ١٩٢٨ ، وفى البيان والتبيين للجاحظ ٦٨ : ١ ط ١٩٢٧

(٤) المصعب : الفحل الصعب القياد ؛ وفى الأصل المتصعب

(٥) الأصيد : هو المائل العنق كبرا

(٦) أشب : تجمع وقوى

(٧) ١٣٩ : ١ زهر الآداب ، ١٧٤ مجموعة النظم والنثر الطبعة الثالثة ١٩١٤ بالمطبعة الأميرية . و٦ جـ١ معراج البيان

القرآن وبلاغته

وقال : فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفى ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتكلفين ، وتحير الكذابين ، وهو المبلغ الذى لا يمل ، والجديد الذى لا يخلق ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والماحى لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافى للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخير ودليل الجنة ، إن أوجز كان كافيا ، وإن أكثر كان مذكراً ، وإن أومأ كان مقنعاً ، وإن أطال كان مفهماً ، وإن أمر فناصحا ، وإن حكم فعادلا ، وإن أخبر فصادقا ، وإن بين فشافيا ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطى ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج تستضىء به القلوب ، حلو إذا تذوقته العقول ؛ بحر العلوم وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فخصم الباطل ، وصدع بالحق ، وتألف من النفرة ، وأنقذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر(١).

بين الحكمة والبلاغة

وقال أبو العباس ابن المعتز .

لحظة القلب أسرع خطرة من لحظة العين ، وأبعد مجالا ، وهى الغائصة فى أعماق أودية الفكر ، والمتأملة لوجوه العوقب ، والجامعة بين ما غاب وحضر ، والميزان الشاهد على ما نفع وضر ، والقلب كالممل للكلام على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبت ؛ والعاقل يكسو المعانى وشى الكلام فى قلبه ، ثم يبديها بألفاظ كواس فى أحسن زينة ، والجاهل يستعجل بإظهار المعانى قبل العناية بتزيين المعارض ، واستكمال محاسنها (٢)

---

(١) ١٣٩ و١٤٠ : ١ زهر الآداب ، ١٤٨ مجموعة النظم والنثر .

(٢) زهر ١٤٩ : ١

وقال : البلاغة البلوغ إلى المعنى ، ولم يطل سفر الكلام (١) .

الفصول القصار لابن المعتز

قال ابن المعتز (٢) من كتابه الفصول القصار :

البشر دال على السخاء ، كما يدل النور على الثمر .

كما أن الشمس لايخفى ضوءها وإن كانت تحت السحاب ، كذلك الصبي لاتخفى غريزة عقله وإن كان مغمورا بأخلاق الحداثة .

كرم الله عزوجل لا ينقضى حكمته ، ولذلك لا يعجل الإجابة فى كل دعوة ، كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره ـ إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة

لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب :

الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جزيلة ، من صواب مدخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرون على مقارعة الدهر (٣) .

ومن الفصول القصار أيضا (٤) :

الحكمة شجرة تنبت فى القلب ، وتثمر من اللسان .

لايقوم الغضب بذل الاعتذار .

الشفيع جناح الطالب ، والبشر رائد الراغب .

المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح .

---

(١) زهر ١٥٧ : ١ ، وابن خلكان ٤٦٢ : ١ ، والعمدة ٢١٧ : ١ ، وشذرات الذهب لابن العماد (٢٢٣ : ٢ طبعة القدسى) ، وفى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٩٦ : البلاغة أن تقرب ماتريد ولم تطل سفر الكلام ، وهى فى السبكى أحد شراح التلخيص برواية مقاربة لما ذكر أولا (ص ١٢٨ : ١) .

(٢) ٢٦٦ : ٢ زهر الآداب

(٣) مثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الرياستين فأغار عليه ابن المعتز (راجع ٦٦ : ٢ زهر)

(٤) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٥ ومابعدها وقد صححنا هنا كثيراً من الأخطاء الموجودة فيما أثبته ناشر الأوراق .

الغضب يبدأ بالغضبان ، يعظم ذنبه ، وتقبح صورته ، ويعمل بذمه .

أول الدنيا إلى انقضائها ، كصور فى صحيفة ، كلها : نشر بعضها ، وطوى بعضها .

اصبر على مصاحبة الكريم وإن اختلت حاله ، فليس ينتفع بالجوهرة من لم ينتظر بقاءها .

الشرير لا يظن بالناس خيرا لأنه يراهم بعين طبعه .

لئن استبطأنا إجابة دعائنا ، لقد سددنا طرقه بذنوبنا .

كلما كثر حفاظ الأسرار ، ازدادت ضياعا .

أعدل الناس من أنصف عقله من هواه ، ومن لم يملك ذلك فليس لعقله عليه سلطان .

بئس مال البخيل لحادث أو وارث .

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، طالب لما لا يجده .

شكرك نعمة سالفة ، يقتضى لك نعمة مستأنفة .

كلما حسنت نعمة الجاهل ، ازداد قبحا فيها .

الوعد راحة الجود ، والمطل مرضه ، والإنجاز برؤه .

الساعى كاذب لمن سعى إليه ، وخائن لمن يسعى به .

كفى بالظلم داعيا لنقمة ، وطاردا لنعمة .

البلاغة أن تقرب ما تريد . ولم تطل سفر الكلام .

خير المعروف ما لم يتقدمه مطل ، ولم يتبعه من .

إذا حضرت الآجال ، افتضحت الآمال .

الصبر على المصيبة يفل حد الشامت بها ، ويطيل عبوس المتضاحك لها .

المعروف رق ، والمكافأة عتق .

انظر عند الظلم عدل الله فيك ، وعند المقدرة قدرة الله عليك ، ولا يحملك اللجاج على اقتراف إثم ، فتشفى غيظك وتسقم دينك .

أعرف الناس بالله أرضاهم بأقداره .

الدنيا تهين من أكرمت ، والأرض تأكل من أطعمت .

من كان فى يدك ، فهو بك أملك منك بنفسك

غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله

لا تعينن من وليته على جبايته ، بقلة جرايته ، فليس يكفيك من لم تكفه .

بعض التقدير للقدر دفع .

كل علو خطر ، وربما أدى إلى الهلاك الحذر .

وقال (١) :

المعروف رق ، والمكافأة عتق (٢) :

الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملك ، طالب لما لا يجد .

وقال (٣) : ربما شرق شارب الماء قبل ريه .

وقال : يكفيك للحاسد غمه بسرورك (٤) .

السلطان وصحبته

وقال (٥) : ربما أورد الطمع ولم يصدر ، ووعد ولم يوف ، ومن تجاوز الكفاف لم يغنه إكثار ، ومن ارتحله (٦) الحرص أنضاه الطلب ، والأمانى تعمى الأبصار والبصائر ، والحظ يأتى من لا يأتيه ، وربما طاب وعاء حشوه المتالف . وأشقى الناس بالسلطان صاحبه . كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقا (٧) ،

---

(١) ص ٣٢٢ ريحانة الألبا للشهاب الخفاجى ط ١٣٩٤ هـ .

(٢) وفى أدب الدنيا والدين للماوردى م ٤٥٠ هـ « ص ١٨٤ ط ١٩٢٨ بالقاهرة » . قيل فى منثور الحكم المعروف رق الخ .

(٣) ص ٢١٢ المرجع نفسه ، ومعاهد التنصيص ١٤٩ هـ .

(٤) وفى أدب الدنيا والدين « ص ٢٤٢ » : قال بعض الحكماء : يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك .

(٥) راجع الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء (ص ٢٨٧ وما بعدها ط ١٩٣٦) ، وهذا من الفصول القصار (راجع زهر الآداب ٩٤ : ٣) ، وهنا أخطاء كثيرة جدا قد صححناها فيما أثبتناه من هذا النص ؛ وبعض هذه الحكم تجدها أيضا فى دائرة المعارف للبستانى ٦٩٥ : ١ ، وفى معاهد التنصيص ١٤٩ جـ ١ مع بعض اختلاف فى الرواية .

(٦) رواية معاهد التنصيص : ارتحل .

(٧) من قول ابن المقفع : أخوف مايكون الإنسان لحريق النار أقرب مايكون منها (٤٩ وسائل البلغاء ، ٦٤ الأدب الصغير ، ورواية معاهد التنصيص (١٤٩ جـ ١) : إلى الاحتراق .

ولا يدرك الغنى بالسلطان إلا جسم تعب، ونفس خائفة، ودين يثلم، ولئن كان البحر كثير الماء إنه لبعيد المهوى، ومن شارك السلطان فى عز الدنيا قاربه فى ذل الآخرة، وما أحلى تلقى النعمة، وأمر عاقبة الفراق. لاسيما فى هذا الزمان، المتلون الأخلاق، المتداعى البنيان الموقظ للشر، المنيم للخير، المطلق أعنة الظلم، والحابس لروح العدل، القريب الأخذ من الإعطاء، والكآبة من البهجة والقطوب من من البشر، والذل من العز، والعقر من الوجود، المرالثمرة، البعيد المجتنى. القابض على النفوس بكربه، المنحى على الأجسام بغربه، لاينطق إلا بالشكوى، ولا يسكت إلا على بلوى، ومن لم يتأمل الأمر بعين عقله، لم يقع سيف حيله إلا على مقاتله والتثبت طريق الرأى إلى الإصابة. والاعتذار طريق المذنب إلى الإنابة، والعجلة تضمن العثرة، وتجلب الحسرة، وما أحب أن أصرف عنك خطأ تؤمه، ولكنى قدمت مالا أستجيز تأخيره، من النصيحة لك والمشورة عليك.

جملة أخرى (١) فى ذكر السلطان

فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح.

إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا.

من صحب السلطان صبر على قسوته، كصبر الغواص على ملوحة بحره.

الملك بالدين يبقى، والدين بالملك يقوى.

من نصح الخدمة؛ نصحته المجازاة.

لاتلتبس بالسلطان فى وقت اضطراب الأمور عليه، فإن البحر لايكاد يسلم صاحبه فى حال سكونه، فكيف عند اختلاف رياحه، واضطراب أمواجه (٢).

جملة أخرى من الفصول القصار (٣)

الدهر سريع الوثبة، شنيع العثرة.

أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام.

الناس وفد البلى؛ وسكان الثرى؛ وأقران الردى،

(١) راجع زهر الآداب ٩٤ : ٣

(٢) ولابن المقفع حكم كثيرة فى السلطان ومعاشرته وآداب حاشيته تجدها فى الأدب الصغير والدرة اليتيمة وفى رسالة الصحابة له أيضاً مما تراه فى رسائل البلغاء، ولا شك أن ذلك كان بعض مصادر الحكمة عند ابن المعتز

(٣) زهر ١٩٧ : ٣ وما بعدها

المرء نصب الحوادث ؟ وأسير الاغترار .

الآمال مصائد الرجال .

الحرص ينقص المرء من قدره ؛ ولا يزيد فى رزقه .

الكذب والحسد والنفاق أثافى الذل :

النمام جسر الشر .

الحاسد اسمه صديق ومعناه عدو .

الحاسد ساخط على القدر ، مغتاظ على من لاذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، يشفيك أنه يغتم فى وقت سرورك .

الفرصة سريعة الفوت ، بطيئة العود .

الصبر من ذى المصيبة مصيبة على ذوى الشبهات .

التواضع سلم الشرف ، والجود صوان العرض من الذم .

القدر قاطع .

كنوز السر إذا كثر خزانها ازدادت ضياعا .

السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا .

عبد الشهوات أذل من عبد الرق .

وعاء الخطأ بالصمت يختم ، والخرق بالرفق يلحم .

الوعد مرض المعروف ، والإنجاز برؤه ، والمطل تلفه .

إذا حضر الأجل ، خرق الأمل .

لاتشن وجه العفو بالتقريع .

لاتنكح خاطب سرك ، ومن زاد أدبه على عقله كان كالراعى الضعيف مع المواشى الكثيرة .

الهم حبس الروح(١) .

من كرمت عليه نفسه ، هان عليه ماله .

من جرى فى عنان أمله ، عثر بأجله .

ما كل من وعد وعدا يحسن إنجازه .

---

(١) ولابن المقفع : الهم مرض العقل ١١٨ رسائل البلغاء

وربما أورد الطمع ولم يصدر ، وضمن(١) ولم يوف .
وربما شرق شارب الماء قبل ريه(٢) .
من تجاوز الكفاف لم يقنعه(٣) إكثار .
كلما عظم قدر المنافس فيه ، عظمت الفجيعة بفقده ، ومن أرحله الحرص أنضاه الطلب .
الأمانى تعمى أعين البصائر ، وربما كان الطمع وعاء حشوه المتالف ، وسائقا يدعو إلى الندامة .

ما أحلى تلقى البغية(٤) ، وأمر عاقبة الفراق .
من لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم تقع حيلته إلا على مقاتله .
وقال فى الفصول القصار أيضا :
طلاق الدنيا مهر الجنة(٥) .
وقال : عقوبة الحاسد من نفسه ، لا يرضى عنك الحاسد حتى تموت(٦) .
وقال : أنفاس الحى خطاه إلى أجله(٧)
المعروف غل لا يفكه إلا شكر أو مكافأة(٨) .
من عجائب الدنيا أن تطرح التراب على وجه من تكرمه . أهل الدنيا كركب يساق بهم وهم نيام . من أحب البقاء فليعد للنوائب قلبا صبورا . أفقرك الولد وعاداك . من لم يتعرض للنوائب تعرضت إليه . إذا كثر الناعى إليك قام الناعى لك(٩) .

---

(١) فى الأوراق ص ٢٨٧ : ووعد
(٢) وهذه الحكمة فى الريحانة ص ٣٢٢ .
(٣) فى معاهد التنصيص ص ١٤٩ : ١ : يغنه
(٤) فى الأوراق ص ٨٧ : النعمة .
(٥) البديع ص ٩٠ ط ١٩٤٥ ؛ والصناعتين ٣٠١ .
(٦) تاريخ آداب اللغة للحسينى الظواهرى ص ١٠٦ ؛ وذكرها الماوردى فى أدب الدنيا والدين ص ٢٤٢ ط ١٩٢٨ على أنها من منثور الحكم .
(٧) أبو الفداء أخبار عام ٢٩٦ .
(٨) ديوان المعانى ٩٥ : ٢ .
(٩) ١٠٦ تاريخ أدب اللغة للحسينى الظواهرى .

أدب وحكمة

وقال ابن المعتز (١) :

لاتسرع إلى أرفع موضع فى المجلس ، فالموضع الذى ترفع إليه ،خيرمن الموضع الذى تحط منه .

لاتذكر الميت بسوء ، فتكون الأرض أكتم عليه منك .

ينبغى للعاقل أن يدارى زمانه ، مداراة السابح للماء الجارى .

وقال (٢) : نعم الجاهل ، كالرياض فى المزابل .

كلما حسنت نعمة الجاهل ، ازداد فيها قبحا .

لسان الجاهل مفتاح حتفه .

لاترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطا .

وقال (٣) : أهل الدنيا كصور فى صحيفة إذا طوى بعضها نشر بعضها (٤) .

بشر مال البخيل بحادث أو وارث .

البشر دال على السخاء كما أن النور دال على الثمر .

ما أدرى أيهما أمر : موت الغنى ، أم حياة الفقير ؟

إذا صحت النية وتأكدت الثقة سقطت مؤنة التحفظ .

الزهد فى الدنيا الراحة العظمى .

الحكمة الخالدة

وقال ابن المعتز :

---

(١) ١٣٢ : ٤ زهر .

(٢) ١٥٦ : ٤ زهر .

(٣) ص ٦ خاص الخاص للثعالبى طبعة ١٣٢٦ هـ .

(٤) قال الثعالبي : كنت أظن أن ابن المعتز أبو عذرة هذا حتى قرأت للراعى :

ما الدهر والناس إلا مثل واردة إذا مضى عنق منها أتى عنق

ص ٨٤ من المرجع السابق ، والعنق : الطائفة من الناس .

الأزمان المحمودة والمذمومة لها آجال كآجال العباد ، فاصبر لزمان السوء ، حتى يفنى عمره ، ويأتى أجله ، كفانا الله وإياكم شقوة القدر ، وأعاننا بطاعته على الحذر من شر الزمن (١) .

وقال : لاتتعرض لعدوك فى دولته ، فإنها إذا زالت كفتك مؤونته (١) .

وقال : الغضب يصدىء القلب ، حتى لايرى صاحبه شيئا حسنا فيفعله ، ولا قبيحا فيتجنبه (٢) .

وقال : تجاوز عن مذنب لم يسلك من الإقرار طريقا حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا (٣) .

العقـــل

وقال (٤) : العقل غريزة تربيها التجارب .

العاقل من عقل لسانه (٥) ، والجاهل من جهل قدره .

كلمـات فى الحـكم

وقال (٦) لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى الكمال استعانوا بالكبر ، ليعظم صغيراً ، ويرفع حقيراً ، وليس بنفع الطمع فى وثاق الذل .

الغضب يصدىء العقل ، حتى لايرى صاحبه صورة حسن فيرتكبه ، ولا صورة قبيح فيجتنبه .

---

(١) ٢٠٧ الخلاة للعاملى

(٢) ٢٠٩ الخلاة للعاملى

(٣) ٢٤٥ الكشكول للعاملى

(٤) زهر ١٢٩ : ٤

(٥) هذا قريب من قول الحسن :

لسان العاقل من وراء قلبه ، ولسان الأحمق أمام قلبه

الكامل للمبرد ٢٦٣ : ١ ط ١٣٥٥ ه

(٦) زهر ١٥٦ : ٤ وما بعدها

الغضب ينبيء عن كامن الحقد .

من أطاع غضبه ، أضاع أدبه .

حدة الغضب تعثر المنطق ، وتقطع مادة الحجة ، وتفرق الفهم .

عقوبة الغضب تبدأ بالغضبان ، تقبح صورته ، وتثلم دينه ، وتعجل ندمه .

ما أقبح الاستطالة عند الغنى ، والخضوع عند الفقر .

من هتك ستر غيره ، تكشف عورة بنيه .

نفاق المرء من زلة الشرير ، لايظن بالناس خيراً ، لأنه يراهم بعين طبعه .

من عدد نعمه ، محق كرمه :

خلف الوعد ، خلق الوغد .

من أسرع كثر عثاره .

مصير الحياة[1]

وقال ابن المعتز :

وعد الدنيا إلى خلف ، وبقاؤها إلى تلف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد أمانها الفجع ، طواحة طراحة ، آسية جراحة ، كم راقد فى ظلها قد أيقظته ، وواثق بها قد خانته ، حتى يلفظ نفسه ، ويودع دنياه ، ويسكن رمسه ، وينقطع عن أمله ، ويشرف على عمله ، وقد رجع الموت بحيانه ، ونقض قوى حركاته ، وطمس البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ، وصار كخط من رماد ، تحت صفائح أنضاد (٢) وقد أسلمه الأحباب ، وافترش التراب ، فى بيت قد نجرته المعاول ، وفرشت فيه الجنادل ، مازال مضطربا فى أمله ، حتى استقر فى أجله ، ومحت الأيام ذكره ، واعتادت الألحاظ فقره (٣) .

---

(١) ولابن المقفع فى وصف الدنيا : الدنيا زخرف يغلب الجوارح ، ما لم تغلبه الألباب ، والحكيم من يغض عنه ولم يشغل به قلبه ص ٣٣ الأدب الصغير الطبعة الأولى سنة ١٩١١ ؛ وراجع : صفة الدنيا لعلى بن أبى طالب فى العقد الفريد ١١٣ : ٢ طبعة ١٩٢٨ ، ورسالة الجاحظ إلى بعض إخوانه فى ذم الزمان ص ٣١٦ : ١ العقد الفريد

(٢) الصفائح : الحجارة العريضة ، والأنضاد المنحونة باستواء

(٣) زهر ٢١٧ : ١ ، السكشكول ٩٤ ؛ مجلة الأزهر عام ١٣٦٢ هـ ص ٣٠٢

الغضب

وقال ابن المعتز :

غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله(١) .

خيانة

وقال ابن المعتز :

من قرأ سطراً من كتاب قد خط عليه فقد خان كاتبه ، لأن الخط يحرز ما تحته(٢)

الشيب

وقال (٣) : الشيب أول مواعد الفناء .

حكمة

وقال(٣): عظم الكبير فإنه عرف الله قبلك ، وارحم الصغير فإنه أغر بالدنيا منك

الشورى (٤)

وقال : من رضى بحاله استراح ، والمستشير على طرف النجاح (٥) .

وقال : من أكثر المشورة فى الإصابة ، لم يعدم الصواب ، وكان فى الإصابة مادحا وفى الخطأ عاذراً(٦) .

الولاية والعزل

وقال : ذل العزل يضحك من تيه الولاية ، وقال :

كم تائه بولاية ... وبعزله ركض البريد
سكر الولاية طيب ... وخمارها صعب شديد

---

(١) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٦ ، البديع ص ٩٠ ط ١٩٤٥ ، الصناعتين ٣٠١ طبعة صبيح ، زهر ١٥٦ : ٤

(٢) زهر ١٨٣ : ١

(٣) زهر ٤٩؟ : ٤

(٤) ولابن المقفع : لا رأى لمن انفرد برأيه ، المستشار مؤتمن

(٥) زهر ٢٥٢ : ٣

(٦) زهر ٢٥٣ : ٣

وقال : العزل طلاق الرجال ، وحيض العمال (١) .

الصديق (٢)

وقال : علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يبتدىء بالكتاب ، ولا يفسد بك الظن على صديق أصلحك اليقين له .

إذا كثرت ذنوب الصديق انمحق السرور به ، وتسلطت التهم عليه .

نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .

ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .

ما حبس الود بمثل العتاب .

من صدقت لهجته ، ظهرت حجته .

الموت والعمر

وقال : الموت سهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر سيره إليك .

أخذه بعض الشعراء فقال :

الموت سهم مرسل والعمر قدر مسافته (٣)

المزاح

وقال : من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به أو حقد عليه (٤) .

الكذب

وقال : علامة الكذاب جوده فى اليمين لغير مستحلف . وقال :

---

(١) زهر ٢٥٥ : ٣

(٢) زهر ٢٦٢ : ٣ وما بعدها .

(٣) زهر ١٦ : ٤، ١٠٦ تاريخ آداب اللغة للحسينى الظواهرى

(٤) زهر ١٨٨ : ٢ ؛ ويقول عمر للأحنف : من كثر مزاحه كثر سقطه الخ ، راجع ١٤٣ : ٢ البيان والتبيين للجاحظ نشر السندوبى ط ١٩٢٧

وفى اليمين على ما أنت فاعله ما دل أنك فى الميعاد متهم (١)

وقال اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطررت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه (٢) .

وقال : يعترى حديث الكذاب من الاختلاف ، مالا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب (٣).

وقال : لا تصح للكذاب رؤيا لأنه يخبر عن نفسه فى اليقظة بما لم ير ، فتريه فى النوم مالا يكون ، وأنشد :

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو عادة السوء أو من قلة الأدب (٣)

الكتاب والقلم (٤)

الكتاب والج الأبواب ، جرىء على الجواب ، مفهم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أقعده الفراق ، والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائرا ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضىء ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان .

الصداقة

وقال : لا يزال الإخوان يسافرون فى المودة ، حتى يبلغوا الشقة ، فإذا بلغوها ألقوا عصا التيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود النصائح ، وأمنت خبايا الضمائر ، حلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلق (٥) .

---

(١) زهر الآداب ٢:١٤٢ ولابن المقفع فى الكذب : رأس الذنوب الكذب هو يؤسسها وهو يتفقدها ويثبتها ، ويتلون ثلاثة ألوان : بالأمنية والجحود والجدل ، ٤٧ الأدب الصغير

(٢) زهر ١٤٢ و ٢٦٦ : ٢

(٣) زهر ١٤٢ : ٢

(٤) زهر : ١٤٤ : ٢ والأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٩٢ ، والعقد ٢٦ : ٣ ط ١٩٢٨

(٥) الكشكول ص ٢٤٥ ، زهر الآداب ص ٢٢٥ : ١ وما بعدها

كلمات

وقال : قلبي نجى من ذكرك ، ولساني خادم شكرك (١) :

وقال : القول بعد الفكر يؤمن زيغه شتان بين روية وبديه (٢)

ولابن المعتز (٣) :

قد رخصت الضرورة في الإلحاح ، وأرجو أن تحسن الظن كما أحسنت الانتظار.

فلان لو أمهلته حاله لأمهلك ، لكن أعجلته فأعجلك ، فأعنه بشيء يكون مادة لصبره عليك ، وأقم رغبته إليك مقام الحرية بك .

حالي مرقعة ، فإن تحركت بها تمزقت .

ربما أدت الشكوى إلى الفرج ، وكان الصمت من أوكد أسباب العطية .

إذا صحت المودة كان باطنها أحسن من ظاهرها .

توقيعات لابن المعتز (٤)

كتب إليه قهرمانه ينسب وكيله إلى الخيانة والسرقة ويستأمره في الاستدلال به ، فوقع في رقعته : أغن من وليته عن السرقة فليس يكفيك من لم تكفه .

وكتب إليه بعض مواليه يذكر جده في خدمته وتوقعه زيادة نظر له فوقع : من نصح الخدمة نصحته المجازاة .

العلم والتواضع

قال ابن المعتز : العلم جمال لا يخفى . ونسب لا يجفى . وقال أيضا : زلة العالم كانكسار سفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير . وقال غيره : إذا زل العالم . زل بزلته عالم .

---

(١) خاص الخاص للثعالبي ص ٦ ، وديوان المعاني ١٠٤ : ٢ ، والبديع ص ٣٨

(٢) العمدة ١٦٨ : ١

(٣) خاص الخاص للثعالبي طبعة ١٣٢٦ هـ ص ٦ ، والسكاكة الأولى في البديع

(٤) ص ٧١ خاص الخاص

وقال ابن المعتز : المتواضع فى طلاب العلم أكثرهم علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء . إذا علمت فلا تذكر من دونك من الجهال . واذكر من فوقك من العلماء .

وقال أيضا : مات خزنة الأموال وهم أحياء . وعاش خزان العلم وهم أموات . مثل علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه .

المقدمة التى صدرت بها كتابى « رسائل ابن المعتز »

ابن المعتز أديب ممتاز ، وشاعر ملهم ، وشخصية بارزة بين الشخصيات التى نبغت فى القرن الثالث الهجرى .

وهو إلى جانب ذلك مؤلف كبير له كتب جيدة منها :

١ — طبقات الشعراء : وقد طبع جزء منه فى أوروبا ، وكنت عازما على طبعه وتصحيحه لولا أن حمل عنى هذا العبء الثقيل الأستاذ عبد الستار فراج حيث نشر الكتاب فى نحو ٦٠٠ صفحه (١)

٢ — البديع : نشر فى أوروبا عام ١٩٣٥ ، ونشرناه نحن عام ١٩٤٥ ، بشرح أدبى واسع وترجمة لنحو مائتى علم من الأعلام الواردة فيه ، مع تصحيح كثير من الأخطاء والتحريفات التى كان يشتمل عليها ؛

٣ — رسائل ابن المعتز : ولم يجمعها أحد قبلى ، وقد أضنانا البحث فى التنقيب عنها فى أمهات كتب الأدب وأصوله .

٤ — رسالة فى محاسن ومساوىء شعر أبى تمام : وكانت مختفية عن أنظار الباحثين حتى وجدنا طائفة كبيرة منها ؛ فنقلناها وصححناها ، وراجعناها على الموازنة للآمدى ، ثم نشرناها فى الكتاب .

٥ — سرقات الشعراء : وقد أشار إليه الآمدى فى الموازنة (٢) وورد ذكره

---

(١) لعباس إقبال دراسة بالفرنسية عن مخطوطة الطبقات التى نشرت مصورة قبل نشر الكتاب فى القاهرة

(٢) ١٣٠و١٢٩ الموازنة — طبعة صبيح .

فى بعض المراجع كشذرات الذهب (١) وابن خلكان (٢) والفهرست (٣).

٦ — فصول التماثيل فى تباشير السرور ، وقد طبع فى مصر عام ١٩٢٥ .

٧ — ديوانه وقد طبع فى مصر و بيروت ، طبعات فيها كثير من التحريف ولا تشتمل على كل شعره ، ويوجد نسختان كاملتان من ديوانه ، وهما مخطوطتان بدار الكتب (٤)

٨ — وله عدة كتب أخرى مفقودة ، منها : « الزهر والرياض ، كتاب مكاتبات الإخوان بالشعر ، كتاب الجوارح والصيد ، كتاب أشعار الملوك ، كتاب الآداب ، كتاب حلى الأخبار ، كتاب الجامع فى الغناء » .

وابن المعتز مع أنه شاعر مشهور ، كاتب من كبار الكتاب فى عصره ، بل هو إمام الكتاب فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وكثير من أئمة الأدب كانوا يضعونه مع فحول الكتابة فى منزلة واحدة . وقدخلف طبقة الكتاب التى كان يتزعمها الجاحظ شيخ البيان العربى م ٢٥٥ هـ ؛ وتمتاز كتابته بسلاسة أسلوبها وجماله وإشراقه ، وبسمو معانيها ودقتها ، وغلبة روح الحكمة عليها ، وبصدورها عن طبع متمكن من اللغة وآدابها ، ومطبوع فى كل فقرة من فقراته ، ورسالة من رسائله . وتشتمل آثاره الأدبية فى الكتابة على مجموعتين :

١ — رسائله إلى أصدقائه من رجالات الدولة ووزرائها وكبار الشخصيات فيها وقد جمعت منها طائفة ، لاشك أنها قليلة بالنسبة لما له من رسائل ، ولكنها على اى حال هى كل ماوجدته فى شتى كتب الأدب العربى وأصوله ، مما أمكننى الاطلاع عليه إلى الآن ، ويشير الأغانى إلى أن له رسالة طويلة فى الغناء ومذاهبه ورأيه فى التجديد فيه ، وقد بعث بها إلى صديقه ابن حمدون(٥) ، وهى مفقودة ، لم نعثر عليها للآن ؛ ولعلها ضاعت مع ماضاع من آثاره الأدبية المختلفة .

٢ — الفصول القصار ، وهو كتاب لابن المعتز فى الحكم والآداب والأخلاق والاجتماع والسياسة ، وقد أشار إليه فى كتابه « البديع »(٦) ، وهو مفقود ، وقد

---

(١) ٣ ٢٢ ج٣ الشذرات طبعة القدسى.

(٢) ٤٦٢ ج١ طبعة ١٢٩٩ مصر .

(٣) ١٦٨ طبعة الرحمانية .

(٤) وقد نشره لوبين بمساعدة جمية المستشرقين الألمانية فى أربعة أجزاء عقب الحرب العالمية الثانية

(٥) ١٤١ جـ ٩ الأغانى

(٦) ص ٩٠ ط ١٩٤٥

جمعت منه طائفة كبيرة عثرت عليها فى شتى كتب الأدب . وهناك حكم كثيرة لابن المعتز جمعتها من مصادر متعددة ، وهذه المصادر وإن لم تشر إلى أن تلك الحكم من « الفصول القصار » إلا أنى أرجح أنها منقوله منه . وأنها بعض محتوياته ، وإذاً لجميع الحكم المنثورة فى هذا الكتاب ، نرجح أنها جزء كبير من « الفصول القصار » ، وهى على أى حال كل ما أمكننا العثور عليه .

وأثر ابن المعتز فى النقد الأدبى أثر كبير خالد . فضلا عن أن له : « طبقات الشعراء » ، وسرقات الشعراء » له آراء كثيرة متفرقة فى النقد الأدبى ، وله رسالة فى نقد شعر أبى تمام .

وقد جمعت كل ما أمكننى جمعه من آرائه فى النقد ، وجمعت كثيرا من رسالته فى أبى تمام ، إن لم يكن ما أثبته منها هو كل الرسالة ، وعنيت بمراجعتها على الموازنة ، ولا شك أن لهذه الرسالة قيمة خاصة فى النقد الأدبى ، وفى نقد شعر أبى تمام على الخصوص ، لأنها من أوائل ما كتب فى نقد شعره ، فوق أنها أصل كبير من أصول « الموازنة » للآمدى ، ولقدامة بن جعفر كتاب فى الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام(١) ، ولعله رد على رسالة ابن المعتز هذه التى كتبها فى نقد شعر أبى تمام .

وبعد فإن من الواجب على من يريد أن يدرس ابن المعتز أن يعرف آثاره الأدبية المختلفة ، قبل أن يكتب عنه ، ويحلل شخصيته ، ويبين أثره فى النشاط الأدبى فى عصره ومنزلته بين رجالات النهضة وأئمة الأدب . لذلك بادرت إلى نشر هذا الكتاب « رسائل ابن المعتز فى النقد والأدب والاجتماع » ، بعد أن نشرت كتاب البديع ، ليعيننا ذلك على البحث والدراسة ، ونسلك على ضوئه سبيلا واضحة إلى الفهم والنقد والحكم . وقد قسمته أربعة أقسام :

(١) القسم الأول آثار ابن المعتز فى النقد .

(٢) والثانى رسائله الأدبية ونثره الفنى .

(٣) والثالث حكم وآداب .

(٤) والرابع أرجوزة ابن المعتز فى تاريخ المعتضد ، وهى مشروحة شرحا تاريخيا ولغويا واسعا ، ويليها أرجوزته فى ذم الصبوح ، والأرجوزة الأولى لها مكانة ممتازة فى الشعر العربى لأنها صورة مصغرة للملحمة الإلياذة وشاهنامة الفردوسى ، والأرجوزة الثانية تحتل مكاناً أدبيا كبيراً فى شعر ابن المعتز .

---

(١) ٢٠٤ جـ ٦ معجم الأدباء نشر مرجليوث

الباب الخامس

ابن المعتز

وأثره في النقد الأدبي

الفصل الأول

النقد قبل ابن المعتز

(١)

كان ابن المعتز أنقد النقاد (١) وكان الناس يستشهدون بفضله وعلمه فى الشعر (٢) ويعجبون من فطنته بالشعر (٣)، وكان مهتما بنقد المحدثين (٤).

وهذه المكانة الممتازة فى النقد التى نالها ابن المعتز جعلتنا نفرد له هذا البحث فى هذا الباب.

(٢)

والنقد الأدبى هو الحكم الذى تصدره على الشعر والنثر وهو عند المحدثين (٥) تقدير النص الأدبى تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبية.

هو - كما أقول - تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية العامة والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار، وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم والغرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار (٦).

والخطابة والشعر لارسطو هى المرجع الأول لكل الدراسات فى النقد والبلاغة (٧)، وارسطو أول من كتب فى النقد الأدبى ووضع فى كتابه «فنون الشعر» قواعد البلاغة التى بنى عليها طريقته فى النقد (٨) وعلى أساس مذهب ارسطو فى

---

(١) ٢٤٠ : ١ العمدة

(٢) ١٤ الموازنة

(٣) ١٧ رسائل ابن المعتز ورقة ٣٦ الأوراق قسم المقتدر

(٤) ١١٧ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

(٥) أصول النقد الأدبى للشايب

(٦) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٧) أصول النقد الأدبى للشايب

(٨) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب

النقد قامت مدارس النقد الحديثة فى أوربا وعلى رأسها سانت بوف (١٨٠٤ - ١٨٩٦) وتين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) وبرونتير (١٨٤٩ - ١٩٠٧) وجول لمتر (١) (م ١٩١٧)

والنقد فى الآداب العربية هو شرح الشعر و تقرير طريقة (٢) الشعر الجاهلى لتكون منهجا للشعراء لا حركة العقول والأفكار ، وأكبر مظاهره عندهم هو علم البلاغة (٣)

نشأ النقد فى الجاهلية مرتجلا وكان هينا يسيرا ملائما لروح العصر وللشعر العربى نفسه (٤) فهو عربى النشأة كالشعر لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربى السليم (٥)

وجد فى أطوار تهذيب الشعر وفى اختيار المعلقات وتعليقها على الكعبة (٦) وفى حكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة (٧) وحكومة النابغة على الشعراء وكان تضرب له قبة حمراء بعكاظ ويأتيه الشعراء وتنشده اشعارها (٨) ، وفى حكم ربيعة بن حذار الأسدى على الزبرقان والمخبل السعدى وعبده بن الطبيب وعمرو ابن الأهتم (٩) ووجد فى نقد الشعراء للشعر فامرؤ القيس بن بكعب وأخويه الفضبان

---

(١) راجع مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، وأصول النقد للشايب ، و ٤٥ — ٥٠ الأدب الجاهلى

(٢) ١٥٩ مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٣) ١٦٨ المرجع

(٤) ٢٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

(٥) ٢٥ المرجع

(٦) ٣٧٩ : ٣ العقد

(٧) راجع ١٢٨ : ٧ الأغانى . وقد نقد الرافعى هذه الحكومة ورأى أنها جائرة ٢٢٥ — ٢٣٤ : ٣ آداب العرب للرافعى وتابعه فى ذلك محمد هاشم ١٨٤ الأدب العربى فى العصر الجاهلى ، ويرتاب باحث فى صحة هذه القصة ويرى أن امرأ القيس غير مقصر ويقول : ولعل ذلك ما حمل ابن المعتز أن ينكر هذه القصيدة فيما أنكره من شعر امرئ القيس ٢١ و ٢٢ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

(٨) ١٢٣ الشعر والشعراء

(٩) ١٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

والقعقاع فأنشده فقال انى لا أعجب كيف لا تمتلىء عليكم نارا جودة شعركم فسموا بنى النار (١) ويقول النابغة أشعر الناس من استجيد كذبه واضحك رديئه (٢) وسمى كعب الغنوى كعب الأمثال لكثرة مافى شعره منها (٣) وطفيل الغنوى طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها والنمر بن تولب الحبر لحسن شعره (٤) وسموا قصيدة سويد بن أبى كاهل ، بسطت رابعة الحبل لنا ، اليتيمة كما سموا بعد ذلك خطبة اسحبان الشوهاء لحسنها (٥) ويقول زهير . ويروى لحسان :

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفه ثم نفسه (٦) إلى غير ذلك من مظاهر النقد فى الجاهلية

(٤)

وأخذ النقد فى القرن الأول يسير فى طريق النضوج والوضوح مع الفطرة الخالصة والذوق السليم وكان كثير من الخلفاء والصحابة نقادا بفطرتهم وذوقهم : فابو بكر يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم سحرا وأبعدهم قعرا (٧) وكان عمر يتذوق الشعر وينقده (٨) وقدم زهير ولم يحكم بذلك فحسب بل شرح سبب حكومته بأنه كان لايعاطل فى الكلام وكان يتجنب وحشى الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه (٩) وكان يرى أنه أشعر الناس (١٠) وكان يجلس هو وأصحابه

(١) ٧٠ من المؤتلف للآمدى

(٢) ٢٥٦ سر الفصاحة و ٥٨ : ٢ العمدة

(٣) ٣٤١ معجم الشعراء

(٤) ١٨٤ المؤتلف ١١٢ : ٢ العمدة

(٥) ٢٢٥ : ١ البيان

(٦) ٢٠ جمهرة أشعار العرب

(٧) ٧٨ : ١ العمدة

(٨) راجع ٩٩ اعجاز القرآن و ١٦٩ و ١٧٠ : ١ و ٢٢٤ — البيان ٢٢٥ جزء ٢ البيان والتبيين ٢٠ و ٣٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٦ : ١ العمدة .

(٩) ١٢٥ الموازنة و ٨٠ : ١ العمدة و ٣٢ جمهرة أشعار العرب والمعاظلة وتفسيرها فى الموازنة وسر الفصاحة و ٣٢ الجمهرة و ص ١٠٥ نقد الشعر

(١٠) ٣٧٩ : ٣ العقد وما بعدها

فيتذاكرون الشعر والشعراء وأيهما أشعر (١) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة إنه أشعر شعرائهم (٢) وكذلك على بن أبى طالب كان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة (٣) ،وكان معاوية يفضل مزينة فى الشعر ويشيد بذكر شاعرها فى الجاهلية زهير وشاعرها فى الإسلام ابنه كعب ، وكان عبد الملك بن مروان عالما بالشعر ناقداً له ، وتفيض بذكر أخباره فى ذلك كتب الأدب .. ونقده للشعراء كثير ، كنقده لابن الرقيات (٤) والكثير (٥) .

وفى آخر القرن الأول ازدهر الشعر وتعددت مذاهبه الأدبية واشتدت العصبية وكثر التنافس بين الشعراء كثرة الموازنة بينهم وأحكام النقد الأدبى التى يصدرونها على الشعر والشعراء الجاهليين والإسلاميين ، فقالوا : أشعر العرب امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب (٦) واختلفوا فى الجاهليين فقال الفرزدق : امرؤ القيس أشعر الناس ، وقال جرير : النابغة وقال الأخطل : الأعشى ، وقال ابن مقبل : طرفة ، وقال الكميت : عمرو بن كلثوم ، وقال أبو عبيدة وأيده صاحب الجمهرة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة (٧) ، وكان جرير يشبه بالأعشى (٨) والفرزدق بزهير (٩) ، والأخطل بالنابغة (١٠) وقال الفرزدق لما سمع نسيب ابن أبى ربيعة هذا الذى

---

(١) ٣٢ الجمهرة .
(٢) ٣٤ الجمهرة .
(٣) ٢٧ و ٢٨ : ١ العمدة .
(٤) ٤٠٠ : ١ العقد
(٥) ٤٣٨ : ٣ العقد
(٦) ١١١ حلبة الكميت وتروى بروايات مختلفة ٥١١ خزانة الأدب و ٥٨ : ٩ الأغانى و ٣٨٠ و ٤١٣ : ٣ العقد و ١٩٣ حضارة الإسلام فى دار السلام . وهذه الرواية تروى عن كثير أو نصيب ٧٨ : ١ العمدة ، وعن ابن أبى طرفة مع حذف امرىء القيس وزيادة عنترة إذا كاب ٧٨ : ١ العمدة ، وعن الأصمعى ٣٣ جمهرة أشعر العرب
(٧) ٤٥ الجمهرة
(٨) ١٨٠ الشعر والشعراء
(٩) ١٨٦ المرجع
(١٠) ١٨٩ المرجع وراجع ٣٠ طبقات الشعراء لابن سلام

كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار (١) وورد فى مثل ذلك عن جرير (٢) وقال جميل لعمر : والله ما خاطب النساء مثل مخاطبتك أحد (٣) وفضل ابن أبى عتيق عمر فقال أشعر قريش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطفت حواشيه وأنارت معانيه (٤)، وقال ينقده : أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك (٥) وقال نصيب : جميل أمامنا وعمر أوصفنا للنساء وكثير أبكانا على الدمن وأمدحنا للملوك (٦) وقال : أما أصدقنا فى شعره فجميل وأما أكذبنا فعمر وأما أوصفنا للنساء فكثير (٧) ونقد قول الكميت تكامل فيها الدل والشنب (٨) كما نقد كثير عمر والأحوص ونصيب (٩)، وقال كثير فى نسيب جميل : هذا والله هو الشعر المطبوع وما كنت إلا راوية لجميل ولقد أبقى للشعراء مثالا تحتذى عليه (١٠)، ونقد جرير قول الأحوص: يقر بعينى ما يقر بعينها (١١) وحسد الفرزدق ليلى الأخيلية على شعرها وخرق عنه القميص الخ (١٢) وقال فى جرير ما أحوجنى مع فسوقى إلى رقة شعره وأحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى (١٣) ونقد الجعدى (١٤) وهكذا تناول النقد الشعر ومذاهبه وعناصره وكثيرا مما يتصل به .

---

(١) ٣٤ و ٦٤ : ١ الأغانى وراجع ١٦ : ٤ العقد
(٢) ٤٥ : ١ الأغانى
(٣) ٤٩ و ١٢٩ : ١ الأغانى
(٤) ٤٦ : ١ الأغانى
(٥) ٤٦ : ١ المرجع
(٦) ١٣٧ : ١ الأغانى
(٧) ١٤١ : ٢ المرجع
(٨) ٣٣٥ : ١ الكامل للمبرد
(٩) ٣٣٢ و ٣٣٣ : ١ الكامل
(١٠) ١٦ : ١ العقد
(١١) ١١٣ : ١ الأغانى
(١٢) ١٢١ الكشكول
(١٣) ٢٧ الشعر والشعراء و ١٠٣ : ٤ زهر
(١٤) ٤٣ طبقات الشعراء لابن سلام

ولكن النقد على أى حال لم تكن له مناهج معروفة وكانوا ربما أخطأوا فيه كما أخطأ الفرزدق فى نقد بيت جرير(١) :

ياحبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

فقال : ولو كان ساكنه قردا ، فقال جرير : لو أردت هذا لقلت « ما كانا » .. وكان لمربد البصرة مقام كبير فى حركة النقد فى هذه الفترة الحافلة ـ وكان مألف الأشراف(٢) ويقول الجارود فيه : عليكم بالمربد فإنه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر(٣) .

(٥)

وابتدأ القرن الثانى فازداد النقد فيه دقة وتحليلا وعمقا وكان أئمة اللغة وشيوخها ينقدون الشعر عن صناعة وتثقيف ويحللون نصوصه من جميع نواحيها طبعا وبنية وتركيبا وفنا وأوزانا وقوافى ومنهم أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ وحماد الراوية ١٥٦ ﻫ وخلف م ١٨٢ ﻫ والمفضل م ١٨٩ ويونس وأبو عمرو الشيبانى وأبو زيد الأنصارى م ٢٠٦ ﻫ وأبو عبيده م ٢٠٨ ﻫ والأصمعى م ٢١٦ ﻫ وابن الاعرابى م ٢٣١ ﻫ وكانوا جميعا يروون اللغة والغريب والشعر والنسب والأخبار والنوادر مع تفاوت فى الميول(٤) ـ وقام كثير منهم برواية الشعر وجمعه .

وكان لخلف مكانة فى النقد ، وكان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف فى حلبة هذه الصناعة ـ النقد ـ ولا يشقون له غبارا لنفاذه فيها ، وحذقه بها ، وإجادته لها(٥) ، وكان يجمع كثيرا من الآداب(٦) ، وكان عالما بالغريب

---

(١) ١٥٥ : ١ اليتيمة .

(٢) ٢١٠ : ٢ العقد .

(٣) ٢٢٣ : ١ البيان والتبيين .

(٤) راجع ٢٢٤ : ٣ البيان والتبيين .

(٥) ١٩٧ : ١ العمدة

(٦) راجع ٢٢٤ : ٣ البيان

والنحو والنسب والأخبار شاعرا كثير الشعر جيده (١) ، وأصلح الأصمعى رواية بيت من شعر جرير وقال : اروه كذلك فلقد كانت الرواة قديماً تصلح شعر الأوائل (٢) وأعجب بنقد بشار للشعر (٣) ؛ وعرض عليه مروان لاميته ففضلها على لامية الأعشى(٤) ، وكان أبو عبيدة يرى أن أشعر الناس امرؤ القيس والنابغة وزهير (٥) وأشعر الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل لأنهم أعطوا حظاً فى الشعر لم يعطه أحد فى الإسلام (٦) ، وكان الأصمعى يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ولطبعه ، وكان يشبهه بالأعشى والنابغة ، ويشبه مروان بزهير والحطيئة (٧) ، وكان يفضل بشارا على مروان(٨) ، وكان يقول هو وأبو عبيدة : عدى فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها(٩) ، وعاب بين يدى الرشيد قول النابغة :

نظرت إليك ، بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

لذكره السقيم (١٠) ؛ وسئل المفضل عن الراعى وذى الرمة : أيهما أشعر فصاح صيحة منكرة ، أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى(١١) . وقد سبق رأى هؤلاء النقاد فى مذهب الصنعة والمصنعين .

وكذلك كان الأدباء ينقدون الشعر بفطرتهم وذوقهم ، وكان بشار أجودهم وأدقهم فى نقد الشعر ومذاهبه ، وكان أبو عبيدة يعجب من « فطنة بشار وصحة

---

(١) ٣٠٨ الشعر والشعراء
(٢) ١٣ : ٢ زهر
(٣) ٤٣ : ٣ الأغانى
(٤) ٤٠٢ : ٣ النقد
(٥) ٤٤ الجمهرة
(٦) ٤٦ المرجع
(٧) ٢٥ : ٣ الأغانى
(٨) ٢٥ : ٣ الأغانى ، ٢٥١ الموشح
(٩) ١٧ : ٢ الأغانى
(١٠) ٢٢٠ : ٢ العمدة
(١١) ١٧٩ الموازنة . وكان ذو الرمة راوية للراعى ٢٠٧ طبقات ابن سلام .

قريحته وجودة نقده للشعر »(١) ، وكان خلف يعجب من نقده للشعر ومذاهبه (٢) وغضب بشار على سلم لسرقته معانيه (٣) ، وكان مروان يعرض شعره عليه (٤) ، وكان أبو العتاهية يعتمد على معاني بشار(٥) ، وكان أشجع يأخذ عنه ويعظمه (٦) وكان ابن الرومى يقدمه ويزعم أنه أشعر من تقدم وتأخر (٧) ، وكان كثير من الشعراء يجارون بشارا فى هذا الميدان .

ولكن جهود علماء اللغة فى النقد كانت أقوى وأظهر فوضعوا الجاهليين فى طبقات ولم يتركوا شاعرا مشهورا من الجاهليين إلا رأوا فيه رأياً ، ولا فناً من فنون الشعر إلا نقدوه ونوهوا بما فيه من جيد ورديء ، وهم الذين جمعوا أقوال النقاد قبلهم فى الشعر والشعراء ، ووازنوا بين الإسلاميين والمتقدمين ، ونقدوا رواية الشعر وبنيته ومعانيه وغير ذلك من الموضوعات .

(٦)

وفى القرن الثالث أخذ النقد يستقل بالبحث والتأليف على أيدى النقاد وعلماء الأدب وسواهم ، كابن سلام م ٢٣١ هـ ، والجاحظ م ٢٥٥ هـ وابن قتيبة م ٢٧٦هـ ، وابن المدبر م ٢٧٩ هـ . والمبرد م ٢٨٥ هـ ، وابن المعتز م ٢٩٦ هـ وسواهم من الأدباء وعلماء الأدب واللغة وأصحاب الثقافات الحديثة وغير هؤلاء من الذين خاضوا فى أصول الموازنات والبلاغة وموازين النقد :

(ا) فن الأدباء النقاد : أبو تمام م ٢٣١ هـ ووصيته للبحترى حول الشعر وفنه ومذهب الشاعر فيه مثال واضح من أمثلة النقد الدقيقة وأصل من أصوله

(١) ٢٣ : ٢ الأغانى
(٢) راجع ٤٢ : ١ الأغانى ، ٢١٠ الدلائل ، ٧٥ المفتاح ، ١٧ الإيضاح
(٣) ٤٨ : ٣ الأغانى
(٤) ٥٨ : ٣ الأغانى
(٥) ١٣٤ : ٣ الأغانى
(٦) ١٢٧ : ٣ الأغانى
(٧) ١٣ : ٢ زهر الآداب وكان بشار يقدم جريراً على الفرزدق ١٣٩ طبقات ابن سلام ، من حيث كان البعترى يفضل الفرزدق ٢٤ صناعتين ، وقد نقد بشار قول كثير : « ألا إنما ليلى عصا خيزرانة » ٨٠ : ٢ الكامل

الأولى (١) ، وله آراء أخرى فى النقد مفرقة فى شتى المصادر (٢) ، ومنهم ابن المعتز وسواه ، وتميل هذه الطبقة إلى العناية بأدب وشعر المحدثين ونقدهما ، وخاصة شعر أبى تمام والبحترى ، ولعلى بن أحمد المنجم رسالة فى العباس بن الأحنف والعتابى والموازنة بينهما (٣)

(ب) ومن علماء الأدب ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة :

أما ابن سلام فبصرى راوية عالم بالشعر مؤلف فى نقده ، عاش فى النصف الأخير من القرن الثانى الهجرى والثلث الأول من القرن الثالث ، ودرس وثقف وأحاط باللغة والآداب والأشعار ، واهتم بالنقد مع تأثر بروح عصره فى الاستيعاب والشرح والتحليل ، وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الاسلاميين (٤) ، وقد أدمجا فى بعض وطبعا من عهد قريب باسم « طبقات الشعراء » ، والمقدمة المطبوعة فى أوله هى مقدمة كتاب طبقات الاسلاميين ، يرشد إلى ذلك الكثير من مقدمته كقوله : وورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الاسلام (٥) . وكتاب أول مؤلف فى النقد (٦) كما يقولون ، والصحيح أنه ألف قبله فى موضوع كتابه نفسه كثير من الكتب كما سنذكره بعد قليل ، وبحوث كتابه تشمل ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية ، وتتناول شرح الشعر العربى وأثره ونشأته وتطوره وتنقله فى القبائل وانتحاله ، ثم يذكر طبقات الجاهليين العشر وشعراء المراثى وشعراء القرى العربية ، كما يذكر طبقات الاسلاميين العشر جاعلا فى كل طبقة أربعة من الشعراء ، مع الدراسة العميقة والتحليل الدقيق والنقد الممتع لرجال هذه الطبقات وحياتهم ومذاهبهم الفنية فى الشعر ، والكتاب بحق من مصادر ثقافتنا الأدبية

---

(١) راجع الوصية فى ١٥١ : زهر ، ٢٠٩ : ٢ العمدة ، ١٦٠ حديقة الأفراح لليمنى ط ١٣٢٠ هـ ، ٢٧ المطالعة التوجيهية

(٢) راجع مثلا ص ١٩٢ طبقات الشعراء لابن المعتز

(٣) ٩٣ — ٩٤ زهر ، وهى فى الموشح ٢٩٣ و ٢٩٤ منسوبة لأبى أحمد يحيى بن على المنجم م ٣٠٠ هـ

(٤) ١٦٥ فهرست

(٥) ص ١ طبقات الشعراء لابن سلام

(٦) ١٠٨ : ٢ زيدان ، ٧٤ تاريخ النقد الأدبى عند العرب

فى النقد ، ولا يكاد يستغنى عنه باحث أو دارس ، وهو ضرورى فى دراسة النقد وجامع لكثير من الآراء فيه ، وقد رواه عن ابن سلام ابن أخته أبو خليفة الفضل ابن الحباب الجمحى م ٥ ٣٠ هـ والذى يشيد الحصرى بأدبه وبلاغته (١) .

وأما الجاحظ فعلم من أعلام الأدب والنقد والبيان . وفى كتابه « البيان » وسواه من مؤلفاته ثروة كبيرة فى النقد الأدبى ، فتجده يحلل فى دقة وتفصيل مذهب الطبع والصنعة فى الشعر (٢) ، ويشير إلى سرقات أدبية (٣) ، وموازنات أدبية (٤) ويستجيد بعض آثار للشعراء فيقول مثلا : وكان ابو حية اشعر الناس لقوله الخ (٥)، ويقول : ومن جيد محدث أشعارهم الخ (٦)، ويقول : ومن جيد الشعر قول جرير (٧) الخ ، ويثنى على أبى نواس وشعره وخمرياته (٨) ، ويرى أنه ليس هناك مولد إلا وبشار أشعر منه ولا مولد أشعر بعد بشار من أبى نواس (٩) وأبو نواس عنده أشعر الناس فى قوله « كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمراً » (١٠) .

ورأى أن بيتى عنترة « وخلا الذباب بها الخ » من المعانى العقم (١١) ، ومثله قول أبى نواس « قرارتها كسرى الخ » (١٢)، وينقد أبا العتاهية ذاهبا إلى (١٣) أن

---

(١) ٢٥٣ جـ ٣ زهر

(٢) ٥٤ و ٥٥ و ١٥٠ جـ ١ و ٢١ — ٢٦ جـ ٢ البيان

(٣) ٨٩ و ١١٦ و ١٧٩ و ٢٥٥ جـ ١ البيان

(٤) ٢٤٣ جـ ٢ البيان

(٥) ١٦٦ جـ ٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦ جـ ٤

(٦) ١٧٥ جـ ٣ البيان

(٧) ١٣٣ : ٣ البيان ، وتجد شرحا لبيتى جرير اللذين ذكرهما الجاحظ فى هـذا الموضع فى ص ٢٠٨ طبقات الشعراء لابن سلام

(٨) ٤٢ جـ ٤ العقد

(٩) ٩١ جـ ١ العمدة

(١٠) ١٨٥ جـ ٣ زهر

(١١) ١٨٤ جـ ٣ البيان

(١٢) ١٦٦ جـ ٣ زهر ، وراجع شرح البيت فى العمدة ٢٧٥ جـ ١ ، وكذلك ذهب المبرد فى الروضة فى بيت أبى نواس ، ونقدهما ابن الأثير فى ذهابهما إلى أن بيت أبى نواس من المعانى المبتكرة ورأى أنه من المعانى الشاهدة ، وأن فصاحة هذا الشعر هى الموصوفة لا هـذا المعنى ١٢٢ المثل السائر

(١٣) ٥٢ جـ ٣ زهر

شعره أملس المتون ليس له عيون أخرى الخ ، ويعجب بقوله ، رائح الجنة فى الشباب ، إعجابا كبيرا (١) . ويعجب بجدة أشعار طريفة وعبد يغوث وقت إحاطة الموت بهما (٢) ، ويذكر حوار إبراهيم بن عبد الله لأبيه فى شعر كثير (٣) ، وأن الناس كانوا يستحسنون بيت الأعشى ، وبات على النار الندى والمحلق ، حتى قال الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

فسقط بيت الأعشى (٤) ، وينقد الكميت لقوله فى رسول الله :

لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك اللجاج والصخب

كما ينقده لقوله فى رثائه :

لقد غيبوا حزماً وعزماً ونائلا عشية واراه الصفيح المنصب

لأنه يصلح فى عامة الناس (٥) ، وقد دافعوا عنه بأنه إنما أراد فى البيت الأول آل الرسول لا الرسول فورى عنهم يذكر النبى خوفا من بنى أمية (٦) . ويذكر مناهج الرواة (٧) وتعصب أبى عمرو بن العلاء على الإسلاميين (٨) ، وأن الرواة كانوا (٩) يحرصون على نسيب العباس بن الأحنف حتى أورد عليهم خلف نسيب الأعراب فعنوا به وزهدوا فى نسيب العباس ، والجاحظ ينكر غلو المتعصبين على الشعراء المحدثين ، ويرى أن لو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد ممن كان ، وفى أى زمان كان (١٠) إلى غير ذلك من شتى آرائه فى النقد .

---

(١) ٣٨ ج ٣ الأغانى ، ٣٦٦ ج ٢ عصر المأمون
(٢) ١٩٣ ج ٢ البيان
(٣) ١٤٦ ج ٢ البيان
(٤) ٣٦ ج ٢ البيان
(٥) ١٧٢ و ١٧٣ ج ٢ البيان ، ١٧٠ ج ٥ الحيوان ط ١٩٤٣ ، ١٤٥ ج ٢ العمدة
(٦) ٢٠ الموازنة ، ١٣٦ ج ٢ العمدة
(٧) ٢٢٤ ج ٣ البيان ، ٤ و ٥ الكشف عن مساوىء المتنبى
(٨) ٢٠٩ ج ١ البيان
(٩) ٢٢٤ ج ٣ البيان
(١٠) ٤٠ ج ٣ الحيوان ، وذلك مما يردده ابن المعتز الذى حكم عدالة الحكومة الأدبية وحتم ألا يدفع إحسان محسن عدوا كان أو صديقا (١٣ و ١٤ رسائل ابن المعتز) ، وكذلك رأى ابن قتيبة ٧ و ٨ الشعر والشعراء ، وابن رشيق ٧٤ ج ٢ العمدة

وأما ابن قتيبة فهو عالم ملم بالثقافات فى عصره ، مجدد فى التفكير ، ولكنه مع ذلك محافظ كل المحافظة فى الأدب ، ينعى على الأدباء انصرافهم إلى المنطق وشغفهم به عما سواه من علوم الدين واللغة (١) ، ويرى وجوب اتباع منهج المتقدمين فى نظم القصيدة(٢) ، ولكنه مع ذلك لايتعصب للقديم ولا للمحدث تعصبا أعمى ولكن يعطى كلا حقه من العدالة والانصاف ، وكتاب الشعر والشعراء وعلى الأخص مقدمته دراسة عميقة للشعر وأقسامه وعناصره وللطبع والصنعة فيه وللخصومة بين القدماء والمحدثين ولدواعى الشعر ونظمه وأسباب اختلاف شعر الشاعر . والكتاب مظهر لثقافة واسعة (٣) واطلاع واسع وذوق سليم ، وفيه عرض لنحو مائة وستين شاعرا من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وصدور المحدثين ، وقد عنى فى دراسته لهم ببيان مذاهبهم وخصائصهم واتجاهاتهم وذكر آراء النقاد فى شعرهم وسرقاتهم وما يستجاد لهم من حكمة أو تشبيه أو وصف وما سبقوا إليه من معان ، وسرد الشعراء سردا دون ترتيب لطبقاتهم أو لهم بحسب عصورهم بعكس ابن سلام ، وقد اهتم بدراسة لغة الشعراء وأثر البيئة فيها (٤) ، وتكلم على بعض النساء الشاعرات كالخنساء (٥) وليلى الأخيلية (٦) ، وهو حريص على ذكر زلات الشعراء من ناحية العقيدة (٧) ، ويعنى بتحقيق نسبة الشعر لقائله عناية كبيرة .

وأما طبقة علماء اللغة فأثرهم فى النقد واضح جليل ، يتجلى فى آرائهم وكتبهم . وكان هؤلاء كلهم أو جلهم يؤثرون الشعر القديم ، ومنهم : أبو العميثل المتوفى ٢٤٠ هـ ، وابن السكيت م ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم السجستانى م ٢٥٥ هـ ، وأبو الفضل

---

(١) ص ٢ أدب الكاتب .

(٢) ١٤ وما بعدها الشعر والشعراء

(٣) راجع مثلا شرحه للمشكل من شعر أبى نواس ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٣٢٥ الشعر والشعراء وسوى ذلك

(٤) راجع رأيه فى عدى وأمية بن أبى الصلت وأبى دؤاد ٩٣ و ٦٩ و ١٧٦ الشعر والشعراء ، ١٧ جـ ٢ الأغانى مثلا

(٥) ١٢٢ الشعر والشعراء

(٦) ١٧٠ المرجع

(٧) راجع مثلا : ٣٢١ و ٣٢٢ المرجع

الرياشي م ٢٥٧هـ ، والسكري م ٢٧٥ هـ ، والمبرد م ٢٨٥ هـ ، وثعلب م ٢٩١ هـ .
وأظهرهم أثراً في ذلك المبرد الذي حفظ « الكامل » كثيراً من آرائه في النقد .

وعلى أي حال فثقافة اللغويين في النقد كانت قليلة بالنسبة لأدباء الكتاب وعلماء النقد(١) ، وسئل البحتري عن مسلم وأبي نواس أيهما أشعر ، فقال : مسلم لأنه يتصرف في كل فن ، فقيل له إن ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه(٢) ، وقال البحتري لصديق له أراد التوجه لأبي العباس(٣) ليقرأ عليه شيئاً من الشعر : رأيت أبا عباسكم هذا فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً له ورأيته يستجيد شيئاً وما هو بأفضل الشعر(٤)

وأما النقاد من ذوي الثقافات الحديثة في النقد والذين تأثروا بالثقافة اليونانية فأشهرهم قدامة بن جعفر ، (٢٧٦ - ٣٢٧ هـ)(٥) ، وله كتاب « نقد الشعر » الذي فصل فيه مذهبه في النقد أتم تفصيل مما احتذى فيه حذو أرسطو في كتاب الخطابة الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، ونجد أثر أرسطو واضحاً عند قدامة في كلامه على الصفات النفسية التي جعلها أمهات الفضائل ، وذكر أن المدح الجيد لا يكون إلا بها(٦) ، وفي سوى ذلك من بحوث الكتاب ، ويرى قدامة أن الرثاء كالمديح في وقوعه بهذه الصفات(٧) ، وأن الهجاء ضد المدح ولا يكون إلا بأضدادها(٨)، وهذا وغيره من كثير من بحوث الكتاب

---

(١) راجع كلمة للجاحظ في ذلك ص ٤ و ٥ الكشف عن مساوىء شعر المتنبي

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٩٥ والكشف ص ٥ وإعجاز القرآن ١٠١ والعمدة ٩٩ ج ٢

(٣) لعله يريد ثعلباً ، وأبو العباس لقب المبرد وثعلب

(٤) الدلائل ص ١٩٥

(٥) أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار إليهم في علم المنطق وأسلم على يد المكتفي ٢٠٣ — ٢٠٥ ج ٦ معجم الأدباء ، ١٨٨ فهرست ، وله ترجمة مشابهة كذلك في تاريخ بغداد ، وله تفسير بعض المقالة الأخرى لأرسطو (راجع كشف الظنون ص ٣٤ ج ٢) وكثير من المؤلفات

(٦) نقد الشعر ص ٣٩ — ٤١

(٧) نقد الشعر ص ٥٩ ، الصناعتين ص ١٢٦

(٨) نقد الشعر ص ٥٥ ، ويقول عبد الصمد بن المعذل م ٢٤٠ هـ : الشعر كله في ثلاث لفظات وليس كل إنسان يحسن تأليفها : فإذا مدحت قلت أنت ، وإذا هجوت قلت لست ، وإذا رثيت قلت كنت ــ العمدة ص١٠٣ج١ ، وهذا أساس نظرية قدامة ، وأيدها أبو هلال وابن رشيق في كتابيهما : الصناعتين والعمدة

أثر الثقافة قدامة العقلية التي نزل في مواضع الذوق والإحساس والشعور في النقد وفهم الشعر والأدب ، وعناصر الشعر عند قدامة اللفظ والمعنى والوزن والقافية وما تركب منها ، ثم يذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر من هذه العناصر في نظم الشعر ، ويرى أن أضداد هذه الأمور هي أسباب الرداءة في النظم ، ويحتم على الشاعر أن ينظم الشعر متبعاً لأسباب الجودة وحذراً من الرداءة وأسبابها ، والناقد يحكم على ضوء هذا المنهج نفسه فيرى مواطن الجمال والعيب في شعر الشاعر سواء في ألفاظه وأساليبه أو في معانيه أو في أوزانه أو قوافيه أو في سوى ذلك مما تركب منها ، فيحكم عليه أو له بالرداءة أو الجودة والإحسان ، وهذا نهج عقلي واضح .. ولكنه في تقييده الشعر بهذه القيود الثقيلة وفي تطبيقه على هذه الأصول التي رسمها في كتابه يخطيء كثيراً .. وقد ألف الآمدي كتابا في تبيين غلط قدامة في نقـــد الشعر ، وأهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه وكتب خطه عام ٣٦٥ هـ ، كما نقده كثير من علماء النقد والأدب في شتى العصور . .

الفصل الثانى

ابن المعتز وأثره فى النقد الأدبى

(١)

ابن المعتز أديب من الأدباء الذين ألموا بالثقافات المختلفة التى حفل بها معاصروه وزخرت بها بيئته فى عصره ، وكان علمه بالشعر ونقده له ونفوذه فيه وفى فهمه وقدرته على الموازنة بين الآثار الأدبية المختلفة محل تقدير وإعجاب من رجال الأدب وعلماء الشعر وأئمة النقد .

وله فى النقد الأدبى آثار كثيرة متعددة أهمها : سرقات الشعراء ، ورسالته فى محاسن ومساوىء شعر أبى تمام ، وطبقات الشعراء ، وآراء كثيرة أخرى جمعت الكثير منها فى « رسائل ابن المعتز » . وسنتناول ذلك كله بالشرح ، والتحليل والدراسة فى هذا البحث بتوفيق الله .

(٢)

سرقات الشعراء لابن المعتز :

(ا) كتاب مفقود ، ويشير إليه الآمدى كثيرا (١) ، وورد ذكره فى الفهرست ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ومقدمة ديوانه .

والسرقات ألف فيها بعض العلماء قبل ابن المعتز ، وخاصة فى سرقات البحترى وأبى تمام الذين شغلا الناس والنقاد بشعرهما أمداً طويلا ، فلابن السكيت م ٢٤٤ ﻫ كتاب سرقات الشعراء (٢) ، والزبير بن بكار م ٢٥٦ ﻫ كتاب إغارة كثير على الشعراء (٣) ، ولأحمد بن أبى طاهر طيفور م ٢٨٠ ﻫ كتاب سرقات

---

(١) ١١٧ و ١٢٠ و ١٢٩ و ١٦١ الموازنة ، وكذلك ذكره الآمدى ص ١٤٥ المؤتلف والمختلف

(٢) ١٠٨ فهرست

(٣) ١٦١ فهرست

البحترى من أبي تمام (١) ، وقد أخرج للبحترى ستمائة بيت مسروق منها ما أخذه من أبي تمام خاصة نحو مائة بيت (٢) ، وقد أخرج سرقات أبي تمام فأصاب فى بعضها وأخطأ فى البعض لأنه خلط الخاص من المعانى بالمشترك بين الناس عما لا يكون مثله مسروقا(٣) . ولأبى الضياء بن بشر يحيى كتاب سرقات البحترى من أبي تمام وكتاب السرقات الكبير (٤) ، ولجعفر بن حمدان الموصلى م ٣٢٣ كتاب السرقات(٥) ، وقد ألف أحمد بن عمار م ٣١٤ ﻫ فى سرقات أبي تمام ومهلهل بن يموت فى سرقات أبي نواس (٦) ، كما ألف السجستانى فى القرن الرابع فى سرقات أبي تمام ، والآمدى فى السرقة كتاب الخاص والمشترك من المعانى وكتابا فى أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما . وللخالدى رسالة صغيرة اسمها ظلامة أبي تمام وضعها على لسان أبي تمام يشكو الواعظ الموصلى ، وكان كثير الإغارة فى كلامه وشعره على شعر أبي تمام (٧) .

(ب) والكتاب مع أنه مفقود يوجد منه بعض نصوص متفرقة فى شتى كتب الأدب تعطينا صورة عامة لبحوثه ، وموضوعاته ونحن نشير إلى بعض هـــذه النصوص الآن .

١ — نقل الآمدى فى موازنته بعضا من بحوث الكتاب . فهو ينقل عنه شرحا لبيت لذى الرمة وينقده فى هذا الشرح (٨) ؛ ويقول وأنشد ابن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء اسلم يعيبه بردىء الاستعارة فى قول رثى الهادى :

---

(١) ٢١٠ فهرست ، ١٦٦ و ١٧١ الوساطة

(٢) ١٣١ الموازنة

(٣) ٥١ الموازنة ، وينقد الآمدى كثيرا من الأبيات التى عدها ابن أبي طاهر من سرقات أبي تمام ٥١ — ٦٠ الموازنة

(٤) ١٤٩ الموازنة ، ٢١٣ فهرست ، ١٦٦ الوساطة . وكتابه الأول ينقل عنه الآمدى فى الموازنة ١٣٧ — ١٤٨ ثم ينقده ١٤٩ — ١٥٧ الموازنة

(٥) ٢١٣ الفهرست

(٦) ١٦٦ الوساطة

(٧) راجع ٣٠٤ — ٣٠٩ الريحانة

(٨) ١١٧ الموازنة ، ٣٦ وما بعدها رسائل ابن المعتز

لولا المقابر ماحط الزمان به   لا بل تولى بألف كله دامى

وقال (ابن المعتز) : هذا رديء كأنه من شعر أبي تمام (١) ، وينقل عنه رواية ذكرها ابن المعتز ورواها عن أبي العتاهية في شعر ابن مناذر الشاعر م ١٩٧ هـ في التهكم بما فيه من غريب (٢) ، وينقد ابن المعتز بيت امرىء القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس   تسد به فرجها من دبر

لأن ذيل العروس مجرور ولا يجب أن يكون ذنب العروس مجرورا ولا قصيرا (٣) ، قال الآمدي : وقد عيب على امرىء القيس قوله « لها ذنب » ولا أرى العيب لحق امرأ القيس في هذا ، لأن العروس إذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب فليس ينكر أن يشبه الذنب به وإن لم يبلغ أن يمس الأرض لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قرب منه أو دنا من معناه ، ولأن امرأ القيس أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا تراه قال: « تسد به فرجها من دبر » ، ثم يقول الآمدي : وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرىء القيس فيما بينته من سهو أبي العباس ابن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط في كتابه الذي جمع فيه سرقات الشعراء (٥) .

٢ — كما ينقل عنه صاحب الموشح كثيرا ، كنقد ابن المعتز لامرىء القيس (٦) وللنابغة (٧) ، ولزهير (٨) ، وللأعشى (٩) .

وذلك بالطبع جزء من محتويات كتاب سرقات الشعراء وهو يبين لنا بوضوح منهج بحث المؤلف فيه .

---

(١) ١٢٠ الموازنة و ٣٥ رسائل ابن المعتز
(٢) ١٢٩ الموازنة ، ٣٦ رسائل ابن المعتز
(٣) ٣٥ الموشح
(٤) ١٦٠ الموازنة
(٥) ١٦١ الموازنة
(٦) ٣٤ — ٣٦ الموشح ، ٣٨ — ٤٠ رسائل ابن المعتز
(٧) ٤٣ وما بعدها الموشح ، ٤٠ و ٤١ رسائل ابن المعتز
(٨) ٤٧ وما بعدها الموشح ، ٤١ و ٤٢ رسائل ابن المعتز
(٩) ٥٦ وما بعدها الموشح ، ٤٢ و ٤٣ رسائل ابن المعتز

أما متى ألف هذا الكتاب فلا نجد على ذلك دليلا . وأغلب ظنى أنه ألف قبل كتاب البديع أى نحو عام ٢٧٠ ه، ثم ألف بعد ذلك كتابه « الفصول القصار » ثم كتابه « البديع » ، ويرجح ذلك عندى أن شخصية ابن المعتز فيه كانت ما تزال متأثرة بحياة التلمذة والدراسة والتعليم ، وكثيرا ما يقول فيه : « وقال مؤدبى أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى » مما يدل على أنه كان فى عهد التلمذة أو قريبا منه .

وموضوع الكتاب على أى حال لا يقتصر كما رأينا على بيان سرقات الشعراء ، بل يتناول مع ذلك انتاج فحول الشعراء بالنقد واحصاء آراء النقاد فى شعرهم وبيان أخطائهم التى أخذت عليهم ، وذلك عمل كبير فى النقد ، ومجهود حافل فى الحكم على الشعراء .

(٣)

طبقات الشعراء لابن المعتز

(ا) واسمه الكامل « طبقات الشعراء فى مدح الخلفاء والوزراء » ، ومنه نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال (رقم ٢٧٩ أدب) بعنوان « المختار من طبقات الشعراء لابن المعتز(١) » ، أو « مختصر طبقات الشعراء(٢) » . ونشره عباس اقبال على نفقة لجنة جب التذكارية(٣) . ونشره فى مصر عبد الستار فراج

(ب) وأول مقدمة الكتاب يظهر فيها أسلوب بعيد عن أسلوب ابن المعتز وعصره ، والظاهر أنه تحميد لأحد نساخ الكتاب كتبه فى أوله فأضافه النساخ بعده إلى أصل الكتاب .

ويقول ابن المعتز فى مقدمة الكتاب « عقد الفكر طرفى ليلة بالنجوم ، لوارد ورد على من الهموم ، نفض عن عينى كحل الرقاد ، وألبس مقلتى حلل السهاد ، فتأملت لخطر فى بعض الأفكار ، أن أذكر فى نسخة ما وضعته الشعراء من

---

(١) راجع معجم المخطوطات العربية (٢) ١٦٣ : ٢ زيدان

(٣) ومنه نسخة بمكتبة الأزهر (٣٠٢٧ تاريخ) وأخرى بمكتبة الجامعة (٣٠٥٩٠) ، وأخرى بدار الكتب المصرية (١٣٥٥٢ ز)

الأشعار فى مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بنى العباس ، ليكون مذكورا عند الناس ، متابعا لما ألفه ابن نجيم قبلى بكتابه المسمى « طبقات الشعراء الثقات » مستعينا بالله المسهل الحاجات ، وسميته طبقات الشعراء المتكلمين من الأدباء المتقدمين، فكان أول ترجمة ابن نجيم بشار بن برد ، فاختصرت ذلك ، وذكرت ما كان شاذا من دواوينهم . وما لم يذكر فى الكتب من أشعارهم ، واقتصرت على ما كان من مطولات قصائدهم وبالله الاستعانة ومنه التوفيق(١) » .

وأول ترجمة فى الكتاب هى بشار م ١٦٧ هـ ، وأقصى شاعر متأخر ترجم له ابن المعتز هو الناشىء م ٢٩٢ هـ (٢) ، ومحمد الشيرازى الذى يقول فيه المؤلف : وهواليوم شاعر زماننا ، وجميع التراجم التى يحتوى عليها الكتاب والتى تبلغ أكثر من ١٣٠ ترجمة هى لشعراء عاشوا بين هذين التاريخين ، وقد جمع ابن المعتز فيه الشعراء المخضرمين من طبقة بشار ثم المحدثين من طبقة ابن نواس وأبى تمام والبحترى ، ويكاد لا يترك شاعراً من هؤلاء ، وهو استقصاء لا نجد له مثيلا فى أى مصدر أدبى آخر .

والكتاب يصور اتجاهات الشعراء ومذاهبهم وبيئاتهم أدق تصوير ، وفيه تفصيل للخصائص الفنية فى شعر المحدثين وكثير من الموازنات الأدبية ، والشرح الأدبى لكثير من النصوص ، وكثير من المختارات للشعراء الذين ذهب شعرهم وضاعت دواوينهم ، وكثير من الآراء القيمة فى النقد ، ويشيع فيه الذوق الأدبى فى العرض والبحث والنقد والاختيار والترتيب .

وهذا والكتاب حافل بالأحكام الأدبية المتعددة التى ترسم لك مذهب كل شاعر وخصائصه واتجاهه الأدبى وأساتذته فى الشعر ونظمه ؛ فيقول فى ابن الضحاك : وهو غلام أستاذه والبة (٣) ، وفى أبى هفان : وهو من غلمان أبى نواس ورواته (٤) ، ويقول فى الحارثى : كان شاعر مفلقا مفوها مقتدراً مطبوعاً على الشعر ، وكان لا يشبه شعره شعر المحدثين وكان نمطه نمط الأعراب وهو أحد

---

(١) ص ١ طبقات ابن المعتز (٢) ص ١٩٨ المرجع

(٣) ١٢٨ طبقات ابن المعتز

(٤) ١٩٥ المرجع

عن نسخ شعره بماء الذهب (١) . ويقول فى ربيعة الرق : وشعره فى الغزل يفضل على أشعار هؤلاء من أهل زمانه وعلى كثير ممن قبله ولا أحد أطبع ولا أصح غزلا منه (٢) ، ويقول : قال الأخيطل : أنشدت أبا تمام شيئا من شعرى فقال : اذهب إذا شئت فليس للناس بعدى غيرك (٣) إلى غير ذلك من آراء فى النقد وأحكام على الشعراء ، وبيان لقيمة القصائد الفنية ، وموازنات أدبية بين الشعراء.

والكتاب لم يقسمه ابن المعتز إلى طبقات كما فعل ابن سلام ، وإنما عدد الشعراء وحلل كل ما يتصل بهم وبشعرهم تحليلا واسعاً ، فهو يسير على النمط الذى سار عليه ابن قتيبة مع اختلاف فى الاتجاه والغاية .

والظاهر أنه ألف بعد عام ٢٩٣ هـ ، وهو الذى توفى فيه الناشىء الذى ترجم له فى الكتاب (٤) ، وهو حين يذكر شاعراً من معاصريه يشير إلى أنه موجود كما قال عن الشيرازى وهو اليوم شاعر زمانه تخلو ترجمة الناشىء من ذلك دليل على أنه ألف بعد وفاته ، وربما كان لإقامة الناشىء فى مصر آخر حياته أثر فى ذلك. وعلى أى حال فالكتاب فيما أعتقد ثمرة من ثمرات ابن المعتز التى أخرجها للعربية فى أواخر حياته . وهو ثمرة ناضجة مثمرة لها الأثر فى النقد وأحكامه ودراسة الشعراء وفهم آثارهم

هذا والكتب المؤلفة فى الشعر والشعراء وطبقاتهم كثيرة ، وقلما يعرف الباحثون والأدباء من ذلك غير طبقات ابن سلام وابن قتيبة وابن المعتز ولكنى عنيت بالبحث فى شتى المصادر عن الكتب المؤلفة فى هذا الباب فوجدتها تبلغ نحو خمسة وأربعين مؤلفا . وكاد أن يدفعنى عامل الرغبة فى الاختصار إلى عدم ذكرها فى هذه الدراسة ولكنى آثرت أخيراً رغبة فى الفائدة إحصاءها هنا فى هذا الباب : ألف فى الشعر والشعراء وطبقاتهم وفى دراسات أشعارهم كثير من العلماء الذين أخرجوا أنفس المؤلفات فى هذه الناحية ويمكننا أن نعرض عليك أسماء هذه المؤلفات الآتية :

---

(١) ١٣٠ المرجع
(٢) ٧٠ المرجع
(٣) ١٩٥ المرجع
(٤) ص ١٩٨

١ - كتاب الأربعة فى اخبار الشعراء ، وكتاب صناعة الشعر لأبى هفان المهزمى م ١٩٥ ﻫ (١) .

٢ - كتاب الشعر والشعراء لأبى دعامة العبسى أحد من انقطع إلى البرامكة (٢) .

٣ - « « « عبيدة ٢٠٩ ﻫ (٣) .

٤ - طبقات الشعراء لأبى المنعم (٤) .

٥ - كتاب الشعراء لعبيد الله بن أبى سعيد الوراق (٤) .

٦ - « الشعراء للأصمعى م ٢١٦ ﻫ (٥) ، وله كتاب معانى الشعر (٦) ولابن اخته عبد الرحمن كتاب معانى الشعر (٧) وللمفضل كتاب معانى الشعر (٨) ، وكذلك لابن كناسة م ٢٠٧ ﻫ (٩) ، وابن الأعرابى م ٢٣١ (١٠) والأشناندانى م ٢٥٧ ﻫ (١١) وكذلك ابن السكيت (١٢) م ٢٤٤ ﻫ وابن قتيبة (١١٥ فهرست) .

٧ - أخبار الشعراء للمدائنى م ٢١٥ ﻫ (١٣) .

٨ - طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين لمحمد بن سلام الجمحى م ٢٩١ ﻫ (١٤) .

٩ - طبقات الشعراء لاسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدى (١٥) .

١٠ - كتاب الشعراء وكتاب ألقاب الشعراء لأبى حسان الزيادى م ٢٤٣ ﻫ (١٦)

١١ - كتاب الشعراء وأنسابهم وكتاب الشعراء وطبقاتهم لأبى جعفر محمد ابن حبيب م ٢٤٥ ﻫ (١٧) .

---

(١) ٢٠٧ فهرست و ٢٨٨ : ٤ معجم الأدباء (٢) ٧١ فهرست
(٣) ٧٩ فهرست (٤) ١٥٨ فهرست
(٥) ٢٢١ الوسيط (٦) ٨٢ فهرست
(٧) ٨٣ فهرست (٨) ١٠٢ فهرست
(٩) ١٠٥ فهرست (١٠) ١٠٣ فهرست
(١١) ٨٩ و ١٢٣ فهرست (١٢) ١٠٨ فهرست
(١٣) ٣١٦ : ٥ معجم الأدباء (١٤) راجع ٩٥ فهرست
(١٥) ٧٦ فهرست ووالده يحيى م ٢٠٢ ﻫ وأستاذ المأمون
(١٦) ١٦٠ فهرست و ١٤٥ : ٣ معجم الأدباء
(١٧) ١٥٥ فهرست و ٤٧٦ : ٦ معجم الأدباء وله كتاب معانى جرير ١٠٩ فهرست

١٢ — طبقات الشعراء لدعبل م ٢٤٦ ﻫ (١) .

١٣ — الشعر والشعراء لمحمد بن عبد الله الخثعمى (٢) وهو شاعر عاصر البحترى وله كتاب أدب الشعر (٣) .

١٤ — كتاب الشعراء للقاسم بن سلام (٤) .

١٥ — عدة رسائل فى أخبار الشعراء الزبير بن بكار م ٢٥٦ ﻫ (٥) .

١٦ — « « « الشعر والشعراء لحماد بن اسحق الموصلى (٦) .

١٧ — كتاب الشعر والشعراء لابن المرزبان (٧) .

١٨ — « « « وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الأغانى لعمر بن شبة (١٧٢ — ٢٦٢ ﻫ (٨)) .

١٩ — كتاب الشعر والشعراء لأبى جعفر محمد بن أحمد البرقى م ٢٧٤ ﻫ (٩) .

٢٠ — « « « لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٢١٣ — ٢٧٦ ﻫ (١٠) .

٢١ — كتاب أخبار الشعراء لابن أبى خيثمة م ٢٧٩ ﻫ (١١) .

٢٢ — « الشعراء القدماء والإسلامية لأبى الحسن على بن المنجم م ٢٧٥ ﻫ (١٢) .

٢٣ — أخبار الشعراء لمحمد بن يحى بن أبى منصور المنجم (١٣) وهو أخو على بن يحى المنجم .

٢٤ — الجامع فى الشعراء وأخبارهم لأحمد بن أبى طاهر طيفور (٢٠٤ — ٢٨٠ ﻫ) (١٤) .

٢٥ — الشعر والشعراء لأبى حنيفة الدينورى م ٢٨٢ ﻫ (١٥) .

---

(١) ٢٢٨ فهرست و ١٩٧ : ٤ معجم الأدباء (٢) ١٠٩ فهرست

(٣) ٢٤٣ فهرست (٤) ١٠٦ فهرست

(٥) ١٦١ فهرست وميلاد الزبير عام ٢٠٨ ﻫ

(٦) ٢٠٤ فهرست (٧) ٢١٤ فهرست

(٨) ١٦٣ فهرست و ١٩٤ : ٤ معجم الأدباء

(٩) ٣١ : ٢ معجم الأدباء (١٠) ١١٦ فهرست

(١١) ٣٢١ فهرست

(١٢) ٣٠٥ فهرست و ٤٥٩ : ٥ معجم الأدباء و ٥١ : ٢ وفيات

(١٣) ٢٠٥ فهرست (١٤) ٢١٠ فهرست و ١٥٥ : ١ معجم الأدباء

(١٥) ١١٦ فهرست و ١٢٧ : ٤ معجم الأدباء

٢٦ - الروضة والكامل وقواعد الشعر والبلاغة للمبرد (٢١٠ - ٢٨٥ﻫ) (١)

٢٧ - معانى الشعر للبحترى م ٢٨٤ ﻫ ولثعلب م ٢٩١ ﻫ ولثعلب قواعد الشعر أيضاً (٢)

٢٨ - كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين . وكتاب اختيار الشعراء الكبير لأبى عبد الله هارون بن على المنجم (٢٥١ - ٢٨٨ ﻫ) (٣)

٢٩ - طبقات الشعراء لابن نجيم (٤)

٣٠ - الشعر والشعراء لعلى بن مرثد (٥)

٣١ - « « لمحمد بن أحمد بن الحرون وله كتاب المطابق والتجنيس أيضاً (٦)

٣٢ - طبقات الشعراء المحدثين وكتاب أشعار الملوك لابن المعتز م ٢٩٦ ﻫ (٧) وله رسالة فى نقد أبى تمام (٨)

٣٣ - الشعر والشعراء وكتاب الأربعة وكتاب الورقة وكتاب من سمى من الشعراء عمرو ، لابن عبد الله محمد بن داود بن الجراح (٢٤٣ — ٢٩٦) (٩)

٣٤ - كتاب الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين ليحيى بن على المنجم (٢٤١ — ٣٠٠ ﻫ) (١٠) ولابنه أحمد ذيل عليه (١١)

٣٥ - كتاب الاشارة فى أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٢٣٢ - ٣٠٠ ﻫ) (١٢)

---

(١) ٨٨ فهرست وقد جمع فى الروضة أشعار المحدثين من أبى نواس إلى من عاصرهم المبرد راجع ١٢٢ المثل السائر وينقد صاحب العقد اختيارات فى هذا الكتاب — ١٤١ : ٤ العقد

(٢) ١١٠ و ١١١ فهرست (٣) ٢٠٦ فهرست و ٤٨٥ معجم الشعراء و ٢٣٥ : ٦ معجم الأدباء و ١٣١ : ١ وفيات

(٤) ص ٦ طبقات ابن المعتز (٥) ٧١ فهرست

(٦) ٢١٢ فهرست و ٢٧٩ : ٦ معجم الأدباء

(٧) ١٦٩ فهرست و ٢٢١ : ٢ شذرات و ٤٦٣ : ١ وفيات

(٨) ٣٠٨ — ٣١٩ الموشح . ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما خطأ فيه أبا تمام — ٢٠٤ : ٦ معجم الأدباء

(٩) ١٨٦ فهرست ، وورد اسم كتاب الورقة فى الموازنة للآمدى كثيرا « ٥ و ٨ و ٦١ » وكان ابن داود من علماء الكتاب فاضلا عارفا بالأيام والأخبار — ٢٥٥ : ٥ تاريخ بغداد

(١٠) ١٨٥ فهرست و ٢٨٨ : ٧ معجم الأدباء و ٢٠٨ : ٣ وفيات

(١١) ٢٠٦ فهرست

(١٢) ١٧٠ فهرست

٣٦ ـ طبقات الشعراء الجاهليين لأبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحى م ٣٠٥ هـ (١)

٣٧ ـ مناقضات الشعراء لابن بسام م ٣٠٢ هـ (٢)

٣٨ ـ الشعر والشعراء وكتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوى م ٣٢٢ هـ (٣)

٣٩ ـ كتاب صناعة الشعر لأبى زيد البلخى م ٣٢٢ هـ (٤)

٤٠ ـ الشعر والشعراء لابن السراج م ٣١٦ هـ (٥)

٤١ ـ الباهر فى الاختيار من أشعار المحدثين عارض به روضة المبرد والشعر والشعراء (لم يتم) ومحاسن أشعار المحدثين لجعفر بن حمدان الموصلى (٢٤٠ — ٣٢٣ هـ) (٦)

٤٢ ـ أخطاء أبى تمام لأبى العباس الثقفى أحمد بن عبيد الله بن عمار القطربلى الكاتب المعروف بالفريد، أبان فيه أخطاء أبى تمام وما فى شعره من هجين اللفظ وبعيد الاستعارة (٧) ، ونقده الآمدى فى كتاب مستقل (٨) الحقه بالموازنة (٩) ، وتوفى ابن عمار عام ٣١٤ هـ (١٠)

٤٣ ـ كتاب طبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة الأندلسى ذكره الحميدى قريبا من سنة ٣١٠ هـ (١١)

وسوى ذلك من شتى المؤلفات فى هذا الباب

---

(١) ١٦٥ فهرست

(٢) ٢١٤ فهرست و ٤٥ : ٢ وفيات

(٣) ١٩٦ فهرست وللآمدى م ٣٧١ هـ كتاب ما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ وكتاب « تبيين غلط قدامة فى نقد الشعر » ٥٨ : ٣ معجم الأدباء

(٤) ١٩٨ فهرست (٥) ٩ : فهرست

(٦) ٢١٣ فهرست و ٤١٩ : ٢ معجم الأدباء

(٧) ٦٢ الموازنة (٨) ٦٢ — ٦٩ من الموازنة

(٩) ٥٨ : ٣ معجم الأدباء و ١٢٥ الموازنة و ٢٢١ فهرست

(١٠) راجع ترجمته فى ٢٥٢ — ٢٥٣ : ٤ تاريخ بغداد

(١١) ٨ : ٢ كشف الظنون

(٤)

رسالة ابن المعتز فى محاسن شعر أبى تمام ومساويه :

(ا) شغل أبو تمام النقاد طول القرن الثالث والرابع الهجرى ، ألفوا فى سرقاته و نقده . وصنف فيه الصولى م ٣٣٦ ﻫ « أخبار أبى تمام » قاصدا به تبيين فضل الطائى (١) ، و « وازن الآمدى م ٣٧١ ﻫ بينه و بين البحترى مع ميل إلى البحترى و تقديم له ، وللحاتمى م ٣٨٨ ﻫ مناظرة بينه و بين أعرابى حول أبى تمام والبحترى وكان الأعرابى متعصبا للبحترى والحاتمى لأبى تمام (٢) .

وأول من كتب فى نقده ابن المعتز ، فألف فيه رسالته فى محاسن شعره ومساويه ، وقد روى المرزبانى جزءا منها إن لم يكن ما أثبته فى كتابه هو كل الرسالة ، وقد نشرناها فى كتابى « رسائل ابن المعتز » (٣) ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه أبا تمام (٤) ، وللآمدى كتاب فى الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام (٥)

(ب) والرسالة لها قيمتها فى النقد وهى أصل من أصول الموازنة التى اعتمد عليها الآمدى فى نقد شعر أبى تمام

ويقول ابن المعتز فى أولها : « ربما رأيت فى تقديم بعض أهل الأدب الطائى على غيره من الشعراء إفراطا بينا فأعلم أنه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته فى الشعر لما يدعوه إليه اللجاج ، فأما قولنا فيه فإنه بلغ غاية الاساءة والإحسان فكان شعره قوله :

إن كان وجهك لى تترى محاسنه فإن فعلك بى تترى مساويه

ينقد ابن المعتز أبا تمام فيها و يعيبه بفساد المعنى حينا و ببعد الاستعارة وسوء المطابقة أو التكلف الفنى وكثرة الغريب المستكره أو بالحشو فى بعض أساليبه

---

(١) ٦ أخبار أبى تمام (٢) ٢٠ — ٢٧ : ٣ زهر

(٣) ٣٠٧ — ٣١٩ الوشح ، ١٩ — ٣١ رسائل ابن المعتز

(٤) ١٨٨ فهرست ، ٢٠٤ : ٦ معجم الأدباء نشر مرجليوث

(٥) ٨٦ : ٨ معجم الأدباء نشر رفاعى

أو يقدح كثير من ابتداءاته أو بسرقاته الكثيرة أو بتباين أسلوبه أو باسفافه إلى ماسوى ذلك أحيانا أخرى .

وموضوع الرسالة كما يؤخذ من عنوانها ذكر محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، ولكن بحوث ابن المعتز فيها تدل على أنه لم يرد منها إلا ذكر مساويه ، وربما كان ذلك دليلا على أن ما بين أيدينا إنما هو جزء من الرسالة وأن باقيها مفقود ولعله أشار في هــذا الجزء المفقود إلى بعض خصائص أبي تمام التي استحسنها له النقاد .

(٥)

آراؤه الأخرى في النقد

ولابن المعتز اراء كثيرة أخرى في النقد الأدبي تجدها في رسائل ابن المعتز ، فهــو يمدح المحدثين وشعرهم ، لأنه يجب الا يدفــع إحسان محسن عدوا كان أو صديقا ، ويطلب العــدالة في الحكومة الأدبية (١)، وهو يرد على ابن المدبر الذي كان يتعصب على ابي تمام (٢) وهو يشيد بشاعرية البحتري وروائع آثاره الأدبية(٣) وهو فطن بالشعر ممتاز في نقده (٤)

وهو كثير العناية بالبيان والنقد(٥) ، يشيد بالمحدثين كبشار وسواه (٦) . . إلى غير ذلك من آرائه في النقد التي تدلك على كبير مكانته وأثره في هذا الباب .

(٦)

وبعد فابن المعتز علم من أعلام النقد الممتازين في عصره ، وهو رفيع المكانة عظيم المنزلة في هذا الفن ، بل هو أعظم نقاد عصره آثارا وأكثرهم عناية بالبحث في النقد والتأليف فيه ، الف في طبقات الشعراء وفي السرقات وتناول بعض الشعراء وشعرهم بالنقد ، ودرس مشاكل النقد التي أثيرت في عصره وكتب فيها ، ولكنه لم يؤلف كتبا في أصول النقد الأدبي كما فعل قدامة بعده في كتابه « نقد الشعر » الذي رسم فيه خطة محكمة لنقد الشعر استمدت منها البلاغة منهج البحث والتأليف فيها وذلك لا يغض من مكانته في النقد كإمام من أئمته وعلم من اعلامه .

---

(١) ١٣ و ١٤ رسائل ابن المعتز
(٢) ١٢ و ١٣ المرجع
(٣) ٣٣ المرجع
(٤) ١٦ و ١٧ و ٣٨ و ٤٤ المرجع
(٥) ١ رسائل ابن المعتز
(٦) ٣٢ و ٣٤ وما بعدها المرجع

الفصل الثالث

نصوص من آراء ابن المعتز فى النقد

عناية ابن المعتز بالبيان والنقد (١)

قال أبو بكر الصولى(٢) : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبى العباس عبد الله بن المعتز وكان يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته ، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعباً من شعابه ، وأرانا أحسن ماقيل فى بابه ، إلى أن قال : ماأحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر ؟ قال الأسدى (٣) . قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة ⠀⠀ إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

قال أبو العباس : هذا حسن ، وغيره أحد منه ، وقد أخذه من قول ثعلبة ابن صعير المازنى(٤) :

فتذاكرا ثقلا رثيداً بعد ما ⠀⠀ ألقت ذكاء يمينها فى كافر (٥)

---

(١) المرجع ١٢٣ : ٤ زهر وما بعدها

(٢) أديب شاعر مؤلف ناقد توفى سنة ٣٣٥ هـ

(٣) من أساتذة ابن المعتز وهو أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى النحوى الراوية والمتصرف فى فنون الأدب ـ راجع ترجمته فى معجم الأدباء نشر مرجليوث ص ١٣٣ ج ٧ ، وتاريخ بغداد ص ٣٧١ ج ٣

(٤) شاعر صحابى ومن شعراء المفضليات

(٥) نسبه الباقلانى فى إعجاز القرآن للبيد ص ٣٠٠ طبعة السلفية ١٣٤٩ هـ قال : « يريد بيض النعام لأنه ينضد بعضه على بعض » . وفى « الشعر والشعراء لابن قتيبة » نسبته لثعلبة وذكر أنه أخذه من قول لبيد :

حتى إذا ألقت يداً فى كافر ⠀⠀ أو جن عورات الثغور ظلامها

ص ٩ : الشعر والشعراء ط ١٩٣٢ بمصر ؛ والبيت من قصيدة لثعلبة رواها صاحب المفضليات ص ٥١ ط ١٩٣٦ شرح السندوبى ؛ تذاكرا أى الظليم والنعامة ، ورواية المفضليات تذكرا ، والرثيد : أى بيضها المنضود ، من رثد المتاع : نضده فهو رثيد ، وذكاء : الشمس ، والكافر : الليل المظلم لأنه يغطى بظلمته كل شىء

وقول ذى الرمة أعجب إلى منه :

ألا طرقت مى هيوما بذكرها وأيدى الثريا جنح فى المغارب

وقال بعضنا بل قول لبيد أيضا :

ولقد حميت الخيل تحمل شكتى فرط ، وشاحى إن غدوت لجامها

قال أبو العباس : ولكن ينزل عن قول لبيد . وغداة ريح . وقال آخر :

ولو أننى استودعته الشمس لاهتدت إليه المنايا عينها ورسولها

قال أبو العباس : هذا حسن ، وأحسن منه فى استعارة لفظة الاستيداع قول الحصين بن الحمام ، لأنه جمع الاستعارة والمقابلة فى قوله :

نطاردهم نستودع البيض هامهم ويستودعونا السمهرى المقوما(١)

وقال آخر : بل قول ذى الرمة :

أقامت به حتى ذوى العود فى الثرى وساق الثريا فى مــلاءته الفجر

قال أبو العباس : هذا لعمرى نهاية الجودة ، وذو الرمة أبدع الناس استعارة ، وأبرعهم عبارة ، إلا أن الصواب : حتى ذوى العود والثرى ، لأن العود لاينوى مادام فى الثرى(٢) . وقلت . بل قوله(٣) :

ولما رأيت الليل والشمس حية حياة الذى يقضى حشاشة نازع

قال أبو العباس . اقتدحت زندك ياأبا بكر(٤) فأورى ، هذا بارع جدا . وقد سبقه إلى هذه الاستعارة جرير ، حيث يقول :

تحيى الروامس ربعها وتجده بعــد البلى فتميته الأمطار

وهذا بيت جمع الاستعارة والمطابقة ،لأنه جاء بالإحياء والإماتة ،والبلى والجدة،

---

(١) البيت من قصيدة حصين لاقى المفضليات ١٩ — ٢١

(٢) وهذا نقد سبق به الفرزدق النقاد — ١٢٤ : ٤ زهر ؛ ورواية العمدة : ذوى العود والثرى ، قال : فاستعار للفجر ملاءة وأخرجه مخرج التشبيه — ٢٣٩ : ٢ عمدة

(٣) وكان ابن المعتز يقدم ذا الرمة بحسن الاستعارة والتشبيه لا سيما بهذا البيت ٢٤٥ : ١ العمدة ط ١٩٣٤

(٤) هو أبو بكر الصولى الذى روى هذه الرواية الأدبية

ولكن ذا الرمة قد استوفى ذكر الإحياء والإماتة فى موضع آخر ، وهو قوله :

ونشوان من طول النعاس كأنه　　بحبلين فى أنشوطة يترجح

إذامات فوق الرحل أحييت روحه　　بذكرك والعيس المراحل جنح

قال الصولى : فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من أبى العباس ماغاض فيه معينه ، ولم ينهض حتى زودنا من بره ولفظه نهاية ما اتسعت له حاله .

أبو تمام والبحترى فى رأى المبرد (١)

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : حدثنى أبو العباس عبد الله بن المعتز قال : جاءنى محمد بن يزيد المبرد يوما ، فأفضنا فى ذكر أبى تمام ، وسألته عنه وعن البحترى ، فقال : لأبى تمام استخراجات لطيفة ، ومعان طريفة ، لا يقول مثلها البحترى ، وهو صحيح الخاطر ، حسن الانتزاع ، وشعر البحترى أحسن استواء ، وأبو تمام يقول النادر والبارد ، وهو المذهب الذى كان أعجب إلى الأصمعى ، وما أشبه أبا تمام إلا بغائص يخرج الدر والمخشلبة(٢) ، ثم قال : والله إن لأبى تمام والبحترى من المحاسن مالو قيس بأكثر شعر الأوائل ماوجد فيه مثله(٣) .

خصومة أدبية حول أبى تمام

قال الصولى : وحدثنى عبد الله بن المعتز قال : كان إبراهيم فى المدبر(٤) يتعصب على أبى تمام ، ويحطه عن رتبته ، فلاحانى فيه يوما ، فقلت له : أتقول هـــذا لمن يقول :

غدا الشيب مختطا بفودى خطة　　سبيل الردى منها إلى الموت مهيع

وأنشده الأبيات ؟ ولمن يقول :

---

(١) نشرنا هذه الكلمة وهى رأى للمبرد زيادة فى الفائدة

(٢) خرز أبيض يشبه اللؤلؤ

(٣) أخبار أبى تمام للصولى طبعة ١٩٣٧ ص ٩٦ و ٩٧

(٤) كاتب بليغ أسره الزنج بالبصرة عام ٢٥٧ هـ ثم فك سراحه وظل يعمل فى خدمة الدولة حتى توفى عام ٢٧٩ وهو صاحب الرسالة العذراء ، وترجمته فى معجم الأدباء ٢٩٢ — ٢٩٦ جـ ١ نشر مرجليوث

فإن ترم عن عمر تدانى به المدى ... تخالك حتى لم يجد فيك منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة ... فقطعها ثم انثنى فتقطعا

ولمن يقول :

خشعوا لصولتك التى هى عندهم ... كالموت يأتى ليس فيه عار
فالمشى همس والنداء إشارة ... خوف انتقامك والحديث سرار
أيامنا مصقولة أطرافها ... بك والليالى كلها أسحار

وأنشدته غير ذلك ، فكأنى ـ والله ـ ألقمته حجرا (١)

الحكومة الأدبية

قال أبو بكر الصولى : ومن الإفراط فى عصبيتهم على أبى تمام ماحدثنى به عبد الله بن المعتز قال :

حدثت إبراهيم بن المدبر ـ ورأيته يستجيد شعر أبى تمام ولا يوفيه حقه ـ بحديث حدثنيه أبو عمر بن أبى الحسن الطوسى ، وجعلته مثلا له ، قال : وجه بى إلى ابن الأعرابى (٢) ، لأقرأ عليه أشعاراً ، وكنت معجباً بشعر أبى تمام ، فقرأت عليه من أشعار هذيل ، ثم قرأت عليه أرجوزة أبى تمام ، على أنها لبعض شعراء هذيل :

وعاذل عذلته فى عذله ... فظن أنى جاهل من جهله

حتى أتممتها ، فقال : اكتب لى هذه . فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنة هى ؟ فقال : ماسمعت أحسن منها ، فقلت : إنها لأبى تمام ، قال : خرق خرق .

قال عبد الله بن المعتز : وهذا الفعل من العلماء مفرط القبح ، لأنه يجب ألا يدفع إحسان محسن عدوا كان أو صديقا ، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع ، فإنه يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال : « الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك » ، ويروى عن بزرجمهر أنه قال : أخذت من

---

(١) أخبار أبى تمام ص ٩٧ — ٩٩

(٢) إمام من أئمة العربية توفى عام ٢٣١ هـ

كل شيء أحسن ما فيه ، حتى انتهيت إلى الكلب والهرة والغراب والخنزير ، قيل : وما أخذت من الكلب ؟ قال : إلفه وذبه عن حريمه ، قيل : فمن الغراب ؟ قال : شدة حذره ، قيل : فمن الخنزير ؟ قال بكوره فى إرادته ، قيل : فمن الهرة ؟ قال: حسن رفقها عند المسألة ولين صياحها .

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : ومن عاب مثل هذه الأشعار التى ترتاح لها للقلوب ، وتجذل بها النفوس ، وتصغى إليها الأسماع ، وتشحذ بها الأذهان ، فإنما غض من نفسه وطمن على معرفته واختياره ، وقد روى عن عبد الله بن العباس رحمه الله ، أنه قال : الهوى إله معبود ، واحتج بقول الله عز وجل : أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، (١) .

أبو تمام والمبرد

قال أبو بكر الصولى : حدثنى ابن المعتز قال : جانى محمد بن يزيد (المبرد) النحوى فاحتبسته ، فأقام عندى ، فجرى ذكر أبى تمام ، فلم يوفه حقه ، وكان فى المجلس رجل من الكتاب ، مارأيت أحداً أحفظ لشعر أبى تمام منه ، فقال له يا أبا العباس : ضع فى نفسك من شئت من الشعراء . ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ماقاله أبو تمام لأبى المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى يعتذر إليه :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد

وأنشده القصيدة ، فقال أبو العباس (المبرد) : ماسمعت أحسن من هذا قط ، مايهضم هذا الرجل حقه إلا أحد رجلين : إما جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام، وإما عالم لم يتبحر شعره ولم يسمعه ، قال ابن المعتز : ومامات إلا وهو منتقل عن جميع ما كان يقوله ، مقر بفضل أبى تمام وإحسانه (٢)

---

(١) ١٧٥ — ١٧٧ أخبار أبى تمام للصولى طبعة ١٩٣٧

(٢) ٢٠٢ — ٢٠٤ أخبار أبى تمام

أبو تمام وأحمد الخصيب (١)

قال الصولى : وجدت بخط ابن المعتز : صار أبو تمام إلى أحمد بن الخصيب فى حاجة له أيام الواثق ، فأجلسه إلى أن أصابته الشمس ، فقال :

تفافل عنا أحمد متناسيا ذمام عهود المدح والشكر والحمد
نموت من الحر المبرح عنده وحاجاتنا قد متن من شدة البرد

بين ابن المعتز والمبرد

قال أبو بكر الصولى : حدثنى ابن المعتز قال : صار إلى محمد بن يزيد النحوى منصرفا من عند القاضى إسماعيل (٢) ، وكان يجيئنى كثيراً ، إذا انصرف من عنده ، فأعلمنى أن الحارثى ـ الذى يقول فيه ابن الجهم (٣) :

لم يطلعا إلا لآبدة الحارثى وكوكب الذنب

دخل إلى القاضى إسماعيل ، فأنشده شعراً لأبى تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذاً لم أر أحسن منه فى معناه ، وأنه كره أن يستعيده أو يقول له : أكتبه ، لحال القاضى فقلت له : أتحفظ منه شيئا ؟ قال : نعم ، أوله : جعلت فداك عبد الله عندى .. قال ابن المعتز : فأنشدته الأبيات وكنت أحفظها فكتبها بيده (٤) .

أبو تمام والبديع

وقال ابن المعتز : مسلم بن الوليد أول من وسع البديع ، لأن بشار بن برد أول من جاء به ، ثم جاء مسلم فحشا به شعره ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه ، وتجاوز المقدار (٥)

---

(١) ٢٦٩ — ٢٧٠ أخبار أبى تمام

(٢) هو إسماعيل بن إسحاق القتيبى المالكى القاضى توفى ببغداد ٢٨٢ هـ — ٦ : ٢٨٤ تاريخ بغداد .

(٣) شاعر مشهور توفى عام ٢٤٩ هـ

(٤) أخبار أبى تمام ص ١٨٤

(٥) ص ١٠٩ طبقات الشعراء لابن المعتز نشر عباس إقبال وطبع أوربا

نقد ابن المعتز للشعر

قال أبو بكر الصولى : دخلت إلى عبد الله بن المعتز يوما وعنده جماعة ، فرمى إلى بهذه القصيدة (قصيدة ليحيى بن على المنجم) ، وقال : انظر ، أترى فيها لفظة رائعة ، أو معنى مليحا ؟ فقلت له : الأمير ـ أيده الله ـ أعلم بهذا منى ومن جميع الناس . فقال لى : ما فيها لفظة تمر فى طريق الإحسان إلا قوله : والشعر صوب العقول (من بيته) :

والشعر صوب العقول يظهر فى الـ ـندى أفق الإنسان أو حكمه)(١)

فسرق هذا اللفظ ثم أتبعه بما ليس بسرقة ، من لفظه الغث ، وإنما أخذه من قول أبى تمام :

فلو كان يفنى الشعر أفناه ماقرت حياضك منه فى العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

فقلت : لقد جوده أبو تمام وبينه ، وإن كان المعنى أخذه ، قال : وممن أين أخذه ؟ قلت من قول أوس بن حجر :

أقول بما صبت على غمامتى وجهدى فى حبل العشيرة أحطب

فقال ، هاهنا والله أخذه ، وجعلت أعجب من فطنة ابن المعتز بالشعر ، وهذا فى الملوك قليل ، فإذا برع منهم الواحد بعد الواحد ، تقدم الناس ، وخاصة بنو هاشم ، فإنهم أرق الناس أفهاما ، وأدقهم أذهانا ، وأحسنهم طبعاً ، إنما يكفى الواحد منهم قدحه حتى يتأجج ناره(٢) .

بين البحترى وأبى تمام(٣)

وكان البحترى عند عبد الله بن المعتز ، فشكر بعض الأمراء الطاهريين على

---

(١) ما بين القوسين زيادة عن الأصل لتوضيح المعنى ، والقصيدة المتحدث عنها رواها الصولى قبل ذلك فى كتابه الأوراق قسم أخبار المقتدر

(٢) ورقة ٣٦ من الأوراق للصولى فى أخبار المقتدر ـ مخطوط بمكتبة الأزهر ٧٦٣٦ أباظة

(٣) راجع ص ٦ مقدمة ديوان البحترى طبعة سنة ١١٩١

شفاعته فى حاجة للبحترى عند أبى العباس بن الفرات ، بكتاب كتبه له ، فقال له الأمير : وهب لى هذا ، (أفقات) كما قل أبو تمام :

فنقيت بين يديه حلو عطائه   والفيت بين يديه مر سؤاله
وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعة   من جاهه فكأنها من ماله

فقال ابن المعتز : قل معنى لأبى تمام لم يعمل البحترى فى نحوه ، وما أعرف له فى هذا المعنى شيئا ، فقيل له : قد قال (البحترى) لأحمد بن عبد الرحيم الحرانى من أبيات (١) :

وكريم غدا فأغلق كفى   مستميحاً بنعمة من كريم
حاز حمدى وللرياح اللواتى   تجلب الغيث مثل حمد الغيوم

قال (ابن المعتز) : هذا ذاك ، ثم قال لوراقه فكتبهما له... وقال ابن المعتز (٢) أبو تمام كثير الشعر جدا ، وأكثر ماله جيد ، والردىء الذى له إنما يستغلق لفظه فقط : فأما أن يكون فى شعره شىء يخلو من المعانى اللطيفة ، والمحاسن والبدع الكثيرة ، فلا ، وقد أنصف البحترى ، لما سئل عنه ، فقال : جيده خير من جيدى ، ورديئى خير من رديئه ، وذلك لأن البحترى لا يكاد يغلط لفظه ، إنما ألفاظه كالعسل حلاوة ، فأما أن يشق غبار الطائى فى الحذق بالمعانى والمحاسن فهيهات ، بل يغرق فى بحره ، على أن للبحترى المعانى الغزيرة ، ولكن أكثرها مأخوذ من أبى تمام ومسروق من شعره .

نقد لبيت من شعر أبى تمام

وعاب ابن المعتز على أبى تمام تكرار كلمة « أمدحه أمدحه » ، مع الجمع بين الحاء والهاء ، وهما من حروف الحلق ، وذلك فى قوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معى وإذا ما لمته لمته وحدى (٣)

وهذا النقد منسوب لابن العميد ، ونجده منشورا فى أول رسالة الكشف عن

---

(١) راجعها فى ديوان البحترى ص ٢٥٠ : ٢

(٢) ص ١٣٥ طبقات الشعراء لابن المعتز نشر عباس إقبال وطبع أوربا

(٣) مجلة الرسالة مجلد عام ١٩٤٠ من مقال فى الأدب المقارن لفخرى أبو السعود ص ٦١٢

مساوىء شعر المتنبي للصاحب ابن عباد (١) وفي العمدة لابن رشيق أيضا (٢) منسوبا لابن العميد ...

رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساويه (٣)

قال عبد الله بن المعتز في رسالة نبه فيها على محاسن شعر أبي تمام ومساويه : ربما رأيت في تقديم بعض أهل الأدب الطائي على غيره من الشعراء إفراطاً بيناً فأعلم أنه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته في الشعر لما يدعوه إليه اللجاج .

فأما قولنا فيه ، فإنه بلغ غايات الإساءة والإحسان ، فكأن شعره قوله :

إن كان وجهك لى تترى محاسنه فإن فعلك بى تترى مساويه

فما أنكر عليه قوله في قصيدة .

تكاد عطاياه يجن جنونها إذا لم يعوذها بنغمة طالب

ولم يجن جنون عطاياه انتظاراً للطلب ؟ يبتدىء بالجود ويستريح ،وفيها يقول :

يقود نواصيها جذيل مشارق إذا آبه هم ، عذيق مغارب

عنى أنه كثير الأسفار ، فأراد بذلك قول القائل : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب

وقوله في قصيدته التي أولها :

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتاداً عنها كل مرقد

لعمرى لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يبرد

فلم تخرج هاهنا المطابقة خروجا حسنا ، ولا تحسن في كل شيء . وقوله :

لو لم تدارك مسن المجد مذ زمن بالجود والبأس كان المجد قد خرقا (٤)

فقوله « مسن المجد » من البديع المقيت (٥) .

---

(١) ص ٦ و ٧ طبعة ١٣٤٩ (٢) العمدة ١ ٢٥١ : ٢

(٣) ٣٠٧ — ٣١٩ الموشح للمرزباني

(٤) راجع ١١٣ موازنة حيث يعد الآمدي في موازنته البيت من قبيح الاستعارة

(٥) أي المكروه

وقال يصف المطايا :

إرقالها يمضيدها ، ووسيجها سعدانها ، وذميلها تنومها

الإرقال ضرب من السير ، وكذلك الوسيج والذميل ، واليمضيد نبت ، وكذلك السعدان ، والتنوم ، يعني أنه لاعلف لها إلا السير ، وقد سبق إلى هذا المعنى وكسته الشعراء من الكلام أحسن من هذه الكسوة . وقال :

تسعين ألفاً كآساد الثرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

وقد سبق الناس إلى عيب هذا البيت قبلي ، وهو من خسيس الكلام (١) وقال :

شاب رأسي وما رأيت مشيب الـ رأس إلا من فضل شيب الفؤاد

فياسبحان الله ! ! ما أقبح مشيب الفؤاد ، وما كان أجرأه على الأسماع في هذا وأمثاله ، وقال :

كان في الأجفلى وفي النقرى عر فك نضر العموم نضر الوحاد

يقال : « دعاهم الجفلى » إذا دعاهم كلهم فأجفلوا ، ويقال : « دعاهم النقرى » ، إذا دعاهم واحداً واحداً ، وهذا من الكلام البغيض ، والغريب المستكره البدوي ، فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب ؟

وقال في واقعة « بابك » ، انهزم فيها ، ومدح الأفشين :

ولى ولم يظلم ، وما ظلم امرؤ حث النجاء وخلفه التنين (٢)

فلو كان أجهد نفسه في هجاء الأفشين ، هل كان يزيد على أن يسمه التنين ؟ وما سمعت أحداً من الشعراء شبه به ممدوحا بشجاعة ولا غيرها .

وقال في مثل ذلك :

علوا بجنوب موجدات كأنها جنوب فيول مالهن مضاجع

أراد أنهم لايغلبون ولا يصرعون ، كما أن الفيلة لاتضجع ، وهذا بعيد جدا من الإحسان ، وقال :

---

(١) يرد الصولي في « أخبار أبي تمام » على من نقد هذا البيت لأن أبا تمام إنما ذكر « التين والعنب » تهكماً بأهل عمورية الذين قالوا : إن أتام هؤلاء إلى زمان التين والعنب لم يفلت منهم أحد

(٢) ضرب من الحيات

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون : أمذهب أم مذهب(١)

يريد غلبت على مذهبه السماحة ، فكان فيها مذهباً يظنه بعض الناس ، وقال :

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذاً لمات ـ إذ لم يمت ـ من شدة الحزن

فكأنه لو نصر أيضا وظفر ، كان يموت من الغم ، حيث لم ينصر ويقتل ، فهذا معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ فى مثله وقال :

إذا فقد المفقود من آل مالك تقطع قلبى رحمة للمكارم

وهذا قد عيب قبلنا ، وقالوا : تقطع رحمة للمكارم من كلام المخنثين .

وقد كان الناس قبلنا ينكرون على الشاعر أقل من هذه المعايب ، حتى هجنوا شعر الأخطل ، وقدموا عليه بثلاثة أبيات لم يصب فيها ، وهو شاعر زمانه ، وسابق ميدانه من ذلك قوله :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول

فأنكروا عليه فى هذا البيت ما أظهر من الجزع ، وعظم من فعل عدوه به ، وقوله :

بنى أمية إنى ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنا زفر

فعظم قدر عدوه ومن يهجوه ، حتى خوف الخليفة منه ، وقوله :

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فاليوم طير عن أثوابه الشرر

فأراد أن يمدحه فهجاه(٢) ، فكيف نجيز للمحدثين ـ مع تصفحهم لأشعار الأوائل ، وعلمهم بها ـ مثل هذا الجنون ؟ . . نرجع الآن إلى ما ابتدأنا به :

فمن ابتداءاته المذمومة : قوله :

خشنت عليه أخت بنى خشين(٣)

وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء فى مغازلتهن ، وإنما أوقعه فى ذلك محبته ههنا للتجنيس ، وهو بهجاء النساء أولى .

* * *

---

(١) راجع ١٢٢ الموازنة حيث عد الآمدى البيت من قبيح التجنيس

(٢) وكذلك ذكر الآمدى البيت فى الموازنة ص ١٩

(٣) وعده الآمدى من قبح التجنيس ــ ١٢٢ موازنة ، ونقده فى موضع آخر من الموازنة ص ٢٠١ ، وكذلك نقد هذا المطلع صاحب الوشح ــ ص ٣٠٥ و ٣٢٤ الموشح للمرزبانى

وقال :

لما تفوفت الخطوب سوادها ببياضها غنيت به فتفوفا

فسرقه من قول الآخر :

قصر الليالى خطوه فتدانى وثنين قائم صلبه فتحانى
ما بال شيخ قد تخدد لحمه أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء داجية وسحق مفوف وأجد لونا بعد ذاك هجانا

* * *

ومن استعماله الغريب ـ الذى كان يستشبع مثله من العجاج ورؤبة ـ قوله وهو يصف ظبية :

تقرو بأسفله ربولا غضة وتقيل أعلاه كناسا قولفا

أراد ملتفا ، ويقال : الإنسان يقرو الأرض إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها ، والربول : جمع ربل وهو نبات يصيبه برد الليل ونداه فينبت بالمطر ، والكناس : مولج للوحش من البقر والظباء تستظل فيها . وقوله :

أدنيت رحلى إلى مدن مكارمه إلى يمتبل الذ جئت أهتبل

« الذ » بمعنى الذى . وقال :

إذا مشى يمشى الدفقى ، أو سرى وصل السرى ، أو سار سار وجيفا

الدفقى : مشية سريعة ، قال الشاعر :

من الخفرات لا تمشى الدفقى ولا تختال فى الثوب المعار

وقال الطائى فى مثل ذلك :

وقد سد مندوحة القاصعا ء منهم وأمسك بالنافقاء

القاصعاء : جحر اليربوع الأول الذى يدخل فيه ، والنافقاء : موضع يرققه من جحره ، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء ففتحه ،

ولم نعب من هذه الألفاظ شيئا غير أنها من الغريب المصدود عنه ، وليس يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تجاور بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ، فكأنها تشكو الغربة فى كلامهم ، ألا ترون بعد قوله :

قرب الحيا وانهل ذاك البارق والحاجة العشراء بعدك فارق

• • •

ومن قوله فى الغزل :

أيا من شفنى وصبرت حتى ظننت بأن نفسى نفس كلب

ومن قوله :

به عاش السماح ، وكان دهراً من الأموات ميتاً فى اكفانه

وما كان أحوجه إلى أن يستعمل ما مدح به الحسن بن وهب ، حيث يقول :

لم يتبع شنع الكلام ولا مشى مشى المقيد فى حدود المنطق

وقال :

ألا لا يمد الدهر كفاً بسيء إلى مجتدى نصر فتقطع من الزند(١)

فتجاوز حد المدح ولم يجيء بشيء فى ذكر زند يد الدهر . وقال يصف المطايا :

لو كان كلفها عبيـد حاجة يوماً لزنى شـدقما وجـديلا

يعنى : عبيد الراعى ، ما أحسن قوله : ، لزنى شدقما وجديلا ، وما معنى تزنية ناقة أو جمل أو بهيمة ؟ وما أشبه هذا بقول عبيد الراعى :

إلى المصطفى بشر بن مروان ساورت بنا الليل حول كالقداح ولقح

الناقة الحائل : التى لم تحمل تلك السنة ، واللقح : الحوامل ...

تلتها بنا روح زواحل ، وانتحت بأجوازها أيد تجـد وتمزح

الأروح : الذى فى صدر قدمه انبساط ...

فظلت بمجهول الفلاة كأنها قراقير فى آذى دجلة تسبح

لهاميم فى الخرق البعيد نياطه وراء الذى قال الأدلاء تصبح

• • •

وللطائى سرقات كثيرة : أحسن فى بعضها ، وأخطأ فى بعضها ، ولما نظرت فى الكتاب الذى ألفه فى ، اختيار الأشعار ، وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء .

---

(١) راجع الموازنة ص ١١٢

وإنما سرق بعض ذلك فطوى ذكره ، وجعل بعضه عدة يرجع إليها في وقت حاجته ، ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها ، ويقنعوا باختياره لهم ، فتعمى عليهم سرقاته . ولا يعذر الشاعر في سرقته ، حتى يزيد في إضاءة المعنى ، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول ، أو يسنح له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ، ولا يفتضح به ، وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه ، لا فقير إليه .

* * *

وأراد امتداح عبد الحميد بن جبريل ، لجعله طبيباً في قوله :

شكوت إلى الزمان نحول جسمي ... فأرشدني إلى عبد الحميد

وقال في هذه القصيدة :

ولا تجعل جوابك فيه لي (لا) ... فأكتب ما رجوت على الجليد

وإنما مضى المثل بالكتابة على الماء ، فلم يصنع في ذكر الجليد شيئا .

وقال وهو يغوص على المعاني ، ولا يريد أن يعطل بيتاً من كلام مستغلق ، مثل هذا الشعر :

لقد وهب الإمام المال حتى ... لقد خفنا بأن يهب الخلافه
به عاش السماح ، وكان دهراً ... مع الأموات ميتاً في لفافه

وقال: فضربت الشتاء في أخدعيه ... ضربة غادرته عوداً ركوبا (١)

يقال ، عود البعير تعويداً ، وذلك بعد بزوله بأربع سنين ، والعود : الطريق القديم ، قال الراجز :

عود على عود لأقوام أول ... يموت بالترك ويحيا بالعمل (٢)

وقال: سأشكر فرجة اللبب الرخي ... ولين أخادع الزمن الأبي (٣)

وقال: ذلت بهم عنق الخليط ، وربما ... كان الممنع أخدعا وصليفا

فأكثر من ذكر الأخادع ، وقال بعض أصحاب الهزل ، وقد أنشدته هذه

---

(١) راجع الموازنة ص ١١٢
(٢) الموازنة ص ٤٥
(٣) الموازنة ص ١١٢

الأبيات ، ما كان أحوجه إلى أن يعاقب فى أخدعيه على هذا الشعر . وبلغنى أن إسحاق بن إبراهيم المغنى سمعه ينشد شعره ، فقال ، يا هذا لقد شددت الشعر على نفسك ، وقال :

إذا الثلج فى حر الهجيرة لم يذب من الصن والصنبر ذابت فوائده

الصن : أول أيام العجوز ، والصنبر : الثانى ، وسرق هذا المعنى من قول الآخر ، ما أجد فى حق ، ولا أذوب فى باطل ، فأساء السرقة ، وشوه المعنى، وقال :

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا

وقد تقدم إنكار الناس هذا البيت قبلى ، لما بين نصفيه من التباين فى الإساءة والإحسان ، وقال :

بيض إذا اسود الزمان توضحوا فيه ، فغودر ، وهو فيهم أبلق (١)

فهذا من عجائبه أيضاً ، وقال :

بنفسى حبيب سوف يشكلنى نفسى ويحمل جسمى تحفة اللحد والرمس

أراد هنا أن يتدامث ، فازداد من البغض ، وقال فى مثل ذلك :

مازال قلبى منـــذ علقته أعمى من الحرقة ما يبصر

وقال فى مثل ذلك :

وأنا الذى أعطيته محض الهوى وصميمه فأخذت عذرة أنسه

وقال : لم تسق بعد الهوى ماء على ظمإ كماء قافية يسقيكه فهم (٢)

فهذا وأمثاله يفضح نفسه ، ويستغنى عن وصفه ، وقال :

رقت جواهر أجناس الغزال فلو ملكته لشربت الخشف فى الكاس

فانظر ، ما أبغض قوله ثم « الغزل » ، وقال هاهنا « الخشف » فى بيت واحد ، وإنما سرق المعنى من قول أبى العتاهية لمخارق وقد غنى :

رققت حتى كدت أن أحسوكا

* * *

---

(١) راجع ١١٣ موازنة

(٢) راجع نقد الآمدى للبيت « ١١٨ موازنة » .

ومما ينسب إلى التكلف قوله (١) :

قدك اتئب أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجراقى

السجير : الأنيس ، وقوله :

مستسلم لله سائس أمة بذوى تجهضمها له استسلام

يقال : تجهضم الفحل إذا علا أقرانه ، وبعير جهضم الجنبين أى رحبهما ، فى هذا البيت كما ترى تبغض وتكلف . وقال :

فإن صريح الحزم والرأى لامرىء إذا بلغته الشمس أن يتحولا

وليس هذا بشىء ، ربما استطاب الناس التحول إلى الشمس ، وإنما أخذه من كلام العامة « إذا بلغتك الشمس فتحول » ، وقال (٢) :

لا تنشجن لها فإن بكاءها ضحك وإن بكاءك استغرام

يقال : نشج الباكى إذا غص بالبكاء ، والحمار ينشج ، والطعنة تنشج عندخروج الدم مع نفخ ، والقدر تنشج عند الغليان ، وسرق هذا المعنى من قول القائل :

أحقا يا حمامة بطن فوج بهذا الوجد أنك تصدقينا
غلبتك فى البكاء بأن ليلى أواصله وأنك تهجعينا
وأنى إن بكيت بكيت حقا وأنك فى بكائك تسدبينا(٣)

وقال الطائى :

يوم أفاض جوى أغاض تعزيا خاض الهوى بحرى حجاه المزبد(٤)

وهذا من الكلام الذى يستعاذ بالصمت من أمثاله . وقال :

من شرد الإعدام عن أوطانه بالبذل حتى استطرف الإعدام

وسرق هذا المعنى من الأعشى إذ يقول :

هم يطردون الفقر عن جارهم حتى يرى كالغصن الناضر (٥)

* * *

(١) راجع ١٢٨ موازنة

(٢) نقل ذلك الآمدى فى الموازنة مع اختصار « ٥١ الموازنة — صبيح » .

(٣) رواية الموازنة . تكذبينا (ص ٥١)

(٤) راجع نقد الآمدى البيت (١٢٦ موازنة) .

(٥) ويفضل الآمدى فى الموازنة بيت الأعشى على بيت أبى تمام (ص ٥٦ الموازنة) .

وقد أسقطنا من معايب شعره شيئاً كثيراً لم نثبته فى رسالتنا هذه ، وقصدنا من ذلك مايبهر الحجة ، ويفل حد النصرة .

* * *

وقال : كأن به غداة الروع ورداً وقد وصفت له نفس الشجاع

الورد : اسم من أسماء الحمى ، يقال له : رجل « مورود » إذا كان محموما ، قال الشاعر :

إذا ذكرتك النفس ظلت كأنما عليها من الورد التهامى أفكل

الأفكل : الرعدة ، أراد كأن به حمى ، وقد وصفت له نفس الشجاع يتعالج بها .

ومن العجائب قوله :

فدى له مقشعر حين تسأله خوف السؤال كأن فى خده وبر

وقوله : مازال يهذى بالمكارم والعلا حتى ظننا أنه محموم (١)

وقال فى وصف الفرس :

إمليسه إمليده لو علقت فى صهونيه العين لم تتعلق

سرقه من امرىء القيس حيث يقول :

« متى ما ترق العين فيه تسفل »

وبيت امرىء القيس أصح معنى ، لأنه أراد أن العين إذا صعدت فيه صوبت إشفاقا عليه من أن تصيبه ، خبرنى بذلك أبو سعيد (٢) ، وأراد الطائى أن العين لاتتعلق به من انتقال لونه واملاسه ، فأفرط ولم يصنع شيئا ، الإمليد والأملد : الناعم . قال الراجز :

« بعد التصابى والشباب الأملد »

---

(١) يقول الصولى فى أخبار أبى تمام : عابوا هذا البيت فلم لم يعيبوا إذاً قول أبى نواس :

جدت بالأموال حتى قيل ما هذا صحيح

أى عاقل ؛ وقوله : جدت بالأموال حتى حسبوه الناس حمقا

وقول الشاعر : بطل تناذره الكماة كأنه مما يدل على الفوارس أحمق

(٢) أبو سعيد محمد بن هبيرة الغاضرى النحوى الأسدى من أساتذة بن المعتز وتوفى فى أوائل القرن الرابع

ومن عجائبه أيضا قوله :

ذعرتها النوى فأسبلت الد   مع على الخد من تلاع المآقى

وقوله : ولا أرى ديمة أكفى لنائبة   منه على أن ذكراً طار للديم

مجد رعى تلعات الدهر وهو فتى   حتى غدا الدهر يمشى مشية الهرم

وفى هذه يقول :

كان الزمان بكم كلباً فغادركم   بالسيف والدهر فيكم أشهر الحرم

لا تجعلوا البغى ظهرا إنه جمل   من القطيعة يرعى وادى النقم

نظرت فى السير الأولى خلت فإذا   أيامه أكلت باكورة الأمم

وقال : والحرب تعلم حين تجعل غارة   تغلى على حطب القنا المحطوم

وسرق هذا المعنى من شعر لدرة بنت أبى لهب فى يوم الفجار ، وهو

ملمومة خرساء يحسبها   من رامها موجاً من البحر

والجرد كالعقبان كاسرة   تهوى أمام كتائب خضر

فيهم ذعاف الموت أبرده   يغلى بهم وأحره يجرى

وقال الطائى :

أبا جعفر إن الجهالة أمها   ولود وأم الحلم جداء حائل

الجداء : المنقطعة النسل ، وسرق هذا المعنى من قول الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخا   وأم الصقر مقلاة نزور

قال الخليل : البغاث طير كالبواشق لا تصيد شيئا ، والواحدة بغاثة ، وتجمع أيضا على البغثان ، الإقلات : أن تضع الناقة واحداً ، ثم يقلت رحمها فلا تحمل ، ويقال : امرأة مقلاة ، ونسوة مقاليت . وقال :

سدك الكف بالندى عائر السمـ   ـع إلى حيث صرخة المكروب

السدك : المولع بالشىء فى لغة طيىء ، قال شاعرهم :

وودعت القداح وقد أرانى   بها سدكا وإن كانت حراما

ويقال : إنه سدك بالرمح ، أى رفيق به سريع . فوجدناه قد سرق هذا من بيت لبعض الشعراء ، مدح به يحيى بن خالد البرمكى ، وهو :

رأيت يحيى حين ناديته متصل السمع بصوت المناد

وهو أجود من بيت الطائى ، وأسلم من التكلف ، وأمشى فى الإحسان . وقال :

جعلت الجود لألاء المساعى وهل شمس تكون بلا شعاع ؟

كاد البيت أن يكون جيداً ، لولا أن فى لألاء المساعى بغضا . وقال :

مازال يبرمهن حتى إنه ليقال ماخلق الإله سحيلا

انظر كيف ضعف القول ، واضطرب ، قبحه الله . وقال يصف قصيدة :

لجملت قيمها الضمير ومكنت منه فصـــارت قيما للقيم

هذا وأمثاله مما أنكره عليه إسحاق بن إبراهيم ، حتى قال له : لقد شددت على نفسك

وقال : فهو غض الإباء والرأى والحز م ، وغض الندا وغض الشباب

ولا والله ماأدرى مامعنى « غض التأبى ولا غض الرأى » ، فى المديح .

وقال فى الغزل ، فلعن الله من واصله من الأحباب ، على هذا وأمثاله :

ومن قد شفنى فصبرت حتى ظننت بأن نفسى نفس كلب

وقال :

جحدت الهوى إن كنت مذ جم الهوى محاسنه شمسى نظرت إلى الشمس

وقال : كيف يصد الدمع عن جريه من عينه من جريه منخل

وقال : لياليا بالرقتين وأرضها سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

وقال : إن الأشاء إذا أصاب مشذب منه اتمهل ذرى وأث أسافلا

الشذب : قشر الشجر ، والشذب : المصدر ، والفعل يشذب ، وهو القطع ، وكذلك تنحية الشىء ، والشوذب : الطويل من كل شىء ، قال رؤبة :

« شذب أخراهن عن ذات البهق »

وذات البهق موضع . اتمهل ذرى ، يريد ، طال ذرى ، والأشاء . صغار النخل والواحدة أشاءة ، ويقال : أث يئث أثاثة ، وهو نعت يوصف به كثرة الشعر والنبات ، وهذا من غريبه الشنع . ومن ذلك قوله :

طالت يدى لما بلغتك سالما وأنحت عن خدى ذاك المعظم

العظلم : عصارة شجر ربما دبغت به الجلود ، أفترى لو قال هذا رؤبة والعجاج يكونان فيه بغيضين ثقيلين ، وهجا دعبا عنده فقال :

والله لو ألصقت نفسك بالثرى في (كلب)(١) لاستيقنت ألا تلصق

فأى شىء هذا من هجاء الفحول ؟ ولو تهاجت به الحاكة لما أمضت . وقال :

وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقطب لها كف قاطب

سرقه من قول أبى نواس :

وركب تساقوا على الأكوار بينهم كأس الكرى فانتشى(٢) المسقى والساقى

المطبوعون الأربعة

قال ابن المعتز(٣) : وأبو عيينة بن محمد بن أبى عيينة المهلبى(٤) ، أحد المطبوعين الأربعة ، الذين لم ير فى الجاهلية والإسلام أطبع منهم ، وهم : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد (الحميرى) وأبو عيينة .

العباس بن الأحنف(٥)

كان ابن المعتز يقول : لو قيل لى أى شعر أحسن ما تعرفه ؟ لقلت قول العباس ابن الأحنف(٦) :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدرى أنه صدقا

---

(١) اسم قبيلة .

(٢) ويروى : فانتشى

(٣) ١٣٧ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٤) شاعر عباسى بصرى ، مطبوع ظريف غزل هجاء ٢٧٥ : ٧ مهذب الأغانى .

(٥) ٤٦٢ : ١ ابن خلكان طبعة ١٢٩٩ هـ . وهذه برواية الصولى عن ابن المعتز وهى فى الأغانى أيضا جـ ٨ ص ٢٣ .

(٦) شاعر عباسى غزل توفى سنة ١٩٢ هـ .

بشار

كان بشار شاعراً مجيداً مفلقا ظريفا محسنا(١) ، وكان أستاذ أهل عصره من الشعراء غير مدافع ، يجتمعون إليه وينشدونه ويرضون بحكمه ، وتشبيهاته — على أنه أعمى لايبصر — من كل ما لغيره أحسن(٢) ، وكان بشار يعد فى الخطباء والبلغاء ، ولا أعرف أحداً من أهل العلم والفهم دفع فضله ولا رغب عن شعره .. وكان شعره أنقى من الراحة ، وأصفى من الزجاجة ، وأسلس على اللسان من الماء العذب(٣) .

أبو نواس

قال ابن المعتز : وروى عن أبى هفان قال : كان أبو نواس آدب الناس وأعرفهم بكل شعر ، وكان مطبوعا لا يستقصى ولا يحلل شعره ولا يقوم عليه ، ويقوله على السكر كثيرا ، لذلك يوجد فيه ماهو فى الثريا جودة وحسنا وقوة ، وما هو فى الحضيض ضعفا وركاكة(٤) ، وكان أبو تمام شغوفا بشعر مسلم وأبى نواس(٥) ..

الحسين بن الضحاك

هو أحد المفتنين فى الشعر ، جيد المدح ، جيد القول ، جيد الهجو ، جيد المجون ، صاحب جد وهزل ، وهو عندهم فى نجار أبى نواس ، بل هو أنقى شعرا وهو غلام أستاذه والبة(٦) .

قدرة ابن المعتز على التشبيه

وكان يقول : إذا قلت « كأن » ولم آت بعدها بالتشبيه ففض الله فاى (٧) .

---

(١) ص ٢ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٢) ص ٣ المرجع نفسه .

(٣) ص ٤ المرجع نفسه .

(٤) ص ٨٧ المرجع نفسه .

(٥) ص ١٣٤ المرجع نفسه .

(٦) ١٢٨ المرجع نفسه .

(٧) ٦٩٣ : ١ دائرة معارف البستانى ، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص طبعة ١٣١٦ هـ ، ومقدمة ديوانه

شاعرية البحترى

وقال ابن المعتز : لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته فى إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها وقصيدته فى وصف بركة المتوكل لكان أشعر الناس (١) .

قال الصولى : سمعت عبد الله ابن المعتز يقول : لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته فى وصف إيوان كسرى - فليس للعرب مثلها - وقصيدته فى صفة البركة « ميلوا إلى الدر من ليلى نحييها » ، واعتذاراته فى قصائده للفتح بن خاقان التى ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته فى دينار بن عبد الله (٢) التى وصف فيها ما لم يصفه أحد قبـــله وهى التى أولها « ألم ترتغليس الربيع المبكر » ، وصفة حرب المراكب فى البحر ، لكان أشعر الناس فى زمانه ، فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ، ورقة تشبيبه (٣) فى قصائده (٤). وكان كثيرما ينشد ويعجب من جودته :

إذا زجر النوتى فوق علاته رأيت خطيباً فى ذوابة منـــبر

(إلى آخر هذه القصيدة) (٥) .

حول أبى الشيص

قال عبد الله بن المعتز : قال لى أبو خالد العامرى : من أخبرك أنه كان فى

---

(١) ٥٠٢ العصر العباسى للأستاذ محمود مصطفى طبعة ١٩٣٧ .

(٢) القصيدة فى ديوان البحترى « ص ٢٢ - ٢٤ : ٢ طبعة ١٩١١ » يمدح بها كما فى الديوان أحمد بن دينار بن عبد الله ويصف مركبا كان اتخذه وهو والى البحر وغزا فيه بلاد الروم . فنى مانقلته عن ديوان المعانى تحريف ، والصواب « فى ابن دينار » - ويشير إليها ابن الأثير فى المثل السائر ص ٣٢٣ .

(٣) فى الأصل : تشبيهه .

(٤) ٢١٨ : ١ ديوان المعانى لأبى هلال نشر القدسى ط ١٣٥٢ هـ ، ٦٣ و ٦٤ : ٢المرجع نفسه ، ٧ و ٨مقدمة ديوان البحترى طبعة مصر ١٩١١ م

(٥) ٦٤ : ٢ ديوان المعانى . وهى فى ديوان البحترى ص ٢٣ : ٢

الدنيا أشعر من أبي الشيص (١) فكذبه ، والله لكأن الشعر أهون عليه من شرب الماء على العطشان (٢) ، كان أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك (٣) . قال عبدالله ابن المعتز : وليس توجد هذه الصفات في ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد (٣) .

العلوي الشاعر

وكان عبد الله بن المعتز لهجا بذكر أبي الحسن محمد بن طبا طبا العلوي ـ وهو شاعر عالم ولد ومات بأصفهان عام ٣٢٢ هـ ـ مقدما له على سائر أهله ، وكان يقول : ما أشبهه في أوصافه إلا محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، إلا أن أبا الحسن أكثر شعرا من المسلمي ؛ وليس في ولد الحسن من يشبهه ، بل يقاربه (٤) .

ربيعة الرقي

وقال ابن المعتز : كان ربيعة الرقي أشعر غزلا من أبي نواس ، لأن في غزل أبي نواس بردا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل (٥) . وقال : وشعر ربيعة الرقي في الغزل يفضل على أشعار هؤلاء من أهل زمانه جميعا ، وعلى كثير ممن قبله ، ولا أجد أطبع ولا أصح غزلا من ربيعة (٦) .

أربعة شعراء

وكان ابن المعتز يقول . أربعة من الشعراء سارت أشعارهم بخلاف أفعالهم .

---

(١) شاعر عباسي مطبوع توفي سنة ١٩٦ هـ .

(٢) هامش ص ٧٠ : ٣ من البيان والتبيين للجاحظ طبعة ١٩٢٧ ، ٢٤٦ : ٧ مهذب الأغاني ط ١٩٢٦ .

(٣) ٢٤٦ : ٧ مهذب الأغاني .

(٤) معجم الأدباء نشر مرجليوث ٢٨٥ : ٦ .

(٥) الأغاني ٣٧ : ١٥ ، آداب اللغة لزيدان ٩٣ : ٢ .

(٦) طبقات الشعراء لابن المعتز نشر عباس إقبال ص ٧٠ .

فأبو العتاهية : سار شعره بالزهد وكان على الإلحاد . وأبو نواس : سار شعره باللواط ، وكان أزنى من قرد . وأبو حكيمة الكاتب : سار شعره بالعنة وكان أهب من تيس ، ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة ، وكان أحرص من كلب (١) .

شعر أبي تمام

وقال الآمدى فى الموازنة : أنشد أبو العباس ابن المعتز فى كتاب «سرقات الشعراء» لسلم الخاسر ، يعيبه بردىء الاستعارة فى قوله يرثى موسى الهادى :

لولا المقابر ماحط الزمان به لا ، بل تولى بأنف كله دامى

وقال : هـذا ردىء كأنه من شعر أبى تمام الطائى (٢) .

ابن مناذر (٣)

وقال الآمدى : ذكر أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتابه المؤلف فى «سرقات الشعراء ومعانيهم» ، عن العنزى عن السلمى الزارع عن ابن أبى عائشة ، قال :

قال أبو العتاهية لابن مناذر : إن كنت أردت بشعرك العجاج ورؤبة فما صنعت شيئا ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا (٤) .

(١) ٢٢٤ : ٢ شذرات الذهب ، ٤٦٢ : ١ ابن خلكان طبعة ١٢٩٩ هـ .

(٢) ١٢٠ موازنة ، وذكر بعض هذه الرواية فى تاريخ النقد الأدبى عند العرب لطه إبراهيم ص ١٨٥ ط ١٩٣٧ .

(٣) ١٢٩ موازنة.

(٤) واجع الرواية بتفصيل فى الأغانى ٣ : ١٦٥ .

مسلم بن الوليد (١)

وقال ابن المعتز : لايتفق لشاعر مثل ما اتفق لمسلم فى هـذا المعنى فى ألف سنة وهو قوله :

وإنى وإسماعيل حين فقدته   لكالغمد يوم الروع فارقه النصل
فإن أغش قوماً بعده أو أزورهم   فكالوحش يدنيها إلى الأنس المحل

أحسن الشـــعر

قال ابن المعتز : قيل لمجنون : ما أحسن الشعر ؟ قال : مالم يحجبه عن القلب شيء (٢) .

حول أبى تمام

قال صاحب الموازنة (٣) ، قال ذو الرمة يصف الحمار :

إذا شم أنف الصيف ألحق بطنه   مراس الأواسى وامتحان الكرائم

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعراء : وهذا البيت غر الطائى حتى أتى بما أتى به (٤) ، وإنما أراد ذو الرمة بقوله « أنف الصيف » كقولهم « أنف النهار » أى أوله ، قال امرؤ القيس :

قد عدا يحملنى فى أنفه   لاحق الأطلين محبوك ممر

وقوله « فى أنفه » : أى فى أول جريه ، قال صاحب الموازنة : ويقال فى أنفه أى فى أنف الغيث الذى ذكره فى أوله ، يقول : لم يطأ هذا الغيث أحد قبلى ، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس .

---

(١) هامش ص ١٧٥ وساطة

(٢) العمدة ٣٠١ : ١ ط ١٩٣٤ ، وراجع أصل الرواية فى البديع لابن المعتز ص ٣٨

(٣) راجع الموازنة ص ١١٧

(٤) أى من استعارات قبيحة .

آل مروان ومكانتهم فى الشعر (١)

قال الصولى : كنا يوما عند عبد الله بن المعتز ، فقرأ شعر لمتوج بن محمود بن مروان الأصغر بن أبى الجنوب بن مروان الأكبر ، وكان شعرا رديئاً جداً فقال : أشبه لكم شعر آل أبى حفصة ، وتناقصه حالا بعد حال ، فقلنا : إن شاء الأمير ، فقال : كأنه ماء أسخن لعليل فى قدح ، ثم استغنى عنه ، فكان أيام مروان الأكبر على حرارته ، ثم انتهى إلى عبد الله بن السمط ، وقد برد قليلا ، ثم إلى إدريس ابن أبى حفصة وقد زاد برده ، وإلى أبى الجنوب كذلك ، وإلى مروان الأصغر وقد اشتد برده ، وإلى أبى متوج هذا وقد ثخن لبرده ، وإلى متوج هذا وقد جمد فلم يبق بعد الجمود شىء .

حـــول شعر لذى الرمة

ذكر ابن رشيق بيت ذى الرمة :

كأن البرى والعاج عيجت متونه   على عشر نهى به السيل أبطح (٢)

وقال ، قال ابن المعتز : نهى به السيل أى بلغ به إليه فهو أنعم له وأكثر لدونة . وأنا أقول : معناه ترك به السيل نهياً ، وهو الغدير ، وذلك أتم لما أراده ابن المعتز . اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك ، فإنه أتم وأجود (٣) وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه (٤) .

أبو الهندى

وقال ابن المعتز : وكان شعر أبى الهندى كله حسنا جيداً لا سيما إذا قال فى الشراب (٥) وكان جماعة مثل أبى نواس والخليع وأبى هفان وطبقتهم ، إنما

---

(١) ٣٠٣ الموشح ، ١١٦ و١١٧ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٢) راجع شرحه فى هامش ص ٥٧ من البديع لابن المعتز طبعة ١٩٤٥ .

(٣) ١ : ٢٩٣ عمدة .

(٤) العمدة ٢٤٥ : ٢ .

(٥) ص ٦٠ طبقات الشعراء لابن المعتز .

اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الهندي ، وبما استنبطوا من معاني شعره (١)

نقـــد (٢)

وقال الصولي ، قال لي يوما ابن المعتز ، من أين أخذ أشجع قوله :

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

فقلت من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

فقال : أصبت ، هكذا هو .

امرؤ القيس (٣)

قال عبد الله بن المعتز ، عيب على امرىء القيس قوله :

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل

قال : وقالوا : إذا لم يغرها هذا ، فأي شيء يغرها ؟ قال : وإنما هذا كأسير قال لمن أسره . « أغرك مني أني في يديك » ، ونحوه قول جرير :

أغرك مني أنما قادني الهوى إليك وما عهد لكن بدائم

قال : وعابوا على امرىء القيس :

لها ذنب مثل العروس تسد به فرجها من دبر

وقالوا : ذيل العروس مجرور ، ولا يجب أن يكون ذنب الفرس طويلا مجروراً ، ولا قصيراً(٤) ، قالوا . والصواب قوله :

---

(١) ٦١ المرجع السابق .

(٢) ٨٣ و٨٤ الأوراق قسم أخبار الشعراء الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ .

(٣) الموشح للمرزباني ص ٣٤ وما بعدها طبعة السلفية عام ١٣٤٣ .

(٤) رد الآمدي في الموازنة هذا النقد وراجع ص ١٦٠ من الموازنة ؛ ثم قال : وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرىء القيس فيما بينته من سهو أبي العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرىء القيس من الغلط في كتابه الذي جمع فيه « سرقات الشعراء » ص ١٦١ الموازنة .

ضليع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

قال : وذكروا أن الأصمعى عاب عليه قوله :

وأركب فى الروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر

وقال : إذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريما ، والجيد الاعتدال ، كما قال عبيد :

مضبر خلقها تضبيرا ينشق عن وجهها السبيب

قال : وقال مؤدبى أبو سعيد محمد بن هبيرة فى قول امرىء القيس :

وللسوط منها مجال كما تنزل ذو برد منهمر

وهذا أيضا ردىء ، مالها وللسوط ؟ قال : وعيب عليه قوله :

« فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها »

ثم قال : وهل عند رسم دارس من معول ؟

قال : ومثله قول زهير :

« قف بالديار التى لم يعفها القدم »

ثم قال : بلى وغيرها الأرواح والديم

فذكرت الرواة أنه أكذب نفسه ، وقال أبو سعيد مؤدبى : وأخس من إكذابه نفسه أن يكون جعل عفوها خلوها ممن أحبته ، ومع خلوها منهم فقد غيرتها الأمطار(١) .

قال : وعيب على امرىء القيس قوله :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فانسلخ البيت الأول بوصف الليل ، من غير أن يذكر ماقال ، وجعله متعلقا بما بعده وذلك معيب عندهم .

قال : وعيب أيضا على امرىء القيس لجوره وعهره فى شعره كقوله :

---

(١) يرد صاحب العقد الفريد على هذا النقد فى كتابه « ٤١٦ : ٣ العقد طبعة ١٩٢٨ » ، ويعد علماء البديع مثل هذا لونا من ألوان البديع يسمونه « الرجوع » .

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذى تمائم محول
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتى شقها لم يحول

وقالوا : هذا معنى فاحش .

النابغـــة (١)

قال عبد الله بن المعتز : عيب على النابغة قوله فى وصف النعام :

« مثل الإماء الغوادى تحمل الحزما »

قال الأصمعى : إنما توصف الإماء فى هذا الموضع بالرواح لا بالغدو ، لأنهن يجئن بالحطب إذا رحن ، وأنشد للأخنس بن شهاب :

تظل به ربد النعام كأنها ... إماء تزجى بالعشى حواطب

لأن النعامة إذا خفضت عنقها ومشت كانت أشبه شىء بماش وعلى ظهره حمل .
وعابوا قول النابغة أيضا :

وكنت امرأ لا أمدح الدهر سوقة ... فلست على خير أتاك بحاسد

قال (ابن المعتز) : قالوا كيف يحسده على ما قد جاد به له .
قال : وعابوا قوله : « فاحكم كحكم فتاة الحى » .
وقالوا : أمره أن يحكم كحكم امرأة .
قال : وعابوا عليه اختلاف القوافى فى الإعراب ، وذلك قوله :

« يا بؤس للدهر ضرارا لأقوام »

وقوله : « لا النور نور ولا الإظلام إظلام »
وقوله : « غير مزود » ، ثم قال : « الغراب الأسود » .

زهير (٢)

قال عبد الله بن المعتز : حكى عن ابن سلام أنه قال : مما قدم به زهير على

---

(١) الموشح ص ٤٣ وما بعدها
(٢) الموشح ص ٤٧ وما بعدها .

الشعراء أنه كان أبعدهم من سخف ، وأشدهم اجتنابا لحوشى الكلام ، فأى شىء نصنع بقوله :

ولولا عسبه لرددتموه وشر منيحة أير معار
إذا جمعت نساؤكم إليه أشظ كأنه مسد مغار

أشظ : قام . قال : فهذا السخف . وأما حوشى الكلام فقوله :

« فلست بخلوج ولا بعملج »

يريد الدعى ، وقيل : الخلوج البليد ، والعملج الأحمق . وقوله :

« بنهكة ذى قربى ولا بحقلد »

والحقلد : السيء الخلق ، وقيل القصير الجبان .
قال : وعابوا عليه قوله فى الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع ، يخفن الغمر والغرقا

لأن الضفادع لا تخرج من الماء لأنها تخاف الغمر والغرق ، وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ .

قال : وأنكروا عليه قوله :

« ماء بشرق سلمى فيد أو ركك »

لأنه حكى عن بعض الأعراب أنه قال : إنما هو « رك » .
قال : وقال مؤدبى أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى فى قول زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

إنه كان يسمع من المشايخ يقولون : هذا بيت زندقة ، وهو بعيد من أبياته التى يقول فى بعضها :

فيرفع فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

قال : وأعجب من زهير خطأ فى هذا المعنى ـ لأن زهيرا كان جاهليا كافرا ـ زياد بن منبع النصرى ، فى سرقته هذا المعنى ، لأنه فى أكبر ظنى مسلم ، حيث يقول :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب يعمر حرضا من عركها بالكلاكل

الأعشى (١)

قال عبد الله بن المعتز : عابوا على الأعشى قوله :

ونبئت قيسا ولم آته   وقد زعموا ساد أهل اليمن

فعابوه بهذا الشك ، ويقال إن قيسا أنكر ذلك عليه ، لجهل مكان « وقد زعموا » على نأيه » . قال : ومما استضعف من معانيه قوله :

فرميت غفلة عينه عن شاته   فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقد عابه قوم بذلك ، لأنهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردد كثيراً فى الشعر ، عند ذكر الهوى والمحبة والشوق ، وما يجده المغرم فى هذه الأعضاء من الحرارة والكرب ولم يجدوا الطحال استعمل ، إذ لاصنع له فيها ، ولا هو مما يكتسب حرارة وحركة ، فى حزن ولا عشق ، ولا برداً وسكونا فى فرح أوظفر ، فاستهجنوا ذكره .

قال : وعابوا عليه الإبطاء فى قوله :

« وهل تطيق وداعا أيها الرجل ؟ »

وقوله :   « ويلى عليك وويلى منك يارجل »

قال : وعابوا عليه استعماله الألفاظ الأعجمية فى شعره ، وأنكروا عليه :

لو أسندت ميتا إلى نحرها   عاش ولم ينقل إلى قابر

قال : وأخبرنى بعض شيوخنا أنه أدرك الناس وهم يزعمون أن هذا البيت أكذب بيت قالته العرب .

حول امرىء القيس

وروى ابن المعتز قول الأخطل :

تدب دبيبا فى العظام كأنها   دبيب نمال فى نقا يتهيل

---

(١) الموشح ص ٥٦ وما بعدها .

وقول أبي الهندي :

ولها دبيب في العظام كأنه　　فيض النماس وأخذه في المفصل

ثم قال : قال أبو العباس (ابن المعتز) وذاكرني أمير المؤمنين المعتضد بالله فقال لي : من أين أخذه أبو الهندي ؟ فقلت من قول منصور بن بحر في وصف سيف :

وكأن موقعه بجمجمة الفتى　　خدر المدامة أو نعاس الهاجع

قال لي : أحسنت ، فمن أين أخذه الأخطل ؟ فقلت : لا علم لي يا أمير المؤمنين ، فقال : أول الناس إحسانا في وصف لطف الدبيب امرؤ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها　　سمو حباب الماء حالا على حال

فقلت يا أمير المؤمنين : من هنا والله أخذ القوم أجمعون هذا المعنى وأوردوه بألفاظ مختلفة(١)

مجلس نقد(٢)

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : سألت محمد بن يزيد(٣) عن قول المسيب ابن علس :

وصهباء تستوشي بذي اللب مثلها　　قرعت بها نفسي إذا الديك أعتما

تمززتها صرفا وقارعت دنها　　بعــود أراك هزه فترنما

فلم يجب فيه بجواب أرتضيه . ثم سألت عنه أبا أحمد عبيد الله(٤) بن عبد الله ابن طاهر في دار أمير المؤمنين المعتضد بالله(٥) ، فقال لي معنى « تستوشي » أي تستخرج ما عند ذوي اللب ، مثلها به ، وذلك كما تقول : استوشيت الحديث من فلان ، أي استخرجته ، وقوله « قرعت بها نفسي » أي شربتها فقرعتني ، ويقال « ابتدأت بها نفسي » ، ويروى أيضا مثلها . ثم وقف عن تفسير « قارعت دنها »

---

(١) ص ٢٠ و ٢١ فصول التماثيل ط ١٩٢٥ .

(٢) راجع فصول التماثيل في تباشير السرور لابن المعتز ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) هو المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ .

(٤) شاعر أمير توفى سنة ٣٠٠ هـ .

(٥) تولى الخلافة من عام ٢٧٩ إلى عام ٢٨٩ هـ .

وخرج أمير المؤمنين من دار الخلوة ونحن فى المنازعة ، فأمر بكتب رقعة إلى أبى العباس أحمد بن يحى(١) ، فورد الجواب مسنداً عن أبى عمرو بن العلاء أن المعنى ضربت دنها بهذا العود فإذا طن علمت أنى قد شربت مافيه وفرغته ، وعن الأصمعى أن المعنى ، أنى غنيت ووقعت بعود الأراك على الدن فترنم ، أى رفع صوته ؛ وأنشدنا أمير المؤمنين قولى الحكمى (٢) ـ وسألنا عن المعنى فيه ـ :

ياشقيق النفس من حكم   نمت عن ليلى ولم أنم
فاسقنى البكر التى اختمرت   بخمار الشيب فى الرحم

فقال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : غثاء الزبد الطافى على الشراب فى رأس الدن ، فقال ابن حمدون : ياأمير المؤمنين إن الشراب يطفوا عليه فى الدن شىء أبيض ، فلعله أراد معناه ، وقال ابن الطيب : عنى يا أمير المؤمنين نسج العنكبوت على الدن ، فقال : ماتقول ياعبد الله ؟ فقلت : الصواب لا يخرج عن أحد هذه الوجوه ياأمير المؤمنين . فقال لنا : قرأت بخط المأمون أن الكرم أول مايجرى فى عوده الماء يبدو فيه نقط ، فجعلها الحكمى قناعا من الشيب لبياضها وهى بعد فى ضمير القضيب ، وكتبناه بأجمعنا عن المأمون (٣) .

حول التصحيف

قال أبو بكر الصولى : قال لنا عبد الله بن المعتز يوما وليس معنا يحى بن على المنجم : أما تعلمون أن أبا عمرو بن العلاء والأصمعى وأبا عبيدة وسائر علماء البصرة والكوفة قد حكى عنهم غلط وتصحيف ؟ كما يقال : إنما العالم من أحصى غلطه وزلله . قلنا له نعم ، مامن أحد إلا وقد حفظ عليه شىء من ذلك .

---

(١) هو ثعلب المتوفى عام ٢٩١ هـ .

(٢) أبو نواس الشاعر المتوفى سنة ١٩٨ هـ .

(٣) وقد اختلف فى معنى البيت أيضا بحضرة الرشيد ، فقيل المراد بخمار الشيب فى الرحم أن الخمر تكون فى جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها ، وقيل غيرذلك ، وقال الأصمعى : إن أبا نواس ألطف خاطرا من هذا وأسد غرضا فسألوه فأحضره الخليفة وسئل فقال : إن الكرم أول مايجرى فيه الماء يخرج شبيها بالقطنة وهى أصل العنقود « راجع ١٢٢ المثل السائر و ١٥٤ الكشكول » .

فقال : أفترونى فى العلم فوق هؤلاء ؟ تحدثت يوما ، فذكرت يوم بعاث (١) ، فقلت يوم بغاث ، وكنت قرأت ذلك فى كتاب ، على غلط من كتبه ، فسمع ذلك يحيى بن على فطار به فى الناس ، ثم لم يرض بذلك ، حتى عمل رسالة يعذرنى — زعم — فيها ، ويذكر من صحف ، وما سمع هــذا غيره وغير اثنين كانا عندى ، وما كان ليسمع هذا أحد فيشهره على ، وما أشاعه عنى غيره ، ثم تحمد على بأنه عمل رسالة يعذرنى فيها ، فنادى على بها فى الناس ، وما هــذا آخر فعلنا به ، واصطناعنا له ولأبيه وجده (٢) .

(١) من أيام العرب فى الجاهلية بين الأوس والخزرج قبل الإسلام بقليل (٢٨٦ — ١:٢٨٨ الـكامل لابن الأثير) .

(٢) ورقة ٣١ الأوراق قسم أخبار المتتدر مخطوط بمكتبة الأزهر .

الباب السادس

ابن المعتز وأثره فى البيان العربى

الفصل الأول

البيان قبل ابن المعتز

(١)

لابن المعتز منزلة كبيرة فى البيان العربى فقد ألف فيه كتابه (البديع) الذى عدد فيه شتى أساليب البديع ومحاسن الشعر كما عرفها ابن المعتز وعصره ، وهذا الكتاب ليس قاصراً على البديع بالمعنى الضيق المحدود ، لأن ابن المعتز يذكر فيه التشبيه والاستعارة وهما من صميم البيان العربى ، ويذكر فيه الكناية ولكنه يريد بها معناها اللغوى وهو أعم من المعنى الاصطلاحى المعروف ، فإذا قلنا إن ابن المعتز ألف فى البيان فقد سرنا مع الحق والتفكير السليم ، وإذا قلنا إنه ألف فى البديع فقدضيقنا دائرة البحث بغير مبرر ، وإن كان البديع فى الاصطلاح المتأخر جزءا من البيان ، وإن كان البديع بالمعنى القديم المعروف عن بعض علماء البلاغة يرادف كلمة البيان أو البلاغة .

فا بن المعتز إذاً ذو أثر كبير فى البديع ، وعلى وجه الدقة له أثره فى البيان العربى ودراساته وذلك ما سنتناوله الآن بالبحث والتحليل .

(٢)

١ — كان للعرب فى حياتهم الأولى ذوق ، وفيهم طبع ، كانوا بهما فى غنى عن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليل لأحكام النقد ولأصول البيان العربى ومذاهبه ، وكذلك كانت أصول البيان بعيدة عن البحث والدراسة والتقرير .

وفى ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر ، وتمازجت الثقافات ، فلقحت العقول ، وأصابت الألسنة آثار من اللكنة واللحن ، وأخذ أئمة العربية يعملون فى صبر وعزيمة فى وضع أصول النحو العربى ، وجمع مواد اللغة الغريزة ، وصحب ذلك وتلاه دراسات أخرى تتناول البيان العربى وأصوله ومذاهبه بالبحث والتحليل ، وأخذت تتكون من تلك الدراسات النواة الأولى للبيان العربى ،

وظل التقدم الفكرى والنضوج الأدبى والعلمى يسير بهذه البحوث والدراسات نحو الكمال المنشود بخطوات كبيرة ، ، وكانت الثقافة البيانية تنمو حين ذاك بجهود ثلاث طبقات :

(١) الأولى طبقة رواة وعلماء الأدب من البصريين والكوفيين والبغداديين ، من أمثال ، خلف والأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة ويحيى بن نجيم وعمرو بن كركرة ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب والعربية (١) ، ومن عامة الرواة الذين لا يقفون إلا على البليغ الساحر من الأساليب كما يقول الجاحظ دون النحويين واللغويين والإخباريين الذين لم يتجهوا هذا الاتجاه (٢) ، وبجوار هؤلاء أئمة الشعراء (٣) وغيرهم من الخطباء ورجال الأدب الذين تثقفوا بالثقافة العربية.

(ب) والثانية طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة منهم والذين التمسوا من الألفاظ مالم يكن وحشيا ولا سوقيا (٤) ، ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعم (٥) ، وحكم مذهبهم فى النقد (٦)، ومثلهم المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رآهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء (٧) ، وكان بعضهم من عناصر عربية وتثقفوا بثقافة أجنبية ، والآخرون من عناصر أجنبية تثقفت بالثقافة العربية ، مما كان له أثره فى أصول البيان وفى توجيه دراسته وبحوثه وفى الدعوة إلى آراء فى الأدب توائم ثقافتهم وعقليتهم ، وكان بعضهم يلقن مذاهبه الأدبية العامة للتلاميذ وشداة الأدب ، كما نرى فى محاضرة بشر بن المعتمر المعتزلى م ٢١٠ هـ فى أصول البلاغة (٨) ، والتى يقول الجاحظ عنها إن بشرا مر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة (٩) وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد فقال بشر : اضربوا عما قال صفحا، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه فى أصول البلاغة وعناصر

---

(١) ٢٠٩/١ البيان (٢) ٢٢٤/٣ البيان (٣) ٥٤/١ البيان
(٤) ١٠٥/١ البيان (٥) ٢٢٥/٣ البيان (٦) ٢٤٠/١ البيان
(٧) ١٠٦/١ البيان
(٨) ١٠٤/١ وما بعدها البيان ، ٢٢٨ وما بعدها صناعتين
(٩) يعده الجاحظ من الخطباء الشعراء ١٥٥/١ البيان

البيان (١) ، ومن رجال هذه الطبقة : أبو العلاء سالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ (٢) ، وابن المقفع وسهل بن هرون (٣) ، والحسن والفضل (٤) ابنا سهل ويحيى البرمكي وأخوه جعفر (٥) وأيوب بن جعفر وأحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة (٦) وابن الزيات وسواهم

وكان لهذه الطبقة أثرها في بحث عناصر البيان وبلاغة الكلام ، ونستطيع أن نعرف آثار هاتين الطبقتين في دراسات البيان بالرجوع إلى آرائهم المثبتة في شتى أصول الأدب ، والتي يمكننا أن نذكر لك هنا طرفا منها ، وإن شئت فاقرأ جواب صحار لمعاوية حين سأله عن البلاغة (٧) . ويروى قبل هذا بكثير أن عامر بن الظرب سأل حممة بن رافع : من أبلغ الناس ؟ . فقال : من حلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز وطبق المفصل قبل التحزيز (٨) واقرأ تحديد المفضل الضبي للايجاز (٩) ، وتفسير ابن المقفع للبلاغة (١٠) ، وحوار الشمري لعمرو بن عبيد في البلاغة (١١) ، وتعريف الاصمعي للبليغ (١٢) ، ورأى ابراهيم بن محمد في البلاغة (١٣) ، وتعريض جعفر البرمكي للبيان (١٤) ، وتعريف العتابي للبلاغة (١٥) ، وتفضيل الجاحظ لرأيه (١٦) ، ووصف الرشيد للبلاغة (١٧) ، ورأى شبيب بن شبة في تفضيل بلاغة جودة القطع

---

(١) ولبشر كتاب في نظم كليلة ودمنة (٢) ١٠١/١ البيان

(٣) كان سهل يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة « ١٤٤/١ البيان ، ٣٣/٣ العقد »

(٤) ذكر الحصرى كثيراً من بلاغته « ١٦ — ١٩ ج ٢ زهر »

(٥) وصف الجاحظ بلاغته وأشاد به « ٨٥ و ٩١/١ البيان ، ٨١/٢ زهر » ، وكان يؤثر الإيجاز « ٨١/١ البيان ، ١٧٧/١ الكامل » ، ونوه به سهل بن هرون « ١١/٢ زهر »

(٦) نوه المأمون ببلاغته ٢٦٤/٣ زهر .

(٧) ٨١ : ١ البيان ، وراجع ١٨ : ٢ الكامل .

(٨) ٢١٦ : ١ العمدة ، ٢٨٠ : ٢ الأمالى للقالى . (٩) ٨١ : ١ البيان .

(١٠) ٩١ : ١ البيان ، ٢١٤ : ١ العمدة ، ١٥ — ١٧ صناعتين .

(١١) ٩٠ : ١ البيان ، ١٤٢ : ١ زهر ، و ٤٧ الرسالة العذراء .

(١٢) ٨٦ : ١ البيان ، ٢٣٠ : ١ العمدة . (١٣) ٧٥ : ١ البيان .

(١٤) ٨٥ : ١ البيان ، ٤٢ — ٤٧ صناعتين .

(١٥) ٩٠ : ١ ، و ١٥٧ : ١ البيان . (١٦) ١٢١ : ١ البيان .

(١٧) ٢٦٤ : ٣ زهر .

أو القافية على جودة الابتداء (١) ووصف ابن المقفع كلام الاعراب (٢) ، الذين أعجب الجاحظ ببلاغتهم (٣) ووصف الحسن بن وهب بلاغة أبي تمام (٤) ، وتعريف المأمون للبليغ بأنه من كان كلامه في مقدار حاجته ولا يجيل الفكرة في اختلاس ما صعب عليه من الألفاظ ولا يتعمد الغريب الوحشي ولا الساقط السوقي (٥) وقول خالد بن صفوان : أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى الكلام (٦) ، وتعريفه للبلاغة بأنها التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد عن حشو الكلام والدلالة بالكبير على الكثير ، وتعريف ابن عتبة لها : بأنها دنو المأخذ وقرع الحجة والاستغناء بالقليل عن الكثير ، وعرفها الخليل بأنها ما قرب طرفاه وبعد منتهاه ، وعرفها إبراهيم الامام : بأنها الجزالة والاصابة ، وعرفها ابن المقفع بأنها قلة الحصر والجراءة على البشر ، إلى غير ذلك من شتى هذه التجديدات (٧) ، ويقول أبو دؤاد الإيادي : رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الاعراب (٨) الخ ، ويقول الخليل : كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة فان استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولتلك الحال وفقا وآخر كلامك لأوله مشابها وموارده لمصادره موازنة فافعل ، واحرص أن تكون لكلامك متهما وإن ظرف (٩) ، ووصية أبي تمام للبحتري تدخل في هذا الباب (١٠) ، ويقول عبد الملك بن صالح م ١٩٩ هـ : البلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه (١١) ، وقال ابن الرومي : البلاغة حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة عند الإطالة (١٢) ، ويقول البحتري : خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل (١٣) ، ويقول الثعالبي بعد : خير الكلام ما قل ودل وجل ولم يمل (١٤) ، ويقول ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير (١٥) .

---

(١) ٨٩ : ١ البيان . (٢) ١١٨ : ٢ زهر .
(٣) ١١٠ : ١ البيان (٤) ٢٦٣ : ٣ زهر
(٥) ٤٢٣ صناعتين (٦) ٣٥ و٦ ٣ الرسالة العذراء .
(٧) راجع : ٤٤ ـ ٤٦ الرسالة العذراء ، ٧٥ : ١ البيان ، ٢ و ٣ و٢٢ ، ٢٣ : ٣ العقد ؛ ١٤٠ — ١٥٠ : ١ زهر ، ٨٧ — ٩١ : ٢ ديوان المعاني ، ١٠٩ و٢٠٢ إعجاز القرآن ، ٢١٣ — ٢٢١ : ١ العمدة (٨) ١٤٧ : ١ زهر ، ٥١ : ١ البيان .
(٩) ٤٨ الرسالة العذراء (١٠) ١٥١ : ١ زهر
(١١) ٢٦٨ : ٣ البيان (١٢) ٤٥ صناعتين
(١٣) ٣٦ : ١ المستطرف (١٤) ٢١٨ : ١ العمدة (١٥) ١٧ : ١ العمدة

(ج) وأما الطبقة الثالثة فهى طبقة المفكرين والمثقفين الذين تثقفوا بثقافة أجنبية واسعة، وتأثروا كل التأثر بآداب الأمم الأخرى، وترجموا آراءهم فى البيان ومناهجه إلى اللغة العربية، أو ألفوا كتباً تبحث فى هذه الاتجاهات، وهؤلاء قد عاشوا فى البيئة الإسلامية، وأثروا فى النقد والأدب والبيان ودراساته وتطوره تأثيراً واضحا كبيرا، ويمكننا أن نذكر شيئا عن جهود هذه الطبقة فى خدمة البيان:

أهم عمل علمى قامت به هذه الطبقة، هو ترجمة كتابى الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية؛ فأما الخطابة فهو أصل كبير من أصول البلاغة ودراساتها، وقد أصيب بنقل قديم ونقله إسحاق بن حنين م ٢٩٨ ﻫ، وكذلك نقله إبراهيم بن عبد الله وفسره الفارابى م ٣٣٩ ﻫ (١)، وأما كتاب الشعر فقد اختصره الكندى م ٢٥٣ ﻫ ونقله يحيى بن عدى ومتى فى القرن الرابع من السريانية إلى العربية (٢) . . . وقد ألفوا فى صناعة الشعر، وللكندى رسالة فى صناعة الشعر (٣)، ولأبى زيد البلخى كتاب بعنوان «صناعة الشعر» أيضا (٤)، وكذلك لأبى هفان (٥). وهناك آراء كثيرة مأثورة عن هذه الطبقة فى البلاغة وعناصرها وهى متفرقة فى شتى كتب الأدب ومصادره، وتجد فى البيان والعمدة وسواهما أن صاحب اليونانيين عرف البلاغة بأنها تصحيح الأقسام واختيار الكلام، وعرفها الرومى بأنها وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة، وعرفها الفارسى بأنها معرفة الوصل من الفصل. وعرفها الهندى بأنها البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة الخ: وعرفها أرسطو بأنها حسن الاستعارة، ويعرفها جالينوس بأنها إيضاح المفصل وفك المشكل، واقرأ

---

(١) ٣٤٩ فهرست

(٢) ٣٤٩ و ٣٥٠ فهرست، ونجد تحليلا كاملا للكتاب فى (٦٤ — ١٣٦ قواعد النقد الأدبى)، وهو لم يصل إلينا كاملا، وليس من شك فى أن للكتاب جزءا ثانياً قد فقد (٦٨ المرجع)، ونكاد نجزم أن أرسطو أراد بكتابه هذا أن يكون ردا على أفلاطون فى رأيه الذى ذهب اليه وهو أن الشعر عمل غير جدير بمقام الذكاء البشرى وأنه من أشد بواعث الفساد (٧١ المرجع)، ويقول أرسطو فى أوله: «سأتكلم هنا عن فن الشعر وأنواعه المختلفة ووظائف كل نوع، وفى البناء الصحيح للمنظومة وعدد أجزائها وخصائص كل منها» (٧٩ المرجع) . . . وترجمه ابن سينا وابن رشد (٢٤ وما بعدها مقدمة نقد النثر)

(٣) ٣٥٩ فهرست (٤) ١٩٨ فهرست (٥) ٢٠٧ فهرست

البلاغة كما يراها حكيم الهند (١) ويقول ، حكيم : البلاغة معرفة السليم من المعتل وفرق ما بين المضمن والمطلق وفصل ما بين المشترك والمفرد (٢) ، ويعرفها سقراط بأنها استكشاف الحقائق (٣) ، ويقسمها الكندى ثلاثة أنواع . فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع بالعكس ، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحدها (٤) ، ويقول : يجب للبليغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعانى (٥) ، وذكر بزرجمهر فضائل الكلام ورذائله ، فقال: فضائله أن يكون صدقا وأن يقع موقع الانتفاع به،وأن يتكلم به فى حينه وأن يحسن تأليفه وأن يستعمل منه مقدار الحاجة ، ورذائله بالضد (٦) لخ، وقال أبرويز لكاتبه : الكلام أربعة : سؤالك الشىء وسؤالك عن الشىء وأمرك بالشىء وخبرك عنه ، فإذا طلبت فأسجح وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فاحكم وإذا أخبرت فحقق . وقال أيضا : واجمع الكثير مما تريد فى القليل (٧) ، ولعل ثعلبا حين ذكر فى صدر كتابه « قواعد الشعر » أقسام الشعر وأنها أمر ونهى وخبر واستخبار (٨) قد تأثر بذلك الرأى

وبعد فقد تعاونت هـــذه الطبقات فى خدمة البيان ، ولها جميعا أثرها فى نشأته ونموه وتطوره .

---

(١) ٧٨ و ٧٩ : ١ البيان ، ٢٠ ـ ٢٨ صناعتين ، ١٤٤ : ١ زهر •
(٢) ٨٨ : ٢ البيان والتبيين
(٣) أصول النقد الأدبى للشايب
(٤) ٢١٩ : ١ العمدة
(٥) ٣٥ : ١ المستطرف
(٦) ١٨٣ الموازنة .
(٧) ١٠ أدب الكاتب .
(٨) ص ١١ قواعد الشعر .

الفصل الثانى

ابن المعتز وجهوده فى دراسات البيان

(١)

لابن المعتز منزلة كبيرة فى البيان العربى فقد ألف فيه كتابه « البديع » ، الذى عدد فيه شتى أساليب البديع ومحاسن الشعر كما عرفها ابن المعتز وعصره ، وهذا الكتاب ليس قاصرا على البديع بالمعنى الضيق المحدود ، لأن ابن المعتز يذكر فيه الكناية والاستعارة والتشبيه وهى من صميم البيان العربى، يذكر فيه الكناية ولكنه يريد بها معناها اللغوى وهو أعم من المعنى الاصطلاحى المعروف ، فاذا قلنا إن ابن المعتز ألف فى البيان فقد سرنا مع الحق والتفكير السليم ، وإذا قلنا إنه ألف فى البديع فقد ضيقنا دائرة البحث بغير مبرر ، وإن كان البديع فى الاصطلاح المتأخر جزءا من البيان ، وإن كان البديع بالمعنى القديم المعروف عند بعض علماء البلاغة يرادف كلمة البيان أو البلاغة .

فابن المعتز إذا ذو أثر كبير فى البديع ، وعلى وجه الدقة له أثره فى البيان العربى ودراساته ، وذلك ماسفتناوله الآن بالبحث والتحليل .

(٢)

كان ابن المعتز من أئمة البيان فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، وله فى ذلك آراء عظيمة الأهمية ناضجة التفكير(١) ، وقد اهتم بنوع خاص من ألوان البيان ، هو أساليب البديع وألوان الترف فى الأداء .

كان ابن المعتز يحتذى حذو أبى تمام فى صنعة البديع ، ويوشى شعره بشتى ألوانه يقصدها قصدا ويتعمدها تعمدا ، ويصوغ شعره فنا تغلب روح الصناعة

---

(١) راجع وصفه لبلاغة القرآن (٦٣ رسائل ابن المعتز) ، وتعريفه للبلاغة بأنها بلوغ المعنى ولم يطل سفر الكلام(٦٤ رسائل ابن المعتز ، ١٥٧ : ١زهر ، ٤٦٢ : ١ وفيات ، ٢١٧ :١ العمدة ، ٢٢٣ : ٢شذرات، ٢٩٦ الأوراق ١٢٨، ١ : حاشية السبكى على التلخيص) ، وله كلمة فى الحكمة والبلاغة (٦٣ رسائل ابن المعتز ، ١٢٣ : ١ زهر)

فيه ملكات الطبع والفطرة ، وكان مع ذلك ، يتحقق بعلم البديع تحققا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته »(١) ، وألف فيه عام ٢٧٤ هـ كتابه « البديع »(٢) وسنه إذ ذاك سبعة وعشرون عاما ، مما يدلنا على أن ابن المعتز لم يتمش فى العقد الثالث من عمره حتى كان قد قتل الشعر العربى حفظا ورواية ودرسا وفهما .

وكان لكتابه البديع دوى فى المجامع الأدبية ، ثم شاع وذاع وتلقفته الأيدى وعكف العلماء والأدباء عليه ، وصار مصدرا ممتازا من مصادر الدراسات البيانية بعد عصر ابن المعتز ، ثم فقدت نسخ الكتاب الخطية وقل تداوله ولم يبق له أثر إلا ما نقرأ عنه فى شتى كتب البيان والبديع ، ولكن العناية شاءت أن يحفظ من الكتاب نسخة خطية واحدة هى الوحيدة فى العالم وهى فى الاسكوريال برقم ٣٨ أدب ، وقد نشرها المستشرق الروسى المعاصر أغناطيوس كراتشقوفسكى عضو أكاديمية العلوم بلينغراد وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق وذلك عام ١٩٣٥ ، وقد تسنى بعمل هذا المستشرق الاطلاع على هذا الكتاب الفذ النادر والإفادة بما فيه من بحوث تعتبر المصدر الأول للمؤلفين فى البلاغة وفن البديع

وقد قمت بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه وتصحيحه ونشرته عام ١٩٤٥ ، فكان ذلك إحياء لكتاب ابن المعتز ، ومساهمة كبيرة فى خدمة الثقافة البلاغية ، وسعيا لتداول أهم وأول مصدر ألف فى البديع

والكتاب أول مؤلف فى البديع وصنعة الشعر كما أجمع على ذلك جميع الباحثين(٣) ، وهو أهم كتب ابن المعتز بالنظر إلى اختصاصه فى هذا الفن(٤) ، ويمدفتحا جديدا(٥) ، ويقول ابن المعتز نفسه : وما جمع فنون البديع ولا سبقنى إليه أحد(٦)

---

(١) ١٠ رسائل ابن المعتز ، ١٢٣ : ٤ زهر (٢) راجع ١٠٦ البديع

(٣) ٢٣٥ : ١ العمدة ، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص ، ٢٧٦ الزيات ، ٤٥ : ٢ أدب اللغة لمحمد بك دياب ط ١٩٠٠ ، ١٤٨ : ١ كشف الظنون ، ٦٩٣ : ١ البستانى ، ١٩١ الاسكندرى ، ١٠٥ أدب اللغة للظواهرى (٤) ٢ : ١٦٣ زيدان

(٥) ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية ، وراجع فى الإشادة به ، ٩٢ — ١٠١ الصبغ البديعى فى اللغة العربية للاستاذ أحمد موسى ، ١٠٣ — ١٠٧ تاريخ البلاغة العربية للاستاذ الشمراوى ، وهما مخطوطان بمكتبة كلية اللغة (٦) ١٠٦ البديع

(٣)

ولقب البديع ليس لقبا مستحدثا في عهد ابن المعتز ، ولكنه اسم لهذه الألوان الساحرة في الأسلوب ، ولهذا الترف البياني في الأداء ، من تشبيه واستعارة وتجنيس وتطبيق وسوى ذلك ؛ سماه به مسلم بن الوليد الشاعر م ٢٠٨ هـ ، وكان يعرف قبل ذلك باللطيف(١) ، ودرج على هذا اللقب من بعده من العلماء والأدباء ، وفي الأغاني أن الأصمعي م ٢١٦ هـ كان يفضل بشارا لأنه أكثر تصرفا وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعا(٢) ، وذكر الجاحظ البديع وبعض المشهورين به من الشعراء وأنه مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم على كل لغة(٣) ، وذكر كثيراً من الشعراء الذين أكثروا منه في شعرهم ورأى أنه لم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة (٤) ، ويقول ابن المعتز : البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء بالشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو (٥) . والبديع ونشأته في اللغة العربية موضوع عناية الباحثين المحدثين ، فرأى المسيومرسيه أن الزخرف الفني وألوان البديع قد وصلت إلى العرب من اليونان (٦) ، ورأى باحث أنه عنصر أصيل في اللغة العربية وإن شاركتها في ذلك بعض اللغات (٧) ، وشاهد ذلك القرآن الكريم فهو أثر عربي صرف وهو مع ذلك يشتمل على ألوان من البديع ، والخواص الفنية الموجودة في القرآن توجد كذلك في الشعر الجاهلي كما أثبته صاحب جمهرة أشعار العرب في مقدمتها ، وهي موجودة كذلك في الآثار الأدبية التي عاصرت القرآن كالحديث وخطب الخلفاء والولاة الذين شهدوا عصر النبوة (٨) ، والحق أن البديع أصباغ عربية خالصة كثرت ألوانه وتطورت زمنا بعد زمن ،

---

(١) ١٠ : ٢ معاهد التنصيص (٢) ٢٥ : ٣ الأغاني

(٣) ٢٤٢ : ٣ البيان (٤) ٥٤ و ٥٥ : ١ البيان

(٥) ١٠٦ البديع .

(٦) ٤٤ : ١ النثر الفني .

(٧) ٤٥ : ١ وما بعدها النثر الفني .

(٨) ٤٧ : ١ النثر الفني .

وزادت قوة هذا التطور بتأثير الفرس واليونان . فالاستعارة والتشبيه وكثير من هذه الأساليب تشترك فيها سائر اللغات (١) ، ولقد عرف البديع فناً منذ نشأ الأدب العربى ، أما معرفته علمياً فابتدأ من عصر بشار وأبى نواس ومسلم ، ثم عرف بصورة أوضح فى عهد أبى تمام والبحترى وابن المعتز ، وبما كتبه عنه الجاحظ مؤلف البيان .

(٤)

وموضوع كتاب البديع ذكر لألوان البديع وشواهدها فى الأدب العربى شعراً ونثراً ، يذكر مؤلفه ما أثر للون البديعى من شاهد فى كتاب الله ثم فى حديث رسوله ثم فى كلام الصحابة والأعراب وبلغاء الكتاب ثم فى الشعر العربى الجاهلى فالإسلامى فشعر المحدثين ، ويختم كل لون بذكر ما عيب من شواهده المتكلفة السقيمة ، والكتاب حافل بشتى النصوص التى جمعها ابن المعتز وساقها فى عرض جميل ونظام محكم .

وكان الباعث لابن المعتز على تأليف هذا الكتاب أن يعلم كما يقول : « ان بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ـ البديع ـ ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه ، ثم إن حبيب بن أوس الطائى شغف به حتى غلب عليه وأكثر منه فأحسن فى بعض وأساء فى البعض الآخر وإنما كان يقول الشاعر من ذلك الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع » (٢) فالغرض الأول منه « تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شىء من أبواب البديع » (٣) .

لقد نشأ ابن المعتز فى عصر لم يخل من آثار التعصب للتراث الأدبى القديم ومن المنكرين لمذاهب المحدثين فى البيان والناعين عليهم ما افتنوا فيه من ألوان

---

(١) راجع : نقد النثر ، مراجعات للعقاد .
(٢) ١٥ و ١٦ البديع ، ٧ و ٨ الموازنة
(٣) ١٨ البديع

البديع الى أكثر منها بشار ومدرسته ثم مسلم وأبو تمام ومن جاء بعدهما ، فكان لا بد لابن المعتز أن يدافع ويناضل هؤلاء المتعصبين ، نعم لقد وقف ابن المعتز بين مذهبين فى البيان متناقضين : مذهب المحدثين الذى يؤثره ويسير عليه فى الشعر وفهمه ونظمه ، ومذهب القدماء المتعصبين للقديم الذين كانوا يزدرون نهج المحدثين وقصدهم وتكلفهم للبديع ، ولكنه انتصر بفطرته وذوقه المذهب الأول الذى أحبه وشغف به ، فأخذ يدافع عنه ، وألف فى ذلك كتابه البديع الذى أثبت فيه أن ألوان البديع كانت معروفة عند الشعراء القدامى والاسلاميين وألموا بها فى شعرهم كما ألم بها المحدثون فهى ليست غريبة على الشعر الجاهلى والاسلامى ، وليست جديدة على أساليب البيان فى شعر المحدثين ، وليست بدعا جديدا فى الأدب والشعر كما ذهب اليه من تعصبوا للأدب القديم واعتزوا بفحولة الشعر الجاهلى وجزالته وأنكروا مذاهب المحدثين فى صناعة الشعر وسهولته وتكلف البديع فيه . وكان دفاع ابن المعتز رائعا قويا موفقا استحق عليه كل تقدير من المنصفين والمثقفين من النقاد . ولون الثقافة الشائعة فى الكتاب هى الثقافة العربية العميقة الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى ، فقد ألفه ابن المعتز وهو فى سن الشباب قبل أن يتعمق فى دراسة آثار الثقافات الاخرى . وإذا ما وازنا بين البديع لابن المعتز وفصول التماثيل أحد مؤلفاته فى أواخر حياته وجدنا الأول عربيا خالصا فى ثقافته من حيث كان الثانى مظهرا للثقافة منوعة مختلفة الاصباغ والألوان .

(٥)

وألوان البديع عند ابن المعتز خمسة : الاستعارة ـ التجنيس ـ المطابقة ـ رد العجز على الصدر ـ المذهب الكلامى ،

ويجمل ماعدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول إنها كثيرة ولا يرى حرجا فى إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع (١) ،وذكر من هذه المحاسن: الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ،

---

(١) البديع ١٠٦

تجاهل العارف ، الهزل الذى يراد به الجد ، حسن التضمين ، التعريض والكناية الافراط فى الصفة ، حسن التشبيه ، لزوم مالا يلزم ، حسن الابتداء .

ونحن الآن نتكلم على كل لون من هـذه الألوان وتطور البحث البيانى فيه بدقة وتفصيل .

١ — الاستعارة :

عرفها الجاحظ بأنها تسمية الشىء باسم غيره إذا قام مقامه مقامه (١) ، ورجع بعض المثل إليها (٢) .

وذكرها ارسطو فى خطابته فرأى ان « الاستعارة تجعل الشىء غيره والتشبيه يحكم عليه بأنه كغيره » ، وقسمها إلى استعارة من الضد واستعارة من التشبيه (٣) واستعارة من الاسم وحده وتكلم على بلاغة الاستعارة والمقام الذى تستعمل فيه ورأى أنه يجب أن تكون غير كثيرة التداخل بأن لاندخل الاستعارة فى استعارة (٤) وأن تؤخذ من جنس مناسب لذلك الجنس محاك له غير بعيد منه ولا خارج عنه (٥) وأن تكون المعانى التى يستعار من أجلها لطيفة معروفة . . وهذه الدراسة لانظير لها عند الجاحظ وهى دراسة فيلسوف عميق البحث

وأشار المبرد إلى الاستعارة فى كامله من غير أن يعرج عليها بالدراسة أو التحديد (٦) وأشار ابن المدبر إليها إشارة عابرة (٧) وذكر ثعلب الاستعارة وقال

---

(١) ١١٦ : ١ البيان (٢) ١٩٢ : ١ البيان

(٣) وسار على ذلك عبد القاهر فى الأسرار ص ٦٨ ، وفى نقد الشعر ص ١٠٥ ذكر للاستعارة التى مخرجها مخرج التشبيه

(٤) أخذ ذلك قدامة فى نقد الشعر فجعل فاحش الاستعارة أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به — ١٠٤ نقد الشعر — مما لم يعرف له مجاز — ١٠٦ نقد الشعر — وأفاض فى شرح ذلك ابن سنان فى سر الفصاحة

(٥) وذلك ما سار عليه علماء البيان ١٠٥ و ١٠٦ نقد الشعر ، ١١٧ الموازنة ، ٣٧ و ٣٢٤ الوساطة ، ٢١٢ أسرار . ويقول ابن رشيق : إنما يستحسنون من الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى جلة العلماء ٢٢٩ و ٢٤٠ : ١ العمدة

(٦) ٣٧ و ٥٧ و ١٦٧ جـ ١ الكامل (٧) ٦ و ٨ الرسالة العذراء

« وهى أن يستعار للشىء اسم غيره أو معنى سواه (١) ويذكر مثلا كثيرة لها (٢)

والاستعارة هى الباب الأول فى كتاب البديع ، وعرفها ابن المعتز بأنها استعارة الكلمة لشىء لم يعرف بها من شىء قد عرف بها (٣) وذكر كثيراً من شواهدها (٤) ومثلا لقبيحها (٥) وبذلك تنتهى دراسته لهذا الباب الذى نهج فيه منهج أستاذه ثعلب فى قواعد الشعر .

وقد عقد لها أبو هلال بابا تأثر فيه خطا ابن المعتز فى دراسة الاستعارة (٦) وعلى ضوئه سار ابن رشيق (٧) وقد ألم بها قدامة فى نقد الشعر (٨) وفى نقد النثر (٩) مع بعد عن اتجاه ابن المعتز فى دراستها وقد قسمها إلى حسن الاستعارة وفاحشها وفاحش الاستعارة هى الاستعارة غير المفيدة عند عبد القاهر (١٠)

٢ — التجنيس :

يذكره أرسطو فى خطابته ويحدده بأن يكون المكرر وإن كان لفظين فى المسموع فهو مختلف فى المفهوم وذلك ما ذكره قدامة فى تعريفه لهذا اللون الذى سماه المطابق والمجانس (١١) وسبقه إلى ذلك أستاذه ثعلب حيث ذكر المطابق وعرفه بأنه تكرير اللفظ بمعنيين مختلفين (١٢) . كما بين أرسطو بلاغته وآثاره فى الكلام مما احتذاه فيه عبد القاهر فى الأسرار (١٣)

والجاحظ لايعرف ذلك اللون ولا يذكر شيئاً عنه ويمر بمثال بليغ للتجنيس (١٤) فلا يذكر عن هذا الاصطلاح شيئاً .

---

(١) ٢١ قواعد الشعر لثعلب — (٢) ٢١ — ٢٣ قواعد الشعر

(٣) ١٧ البديع و ٢٩ حسن التوسل — (٤) ١٩ — ٥٢ البديع

(٥) ٥٢ — ٥٤ البديع ؛ ويأخذ ابن المعتز على أبى تمام قبح الاستعارة فى كثير من أبيات شعره ولكنه لا يذكر كلمة « استعارة » خلافا فى رسالته فى أبى تمام .

(٦) ٢٥٨ — ٢٩٧ صناعتين — (٧) ٢٣٩ : ١ وما بعدها العمدة

(٨) ١٠٤ — ١٠٦ نقد الشعر — (٩) ٦٤ — ٦٦ نقد الشعر

(١٠) راجع ١٠٤ وما بعدها نقد الشعر و ٢٢ — ٢٨ أسرار

(١١) ٩٦ نقد الشعر ، قال قدامة : وهو أن تكون فى الشعر معان متغايرة قد اشتركت فى لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة

(١٢) ٢٤ قواعد الشعر — (١٣) ٥ و ١٢ و ١٤ الأسرار

(١٤) ٢١٨ : ١ البيان

وكان العجاج يسمى هذا الباب عطف الرجز (١) وألف الأصمعى كتاب الأجناس (٢) وكان الأصمعى يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا إذا كان من شكله ويقول ليس بعربى خالص (١) . وابن المعتز هو أهم من درس التجنيس، وعنده قال: التجنيس أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام ، والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظة فى تأليف حروفها على الوجه الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليه (١) ولم تكن القدماء (١) تعرف هذا اللقب وقد صنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة كابن المعتز والحاتمى والقاضى الجرجانى وقدامة وغيرهم (٣) .

ولابن الحرون كتاب المطابق والمجانس (٤) . وحقيقة التجنيس أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً كما يقول ابن الأثير (٥) ويجعل ابن الأثير أيضا رد العجز على الصدر ضربا من التجنيس(٦) .

وابن المعتز هو الواضع لهذا اللقب وهو أول من أفرد هذا الباب بالبحث والتأليف (٧) فقد عرفه(٨)وذكر أقسامه (٩) وأفاض فى ذكر شواهده(١٠) وذكر مثلا لمعيبه(١١) وبذلك ينتهى الباب وقد تأثر أبو هلال خطا ابن المعتز فى هذا الباب (١٢) .

٣ — المطابق:

ذكر الأصمعى المطابقة فى الشعر فقال : أصلها وضع الرجل موضع اليد فى مشى ذوات الأربع ثم قال وأحسن بيت قيل لزهير فى ذلك :

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه (١٣) صدقا

وقال الأصمعى والخليل : يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حرف

---

(١) ٢٩٩ : ١ العمدة
(٢) ٥٥ البديع
(٣) ٩٨ المثل السائر
(٤) ٢١٢ الفهرست
(٥) ١٠٠ المثل السائر
(٦) ٢٩٩ : ١ العمدة و ٥٥ البديع
(٧) ١/٢٩٩ العمدة
(٨) ٥٥ البديع
(٩) ٥٥ وما بعدها البديع
(١٠) ٥٦ — ٧١ البديع
(١١) ٧١ — ٧٣ البديع
(١٢) ٣١٠ — ٣٢٨ الصناعتين
(١٣) ٦ : ٢ العمدة

واحد وأصقهما (١) فذلك هو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرمانى : المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان (٢) قال ابن رشيق : هذا أحسن قول سمعته فى المطابقة وهو مشتمل على قول القوم وغيرهم جميعاً (٢) .

وفى البيان للجاحظ وردت كلمة التطبيق بمعنى إصابة الكلام الغرض المسوق له (٣) ويذكر تطبيق الحديث وأنه غير التطبيق الأول (٤) وفى كامل المبرد كلمة المطابقة بمعنى الجمع بين الشىء وما يقابله فى الكلام (٥) وكذلك أراد ابن المعتز هذا المعنى من هذا الاصطلاح ويسميه ثعلب مجاورة الاضداد (٦) ويسميه قدامة التكافؤ (٧).

فالمطابقة إذاً لها معنيان : مساواة المقدار والجمع بين الشىء وضده وأول من سماها هذا الاسم هو الأصمعى مريداً منه المعنى الثانى ، وورد فى اشتقاقه كلام عن الخليل والأصمعى رآه ابن رشيق ظاهراً فى المعنى الأول. ويقول الباقلانى : وأكثر العلماء على أن المطابقة أن يذكر الشىء وضده كالليل والنهار وإليه ذهب الخليل والأصمعى ومن المتأخرين ابن المعتز . وقال آخرون : المطابقة أن يشترك معنيان بلفظة واحدة وإليه ذهب قدامة (٨) ويذكر الآمدى أن قدامة لقب هذا الباب التكافؤ وأنه سمى ضربا من المجانس (المطابق) وينقده فى مخالفته للعلماء ولابن المعتز فى هذه الاصطلاحات (٩) ورد الأخفش على قدامة (١٠) ونقل ابن سنان كلمة الآمدى فى نقده وأشاد بها (١١) .

وقد ذكر ابن المعتز هذا الباب فى كتابه البديع وفيه كثير من الشواهد (١٢) وذكر مثلا لما عيب منه (١٣) .

ومن الغريب أن يكون أرسطو قد تكلم على المطابقة والمقابلة حيث ذكر التقابل وأن المتقابلات إذا توافقت أحدثت رونقا لظهور بعضها ببعض وأن

---

(١) ٢/٦ العمدة ، ٧٤ البديع
(٢) ٢/٦ العمدة
(٣) ٨٧ — ١/٧٩ و ٢/١٢٣ البيان
(٤) ١/١٨٢ البيان (٥) ٢٤١/١ الكامل (٦) قواعد الشعر لثعلب ٢٤
(٧) ٨٥ نقد الشعر
(٨) ٧٩ إعجاز القرآن
(٩) ١٢٤ الموازنة
(١٠) ١/٩١ العمدة
(١١) ١/٥١ سر الفصاحة
(١٢) ٧٤ — ٩٠ البديع
(١٣) ٩٠ — ٩٢ البديع

المعتدل (الذى لا يفرط فى الصفة حتى يدخل فى حيز الكذب الظاهر) وخصوصا إذا شحن بالمطابقات المأخوذة من المتقابلات لذيذ جداً وأن المتقابلات بعضها اضداد وبعضها كاضداد .

وابن المعتز فرق معرفته بالمطابقة فهو يعرف المقابلة ويذكرها باسمها (١) ، ولم يذكرها فى كتابه البديع . وقد ذكر قدامة المقابلة وعرفها فى نقد الشعر (٢) تعريفا تأثر فيه بأرسطو وأخذ السكاكى تعريف قدامة رأيا له فى تعريفه للمقابلة . وفى الصناعتين باب للطابقة تأثر فيه أبو هلال بابن المعتز إلى حد كبير (٣) ، وكذلك فعل ابن رشيق (٤) .

٤ — رد العجز على الصدر :

وهو اصطلاح جديد لابن المعتز لم يسبق إليه وقد ذكر ابن المعتز أقسامه (٥) ، وشواهد كثيرة له (٦) ثم ذكر مثلا قليلة لما عيب منه (٧) وقد سار على نهجه أبو هلال (٨) .

وابن رشيق يسميه التصدير (٩) ونقل فيه كثيراً من مثل ابن المعتز وشواهده ويذكر ابن رشيق من مثله نقلا عن ابن المعتز :

ولم يحفظ مضاع المجد شىء من الأشياء كالمال المضاع (١٠)

وهذا البيت غير موجود فى نسخة البديع الموجودة بين أيدينا مما يدل على نقصها . وابن الأثير يجعل رد العجز على الصدر ضربا من التجنيس (١١) .

٥ — المذهب الكلامى :

وهو إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المنطق وهى أن تكون

---

(١) رسائل ابن المعتز
(٢) ٧٩ نقد الشعر
(٣) ٢٩٧ — ٣١٠ صناعتين
(٤) ٥/٢ العمدة
(٥) ٩٣ البديع
(٦) ٩٤ — ١٠٠ البديع
(٧) ١٠٠ البديع
(٨) ٣١٧ — ٣٨٠ الصناعتين
(٩) ٣/٢ العمدة
(١٠) ٥/٢ العمدة
(١١) ١٠٠ المثل السائر

المقدمات مستلزمة للمطلوب والجاحظ هو الذى سماه هذا الاسم (١) وابن المعتز يذكر أنه ليس فى القرآن منه شىء وأنه ينسب للتكلف (٢) وقد نقده أبو هلال لأنه عد هذا الباب من البديع مع أنه نسبه إلى التكلف (٣) وابن المعتز يذكر شواهد له (٤) ومثلا للمعيب منه (٥) واحتذاه أبو هلال (٦) وابن رشيق (٧)

٦ — الالتفات :

أشار إليه صاحب الجهرة فذكر أن العرب تخاطب الشاهد مخاطبة الغائب (٨) وكذلك فعل المبرد (٩) فذكر أن العرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد وبالعكس (١٠) .

وحكى عن اسحاق الموصلى قال : — قال لى الأصمعى اتعرف التفاتات جرير قلت وما هى فانشدنى :

أتنسى إذا تودعنا سليمى بعود بشامة سقى البشام؟

ثم قال : ألا تراه مقبلا على شعره إذا به التفت إلى البشام فدعا له (١١) .

والالتفات هو الاعتراض عند قوم منهم صاحب العمدة (١٢) ولذلك ذكر ابن رشيق فى عمدته بعض مثل للالتفات ذكرها ابن المعتز فى باب الاعتراض (١٣) كما نقل ابن رشيق مثلا للالتفات ذكرها ابن المعتز فى باب الالتفات (١٤) وقال آخرون : هو الاستدراك وحكاه قدامة وسبيله أن يكون الشاعر آخذا فى معنى ثم يعرض له معنى غيره فيعدل عن الأول إلى الثانى فيأتى به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل فى شىء مما يشد الأول (١٥)

---

(١) ١٠١ البديع و ٧٥ / ٢ العمدة (٢) ١٠١ البديع

(٣) ٣٩٨ الصناعتين (٤) ١٠١ — ١٠٤ البديع

(٥) ١٠٥ و ١٠٦ البديع (٦) ٣٩٣ — ٣٩٩ الصناعتين

(٧) ٧٥ : ٢ العمدة وما بعدها (٨) ٣ جهرة أشعار العرب

(٩) ٢٧١ : ١ و ٣٠ : ٢ الكامل (١٠) ٣٠ : ٢ الكامل

(١١) ٤٤ : ٢ العمدة (١٢) ٤٢ : ٢ العمدة

(١٣) راجع ٤٢ — ٤٤ : ٢ العمدة و ١٠٨ البديع

(١٤) ٤٤ : ٢ العمدة و ١٠٧ البديع (١٥) ٤٢ : ٢ العمدة و ٨٧ البديع

وعرفه ابن المعتز بأنه انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى معنى آخر (١) ويستحسن ابن رشيق هذا التعريف (٢) وتبع أبو هلال قدامة (٣) وكذلك الباقلانى(٤) قال: ومتى خرج عن الكلام الأول ثم عاد إليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتا، فللالتفات معنيان ماذهب إليه صاحب الجمهرة والمبرد وما ذهب إليه قدامة وأبو هلال والباقلانى، وقد عرفه ابن المعتز بتعريف يجمع المعنيين.. وصاحب نقد النثر يسمى الالتفات الصرف (٥) .

يعرف ابن المعتز هذا اللون (٦) ويذكر شواهد له (٧) وقد تبعه ابن رشيق فأفاض فى الحديث عنه (٨) .

٧ — الاعتراض :

فى خطابة أرسطو يجعل ادخال كلام فى كلام وهو الاعتراض الطويل بين الكلام المتصل بعضه ببعض من الأشياء المفسدة لرونق النظم .

ويعرف ابن المعتز الاعتراض بأنه اعتراض كلام فى كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه فى بيت واحد (٩) وقد تبعه أبو هلال (١٠).

٨ - الرجوع :

عرفه ابن المعتز بأن تقول شيئا وترجع عنه(١١) وذكر شواهد له(١٢) وابن المعتز أول من ابتكر هذا القلب له فكانت الرواة تعيب مثل هذا الإسلوب لأن الشاعر يكذب نفسه وكان أستاذه الاسدى يشتد فى نقد زهير فى قوله « بلى وغيرها الارواح والديم»(١٣) ،ويرد صاحب العقد على هذا النقد(١٤) وابن المعتز يعده من ألوان البديع .

---

(١) ١٠٦ البديع و ٨٠ حسن التوسل (٢) ٤٤ : ٢ العمدة
(٣) ٣٨٣ — ٣٨٥ الصناعتين (٤) ٩٠ إعجاز القرآن
(٥) ٧١ نقد النثر (٦) ١٠٦ البديع
(٧) ١٠٧ البديع (٨) ٤٢ : ٢ وما بعدها العمدة
(٩) ١٠٨ البديع (١٠) ٣٨٥ صناعتين .
(١١) ١٠٨ البديع
(١٢) ١٠٨ و ١٠٩ البديع وراجع ٣٦٧ خزانة الأدب
(١٣) ٣٥ و ٣٦ الموشح (١٤) ٣١٦ : ٣ العقد

٩ - حسن الخروج :

قال ابن رشيق : هو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأن الخروج هو ان تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تستمر فيما خرجت إليه (١) والاستطراد أن يبنى الشاعر كلاما كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليه الكلام وهو مراده دون جميع ماتقدم ويعود إلى كلامه الأول وكأنه عثر بتلك اللفظة من غير قصد. لحسن الخروج على هذا الرأى هو حسن التخلص ويقول ابن رشيق : ومن الناس من يسمى الخروج تخلصا وتوسلا (٢) وعلى هذا الرأى سار ثعلب فى قواعد الشعر وهو أول من لقبه هذا اللقب، قال حسن الخروج من بكاء الطلل ووصف الابل وتحمل الاظعان وفراق الجيران بغير (دع ذا) (عد عن ذا) و(اذكر ذا) بل من صدر إلى عجز لايتعداه إلى سواه (٣) وقد سار ابن المعتز على نهج أستاذه ثعلب فى اللقب وعرفه بأنه حسن الخروج معنى إلى معنى (٤) . ويرد على ذلك أن المثل التى ذكرها له منها مثل واضح فيه الاستطراد كقول الشاعر :

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه   فليس به بأس وان كان من جرم

ومثل أخرى واضح فيها حسن التخلص كقول الشاعر :

وأحببت من حبها الباخلين   حتى ومقت ابن سلم سعيدا

فالظاهر أن ابن المعتز يريد بحسن الخروج ما يشمل التخلص والاستطراد والحاتمى يسمى الخروج استطرادا اتساعا كما يقول ابن رشيق (٥) وعلى أى حال فالاستطراد قريب من التخلص وكان شبيب بن شيبة يقول : الناس موكلون بتفضيل جودة القطع و بمدح صاحبه (٦) وجودة القطع هى حسن التخلص فإذن كان القدماء يعرفون هذا المعنى ولا يسمونه تخلصا. أما الاستطراد فقد أشار إليه الجاحظ فى بيانه ولم يلقبه هذا اللقب (٧) وهو ضرب من البديع يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى

---

(١) ٢٠٦ : ١ العمدة
(٢) ٢٠٨ : ١ العمدة
(٣) ٢٣ قواعد الشعر
(٤) ١٠٩ البديع
(٥) ٣٨ : ٢ العمدة
(٦) ٨٩ : ٢ العمدة
(٧) ٢٠٥ : ٢ العمدة و ١٣٨ : ٣ البيان

فيمن له آخر فيأتى به كأنه على غير قصد وعليه يبنى وإليه كان مغزاه وقد أكثر المتحدثون منه ـ ومنه قول أبى تمام يصف فرسا :

ايقنت ان لم تثبت أن حافره   من صخر تدمر أو من وجه عثمان

واحتذى البحترى هذا الحذو فى حمدويه الأحول ـ وقال فى فرس :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته   يوما خلائق حمدويه الأحول

وهــــذا المعنى (الاستطراد) أعجب به المتحدثون وقد وقع لمن قبلهم . قال الفرزدق : ـ

كأن فقاح الأسد حول ابن مسمع   إذا جلسوا أفواه بكر بن وائل

وأتى جرير بهذا النوع فقال : ـ

لما وضعت على الفرزدق ميسمى   وعلى البعيث جدعت انف الاخطل

وأول من ابتكره السموأل وكل أحد تابع له فقال : ـ

وإنا أناس لانرى القتل سبة   إذا ما رأته عامر وسلول(١)

ولإسحاق الموصلى : ـ

فما ذر قرن الشمس حتى كأننا   من العى نحكى أحمد بن هشام

ومن الاستطراد قول ابن المعتز :

علت بماء بارد فكأنما   علت ببرد قصيدة ابن سعيد

وأول من سماه استطرادا أبو تمام .

قال البحترى ـ أنشدنى أبو تمام بيته :« ايقنت ان لم تثبت ان حافره الخ . . » ثم قال لى ما هذا الشعر؟ قلت لاأدرى، قال هذا المستطرد والاستطراد، يرى أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان .. قال الصولى فاقتدى البحترى فى هـذا بأبى تمام فقال : ما ان يعاف . . البيت (٢) ، وقال صاحب حسن التوسل : الاستطراد

---

(١) راجع ١٤٩ — ١٥١ : ٢ زهر و ٣٨٨ — ٢/٣٩١ الذخيرة

(٢) راجع ٦٨ أخبار أبى تمام و ٢/٣٨ العمدة و ٩٣ إعجاز القرآن و ٤ مقـدمة ديوان البحترى

هذه القصيدة نقلها البحترى عن أبى تمام وسماه ابن المعتز الخروج(١). وقد تكلم على الاستطراد أبو هلال (٢) وابن فارس (٣)

١٠ - تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه ويجعله أبو هلال ضربا من أضرب نوع من البديع يسميه الاستثناء (٤) وكذلك فعل ابن رشيق (٥)

١١ - تجاهل العارف :

وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه (٦) وتبعه أبو هلال (٧) .

١٢ - الهزل يراد به الجد (٨) :

وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، وفى الجاحظ مثل تصلح أن تكون من هذا النوع(٩) .

١٣ - حسن التضمين للشعر:

وهو أن يضمن الشاعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا وقد عرف هذا المعنى من قبل ابن المعتز ، ولكنهم لم يلقبوه هذا اللقب وقد نقد عبد الله بن طاهر أبا تمام فى اقتباسه من القرآن فى شعر له ورأى أن القرآن أجل من أن يستعار شيء من ألفاظه للشعر(١٠) ويذكر ابن المدبر حسن الأخذ من الشعر والأمثال (١١) ويقول المبرد فى أبى العتاهية: لا يكاد يخلو شعره مما تقدم من الأخبار والآثار(١٢) ، ويقول ابن سلام : إن الزبرقان أخذ بيت النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى حومة المستنفر العادى

فى شعره كالمثل حين جاء فى موضعه لا مجتلبا له ، وقد تفعل العرب ذلك لا يريدون به السرقة (١٣) .

---

(١) ٨١ حسن التوسل
(٢) ٣٨٩ صناعتين
(٣) ٢٢٦ الصاحبى
(٤) ٣٩٦ صناعتين
(٥) ٤٥ : ٢ العمدة
(٦) راجع ١١١ و ١١٢ البديع
(٧) ٣٨٧ — ٣٨٩ صناعتين
(٨) ١١٢ و ١١٣ البديع
(٩) ٢٤٥ : ٢ العمدة
(١٠) ٢١١ أخبار أبى تمام
(١١) ٧ الرسالة العذراء
(١٢) ٢٣٨ : ٢ الكامل
(١٣) ٢٧ طبقات الشعراء لابن سلام

ويذكر ابن المعتز شواهد لهذا الباب(١) واحتذاه أبو هلال(٢) وابن رشيق(٣)

١٤ ـ التعريض والكناية:

التعويض ان يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ماعملوا باللحن والتورية عن الشيء (٤). والكناية قسمان لغوية واصطلاحية. فاللغوية ذكرها المبرد فى الكامل وذكر اقسامها (٥)، ويشير إلى مثل للكناية الإصطلاحية (٦) وكلامه يفهم منه أنه يسميها إيماء ويسميها قدامة الأرداف (٧). وكذلك أبو هلال (٨) ويسميها ابن رشيق التتبع (٩)، ويقول الجاحظ فى البيان عن أبى عبيدة: العارضة كناية عن البذاء وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل الخ (١٠) وقال شريح: الحدة كناية عن الجهل وذكر أمثلة أخرى(١١) وذكر الجاحظ أنه يستعمل الناس الكناية وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون أن يظهر المعنى بألين لفظ إما تموبها وإما تفضيلا كما سموا المهدول مصروفا والبخيل مقتصداً (١٢).

وفى خطابة ارسطو: ومن حسن أدب الخطيب إذا حاول العبارة عن معنى فاحش ألا يصرح بل يستعير له ويقيم شيئاً بدله، وذلك أساس لبحث الكناية التى ذكرها الجاحظ فى بيانه. وقد ذكر ثعلب لطافة المعنى وعرفها بأنها هى الدلالة بالتعريض على التصريح(١٣) وذكر مثلا له(١٤) وفى العقد باب الكناية والتعريض(١٥) وفى الصاحبى أيضاً(١٦) ويذكر صاحب نقد النثر اللحن بمعنى التعريض والكناية(١٧).

---

(١) ١١٤ البديع
(٢) راجع ٣٨ الصناعتين
(٣) ٨٠ : ٢ العمدة
(٤) ٣٦٠ صناعتين
(٥) ٥ و ٦ : ٢ الكامل
(٦) ٧٧ و ١٦٦ : ١ و ٩٢ و ٢٨١ : ٢ الكامل
(٧) ٩٢ نقد الشاعر
(٨) ٣٤١ الصناعتين
(٩) ٢٨٢ : ١ العمدة
(١٠) ١٨٠ : ١ البيان
(١١) ٢٩ ـ ٣١ : ٢ البيان
(١٢) ١٣٣ : ١ رسالة النساء للجاحظ بهامش الكامل للمبرد
(١٣) ١٩ قواعد الشعر
(١٤) ١٩ المرجع
(١٥) ١٠ ـ ١٤ : ٢ العقد
(١٦) وينقد ابن الاثير الجاحظ لعده بيتا لنصيب من الكناية وهو:

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ويرى أن البيت من التشبيه المضمر الأداة الخارج عن الكناية ٢٤٩ وما بعدها.

(١٧) ٥٩ نقد النثر

١٥ ــ الإفراط فى الصفة :

ذكره أرسطو فى خطابته فذهب إلى أنه لا يحسن استعمال اللفظ المفرط فى الصفة حتى لا يدخل فى حيز الكذب ولا يفرط أيضاً تقصيراً لسلب الصفة رونقها، ويقول: ومن الإفراطات التى تقال للتعظيم مع العلم بكذب من يدعيها قول القائل : لو أعطيت مثل هذه المرأة ذهباً لما رضيت فى نكاحها .

فهذه ليست أمثالا ولا تشبيهات بل هى أكاذيب ظاهرة... ويؤاخذ المبرد الشعراء على إفراطهم فى شعر لهم(١) ويذكر ثعلب الإفراط فى الإغراق وشواهد له(٢) وذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء(٣) .

وقد ذكره ابن المعتز مع شواهد له (٤) وذكره الصاحبى (٥) ، واستحسن قدامة السرف والمبالغة فى الشعر لأن أرسطو ذكر أن الكذب فيه أكثر من الصدق(٦) ويذكر قدامة الغلو فى المعنى والإفراط فيه ويستحسنه ويؤثره على الإقتصار على الحد الوسط(٧) ويذكر البيت (وأخفت أهل الشرك الخ .) ويستحسن(٨) ؛ وذكره صاحب العقد واعتذر عن إفراطه فيه(٩) كما اعتذر عن النابغة فى إفراطه فى وصف السيف(١٠) وفى نقد النثر باب للمبالغة(١١) . ويقول صاحب الخزانة : وتسمية المبالغة منسوبة إلى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الإفراط فى الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن الناس رغبوا فى تسمية قدامة لخفتها (١٢) .

---

(١) ١٧٣ : ١ و ٤٤ و ٤٦ و ٧٦و٧٧ : ٢ الكامل

(٢) ١٨ و ١٩ قواعد الشعر (٣) ٩٩ و ١٠٦ و ١٨٦ الشعر والشعراء

(٤) ١١٦ ــ ١٢١ البديع (٥) ٢٢٤ الصاحبى .

(٦) ٩٠ نقد النثر وابن سنان أيضاً حد المبالغة والغلو (٢٥٦ سر الفصاحة)، وراجع تعريف أبى هلال للغلو (٣٤٨ الصناعتين) وللمبالغة ٣٥٦ الصناعتين ، وقد ذكر قدامة المبالغة (٨٤ نقد الشعر) وكذلك الباقلانى ٨٤ إعجاز القرآن

(٧) ٣٥ ــ ٣٨ نقد الشعر وراجع ٤١ نقد الشاعر أيضا .

(٨) ٣٦ نقد الشعر (٩) ٢٠ و ٢١ : ١ و ٤١٨ : ٣ العقد

(١٠) ٩١ : ١ العقد (١١) ٧٠ و ٧١ نقد النثر .

(١٢) ٢٢٥ خزانة الأدب للحموى

١٦ — حسن التشبيه :

ذكره ارسطو ورأى أن الشعراء يتبجحون فى التشبيه إذا أبعدوا وفرق بينه و بين الاستعارة .

وأشار إليه الجاحظ إشارة عابرة حيث ذكر مثلا له(١) وعقد له المبرد فى كامله بابا مستقلا(٢) وكذلك فعل ثعلب (٣) وابن المعتز(٤) والإصابة فى التشبيه معدودة من أسباب جودة الشعر(٥) وذكر ابن قتيبة التشبيه فى مواضع كثيرة من كتابه(٦) ورأى أن المشبه به يجب أن يكون أقوى من المشبه فى وجه الشبه(٧) ذكر قدامة أيضا بابا مستقلا للتشبيه(٨) وكذلك صاحب العمدة وابن هلال وسواهم من العلماء . ولقد كان اهتمام ابن المعتز بالتشبيه وعده له من ألوان البديع متمشيا مع فطرته وذوقه الأدبى الذى شغف بهذا الصبغ البيانى شغفا خاصا .

١٧ — اعنات الشاعر نفسه فى القوافى(٩) :

وهو باب لزوم ما يلزم، وهو من إفراد ابن المعتز(١٠) — وإذا كان ابن المعتز يسميه إعناتا فكيف يعده من البديع ؟

١٨ — حسن الابتداء(١١) :

سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء ، وأورد فى هذا الباب قول النابغة ، كلينى لهم يا أميمة ناصب ، قال ابن أبى الأصبع : ولقد أحسن ابن المعتز الاختيار(١٢) ويقول الحلبي: وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداء القصائد ، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال(١٣) .

وقد ذكر أرسطو أنه يحسن فى صدر الخطب الإشارة إلى الغرض المقصود

---

(١) ٢٢٩ : ٢ و ٢٤٣ : ٣ البيان
(٢) ٣٥ — ١٠١ : ٢ الكامل
(٣) ١٤ — ١٨ قواعد الشعر .
(٤) ١٢١ — ١٣١ البديع
(٥) ٢٠ الشعر والشعراء
(٦) ٢٠ و ٢١ و ١٠٦ الشعر والشعراء
(٧) ٣١٧ الرجح
(٨) ٦٥ — ٧٠ نقد الشعر
(٩) ١٣٢ — ١٣٣ البديع
(١٠) ٨٦ حسن التوسل
(١١) ١٣٣ — ١٣٥ البديع
(١٢) ص ٣ خزانة الأدب
(١٣) ٩٣ حسن التوسل

وذكر أن للكلام الخطابي صدراً واقتصاصا وخاتمة ــ وأشار ابن المدبر إلى حسن الابتداء(١) ــ وذكر ابن المقفع أنه يجب أن يكون في صدر كلامك دليل على حاجتك(٢) وشرح ذلك الجاحظ شرحاً وافياً(٣) مقررا بلاغة هذا القرن أحسن تقرير(٣). ولكن ابن المعتز هو الذي سبق إلى هذه التسمية وأفاض في ذكر شواهد هذا الباب مما احتذاه فيه أبو هلال وسواه، وبهذا تنتهي ألوان البديع ومحاسن الشعر التي ضمنها ابن المعتز كتابه (البديع).

(٦)

فابن المعتز قد جمع من ألوان البديع ثمانية عشر لونا، ولقد عاصره قدامة بن جعفر الكاتب الذي جمع منها عشرين نوعا، اشترك مع ابن المعتز في سبعة منها وهي: الغلو أو الإفراط ــ التشبيه ــ الاستعارة ــ الكناية ويسميها قدامة الإرداف مريداً بها المعنى الاصطلاحي للكناية في حين أن ابن المعتز يريد بها المعنى اللغوي ـ التكافؤ وهو عند ابن المعتز المطابقة ـ المطابق أو المجانس وهو عنده باب التجنيس ـ الالتفات، وانفرد قدامة بثلاثة عشر نوعا هي: التصريع ـ المقابلة ـ المساواة ـ الإيغال ـ الاستطراف ـ صحة التقسيم ـ صحة التفسير ـ المبالغة وهي غير الغلو عند قدامة ـ الاشارة (الإيجاز) ـ التمثيل ـ التتميم ـ الترصيع وهو أن تكون أجزاء البيت مسجوعة ـ التوشيح (٤)؛ وهذه الأنواع الثلاثة عشر التي استقل بها قدامة إذا أضيفت إلى السبعة عشر نوعا التي جمعها ابن المعتز يكون البديع قد وصل في عهد قدامة إلى ثلاثين نوعا، ثم تتبع الناس هذه الألوان، فجمع أبو هلال منها في الصناعتين سبعة وثلاثين نوعا، منها ٢٩ نوعا ذكرها أبو هلال في باب أنواع البديع (٥) ومنها التشبيه الذي ذكره في باب مستقل (٦) غير الباب الذي عقده للبديع وإن كان لا يشير إلى أنه من البديع، فيكون الجميع ثلاثين نوعا يضاف إليها سبعة من زياداته (٧) وهي: التشطير ـ المجاورة ـ الاستشهاد ـ المضاعفة (التورية) ـ

---

(١) الرسالة العذراء (٢) ٩١ : ١ البيان (٣) ٩٢ : ١ الرجع

(٤) سماه علي بن هارون المنجم (تسهيما) وسماه ابن وكيع (المطمع) وسماه المتأخرون (ارصادا) وهو أن يدل صدر البيت على قافيته.

(٥) ٢٥٨ صناعتين وما بعدها (٦) ٢٢٦ — ٢٤٩ صناعتين

(٧) ٣٩٩ — ٤١٧ صناعتين

التطريز ـ التلطف ـ المشتق ، ثم جمع ابن رشيق من ألوان البديع مثل ما جمع أبو هلال وأضاف إليها فى عمـــدته خمسة وستين بابا فى بحث الشعر ، وتلاه شرف الدين الشاشى فبلغ بها أكثر من ذلك ، ثم تكلم فيها ابن أبى الاصبع المصرى م ٦٥٤ هـ فأوصلها إلى التسعين فى كتابه الجيد « تحرير التحبير فى علم البديع » ، ثم صنف ابن منقذ كتابه « التفريع فى البديع» جمع فيه خمسة وتسعين نوعا ثم جاء صفى الدين الحلى م ٧٥٠ هـ فجمع ١٤٠ نوعا فى بديعيته فى مدح الرسول التى سماها « الكافية البديعية » وشرحها بنفسه ثم حذا الناس حذوه ونظموا كثيراً من البديعيات ، وأما السكاكى فذكر تسعة وعشرين نوعا من البديع ، وقد ذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوى ثلاثين نوعا ومن اللفظى سبعة ، وقد ألم بتطور البديع فى اختصار كثير من الباحثين(١) .

(٧)

وابن المعتز قد تأثر فى كتابه « البديع » بأستاذه ثعلب وبكتابه « قواعد الشعر» ويسير على نهجه فى العرض وذكر الأمثلة لبعض الألوان البديعية ودراساتها : كالتشبيه والاستعارة والإفراط ولطافة المعنى (التعريض) وحسن الخروج ، أما المطابقة عند ابن المعتز فهى مجاورة الاضداد عند أستاذه ، وأما التجنيس عند ابن المعتز فمن ألوانه عند ثعلب « المطابق » واحتذى قدامة فى ذلك اللون وفى تسميته حذو أستاذه ثعلب .

كما جمع ابن المعتز من البيان والتبيين كثيرا من شواهد البديع من النثر الأدبى، وكذلك أخذ من الحماسة قليلا من شواهده الشعرية .

(٨)

أما أثر ابن المعتز وكتابه البديع فى بحوث البيان وفى الدراسات البيانية وفى علماء البلاغة وكتبها التى ألفت بعده فنحن نشير إليها الآن :

---

(١) راجع ٩٢ عقود الجمان السيوطى ، ٦٧ : ٤ وما بعدها حاشية السبكى على التلخيص ، ٤٥ : ٢ تاريخ آداب اللغة لمحمد دياب وسوى ذلك من المراجع .

ابن المعتز وقدامة :

أثر ابن المعتز وكتابه البديع فى قدامة قليل ويتجلى فى :

(ا) أن كثيراً من مثل الاستعارة عند قدامة (١) نجدها عند ابن المعتز .

(ب) ويذكر قدامة أن المحدثين أكثروا من الطباق وإن كان الأعراب قد أتوا بكثير منه (٢) ، وذلك هو أساس الفكرة التى بسطها ابن المعتز (٣) فى البديع .

(ج) والالتفات كما عرفه قدامة أخص من تعريف ابن المعتز له ، أو هو جزء منه كما يقولون .

ولكن التفاوت بين الكتابين كثير :

(ا) فالطباق عند ابن المعتز يسميه قدامة التكافؤ ويذكر مثلا له لا نجدها فى البديع (٤) .

(ب) ويجعل قدامة المطابق نوعا من أنواع التجنيس (٥) كأستاذه ثعلب (٦)

(ج) وروح الكتابين ومنهجهما مختلفان كل الاختلاف ومع أن قدامة كان ابن المعتز تلميذاً لأستاذه ثعلب (٧) إلا أن الغالب عليه هو تأثره بأرسطو وخطابته : سواء فى أفكاره العامة فى نقد الشعر التى سبقه إليها الجاحظ وسواء من تأثروا بثقافة اليونان ، وذلك كدعوته إلى حسن الدلالة ووضوح العبارة وفصاحة اللفظ وخلوه من اللحن واستكراه الإغراب ، ومن ذلك آراؤه فى التشبيه والاستعارة والكناية والتجنيس ، ونظريته فى الفضائل الذى تأثر فيها بأرسطو إلى حد بعيد .

ويمكننا أن نقول : إن بحوث النظم وعناصر البلاغة فى نقد الشعر وفى البيان والتبيين هى مدينة لأرسطو كثيراً ، أما بحوث صناعة الشعر فهى أو الكثير منها مما يستقل به ابن المعتز فى بديعه ، والسبيل الذى سلكه الجاحظ كانت خطورة جريئة

---

(١) ١٠٤ — ١٠٦ نقد الشعر

(٢) ٨٦ نقد الشعر

(٣) ١٦ البديع

(٤) ٧٥ وما بعدها نقد الشعر

(٥) ٩٦ نقد الشعر

(٦) ٢٤ قواعد الشعر

(٧) ويكثر قدامة من ذكره والإشارة إليه (٤٥ و ٤٦ و ٨٤ و ١٠٤ و ١١٣ نقد الشعر)

فى سبيل تدوين عناصر البلاغة والنظم ، كما كان عمل قدامة فى النقد ذائع الأثر كبير القيمة ، وكما كان عمل ابن المعتز خطوة جريئة لتدوين البديع ، وإنى أرجح أن جد قدامة هو قدامة حكيم المشرق الذى ذكره الجاحظ فى رسائله عرضا وروى شعراً له (١) ، أما والده فهو جعفر بن قدامة صديق ابن المعتز الحيم م ٣١٩ هـ ، وأما قدامة فقد تتلذ مع ابن المعتز على ثعلب ولكنه تعمق فى الفلسفة وفى ثقافة اليونان وجاء إنتاجه مصطبغا بصبغة خاصة يدل عليها كتابه نقد الشعر الذى ألف الآمدى كتابا فى نقده وتبيين غلط قدامة فيه (٢) ، كما ألف عبد اللطيف البغدادى م ٦٢٩ كتابا فى شرحه (٣) .

ابن المعتز والآمدى :

والموازنة للآمدى تتخذ البديع مصدرا كبيرا من مصادرها العلمية ، تأخذ منه وتعتمد عليه إلى حد كبير :

١ — فنشأة البديع وأن المحدثين وأبا تمام ليسوا أول السابقين إلى اختراعه يفيض فى شرحها الآمدى(٤) نقلا عن ابن المعتز .

٢ — وذكر الآمدى أبا تمام وإفساده لشعره بالبديع نقلا عن كتاب ابن المعتز (٥) .

٣ ـ ويشيد بفضل ابن المعتز وعلمه بالشعر وحسن اختياراته فى كتاب البديع(٦)

٤ ـ ويذكر الآمدى مثلا كثيرة للتجنيس بعضها مأخوذ من كتاب البديع

---

(١) ٦٦ رسائل الجاحظ

(٢) ١٢٥ الموازنة ، ٥٨ : ٣ معجم الأدباء

(٣) ٧ : ٢ فوات وللبغدادى كتاب قوانين البلاغة وله اختصار الصناعتين (٧ و٨ : ٢ فوات) ، وفى كشف الظنون يذكر كتابى تكملة الصلة فى شرح نقد قدامة (٦ ؛ ٢ : ١) وكشف الظلامة عن قدامة (٤٠ : ٢ كشف الظنون) وينسب الأول لعبد اللطيف بن يوسف ولعله هو شرح البغدادى لنقد الشعر ، والكتاب الثانى لعله رد على من نقد قدامة كالآمدى وسواه

(٤) ٦ — ٨ الموازنة　　　(٥) ٨ و٩ و٦١ الموازنة

(٦) راجع ١٤ موازنة فى شرح بيت البحترى (تخز الزجاجة لونها) ؛ وهو فى البديع (ص١٢٩)

وصرح بذلك الآمدى أيضاً(١) ، وينقد الآمدى قدامة فى مخالفته لابن المعتز فى تسميته الطباق تكافؤاً(٢) ، إلى غير ذلك من مظاهر التأثر والاحتذاء .

ابن المعتز وصاحب العمدة :

وابن رشيق فى عمدته يرجع إلى البديع ويحتذيه :

١ ـ فهو يشير إلى الكتاب وينوه به (٣)

٢ ـ وينقل عنه تعريف ابن المعتز للتجنيس ويقول : وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه(٤)

٣ ـ وباب التصدير (رد العجز على الصدر) فى العمدة(٥) تأثر فيه بابن المعتز إلى حد كبير ونقل فيه من البديع وأشار إليه(٦)

٤ ـ والالتفات عند ابن رشيق هو الاعتراض ولذلك ذكر من شواهده الشواهد التى ذكرها ابن المعتز للاعتراض(٧)

ويقول ابن رشيق : وقد أحسن ابن المعتز فى العبارة عن الالتفات بقوله : هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الإخبار(٨) .

٥ ـ والاستثناء عند ابن رشيق هو توكيد المدح بما يشبه الذم (٩) .

٦ ـ والمذهب الكلامى فى العمدة منقول من البديع(١٠)

٧ ـ وبعض شواهد باب التضمين مأخوذة من البديع(١١)

ابن المعتز والباقلانى :

وأبو بكر الباقلانى م ٤٠٣ هـ يعتمد فى كتابه إعجاز القرآن على بديع ابن المعتز اعتماداً كبيراً :

---

(١) ١٢١ و١٢٢ الموازنة
(٢) راجع ١٢٤ الموازنة
(٣) ٢٣٥ جـ ١ وما بعدها العمدة
(٤) ١٩٩ : ١ العمدة
(٥) ٣ — ٥ : ٢ العمدة
(٦) ٤٠٥ : ٢ العمدة
(٧) ٤٢ — ٤٤ : ٢ العمدة ، ١٠٨ البديع
(٨) ٤٤ : ٢ العمدة ، ١٠٦ البديع
(٩) ٤٥ : ٢ العمدة ، ١١١ البديع
(١٠) ٧٥ و٧٦ : ٢ العمدة ، ١٠١ البديع
(١١) ٨٣ : ٢ العمدة ، ١١٤ البديع

فهو ينقل منه مثلا للبديع(١) ، ويذكر معنى المطابقة عند ابن المعتز (٢) ، وينقل عنه تعريفه للتجنيس (٣)وسواه

ابن المعتز وأبو هلال :

وكتاب الصناعتين لأبي هلال في الباب التاسع الذى وقفه على دراسة أنواع البديع(٤) وفي دراسته لباب التشبيه أيضا(٥) يكاد يكون صورة مطابقة لبديع ابن المعتز ، فهو يعرض اللون البديعي كما عرضه ابن المعتز وينقل كثيرا من شواهد كتاب البديع ولا يزيد عليها إلا القليل من شعر الشعراء المتأخرين عن عصر ابن المعتز .

وعلى أى حال فقد اطلع أبو هلال على البديع وأخذ منه(٦)

ابن المعتز وعلماء البلاغة :

وكثير من علماء البلاغة المتأخرين قد اعتمدوا على كتاب ابن المعتز اعتمادا وثيقا :

(ا) فالحلبي م ٧٢٩ هـ صاحب حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، ينقل عنه تعريف ابن المعتز للاستعارة(٧) وللالتفات (٨) . ويشير إلى الاستطراد وأن ابن المعتز يسميه الخروج(٩) وينقل عنه شواهد كثيرة(١٠) .

(ب) وكذلك ينقل عنه ابن مالك في المصباح كثيرا(١١)

(جـ) وكذلك ينقل عنه الحموى م ٨٣٧ هـ في خزانة الأدب كثيرا(١٢)

(د) وينوه به صاحب كشف الظنون وبأثره في مؤلفات البديع(١٣)

---

(١) ٦٩ ــ ٧٢ إعجاز القرآن

(٢) ٧٩ إعجاز القرآن

(٣) ٨١ المرجع ، ٥٥ البديع

(٤) ٢٥٧ ــ ٢٩٩ الصناعتين

(٥) ٢٢٦ وما بعدها المرجع

(٦) راجع ٢٩٨ صناعتين

(٧) ٢٩ حسن التوسل

(٨) ٨٠ المرجع

(٩) ٨١ المرجع

(١٠) راجع مثلا ٨٧ حسن التوسل و ١١٤ البديع ، ٨٦ حسن التوسل و ١٣٣ البديع

(١١) راجع مثلا ص ١٠٣ و ١٢٤ المصباح

(١٢) راجع مثلا ص ٣ و ٥٦ و ٤١ و ٢٢٥ و ٣٦٧ الخزانة

(١٣) ١٤٨ : ١ كشف الظنون

(هـ) كما ذكره ونوه به وبقيمته العلمية كثير من الباحثين (١)، والأمير أسامة ابن منقذ كتاب سماه «البديع» أيضاً (٢) ولم نطلع عليه لنرى منه أثر ابن المعتز فيه؛ وكثير من شواهد البديع عند علماء البلاغة المتأخرين هي من شواهد ابن المعتز في كتاب البديع

(٩)

خصائص الكتاب:

وللبديع أهمية كبيرة في فهم نشأة البديع وتطوره في البيان العربي على مر عصورنا الأدبية، وهو ينحو في دراسة ألوان البديع نحو الدراسة التطبيقية لواسعة التي لها أثرها في تكوين الملكة والذوق ودعم الفكرة والرأي في نفس القارىء ويشتمل الكتاب على ٣١٢ شاهداً من عيون الشعر العربي تبلغ ٤٢٥ بيتاً أو تزيد فوق ما اشتمل عليه من بليغ النصوص والشواهد من الذكر الحكيم وحديث رسول الله وكلام الصحابة والأعراب وبلغاء الكتاب. والكتاب مع ذلك خلو من الاصطلاحات العلمية الدقيقة وتحديدات المنطقيين العميقة، وهو يكتفي في توقيفك على مدلول اللون البديعي بشرح أدبي موجز حيناً وبما تدل عليه الشواهد حيناً آخر وبأسلوب يفيض بلاغة وسهولة مما يدل على ذوق سليم وفطرة عربية مطبوعة.

وأهم سمة يمتاز بها الكتاب بعد ذلك كله هو النظام الدقيق في العرض مما يتجلى في جميع أبواب الكتاب مع الذوق وسعة الإطلاع وحسن الاختيار في جميع شواهد الكتاب، وهو فوق ذلك أول خطوة علمية موفقة في التأليف في البديع والبيان، وإذا غضضنا النظر عن الخطوة الأولى التي خطاها ثعلب في كتابه «قواعد الشعر». كان عمل ابن المعتز جديداً مبتكراً من كل نواحيه.

---

(١) ٣ - ١ : ٢ زيدان، ٢٧٦ الزيات وسواهما

(٢) ١٤٩ : ١ كشف الظنون، ومنه نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٣٤٤ ب في ١٢٩ ورقة كتبت عام ٧١١ هـ

الفصل الثالث

كتاب البـــديع لابن المعتز

تمهيـــد

(١)

فى مكتبة الاسكوريال بمدريد برقم ٢٢٨ آداب توجد نسخة خطية من كتاب البديع للخليفة العباسى الشاعر أبى العباس عبد الله بن المعتز المقتول فى عام ٢٩٦ ﻫ وهى النسخة الوحيدة الموجودة من الكتاب فى جميع مكتبات العالم .

وقد قام المستشرق الروسى اغناطيوس كراتشقوفسكى بنشر الكتاب باللغة العربية ، معتمدا على نسخة الاسكوريال الخطية ، وطبعه عام ١٩٣٥ بمطبعة استيفن أوستن بمدينة هرت فورد بإشراف لجنة تذكار جب الانكليزية .

وكان الأستاذ كراتشقوفسكى عضوا بأكاديمية العلوم بلينينغراد عاصمة روسيا الأولى، وقد أنعمت حكومة السوفيت عليه فى يونيو عام ١٩٤٤ بوسام لينين ؛ لأنه أنقذ مكتبة لينجراد ، فبقيت فى مأمن من الضرب والتلف ، بفضل ما بذله من جهود فى خلال حصار المدينة وضربها المستمر بمدافع الألمان وقنابل طائراتهم فى الحرب العالمية الثانية (١) .

وهو من المستشرقين الذين وقفوا وقتهم وجهودهم على دراسة العلاقات بين الإسلام والبلدان الداخلة فى الاتحاد السوفيتى على الخصوص ، وله فى ذلك مباحث قيمة ، وهو الذى نشر كتاب البديع لعبد الله بن المعتز الخليفة العباسى البائس ، كما أنه نقل إلى الروسية كتاب الأيام للدكتور طه حسين

وقد أخرج هذا المستشرق الكتاب بالعربية فى سبع وسبعين صفحة ،

---

(١) راجع المصرى عدد ١٧ يونيو / ١٩٤٤ .

وأضاف إليه عدة فهارس وتعليقات ومقابلات، ويستغرق ذلك نحو مائة صفحة أخرى والمجهود الذى قام به الأستاذ الروسى مجهود منظم، ولكن الكتاب الذى نشره مملوء بالأخطاء والتحريفات، وقلما يهتدى الأستاذ إلى تصحيح أخطائه الكثيرة.

وقد تسنى للباحثين بعمل هذا المستشرق الاطلاع على هذا الكتاب الفذ النادر، والإفادة بما فيه من بحوث تعتبر المصدر الأول المؤلفين فى البلاغة والبيان وفن البديع، الذى يعتبر ابن المعتز أول من ألف فيه. كما يقول ابن رشيق(١) فى عمدته وسواه من العلماء.(٢)، وكما يقول ابن المعتز نفسه فى هذا الكتاب، إذ يقول: «وماجمع فنون البديع ولاسبقنى إليه أحد»(٣)

وقد حفزنى ما لهذا الكتاب من أثر علمى كبير، ومايحتاج إليه من جهود جديدة تخدمه وتنير السبيل لدارسه، إلى القيام بشرحه والتعليق عليه. موجها عنايتى إلى الإشارة إلى كثير من المصادر الأدبية الهامة فى مراجعة نصوصه، وإلى المقابلة بين روايات الكتاب وروايات هذه المصادر، وإلى الترجمة للأعلام الواردة فى الكتاب، وإلى شرح نصوصه الأدبية شرحا أدبيا واسعا، ثم إلى كتابة كلمة تحليلية للكتاب وأثره العلمى الخالد.

وهذا المجهود الذى بذلته — على أنه شاق — يعتبر ضرورة لازمة لهذا الكتاب، وتتميما للخطوة الأولى التى بدأ بها ناشره، وخدمة أدبية كبيرة لكتاب يستحق هذه الخدمة وتلك الجهود، وهو تذليل واسع النطاق للصعوبات الكثيرة التى تحيط بدراسى الكتاب وقارئيه، فوق أنه عمل جديد فى ميدان البحث العلمى والأدبى جميعا.

(٢)

وقد ألف هذا الكتاب عام ٢٧٤ هـ، ألفه الأمير العباسى الشاعر الأديب العالم أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله بن الخليفة المتوكل بن الخليفة

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢٣٥ : ١ طبع القاهرة ١٩٣٤

(٢) ٤٥ : ٢ أدب اللغة لمحمد دياب، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص، ٢٧٦ أدب اللغة للزيات، ٢٠٨ مجموعة النظم والنثر

(٣) ١٠٦ البديع.

المعتصم بن هرون الرشيد أعظم خلفاء بنى العباس ، ونسخه منه صديقه الأديب الشاعر الناقد ابن يحيى بن أبى المنصور المنجم(١)

وقد ألفه وسنه إذ ذاك سبعة وعشرون عاما ؛ أى بعد أن استكمل الكثير من خصائص شخصيته الثقافية والأدبية ، فكان إذ ذاك الشاعر الملهم، والأديب الفذ ، والكاتب البليغ ، والناقد الواقف على خصائص الأدب والبيان ، والعالم المحيط بكثير من ألوان الثقافة العربية ، وكانت ظروف الحياة السياسية إذ ذاك تبعد ابن المعتز عن السياسة وتصله بالعلم والأدب ، فقتل أبيه المعتز عام ٢٥٥ ﻫ ، وما استتبعه من أحداث ، مما أبعد عرش الخلافة عن بيت ابن المعتز إلى بيوت أعمامه وأبناء أعمامه ، وجعله محاطا بالشك والريبة من نفوس هؤلاء وهؤلاء ، وكاد أن يقضى على آماله الواسعة وهو فى مستهل حياته وفى مقتبل شبابه ، وفرض عليه أن يظهر الوئام مع رجال الحياة السياسية إبان ذاك ، وأن يبدى لهم طيب طويته وإخلاص سريرته ، حتى يطمئن هؤلاء الخلفاء وولاة العهد من جهته ، فأخفى ابن المعتز أمانيه المتغلغلة فى أعماق نفسه ، وعاش للفن والعلم يروى ظمأه من مشارعهما العذاب .

ولون الثقافة البادية على الكتاب هو الثقافة العربية الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى ، فهو مظهر لثقافة أدبية واسعة ، تنم عن اطلاع عميق على كتب الأدب والنقد والبيان التى كانت فى متناول الشباب الناشئين إذ ذاك ، لاسيما كتب الجاحظ عامة ، والبيان والتبيين خاصة ، كما تنم عن نشأة عالية على يد شيوخ العربية وأئمتها ، الذين تتلمذ عليهم ابن المعتز فى ذلك العهد . والظاهر أن كتاب البديع هو من أوائل مؤلفات ابن المعتز (٢) ، وأنه ألفه قبل أن يلم بثقافة أخرى سوى الثقافة العربية ، ولذلك فهو نتاج عربى خالص سبق فترة التلقيح التى مرت على تطور البيان العربى بعد عهد ابن المعتز وعلى يد قدامة ومن تلاه من أئمة النقد والبيان ، وإذا ما قارنا بين البديع لابن المعتز وفصول التماثيل أحد مؤلفاته الذى ألفه فى أواخر حياته وجدنا الأول عربيا خالصا فى ثقافته من حيث كان

---

(١) راجع ١٠٦ من هذا الكتاب

(٢) لم يشر ابن المعتز فى كتاب البديع إلى مؤلفات له اللهم إلا إلى كتابه « الفصول القصار » (راجع ص ٩٠ من هذا الكتاب)

الثانى مظهرا لثقافة متنوعة متعددة تستمد من شتى الثقافات ما تعرضه عليك من آراء وبحوث .

(٢)

وكتاب البديع بعد ذلك كله حافل بالنصوص الأدبية من الشعر والنثر التى جمعها ابن المعتز حين أخذ يعرض ألوان البديع ، وساقها فى نظام جميل ، فهو يعرض عليك ما يجده لهذا اللون البديعى أو ذاك من نصوص أدبية من القرآن والأئمة وأحاديث رسول الله حاذفا منها أسانيدها ، ومن كلام الصحابة والأعراب وغيرهم من جلة الكتاب وزعماء البلاغات ، ثم من عيون الشعر العربى مبتدئا بشعر الجاهليين ثم الإسلاميين ثم المحدثين ، وهذا كما يقول ابن المعتز « ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن (أى البديع) ، ولكنه كثر فى أشعارهم ، فعرف فى زمانهم ، حتى سمى بهذا الاسم ، ثم أكثر حبيب بن أوس الطائى منه ، فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض ، وتلك عقبى الإفراط ، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة ، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع (١) » ، « وإنما غرضنا من هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شىء من أبواب البديع (٢) .

وينم كلام ابن المعتز هذا على جدل أدبى حول البديع واستساغته فى الشعر وسائر ألوان الأدب العربى : ففريق من رجال العربية رآه تكلفاً يذهب بروعة الطبع وسحر الملكات فى الأداء ، فذمه وعابه ، وتنقص الشعراء البديعيين ، ذاهباً إلى أن البديع لو كان خيرا لكان القرآن والحديث وشعر المتقدمين من الجاهليين والإسلاميين أولى به من شعر المحدثين وأدب المحدثين ، وفريق آخر ذهب إلى استحسانه ، ولم ير فى توشية نتاج الطبع بألوان الصنعة الساحرة شيئاً من الإثم يستحقون عليه المؤاخذة ، فألموا بفنون من البديع فى آثارهم الأدبية المختلفة ، وكان من نتائج هذا الخلاف الأدبى الواسع أن وجد مذهب بيانى وسط بين مذهب الناقمين على البديع ومذهب المسرفين فيه ، يدعو إلى قبول هذا الوشى البديعى فى الأداء ، مادام قريباً

---

(١) راجع الكتاب ص ١٥ و ١٦ (٢) راجع ص ١٨ من هذا الكتاب

من الطبع ، بعيدا عن الصنعة والتكلف ، يتطلبه الغرض الذى سيق له ، والأسلوب الذى سيق فيه ، ولعل فى ما ذكره ابن المعتز عن أبى تمام فى كلمته السابقة ما يدل على أنه هو نفسه كان ينحو نحو هذا الاتجاه ، ونقول : إن هذا هو نفس اتجاه الجاحظ ، لحين ذكر السجع ذكر آراء رجال البيان فيه : استساغة وذما ، ثم ذكر وجه من ذمه ، ثم ذهب هو إلى إيثار المطبوع منه دون المتكلف (١) ، وقد أيد ابن المعتز رأيه بالبحث عما فى الكتاب والحديث والشعر الجاهلى والإسلامى من بديع .

(٤)

ولقب البديع ليس لقباً مستحدثا فى عهد ابن المعتز ، ولكنه اسم لهذه الألوان الساحرة فى الأسلوب ولهذا الترف البيانى فى الأداء ، من استعارة وتشبيه وتجنيس وطباق الخ ، سماه به مسلم بن الوليد الشاعر م ٢٠٨ هـ ، وكان يعرف قبل ذلك باللطيف (٢) . ودرج على هذا اللقب من بعده من العلماء والأدباء ، وقد ذكر الجاحظ البديع فى « البيان والتبيين » قال : « والراعى كثير البديع فى شعره » وبشار حسن البديع والعتابى يذهب شعره فى البديع » وقال : « والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم على كل لغة وأربت على كل لسان » وقد ساق ذلك عرضا حين ذكر بيت الأشهب بن رميلة :

هم ساعد الدهر الذى يتقى به   وما خير كف لا تنوء بساعد

قال الجاحظ : قوله : « هم ساعد الدهر » إنما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع (٣).

وذكر الجاحظ العتابى ثم قال : « وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين : كالنمرى ، ومسلم وأشباههما » وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أصوب من بشار وابن هرمة (البيان جـ ١ صـ ٥٤ و ٥٥) .

---

(١) البيان والتبين ص ١٩٤ و ١٩٥ : ١   (٢) راجع جـ٢ صـ ١٠ معاهد التنصيص
(٣) « « ص ٢٤٢ : ٣

فلقب « البديع » كان معروفا — كما قلت — قبل ابن المعتز (١) . أما ألقاب ألوانه وفنونه فبعضها كان معروفا قبله : كالتشبيه ، فقد ذكر الجاحظ له شواهد فى بيانه (جـ ٢ ص ٢٢٩) ، وتكلم عنه ثعلب فى قواعد الشعر (ص ١٤ – ١٨ طبع ليدن) ، وعقد المبرد م سنة ٢٨٥ هـ فى كامله بابا واسعا لدراسة التشبيه وتحليل كثير من أبلغ شواهده الأدبية (راجع ٣٥ – ١٠١ / ٢ الكامل طبعة ١٣٥٥ هـ بالقاهرة) ، وما كتبه المبرد وثعلب عن التشبيه كان أساسا لابن المعتز وسواه ؛ وكالاستعارة ، ذكرها الجاحظ وعرفها بأنها « تسمية الشىء باسم غيره إذا قام مقامه » (بيان جـ ١ ص ١١٦) ، وعرفها ثعلب فى قواعد الشعر بأنها أن يستعار للشىء اسم غيره أو معنى سواه (ص ٢١) ، وكالتقسيم والتفصيل (بيان جـ ٢ ص ٩١ و٩٢ و جـ ١ ص ١٧٠) ، وكالاستطراد الذى أشار إليه الجاحظ دون أن يذكر اسمه ويسميه ابن المعتز : حسن الخروج (جـ ٣ ص ٢٠٥ و جـ ١ ص ١٣٨) ، وأبو تمام هو الذى سماه استطرادا (٢) ؛ وكجودة الابتداء (٨٩ / ١ بيان) التى يسميها من بعد الجاحظ كابن المعتز بحسن الابتداء ، ويسميها المتأخرون: حسن الابتداء وبراعة الاستهلال ، وجودة القطع والقافية (بيان جـ ١ ص ٨٩ و٩٠) ، ويعنى بها استقرار خاتمة الكلام وقافية البيت فى مقرها وحسن ملاءمتها للغرض المقصود ولما قبلها من الكلام ، قال ابن رشيق فى العمدة : ورواية الجاحظ تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة ، وهو بالبيت أليق (١٩٠/١ العمدة)، وكالمذهب الكلامى، والجاحظ هو الذى سماه هذا الاسم (٣) وهو القياس المضمر عند أصحاب الخطابة والمنطق ، والتطبيق كان معروفا بمعنى إصابة الكلام الغرض المسوق له ، أو كما يقول الرمانى : مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان واختاره ابن رشيق (٤) ، وذكره الجاحظ كثيرا فى بيانه (٥) ، وهو بهذا المعنى خلاف ما عرف عند ابن المعتز حيث سماه (مطابقة) مريدا به الجمع بين الشىء

---

(١) ويقول ابن المعتز فى كتابه : البديعُ اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم وأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هــذا الاسم ولا يدرون ما هو وما جمع فنون البديع ولا سبقنى إليه أحد «ص ١٠٦» .

(٢) راجع ص ٤ مقدمة ديوان البحترى طبع ١٩١١ بالقاهرة و٣٨ : ٢ العمدة

(٣) ١٠١ البديع ، ٧٥ : ٢ العمدة لابن رشيق (٤) ٦ : ٢ العمدة

(٥) ٨٦ — ٨٩ ، ١ : ١٣٣ ، ٢ : البيان والتبيين

وما يقابله فى الكلام (١) ولكن الأصمعى سبق ابن المعتز إلى ذلك المعنى وتسميته بالمطابقة (٢/٦ العمدة) ، ويسميه قدامة فى نقد الشعر التكافؤ (٢) ، ويسميه ثعلب فى « قواعد الشعر » : مجاورة الأضداد (ص ٢٤ طبع ليدن) ، وكالإفراط فى الصفة ، فقد ذكر ابن قتيبة فى الشعر والشعراء كثيرا مما أخذه على الشعراء من إفراط ، مسميا لهذا النوع من المبالغة بهذا الاسم ، فيقول فى مهلهل وهو أحد الكذبة لقوله « ولولا الريح . البيت (٣) ، ويقول فى النمر بن تولب : ومن إفراطه قوله يصف السيف الخ (٤) ، ويذكره المبرد فى كامله كثيرا (٥) ، ويذكره ثعلب فى « قواعد الشعر » (ص ١٨ و ١٩ طبع ليدن) .

وأما التجنيس (٦) والاعتراض والالتفات وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والتعريض (٧) وحسن التضمين والرجوع ورد الأعجاز على الصدر والهزل الذى يراد به الجد ، فتكاد كلها أن تكون ألقابا خصصها ابن المعتز بمدلولاتها الفنية .

(٥)

أما موضوع كتاب البديع فهو ذكر لألوان البديع وشواهدها فى الأدب العربى شعرا ونثرا ، ويذكر مؤلفه ما أثر للون البديعى من شاهد فى كتاب الله ، ثم فى حديث رسوله ، ثم فى كلام الصحابة وسواهم ، ثم الأعراب وبلغاء الكتاب ، ثم يذكر كثيرا مما أثر له من شواهد فى الشعر العربى : الجاهلى فالإسلامى فشعر المحدثين ، ويختم الكلام على كل لون بذكر ما عيب من شواهده المتكلفة الخارجة عن حدود البلاغة وسحر البيان .

والبديع عند ابن المعتز خمسة أنواع :

الاستعارة ، التجنيس ، المطابقة ، رد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، المذهب الكلامى .

---

(١) ويسميه ثعلب المطابق « ٢٤ قواعد الشعر طبع ليدن » ، وتبعه قدامة فسمى نوعا من الجناس بذلك الاسم « ٩٦ نقد الشعر »

(٢) ٨٥ نقد الشعر (٣) الشعر والشعراء ص ٩٩ (٤) الشعر والشعراء ص ١٠٦

(٥) ١٧٣ : ١ ، ٤٦ و ٨٧ : ٢ الكامل للمبرد ط ١٣٥٥ بالقاهرة

(٦) راجع إعجاز القرآن للباقلانى ص ٧٩

(٧) فى قواعد الشعر لثعلب « ص ١٩ طبع ليدن » يذكر « لطافة المعنى » ويعرفها بأنها الدلالة بالتعريض على التصريح ، ثم يذكر أمثلة كثيرة لها

ويجعل ابن المعتز ماعدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول: إنها كثيرة ولايرى حرجا فى إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع (١)، وذكر من هذه المحاسن ثلاثة عشر نوعا وهى:

الالتفات، الاعتراض، الرجوع، حسن الخروج. تأكيد المدح بما يشبه الذم، تجاهل العارف، الهزل الذى يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الإفراط فى الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لا يلزم، حسن الابتداء.

وبذلك تنتهى ألوان البديع ومحاسن الكلام وينتهى معها الكتاب.

ويقول السيوطى عن البديع (٢): «أول من اخترع ذلك ابن المعتز جمع منها سبعة عشر نوعا، وعاصره قدامة فجمع منها عشرين نوعا، تواردا منها على سبعة، فكان جملة مازاده ثلاثة عشر نوعا فتكامل بها ثلاثون نوعا، ثم تقبعهما الناس فجمع العسكرى سبعة وثلاثين ثم جمع ابن رشيق مثلها وأضاف إليها خمسة وستين بابا من الشعر، وتلاهما شرف الدين التاشى. فبلغ بها السبعين ثم تكلم فيها ابن أبى الأصبع واستخرج عشرين وكتابه المحرر أصح كتب هذا الفن لاشتماله على النقل والنقد، الخ»، وهذا رأى ابن السبكى أيضا وهو صحيح. فنحن نجد ألوان البديع عند ابن المعتز هى ثمانية عشر لاسبعة عشر (٣)، وهو عند أبى هلال ستة وثلاثون يضاف إليها التشبيه الذى ذكر فى بحث مستقل (٤)، ومنها سبعة من زياداته وهى: التشطير، المجاورة، التقرير المضاعفة، الاستشهاد، التلطف، المشتق (٥)، وهى عند قدامة عشرون نوعا لاغير: الترصيع، التصريع، الغلو أو الافراط، صحة التقسيم، صحة المقابلة، صحة التفسير، التتميم، المبالغة، التكافؤ، الالتفات، الاستغراب أو الطرافة، المساواة، الإشارة، الإرداف، حسن التشبيه، التمثيل، المطابق أو المجانس، التوشيح، الاستعارة، الإيغال. ويتفق قدامة مع ابن المعتز فى سبعة أنواع منها، كما قال ابن السبكى وهى: الغلو أو المبالغة (أو الافراط فى الصفة كما يسميه ابن المعتز)، التكافؤ (أو

(١) ١٠٦ البديع.

(٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٦٧، شرح عقود الجمان للسيوطى ص ٩٢

(٣) اللهم إلا إذا لم يعد الإعنات (لزوم مالا يلزم)

(٤) ٢٢٦ صناعتين وما بعدها

(٥) الصناعتين ص ٣٩٩ — ٤١٦ وص ٢٠٨ أيضا

المطابقة كما يسميه ابن المعتز) ، المجانس (أو التجنيس كما لقبه به ابن المعتز) ، حسن التشبيه ، الالتفات (١) ومعناه عند ابن المعتز غير معناه عند قدامة (٢) ، الكناية (٣) ، الاستعارة .

(٦)

ولكتاب البديع ميزات كبيرة الأهمية :

فهو ينحو فى دراسة ألوان البديع وفنونه دراسة تطبيقية واسعة ، لها أثرها فى تكوين الملكة والذوق ، وفى دعم الفكرة والرأى فى نفس القارىء ، وحسبك أن الكتاب يشتمل على ٣١٢ شاهدا من عيون الشعر العربى تبلغ حوالى ٤٢٥ بيتا أو يزيد ، فوق ما اشتمل عليه من بليغ الشواهد من : الذكر الحكيم ، وحديث رسول الله ، وكلام الصحابة والأعراب ، وبلغاء الكتاب . والكتاب مع ذلك مطبوع بالطابع الأدبى الخالص ، فهو خلو من الاصطلاحات العلمية ، وتحديدات المنطقيين العميقة ، وهو يكتفى فى توقيفك على مدلول اللون البديعى بشرح أدبى موجز حينا ، وبما تدل عليه الشواهد حينا آخر ، وبأسلوب واضح يفيض بلاغة وسهولة .

ويمتاز بحصافة الذوق وسعة الاطلاع وحسن الاختيار فى جميع شواهد الكتاب .

وكذلك بالنظام الدقيق فى العرض مما يتجلى لك فى جميع أبواب الكتاب .

والكتاب يعد أول خطوة عملية موفقة فى التأليف فى البديع وفى البيان ، فلا شك أن بعضا من موضوعات الكتاب كالاستعارة والتشبيه هما العمود الفقرى للبيان العربى عند علماء البلاغة والبيان ، أما ما عداهما من أنواع البديع الباقية التى احتوى عليها الكتاب فهو أهم أبواب البديع عند علماء البديع .

---

(١) راجع ٨٧ نقد الشعر و٣٨٣ الصناعتين .

(٢) يعنى به قدامة مايشمل التذييل وشبه كمال الاتصال .

(٣) يسميها قدامة الارداف مريداً بها المعنى الاصطلاحى المعروف لكلمة كناية وهى عند ابن المعتز مراد بها المعنى اللغوى العام

(٧)

وقد ألف ثعلب إمام(١) ـ العربية م ٢٩١ هـ كتابا سماه «قواعد الشعر» وكان هو أحد مؤلفات هذا العالم الكبير ، وللمبرد كتاب اسمه : « قواعد الشعر » أيضا ، لاندرى عنه ولا عن موضوعه شيئا ، ولا نعلم من منهما الذى سبق بتأليف كتابه، وإن كان يغلب على ظنى أن ثعلبا هو السابق بتأليف كتابه لتقدمه فى السن ، والكتاب جديد فى شتى نواحيه .

أما من حيث موضوعه فقد درس ثعلب فى الكتاب هيكل الشعر العربى دراسة عامة جيدة جميلة مبتكرة ؛ فتكلم على قواعد الشعر العامة وأنها أربع : أمر ونهى وخبر واستخبار ، ولا شك أن ذلك لايختص بالشعر وحده ، بل النثر مثله فيه ؛ وعرض لفنون الشعروقسمها إلى : مدح وهجاء ومرثية واعتذار وتشبيه وتشبيب واقتصاص أخبار . وذكر شواهد للتشبيه الجيد ، وشواهد لرائع المديح . ثم تحدث عن . المبالغة (الافراط فى المدنى) ، وذكر شواهد لها من الشعر العربى ؛ وعن لطافة المعنى (التعريض والكناية بدل التصريح) وشواهدها ؛ والاستعارة ومثلها ؛ وحسن الخروج أو التخلص كما يقول البلاغيون ، ومجاورة الأضداد أو الطباق كما يسميه البلاغيون ؛ والمطابق وهو نوع من الجناس ، مع ذكر نماذج لكل باب من هذه الأبواب من جيد الشعر الجاهلى والإسلامى والأموى ، دون أن يتخطى ذلك فى الاستشهاد إلى شعر المحدثين ، ثم عرف الجزالة فى الشعر ، وتكلم على إتساق النظم وعتّرزاته . وأخيرا نجده يقسم الشعر خمسة أقسام ويتحدث عن كل قسم ويحدده ويوضحه ويذكر شواهد كثيرة له وبذلك ينتهى الكتاب .

والكتاب أولى أثر علمى لعالم من علماء القرن الثالث يتحدث فيه مؤلفه عن الشعر بهذا اللون من الدقة والتحديد والوضوح والفهم للشعر والأدب والتذوق لها والوقوف على آثار بلاغتهما .

و « البديع لابن المعتز » م ٢٩٦ هـ لا يشارك « قواعد الشعر » فى هذا لأن ابن المعتز ألف « البديع » ليتحدث فيه عن ألوان البديع العامة كما كان يعرفها هو ويعرفها عصره ، لا ليتحدث عن الشعر بمثل هـــذا الحديث الفنى .

---

(١) راجع ١٣٤ : ٥ معجم الأدباء .

و « الرسالة العذراء » لابن المدبر م ٢٧٩ هـ لاتشارك « قواعد الشعر » فى ذلك أيضا ، لأنها إلى البلاغة أقرب منها إلى الحديث عن الشعر . و « الكامل » للمبرد م ٢٨٥ هـ ليس فيه أثر للتخصص فى دراسة الشعر أو البديع أو البلاغة بوجه عام . و « البيان » للجاحظ وما فيه من دراسات عن الشعر أو النقد أو البيان هى عامة لاتخصص فيها ، والكتاب لم يؤلف لها ، وأحكامه الأدبية والبيانية أحكام مقاربة ليس فيها مثل هذا الوضوح ولا مثل تلك الدقة .

وأما أثر قواعد الشعر فى البيان فهو ولاشك أثر كبير ، فنحن نجد أنفسنا لأول مرة أمام عالم يؤلف ويكتب ويتحدث عن كثير من ألوان البديع والبيان : كالتشبيه ، والاستعارة ، ولطافة المعنى ، أو التعريض والكناية كما نقول نحن ، وكالإفراط فى المعنى (المبالغة) ، وحسن الخروج ومجاورة الأضداد (الطباق) ، والمطابق (لون من ألوان الجناس) . والثلاثة الأنواع الأولى هى أصل علم البيان ، وباقى الأنواع هى أبرز مافى البديع من فنون . وابن المعتز من غير شك مدين لأستاذه ثعلب فى هذه الدراسة ، فنحن نكاد نجزم بأن ثعلباً ألف هذا الكتاب قبل أن يؤلف ابن المعتز كتابه « البديع » عام ٢٧٤ هـ لأن ثعلباً عالم معمر ، ولأنه لو كان ابن المعتز قد سبقه بالتأليف لما أمكن ثعلبا أن يقف عند هذا الحد فى عرض ألوان البيان والبديع الساحرة فى الشعر العربى والتى ألم بها ابن المعتز ، مثل الالتفات والاعتراض وتجاهل العارف والهزل يراد به الجد وحسن الابتداء وحسن التضمين وتأكيد المدح بما يشبه الذم والمذهب الكلامى وغيرها : إذ كان ثعلب ولا شك سيستفيد من دراسات ابن المعتز ـ لو كان ابن المعتز قد ألف كتابه « البديع » قبل أن يؤلف أستاذه « قواعد الشعر » ـ وسيحاول أن يقتبس منها بعض الاقتباس فى كتابه .

فثعلب إذاً هو أول من كتب فى مؤلف عن هذه الألوان البيانية والبديعية بمثل هذا الوضوح والعرض والنظام ، وذلك أثر غير قليل لثعلب فى فن البيان .

ومن الغريب أن لايشير ابن المعتز فى « البديع » إلى كتاب « قواعد الشعر » مع أنه ساق بعض الشواهد الواردة فى « قواعد الشعر » ، ومع أنه قريب فى تحديد الاستعارة وغيرها من أستاذه ثعلب . بل ومن الغريب أيضا أن يخالفه فى تسمية « المطابق » الذى سماه ثعلب « مجاورة الأضداد » وفى تسمية « الجناس » الذى سمى ثعلب نوعا منه « المطابق » ، ولكن لاضير فى اختلاف الاصطلاحات ، فلكل مؤلف

أو مبتكر الحق فى تسمية مايشاء بما يشاء . ومن قبل ذكر أرسطو أنه مطاق لكل أحد احتاج إلى تسمية شيء ليعرفه به أن يسميه بما شاء من الأسماء.(١) ولكن الغريب حقا أن يقول ابن المعتز عن نفسه « وما جمع فنون البديع ولا سبقنى إليه أحد(٢) » ، فلا شك أن اثعلب الفضل فى أنه جمع فى « قواعد الشعر » أهم ألوان البديع التى ذكرها ابن المعتز فى كتابه مثل : التشبيه والاستعارة ولطافة المعنى والتعريض ومجاورة الأضداد والمطابق . وهذه الأنواع هى أهم مافى كتاب « البديع » لابن المعتز من ألوان البديع . « وقواعد الشعر » يمتاز بأنه يعرض لأصل هام فى البلاغة العربية بتقسيمه الشعر : إلى خبر واستخبار وأمر ونهى .

وأما أثر الكتاب فى الأدب والشعر فلا شك فيه لوضوحه ، فهذا الحديث عن الشعر بهذا الأسلوب قد أفاد دراسات الشعر ودراسات الأدب جميعا ، فوق مافى الكتاب من شواهد كثيرة من جيد الشعر العربى تبلغ نحو المائتين بيتا ، فوق هذا العرض الجميل لفنون الشعر وألوانه العامة

وأما أثره فى النقد الأدبى بمعناه العام ، فالكتاب نراه يتحدث عن الجزالة فى الشعر ، وعن اتساق النظم ، وعن أقسام أخرى للشعر فى أسلوب جيد ، وعرض هو إلى النقد أقرب منه إلى الشعر أو البلاغة : مما لا شك فى قيمته فى النقد فوق قيمته فى دراسات الشعر .

(٨)

ويرجع قدامة إلى «البديع» فى كتابه نقد الشعر ، وكذلك رجع إليه الآمدى كثيرا حين ألف موازنته (٣) . وكتاب « الصناعتين » لأبى هلال ـ فى الباب التاسع الذى وقفه على دراسة أنواع البديع (٤) يكاد يكون صورة مطابقة لبديع ابن المعتز تمام المطابقة ، فهو يعرض عليك اللون البديعى ، كما عرضه ابن المعتز ، وينقل كل الشواهد التى احتواها كتابه « البديع » ، ولا يزيد عليها إلا القليل من الشواهد لشعراء المتأخرين عن عصر ابن المعتز .

وكذلك كان مصدراً كبيراً لابن رشيق حين درس فى عمدته ألوان البديع ،

---

(١) ٧٤ نقد النثر ط ١٩٣٧ . (٢) ١٠٦ البديع .

(٣) راجع ص ٧ و ٨ و ٩ و ١٤ و ٦١ و ١٢٢ و ١٢٤ من الموازنة (طبع صبيح)

(٤) ٢٥٧ ـ ٤١٦ صناعتين

وقد أشاد به إشادة العارف بقيمته وخطره (١) ونقل عنه الكثير من شواهد فنون البديع فى عمدته ، ويشير إليه الباقلانى فى إعجاز القرآن ، ويأخذ منه (٢)

وكثير من مثل ألوان البديع عند علماء البلاغة المتأخرين كالخطيب ومن سواه هى من شواهد كتاب البديع ، سبقهم إلى جمعها من شتى أبواب الأدب العربى ، وأحصاها فى كتابه القيم « البديع » .

و « للبديع » أهميته الكبيرة فى فهم نشأة البديع وتطوره فى الأدب العربى وعلى مرور عصوره الأدبية المختلفة وهو من هذه الناحية كبير الأثر عظيم الخطر ، وكل من عرض لنشأة البديع وتطوره من علماء النقد كالآمدى والقاضى الجرجانى وسواهما فلاشك أنه كان متأثراً بكتاب البديع .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أهم المصادر لكتاب البديع . وأجل هذه المصادر وأهمها كتاب قواعد الشعر لثعلب الذى احتذاه ابن المعتز : فى التأليف والبحث فى أساليب البديع ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، حيث أخذ منه ابن المعتز كثيراً من النصوص والشواهد المختارة من بديع النثر الأدبى ، وقد أخذ ابن المعتز من حماسة أبى تمام بعض شواهد البديع من الشعر العربى .

كما لايفوتنا أن نشير إلى أننا قد وضعنا بعض عناوين للكتاب من عندنا (٣)

وأخيراً فهذا هو كتاب البديع ، وهذا مجهودنا الشاق فى : شرحه شرحا أدبيا مستفيضا ، وفى الترجمة لجميع الأعلام الواردة فيه (٤) ، وفى تحقيق الكثير من رواياته الأدبية ، وفى تحليل الكتاب الذى عرضناه عليك فى هذه المقدمة .

نعرض كل ذلك على الباحثين ، راجين أن نكون قد أصبنا الهدف ، فيما نشدناه من توفيق ، وأردناه من خدمة لهذا الأثر الخطير .

---

(١) ١١٠ و ٢٣٥ : ١ العمدة

(٢) راجع ص ٧٩ و ٦٩ ومابعدها و ٨١ من إعجاز القرآن للباقلانى (طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ) فنى الموضع الأول يشير إليه ، وفيما بعده يأخذ منه دون إشارة إليه

(٣) كما أننا صححنا أخطاء الأصل الخطى للكتاب ، الذى نشره المستشرق الروسى وكل كلمة تناولناها بالتصحيح فقد أشرنا إلى أصلها كما ورد فى أصل الكتاب وبينا ذلك فى هامش هذا الشرح .

(٤) فى هذا الشرح نحو مائتى ترجمة ، وفيه شرح نحو ٤٢٠ بيتا من الشعر ، فوق مافيه من شرح النصوص النثرية وتحقيق الروايات الأدبية

آراء المستشرق كراتشقوفسكى فى الكتاب

بحث «كراتشقوفسكى» فى المقـــدمة التى كتبها لكتاب البديع باللغة الإنجليزية مسألتين :

١ ـ احتمال التأثير الأجنبى على نظرية الشعر العربى

٢ ـ أسبقية ابن المعتز أول من ترك فى هذا الميدان بحوثا منهجية ، وقد ذكر أن له بحوثا منظمة أخرى حول احتمال وجود أى تأثير أجنبى فى نظريات الشعر العربى وعلى الأخص تأثير أرسطو

وبسبيل الإجابة عن هذين السؤالين تطور الموضوع إلى بحث فى نقطتين أساسيتين

١ ـ الدور الذى قام به كتاب أرسطو فى فن الشعر :

٢ ـ البحث عن مصادر تمكنه من إصدار كتاب ابن المعتز

وقد عالج النقطة الأولى ببحث : (١) مقالات المعتزلة وتأثيرها فى القرن التاسع على الإنتاج الأدبى : (٢) والمؤثرات الهندية والفارسية فى الشعر العربى .

وقد وصل إلى نتيجة سلبية من ناحية تأثير كتاب الشعر لأرسطو على نظريات الشعر العربى ، وهو يشير إلى قلة معلوماته فى البحوث الافريقية ، وإلى أن رأيه فى نفى تأثير أرسطو على نظريات الشعر العربى يطابق رأى بعض النقاد الغربيين فى هذا البحث

وذلك ملخص ما أورده كراتشقوفسكى فى الصفحات ١ ـ ٥ من مقدمته لكتاب البديع .

مقدمة ابن المعتز لكتاب البديع

قال عبد الله بن المعتز رحمه الله :

قد قدمنا[1] فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشارا[2] ومسلما[3] وأبا نواس[4] ومن تقيلهم[5] وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر فى أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب

---

(١) قدم الشىء جعله مقدما .

(٢) أبو معاذ بشار بن برد ، نشأ فى البصرة وقدم بغداد وأدرك الدولتين : الأموية والعباسية ، وهو زعيم المحدثين ومن المبتدعين فى مذاهب الشعر ومعانيه والمتصرفين فى شتى فنونه والمجيدين فى الأساليب الشعرية ، اتهم بالزندقة وقتل سنة ١٦٧ هـ .

(٣) نشأ صريع الغوانى مسلم بن الوليد الأنصارى فى الكوفة ، وفيها درس وتأدب ونظم القريض ومدح الأمراء وأثرى ، ويعد فى الطبقة الأولى من المحدثين ، وهو ممن تكلفوا البديع فى شعرهم حتى رمى بإفساده ، ويجمع شعره بين الأسلوب القديم والحديث مع رقة واضحة ، مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(٤) نشأ أبو نواس الحسن بن هانىء بالبصرة ثم تحول إلى الكوفة ليتخرج على والبة بن الحباب ، ونبغ فى الشعر فرحل إلى بغداد وفيها تألق نجمه ووثقت صلاته بالرشيد والأمين ، وكان ضليعا فى سائر فنون الثقافة الدينية والأدبية ، وهو شاعر اللذات الحسية وشعره صورة لمذهب اللذة الذى طبع عليه ، ويمتاز بافتنانه وكثرة تصرفه وحسن جودته وسهولة أسلوبه ورقة لفظه وسلامة نظمه وأجود شعره خمرياته ، مات ببغداد سنة ١٩٨ .

(٥) تقيل الولد أباه : نزع إليه فى الشبه واحتذى حذوه .

عنه ودل عليه . ثم إن حبيب[1] بن أوس الطائى من بعدهم شغف[2] به حتى غلب عليه وتفرع[3] فيه وأكثر منه فأحسن فى بعض ذلك وأساء فى بعض ، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف ، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة ، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل ، وقد كان بعض العلماء يشبه الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس[4] فى الأمثال ، ويقول : لو أن صالحا نثر أمثاله فى شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه ، وغلب على مد[5] ميدانه ، وهذا أعدل كلام سمعته فى هذا المعنى [6] .

أصل الكتاب

بسم الله [الرحمن الرحيم] :

من الكلام البديع قول الله تعالى : وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم .

ومن الشعر البديع (قوله (من البسيط) :

---

(١) ولد بجاسم من قرى حوران بالشام عام ١٩٠ هـ ورحل إلى مصر صبيا فتروى الأدب وأكثر من حفظ الشعر وعالج نظم القريض حتى أجاده ثم رحل إلى بغداد ومدح المعتصم وولى بريد المواصل واشتهر أبو تمام بقوة الحافظة وألف «الحماسة» و«فحول الشعراء» و«نقائض جرير والأخطل» وغير ذلك ، ويمتاز شعره بتخير اللفظ وتجويد الصياغة ودقة المعانى وتكلف البديع ، مات سنة ٢٣١ هـ .

(٢) شغفه الحب أمرضه أو أحرق قلبه وشغف بكذا على البناء للمجهول .

(٣) تفرعت أغصان الشجرة كثرت . وتفرع القوم : ركبهم ، وفرع من هذا الأصل مسائل جعلها فروعه فتفرعت .

(٤) شاعر حكيم متكلم كان يعظ الناس فى البصرة اتهم بالزندقة وقتل ببغداد نحو سنة ١٦٠ هـ .

(٥) المد : السيل ، ومد البصر : مداه .

(٦) بسط الجاحظ ذلك الرأى فى البيان والتبيين (نشر السندوبى عام ١٩٢٦) ١٥٠ جـ ١ والم به ابن رشيق فى العمدة (٢٥٥ / ١) .

١ — والصبح بالكوكب الدرى منحور[1]

وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها ، مثل: أم الكتاب ، وجناح الذل ، ومثل قول القائل : الفكرة مخ العمل [2]، فلو كان قال« لب العمل » لم يكن بديعاً .

ومن البديع أيضا التجنيس والمطابقة ، وقد سبق إليهما المتقدمون ، ولم يبتكرهما المحدثون ، وكذلك الباب الرابع[3] والخامس[4] من البديع .

وقد أسقطنا من كتابنا هذا أسانيد الأحاديث : عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن أصحابه ، إذكان من التكثير ، ولم نذكر إلاحديثامشهوراً .

ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا فى فضيلته ، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به ، أو يزيد فى الباب من أبوابه كلامامنثورا ، أو يفسر شعرا لم نفسره ، أو يذكر

---

(١) صدر البيت : أوردتهم وصدورالعيس مسنفة ، (راجع٣٤٧صناعتين،٩٦ نقد الشعر) ، ويروى أوردتها ، والبيت لعبد الرحمن بن على بن علقمة بن عبدة ، مسنفة (بصيغة اسم المفعول) : أى مشدودة بالسناف (بكسر السين) وهو خيط يشد من حقب البعير إلى تصديره ثم يشد فى عنقه إذا أضمر(مادة سنف فى اللسان) . منحور: أى مستقبل (بصيغة اسم المفعول) كما فى مادة نحر فى اللسان ، والكوكب الدرى : المضيء الثاقب نسب إلى الدر لبياضه . ومعنى البيت: أنه أورد هذه الإبل الضامرة — أوأورد القوم الذى كان رائداً لهم — منهل الماء والإبل فى نهاية الكلال والليل تضيء كواكبه وتبعد إشراق الصباح عنه فكأنها نحرته . قال قدامة : أشار إلى الفجر إشارة ظريفة بغير لفظه ، وقال أبو هلال : وليس فى هذا البيت إشارة إلى الفجر بل صرح بذكر الصبح وقال هو منحور بالكوكب الدرى أى صار فى نحره ، ووضع هذا البيت فى باب الاستعارة أولى (٣٤٧ صناعتين) .

(٢) هى لابراهيم بن يزيد النخعى فقيه العراق سنة ٩٦ هـ . وخالص كل شيء هو مخه . والمراد أنها الروح المدبرة للعمل كما سيأتى فى الكتاب .

(٣) هو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها .

(٤) هو المذهب الكلامى .

شعراً قد تركناه ، ولم نذكره ، إما لأن بعض ذلك لم يبلغ فى الباب مبلغ غيره فألقيناه ، أو لأن فيما ذكرنا كافيا ومغنيا ، وليس من كتاب إلا وهذا ممكن فيه لمن أراده[1] ، وإنما غرضنا فى هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شىء من أبواب البديع . وفى دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التى قصدناها . وبالله التوفيق .

الباب الأول من البديع وهو الاستعارة[2]

قال الله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » . وقال : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . وقال : « واشتعل الرأس شيبا » . وقال : « أو يأتيهم عذاب يوم عقيم » . وقال : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » .

الأحاديث : فأما أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم . فقوله : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، كلما سمع هيعة طار إليها[3] » . وقوله: « ضموا ماشيتكم حتى تذهب فحمة العشاء[4] » . وقوله : « إنا لا نقبل زبد

---

(١) وذكر أرسطو : أنه مطلق لكل أحد احتاج إلى تسمية شىء ليعرفه به أن يسميه بما شاء من الأسماء (ص ٧٤ نقد النثر ١٩٢٧)

(٢) سبق أن عرفها ابن المعتز بأنها « استعارة الكلمة لشىء لم يعرف بها من شىء قد عرف بها » ، وقد عقد لها أبو هلال فى الصناعتين بابا تأثر فيه خطا ابن المعتز فى دراسة الاستعارة (الصناعتين ٢٥٨ — ٢٩٧) ، وكذلك فعل ابن رشيق (العمدة جـ ١ ص ٢٢٩ طبعة القاهرة ١٩٣٤) ، وألم بها قدامة فى نقد الشعر (ص ١٠٤ — ١٠٦) وفى نقد النثر (من ٦٤ - ٦٦) — وذكرها وذكر مثلاها ثعلب فى كتابه قواعد الشعر (ص ٢١ — ٢٣ طبع ليدن)

(٣) العنان : اللجام . الهيعة : الصوت تفزع منه وتخافه من عدو ونحوه ، أو هى صوت الصارخ للفزع . والمعنى : خير الناس رجل أخذ عنان فرسه واستعد للجهاد فى سبيل الله كلما دعا داعى الجهاد . استعار الطيران للعدو .

(٤) فحمة العشاء : ظلمته . الضم : الجمع والحفظ .

المشركين » . أي رفدهم : وقال صلى الله عليه وسلم : « رب تقبل توبتي واغسل حوبتي (١) » . وقال صلى الله عليه وسلم : غلب عليكم داء الأمم الذين من قبلكم: الحسد والبغضاء ، وهي الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر » .

كلام الصحابة : قال علي بن أبي طالب (٢) رضي الله عنه في كتابه إلى ابن عباس(٣) وهو عامله على البصرة في بعض كلامه : « أرغب راغبهم واحلل عقد الخوف عنهم (٤) » . وسئل عن تغيير الشيب(٥) وماروى في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ! « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » . فقال علي رضي الله عنه : « إنما قال ذلك والدين في قل(٦) ، فأما وقد اتسع نطاق الإسلام فكل امرىء وما اختار لنفسه » . وقال أبو بكر الصديق(٧) رضي الله عنه وذكر الملوك فقال : «إن الملوك إذا ملك أحدهم زهده الله في ماله، ورغبه في مال غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق وهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير جذل الظاهر، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله [حاسبه الله عز وجل] فأشد حسابه وأقل غفره» (٨) ، أراد (٩) من هذا نضب عمره ، وهو الاستعارة.

---

(١) الحوبة : الإثم .

(٢) ابن عم رسول الله تولى الخلافة بعد عثمان ، وقتل سنة ٤٠ هـ .

(٣) هو عبد الله بن عباس ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، كان حبر الأمة وعالمها وولي البصرة لعلي وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(٤) عقد جمع عقدة وهي موضع العقد وهو ما عقد عليه .

(٥) أي بالخضاب . (٦) أي قلة .

(٧) الخليفة الاسلامي العظيم الأول توفي سنة ١٣ هـ .

(٨) من خطبة لأبي بكر تراها في البيان والتبيين (٤٧ : ج ٢) مع اختلاف قليل في الرواية . يتسخط : يستقل من تسخط عطاءه أي استقله ، أو من السخط وهو المقت والكراهية والغضب . الجذل : الفرح . وجب الميت والحائط : سقط . ووجبت الشمس : غابت . ضحا ظله: أي مات، من ضحا الظل إذا صار شمساً، والإنسان إذا صار ظله شمساً فقد بطل .

(٩) أي أبو العباس عبد الله بن المعتز .

ورووا أن عليا رضى الله عنه سأل كبير فارس عن أحمد سير ملوكهم عندهم فقال : لأردشير[١] فضيلة السبق غير أن أحمدهم سيرة أنو شروان[٢] . قال : فأى أخلاقه كان أغلب (عليه) ؟ قال : الحلم والأناة ، قال على رضى الله عنه: هما توأمان ينتجهما علو الهمة . وقال على رضى الله عنه : العلم قفل مفتاحه السؤال . ورووا أن عليا رضى الله عنه قال لبعض الخوارج فى حديث طويل: « والله ما عرفت حتى نعر الباطل فنجمت نجوم قرن الماعزة[٣] » ، أردنا قوله: نعر الباطل؟ ورووا أن عمر[٤] رضى الله عنه لما حصب المسجد[٥] قال له رجل : لم فعلت ذلك . قال : هو أغفر للنخامة[٦] . وقال الشعبى[٧] : كتب خالد بن الوليد[٨] إلى مرازبة[٩] فارس عند مقدمه العراق : أما بعد . فالحمد لله الذى فض خدمتكم وفرق كلمتكم . الخدمة : الحلقة المستديرة ، ومنه قيل للخلاخيل خدام ، قال الشاعر (من المتقارب) :

٢ — وتبدى لذاك العذارى الخداما[١٠]

وسئلت عائشة[١١] رضى الله عنها : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يفضل

---

(١) من ولد ساسان بن أردشير مؤسس الدولة الساسانية مكث فى الحكم خمسة عشر عاما .

(٢) من الأكاسرة الساسانية مكث فى الحكم ٤٨ عاما بلغت فيها فارس ذروة المجد .

(٣) نعر : صوت وصاح . نجم : ظهر وطلع .

(٤) الخليفة الإسلامى الثانى قتل عام ٢٣ هـ .

(٥) أى فرشه بالحصى .

(٦) أى أستر للبصقة إذا سقطت فيه .

(٧) راوية كوفى كان نديم عبد الملك بن مروان وكان محدثا وفقيها وشاعراً استقضاه عمر بن عبد العزيز ، (١٩ — ١٠٣ هـ) .

(٨) الصحابى المشهور والقائد الإسلامى الفاتح مات عام ٢١ هـ .

(٩) أى قواد .

(١٠) الإبداء عن الخدام مثل فى صعوبة الأمر وشدة الخطب وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير النساء عن سوقهن وإبداء خلاخلهن عند ذلك .

(١١) بنت الصديق وزوج الرسول وأم المؤمنين (٩ ق هـ — ٥٨ هـ) .

بعض الأيام على بعض ، قالت : كان عمله دعة ، أى دائما . ولما قتل عثمان[١] رضى الله عنه قال أبو موسى[٢] : هذه حيصة من حيصات الفتن ، بقيت المثقلة الرداح[٣] . وقال الحجاج[٤] يوما فى حديث ذكره الشعبى : دلونى على رجل سمين الأمانة . ولما عقدت الخوارج[٥] الرياسة لعبدالله بن وهب الراسبى[٦] أرادوه على الكلام فقال : لاخير فى الرأى الفطير والكلام القضيب ، فلما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى يغب فإن غبوبه يكشف لكم عن فصه[٧] . وقال بعض الصالحين فى ذمه الدنيا : دار غرست فيها الأحزان ، وسكنها الشيطان ، وذمها الرحمن ، وعوقب بها الإنسان . وكان يقال : رأس المآثم الكذب . وعمود الكذب البهتان . وقال ابراهيم النخعى[٨] : الفكر مخ العمل . وقيل لأعرابى : إنك لحسن

(١) الخليفة الإسلامى الثالث قتل سنة ٣٥ هـ .

(٢) الأشعرى الصحابى من الولاة وأحد الحكمين فى فتنة على ومعاوية كان أحسن الصحابة صوتاً وحدث عن رسول الله . مات بالكوفة عام ٤٤ هـ .

(٣) الحيصة : الجلبة والضوضاء ، وحيصة من حيصات الفتن أى روغة منها عدلت إلينا ، الرداح : الثقيلة العجيزة والضخمة الوركين ، أراد الفتنة العظيمة الثقيلة .

(٤) قائد داهية وبليغ مصقع ولى العراق واشتهر بالقسوة وكان خطيباً مؤثراً توفى عام ٩٥ هـ .

(٥) فرقة خرجت على على بعد التحكيم وكفروا عليا ومعاوية وناضلوا بحد السيوف عن آرائهم طول دولة بنى أمية .

(٦) أزدى ومن أئمة البياضية أدرك النبى وخرج على على وقتل فى موقعة النهروان عام ٣٨ هـ .

(٧) راجع الرواية فى البيان والتبيين ١/١٤٩ ، ٢٦ و ٢/٩٣ . والفطير : العجين الذى لم يختمر . والقضيب : الناقة التى لم تمهر الرياضة أو التى لم ترض ، يريد الكلام المرتجل عن غير خبرة ، والغبوب تدل مادتها على المكث والانتظار ، فالغب فى سقى الإبل يوم ويوم ، وغب كل شىء عاقبته . فص الأمر : مفصله الذى يفصل منه كما يحز العظم من المفصل .

(٨) من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث ، وكان فقيه العراق وإماما مجتهداً صاحب مذهب ، وهو من أهل الكوفة مات عام ٩٦ هـ وقد سبق ذكر له فى الشرح .

الكدنة(١) ، قال : ذلك عنوان نعمة الله عندى . ووصف أعرابى قوما فقال: كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام ، وإذا تصافحوا بالسيوف قعد الحمام(٢) . وقال أكثم(٣) : الحلم دعامة(٤) العقل . وسئل آخر عن البلاغة فقال: دنو المأخذ، ونزع(٥) الحجة ، وقليل من كثير . وقال خالد بن صفوان(٦) لرجل : رحم الله أباك ، فإنه كان يقرى العين جمالا والأذن بيانا(٧) . وسئل أعرابى عن صديق له فقال: صفرت عياب(٨) الود بينى وبينه بعد امتلائها ، واكفهرت وجوه كانت بمائها . وذكر أعرابى رجلا فقال : إن الناس يأكلون أماناتهم لقما ، وفلان يحسوها حسوا(٩) وقيل لأعرابية : أين بلغت قدرك؟ فقالت : حين قام خطيبها(١٠) . وقال بعضهم: من ركب ظهر الباطل نزل دار الندامة . وقيل لأعرابى : كم أهلك ؟ قال أب وأم وثلاثة أولاد ، أناسيل عيشهم . وقيل لرؤبة(١١) : كيف خلفت ما وراءك،

---

(١) الكدنة : السنام والشحم والمراد الهيئة .

(٢) راجع الرواية فى الصناعتين ص ٢٧٤ . ويروى فغر فمه : فتحه . وقعد أصوب.

(٣) أكثم بن صيفى حكيم العرب فى الجاهلية وأحد المعمرين أدرك الاسلام وقصد المدينة عام ٩ هـ مع جماعة من قومه ليسلموا فمات فى الطريق (الأغانى ١٥ : ٧٠) .

(٤) دعامة كل شىء عماده .

(٥) فى رواية : وقرع كما فى البيان والصناعتين .

(٦) خطيب بليغ ومتكلم فصيح عاصر الدولة الأموية وجالس السفاح وتوفى فى أول عهده عام ١٣٣ هـ وكان بخيلا مطلاقا ، وقال فيه الجاحظ : هو من الخطباء المشهورين فى العوام المقدمين فى الخواص وكان يقارض شبيب بن شيبة الخ (البيان ٢١٩ و ٢٢٠ / ١ ، ٢٢٨ / ٢) .

(٧) رواية الجاحظ : يملأ العين جمالا (٢٦٤ / ٣ البيان) .

(٨) صفرت : خلت . عياب : جمع عيبة وهى الحقيبة .

(٩) اللقم : الابتلاع . وحسا المرق من باب عدا : شربه شيئا بعد شىء .

(١٠) تريد صوت مائها وهو يغلى .

(١١) يعرف الأدبى العربى بهذا الاسم ثلاثة (١٢١ و ١٢٢ المؤتلف للآمدى) وأشهرهم رؤبة بن العجاج التميمى راجز فصيح مشهور من مخضرمى الدولتين كان=

قال : المراد يابس والمال عابس(١) .

ومن الأستعارة قول امرىء القيس(٢) (من الطويل) :

٣ - وليل كموج البحر مرخ سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل(٣)

هذا كله من الاستعارة ، لأن الليل لا صلب له ولا عجز . وقال (من الطويل):

٤ - يضيء سناه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المفتل(٤)

أردنا من البيت قول : «أمال السليط» . وقال زهير(٥) (من الطويل) :

= أكثر إقامته في البصرة وأخذ عنه كثيرون من رجال اللغة وكانوا يرون إمامته فيها ويحتجون بشعره . ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة ، مات بالبادية عام ١٤٥ هـ .

(١) رواية الجاحظ : قال عتبة بن هرون قلت لرؤبة : كيف خلفت ما وراءك؟ قال : التراب يابس والمرعى عابس (٨٣ و ١٢٦ / ٢ البيان) المراد : المكان الذى يذهب فيه ويجاء ، والمراد : الأرض التى كانت تهيأ للإنبات . يريد قلة الماء وانعدام النبات وظهور الجدب .

(٢) إمام الشعراء ورأس الطبقة الأولى من الجاهليين مات نحو عام ٥٤٠ م .

(٣) السدول : الستور الابتلاء : الاختبار . تمطى : تمدد . الإرداف : الإتباع . الأعجاز : المآخير . الكلكل : الصدر . ناء : بعد . المعنى : رب ليل شبيه بأمواج البحر فى هوله أرخى على سدول ظلامه مع أنواع الأحزان ليختبرنى أأصبر أم أجزع حتى تمنيت أن ينكشف الليل وينجلى بنور الصباح لما أفرط طوله وبعدت أوائله وازدادت أواخره طولا . يفتخر بالصبر والجلد وتحمل آلام الأحزان فى ظلام الليالى الطوال .

(٤) السنا : الضوء . السليط : الزيت . الذبال : الفتيل . المعنى أن هذا البرق يتلألأ ضوؤه وهو شبيه فى لمعانه بمصابيح الراهب إذا أفعم صب الزيت عليها فتكون أشد إضاءة .

(٥) من فحول الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين وصاحب هرم بن سنان ، وشعره مختار مهذب بعيد عن الحوشيه والمعاظلة . ومات قبل الإسلام .

٥ — إذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس تهر الناس أنيابها عصل(١)

تهر : أى تحملهم على أن يكرهوا ، يقال : هر فلان كذا إذا كرهه . وأهررته أنا حملته عليه ، وهرير الكلب صوت يردده إلى جوفه إذا كره الشىء أو الشتاء لشدة البرد أو لغيره ، وقال أبو سعيد(٢) : القول تهر ومن قال تهر الناس أراد أنها أساءت أخلاقهم لشدتها ، وتهر كأنها تنبح فى وجوههم .

وقال أيضا (من الطويل) :

٦ — صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله(٣)

وقال أيضا (من الوافر) :

٧ — إذا سدت به لهوات ثغر يشار إليه جانبه سقيم(٤)

---

(١) لقحت : حملت ، والمراد اشتدت وضرب اللقاح مثلا لشدتها . العوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة الضروس : العضوض السيئة الخلق . تهر الناس : قال الأعلم الشنتمرى أى تصيرهم يهرونها أى يكرهونها . العصل : الكالحة المعوجة ، وضربها مثلا لقوة الحرب وقدمها . وقال قدامة : أراد أن هذه الحرب قديمة قد اشتد أمرها كما يكون ناب البعير أعصل إذا طال عمره واشتد (١٠٥ نقد الشعر)

(٢) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى راوية العرب وأحد علماء اللغة ولد ومات بالبصرة عام ٢١٦ ﻫ وكان وثيق الصلة بالرشيد .

(٣) المعنى : صحا القلب عن حب سلمى وكف باطله أى صباه ولهوه ، وتعرية أفراس الصبا مثل ضربه أى أنه ترك الصبا وركوب الباطل ، والتقدير وعرى أفراس ورواحل كنت أركب بها فى الصبا وطلب اللهو .

(٤) لهوات الثغر : مداخله جمع لهاة وهى مدخل الطعام فى الحلق استعارها لمدخل الثغر . والثغر : الموضع المخوف الذى ينفذ منه الأعداء . ويشار إليه صفة لثغر أى يهتم به ويذكره ، وجانبه سقيم : أى جانب الثغر مخوف يخشى القوم أن يؤتوا منه لجهله سقيما لذلك ، وسداد الثغر : تحصينه ومنع العدو منه . هذا رأى الأعلم الشنتمرى ، وأرى أن « يشار إليه » جواب الشرط أى يهتف به ويشار إليه وهو مع ذلك لايرى ما أتى به من بطولة شيئا يستحق أن يزهى به فهو سقيم من الحياء والتواضع

وقال النابغة [١] (من الطويل) :

٨ — وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب [٢]

أراد قوله : أراح الليل عازب همه ، هذا مستعار من إراحة الراعى الإبل إلى مباءتها ، أى موضع تأوى إليه . وقال أيضا (من الطويل) :

٩ — على أن حجليها إذا قلت أوسعا صموتان من ملء وقلة منطق [٣]

وقال الأعشى [٤] (من الكامل) :

١٠ — إذ لمتى سوداء أتبع ظلها غزلا قعود بطالة أمشى ددا [٥]

وقال أيضا (من الطويل) .

١١ — سما لابن هر فى العثار بطعنة تفور على سرباله نعراتها [٦]

---

(١) شاعر ذبيان فى الجاهلية ،كان من أشراف قومه، وتكسب بالشعر، وقصد به ملوك الحيرة والغساسنة ، وهو من الطبقة الأولى من فحول الجاهليين ، واشتهر باعتذاريانه ، وشعره محكم قوى ، مات قبل البعثة بقليل

(٢) أراح : رد ، والعازب : البعيد الماضى المنصرف

(٣) الحجل : الخلخال . المعنى : خلخالاها لايتحركان من امتلاء ساقيها فهما فى قدميها ضيقان مع سعتهما

(٤) ميمون بن قيس صناجة العرب وأحد رجال الطبقة الأولى من الجاهليين ، أستاذ الأخطل وأبى نواس فى خمرياته ، وكان لشعره دوى بين العرب، قصد الرسول فأغرته قريش بالمال ، فعاد إلى بلده ومات فى الطريق

(٥) اللمة : الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن . غزل : أى صاحب غزل . القعود : مايقتعده الراعى فى كل حاجة ، والمعنى : ملازم بطالة . الدد : اللهو واللعب . المعنى : أنه كان كلفا بالنساء حين كان فى نضارة الشباب يسير وفق لذاته ومآربه ، صاحب غزل ، وخدن لهو ولعب .

(٦) المعنى : أن هذا الممدوح سما — أى نهض وعلا — لهذا الرجل الشجاع فطعنه طعنة عميقة تركته تفور وتتدفق على قيمصه الدماء المنصبة منها والنعرة : صوت فى الخيشوم جمعها نعرات ، ونعر الجرح بالدم إذا فار ، ونعر العرق فار منه الدم . العثار : الحرب . السربال : القميص .

وقال أيضا (من الوافر) :

١٢ — فإن الحرب أمسى فحلها فى الناس مغتلما [1]

وقال أوس [2] بن حجر (من الطويل) :

١٣ — وإنى امرؤ أعددت للحرب بعدما رأيت لها نابا من الشر أعصلا [3]

وقال عنترة [4] بن معاوية العبسى (من الكامل) :

١٤ — جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم [5]

البكر : أول السحاب ، أراد أنها لم تمطر قبل ذلك .

وقال مهلهل [6] (من الكامل) :

١٥ — تلقى فوارس تغلب ابنة وائل يستطعمون الموت كل همام [7]

---

(١) المعنى : أنها ضريت واشتدت وازدادت تماديا وكأن فحلها هائج ثائر تدفعه شهوة الحيوان لأن يقضى حاجاته وأوطارها .

(٢) شاعر تميم فى الجاهلية عمر طويلا ولم يدرك الإسلام وفى شعره حكمة ورقة وجودة ، مات قبل الهجرة بقليل

(٣) ناب أعصل : كالح معوج كناية عن شدتها ، ومفعول أعددت ذكره فى أبيات تالية (قوسا .. ونبلا .. ودرعا .. وسيفا .. وطرفا الخ)

(٤) أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ومن شعرائها المعدودين ومن أصحاب المعلقات مات قبل الهجرة بأكثر من عشرين عاما

(٥) البكر من السحاب التى لم تمطر قبل ، وفى شرح المعلقات أنها ماسبق مطره، الحرة : الخالصة من البرد والريح ، والمعنى : مطرت على هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لا برد معها ولا ريح حتى تركت كل حفرة كالدرهم لاستدارتها بالماء وبياض مائها وصفائه

(٦) عدى بن ربيعة أخو كليب وائل الذى هاج بمقتله حرب البسوس ، وهو شاعر مجيد وخال امرىء القيس ، من بنى تغلب ، وكان الشعر فى الجاهلية فى ربيعة ومهلهل هذا أولهم . ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر أى رققه ، وينكر ذلك المعرى فى رسالة الغفران (ص ١٠٠)

(٧) يصف أبطال تغلب — من قومه — بالشجاعة والقوة والظفر فهم يناضلون ويذيقون الموت كل سيد كريم .

وقال الأفوه الأودى[1] (من الرمل) :

١٦ - ملكنا ملك لقاح أول وأبونا من بنى أود خيار[2]

قال أبو سعيد : اللقاح من العرب الذين لا يدينون للملوك وهو مأخوذ من لقاح الإبل ، أى هم مستغنون بما عندهم من العز عن غيرهم . وقال علقمة ابن عبدة[3] (من البسيط) :

١٧ - بل كل قوم وإن عزوا وإن كرموا عريفهم بأثافى الشر مرجوم[4]

وقال المسيب بن علس[5] (من المتقارب) :

١٨ - وإنهم قد دعوا دعوة يتبعهـــا ذنب أهلب[6]

وقال الأسود بن يعفر[7] (من الوافر) :

---

(١) شاعر جاهلى قديم ، ورائيته — التى منها هذا البيت — فى هجاء الجرهميين ، جمعها صاحب الطرائف الأدبية .

(٢) يفخر بحسب عشيرته وبجدهم وعزهم . واللقاح من العرب هم الذين لا يدينون للملوك وهو مأخوذ من لقاح الابل لأن الناقة إذا لقحت لم تطاوع الفحل .

(٣) من بنى تميم شاعر جاهلى عاصر أمرىء القيس ومات قبل الهجرة بنحو سبعين عاماً .

(٤) العريف : سيد القوم وهو النقيب دون الرئيس . الأثافى هى الحجارة يحمل عليها القدر واحدتها أثفية واستعار للشر أثافى ، يريد أن الموت لا يترك زعيما ولا سيداً مهما كان مجده ومنعة قومه ، ويروى بدل الشر الدهر .

(٥) شاعر جاهلى قديم اسمه زهير بن علس والمسيب لقب له ، وله فى المفضليات قصيدة عينية مختارة (ص ١٧ المفضليات) .

(٦) لعل المعنى أنهم أحدثوا بدعة لها عواقبها الوخيمة . والهلب : كثرة الشعر والأهلب الذى لا شعر له أيضا .

(٧) أعشى بنى نهشل بن دارم شاعر جاهلى مشهور وله قصيدتان مختارتان فى المفضليات وجمع ما بقى من شعره فى ذيل ديوان الأعشى . وهو من سادات تميم ومن قوم الفرزدق مات قبل الهجرة بأكثر من عشرين عاماً وشعره فيه قوة وجزالة وطبع وحكمة .

١٩ - فأد حقوق قومك واجتنبهم ولا يطمح بك العز الفطير [١]

قال أبو سعيد : أراد عزا ليس بالمحكم ، كما أن الفطير من العجين ليس بمستحكم ، والفطير فى غير ذا : الجلد الذى لم يدبغ . وقال طفيل [٢] (من الكامل) :

٢٠ - وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرحل [٣]

وقال أيضاً (من الطويل) :

٢١ - جذت حول أطناب البيوت وسوفت
مراداً فإن تقرع عصا الحرب تركب [٤]

سوفت : شمت . مرادها : الموضع الذى ترود فيه . وقال الحرث ابن حلزة [٥] (من الكامل) :

٢٢ - حتى إذا التفع الظباء بأطراف الظلال وقلن فى الكنس [٦]

---

(١) كل شىء أعجلته عن إدراكه فهو فطير . والمعنى : أد لقومك مالهم عليك من حقوق مع اجتنابهم وعدم انتظار شىء منهم ثم لا يطمح بك العز الذى لم يستحكم أمره إلى غايات لايستطيع الوصول بك إليها .

(٢) طفيل الغنوى شاعر جاهلى شجاع وأوصف العرب للخيل وربما سمى طفيل الخيل لكثرة وصفه لها ، عاصر النابغة وزهيراً ومات نحو ١٣ ق ه

(٣) الكور : الرحل بأداته . الناجية : الناقة الكريمة . يذكر سفره على ناقة كريمة قد أضناها السفر وأذاب شحم سنامها ملازمة الرحل لها فى الظعن والارتحال : وفى الأصل لحم بدل شحم

(٤) جذ : ثبت قائماً أو قام على أطراف أصابعه . التسويف : الشم . المراد : الموضع الذى يراد فيه أى يجاء ويذهب . وقرع عصا الحرب كناية عن الدعوة إليها . يصف فرسه بأنها واقفة حول أطناب الخيام فإذا دعا داعى الوغى امتطيت وسير عليها إلى الميدان . والمراد الافتخار بالبطولة والاستعداد الدائم للحرب .

(٥) أحد أصحاب المعلقات ويعد فى الطبقة الثالثة من الجاهليين مات سنة ٥ ق.هـ.

(٦) الظلال : مايظلل الإنسان من شجر ونحوه ، القائلة : الظهيرة أو النوم فيها وقال فهو قائل ، الكنس : جمع كناس وهو موضع الظبى فى الشجر يكتن فيه ويستتر

قال أبو سعيد : التفع من اللماع وهو اللحاف الذى يلتفع به ثم صار كل ثوب يجلل[1] به الإنسان لفاعا . وقال عمرو بن كلثوم[2] (من الطويل) :

٢٣ - إلا أبلغ النعمان عنى رسالة   فمجدك حولى ولؤمك قارح[3]

وقال النابغة الجعدى[4] (من المتقارب) :

٢٤ - إذا أغلق الأمر أبوابه   وعى ذوو الحزم بالمذهب
علا بهم لجـــــــة مهلكا   وإن يطف أصحابه يرسب[5]

وقال الحطيئة[6] (من الطويل) :

٢٥ - ألا من لقب عارم النظرات   يقطع طول الليـل بالزفرات[7]

وقال أبو ذؤيب الهذلى[8] (من الكامل) :

---

١) أى يغطى

(٢) شاعر جاهلى ساد قومه شاباً وعمر طويلا وقتل الملك عمرو بن هند وأشهر شعره معلقته النونية وفى شعره سهولة واعتداد بالنفس والقبيلة مات عام ق.٤ قهـ

(٣) يقول إن مجده ناشىء ضئيل — والحولى من الابل ما أتى عليها حول — ولؤمه قديم متأصل كهل ، والقارح من الإبل ما أتى عليها خمس سنين .

(٤) أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله الجعدى العامرى شاعر مفلق صحابى معمر واشتهر فى الجاهلية وسمى النابغة لنبوغه فى الشعر بعد سن عالية وفد على الرسول فأنشده فدعا له وشهد صفين مع على ثم سكن الكوفة فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها نحو عام ٨٠ هـ ، وقد جاوز المائة بكثير .

(٥) أغلق الأمر أبوابه : كناية عن إشكال الأمر والتباسه وعدم تبين الطريق فيه ، عى بالأمر : لم يهتد لوجهه . المذهب : الطريق والرأى ، علا فى المكان من باب سما ، رسب : سفل ، لجة الماء : معظمه ، المهلك هو الهلاك ، طفا : رسب ، يصف ممدوحه بثقوب الرأى وسداده حين تشتبه الأمور وتظلم وجوه الرأى ويعيى أولو الحزم بطريق السداد .

(٦) شاعر مخضرم مجيد كان راوية زهير وفى شعره قوة طبع وشدة أسر ويكاد يكون الفذ فى طبقته مات نحو سنة ٣٠ هـ

(٧) العارم : الخبيث النظر .

(٨) شاعر مخضرم ومرثيته — فى أبنائه الخمسة الذين هاجروا إلى مصر فى عهد=

٢٦ ـ وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع(١)

وقال أبو خرش الهذلى(٢) (من الطويل) :

٢٧ ـ أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيرى من عيالك بالطعم(٣)

وقال لبيد(٤) (من الكامل) :

٢٨ ـ فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب أردية السراب إكامها (٥)

وقال أيضا (من الكامل) :

٢٩ ـ وغداة ريح قد كشفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها (٦)

=عثمان فماتوا فيها فى عام واحد ـ رائمة ، وهو راوية ساعدة بن جؤية الهذلى ، وخرج مع عبد الله بن الزبير فى غزوة فمات فى خلافة عثمان (راجع ص١٩ المؤتلف، و ١٥٤ الشعر والشعراء) .

(١) أنشبت : أعلقت و نشب فى الشىء علق فيه التميمة : عوذة تعلق على الإنسان ، المنية : الموت ، ألفى : وجد

(٢) شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم يوم حنين ، وقصيدته الضادية فى الحماسة (٢٣٢ : ١)

(٣) الشجاع : الثعبان ، وشجاع البطن كناية عن ألم الجوع ، وهو خرافة كانت تتحدث به العرب

(٤) لبيد بن ربيعة العامرى أحد الشعراء الفرسان الأشراف الأجواد ، وأحد أصحاب المعلقات أسلم وترك الشعر ، وسكن الكوفة وعمر طويلا ، وهو فى شعره بدوى يصف حياة البادية والصحراء ، وفيه جزالة وقوة وغرابة واستقصاء للمعانى ، وإشادة بنفسه وقومه وفى شعره فى كهولته حكمة وقوة شعور دينى مات سنة ٤١ هعن ١٥٧ سنة

(٥) المعنى : أقضى حوايجى بتلك الناقة فى وقت الحر الشديد ، ورقصت لوامع السراب : أى تحركت ، وهو كناية عن احتدام الهواجر ، وكذلك قوله لبست الآكام : (جمع أكمة) ، أردية : (جمع رداء) من السراب .

(٦) القرة : البرد ، المعنى : كم من غداة تهب فيها الشمال ـ وهى أبرد الرياح ـ وبرد قد ملكت الشمال زمامه ، قد كشفت عادية البرد ـ الذى يلازمه الجدب ـ عن الناس بنحر الجزور وإطعام الطعام .

وقال أوس بن مغراء (١) يهجو بني عامر (٢) (من الطويل) :

٣٠ — يشيب على لؤم الفعال كبيرها (٣) ويغذى بثدى اللؤم فيها وليدها

وقال مزرد (٤) (من الطويل) :

٣١ — عسوف السرى خبازة في عشائها رؤوس الأفاعي بين خف ومنسم (٥)

هو (٦) ضربها بيدها ومنه أخذ الخبز لإلصاقه بالتنور. وقال الأخطل (٧) (من الطويل) :

٣٢ — وأهجر هجرانا جميلا وينتحى لنا من ليالينا الأوائل أول (٨)

وقال جرير (٩) (من الطويل) :

---

(١) شاعر جاهلي أدرك الإسلام .

(٢) هم بنو عامر بن صعصعة من قيس عيلان .

(٣) أنث الضمير لرجوعه إلى القبيلة .

(٤) من غطفان واسمه يزيد ، وهو أخو الشماخ ، ولقب مزرد ببيت قاله ، وهو طويل النفس في شعره ، وفي شعره قوة وجزالة وجودة سبك وكثرة افتنان ، وله قصيدتان في المفضليات .

(٥) العَسف : الأخذ على غير الطريق ، والعسوف الظلوم . خبازة : صيغة مبالغة من الخبز ، العشاء : عدم الإبصار ليلا والإبصار نهارا . الأفاعي : الحيات . الخف : واحد أخفاف البعير . والمنسم : خف البعير . يصف ناقته بالجلد والقوة واحتمال آلام السير بالليل ورغم ظلامه وما يصاحب السائر فيه من ضعف البصر والتعرض للأذى .

(٦) أي قوله « خبازة » .

(٧) تغلبي نصراني ، ولد في أوائل خلافة عمر ، وكان شاعر عبد الملك بن مروان السياسي ، واشترك في ملحمة جرير والفرزدق ، ومات سنة ٩٥ هـ ، ويمتاز بتنقيح الشعر وجودة المدح ووصف الخمر .

(٨) نحا بصره عنه : عدله .

(٩) من كليب من يربوع من تميم ، ولد في خلافة عثمان باليمامة من أسرة شاعرة ثم نظم القريض ونبغ فيه ، وهجا كثيرا من الشعراء فأخملهم ، وهاجى الفرزدق عشر سنين وهو مقيم باليمامة ، ثم انحدر إلى البصرة مقيما بها ، واتصل بولاة العراق=

٣٣ ـ لحقت وأصحابى على كل حرة　　مروح تبارى الأخنسى المكاريا (١)

وقال المرار الفقعسى (٢) (من البسيط) :

٣٤ ـ والقوم قد طلحوا والعيش رازحة　　كأن أعينها نزح القوارير (٣)

وقال الفرزدق (٤) (من الطويل) :

٣٥ ـ ليغمز عزا قد عسا عظم رأسه　　قراسية كالفحل يصرف بازله (٥)

ومن البديع والاستعارة من كلام المحدثين وأشعارهم قول مالك بن دينار (٦)

= ومات سنة ١١٠ هـ ، وهو عميد الشعراء الإسلاميين ، وشعره شعر الطبع المتدفق ، وامتاز برقة النسيب وسطوة الهجاء وروعة المدح وبقوة شعره السياسى .

(١) ناقة حرة : أى كريمة . مروح : ذات نشاط فى السير ، تبارى : تعارض . الخنساء : البقرة الوحشية ، والخنس : الظباء والبقر ، المكارى : الذى يكرو فى مشيته : أى يثب ونبا .

(٢) إسلامى كثير الشعر (١٧٦ المؤتلف و ٤٠٨ معجم الشعراء) .

(٣) طلح : أضناه السفر ، العيس : الإبل يخالط بياضها شىء من الشقرة ، رازحة : مجدة فى السفر مهزولة منه ، ورزحت الناقة : سقطت إعياء أو هزالا . أعين : جمع عين ، نزحت الدار : بعدت . القوارير : جمع قارورة ، وهى حدقة العين .

(٤) تميمى دارمى ، ولد عام ١٤ هـ بالبصرة ، وهاجى جريرا أكثر من نصف قرن . ومات عام ١١٠ هـ ، وفى شعره بعض غرابة وتعقيد ، وقد ضمنه كثيرا من أخبار العرب وشعرها ، والهجاء والفخر والمدح هى الفنون التى غلبت عليه ، وشعره فى أسلوبه حصيف قوى الأسر .

(٥) نسب قدامة البيت إلى المخبل (١٠٦ نقد الشعر) . يغمز : يصيب ويطعن . عسا الشىء : يبس وصلب القراسية : الضخم الشديد من الإبل أو البعير الأضجم والضجم اعوجاج فى الفم كما يقول الجاحظ (١/٥٧ البيان) الفحل معروف . البازل : الناب يطلع فى سن التاسعة . يقول : عزنا قديم ثابت رامى الدعائم لاينال منه الطاعن عليه منالا .

(٦) بصرى عالم ناسك زاهد ورع محدث توفى عام ١٣١ هـ .

القلب إذا لم يكن فيه فكرة خرب . ورأى المأمون(١) بعض ولده فى يده دفتر فقال : ماهذا يابنى ؟ فقال : بعض ما يشحذ(٢) الفطنة ويؤنس فى الوحدة ، فقال المأمون : الحمد لله الذى أرانى من ذريتى من ينظر بعين عقله .

وقال المنصور(٣) لمحمد بن عمران التيمى(٤) قاضى المدينة : بلغنى أنك بخيل، قال : والله ماأجمد فى حق ولاأذوب فى باطل وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى(٥): حدثنى أبو دلف(٦) قال: دخلت على الرشيد(٧) وهو فى طارمة(٨)، وإذا بباب الطارمة شيخ جليل على طنفسة(٩) ، فلما سلمت قال لى الرشيد :كيف أرضك ؟ قلت : خراب يباب . خربها الأعراب والأكراد. فقال قائل: هذا آفة الجبل(١٠) هو أفسده ، فقلت : فأنا أصلحه ، فقال الرشيد : وكيف ذاك؟ قلت : أفسدته وأنت على فأصلحه وأنت معى(١١) ، فقال الشيخ : إن همته لترمى به من وراء

---

(١) الخليفة العباسى المشهور ولى الخلافة عام ١٩٨ ومات عام ٢١٨ .

(٢) شحذ السكين : حدها .

(٣) ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة عام ١٣٦ ومات عام ١٥٨ هـ .

(٤) تجد بعض أخباره فى الأغانى (١ : ١٥٢ ، ٤ : ٩٠ ، ٦ : ٨٧) وهو مدنى من رجال العلم والفقه والفتيا بها على عهد المنصور ، وتوفى فى عهد المهدى ، وله ابن يسمى عبد الله ولاه الرشيد قضاء المدينة ومكة ثم عزله ومات بالرى عام ١٨٩ هـ (١٠ : ٦١ تاريخ بغداد) .

(٥) علم فى الغناء والموسيقى وكان شاعرا عالما أديبا . ولد ومات ببغداد ، ونادم كثيرا من الخلفاء (١٥٥ — ٢٣٥ هـ)

(٦) قائد عباسى كان فى جيش الرشيد وقربه المأمون وتوفى عام ٢٢٥ هـ

(٧) الخليفة العباسى الخامس العظيم ولى الخلافة عام ١٧٠ هـ بعد أخيه الهادى ابن المهدى ومات بطوس سنة ١٩٣ هـ

(٨) بيت من خشب فارس معرب (٩) بالفتح والكسر واحدة الطنافس

(١٠) إقليم بين إذربيجان وعراق العرب

(١١) راجع الرواية فى زهر الآداب (١٣١ و١٣٢ : ١)

سنه مرمى بعيدا(١) ، فسألت عنه فقيل لى: العباس بن الحسن العلوى(٢) ووقع بين أحمد(٣) بن يوسف و بين رجل شر بين يدى المأمون فقال أحمد للمأمون: قد — والله — رأيته ياأمير المؤمنين يستملى عن عينيك مايلقانى(٤) به .وقال الرشيد وقد أنشده النمرى(٥) (من البسيط) :

٣٦ ـ ماكنت أوفى شبابى كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع(٦)

وما خير الدنيا لا يخطر(٧) فيها برداء الشباب وكتب خالد بن برمك(٨) إلى ابنه يحيى(٩) لعمرو(١٠) بن عثمان التيمى : عافانا الله وإياك من السوء برحمته ،

---

(١) وكان أبو دلف فى ذلك الوقت شابا ، وهذه الجملة يسندها الحصرى إلى الرشيد

(٢) هو العباس بن الحسن بن عبيد الله بن عباس بن على بن أبى طالب ، شريف هاشمى شاعر أديب ، عاصر الرشيد والمأمون وقرباه لسنه وأدبه (١٣٠ : ١ زهر الآداب) وقد حرف ناشر زهر الآداب اسم والده لجعله الحسين ، وفى الإمتاع والمؤانسة كلمة بليغة له (١٤٤ و ١٤٥ : ٢)

(٣) كاتب بليغ اشتهر فى زمن المأمون وله كتب ورسائل فى نهاية البلاغة وله ترجمة كبيرة فى الأوراق للصولى قسم أخبار الشعراء (ص ٢٠٦ - ٢٣٦) ومات عام ٢١٣ هـ (٤) فى الأصل : تلقانى .

(٥) منصور النمرى شاعر عباسى رقيق ، مدح الرشيد وكان يتعصب للعلويين ، وهو من فحولة الشعراء فى عصر الرشيد ، وكان تلميذ العتابى وراويته وقربه العتابى من البلاط العباسى ثم حدثت بينهما جفوة فتهاجيا ، وشعره كما يقول إسحاق الموصلى فيه : غريب المبنى قريب المعنى سهل الكلام صعب المرام سليم المتون كثير العيون (٦٥ — ٦٩ : ١٣ تاريخ بغداد) .

(٦) كنه الشىء : نهايته ، الغرة : الغفلة وقلة التجربة .

(٧) خطر الرجل : اهتز فى مشيه وتبختر .

(٨) من أسرة فارسية عريقة (٩٠ - ١٦٣هـ) ، وزر للسفاح والمنصور (٣٥٨/ج٢ الخزانة تصحيح محيى الدين) ، ومدحه بشار عام ١٥٨ هـ وهو وال على الموصل.

(٩) ابن خالد ، و والد الرشيد رضاعا ومربيه ووزر للرشيد ، (١٢٠ - ١٩٠ هـ)

(١٠) من أنصار البرامكة وكان قاضى البصرة فى عهد المهدى وله أخبار مع أبى نواس (ص ٤ / ١٨ الأغانى) ، وفيه يذكر اسمه عمر لا عمرو ولعله تحريف .

قد عرفت حال عمرو بن عثمان التيمي ، وتقادم وده ، وانخراطه في سلكنا ، فتول من أمره مايشبهك أو يشبهه ، فأمر له يحيى بألف ألف درهم . وقال إسحاق(١): قلت للعباس بن الحسن(٢): إني لأحبك ، فقال: رائد(٣) ذاك معي

وذكر له رجلا فقال : دعني أتذوق طعم فراقه ، فهو والله لاتشجى(٤) به النفس ، ولا تكثر في أثره الالتفات وكتبت إلى بعضهم : إنما قلبي نجى(٥) ذكرك ولساني خادم شكرك .

وكتبت في بعض الكتاب : قد طالت علتك أو تعالك واشتد شوقنا إليك فعافاك الله مما بك من مرض في بدنك أو إخائك ولاأعدمناك . وقال عبد الله(٦) بن إدريس قال : كان لي جار معتوه فقلت له يوما : ماأجود الشعر ، فقال : مالم يحجبه عن القلب شيء ، انظر إلى قوله (من الطويل) :

٣٧ — ألا أيها النوام ويحكمو هبوا(٧)

وأنشده بصوت جهير ، ثم قال : أعرابي استأذن على القلب فلم يؤذن له ، ثم أنشد (من الطويل) :

٣٨ — أسائلكم هل يقتل الرجل الحب (٨)

---

(١) هو اسحاق الموصلي الذي مرت ترجمته .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) الرائد : الذي يتقدم القوم في طلب الماء والكلأ .

(٤) شجاه : حزنه ، وأشجاه : أغصه . وتذوقه : ذاقه مرة بعد مرة وشيئا بعد شيء .

(٥) النجي : الذي تساره واحدا أو جماعة .

(٦) كوفي محدث ورع أراد الرشيد أن يوليه القضاء فأبى ، مات عام ١٩٣ ﻫ وهو غير ابن إدريس الشافعي م سنة ٢٠٤ ﻫ .

(٧) شطر بيت لجميل بن معمر العذري (وراجع ١٣ و ١٤ الشعر والشعراء ، و ص ١٣ من فصول التماثيل لابن المعتز ، و ص ٧ ج ٤ العقد الفريد طبع القاهرة ١٩٢٨)

(٨) عجز الشطر السابق وهو لجميل ، والبيت تجده في الأمالي (٢٩٨ / ٢) .

بصوت لين ، ثم قال . هذا مخنث استأذن على القلب فأذن له . وقال أبو عبدالله الزبيرى(١): ماسمع النبى صلى الله عليه وسلم أحداً يحمدالله إلا جاذبه الحمد. **وقال** عمر(٢) بن عبد العزيز : وجبت حجة الله على ابن الأربعين ، وأنشد (من الطويل) :

٣٩ - إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن له دون ما يأتى حياء ولاستر
فدعه ولا تنفس عليه الذى مضى وإن مد أسباب الحياة له العمر(٣)

يقال : نفست بالشىء على فلان أنفس إذا بخلت به عليه . وكان رجل من أهل الأدب له أصحاب يشرب معهم وينادمهم فدعوه فلم يجبهم فقالوا: مامنعك؟ قال : دخلت البارحة فى الأربعين وأنا أستحى من سنى . وحج المهدى(٤) فر بيلاد بنى جعفر(٥) ، فقالت امرأة منهم : أى شرف وجمال لو أن الله دعمه(٦) بأم جعفرية . وقال يحى بن خالد : العقل خادم للجهل. وقال بعضهم فى رسالة: وحصن الله وليه ، وأوقع بأسه بجرثومة(٧) الضلال ، ومناخ(٨) الشرك ، ومركز الظلم ،

---

(١) لعله أبو عبد الله الزبير بن بكار من أحفاد الزبير بن العوام وكان عالما راوية ولى قضاء مكة وتوفى بها عام ٢٥٦ هـ ، ويقال لمصعب بن الزبير : الزبيرى (١٢ / ١١٠ الأغانى ، ١٥ الأوراق للصولى قسم أشعار أولاد الخلفاء ط ١٩٣٦) ومصعب مدنى نسابة وهو عم الزبير بن بكار ومات عام ٢٣٦ هـ ، وقال فيه المرزبانى : إنه كان شاعرا راوية .

(٢) الخليفة الأموى العادل المتوفى سنة ١٠١ هـ

(٣) هما - كما فى سر العربية للثعالبى - للأقيشر الأسدى وهو أحد مجان الكوفة وشعرائهم هجا عبد الملك ورثى مصعب بن الزبير (راجع ٥٦ المؤتلف و٣٦٩ معجم الشعراء) ، وينسبان لأيمن بن خريم كما فى الأمالى ، وهما فى البيان والتبيين (٢١٥ / ٣) مع تغيير فى الرواية

(٤) الخليفة العباسى الثالث ، ولى الخلافة بعد أبيه المنصور عام ١٥٨ هـ وتوفى عام ١٦٩

(٥) هم بنو جعفر بن كلاب العامرى وبلادهم كانت بنجد

(٦) دعم الشىء : جعل له دعامة ، والدعامة : أساس البيت

(٧) جرثومة الشىء ، أصله

(٨) المناخ ، موضع الإناخة والبرك

بعد طول الإملاء(١)، وقلة المراقبة والارعواء(٢). وقال آخر : الاستطالة(٣) لسان الجهالة . وقال ذو الرياستين(٤) : الطب استدامة الصحة . ومرمة(٥) السقم، وكتب ابن مكرم(٦) فى تعزيته أحمد بن(٧) دينار بأخيه : ليس لأهله وولده مرجع إلا غيرك ولا مقيل(٨) إلا فى ظلك ، فأنشدك الله فيهم ، فإنه خربهم بعمارة مروءته(٩) . ولإبراهيم بن العباس(١٠) فى بعض كتبه : إن أحق من أشاد بنعمة ، ناطقاً بلسان شكرها ، من ألبس من نعمة أعز ملابسها ، وحبى أفضل مواهبها ، كتبت إليك وأمير المؤمنين من لين الطاعة ، واتساق الكلمة ، ممن فى بلدانه وحواشى سلطانه ، على ما يحمد الله عليه ويستزيده منه . وقال يحيى بن خالد : الشكر كفاء(١١) النعمة ، ولبعضهم : فأتيتك حين أنفد(١٢) الصبر مدته . وبلغ المكروه غايته . ولم يبق من الستر إلا ما يشف دونه . ولبعضهم فى رسالة : إن

---

(١) الإملاء ، الإمهال

(٢) الارعواء ، الكف

(٣) الاستطالة ، التطاول على الناس

(٤) هو الفضل بن سهل وزير المأمون ولى له الوزارة وقيادة الجيش فلقب ذا الرياستين ، مات مقتولا عام ٢٠٢ ﻫ

(٥) رم الشىء مرمة ، أصلحه

(٦) محمد بن مكرم الكاتب وله مع أبى العيناء أخبار مشهورة (٤٤٤ معجم الشعراء) ، وتوفى نحو عام ٢٨٥ ﻫ

(٧) من رجال الدولة العباسية وأعيانها توفى نحو عام ٢٨٠

(٨) المقيل ، النوم فى الظهيرة

(٩) أى مروءته ، يريد أن عائلهم كان جوادا فلم يترك لهم مالا مؤثرا عمارة مروءته ولو كان فيها شقاء ذريته وإقتار أسرته ،

(١٠) الصولى الشاعر الكاتب البليغ كان يلقب بكاتب العراق وتولى ديوان النفقات للمتوكل وشعره مجموع فى مجموعة الطرائف الأدبية ، مات سنة ٢٤٣ ﻫ

(١١) الكفء ، النظير ، وكفاه وكافأه ، جزاه

(١٢) نفد الشىء ، فنى ؛ وأنفده : أفناه

شدة الحجاب تنغل (١) أديم المودة . ودخل أبو سعيد (٢) المخزومى على إسحاق ابن ابراهيم المصعبى (٣) فأنشده قصيدة ، وكان حسن الإنشاد ، ثم دخل بعده الطائى (٤) فأنشده ، وكان ردىء الإنشاد ، فقال المصعبى للطائى : لو رأيت المخزومى أنشدنا آنفاً ! ! فقال الطائى : أيها الأمير نشيد المخزومى يطارق (٥) بين يدى نشيدى . وحدثنى أبو عبد الله (٦) قال : قال الحسن (٧) بن سهل : خرير الماء لحن العمارة (٨) . ولأعرابى فى البرق (من الطويل) :

٤٠ — إذا شيم أنف الليل أو مض وسطه سناً كابتسام العامرية (٩) شاعف

---

(١) أنغل الأديم : أفسده فى الدباغ .

(٢) شاعر عباسى مقل مجيد هجا دعبلا ومدح المأمون وكان يعاصر أبا تمام (٢٦٠ معجم الشعراء) وقد حرف فى المعجم إلى : أبو سعد . ونعته الجاحظ فى البيان بأنه دعى بنى مخزوم (٣ : ١٤٣)

(٣) من بنى مخزوم صاحب شرطة بغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل مات عام ٢٣٥ . (٤) هو أبو تمام الشاعر م ١٢٣ هـ .

(٥) طرقت القطاة : حان خروج بيضها ، وطرق فلان بحق : جحده ثم أقر به وطرق الإبل : حبسها عن الكلأ ، وطرق لها : جعل لها طريقا .

(٦) هو محمد بن داود الجراح الكاتب العالم ، عمه على بن عيسى الوزير ، وكان صديق ابن المعتز وكان له رغبة فى أن يلى ابن المعتز الخلافة ، وولى له الوزارة لما تقلدها ، ولما فشلت حركة ابن المعتز قبض عليهما ولقيا حتفهما عام ٢٩٦ هـ . وله كتاب فى الشعر والشعراء ، وله ترجمة فى تاريخ بغداد (٥: ٢٥٥) ، وكان ميلاده سنة ٢٤٣ هـ .

(٧) وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) ، توفى عام ٢٣٦ هـ ، ولبثت بوران بعد المأمون مدة طويلة وتوفيت عام ٢٧١ هـ ، وقد روى صاحب العقد قصة زواج المأمون بها وهى أسطورة أدبية رائعة .

(٨) يريد أن الماء بشير بالخصب والعمران والرخاء .

(٩) شام البرق : نظر إلى سحابته أين تمطر . أنف الليل : أوله وسط : ظرف السنا : الضوء . والعامرية محبوبته . شغفه الحب : أحرق قلبه أو أمرضه .

وقال أبو نواس (من الكامل) :

٤١ - صهباء تفترس العقول فما ترى منها بهن سوى السبات جراحا (١)

وقال آخر (من الكامل) :

٤٢ - أما الطلول فخبرا ت أنهم ظعنوا قريبا
أخذتنى الأحزان حين وقفت فيها والكروبا
فتركن فى قلبى الندوبا وزرعن فى رأسى المشيبا (٢)

وقال أبو الشيص (٣) (من الخفيف) :

٤٣ - ربع دار مدرس العرصات وطلول ممحوة الآيات
خفق الدهر فوقها بجناحين مريشين بالبلى والشتات (٤)

وقال سليمان (٥) بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة (من الكامل) :

٤٤ - يتبعن جاهلة الزمام كأنها إحدى القناطر وهى حرف ضامر (٦)

---

(١) الصهباء : الخمر . السبات : النوم وأصله الراحة . الجراح : جمع جرح .

(٢) الطلول : ماشخص من آثار الديار . ظعنوا : رحلوا . أخذناه : أعطاه . الندب : أثر الجرح الباقى على الجلد ، جمعه ندوب ، ويروى فى قلبى بدل رأسى ،

(٣) هو محمد بن رزين الخزاعى ، ابن عم دعبل ، عاصر الرشيد، شاعر مطبوع سريع الخاطر رقيق اللفظ عاصره أبو نواس ومسلم وقتل عام ١٩٦ هـ (١٥ : ١٠٤ الأغانى) وتهاجى هو ومسلم وكان لأبى الشيص طبع ولمسلم إدمان (٢ . ١٤٧ شرح الحماسة) .

(٤) درس الرسم ، عفا ، ودرس مضعف درس ، الربع : الدار ، العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، الطلل : ماشخص من آثار الديار ، محا الشىء فهو ممحو ، الآية : العلامة ، خفقت الراية : اضطربت ، راش السهم : ألزق عليه الريش فهو مريش ، البلى : مصدر بلى أى خلق ، الشتات : التفرق .

(٥) شاعر عاصر المتوكل ، جده مروان شاعر المهدى ، ووالده شاعر أيضا (راجع ٥٠٠ معجم الشعراء ، ٢٠٢م الموشح)

(٦) الضمير فى يتبعن الأبل . زمام البعير : خطامه ، وجاهلة الزمام : كناية عن مرحها فى السير . القناطر : جمع قنطرة وهى الجسر . ضامر : هزيل خفيف اللحم . الحرف : الناقة التى هزلها طول السفر .

وقال أبو نواس (من الكامل) :

٤٥ — فى مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر (١)

وقال مسلم (من الطويل) :

٤٦ — فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العين والستر واقع
قطفت بأيديها ثمار نحورها كأيدى الأسارى أثقلتها الجوامع (٢)

وقال أشجع (٣) (من الطويل) :

٤٧ — وجارية لم تسرق الشمس نظرة إليها ، ولم يعبث بأيامها الدهر (٤)

وقال العتابى (٥) (من الطويل) :

٤٨ — ومعضلة قام الربيع (٦) إزاءها ليعمد ركن الدين لما تهدما
غداة عداة الملك شاحذة المدى عليه وغول الحرب فاغرة فما (٧)

( ) الناجذ : آخر الأضراس .

(٢) الجوامع : جمع جامعة وهى الغل . أنسى : أى لا أنسى بحذف لا . وقع الستر سقط . الأسارى : جمع أسير .

(٣) هو أبو الوليد أشجع السلمى شاعر فحل عاصر بشارا ولد باليمامة ونشأ بالبصرة واتصل بجعفر البرمكى فقربه من الرشيد وله ترجمة طويلة فى الأوراق قسم أخبار الشعراء (ص ٧٤ - ١٣٧ ط ١٩٣٤ بالقاهرة) وتوفى عام ١٩٥ هـ

(٤) لم تسرق الشمس نظرة إليها : كناية عن لزومها الخدر لترفها ونعمتها .

(٥) كلثوم بن عمرو التغلبى العتابى ، كاتب بليغ وشاعر مجيد ، مدح الرشيد ، وتوفى عام ٢٢٠ هـ ، وكان منصور النمرى راويته وتلميذه (١٢/ ٨٨ تاريخ بغداد) وكان يجمع بين الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن ، وعلى نهجه فى البديع يقول جميع من يتكلف ذلك من المولدين (١/ ٥٤ البيان والتبيين) .

(٦) يمدح الفضل بن الربيع بن يونس م ٢٠٨ هـ وكان وزير الرشيد بعد البرامكة ثم وزير الأمين وصاحب تدبيره وينوه فى ذلك المدح بوالده الربيع بن يونس العدو اللدود للبرامكة المتوفى عام ١٧٠ هـ

(٧) الأبيات فى زهر الآداب (٢٥٠ و ٢٥١ ج ٢) ، المعضلات : الشدائد. عمد الشىء : أقامه بعماد يعتمد عليه ، شحذ السكين : حدها ، المدى : جمع مدية وهى الشفرة ، فغرفه : فتحه .

وقال (من البسيط) :

٤٩ — إن البرامك لاتنفك أنجية بصفحة الدين من نجواهم ندب
تجرمت حجج عشر ومنصلهم مضرج بدم الإسلام مختضب (١)

وقال (من الطويل) :

٥٠ — ومن فوق أكوار المطايا لبانة أحل لها أكل الذرى والغوارب
فتى ظفرت منه الليالى بزلة فأقلعن عنه داميات المخالب (٢)

وقال (من الكامل) :

٥١ — ناهضت بالحسن بن عمران العلى وتنبهت لذكائه آمالى
سكتاته عدة وفى نطقاته تفريق بين قرائن الأموال
لما لجأت إلى ذراك وأشرفت عنق من الحدثان قلت : نزال (٣)

وقال النمرى للرشيد (من الوافر) :

٥٢ — منئت على ابن عبد الله (٤) يحيى وكان من الحتوف على شفير

---

(١) أنجية : جمع نجى وهو الذى تساره ، الندب : الجرح . تجرم : انقضى ، حجج جمع حجة أى سنة ، المنصل : السيف ، مضرج : ملطخ بالدم ، يرمى البرامكة بالكيد للاسلام والعمل على القضاء عليه ، والأبيات فى زهر الآداب (٣٩ / ٣) .

(٢) أكوار : جمع كور وهو الرحل ، لبانة : حاجة ، أحل : فى الأصل بالبناء للمفعول ولا معنى لها بل هى بالبناء للفاعل وفاعلها هو قوله « فتى » و « أكل » مفعولها وأحل — أى أباح — للأكوار أكل الذرى والغوارب من هذه المطايا ، كناية عن هزله لها بكثرة السفر ، ذرى الشىء : أعاليه : الغارب : مابين السنام إلى العنق ، دمى الشىء : تلوث بالدم .

(٣) ناهضت : ساميت ، سكتات : جمع سكتة أى سكوت . نطقات : جمع نطق . عدة : أى وعد بالعطاء ، قرن بين الشيئين قرانا : جمع بينهما ، والقرين الصاحب وقرينة الرجل : امرأته ، والذرى بالفتح الملجأ ، أشرفت : تطلعت ، عنق من الحدثان : طائفة منها أو أوائلها ، والحدثان والحادثة بمعنى ، وفى الأصل ذراك بالضم وهو خطأ

(٤) هو حفيد الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ثار على الرشيد ببلاد الديلم عام ١٧٦ فجهز إليه الرشيد الفضل على رأس جيش فطلب الأمان من الرشيد =

وقد سخطت بسخطك المنايا فظلت وهى(١) حائمة النسور
لهم رحم تصور كم عليهم وتكسر عنكم حمة النكير(٢)

وقال يصف بغداد (من البسيط) :

٥٣ ـ تحيا النفوس إذا أرواحها نفحت وحرشت بين أوراق الرياحين(٣)

وقال العباس بن الأحنف (٤) (من البسيط) :

٥٤ ـ قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا(٥)
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدرى أنه صدقا

وقال محمود(٦) الوراق (من الوافر) :

٥٥ ـ أإن ناصى(٧) سواد الرأس شيب فزعت إلى التعالل بالخضاب
ألم تعلم وفرط الجهل أولى بمثلك أنه كفن الشباب

وقال أشجع (من الطويل) :

= وحضر يحيى العلوى إلى بغداد فأكرمه الرشيد ثم حبسه حتى مات فى الحبس (أبو الفداء ، ٣٠٨ مقاتل الطالبين) .

(١) فى الأصل : فهى .

(٢) الحتوف : جمع حتف وهو الموت ، شفير الشىء : حرفه ، السخطة : الغضب ، حام حول الشىء : دار ، حمة العقرب : سمها وضرها ، والمراد بحمة النكير شدة لذعه .

(٣) الأرواح جمع ريح ، نفحت : هبت . التحريش : الإغراء ، وفى تاريخ بغداد قالت زبيدة للنمرى : قل شعرا تحبب بغداد فيه إلى الرشيد فقد اختار عليها الرقة فقال أبياتا منها هذا البيت فأعطته ألفى دينار .

(٤) شاعر غزل ظريف نشأ فى بغداد فى نعمة ولم يصطنع المدح وتوفر على الغزل فى محبوبته فوز ، مات عام ١٩٢ .

(٥) سحب : مضعف سحب بمعنى جر ، قال الصولى : سمعت عبد الله بن المعتز يقول « لو قيل لى ما أحسن شىء تعرفه لقلت شعر العباس بن الأحنف : قد سحب الناس الخ » .

(٦) شاعر أكثر شعره فى المواعظ والحكم توفى نحو عام ٢٣٠ هـ .

(٧) أى قبض على ناصيته والمراد خالط .

٥٦ ـ تعض بأنياب المنايا سيوفه   وتشرب من أخلاف كل وريد (١)

وقال بشار (من الكامل):

٥٧ ـ تبعت عطاياه مواهبه   كالسيل متبعاً قفا مطره (٢)

وقال (من المتقارب):

٥٨ ـ صببت هواك على قلبه   فضاق وأعلن ما قد كتم
وبيضاء يضحك ماء الشبا   ب فى وجهها لك أو يبتسم
ألا أيها السائلى جاهلا   ليعرفنى أنا أنف الكرم (٣)
نمت فى الكرام بنى عامر   فروعى وأصلى قريش العجم

وقال (من الوافر):

٥٩ ـ شربنا من فؤاد الدن حتى   تركنا الدن ليس له فؤاد

وقال محمد (٤) بن أحمد من ولد طباطبا العلوى الأصفهانى (من المنسرح):

٦٠ ـ رب نهار أمست أصائله   ترشف من شمسه صبابات (٥)

وقال محمد (٦) بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه (من الكامل):

٦١ ـ عودته فيما أزور حبائبى   إهماله وكذاك كل مخاطر
فإذا احتبى قربوسه بعنانه   علك الشكيم إلى انصراف الزائر (٧)

---

(١) أنياب: جمع ناب. الأخلاف: جمع خلف، وهو حلمة ضرع الناقة، أو هو للناقة كالضرع للشاة، الوريد: عرق من الوتين وهما وريدان غليظان فى جانبى العنق.

(٢) القفا، مؤخر العنق، والمراد أواخر المطر.

(٣) استعارة، يشير إلى أنه موضع العزة والمنعة والسيادة.

(٤) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا العلوى الحسنى شاعر أديب عالم ولد ومات بأصبهان عام ٣٢٢ هـ (راجع ٤٦٣ معجم الشعراء) ٦،٢٦٥ معجم الأدباء.

(٥) الأصائل، جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب؛ الرشف: المص الصبابة: بقية الماء فى الإناء.

(٦) شاعر محسن مكثر مدح المأمون (٤١٩ معجم الشعراء)

(٧) الضمير فى عودته لفرسه، الحبائب: جمع حبيبة، المخاطر، الذى لا يبالى النتائج، القربوس هو مقدم السرج، العلك: المضغ، الشكيم: الحديدة المعترضة =

وقال أبو العتاهية (١) (من المديد) :

٦٢ — راكب الأيام يجرى عليها ولـه منهن يوم حرون (٢)

وقال أبو نواس السابق فى ميدان الشعراء (من الرجز) :

٦٣ يغتال خزان الصحارى الرقطا
يلقين منه حاكما مشـــتطا
للعظم حطماً والأديم عطا (٣)

وقل (من الكامل) :

٦٤ — عرم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عرام (٤)

وقلت (من الخفيف) :

٦٥ ـ اسقنى الراح (٥) فى شباب النهار
وانف همى بالخندريس (٥) العقار (٥)

= فى فم الفرس ، وأراد بالزائر نفسه ، يقول ، قد رضت فرسى على الأدب الحميد وعودته الإهمال والترك عند زيارة الأحبة وعند فعل كل أمر خطير ، فإذا نزلت عنه وألقيت لجامه فى مقدم سرجه وقف مكانه كالمنتظر لربه لايبرح ذلك المكان حتى أعود إليه .

(١) نشأ بالكوفة وعالج الشعر فى ونبغ فيه وألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة والزهاد ، وامتاز بالسهولة والوضوح والطبع ، ومات عام ٢١١ هـ

(٢) فرس حرون ، أى لا ينقاد .

(٣) يصف فرسه بقوة السير وشدة الأيد ، والاغتيال : الافتراس من حيث لايشعر ، الخزان بالكسر : الذكور من الأرانب ، الرقط جمع رقطاء وهى مابها سواد يشوبه نقط بياض ، الاشتطاط : الجور ، الحطم مصدر حطمه : أى كسره الأديم: الجلد ، العط مصدر عط الثوب أى شقه بلا بينونة ، وعط فلانا صرعه وغلبه

(٤) العرام ، الحدة والشدة ، وعرام الزمان مافيه من شراسة وأذى قاطنين : مقيمين .

(٥) من أسماء الخمر ، والأبيات فى ٤٣ ، ٢ ديوان ابن المعتز ، وجلا العروس يجلوها . القطر : المطر ، نثره فانتثر والاسم النثار بالكسر .

فكأن الربيع يجلو عروسا
وكأنا من قطره فى نثار

وقال أبو الشيص (من الطويل) :

٦٦ - سقانى بها والليل قد شاب رأسه غزال بحناء الزجاجة مختضب (١)

وقال الخريمى (٢) يذكر الإبل (من الطويل) :

٦٧ - وكم خبطت من فحمة لدجنة
وجمرة وهاج من (٣) الصيف جاحم (٤)

وقال أبو نواس (من الكامل) :

٦٨ - عين الخليفة بى موكلة عقد الحذار بطرفها طرفى
صحت علانيتى له وأرى دين الضمير له على حرف
فلئن وعدتك تركها عدة إنى عليك لخائف خلفى
سلبوا قناع الطين عن رمق حى الحياة مشارف الحتف
فتنفست فى البيت إذ مزجت كتنفس الريحان فى الأنف (٥)

وقال (٦) فى الفرس (من الكامل) :

---

(١) الحناء معروف ، واختضب بها فهو مختضب .

(٢) شاعر عباسى مجيد ، اسمه أبو يعقوب اسحاق بن حسان ، وهو حسن الديباجة جيد المعانى .

(٣) فى الأصل : عن .

(٤) خبط البعير الأرض بيده : ضربها ، الفحمة : الظلمة ، الدجنة من الغيم المطبق أو المظلم الذى ليس فيه مطر ، والدجنة : الظلمة ، الحمرة : الحصاة ، ويروى ، وجمرة ، الوهج : حر النار ، الجاحم : الشديد القيظ والحرارة .

(٥) الحذار : المحاذرة ، الطرف : العين .
القناع : الغطاء . الرمق : بقية الروح ، الحياة : ضد الموت ، والحى : ضد الميت مشارف : مقارب ، الحتف : الهلاك ، تنفس الصبح : تبلج ، مزجت : صب عليها الماء

(٦) وينسب البيت لرؤبة .

٦٩ - يبنى العجاج على مفارقه بمقعب لم يعد أن وقحا (١)

وقال العلوى الأصفهانى ابن طباطبا (٢) (من الخفيف) :

٧٠ - صدف شق على لآلىء در أم كتاب قد فض عن نظم شعر ؟
وقواف مقومات لدى الأبيـــات موزونة بقسطاس (٣) فكر

وقال الطائى (من الكامل) :

٧١ - مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من النضارة يمطر (٤)

وقال (من البسط) :

٧٢ - أمطرتهم عزمات لو رميت بها يوم الكريهة ركن الدهر لانهدما
حتى انتهكت بحد السيف هامهم جزاء ما انتهكوا من قبلك الحرما (٥)

وقال يخاطب منزلا (من الكامل) :

٧٣ - يا منزلا أعطى الحوادث حكمها لا مطل فى عدة ولا تسويفا
أرسى بناديك الندى وتنفست نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا
ولئن ثوى بك ملتقياً بجرانه ضيف الخطوب لقد أصاب مضيفا (٦)

المعنى : أنه أصاب موضعا يضيف إليه فيه ، أى يميل إليه ؛ لأن أهله قد

---

(١) العجاج : الغبار ، المفرق : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر ، التقعيب ، أن يكون الحافر مقببا ، توقيح الحافر: تصليبه بالشحم المذاب .

(٢) شاعر عالم أديب توفى عام ٣٢٢ هـ .

(٣) صدف الدرة : هو غشاؤها ، اللؤلؤة : الدرة ؛ والجمع لآلىء ، قوم الشىء تقويما فهو قويم أى مستقيم ، القسطاس : الميزان .

(٤) الصحو : ذهاب الغيم . النضارة : الحسن والرونق .

(٥) نهكه السلطان عقوبة : أى بالغ فى عقوبته ، وانتهك الحرمة : تناولها بما لايحل . الهام : الرءوس . الحرم : جمع حرمة ، وهى مالا يحل انتهاكها .

(٦) أرست السفينة ورست : وقفت فى مرساها . النادى : مجلس القوم ومتحدثهم . الندى: الجود، العقوة : ماحول الدار والمحلة . ثوى: أقام . الجران : مقدم عنق البعير . المضيف : صاحب الضيف ، وأضاف الرجل أنزله به ، وضافه ، نزل عليه.

فارقوه ، ومضيف محال ، لأن البلد لا يضيف ، ولأن الزمان لا يحتاج ، وإنما المعنى أن الزمان مال عليك فأصاب موضع محل ومنزل .

وقال (من الكامل) :

٧٤ ـ ياسهم كيف يفيق من سكر الهوى حران يصبح بالفراق ويغبق
عمرى لقد نصح الزمان وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق (١)

نصح الزمان : أى أدبك بما يريك من غيره واختلافه ، والزمان لا يشفق على أحد ، لأنه يأتى على الإنسان بما يقضى عليه ، فقال : « من العجائب أن ينصحك الدهر وهو لا يشفق » .

وقال (من الطويل) :

٧٥ ـ كلوا الصبر غضا واشربوه فإنكم أثرتم بعير الظلم والظلم بارك
من بأنك المقدار لاتك (٢) هالكا ولكن زمان غال مثلك هالك (٣)

وقال العباس بن الأحنف (من البسيط) :

٧٦ ـ ولى جفون جفاها النوم فاتصلت أعجاز دمع بأعناق الدم السرب (٤)

وهذا وأمثاله من الاستعارة مما عيب من الشعر والكلام ، وإنما نخبر بالقليل ليعرف فيتجنب . قال المهلب (٥) لرجل من الأزد : متى أنت ؟ قال . أكلت من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين ، فقال : أطعمك الله لحمك .

---

(١) الصبوح : الشراب بالغداة ، ضد الغبوق وهو الشراب بالعشى .

(٢) فى رواية : لاتدع .

(٣) أثار الشىء : أنهضه من مقامه . برك البعير : أى أناخ . المقدار : القدر غال الشىء : اغتاله .

(٤) أعجاز ، جمع عجز وهو مؤخر الشىء . العنق جمعها أعناق ، وهى أول الشىء لأن العنق من أول مايرى من الإنسان : دم سرب ، أى سائل متدفق .

(٥) سيد أهل العراق نشأ بالبصرة وولى إمارتها لمصعب وصمد لقتال الأزارقة تسعة عشر عاما ، وولى خراسان عام ٧٩ هـ ، ومات فيها عام ٨٣ هـ .

وقال عبيد (١) الله بن زياد يوما وكانت فيه لكنة : افتحوا سيفى (٢)، يريد : سلوه ، فقال يزيد (٣) بن مفرغ (من الوافر) :

٧٧ - ويوم فتحت سيفك من بعيد   أضعت وكل أمرك للضياع (٤)

وقال عبيدالله أيضاً لسويد (٥) بن منجوف : اقعد على است الأرض، فقال سويد : ما أعلم أن للأرض استا (٦) . وقال الجاحظ (٧) : رأى قوم مع رجل خفاً فقالوا : ماهذا ؟ فقال : قلنسوة . فضحكوا منه ، فقال عياض : (٨) صدق، هذه قلنسوة الرجل . وقال بعضهم (٩) فى يوم مطر شديد : قد انقطع شريان الغمام . وقال بعض أهل زماننا فى مخاطبته لصاحبه : يا إمام الخطباء ، ويا عنصر (١٠) الخلصاء ، ومولى الأدباء . ولعلى بن عاصم العبدى (١١) الأصفهانى (من الكامل) :

---

(١) هو ابن زياد بن أبيه ولى بعد أبيه العراق ، وقتل فى حرب المختار الثقفى عام ٦٧ هـ .   (٢) ذعر بأصوات طير خالها صوت الأعداء فقال ذلك .

(٣) شاعر محسن له أهاج كثيرة فى زياد وابنه وتوفى عام ٧١ هـ .

(٤) ضاع الشىء : هلك . والإضاعة والتضييع بمعنى .

(٥) ابن عم ابن ظبيان التيمى العائذى الخطيب المالك (٢١٣ : ١ البيان والتبيين) وانضم لمصعب بن الزبير وكان من رجاله (١ : ١٣٤ الحيوان نشر مطبعة الحلبى) وهجاه الأخطل (١٩ موازنة ، ٧ : ١٤٧ أغانى) .

(٦) راجع الرواية مفصلة فى البيان (١٥٥ و ١٥٦ : ١)

(٧) أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ إمام البيان العربى وشيخ الأدباء ورئيس المؤلفين وزعيم من زعماء المعتزلة توفى عام ٢٥٥ هـ .

(٨) ربما كان هو عياض المدنى الشاعر (٢٦٩ معجم الشعراء) .

(٩) هو جحظة البرمكى الأديب الشاعر الراوية المتصرف فى كثير من فنون العلم ونادم ابن المعتز والمعتمد . (٢٢٤ - ٣٢٤ هـ) وراجع هذه الرواية فى معجم الأدباء نشر فريد رفاعى (٢٦٣ و ٢٦٤ : ٢) ، وهذا من كتاب بعث به جحظة إلى ابن المعتز .

(١٠) العنصر : الأصل .   (١١) شاعر جبلى متكلف (٩١ المؤتلف)

٧٨ - زم العزاء غداة زم جمالهم ‏ لحدا الحداة به مع الأجمال
والحادثات متى فغرن بغصتي ‏ لفمتهن شجا بوخد جمال(١)

وقال آخر (من الطويل) :

٧٩ - خطوب المنايا صرحت عن مواهب ‏ مواهب أجرمن نتاج المصائب(٢)

وقال الطائى (من الخفيف) :

٨٠ - فضربت الشتاء فى أخدعيه ‏ ضربة غادرته عودا ركوبا(٣)

ومن عجيب هذا الباب قول الكميت(٤) (من الطويل) :

٨١ - ولما رأيت الدهر يقلب ظهره ‏ على بطنه فعل الممعك فى الرمل
كما طعنت عنا قضاعة طعنة ‏ هى الجد مأدوم النحيزة بالهزل(٥)

الباب الثانى من البديع وهو التجنيس(٦)

وهو أن تجىء الكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها أن تشبهها فى تأليف حروفها على السبيل الذى ألف الأصمعى كتاب الأجناس عليها.

---

(١) زم البعير : خطمه . والمراد أن صبره ذهب برحيل أحبابه . والحدو : سوق الإبل والغناء لها . الأجمال : جمع جمل ، فغر فه . فتحه . الغصة : الشجا . اللقم : الابتلاع . الشجا : ماينشب فى الحلق من عظم وغيره . الوخد : ضرب من السير

(٢) المواهب : جمع موهبة ، وهى الاسم من وهب . نتجت الناقة بالبناء للمفعول : حان نتاجها .

(٣) الأخدعان : عرقان فى صفحتى العنق . العود : الجمل المسن .

(٤) أسدى ، شاعر متشيع مكثر مجيد ، توفى عام سنة ١٢٦ هـ

(٥) المعك : اللى ، وتمعكت الدابة ، تمرغت ، ومعكها صاحبها ، مأدوم : من أدم الخبز باللحم ، والإدام مايؤتدم به ، النحيزة : الطبيعة .

(٦) عقد له صاحب الصناعتين بابا (٣١٠ — ٣٢٨) تأثر فيه بابن المعتز إلى حد بعيد ، وكذلك فعل ابن رشيق (٢٨٩ : ١ العمدة طبعة ١٩٣٤) ويسميه قدامة المجانس (ص ٩٦ نقد الشعر) وسما نوعا منه بالمطابق ، وقد تأثر فى ذلك بثعلب (٢٤ قواعد الشعر لثعلب طبع ليدن ، ٩٦ نقد الشعر)

وقال الخليل(١) . الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه:
ما تكون الكلمة تجانس أخرى فى تأليف حروفها ومعناها ويشتق منها ،
مثل قول الشاعر (من الكامل) :

٨٢ - يوم خلجت على الخليج نفوسهم(٢)

أو يكون تجانسها فى تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الشاعر
(من البسيط) :

٨٣ - إن لوم العاشق اللوم(٣)

قال الله تعالى : « وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » . وقال سبحانه :
« فأقم وجهك للدين القيم » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عصية(٤)
عصت الله ، وغفار (٤) غفر الله لها » . وقال : « الظلم ظلمات » . وقال
معاوية(٥) لابن عباس رحمه الله : مالكم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم ؟
(فقال(٦)): كما تصابون فى بصائركم . ويقال : إن عقيل بن أبى طالب تكلم
بذلك . وقال أبو تمام (من الطويل) :

٨٤ - جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة أضاء لها من كوكب الحق آفله(٧)

وسرقه من قول النبى صلى الله عليه وسلم الذى تقدم . وقال القطامى (٨)
(من الوافر) :

---

(١) إمام اللغة والأدب وصاحب العين ومبتكر علم العروض وأستاذ سيبويه
(١٠٠ — ١٧٠ هـ) .

(٢) خلجت عينه ، من باب جلس ودخل ، واختلجت: طارت، والخليج من البحر
شرم منه ، وهو أيضاً النهر ، والبيت للخزيمى كما سيأتى فى الشاهد ثمرة ١١٧ .

(٣) جزء من بيت شعر لمسلم كما سيأتى فى الشاهد ١١٣ ، واللوم مخفف اللؤم .

(٤) اسم قبيلة ، وفى الأصل : له بدل .

(٥) أول خلفاء بنى أمية مات عام ٦٠ هـ .

(٦) زيادة عن الأصل لتصحيح المعنى وهى رواية الصناعتين أيضا .

(٧) جلا : كشف . ظلمات : جمع ظلمة .

(٨) شاعر فحل رقيق حواشى الكلام كثير الأمثال فى شعره مات نحو عام ١٠١ هـ

٨٥ - ولما ردها فى الشول شالت   بذيال يكون لها لفاعا(١)

ويروى فى بعض الحديث عن عمر رضى الله عنه أنه قال: هاجروا ولا تهجروا(٢)

وقال محمد بن كناسة (٣) (من الطويل) :

٨٦ - وسميته يحيى ليحيا ولم يكن   إلى رد أمر الله فيه سبيل (٤)

تيممت فيه الفأل حين رزقته   ولم أدر أن الفأل فيه يفيل

وقال جرير (من الطويل) :

٨٧ - فما زال معقولا عقال عن الندى   وما زال محبوسا عن المجد حابس (٥)

وقال ذو الرمة (٦) (من الطويل) :

٨٨ - كأن البرى والعاج عيجت متونه   على عشر يرمى به السيل أبطح (٧)

---

(١) شال الميزان : ارتفعت إحدى كفتيه . الشول : جمع شائلة وهى الناقة التى تشول بذنبها عند إرادة اللقاح ولا لبن فيها ، والشائلة من الابل ما أتى عليها من حملها أو من وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ، جمعها شول على غير قياس . الذيال: الذيل الطويل . اللفاع: ما يلتفع به . يقول : لما أراد انماح ناقته رفعت — طالبا له — ذيلها الطويل الذى يكاد يكون لفاعا وغطاء لها .

(٢) تهجر فلان تشبه بالمهاجرين .

(٣) من أسرة شاعرة وهو شاعر عباسى رقيق الحاشية جميل الطبع عاصر المأمون ومات عام ٢٠٧ هـ ، وكان كوفى المولد والنشأة ، وروى عنه شىء من الحديث ، وكان لا يتعرض لمدح أو هجاء ورفض الاتصال بالخلفاء مع إملاقه (١١١/١٢ الأغانى) .

(٤) البيتان فى رثاء ابن له كان اسمه يحيى . يممه :قصده . الفأل : التفاؤل بالخير وفال . خاب

(٥) عقال وحابس أحد أجداد الفرزدق (راجع ٥٨ و ٥٩/٣ زهر الآداب) .

(٦) هو غيلان بن عقبة عشيق مية واشتهر بها ، وتوفى عام ١١٧ ،وهو شاعر أموى مجيد فى وصف الأطلال وكان يذهب فى ذلك مذهب الجاهليين ويعد من فحول الطبقة الثانية فى عصره

(٧) البرى جمع برة وهى الخلخال والحلقة فى أنف البعير ، العاج عظم الفيل والذبل أيضا ، عاج عطف رأس البعير بالزمام . والعشر شجر يمينه كما قال المبرد =

وقال زياد الأعجم (١) (من الطويل):

٨٩ـ ونبئتهم يستنصرون بكاهل وللؤم منهم كاهل وسنام (٢)

وفى هذا البيت تجنيس واستعارة. وقال رجل من بنى عبس (من البسيط):

٩٠ـ أبلغ لديك بنى سعد مغلغلة إن الذى بيننا قد مات أو دنفا

وذاكم أن ذل الجار حالفكم وأن أنفكم لا يعرف الأنفا (٣)

وقال مسكين (٤) الدارمى (من البسيط):

٩١ـ وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية

إذا الكواكب كانت فى الدجى سرجا (٥)

وقال حيان بن ربيعة الطائى (من الوافر) (٦):

= والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى، المتن: الصلب، ذكر المبرد البيت فى كامله وشرحه (ص ١٢ ج ٢) وذكر أن العاج كان يتخذ مكان الأسورة، ورواية ابن رشيق فى العمدة، نهى بدل يرى وقال قال ابن المعتز: نهى به السيل أى بلغ به إليه فهو أفهم له وأكثر لدونة، وأنا أقول: معناه ترك به السيل نهياً وهو الغدير، وذلك أتم لما أراده ابن المعتز. اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك فانه أتم وأجود أى لم يجد متصرفا فأقام (١/ ٢٩٣ العمدة).

(١) شاعر مشهور جزل الشعر فصيح الألفاظ مات بخراسان عام ٨٥ هـ

(٢) كاهل الأول اسم، والثانى المراد به الحارك وهو ما بين الكتفين، السنام واحد أسنمة الإبل، نبىء: خبر.

(٣) المغلغلة: الرسالة، دنف المريض: ثقل حاله: صار حليفاً له. الأنف بفتح النون، والأنفة: الاستنكاف والعزة.

(٤) شاعر إسلامى، جزل الشعر مطبوعه اتصل بمعاوية ويزيد، وتوفى فى آخر القرن الأول، ولقب المسكين بيت شعر له (٢٥٦/٢ الخزانة نشر الأستاذ محيى الدين)

(٥) الخرق: الصحراء الواسعة. الخرقاء: الناقة تخرق الأرض أى تجوبها. سرج: جمع سراج.

(٦) ذكره أبو تمام فى حماسته وروى البيت: ذوو حد، وذكره المؤتلف (ص ٩٨).

٩٢ - لقد علم القبائل أن قومى   لهم حد إذا لبس الحديد(٢)

وقال النعمان (١) بن بشير لمعاوية (من الطويل) :

٩٣ - ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا   وليلك عما ناب قومك نائم (٣)

وقال الكميت (من الطويل) .

٩٤ - ونحن طمحنا لامرىء القيس بعد ما

رجا الملك بالطماح نكباً على نكب (٤)

وأخذه من قول امرىء القيس (من الطويل) .

٩٥ - لقد طمح الطماح من بعد أرضه   ليلبسنى من دائه ما تلبسا (٥)

وقال الفرزدق (من الطويل) :

٩٦ - خفاف أخف الله عنه سحابه   وأوسعه من كل ساف وحاصب (٦)

وقال أوس بن حجر يصف واديا وموضعا (من البسيط) :

---

(١) ذوو حد : أى ذوو منعة وقوة ، الحديد يريد به الدروع .

(٢) أنصارى أمير خطيب شاعر من أهل المدينة ومن أجلاء الصحابة ولى قضاء دمشق لمعاوية ثم إمارة الكوفة له ثم ولى حمص ، وبايع لابن الزبير بعد موت يزيد قتل سنة ٩٥ هـ .

(٣) ابتدروا السلاح : تسارعوا إلى أخذه .

(٤) طمح بصره إلى الشىء : ارتفع ، نكب عن الطريق : عدل ، والنكب : الطرح أيضا والمصيبة .

(٥) الطماح : رجل من بنى أسد بعثه قيصر بحلة مسمومة إلى امرىء القيس ، وهو الذى وشى به عند قيصر . ومعنى البيت: أصابنى الطماح بما نالنى من البلاء من بعد ، يقال: طمح ببصره إذا أبعد النظر ورفعه ، وقوله : ليلبسنى من دائه ماتلبسا أى ما لبس جسمه وغشاه (١٣٠ شرح ديوان امرىء القيس لابن أيوب) .

(٦) السحابة : الغيم ، وجمعها سحاب. سفت الريح التراب : أذرته ، الحاصب: الريح الشديدة تثير الحصباء أى الحصى ؛ يدعو عليه بالجدب وانقطاع المطر .

٩٧ - لكن - بفرتاج (١) فالخلصاء (١) أنت - بها
- فخبل (١) فعلى سراء (١) - مسرور

وقال زهير بن أبي سلمى (من البسيط) :

٩٨ - كأن عيني وقد سال السليل بهم وجيرة ماهم لو أنهم أمم (٢)

وقال الكميت (من الطويل) :

٩٩ - فقل لجذام قد جذمتم وسيلة
إلينا كمختار الرداف على الرحل (٣)

وقال الأرقط (٤) (من الرجز) .

١٠٠ - مرتجز في عارض عريض (٥)

وحدثني المنزي (٦) قال : حدثني عمر بن (٧) عبيدة قال حدثني الوليد

---

(١) اسم موضع ومسرور خبر أنت .

(٢) سال للسليل بهم : أي ساروا فيه سيرا سريعا لما انحدروا فيه والسليل : واد بعينه . عبرة ما هم - ويرى وجيرة - أي هم عبرة لي أي سبب عبرتي وبكائي ، وما زائدة لتوكيد المعنى . أمم : قريب ، وجواب لو محذوف .

(٣) جذام : قبيلة . جذم : أي قطع . وسيلة : صلة مودة . الرداف الركوب على عجز الدابة .

(٤) حميد الأرقط شاعر إسلامي أموي عاصر الحجاج ويعده الجاحظ ممن جمع الرجز والقصد من الشعراء .

(٥) الرجز : ضرب من الشعر . ورجز الراجز وارتجز بمعنى واحد . العارض : السحاب المعترض في الأفق والمراد به هنا ما يعترض الإنسان في سيره من وديان وجبال ، وعريض : واسع .

(٦) هو الحسن بن عليل المنزي (٩٤/٦ ياقوت نشر مرجليوث) ، وهو أحد الأدباء الذين عاصروا ابن المعتز ، وهو أحد رواة الأغاني ، وكان راوية للأخبار كما كان وثيق الصلة بابن المعتز . ومات عام ٢٩٠ ﻫ (٣٩٨/٧ تاريخ بغداد)

(٧) راوية أخباري كان في عصر المأمون والمتوكل .

ابن هشام (١) قال مر عامر بن عبد الله بن الزبير (٢) بحسن بن حسن (٣) بمر (٤) قال : نزلت بمر فرر عليك عيشك . فقال : بل نزلت فى مر فى حال طاب لى أكله إذ أنت متلوث فى أدناس بنى أمية (٥) . وقال أعرابى وذكر عبادا : ما تراهم إلا فى وجه وجيه (٦) .

المحدثون : كتب أبو العيناء (٧) إلى ابن مكرم فى بعض مايذمه وأخاه (٨) وكيف أظهرتم حب النساء وبكم عرق النسا (٩) ، وكيف تقدمتم المهور (١٠) مع حاجتكم إلى الذكور . قال الطائى (من البسيط) :

١٠١ - ويوم أرشق والهيجاء قد رشقت من المنية رشقا وابلا قصفا (١١)

وقال (من الطويل) :

---

(١) أديب عاصر المهدى والرشيد .

(٢) عبد الله بن الزبير ولى الخلافة من عام ٦٤ إلى عام ٧٣ هـ وعامر هذا هو أحد أبنائه .

(٣) كان مثل والده الحسن م عام ٤٩ هـ صلاحا وورعا ، وتزوج فاطمة بنت عمه الحسين ، وتوفى فى آخر القرن الأول الهجرى .

(٤) بطن مر : يقال له مر الظهران على مرحلة من مكة .

(٥) الأكل بالضم : ثمر الشجر والنخل . لوث ثيابه بالطين : لطخها . الأدناس : جمع دنس وهو الوسخ .

(٦) الوجه : المذهب والطريق . وجيه : أى حسن وجميل .

(٧) محمد بن القاسم ضرير ذو لسان وبيان وعارضة ورواية واسعة وله مع المتوكل أخبار وله شعر قليل وتوفى بالبصرة عن سن عالية عام ٢٨٢ هـ .

(٨) هكذا فى الأصل .

(٩) النسا : عرق يتصل بالفخذ ، ولا تقل عرق النساء ، وأجاز ذلك ابن السكيت

(١٠) تقدم : أى قدم . المهور : جمع مهر ، وهو الصداق .

(١١) أرشق : اسم مكان . الرشق : الرمى . رشقه بالنبل : رماه . القصف : القاصف الشديد الصوت . الوابل : المطر الشديد .

١٠٢ - إذا ألجت يوماً لجيم وحولها ... بنو الحصن نجل المحصنات النجائب
فإن المنايا والصوارم والقنا ... أقاربكم في الروع دون الأقارب (١)

وقال (من الخفيف)

١٠٣ - فاض فيض الأتى حتى غدا المو ... سم من فضل سيبه موسوما (٢)

وقال (من الخفيف):

١٠٤ - سعدت غربة النوى بسعاد ... فهي طوع الإتهام والإنجاد (٣)

وهذا من الأبيات الملاح، ثم مدح فيها فقال (من الخفيف):

١٠٥ - عاتق معتق من الهون إلا ... من مقاساة مغرم أو نجاد
للحالات والحمائل فيه ... كشحوب الموارد الأعواد
كادت المكرمات تنهد لولا ... أنها أيدت بحيى إياد
ملأتك الأحساب، أى حياة ... وحيا أزمة وحية وادى (٤)

وقال سعيد بن حميد (٥) (من الكامل):

---

(١) ألجت: وضعت اللجم فى الأفراس. لجيم وبنو الحصن: قومان بينهما صلة. المحصنات: العفائف. نجائب: أى كريمات أو منجبات. الصوارم: السيوف القاطعة. القنا: الرماح. الروع: الفزع.

(٢) الأتى: السيل. السيب: المنحة. أرض موسومة: أصابها الوسمى.

(٣) هو طوع يديه: أى منقاد له. أتهم الرجل: صار إلى تهامة. أنجد: دخل فى بلاد نجد.

(٤) العاتق: موضع الرداء من المنكب. معتق: أى أعتق من ذلة الهوان. المقاساة: المعاناة. مغرم: غرامة. النجاد، حمائل السيف. الحالات: جمع حالة بالفتح، ويقال: حمل به حالة أى كفل. الحمائل: علائق السيف. الشحوب: الشحوب الموارد، جمع وراد، وهم الذين يردون الماء، والمراد بهم ضيوفه. الأعداد: الكثير. والمعنى هو شاحب كشحوب عفاته لما حمل من الحقوق وحمائل السيوف. والحيا، المطر. الأزمة: الجدب والشدة. وأى خبر مبتدأ محذوف أى أنت أى الخ.

(٥) كاتب شاعر مترسل عذب الألفاظ مقدم فى صناعته وراجع نبذة من شعره فى زهر الآداب (١٦٤ — ١٧٠ / ٤). وتوفى نحو عام ٢٦٠ هـ

١٠٦ ـ طلعت أوائل للرياض فبشرت
نور الربيـــع بجدة وشبابه
وغدا السحاب يكاد يسحب فى الربا
أذيال أسحم حالك الجلبــاب
وترى السماء إذا أسف ربابها
وكأنها كميت جناح غرابه
وترى الغصون إذا الرياح تنفست
ملتفــة كتعانق الأحبـاب
تبكى لتضحك نورهن فيـاله
ضحكا تكشف عن بكاء سحاب (١)

أردنا قوله « وغدا السحاب يكاد يسحب » . وقال مسلم بن الوليد (من الكامل) :

١٠٧ ـ دار الغوانى بدلت أطلالها حور المها وشوادن الغزلان
لعبت بهـا حتى محت آثارها ريحان رائحتان باكرتان (٢)

(١) النور : الزهر . الجدة : من جد الشىء صار جديداً . سحب : جر ، الربا : جمع ربوة ، وهى المكان المرتفع ، أذيال : جمع ذيل ، أسحم : أسود ، حالك : مشتد السواد ، الجلباب : الملحفة ، أسف : دنا من الأرض ، الرباب : السحاب الأبيض أو السحاب المرئى دون السحاب أبيض أو أسود ، وكل ذى رئة فهو متنفس ، وتنفس الصبح : تبلج ، تكشف : انكشف

(٢) الغوانى : جمع غانية ، وهى المرأة التى غنيت بزوجها أو بحسنها وجمالها . الأطلال : ماشخص من آثار الديار ، حور : جمع حوراء من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها ، المها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، شوادن : جمع شادن من شدن الغزال أى قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه ، الغزلان : جمع غزال ، ريحان فاعل لعبت ، رائحتان : من راحت بالعشى أى رجعت . باكرتان : من بكر ، وكل من بادر إلى شىء فقد بكر إليه ، والبكرة الغداة .

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير (١) فى المطر (من الطويل) :

١٠٨ ـ وعلا لغاط فبات يلغط سيله ويعج فى لبب الرغام وبصخب (٢)

جمع فى هذا البيت التجنيس والاستعارة . وقال الطائى (من الكامل) :

١٠٩ ـ راحت لأربعك الرياح مريضة وأصاب مغناك الغمام الصيب (٣)

وقدم فى بعض المجالس إلى صديق لنا بخور، فقال له غلام صاحب المنزل: « تبخر فإنه ند ، فلما ألقاه على النار لم يستطبه فقال : هذا ند عن الند (٤) » .

وقال بعضهم (من البسيط) :

١١٠ ـ لا تصغ للوم إن اللوم تضليل واشرب فنى الشرب للإخوان تعليل
فقد مضى القيظ واحتثت رواحله وطابت الراح لما آل أيلول
لم يبق فى الأرض نبت يشتكى مرها إلا وناظره بالطل مكحول (٥)

وقال أبو محمد اليزيدى (٦) للأصمعى (من المتقارب) .

---

(١) شاعر فصيح من أحفاد جرير مدح المأمون وقواده ومات سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) لغاط : جبل أو مكان مرتفع و اللغط: الصوت والجلبة . والعجة والعجيج: رفع الصوت ، واللبب : اللبة وهى المنحر ، الرغام : التراب ، صخب : أى اشتد صوت وقعه على الأرض .

(٣) أربع : جمع ربع وهو الدار بعينها مريضة أى ضعيفة . المغنى : منزل الإقامة . الغمام : السحاب . الصيب : السحاب المتدفق .

(٤) الند : عود طيب الرائحة ؛ وند: نفر وهذه الرواية فى الصناعتين ص ٣١٣

(٥) أصغى إليه : مال بسمعه نحوه. تضليل : منسوب إلى الضلال. علله بالشىء تعليلا لهاه به . القيظ . شدة الحر. احتثت :سير بها سيرا حثيثا ، الرواحل: جمع راحلة وهى الناقة التى تصلح لأن ترحل الراح : الخمر. آل : رجع . أيلول : من أشهر الربيع . مرها : تحطا ، والمره مرض فى العين لترك الكحل . الناظر فى المقلة : السواد الأصغر الذى فيه سواد العين . الطل : أضعف المطر .

(٦) هو يحيى بن المبارك صحب يزيد بن المنصور خال المهدى يؤدب ولده فنسب إليه ، واتصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون وله شعر جيد وكان من علماء العربية والأدب ، توفى سنة ٢٠٢ هـ .

١١١-وما أنت ؟ هل أنت إلا امرؤ إذا صح أصلك من باهلة
وللباهلي على خبزه كتاب لآكله الآكلة (١)

وقال أبو العباس (٢): وكتب إلى بعض الإخوان : «قد رخصت الضرورة في الإلحاح وأرجو أن تحسن النظر كما أحسنت الانتظار». وقال إسحق بن إبراهيم الموصلي: نزل بأبي دلامة (٣) أضياف له فعداهم ثم بعث إلى سندية نباذة (٤)، يقال لها :دوم، وأرسل إليها بجرة (٥) ، فوجهت إليه (٦). فشربوها، ثم أعاد، فبعثت بأخرى ، وجاءت تقتضيه الثمن (٧) ؛ فقال : ليس عندي ما أعطيك ، ولكن أدعولك ، فقال (من الوافر) :

١١٢ - ألا يا دوم دام لك النعيم وأحمر ملء كفك مستقيم
شديد الأصل ينبض حالباه قوي فوقه فهر عظيم
يقويه الشباب ويزدهيه وينفخ فيه شيطان رجيم (٨)

وقال مسلم بن الوليد (من البسيط) :

---

(١) باهلة : قبيلة الأصمعي. الآكل اسم فاعل من أكل. الآكلة : النار أو السياط أو العصا المحددة ، وآكلة اللحم : السكين. والبيت الأخير في الكامل مع تغيير في الرواية (٢٤ / ٢ كامل ، طبعة التجارية) .

(٢) يعني به ابن المعتز نفسه .

(٣) شاعر كوفي مليح الشعر كثير النادرة شهد آخر الدولة الأموية واتصل بالسفاح والمنصور والمهدي وتوفي في آخر خلافة المهدي عام ١٦١ هـ

(٤) أي تصنع النبيذ .

(٥) الجرة من الخزف .

(٦) المراد : أرسلتها إليه مملوءة نبيذاً .

(٧) تطالبه به ،

(٨) يعني بأحمر : آلة الرجل ، ويروى الأسر بدل الأصل ، والأسر الخلق ، نبض العرق : تحرك ، الحالبان عرقان في جانبي الذكر ، الفهر : الحجر الصلب ، وهذه الأبيات والرواية الأدبية مذكورة في الأغاني (١٣١ / ٩) مع تغيير ضئيل .

١١٣ - يا صاح إن أخاك الصب مهموم   فارفق به إن لوم العاشق اللوم(١)

وقال أيضاً (من البسيط) :

١١٤ - توري بزندك أو تسمي بجدك أو   تفري بجدك كل غير محدود(٢)

وقال بعضهم(٣) يصف السحاب (من الخفيف) :

١١٥ - نسجته الجنوب وهي صناع   وترقى كـأنه حبشي

وقرى كل قرية كان يقرو   ها قرى لا يجف منه القرى(٤)

وقال آخر (من الكامل) :

١١٦ - وقالت فراسة من يطور بمشبل   ورد وترعم أنه لا يفرس(٥)

وقال أبو يعقوب اسحق بن حسان الخريمي(٦) (من الكامل) :

١١٧ - يوم خاجت على الخليج نفوسهم   غضبا وأنت بمثلها مستام(٧)

وقلت من الكامل :

---

(١) اللوم مخفف اللؤم .

(٢) ورى الزند: ربا : خرجت ناره وأوراه غيره . والزند : العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى. الجد : الحظ. فرى الشيء: قطعه الحد المراد به السيف. والمحدود الممنوع من البخت وغيره والرواية بالياء في الأفعال كلها .

(٣) ينسب لأبي الغمر الجيلي الطبري (أمالي ١/١٧٩) وكان كاتب الحسن بن زيد العلوي مؤسس الدولة العلوية في طبرستان والمتوفى سنة ٢٧٠ هـ واسم أبي الغمر هرون بن موسى ورثى الحسين بن زيد (٤٨٥ معجم الشعراء) ووقع في اسمه في المعجم تحريف ، ومات بعد عام ٢٧٠ هـ

(٤) الجنوب ريح تقابل الشمال . الصناع : الجيد الصنعة ، وترقى : رقى درجة بعد درجة والقرية : البلدة . والمصر : الجامع ، وقرى الضيف يقريه قرى : أحسن إليه ويقروها من القرو وهو القصد وقرى الماء على وزن فعيل : مسيله من التلاع .

(٥) طار يطور : حوم. المشبل: الأسد الذي له أشبال (أولاد) الورد الأسد بين الكميت والأشقر ، فرس الأسد فريسته وافترسها : دق عنقها .

(٦) شاعر عباسي مجيد عاش في عصر الرشيد والمأمون .

(٧) الشطر الأول سبق في الشاهد ٨٢ شرحه . سامت الماشية : رعت ، والسوم في المبايعة تقول ساومه واستام علي ، واستام الناقة سارم عليها .

١١٨ ـ يا دار أين ظباؤك اللعس قد كان لى فى إنسها أنس
أين البدور على غصون نقا من تحتهن خلاخل خرس[١]

وقال أبو نواس (من الكامل):

١١٩ ـ تدع المطى أمامها وكأنها صفت تقدمهن وهى إمام[٢]

وقال والبة بن الحباب[٣] يرثى أخا له (من المنسرح):

١٢٠ ـ أمسيت فى حفرة ببلقعة جاورها فى محلها حفر
وكنت لى مألفاً إذا نفر من بعض إخوان ودهم نفروا[٤]

وقال البحترى[٥] (من البسيط):

١٢١ ـ لولا على بن مر لاستمر بنا خلق من العيش فيه الصاب والصبر
برد الحشا وهجير الروع محتمل ومسعر، وشهاب الحرب مستعر
ألوى إذا شابك الأعداء كدهم حتى يروح وفى أظفاره ظفر

---

(١) اللعس: جمع لعساء، يقال شفة أو امرأة لعساء. واللعس لون الشفة إذا كانت تقرب إلى السواد قليلا وبابه طرب. الإنس: ضد الجن، والإنس المؤانسة والنقا: كثيب الرمل يشبه به الردف. خرس أى لشدة امتلاء الساقين.

(٢) يصف سرعة ناقته وتقدمها على المطايا، ويشبهها مع النوق التى زمامها فى السير بالإمام يتقدم على الصف الأول فى الصلاة. ويروى — بدل أمامها ـ وراءها.

(٣) كوفى شاعر غزل ظريف ماجن وصاف للشراب وأستاذ أبى نواس، توفى قريبا من عام ١٧٥ ﻫ

(٤) البلقعة: الأرض القفر لاشىء بها، النفر: عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة نفرت الدابة تنفر نفارا. المألف: الإلف.

(٥) أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى، ولد بمنبج سنة ٢٠٦، وتنقل فى قبائل طيىء وغيرها، واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان، ومات سنة ٢٨٤ ﻫ. ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال وجودة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح، كما يمتاز بقوة الطبع واتباع مذاهب العرب فى نظم القريض.

جانى المضاجع ماينفك فى لجب   يكاد يقمر من لألائه القمر (١)

وقال أيضا (من الكامل) :

١٢٢ - ورمى بثغرته الثغور فسدها   طلق اليدين مؤملا مرهوبا (٢)

وقال أيضا (من الطويل) :

١٢٣ - حيا الأرض القت فوقه الأرض ثقلها   وهول الأعادى حوله الترب هائل

ستبكيه عين لا ترى الجود بعده   إذا فاض منها هامل عاده امل (٣)

وقال أبو تمام (من الكامل) :

١٢٤ - وله إذا خلق التخلق أو نبا   خلق كروض الحزن أو هو أخصب (٤)

---

(١) استمر : صار مرأ من المرارة ضد الحلاوة ، واستمر ذهب ومر مرورأ ، واستمر أيضا استحكم . الصبر : الدواء المر . وبرد الحشا : أى الممدوح ، برد الحشا ، أى به يثلج الصدر ويطيب القلب . الهجير : اشتداد الحر فى نصف النهار الروع . الفزع . احتفل بالشيء : اجتمع له وعنى به . ويقال : هو مسعر حرب : من سعر النار والحرب هيجها وألهبها ، واستعرت النار توقدت . الشهاب : شعلة نار ساطعة . رجل ألوى : أى قوى شديد الجدل ، والألوى الشديد الخصومة الجدل والمنفرد المعتزل ، ومن الطرق البعيد المجهول ، شابك الأعداء : أى اشتبك واختلط بهم فى الحرب ، والشبك : الخلط . كدهم : أتعبهم . جان : جانب . اللجب : الجيش العظيم المختلط الأصوات . الألاء : اللألاؤ ، أقمر : طلع أو أضاء .

(٢) الثغرة : النقرة فى أعلى النحر . الثغور : موضع المخافة من فروج البلدان ، طلق اليدين : أى كريم .

(٣) حيا الأرض ، أى هو - أى المرثى - حيا الأرض ، والحيا : الخصب والمطر ، وألقت فوقه الأرض ثقلها : أى دفن فى جوفها وهيل عليه التراب ، وهول الأعادى : أى هو هولهم من هاله الشيء أفزعه . هائل : عظيم ، هامل من هملت عينه ، أى فاضت ، ويروى غاض بدل فاض .

(٤) خلق الثوب ، بلى ، التخلق ، إظهار الإنسان غير خلقه ، نبا السيف إذا لم يعمل فى الضريبة ، الحزن : ماغلظ من الأرض .

وأنشد العتبي (١) (من الكامل) :

١٢٥ - دنس القميص غليظه من غير لحمته سداه
وشعار من شعره فكأنه من مسك شاه(٢)

ويقال إن عبد الله بن إدريس (٣) سئل عن النبيذ فقال : جل أمره عن المسألة ، أجمع أهل الحرمين على تحريمه ، ولم يقصده فيما أظن ، ولكن كا تهيأ له فى الكلام .

ومن التجنيس المعيب فى الكلام والشعر قول بعض المحدثين ، وهو منصور بن الفرج(٤) (من المتقارب) :

١٢٦ - أكابد منك أليم الألم فقد أنحل الجسم بعد الجسم(٥)

وقال أيضاً (من الكامل) :

١٢٧ - إن كان يوم صائراً لمنية إلفاً فيوم تفرق الألفين(٦)

---

(١) محمد بن عبد الله من بنى عتبة بن أبى سفيان البصرى راوية الأخبار والآداب وله شعر حسن ومصنفات (٤٢٠ معجم الشعراء) ، كان متصلا بمحمد بن خالد بن يرمك (٢٠ / ٧٦ أغانى) ، وقال ابن النديم ، كان العتبى وأبوه عبد الله فصيحين ، وتوفى العتبى عام ٢٢٨ .

(٢) الدنس : الوسخ ، السدى . ضد اللحمة ، ولحمة الثوب بضم اللام وفتحها . الشعار : ماولى الجسد من الثياب ، المسك : الجلد .

(٣) مرت ترجمته وهو محدث ورع توفى عام ١٩٣ . وهو بالطبع غير أبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى المتوفى عام ٢٠٤ هـ ، وقد أخطأ عبد القاهر حيث فهم أنه الشافعى فنسبها إليه (٧ أسرار البلاغة - المنار) .

(٤) شاعر عباسى رقيق عذب الأسلوب واضح الصنعة فيه ، أنيق الديباجة ، عاصر ابن المعتز ، وتوفى فى أواخر القرن الثالث ، وهو أخو إبراهيم بن الفرج البندنيجى الشاعر . وفى الصناعتين : أنشده ابن المعتز (٣٢٧ صناعتين) .

(٥) الجسم : الجسد ، جسم الشىء ، عظم ، والبيت فى الصناعتين ٣٢٧ .

(٦) الإلف ، الأليف ، والمعنى أن يوم تفرق الأحباب هو اليوم الذى صار أليف المنية ، أى يوم الفراق ويوم المنية سواء عند المحبين .

وقال آخر (من البسيط) :

١٢٨ - كم رأس رأس بكى من غير مقلته دماً وتحسبه بالقاع مبتسما[1]

وهذا أيضاً يدخل فى باب المطابقة . وقال أيضا بعض المحدثين ، يعرف بالبندنيجى[2] يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[3] (من البسيط) :

١٢٩ - هى الجآذر إلا أنها حور كأنها صور لكنها صور
نور الحجال ولكن من معايبها إذا طلبت هواها أنها نور
غيداء لو بل طرف البابلى بها لارتد وهو بغير السحر مسحور
إن الرواح حكى روح العراق لنا أصلا وقد فصلت من مكة العير
تشكى العقوق وقد عق العقيق لها وأرض عروة من بطحان فالنير
يحثها كل زول دأبه دأب من طول شوق وهجيراه تهجير
مقورة لآل من خوض الفلات إذا ما اعتم بالآل من أرجائها القور[4]

---

(١) القاع : الأرض المستوية . المقلة : شحمة العين التى تجمع البياض والسواد الرأس معروفة ، والرأس الثانية : الرجل العظيم . يقال فلان رأس قومه أى عظيمهم والمعنى : كم سيد عظيم قتل وطرح رأسه فى القاع والدماء تتدفق منها فكأنما يبكى من غير مقلته . والبيت فى الصناعتين ص ٢٢٧

(٢) ابراهيم بن الفرج شاعر عباسى متأنق جميل النظم مونق البديع رقيق الألفاظ عاش إلى آخر القرن الثالث الهجرى .

(٣) أمير أديب شاعر انتهت إليه رياسة أهله وولى شرطة بغداد ومولده ووفاته بها (٢٣٣ — ٣٠٠ هـ) ، وكان رفيع المنزلة عند المعتضد ، وله براعة فى الهندسة والموسيقى حسن الترسل ، ألف كتابا فى أخبار الشعراء ، وكتاب السياسة الملوكية وكتاب البراعة والفصاحة وله مراسلات مع ابن المعتز .

(٤) الجآذر : الظباء . حور : جمع حوراء من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها . الصور : المائلة . الحجال : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور ، أى هى بهجتها وأنسها . ونور الثانية بمعنى نافرات ، وبينهم نائرة : أى عداوة وشحناء . غيداء : ناعمة من الغيد وهو النعومة ، بابل ، نسبة إلى بابل=

وقال أبو تمام (من الكامل) :

١٣٠ - ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب [١]

وقال (البسيط) :

١٣١ - أحطت بالحزم حيزوما أخاهمم كشاف طخياء لاضيقا ولاحرجا [٢]

وقال البهروى [٣] فى طاهر بن الحسين [٤] (من البسيط) :

١٣٢ - ولو رأى هرم معشار نائله لقيل فى هرم قد جن أو هرما [٥]

= موضع بالعراق ينسب إليه السحر والخمر، يريد به هاروت. الطرف : العين. وبل به: كناية عن رؤيته إياها. الرواح: من راح السفر بالعشى يروحون أى رجعوا. والروح: الاستراحة والرزق والنعمة . أصل: جمع أصيل وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب فصل من الناحية : خرج العير: الإبل تحمل الميرة . المقوق : جحود الجميل. العقيق: وادبظاهر المدينة . أرض عروة وبطحان والنير أسماء أمكنة بعينها، وللضمير فى تشكى للإبل أى إرهاقها فى المسير كالمقوق حثه على الشىء فاحتث : أى حضه ، والضمير فى يحثم للعير الزول: الرجل الضخم العظيم. الدأب : العادة. الدأب : الدؤوب والجد هجيراه : أى عادته. التهجير : السير فى الهاجرة . الآل : الشبح والسراب ، مقورة مكورة . وقور الشىء أى خرقه من وسطه مستديراً ، والقور : جمع قوراء وهى الأرض الواسعة ، أى أن جسمها هزل من إنضاء السفر وخوض الفلوات . خاض فى الماء : اجتازه ، وخاض الغمرات : اقتحمها. الفلاة : المفازة ، اعتم: تعمم، ورواية الأصل : من حوض الفلاة بالحاء .

(١) المذهب : الطريق .

(٢) الحزم : ضبط الرجل أمره ، الحيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الحزام. الطخياء الليلة المظلمة ، والمشكلات الملتبسة ، لاضيقا : أى لاضيق الصدر من العجز يضيق بالأمور ذرعه ، أو لا بخيلا ، وحرج: ضيق ، وحرج صدره : ضاق .

(٣) لعل هذا تحريفا، وصحته البهرانى ، وهو اسحق بن خلف شاعر عاصر المأمون وروى له المبرد فى كامله شعرا كثيرا ، ورواية الصناعتين . المخزومى (صفحة ٣٢٨) وهو أبو سعيد المخزومى الشاعر ، وقد سبقت ترجمته ولعل هذه الرواية هى الصحيحة

(٤) من كبار القواد والوزراء وطد الملك للمأمون فولاه شرطه بغداد ثم ولاه خراسان سنة ٢٠٥ ، وتوفى بها عام ٢٠٧ بمرو .

(٥) هرم بن سنان ممدوح زهير ، وهرم : أى كبر وشاخ .

الباب الثالث من البديع وهو المطابقة[1]

قال الخليل رحمه الله : يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو[2] واحد . وكذلك قال أبو سعيد . فالقائل لصاحبه : أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان[3] ، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب . وقال الله تعالى : ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع[4] وقال عيسى ابن طلحة [5] لعروة بن الزبير[6] حين ابتلي في رجله : إن ذهب أهونك علينا

---

(١) يسميها قدامة في نقد الشعر : « التكافؤ » (ص ٨٥) وقد نقل العسكري في الصناعتين جميع ما كتبه ابن المعتز في الطباق ولم يزد عليه إلا القليل (٢٩٧ ومابعدها) ، قال أبو هلال : المطابقة في الكلام الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة والخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد ، وخالفهم قدامة فقال: المطابقة إيراد لفظين متشابهين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى كقول زياد الأعجم .

ونبئتهم يستنصرون بكاهل   وللؤم فيهم كاهل وسنام

وسمى الجنس الأول التكافؤ ، وأهل الصنعة يسمون النوع الذي سماه المطابقة التعطف الخ ، وقريب من ذلك في إعجاز القرآن للباقلاني (ص٧٩) . وراجع باب المطابقة في العمدة الذي تأثر فيه ابن رشيق بمن سبقه من العلماء وخاصة ابن المعتز (ص ٥ ج ٢ العمدة طبعة ١٩٣٤) . وثعلب يسمى المطابقة مجاورة الأضداد (٢٤ قواعد الشعر طبع ليدن) .

(٢) حذا النعل بالنعل : قدر كل واحدة منها على صاحبتها .

(٣) ضمن الشيء ضمانا : تكفل به .

(٤) في صفحة ٣ من الكامل للمبرد شرح واف للحديث .

(٥) هو عيسى بن طلحة بن عبد الله ناسك جيد الكلام وفد على عبد الملك وكلمه في عزل الحجاج فعزله وتوفي سنة ١٠١ هـ

(٦) عروة هو أحد الفقهاء السبعة ، ولد بالمدينة سنة ٣٢ هـ ، وقدم إلى مصر ، وأقام بها سبع سنين ، ثم عاد إلى المدينة . وتوفي فيها عام ٩٣

فقد بقي أعزك علينا ، فطابق كما ترى بين العز والهوان [١] .

وقال أدد بن[٢] مالك بن زيد بن كهلان وهو طيء في وصيته لولده: لاتكونوا كالجراد[٣]، أكل ما وجد ، وأكله من وجده . وقيل لابن عمر[٤] رضي الله عنه : ترك فلان مائة ألف ، فقال : لكنها لا تتركه . وقال الحجاج في خطبته: إن الله كفانا مؤونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة ، فليت الله كفانا مؤونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا وقال : من العمل ماهو ترك العمل ، ومن ترك العمل ماهو عمل. ومن المطابقة قول الحسن[٥] المشهور : ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت[٦] . وقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان [٧] للحسين[٨] وهو والي المدينة في بعض منازعاتهم : ليت طول حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك. وقال أبو الدرداء[٩] : معروف زماننا منكر زمان قدفات ، ومنكره معروف زمان لم يأت . وقال الحسن رضي الله عنه وقد أنكر عليه الإفراط في تخويف

---

(١) في البيان (ج ٢ ص ٦٣ طبعة سنة ١٩٢٧) الرواية تفصيلا مع بعض تغيير ، وفي صفحة ٢١١ / ٢ يرويها الجاحظ برواية أخرى وهي : قال عيسى لعروة حين ابتلي برجله فقطعها : يا أبا عبد الله ذهب أهونك علينا وبقي أكثرك لنا .

(٢) جاهلي قديم وكان رئيس قومه .

(٣) يضرب به المثل في التفرق والانتشار .

(٤) صحابي جليل أثر البعد عن ضجيج الحياة وشغب الفتنة وورث عن والده الفاروق الخلق والدين ، وكان فقيهاً ومحدثاً ، وتوفي بالمدينة عام ٧٣ هـ

(٥) هو الحسن البصري الإمام الزاهد الواعظ المتوفى سنة ١١٠ هـ وولد في خلافة عمر .

(٦) وفي رواية للجاحظ : من أمر نحن فيه ، بدل من الموت ، ٣/٩٧ بيان .

(٧) سيد شريف من قريش في الصميم وكان من أسرة بني أمية وولاه معاوية المدينة وتوفي بعد منتصف القرن الأول .

(٨) سبط رسول الله وابن فاطمة الزهراء، وقتل عام ٦٣ في عهد يزيد بن معاوية.

(٩) صحابي جليل وولي قضاء دمشق لمعاوية بأمر الفاروق ، مات سنة ٣٢ هـ .

الناس : إن من خوفك حتى تبلغ الأمن خير ممن آمنك حتى تبلغ الخوف(١). ولما حضر بشر بن منصور (٢) الموت فرح ، فقيل له أتفرح بالموت ؟ فقال : أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي مع مخلوق أخافه .

وقال عمر : إذا أنا لم أعلم مالم أر فلا علمت ما رأيت . وقال مسلمة(٣) ابن عبد الملك : ماحمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم . وقال(٤) : الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة . وقال ابن عباس: كم من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي ، وكم من أذنب وهو يبكي دخل الجنة وهو يضحك . وقال أعرابي لرجل : إن فلانا وإن ضحك لك فإنه يضحك منك. فإن لم تتخذه عدوا في علانيتك فلا تجعله صديقا في سريرتك . وقال على رضي الله عنه : إن أعظم الذنوب ماصغر عندصاحبه . وقال الحسن: كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب . وشتم رجل الشعبي(٥) فقال له : إن كنت كاذبا فغفر الله لك ، وإن كنت صادقا فغفر الله لي(٦) . وأوصى يزيد ابن معاوية(٧) غلاما فقال : اعلم أن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك . وقال

---

(١) في البيان ٩٧/ ٣ وقال الحسن للمغيرة بن مخارش التميمي الخ ، ومن جيد الطباق قول أبي بكر لخالد ، إحرص على الموت توهب لك الحياة .

(٢) ناسك صالح ورع من جلة رجال العصر الاسلامي الأول .

(٣) أمير قائد أموي له فتوحات مشهورة وكان شجاعا خطيباً وبارع اللسان جواداً ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ، ١١٤ /٣ بيان .

(٤) وتنسب هذه الحكمة لأرسطو ، ولبعض الشعراء .

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان

(٢٠٣ رسالة الغفران طبعة ١٩٠٣ بمصر) .

(٥) راوية يضرب المثل بحفظه ولد ونشأ ومات بالكوفة سنة ١٠٣ وكان نديم عبد الملك بن مروان وتقدمت له ترجمة

(٦) راجع هذه الرواية في البيان ٢/٦٩ والكامل ١/١٩٠ الطبعة القديمة .

(٧) الخليفة الأموي الثاني توفي سنة ٦٤ بعد أن مكث في الخلافة ثلاث سنين ونصف. وفي البيان ١١٩ و ١٢٠ /٢ نسبتها لمعاوية، وفي رواية الجاحظ إذا أخلف منك أخلف مني فيك .

الحسن(١) : أما تستحيون من طول مالا تستحيون(٢) . وقال : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه(٣) من كل شيء . وقال علي(٤) ابن عبدالله بن عباس وقد ذكرت عنده بلاغة بعض أهله : إني لأكره أن يكون مقدار لساني فاضلا عن مقدار علمي كما أكره أن يكون مقدار علمي فاضلا على مقدار عقلي. وقال لقمان(٥) لابنه : إياك والكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

وقال بعض الواعظين(٦) : كان الناس ورقا بلا شوك فصاروا شوكا بلا ورق. وحدثني الأسدي(٧) قال : قيل لأبي دؤاد الأيادي(٨) ، وبنته تسوس دابته : أهنتها يا أبا دؤاد ، فقال : أهنتها بكرامتي كما أكرمتها بهواني(٩) . وقال زهير (من البسيط) :

---

(١) نسبها الجاحظ لعبد الواحد بن زيد (٣/١٠٢ بيان) .

(٢) ويروى تستحون وهو الأولى .

(٣) الفاعل يعود على الله ، وقد ورد مظهراً في رواية الصناعتين .

(٤) من أعيان التابعين وجد الخلفاء العباسيين توفى سنة ١١٨ وفي البيان (١/٧٤) نسبتها لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس وروايته بالهاء بدل ياء المتكلم

(٥) نبي وحكيم وردت قصته وآثار من حكمته في القرآن الكريم .

(٦) نسبها الجاحظ لأبي الدرداء ، وروايته « كان الناس ورقا لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه » (٣/٧٣ بيان) وفي موضع آخر نسبها لأبي ذر (٢/١٤٧)

(٧) راوية أديب وأستاذ من أساتذة ابن المعتز واسمه محمد بن هبيرة الأسدي ويعرف بصعودا . وتوفي نحو عام ٣٠٥هـ (١١٠ فهرست . ٣/٣٧٠ تاريخ بغداد)

(٨) أبو دؤاد بن جرير الأيادي مشهور باللسن والخطابة وأحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام وله كلمات في بلاغة الخطابة (٤٩ — ٥١ / ١ بيان) وتوفي في أوائل عهد العباسيين .

(٩) يريد خدمتها لي كبيراً حفظا لكرامتي كما كانت خدمتي لها وأنا شاب حفظا لكرامتها .

١٣٣ - ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا[(١)]

وقال عبد الله بن الزبير الأسدى[(٢)] (من الوافر) :

١٣٤ - رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا[(٣)]

وقال حسين بن مطير[(٤)] (من الطويل) :

١٣٥ - مبتلة الأرداف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها[(٥)]

وقال طفيل الغنوى[(٦)] (من البسيط) :

---

(١) ليث بعثر : أى هو فى الجرأة والإقدام على الأقران كالأسد ، وعثر اسم مكان ، كذب : لم يصدق الحملة ، القرن : الصاحب فى القتال . يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحملة عليه فالممدوح يحمل ولا يكذب

(٢) شاعر من شعراء الدولة الأموية كوفى المنشأ والمنزل ، تعصب للأمويين فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أخذه أسيراً فمن عليه ووصله فمدحه وانقطع إليه حتى قتل مصعب ، وعمى بعد ذلك ، ومات بالرى فى خلافة عبد الملك .

(٣) الحدثان والحدثان : الحادثة ونائبة الدهر ، المقدار : ما قدره الله ، وفيه قلب ، أى رمى تقدير الله نسوة آل حرب بحدثان ، والسمود : تغير الوجه من الحزن ، وآل حرب : هم بنو أمية (٢/٨٤ خزانة تصحيح محى الدين) ؛ وشرح البيتين فى الحماسة ١ / ٣٩٧ .

(٤) شاعر فصيح متقدم فى الرجز والقصيد ومن فحول المحدثين من مخضرمى الدولتين ، وشعره بدوى ، وتوفى سنه ١٦٩ . وله رثاء بليغ فى معن بن زائدة .

(٥) الأرداف : جمع ردف وهو الكفل والعجز ، العقد : القلادة . مبتل كمعظم : الجميلة كأنما بتل حسنها على أعضائها أى قطع ، والتى فى أعضائها استرسال ، والمعنى : لهذه المرأة كشح لطيف دقيق ، وعقود لبانها تكتسب الحسن والجمال منها وليست هى التى تكسبها الجمال ، والبيت وشرحه فى الحماسة (٢/٦٠) ؛ ويروى مبتلة الأطراف ، ورواية الأمالى : الأعجاز (١/٤٣ أمالى) .

(٦) شاعر جاهلى فحل ، وأوصفهم للخيل ، عاصر الجعدى وزهيرا ، ومات قبل الهجرة بقليل .

١٣٦ ـ بسام الوجه لم تقطع أباجله يصان وهو ليوم الروع مبذول(١)

وقال الأخطل (من الكامل) :

١٣٧ ـ المهديات لمن هوين مسبة والمحسنات لمن قلين مقالا(٢)

وقال الطائى (من الطويل) :

إذا ذاقها ـ وهى الحياة ـ رأيته يقطب تقطيب المقدم للقتل(٣)

وقال كثير(٤) (من الطويل) :

١٣٨ ـ تشنى إلى الأعداء حتى إذا أنوا لمرضاته طوعا وكرها تحببا(٥)

وقال الفرزدق (من الطويل) :

١٣٩ ـ قبح الإله بنى كليب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار(٦)

وقال آخر من (من الطويل) :

١٤٠ ـ ألا يانسيم الريح إن كنت هابطا بلاد سليمى فالتمس أن تكلما

---

(١) يصف فرسا، والروع: الفزع، الأباجل جمع أبجل: عرق غليظ فى الرجل أو فى اليد بإزاء الأكحل، السهام: حر السموم ووهج الصيف، وسهم أى أصابه ذلك، والسهام التغير والضمر، وقد سهم سهوما، والساهمة: الناقة الضامرة، والسهوم العبوس.

(٢) هوى: أحب وبابه صدى، مسبة: سبا وشتما، قلين: هجرن، والقلى البغض، المقال: القول.

(٣) قطب وجهه تقطيبا: عبس، ومن بيت أبى تمام معنى قول الحسن بن أبى رجاء: تعبس فى وجهها وهى تضحك فى وجهك، وقول ابن المعتز: ضحكت إليه فتمها بتعبس . (راجع ٢٢ فصول التماثيل) .

(٤) شاعر إسلامى وفد على عبد الملك وأكثر الإقامة بمصر، وتوفى بالمدينة سنة ١٠٥ هـ .

(٥) تشنأ: تباعد وتباغض، والشانىء المبغض من شنئه، والتحبب: التقرب، والبيت من قصيدة لكثير فى مدح عبد الملك (٣٥٠ معجم)، ورواية المعجم مخالفة لهذه الرواية بعض المخالفة.

(٦) يذم بنى كليب ويصفهم بالعجز واللؤم والهوان.

وبلغ سليمى حاجة لى مهمة   وكن بعدها عن سائر الناس أعجما(١)

وقال بعضهم : « إذا شربت النبيذ فاشرب مع من يفتضح هو ، لا مع من يفتضح به»

المحدثون : سعى على(٢) بن عيسى بن ماهان إلى الرشيد بالفضل بن يحيى(٣) فرمى بكتابه إلى جعفر(٤) وقال أجبه فكتب على ظهره : حفظك الله يا أخى، وحبب إليك الوفاء فقد أبغضته ، وبغض إليك الغدر فقد أحببته ، إن حسن الظن بالأيام داعية الغير(٥) ، والله المستعان .

وقال محمد(٦) بن إسرائيل بن محمد بن إسرائيل القاضى : قال لى مجنون يكون فى الخرابات(٧) : يا إسرائيل خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء ، فإن الرجاء يشغلك عن الخوف ، وفر إلى الله ولا تفر منه .

وقال ابن السماك(٨) : لأن أكون فى السوق وقلبى فى المسجد أحب إلى من أن أكون فى المسجد وقلبى فى السوق .

(١) النسيم : الريح لطيبة ، هبط : نزل وانحدر ، المهم : الأمر الشديد ، وأهمه الأمر أقلقه وأحزنه : الأعجم : الذى لا يفصح وهو الذى فى لسانه عجمة لا يبين كلامه .

(٢) من كبار القواد فى عصر الرشيد والأمين وهو الذى حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ، وتولى قتال جيوش المأمون وقتل سنة ١٩٥ هـ .

(٣) وزير الرشيد وأخوه فى الرضاع وولاه خراسان سنة ١٧٨ هـ ، ثم قبض عليه فى نكبة البرامكة عام ١٨٧ هـ ، فسجن وتوفى فى سجنه بالرقة عام ١٩٣ ، وكان مولده عام ١٤٨ هـ .

(٤) جعفر بن يحيى البرمكى وزير الرشيد ، يوصف بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس راجع (١٨٠/١ بيان) ، وقتل سنة ١٨٧ هـ .

(٥) غير الأيام : أحداثها ونوائبها .

(٦) أديب عالم ومن بيت مجد ونفوذ ، وزر أحمد بن إسرائيل للمعتز وقتل عام ٢٥٥ هـ ، وكان محمد معاصراً لابن المعتز .

(٧) جمع خربة ، وهى ما أقفر وخلا من الديار .

(٨) ناسك زاهد ورع توفى فى عصر الرشيد وله أحاديث وعظات مع الرشيد وتوفى عام ١٨٥ هـ

وباع أبو العيناء دابة ، كان عبيدالله بن[1] يحيى حمله عليها من ابن لعبيدالله ، فدافعه بثمنه ، ثم لقيه . فقال إيش[2] خبرك يا أبا العيناء ؟ فقال : بخير ، يامن أبوه يحمل وهو يرجل . وقال ذو الرياستين[3] : احذروا اجتماع المضار وافتراق المسار[4] . وكتب عبد الصمد[5] بن على إلى مروان[6] ، وقد ذكر له أمر الحرم : الحق لنا فى دمك ، وعلينا فى حرمك[7] .

وقال عبيد[8] الله بن عبد الحميد فى تعزية : ما أشبه الباقى الذى ينتظر الفناء بالماضى الذى قد أتى عليه الفناء . وقلت لبعض فقهائنا وأنا عليل وقد سألنى عائد لى بحضرته كيف أنت : أترانى إن قلت فى عافية كاذبا ؟ فقال لى : لا ، قال بعض الصالحين إن أعلك الله من جسمك فقد أصحك من ذنوبك . وكتب يحيى بن خالد[9] إلى الرشيد : يا أمير المؤمنين إن كان الذنب لى خاصا فلا تعمن بالعقوبة فإن الله يقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . ولبعضهم : الكريم واسع المغفرة إذا ضاقت المعذرة[10] . وقال أبو تمام (من الطويل) :

---

(١) وزر للمتوكل والمعتمد وتوفى سنة ٢٦٢ هـ ، وله ألف ابن قتيبة « أدب الكاتب » .

(٢) أى : أى شىء .

(٣) الفضل بن سهل قتل ٢٠٢ هـ وتقدمت ترجمته .

(٤) جمع مضرة ومسرة والمضرة خلاف المنفعة والمسرة السرور .

(٥) عباس هاشمى عم المنصور وتولى ولاية كثير من البلاد ومات سنة ١٨٥ هـ عن ٨١ عاماً .

(٦) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية قتل سنة ١٣٢ .

(٧) جمع حرمة ، وحرمة الرجل حرمه وأهله .

(٨) أبو عبيد الله محمد بن عبد الحميد الطائى الطوسى القائد شاعر أديب وإخوته شعراء أدباء (٤٢٧ معجم الشعراء) .

(٩) مضت ترجمته .

(١٠) عذره فى فعله عذراً ، والاسم المعذرة .

١٤١ - لهم منزل ، قد كان بالبيض كالمها فصيح المعانى ، ثم أصبح أعجما(١)
ورد عيون الناظرين مهانة وقد كان مما يرجع الطرف مكرما

وقال فى الإبل (من البسيط) :

١٤٢ - المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهى الشرد الضلل
إذا تضللت من أرض فصلت بها كانت هى العز إلا أنها ذلل(٢)

وقال فى الشيب (من الخفيف) :

١٤٣ - غـــرة مرة إلا إنمـا كنـ ت أغر أيام كنت بهيما
دقة فى الحياة تدعى جلالا مثل ما سمى اللديغ سليما(٣)

وقال ابن السماك للرشيد : يا أمير المؤمنين تواضعك فى شرفك أشرف من شرفك . وقال الطائى (من الطويل) :

---

(١) بيض : جمع بيضاء وصف لأحبابه . المها . وصف للبيض ، جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . وأعجم : أى غير ناطق . مهانة : من الهوان . وأرجعه ورجعه واحد . والطرف : العين ، ومكرماً : اسم مفعول من أكرم . يصف عفاء مغانى أحبابه بعد فراقهم إياه ورحيلهم عنه وآثار هذا العفاء فى نفس المحب الواله.

(٢) المرضيات : جمع مرضية من أرضيته عنى : أرغمت : أهنت ، من أرغم الله أنفه أى ألصقه بالتراب . آنف : جمع أنف . والهاديات : جمع هادية من هداه الطريق أى أرشده إليها . شرد البعير : نفر فهو شارد وشرود وهم شرد ، والضلل : جمع ضالة من الضلال ضد الرشاد ، وتضللت : بمعنى نسبت فيها إلى الضلال فكرهت الإقامة بها ، أو بمعنى تظللت ، كانت هى — أى الإبل — العز ، لأنها تنأى بى عن موطن الذل والهوان ، والذلل ، جمع لناقة ذلول من الذل بالكسر وهو اللين والانقياد .

(٣) الغرة ، بياض فى جبهة الفرس ، مرة : من المرارة . أى شديدة الألم للنفس ، وأغر : أى أكرم ، وغرة كل شىء أوله . وأكرمه ، والفرس البهيم ، هو الذى لايخالط لونه شىء سوى لونه ، والدقة : مصدر دق الشىء أى صار دقيقاً ، والدقيق ضد الغليظ ، ولدغته العقرب فهو ملدوغ ولديغ .

١٤٤ - وضل بك المرتاد من حيث يهتدى وضرت بك الأيام من حيث تنفع
وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجزع(١)
وقال آخر (من الكامل) :
١٤٥ - أما القبور فإنها مأنوسة بجوار قبرك والديار قبور(٢)
وقال أبو العتاهية (من الكامل) :
١٤٦ - ياحسرتا من يوم يجمع شرتى كفن ولحد
ضيعت مالا بد لى منه بما لى منه بد(٣)
وقال سديف(٤) (من الكامل) :
١٤٧ - وأصح ما رأت العيون محاجرا ولهن أمرض ما رأيت عيونا(٥)
وقال عمارة بن عقيل (من الخفيف) :

---

(١) ضل الطريق : لم يهتد إليه . والمرتاد : من راد الكلأ وارتاده أى طلبه ، والرائد الذى يرسل فى طلب الكلأ ، والبيتان فى الرثاء ، يقول : قد كان هدى المرتاد فضل بعده ، وكانت الأيام تنفع بما يفعل فيها من مكرمات ، فصارت تضر بعده ، واثن كان الحزم فى الصبر فلقد صار بعد وفاته فى الجزع والبكاء .

(٢) مأنوسة : من الإيناس ضد الإيحاش ، والبيت للتميمى فى منصور بن زياد ، والتيمى هو أبو محمد عبد الله بن أيوب من أهل اليمامة شاعر مولد فصيح عربى متكلم عالم ، وكان بعد مسلم بن الوليد بقليل (راجع ١ / ٤٠١ حماسة) ونسبة الكامل لرجل من خزاعة . والكثير ، وقال إن الصحيح أنه اقطرب النحوى فى رثاء عمر بن عبد العزيز (٢٦٧ / ٢ كامل طبعة التجارية) ونسبته الموازنة للعتابى (٥٦ الموازنة) .

(٣) شرة الشباب : نشاطه وجلده وحرصه .

(٤) سديف بن ميمون مولى بنى هاشم شاعر حجازى مقل كان شديد التعصب لبنى هاشم وعاش إلى زمن المنصور ، مات سنة ١٤٦ هـ .

(٥) محاجر : جمع محجر ، ومحجر العين ما يبدو من النقاب ، ورواية الأصل جوارحا ، وجوارح الإنسان : أعضاؤه التى يكتسب بها . وفى الأصل منهن بدل : ولهن .

١٤٨ - وأرى الوحش في يميني إذا ما كان يوماً عنانه في شمالي (١)

وقال أبو تمام (من البسيط):

١٤٩ - فيم الشماتة إعلاناً بأسد وغى أفناهم الصبر إن بقاكم الجزع (٢)

وقال البحتري (من الخفيف):

١٥٠ - إن أيامه من البيض بيض مارأين المفارق السود سوداً (٣)

وقال النميري (٤) (من الكامل):

١٥١ - ومجالس لك بالحمى وبها الخليط نزول
أيامهن قصيرة وسرورهن طويل
وسعودهن طوالع ونحوسهن أفول
والمالكية والشبا ب وقينة وشمول (٥)

وقال بشار (من البسيط):

١٥٢ - حتام قلبي مشغول بذكركم يهذى وقلبك مربوط بنسياني

---

(١) العنان : اللجام ، يقول : إذا ركبت الفرس فكان لجامه في شمالي اصطدت الوحش فكان عنانه في يميني ، يصف فرسه بسرعة العدو .

(٢) الشماتة : الفرح بمصيبة العدو ، إعلانا : جهاراً ، الأسد : جمع أسد .

(٣) في الأصل رأينا ، البيض : جمع بيضاء ، وامرأة بيضاء أي حسنة جميلة ، والمفارق جمع مفرق وهو وسط الرأس ومايفرق منه الشعر ، والمعنى أنه ينعم بجمال الحياة وبهجة الدنيا بوصال الغانيات الذي يظل مادام في روعة الشباب ونضارة العمر .

(٤) النمري هو منصور النمري شاعر الرشيد من سلالة النمر بن تولب ، والنميري هو محمد بن عبد الله بن نمير من قس وهو شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية وله في زينب أخت الحجاج غزل كثير راجع (٦/٢٤ الأغاني) ، وفي الأبيات روح منصور النمري مما يجعلني أجزم بأن الصحيح هو « وقال النمري » فتكون كلمة النميري الواردة في الأصل محرفة ، وفي زهر الآداب (٣/٦٩) : « وقال العتابي يعرض بالنميري » ، وهو تحريف أيضا .

(٥) الحمى : المكان المحمي ، ويقال للوطن حمى لحمايته من الأعداء ، والخليط : المخالط كالنديم والمنادم وهو واحد وجمع ، والمالكية : اسم محبوبته ، والقينة : المغنية ، الشمول : الراح .

لهفى عليها ولهفى من تذكرها يدنو تذكرها منى وتنأى .
إنى لمنتظر أقصى الزمان بها إن كان أدناه لا يصفو لحران (١)

وقال أبو العتاهية (من الطويل) :

١٥٣ - غنيت عن الوصل القديم غنيتا وضيعت قلبا كان لى ونسيتا
تجاهلت عما كنت تحسن وصفه ومت عن الإحسان حين حييتا (٢)

وقال إبراهيم بن العباس (من الوافر) :

١٥٤ - غنى عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب (٣)

وقال أبو العتاهية (من الخفيف) :

١٥٥ - عاذلى فى المدام غير فصيح لا تلمنى على شقيقة روحى
لا تلمنى على التى فتنتنى وأرتنى القبيح غير قبيح
إن بذلى لها لبذل جواد واقتنائى لها اقتناء شحيح (٤)

وقال أيضا (من الخفيف) .

١٥٦ - يا بنى النقص والغير وبنى الضعف والخور
وبنى البعد فى الطبا ع على القرب فى الصور

وقال أيضا (من الرمل) :

١٥٧ - قل لذى الوجه الطرير ولذى الردف الوثير
ولمغلاق همومى ولمفتاح سرورى
يا قليلا فى التلاقى وكثيرا فى ضميرى (٥)

---

(١) هذى فى منطقه : هذى خلط ، ونأى ينأى : بعد . وأقصى الزمان : أى بعيده ، والصفو : ضد الكدر ، والحران : العطشان .

(٢) غنى : أى استغنى

(٣) البيت فى وصف ما يلقاه من الإخوان من كيد وكفران .

(٤) المدام : الخمر . اقتناء المال : اتخاذه . والشحيح : البخيل الحريص .

(٥) الطرير : الحسن من طر النبت نبت . والردف : الكفل . والوثير : الضخم . والمغلاق : ما يغلق به الباب .

وقال البحترى يصف بركة المتوكل[١] (من البسيط) :

١٥٨ - إذا علتها الصبا أبدت لنا حبكا[٢]   مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها   وريق الغيث أحياناً يباكيها[٣]

وقال أيضا (من الكامل) :

١٥٩ - حالت بك الأشياء عن حالاتها   فالحزن حل والعـزاء حرام
وبرغم أنفى أن أراك موسداً   يد هالك والشامتون قيام[٤]

وشرب بعض الناس عند الحسن بن وهب[٥] قدحاً فلما استوفاه عبس فقال: والله ما أنصفتها ، تضحك فى وجهك وتعبس فى وجهها ، فأخذه بعض المحدثين[٦] (من الكامل) :

١٦٠ - ما أنصف الندمان كأس مدامة   ضحكت إليه فشمها بتعبس[٧]

ودخل ابن شبابة[٨] على قوم يشربون الخمر ومعه صديق له ، فقال الرجل :

---

(١) الخليفة العباسى المشهور قتل سنة ٢٤٧ .

(٢) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . أبدى : أظهر . حبك : جمع حباك جمع حبيكة ، وهى الطريقة فى الرمل ، والحبك تكسر كل شىء كالماء القائم إذا مرت به الريح . الجواشن : الدروع .

(٣) الحواشي: الأطراف ، مصقول : أى مجلو . حاجب الشمس : أول ما يبدو منها عند الشروق . الغيث : المطر .

(٤) حال الشيء : انقلب عن حاله . وحال لونه: انقلب واسود . والحالة واحدة حال الإنسان. وحل: أى حلال. والوساد: المخدة، ووسدته الشيء: جعلته تحت رأسه.

(٥) كاتب شاعر عاصر أبا تمام ورثاه ولما مات رثاه البحترى . وكان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات توفى سنة ٢٥٠ .

(٦) البيت لابن المعتز فى ديوانه ج ٢ ص ٥٢ . وراجع ص ٢٢ فصول التماثيل لابن المعتز .

(٧) الندمان والنديم من ينادمك على الشراب . والمدامة : الخمر. التعبس: التجهم.

(٨) لعله محمد بن حماد بن شبابة شاعر بغدادى (٤٢٩ معجم الشعراء) .

الويل لنا إن كان مايشربون خرا، فقال ابن شبابة: بل الويل لنا إن لم يكن مايشربون خرا. وقال سعيد بن سلم[١]: تركنا كثير النبيذ لله وقليله للناس[٢]. ويقال: إشرب من النبيذ ما لا يشربك. ولأعرابى فى البراغيث (من الطويل):

١٦١ - إذا درج البرغوث منها رأيته   على الجلد ضخم الجسم وهو صغير

وقال الطائى (من الطويل):

١٦٢ - لقد ضاقت الدنيا على بأسرها   لهجرانه حتى كأنى فى حبس
أسكن قلبا هائما، فيه مأتم   من الشوق إلا أن عينى فى عرس[٣]

وقال سهل بن هارون[٤] من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفر[٥] رزقه منها: ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها. وقال بعضهم يهجو قوما (من المتقارب):

١٦٣ - فياقبحهم بالذى خولوا   ويا حسنهم فى زوال النعم[٦]

وقال عبد الله بن أبى عيينة[٧] فى عيسى بن سليمان[٨] (من الطويل).

---

(١) أخباره فى الأغانى فى مواضع متفرقة. وراجع ترجمته عند البيت ٢٣٠، وهو سعيد بن سلم بن قتيبة أمير شريف من أسرة عظيمة وعاصر الرشيد. وكان شجاعاً أديباً. (٢) يريد أن كثير النبيذ حرام وقد تركه خوفاً من الله، وقليله حلال وقد تركه حياء من الناس.

(٣) الهيام: أشد الحب. المأتم: النساء يجتمعن فى الخير والشر والمراد به هنا المناحة

(٤) كاتب حكيم فارسى الأصل ونشأ فى البصرة واتصل بخدمة المأمون فولاه رئاسة خزانة الحكم ببغداد وكان يتهم بالشعوبية ووضع كثيراً من القصص ورسالته فى البخل دونها الجاحظ فى البخلاء. وتوفى فى عصر المأمون وقد أشاد به الجاحظ فى البيان (ج ١ ص ٥٥).

(٥) وفر عليه حقه توفيراً واستوفره: أى وفاه. (٦) خولوا: أى ملكوا.

(٧) جده أبو عيينة بن المهلب وهو مولى ابن كعب. كان من كبار القواد الذين رفعوا دعائم دولة بنى العباس وتوفى سنة ١٤١. وعبد الله شاعر مجيد من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً فى الشعر وأقلهم تكلفا وهجا ابن عمه خالداً كما هجا ابن عمه مروان أحد تلامذة الخليل (٢٦٧، ٣٩٨ معجم الشعراء) وعاصر المأمون.

(٨) ولى والده البصرة للسفاح والمنصور وتوفى سنة ١٤٢ هـ وابنه عيسى أمير

١٦٤ ـ أفاطم قد زوجت من غير خبرة ... فتى من بنى العباس ليس بطائل
فإن قلت من آل النبي فإنه ... وإن كان حر الأصل عبد الشمائل(١)

وقلت فى الفصول الصغار القصار : طلاق الدنيا مهر الجنة . غضب الجاهل فى قوله وغضب العاقل فى فعله .

ومن المعيب من المطابقة فى الكلام والشعر قول الأخيطل(٢) (من الكامل) :

١٦٥ ـ قلت المقام وناعب قال النوى ... فعصيت أمرى والمطاع غراب(٣)

وهذا من غث الكلام وبارده . وقال أيضاً (من الكامل) :

١٦٦ ـ كم جحفل طارت قدامى خيله ... خلفته يوم الردى منتوفا
أعليت بابك وهو رأس أنه ... سيكون بعدك حافراً ووظيفا(٤)

وقال أيضاً فى الخمر (من الكامل) :

١٦٧ ـ ورمى النديم بماء مزن رأسها ... فرمته من أضغانها فى الراس
وحسا مصونتها فأرخت نفسها ... حتى احتست بالسكر نفس الحاسى(٥)

= عباسى من رجال الدولة فى عصر المهدى والرشيد وهذه الأبيات وقصة هجاء عبد الله لعيسى بن سليمان تراها فى كامل المبرد (٢٠٦ / ١) والأغانى ١٦ جـ ١٨ .

(١) فاطمة هى زوجة عيسى . وهى فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد وهو من ولد قبيصة بن أبى صفرة المهلبى (راجع الكامل والأغانى) . ويقال هذا أمر لاطائل فيه إذا لم يكن فيه غناء . الشمائل جمع شمال وهو الخلق .

(٢) شاعر مليح ظريف الشعر كان يسلك طريق أبى تمام ومدح محمد بن عبدالله ابن طاهر م سنة ٢٥٣ هـ . (٤٣٢ معجم الشعراء و جـ ٥ ص ٤٢٢ تاريخ بغداد) ومات بعد منتصف القرن الثالث بقليل .

(٣) الناعب : الغراب . النوى : الفراق .

(٤) الجحفل : الجيش الجرار . قدامى الطير : قوادمه وهى مقاديم ريشه وعددها عشرة فى كل جناح . الردى : الهلاك . منتوفا من نتف الشعر . بابك : هو بابك الخرمى وله ترجمة عند البيت (٢٤١) . فلان رأس قومه أى عظيمهم . الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها .

(٥) النديم : من ينادمك على الشراب المزن : السحاب ، والضمير فى راسها =

وقال بعض الشعراء فى القاسم(١) بن عبيد الله (من الكامل) :

١٦٨ - من كان يعلم كيف رقة طبعه هو مقسم أن الهواء ثخين

وقال الطائى (من الوافر) :

١٦٩ - فيا ثلج الفؤاد وكان رضفاً ويا شبعى برؤيته وريى(٢)

وقال (من الخفيف) :

١٧٠ - فإذا الصنع كان وحشا فليت برغم الزمان صنعا ربيباً(٣)

ولبعض المحدثين وهو من عجيب هذا الباب فى الرداءة (من الكامل) :

١٧١ - وجعلت مالك دون عرضك جنة إذ عرض غيرك لايقيه بقوة(٤)

للخمر ، الأضغان : جمع ضغن وهو الحقد . حسا المرق : فهو حاس واحتساه بمعنى وتحساه حساه فى مهلة . مصونة : من صان الشيء صيانا وصيانة إذا بالغ فى المحافظة عليه . أرخى الستر وغيره : أرسله .

(١) القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد وتوفى سنة ٢٩١ هـ . (٤٤٤ ج ١ ابن خلكان) .

(٢) يصف الشاعر رقة طبع الممدوح وأن الذى يتصل به و يرى رقة طبعه يعلم أن طبعه أرق من الهواء وأن الهواء معرقته يعد بالنسبة إلى طبعه ثخينا غليظا . الرضف : عظام فى الركبة قد أخذ بعضها بعضا واحدتها رضفة والرضف أيضا حجارة محماة ورضفه يرضفه بها : أى كواه . هو ثلج الفؤاد : أى طمأنينته ومسرته . وكان أى الفؤاد .

(٣) الوحش : كبير السن قبيح المنظر ، والربيب : ولده وهو صغير السن فى الشباب وملاك الله حبيبك تملية متعك به وأعاشك الله معه طويلا . يقال : رغم أنفه : أى ذل وانقاد ، وأرغم الله أنفه ألصقه بالرغام وهو التراب . يقول إذا كان فعل الزمان معك سيئا فتمتعك الله برغم أنف الزمان وملاك صنعا جميلا حسنا ، يعنى إذا كانت أيامك الماضية أيام شدة وشقاء فأحالها الله إلى أيام خير ورخاء ويسر .

(٤) الجنة : ما استتر به من سلاح ، والجنة : الستر . وقى الشيء يقيه وقاية حفظه . القوة ضد الضعف وأخذ الشيء بقوة أى بجد وعزم .

وقال كاتب تامش(١) واسمه شجاع (٢) فى دعائه « يارب ارحم ترحم » .

الباب الرابع من البديع(٣)

وهو رد أعجاز الكلام على ماتقدمها، وهذا الباب ينقسم على ثلاثة أقسام:

(١) فمن هذا الباب مايوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة فى نصفه الأول مثل قول الشاعر (من الكامل) :

١٧٢ - تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما   فى جيش رأى لايفل عرمرم(٤)

(٢) ومنه ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة فى نصفه الأول كقوله (من الطويل) :

١٧٣ - سريع إلى ابن العم يشتم عرضه   وليس إلى داعى الندى بسريع (٥)

(٣) ومنه مايوافق آخر كلمة فيه بعض مافيه كقول الشاعر (من الوافر):

١٧٤ - عميد بنى سليم أقصدته   سهام الموت وهى له سهام (٦)

---

(١) قائد تركى تولى أمر البيعة للخليفة المستعين سنة ٢٤٨ هـ فأطلق يده فى شئون الدولة فأثرى ثراء عظيما فثارت عليه الموالى وقتلوه .

(٢) هو شجاع بن القاسم كان موضع ثقة تامش القائد وكان تامش لا يعرف الكتابة فكان شجاع كاتبه يتولى له أمورها ومات مقتولا فى نكبة مولاه .

(٣) عقد له أبوهلال فى الصناعتين بابا (٣٧٧ — ٣٨٠) تأثرفيه بابن المعتز إلى حد كبير . ويسميه ابن رشيق التصدير (٣ ج ٢ العمدة ط ١٩٣٤) وقد نقل فيه كثيراً من مثل ابن المعتز المذكورة هنا .

(٤) العرمرم : الجيش الكثير، والمراد أن الأمر شديد . وفل الجيش هزمه .

(٥) يروى يلطم وجهه واللطم الضرب على الوجه بباطن الكف ، والبيت للأقيشر الأسدى الكوفى الشاعر الأموى .

(٦) عميد القوم سيدهم . أقصد السهم أصاب وأقصد فلانا طعنه فلم يخطئه ، وينسب البيت للأشجع السلمى أيضا .

وقال الله تعالى: أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، وقال عز وجل : لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى[١] . وقال تقدست أسماؤه : ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون . وفى الحديث « من مقت نفسه فقد آمنه الله من مقته[٢] » وقال طفيل (من الطويل) :

١٧٥ ـ محارمك امنعها من القوم إننى أرى حقبة قد ضاع فيها المحارم[٣]

وقال عمرو بن أحمر[٤] (من الطويل) :

١٧٦ ـ تغمرت منها بعد ما نفد الصبا ولم يرو من ذى حاجة من تغمرا[٥]

وقال الحطيئة (من الطويل) :

١٧٧ ـ تدرون إن شد العصاب عليكم ونأبى إذا شد العصاب فلا ندر[٦]

وقال الفرزدق (من البسيط) :

١٧٨ ـ أصدر همومك لا يقتلك واردها فكل واردة يوما لها صدر[٧]

---

(١) افترى الكذب : اختلقه . يسحتكم : يستأصلكم .

(٢) مقته : أبغضه من المقت وهو البغض .

(٣) المحرم من النساء مالا يحل نكاحها . الحقبة : المدة والزمن .

(٤) باهلى أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازى الروم وتوفى على عهد عثمان بعد سن عالية وهو كثير الغريب صحيح الكلام .

(٥) تغمر بالقدح : شرب به ، وتغمرت : أى شربت من الغمر ، وهو قدح صغير جدا ، ضربه مثلا : أى تملت منها بالشىء القليل وذلك لا يبلغ مافى النفس منها من المراد ، يقال : حاولت أن أتمتع بمحبوبتى بعد أن ذهب الشباب ولكن هيهات ، وروى من الماء : ارتوى ، نفد : فنى .

(٦) الدر اللبن : ودر الضرع باللبن يدر ، العصاب العصابة يقال: عصب رأسه بالعصابة ، والمعنى أنتم أذلاء قبلتم الهوان ، ونحن أعزاء لا نضام ، ولا نعطى القياد عن ضيم .

(٧) صدر عن الماء : رجع ضد ورد ، والمعنى لا تدع الهموم التى تطيف بك =

وقال الأعشى ميمون بن قيس (من المتقارب) :

١٧٩ - كتوم الرغاء إذا هجرت وكانت بقية ذود كتم(١)

وقال جرير (من الطويل) :

١٨٠ - سقى الرمل جون مستهل ربابه وماذاك إلاحب من حل بالرمل(٢)

المحدثون : قال أبو نواس (من المديد) :

١٨١ - ظن بى من قد كلفت به فهو يجفونى على الظنن(٣)

وقال فى الخمر (من الكامل) :

١٨٢ - رقت ورقت مذقة من مائها والعيش بين رقيقتين رقيق(٤)

وقال مسلم (من الطويل) :

١٨٣ - تبسم عن مثل الأقاحى تبسمت له مزنة صيفية فتبسما
وليلة مات اللهو إلا بقية تداركها طيف ألم فسلما

= تعذبك ، وتنفض مضجعك بل اطردها من نفسك ، وتسل عنها والواردة لابد لها يوما من الصدر أى أن الهموم مهما أقمنا لابد أن تذهب من نفسك فعجل بطردها .

(١) الرغاء . صوت ذوات الخف . والراغية : الناقة أو البعير . هجرت : سارت فى الهاجرة . البقية : مابقى من الشىء . الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشرة ، يصف ناقته بأنها كريمة قوية صبورة على ألم السير فى الهاجرة لاتتعب ولا تشكو الكلال وأنها البقية الباقية من إبل كثير كرام .

(٢) الجون . السحاب الأبيض أو الأسود . الرباب : السحاب الأبيض . وقيل هو السحاب المرئى كأنه دون السحاب سواء كان أبيض أو أسود . استقل القوم مضوا وارتحلوا .

(٣) كلف بكذا : أولع به . الظنة : التهمة . جفاه : هجره .

(٤) المذقة : القطعة من الشىء المخلوط بغيره . ويقول ابن رشيق فى البيت وهو عندى بعيد من إحكام الصنعة التى يدخل بها فى هذا الباب ، على أنه غاية فى ذاته لأن أكثر السعادة أن تعاد اللفظة بنفسها (٥ / ٢ العمدة) .

مزيدك عندى أن أقيك من الردى   وإن كان شجوا أن أكون المقدما(١)

أردنا من هذه الأبيات البيت الأول . وقال محمد(٢) بن أبى أمية الكاتب (من المديد) :

١٨٤ - حسن هـذا الوجه لا يسلمنى   أبدا منه إلى غير حسن(٣)

وقال بشار الأعمى (من الطويل) :

١٨٥ - طلوب ومطلوب إليه إذا غـدا   وخير خليليك الطلوب المطلب (٤)

وقال منصور بن الفرج (من الوافر) :

١٨٦ - مفيد إن تزره وأنت مقو   تكن من فضل نعمته مفيدا
حميد حين تكثر ذم صرف   لدهر لا ترى فيه حميـدا
وإن فقد الربيع وكل خصب   فليس ربيع كفيه فقيدا

---

(١) الأقاحى : جمع أقحوانة نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر ويشبه الثغر به . والمزنة : السحابة البيضاء . صمفيه أى تهطل فى الصيف . والتبسم دون الضحك . يقول يبسم المحبوب عن ثغر كأنه الأقحوان جاء وابتسم له فى الصيف السحاب فنور وابتسم . ومات اللهو كناية عن ذهابه وعفاء ذكرياته من النفس . وطيف الحبيبة خيالها الذى يتراءى فى النوم وطاف الخيال جاء فى النوم . وألم به : نزل به . وقاه من الردى : حفظه . الردى : الهلاك . الشجو : الهم والحزن . يقول الشاعر : أحبه وأزيده من الحب فلو كان ردى لوقيته منه بنفسى وإن كان يحزننى أن أتقدم عليه فأموت قبله وأفارقه غير متمتع به .

(٢) محمد بن على بن أبى أمية الكاتب غنى المأمون ومن بعده من الخلفاء إلى المستعين ، ومدح المتوكل والخلفاء بعده وتوفى بعد منتصف القرن الثالث

(٣) يقول ما أجمل هذا الوجه الذى لا تقع عينى منه أبدا على غير حسن وجمال وهو شبيه بقول أبى نواس :

يزيدك وجهه حسنا   إذا ما زدته نظرا

(٤) طلوب : مبالغة فى طالب . يقول فى محبوبه : إنى وقعت فى أسر هواه ووقع هو أيضا فى أسرى فهو يطلبنى وأنا أطلبه وخير الأخلاء من هام بك وهمت به .

وفود أملوك أبا على ولولاأنت ما كانوا وفودا[١]

وقال فى صفة الشيب (من الخفيف) :

١٨٧ - يا بياضا أذرى دموعى حتى عاد منها سواد عينى بياضا[٢]

وقال أيضا (من الوافر) :

١٨٨ - شريف لا ترى قولا وفعلا ولا خلقا له إلا شريفا

وقال أبو الغمر الطهوى[٣] (من الخفيف) :

١٨٩ - ما لجنية المحاسن لا تأوى لخرق كأنه جنى[٤]

وقال أحمد بن يوسف فى بعض كتبه : فشكر الله لك ما أصبحت مشكورا به ، وكتب بعضهم : إن الشكر من الله بأحسن المواضع فازدد منه تزدد به وحافظ عليه تحفظ به . وقال بعض المحدثين وهو إبراهيم بن الفرج البندنيجى[٥] (من البسيط) :

١٩٠ - تقاصرت همم الأملاك عن ملك أمسى الرجاء عليه وهو مقصور

فوفره بين أهل العرف منتهب وعرضه عن لسان الذم موفور[٦]

---

(١) مفيد : من أفاد المال أعطاه وأفاده أيضا أخذه . أقوى القوم صاروا بالقواء وهو القفر والمقوى أيضا الذى لا زاد معه ، والمراد وأنت فقير ، صرف الدهر: حدثانه ونوائبه ، أمله: رجاه .

(٢) أذرت العين دمعها : صبته .

(٣) مضت ترجمته فى البيت (١١٥) .

(٤) جنية المحاسن أى فائقتها ، تأوى: تسكن ، الخرق : الرجل الكريم الحسن الخلق أو الشديد الذى ليس برقيق يعنى نفسه ، والمعنى أن محبوبته الفائقة فى الحسن لا تواصله وهو كريم النفس حسن الخلق يتحمل الشدائد فهو دائب السعى يحمل نوائب المعروف حتى صار كأنه جنى من طول تحمله وسعيه فى سبيل المعروف .

(٥) البندنيجى نسبة إلى موضع اسمه البندنيجين وورد فى الكلام ١٥٠ : ٢

(٦) تقاصرت : عجزت عن بلوغ شأوه ، الهمم جمع همة ، الأملاك جمع ملك ، الوفر : المال الكثير ، العرف : البذل والجود ، أنهب الرجل ماله فانتهبوه ونهبوه وناهبوه بمعنى واحد ، والنهب : الغنيمة ، عرض الرجل موضع الذم والمدح منه ، الموفور : الشىء التام ، وفر عليه حقه توفيرا واستوفره : استوفاه

وقال أبو نواس (من السريع) :

١٩١ - من لم يطب فى الناس يومئذ من ريحه - إن مر - لم يطب(١)

وقال البحترى (من الطويل) :

١٩٢ - أنائل جازت الأحص وأهله وما جدت للصب المشرق بنائل(٢)

وقال الطائى فى الربيع (من الطويل) :

١٩٣ - أسائلكم ما باله حكم البلى عليه وإلا فاتركونى أسـائله

وقال أيضا (من الطويل) :

١٩٤ - ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواطع مغرما
ومن تيمت سمر الحسان فؤاده فما زلت بالسمر العوالى متيما
تجشم حمل الفادحات وقلما أقيمت صدور المجد إلا تجشما(٣)

وقال أيضا (من الطويل) :

١٩٥ - إلى سالم الأخلاق من كل عائب وليس له مال على الجـود سالم
إذا سيفه أضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو فى السيف حاكم(٤)

---

(١) يقال طاب يطيب طيبة : والطيب الرائحة الطيبة العبقة . يصف المحبوبة بعبق الرائحة وطيب النشر ويقول : إن من لم يطب من الناس من طيب رائحة المحبوب وهو مار عليهم لم يطب بعدها .

(٢) نائل اسم محبوبته ، جاوزت الأحص مثل يضرب لمن يطلب الشىء بعد فوات موضعه ، والأحص ماء فى موضع بهذا الاسم بتهامة ، جاد بالشىء منحه ، النائل : العطاء ، الصب : ذو الصبابة والشوق ، شاقه الشىء فالشىء شائق وهو مشوق .

(٣) البيض : النساء الحسان والبيض الثانية : السيوف ، الكواعب : جمع كاعب وهى الفتاة التى كعب ثديها أى بدا للنهود . تيمه الحب : أضناه ، سمر الحسان : أى الحسان السمر اللون والسمر الثانية : الرماح . تجشم الأمر : تكلفه على مشقة والتجشم : التكلف ، والفادحات : الأمور الفادحة وهى الثقيلة ، وهى أعباء المجد

(٤) الهام : الرءوس . والمعنى أنه أى الممدوح نبيل الخلق كثير الجود مسلط على الأعداء . سلم خلقه من كل عيب ولم يسلم ماله من تبديد الجود .

وقال (من البسيط) :

١٩٦ - إن ينج منها أبو نصر فعن قدر   ينجي الرجال ولكن سله كيف نجا

وقال آخر وأظنه متقدما لسلمة بن عباس[1] (من الطويل) :

١٩٧ - سمين قريش مانع منك غثه   وغث قريش حيث كان سمين[2]

وقال البحتري (من الكامل) :

١٩٨ - سلبوا وأشرقت الدماء عليهم   محمرة فكأنهم لم يسلبوا[3]

وقلت (من البسيط) :

١٩٩ - يادائم الهجـــر والتجني   دعني من الهـــجر أو فدعني
فــــر فؤادي إليك مـــني   فسله عمـا أردت مني[4]

ومن المعيب منه فى الكلام أوالشعر قول ذى نواس البجلي (من الطويل):

٢٠٠ - يتيمني برق المباسم بالحمى   ولا بارق إلا الكريم يتيمه[5]

---

(١) شاعر مخضرم أدرك الدولتين ومدح عمارة بن حمزة صاحب خراج البصرة للمهدى ، وينسب البيت لعروة بن أذينة (٢٠٤ / ٣ بيان) .

(٢) الغث : اللحم المهزول والحديث الردىء ، والسمين : ضد المهزول. ويروى منك لحمه (٢٥٣ / ٢ الكامل) وهى رواية البيان أيضا .

(٣) سلب الأعداء: أخذ سلبهم والسلب: المسلوب، والسلب : الاستلاب والاختلاس

(٤) فى الديوان (١ / ٩٩) هذان البيتان بوزن آخر وهو المجتث وهما هنا من مخلع البسيط وهما كما فى الديوان :

يا دائم الهجر دعني   من الصدود وقلني
فر فؤادى مـــني   فسل بحدك عني

والتجني : الدلال والتيه والمعنى: أيها المحب الدائم الهجر والدلال حسبك هذا فإما إن تدع هجرك وإما أن تدعنا وتتركنا فليس بالخليل الوفى من يهجر ويتجنى على محبيه . وإن قلوبنا فرت من صدورنا وأقامت فى حماك فاسألها تنبئك بما تكنه لك من حب ولوعة ووفاء .

(٥) تيمه الحب : أضناه شوقا ، البرق : اللألؤ، وبرق السيف وغيره تلألأ =

وهـذا قد جمع على غثاثه بابين من بديع الكلام ، وهما هـذا الباب وباب الاستعارة .

وقال منصور بن الفرج (من البسيط) :

٢٠١ ـ زدناك شوقا ولو أن النوى نشرت　　بسط الملا بيننا بعدا لزرناك(١)

وهذا أيضاً قد جمع معنيين من البديع وليس بشيء .

الباب الخامس من البديع

وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامى(٢) .

وهذا باب ما أعلم أنى وجدت فى القرآن منه شيئا وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

المتقدمون : قال أبو الدرداء : إن أخوف ما أخاف عليكم أن يقال: علمت فماذا عملت(٣) .

وقال الفرزدق (من الطويل) :

٢٠٢ ـ لكل امرىء نفسان نفس كريمة　　وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى　　إذا قل من أحرارهن شفيعها

وقال عمر لعبد الله بن عباس : من ترى أن نوليه حمص ؟ قال رجلا

= المباسم جمع مبسم وهو الثغر ، والمعنى أن مبسم الحبيب الساحر الجميل المتلألىء عند افتراره يزيدنى هياما ولوعة وكل كريم يتيمه الحسن ويأسره الجمال .

(١) النوى : الفراق ، البسط : جمع بساط وهو ما يبسط ومكان بسيط أى واسع وهو المراد هنا ، الملا : القفار الواسعة ، والمعنى دفع بنا الشوق إلى زيارتها ومهما صنع الفراق وباعد بيننا وبين ديارها فلا نكف عن زيارتها .

(٢) هو إيراد حجة المطلوب على طريقة أهل المنطق وهى أن تكون المقدمات مسلمة مستلزمة المطلوب وهو النوع الثامن والعشرون من أنواع البديع عند أبى هلال العسكرى (راجع ٢٩٨ ـ ٣٩٩ الصناعتين) وراجع هذا الباب أيضا فى العمدة (٢ / ٧٥) .

(٣) فى الأصل علمت وهو تحريف .

صحيحاً منك صحيحا لك ، قال: كن أنت ذلك الرجل ، قال: لا ينفع بى مع سوء ظنى فى سوء ظنك بى .

المحدثون : قال أبو عبد الرحمن العطوى(١) (من الخفيف) :

٢٠٣ ـ فوحق البيان يعضده البر هان فى مأقط ألد الخصام
ما رأينا سوى الحبيبة شيئا جمع الحسن كله فى نظام
هى تجرى مجرى الأصالة فى الرأ ى ومجرى الأرواح فى الأجسام(٢)

وقال ابراهيم(٣) بن المهدى للمأمون (من البسيط) :

٢٠٤ ـ البر بى منك وطأ العذر عندك لى فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بى فاحتج عندك لى مقام شاهد عدل غير متهم(٤)

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية مولى كنانى بصرى شاعر وأحد حذاق المتكلمين وهو متوكلى والأبيات ذكرها المرزبانى فى معجم الشعراء (٢٤٢) ، وقد استبد فى شعره (كما يقول أبو الفرج الأصبهانى) بمذهب جديد فى الشعر هو الكلام على العقائد وجدال خصومه من المتكلمين (٢٠ / ٥٨ الأغانى) وراجع كثيرا من القصيدة فى الرد على هشام ومطلعها :

جل رب الأعراض والأجسام عن صفات الأعراض والأجسام

فى الأمالى (ص ٢٣٢ ج ٢) .

(٢) المأقط : موضع القتال ، أو المضيق فى الحرب . عضده : أعانه . اللدد : شدة الخصومة . النظام : الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ . رجل أصيل الرأى : أى محكم الرأى وجد أصيل : أى ذو أصالة .

(٣) أمير عباسى هاشمى أخو الرشيد ولد ونشأ فى بغداد وولاه الرشيد دمشق وخرج على المأمون سنة ٢٠٢ وأعلن خلافته فى بغداد وظل فى الخلافة عامين وتغلب على الكوفة والسواد والمأمون بخراسان ثم استطاع المأمون التغلب عليه والظفر به سنة ٢١٠ فعفا عنه وكان أفصح أولاد الخلفاء لسانا وأجودهم شعراً حاذقا بصنعة الغناء ومات فى سر من رأى سنة ٢٢٤ هـ . وله ترجمة فى الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء (١٧ — ٤٩ ط ١٩٣٦) .

(٤) والأبيات وتاريخها الأدبى فى الأوراق للصولى قسم أشعار أولاد الخلفاء (ص ١٩ ط ١٩٣٦) .

وقال ابراهيم بن العباس (من الطويل) :

٢٠٥ - وعلمتنى كيف الهوى وجهلته   وعلمكم صبرى على ظلمكم ظلمى
وأعلم مالى عندكم فيميل بى   هواى إلى جهلى فأعرض عن حلمى

وقال أبو نواس (من الخفيف) :

٢٠٦ - إن هذا يرى - ولا رأى للأحمق - أنى أعده إنسانا
ذاك فى الظن عنده وهو عندى   كالذى لم يكن وإن كان كانا

وقال الطائى (من الكامل) :

٢٠٧ - المجد لا يرضى بأن ترضى بأن   يرضى المؤمل منك إلا بالرضا(١)

وبلغنا أن إسحاق بن ابراهيم رأى حبيبا(٢) الطائى ينشد هذا وأمثاله عند الحسن بن وهب فقال : ياهذا شددت على نفسك . ولما ودع المأمون الحسن(٣) ابن سهل مخرجه(٤) إلى بغداد فقال له المأمون : يا أبا محمد ألك حاجة ؟ قال نعم ، يحفظ على من قلبك ما لا أستعين على حفظه إلا بك .

وكتب أحمد بن يوسف إلى إسحق بن إبراهيم الموصلى وقد زاره إبراهيم ابن المهدى : عندى من أنا عنده وحجتنا عليك إعلامنا ذلك إياك والسلام .

وقال إبراهيم بن العباس (من المتقارب) :

٢٠٨ - ولما نأت كيف كنا لها   ولما دنت كيف كنا بها(٥)

---

(١) يقول الشاعر : لممدوحه إن المؤمل لا ترضى أنت ولا المجد ولا هو إلا برضائك عليه وبرك به .

(٢) فى الأصل (حبيب) وهو تحريف وتقدمت ترجمته .

(٣) هو وزير المأمون وصهره (والد زوجة بوران ١٩١ — ٢٧١) توفى عام ٢٣٦ وعقد المأمون عقد بوران عام ٢٠٢ ودخل بها سنة ٢١٠ هـ .

(٤) وذلك سنة ٢٠٤ حين أرسله من خراسان بجيش لمحاربة إبراهيم بن المهدى

(٥) يريد كنا لها بمنزلة عظيمة من الوفاء عند نأيها ولما قربت منا كنا بها وبقربها فى نعمة وسرور بالغين .

وكتب بعضهم إلى صاحب له : إرض بما حكم به الحق فى أمرك أكن بالمكان الذى أنزلنى به الحق بينى وبينك وقلت فى هذا الباب(١) (من المجتث) :

٢٠٩ — أسرفت فى الكتمان وذاك منى دهانى
كتمت حبك حتى كتمته كتمانى
ولم يكن لى بد من ذكره بلسانى

ماعيب من ذلك : كتب إلى بعض أهل زماننا : أطال الله بقاءك منشئا لك ريح(٢) عز لايعدم هبوبها ومطلعا لنعمتك شمس نصرة يؤمن غروبها وأراك أمنيتك ببلوغكها(٣) ، فقد جعل الله إبداءك وإعادتك فى الجود أذانا وإقامة يدلان العفاة إلى مباءتك للرى من ساحتك ، ولما رأيت ذكرك عطرا ، ولمن رجاك سترا ، جئتك ظامئا مستقيا ماء أنعمك(٤) ، وغير غرو أن أكون ممن يمدحك بمبلغ طاقته وفرط محبته ، فإن رأيت أعزك الله أن تقرأ رقعته(٥) وليكن شعره فعلت إن شاء الله . وصلى الله على محمد نبيه والسلام كثيرا ، وفى هذا الباب استعارة وتعقيد أيضا على بغضه كما ترى . وكتب الحسن بن وهب إلى صديق له استزاره : لما أذن الله فى النهوض إليك أحدث القدر ما لم أكن أحتسبه من شغل يعم قلبى فلا أجد بقية تتذوقك فكرهت أن آتيك على هذه الحال فيكون نظرى إليك حسرة يلجلجها(٦) الضمير إذ كان الشغل حاجبا عن استقصائك(٧) بكنهك(٨) .

---

(١) راجع ٩٩ / ١ ابن المعتز ، ٧٥ / ٢ العمدة .

(٢) الريح هنا : القوة والغلبة

(٣) فى الأصل ببلوغكما وهو تحريف .

(٤) جمع نعمة . (٥) فى الأصل رقعة .

(٦) اللجلجة : التردد فى الكلام يقال : الحق أبلج والباطل لجلج أى يتردد من غير أن ينفذ .

(٧) استقصى المسألة : نقصاها .

(٨) كنه الشىء : نهايته . يقال : أعرفه كنه المعرفة .

وللحكم بن قنبر (١) (من البسيط) :

٢١٠ – فلا تسدوا – فما لى غيركم أمل – على بالصدجرى (٢) ريح آمالى

وقلت لسليمان (٣) الطبيب : كم آكل من الرطب (٤) ؟ فقال : سبعين – يعنى أربع عشرة رطبة . وممن أساء فى هذا المعنى العلوى الكوفى (٥) حيث يقول (من البسيط) :

٢١١ – أشكو إلى الله قلبا لو كحلت به عينيك لاكتحلت من حره بدم

وقال آخر (من الطويل) :

٢١٢ – نعم منك كانت مثل لا إذ بلوتها فلا نعم عندى على لاء من فضل (٦)

انتهت أبواب البديع الخمسة (٧)

قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا ، وكأنى بالمعاند المغرم بالاعتراض على الفضائل قد قال : البديع أكثر من هذا [أ] (٨) وقال : البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التى قدمناها ، فيقل من يحكم عليه ، لأن البديع اسم موضوع لفنون من الشعر ، يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو ، وما جمع فنون البديع ، ولا سبقنى

---

(١) شاعر ماجن مخضرم أدرك الدولتين : وكان بينه وبين مسلم بن الوليد مناقضات أدبية اشتعلت نار الهجاء بينهما وتوفى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى .

(٢) مجرى الريح طريق هبوبها .

(٣) طبيب معاصر لابن المعتز وكان ألثغ لا يكاد يبين .

(٤) الرطب من النخل والتمر معروف ، والرطب ضد اليابس .

(٥) هو على بن محمد العلوى الكوفى شاعر عباسى عاصر المتوكل وهجا على بن الجهم م ٢٤٩ لانحرافه عن آل البيت ، ومات فى منتصف القرن الثالث على وجه التقريب .

(٦) بلوتها : أى خبرتها . والمعنى أن وعدك بوصالى كان مثل وعيدك بهجرى فنعم مثل لا عندك وليس لنعم عندى إذا صدرت منك على «لا» فضل ولا فيها رجاء .

(٧) عنوان من عندى .

(٨) زيادة عن الأصل لتصحيح المعنى

إليه أحد . وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين ، وأول من نسخه منى على بن هارون بن يحيى بن أبى المنصور المنجم (١) .

ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لاينبغى للعالم أن يدعي الإحاطة بها ، حتى يتبرأ من شذوذ(٢) بعضهما عن علمه وذكره(٣) ، وأحببنا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ، ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة ، اختيارا (٤) من غير جهل بمحاسن الكلام ، ولا ضيق فى المعرفة ، فمن أحب أن يقتدى بنا ، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة ، فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا ، فله اختياره .

١ — باب الالتفات (٥)

وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر .

---

(١) لعل الصواب « على بن يحيى » بحذف هرون ، وعلى بن يحيى فارسى الأصل وكان أديبا شاعرا مقدما فى علوم العرب والعجم ونادم المتوكل وكان أثيرا لديه ولدى الخلفاء بعده ومات سنة ٢٧٥ عن أربعة وسبعين عاما ورثاه ابن المعتز وعبيدالله ابن عبد الله بن طاهر وسواهم من الشعراء (٢٨٦ معجم الشعراء) . وقد يكون صحة الكلام هرون بن على بن يحيى وهو أديب ناقد (٢٥١ - ٢٨٩هـ) وفى العمدة (٢٧ / ٢) أن هرون بن على هو الذى سمى التوشيح تسهيما ، وفى الأغاني (١٤٢ : ٩) : ورد اسم على بن هرون المنجم فلعله ابن أخى على بن يحيى المنجم .

(٢) شذ عنه شذوذا أى انفرد .

(٣) الذكر ضد النسيان .

(٤) أى عن معرفة بالكلام وتذوق له وابتلاء لجيده ورديئه ، وهى بالياء لا الباء كما ورد فى الأصل .

(٥) راجع الباب فى الصناعتين (٣٨٣ — ٣٨٥) ، وفى نقد الشعر (ص٨٧) ، وفى العمدة (٤٢ / ٢) ، وهو عند قدامة وأبى هلال أخص من معناه عند ابن المعتز حيث قصره على المعنى الثانى الذى ذكره ابن المعتز ويقصد به قدامة مايشمل التذييل=

قال الله جل ثناؤه (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) . وقال (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، ثم قال : وبرزوا لله جميعاً) وقال جرير (من الوافر) :

٢١٣ - متى كان الخيام بذى طلوح   سقيت الغيث أيتها الخيام
أتنسى يوم تصقل عارضيها   بعــود بشامة سقى البشام(١)

وقال (من الكامل) :

٢١٤ - « ودعا الزبير فما تحركت الحبى » ، ثم رجع إلى المخاطبة فقال :
لو سمتهم أكل الخزير لطاروا(٢)

وقال الطائى (من الطويل) :

٢١٥ - وأنجدتم من بعد إتهام داركم   فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد(٣)

وقال جرير (من الكامل) :

٢١٦ - طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى   لازلت فى غلل وأيك ناصر(٤)

= ويسميه صاحب نقد النثر « الصرف » (ص ٧٠ نقد النثر) . والالتفات عند صاحب العمدة هو الاعتراض (٤٢ ج ٢ العمدة)

(١) ذو طلوح : واد فيه شجر كثير من الطلح . والطلح : شجر عظام من شجر العضاة . الغيث : المطر . صقل السيف : جلاه . عارضا الإنسان : صفحتا خديه ، وفلان خفيف العارضين: يراد به خفة شعر عارضيه . البشام : شجر طيب يستاك به.

(٢) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بثوب ، والاسم الحبوة بفتح الحاء وضمها . والخزير : طعام شبه عصيدة . سامه : كلفه وسامه ذلا أولاه إياه وأراده عليه .
ولعله يريد بالزبير عبد الله بن الزبير الذى خرج على الدولة الأموية فى الحجاز وقتل سنة ٧٣ هـ .

(٣) أنجد: دخل فى بلاد نجد. وأتهم: دخل فى تهامة وقد سبق البيت فى التجنيس.

(٤) ذو الأراك : مكان فيه شجر أراك كثير . الأيك : الشجر الملتف . الغلل: المكان الخصب الذى يجود بالعلة .

٢ – الاعتراض (١)

ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام فى كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه فى بيت واحد ، كقول بعضهم (من الطويل) :

٢١٧ ـ فظلوا بيوم ـ دع أخاك بمثله ـ على مشرع يروى ولما يصرد(٢)

وقال كثير (من الوافر) :

٢١٨ ـ لو ان الباخلين ـ وأنت منهم ـ رأوك تعلموا منك المطالا(٣)

وقال النابغة الجعدى (من الوافر) :

٢١٩ ـ ألا زعمت بنو سعد بأنى ـ ألا كذبوا ـ كبير السن فانى

٣ – الرجوع (٤)

ومنها الرجوع . وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه كقول بشار (من الكامل):

٢٢٠ ـ نبئت فاضح أمـــه يغتابنى عند الأمير وهل عليه أمير(٥)

وقال أبو نواس (من الرجز) :

٢٢١ ـ ياخير من كان ومن يكون إلا النـــبى الطاهر الأمين
إمام عـــدل ماله قرين استغفر الله - بلى هارون (٦)

وقال آخر (٧) (من الطويل) :

---

(١) عنوان وضعته زيادة على الأصل وراجع هذا الباب فى الصناعتين ص٣٨٥ وقد تأثر أبو هلال بابن المعتز تأثراً كبيراً . والاعتراض هو الالتفات عند بعض البيانيين (٢ ـ ٤٢ العمدة) .

(٢) مشرع الماء : مورد الشاربة . روى من الماء وأرواني الماء بمعنى . يصرد من التصريد وهو فى السقى دون الرى ، والصرد : البرد .

(٣) المطال : من المطل بالدين . (٤) راجع هذا الباب فى الصناعتين ص٣٨٦ .

(٥) البيت من أبيات هجاها بشار رجلا هجاه عند الأمير محمد بن سليمان .

(٦) تروى الأبيات بروايات مختلفة وهى فى مدح الأمين ولى عهد الرشيد .

(٧) هو ليزيد بن الطثرية ، راجع الأمالى ١٩٦ / ١ ، وهو شاعر أموى من الشعراء الغزلين .

٢٢٢ ـ أليس قليلا نظرة إن نظرتها   إليك وكلا ليس منك قليل (١)

وقال بعضهم : مامعك من العقل شيء ، بلى مقدار ماتجب الحجة به عليك والنار لك .

٤ — حسن الخروج (٢)

ومنها حسن الخروج من معنى إلى معنى ، قال بعضهم (من الطويل) :

٢٢٣ ـ إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه   فليس به بأس وإن كان من جرم (٣)

وقال بشار (من الطويل) :

٢٢٤ ـ خليلي من جرم أعينا أخاكما   على دهره إن الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة إنه   مخافة أن يرجى نداه حزين

إذا جئته في الحق أغلق بابه   فلم تلقه إلا وأنت كمين (٤)

وقال آخر ويقال إنه السموءل بن عاديا اليهودي (٥) (من الطويل) :

٢٢٥ ـ وإنا لقوم ما نرى القتل سبة   إذا ما رأته عامر وسلول (٦)

---

(١) وشبيه به قول ابن أبي ربيعة :

إن ماقل منك يكثر عندي   وكثير ممن تحب القليل

(٢) يسميه أبو هلال والمتأخرون الاستطراد (٣٨٩ صناعتين ، ٨١ حسن التوسل إلى صناعة الترسل) . وقال ابن رشيق : وأما الخروج عندهم فهو شبيه بالاستطراد وليس به ، لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتمادى فيما خرجت إليه (٢٠٦/١ العمدة) فهو عنده حسن التخلص ، وذكر ثعلب في قواعد الشعر (ص ٢٣) حسن الخروج عن بكاء الطلل ووصف الإبل بغير داع عن ذا واذكر ذا الخ .

(٣) جرم : قبيلة ، والبيت هجاء بالغ

(٤) رواية الأصل : قرعة ، ولم تلقه ، بدل تلقه ، كمين : أي مختف . هذه الأبيات من قصيدة يهجو بها بشار أبا يحيى عبيد الله بن قزعة أخا الملوى المتكلم من أصحاب النظام (١٨٩/١ الكامل للمبرد) .

(٥) شاعر جاهلي حكيم من أهل الحجاز يضرب به المثل في الوفاء ، وتوفي قبل الإسلام

(٦) عامر وسلول : قبيلتان ، وسبة : أي عاراً يسب به .

وقال زهير (من البسيط) :

٢٢٦ ـ إن البخيل ملوم حيث كان ولـــكن الجواد على علاته هرم (١)

ومنه قول حسان (٢) (من الكامل) :

٢٢٧ ـ إن كنت كاذبة التى حدثتنا فنجوت منجى الحارث بن هشام(٣)

وقال الطائى (من الكامل) :

٢٢٨ ـ لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم (٤)

وقال أبو العتاهية (من المتقارب) :

٢٢٩ ـ وأحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا
إذا سيل عرفا كسا وجهه ثيابا من المنع صفراً وسوداً
يغير على المال فعل الجواد وتأبى خـــلائقه أن تجودا(٥)

وقال إسحق الموصلى يصف السكر (من الطويل) :

٢٣٠ ـ فما ذر قرن الشمس حتى كأننا من العى نحكى أحمد بن هشام(٦)

---

(١) على علاته أى على ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز ، هرم : اسم الممدوح، وهذا البيت ذكره ابن رشيق من شواهد التتميم (٤٨ : ٢ عمدة) .

(٢) شاعر أنصارى مجيد دافع عن رسول الله بشعره عاش فى الجاهلية والإسلام ومات سنة ٥٤ هـ .

(٣) يخاطب فرسه ويعرض بالحارث بن هشام فى فراره يوم بدر

(٤) النوى : الفراق ، صبر أى مر . أبو الحسين : ممدوحه .

(٥) ومقه : أى أحبه ، الخلائق جمع خليقة وهى الطبيعة ، وسعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى من أمراء الدولة العباسية وولاتها وكان شجاعا حازما مع أدب ورواية وهجاه أبو العتاهية بهذه الأبيات ، وتنسب لمسلم وهى فى ديوانه (ص ٣٩).

(٦) ذر : طلع ، قرن الشمس : أعلاها وأول ما يبدو منها فى الطلوع ، العى: ضد البيان .

٥ – تأكيد المدح بما يشبه الذم [1]

ومنها تأكيد مدح بما يشبه الذم ، كقول الذبيانى (من الطويل) :

٢٣١ - ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتاب (٢)

وكقول الجعدى (من الطويل) :

٢٣٢ - فتى كملت أخلاقه غير أنه   جواد فما يبقى من المال باقيا

٦ – تجاهل العارف [3]

ومنها تجاهل العارف كقول زهير (من الوافر) :

٢٣٣ - وما أدرى وسوف إخال أدرى   أقوم آل حصن أم نساء (٤)

وقال ابن أبى أمية (من الطويل) :

٢٣٤ - فديتك لم تشبع ولم ترو من هجرى   أتستحسن الهجران أكثر من شهر
أرانى سأسلو عنك إن دام ما ترى   بلائقة لكن أظن ولا أدرى (٥)

---

(١) يجعله أبو هلال ضربا من أضرب نوع من البديع يسميه « الاستثناء » ص ٣٩٦ صناعتين ، وكذلك فعل ابن رشيق (ص ٤٥ ج ٢ العمدة طبعة ١٩٣٤)

(٢) الفلول : موضع الفل ، وقراع مصدر قارع أى جالد ، الكتائب : جمع كتيبة وهى الجيش .

(٣) يسميه أبو هلال تجاهل العارف ومزج الشك باليقين ٣٨٧ صناعتين) ، ويعرفه بأنه « إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً » .

(٤) يقول : ما أدرى أرجال آل حصن أم نساء . والقوم الرجال دون النساء ، ثم قال : وسوف أخال أدرى ، أى سأبحث عن حقيقة أمرهم حتى أتبينها ، وإنما يهزأ بهم ويتوعدهم ، وآل حصن هؤلاء حى من كلب ، هجاهم زهير لأنهم أهانوا جوار رجل من غطفان نزل بجوارهم ، وكان زهير نازلا فى غطفان .

(٥) روى من الماء يروى . وبلائقة يرجع الى قوله أرانى أى أظننى – إن دام هجرك ونأيك ودلالك – سأسلوا عنك بلائقة فى هذا الظن ولا تحقق له ولا عزم عليه .

وقال آخر (من البسيط):

٢٣٥ - إن لم يكن لبن الدابات غيره   عن فمل آبائه الغر الميامين
فربما غاب بعل عن حليلتـه   فناكها بعض سواس البراذين(١)

٧ — الهزل يراد به الجد

ومنها هزل يراد به الجد . قال أبو العتاهية (من البسيط) :

٢٣٦ - أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا   من بخل نفس لعل الله يشفيكا
ما سلم نفسك إلا من يتاركها   وما عدوك إلا من يرجيكا(٢) .

وقال أبو نواس (من الطويل) :

٢٣٧ - إذا ما تميمى أتاك مفاخراً   فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب(٣)

وقال أيضا للفضل بن الربيع (من الوافر) :

٢٣٨ - ولى حرم فلا تتغط عنها   لتدفع حقها دفع الغريم
تغافل لى كأنك واسطى   وبيتك بين زمزم والحطيم(٤)

---

(١) الدايات : جمع داية وهى القابلة أو المرضعة ، الغر : جمع أغر ورجل أغر ، أى شريف ، ميامين أى كرام أخيار يتيامن بهم ، واليمن البركة ، وفلان ميمون على قومه أى مبارك عليهم ، البعل : الزوج ، الحليلة : الزوجة . ساس الدابة قادها . البرذون : الدابة .

(٢) السلم : السلام أو الصلح أو المسالمة , ترك الشيء : خلاه ، وتاركه البيع متاركة . رجاه ورجاه بمعنى .

(٣) عد عما ترى : أى اصرف بصرك عنه ، يقول : هم يفخرون ، وكيف يفخرون ؟ إن نسوا فذكرهم بما هو المنقبة التى لهم وهى أكلهم للضب .

(٤) الحرم : جمع حرمة وهى مالا يحل انتهاكه ، غطاه يغطيه ، وتغطى تغطيا: تستر بالغطاء وهوما يتغطى به ، الغريم : المدين ، بيته بين زمزم والحطيم كناية عن سمو الحب وعراقة المحتد ، واسطى : نسبة إلى واسط بلد سمى بالقصر الذى بناه الحجاج بين الكوفة والبصرة . يقول : لى لديك حقوق فلا تتغافل عنها ولا تماطل فى أدائها كما يفعل عامة الناس ، فلا تكن مثلهم ، فأنت العظيم المجد والحسب . =

وقال آخر (من المديد) :

٢٣٩ - من رأى فيمن رأى رجلا تيهه مرب على جدته
يتباهى راجلا وله شاكرى فى قلنسوته(١)

٨ — حسن التضمين(٢)

ومنها حسن التضمين قال الأخيطل (من الكامل) :

٢٤٠ - ولقد سما للخرمى فلم يقل بعد الوغى: «لكن تضايق مقدمى»(٣)

وقال (من الطويل) :

٢٤١ - إذا دله عزم على الجود لم يقل غدا عودها إن لم تعقها العوائق
ولكنه ماض على عزم يومه فيفعل ما يرضاه خلق وخالق(٤)

= والفضل هو الفضل بن الربيع بن يونس من رجال الدولة العباسية فى عصر المهدى والرشيد .

(١) التيه : الصلف والخيلاء ، أربى الشيء : زاد ، الجدة : الاستغناء ، الراجل: ضد الفارس ، تباهى : تفاخر ، الشاكرى : بمعنى الأجير والمستخدم فارسى معرب. والجند الشاكرية من جند الخلافة . القلنسوة : غطاء الرأس ، والبيتان لمحمد بن أبى أمية الشاعر الكاتب ومرت ترجمته عند البيت ١٨٥ .

(٢) يعرفونه بأنه : أن يضمن الشاعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، وراجع هذا الباب فى العمدة (٨٠ : ٢) ، وقد ذكره أبو هلال فى الصناعتين (ص ٣٨) .

(٣) الوغى : الحرب ، المقدم : مكان الإقدام ، والمراد أنه لم يكن منه فى الحرب جبن ولا هلع ولا تأخر عن مناجزة العدو حتى يحتاج إلى الاعتذار عن شيء من ذلك بعد الحرب ، والخرمى هو بابك الخرمى الذى استولى على جبال طبرستان فى عصر المأمون عشرين عاما وعظم أمره وقتل محمد بن حميد الطوسى وسواه من القواد وهزم عساكر المعتصم مرارا حتى انتدب له الأفشين القائد التركى فظفر به وأسره وأحضره إلى المعتصم فقتله سنة ٢٢٣ والبيت تضمين لبيت عنترة .

إذ يتقون بى الأسنة لم أخم عنها ولكنى تضايق مقدمى

(٤) دله : أرشده، غدا عودها، أى لم يتأخر عن البذل والجود ولم يقل لنفسه =

وقال آخر (من السريع) :

٢٤٢ - عوذ لما بت ضيفا له أقراصه بخلا بياسين
فبت والأرض فراش وقد غنت (قفانبك) مصاريني(١)

٩ — التعريض والكناية(٢)

ومنها التعريض والكناية . قال على رضى الله عنه لعقيل(٣) ومعه كبش له : أحد الثلاثة أحمق : فقال عقيل : أما أنا وكبشى فعاقلان .

وكان عروة(٤) بن الزبير إذا أسرع إليه إنسان بسوء لم يجبه ويقول : إنى لأتركك رفعا لنفسى عنك ، فجرى بينه وبين على(٥) بن عبد الله بن عباس كلام ، فأسرع إليه عروة بسوء ، فقال : إنى أتركك لما تترك الناس له ، فاشتد ذلك على عروة .

= إن فاتك بذل اليوم فغدا تعود العفاة طالبة الخير والمعروف ، عافته العوائق من عاقه عن كذا أى حبسه عنه وصرفه ، وعوائق الدهر : الشواغل من أحداثه .

(١) التعويذ : اتخاذ العوذة ، القرص من الخبز ، وقرص العجين : قطعه قرصة قرصة . والمصارين : جمع واحده مصران جمع مصير ، وهى المعى . وهو تضمين لقول امرىء القيس : قفانبك الخ

(٢) يسميها صاحب نقد النثر « اللحن » (ص ٥٩ — ٦١ نقد النثر) وراجع باب التعريض فى العمدة (ص ٢٠٧ ج ١) وباب الكناية فيها ٢٠٩ ج ١) والتعريض يسميه أبو هلال بهذا الاسم أيضا راجع (٣٦٠ صناعتين) ، وعرفه بأنه أن يكنى عن الشىء ويعرض به ولا يصرح على حسب ماعملوا باللحن والتورية عن الشىء ، وابن المعتز يطلق الكناية هنا مريداً بها التعريض ، أما الكناية بمعناها الاصطلاحى فيسميها قدامة الأرداف (٩٢ نقد الشعر) ، وتبعه فى ذلك أبو هلال ٣٤١ صناعتين ، وقد ورد ذكر التعريض فى قواعد الشعر لثعلب (ص ١٩) .

(٣) عقيل بن أبى طالب نسابة فصيح اللسان صحابى أسن من أخويه على وجعفر فارق أخاه علياً فى خلافته ووفد على معاوية فى دين لحقه وتوفى سنة ٦٠ هـ .

(٤) عروة فقيه عالم قرشى توفى بالمدينة سنة ٩٣ هـ .

(٥) من أعيان التابعين وجد الخلفاء العباسيين وتوفى بالشام ١١٨ هـ .

وقال بعض ولد العباس(١) بن محمد لابنه : يابن الزانية ، فقال : الزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك . وقال بشار (من الخفيف) :

٢٤٣ - وإذا ماالتقى ابن أعيا وبكر زاد فى ذا شبر وفى ذاك شبر
أراد أنهما يتبادلان(٢) .

وقال عباس(٣) بن الفضل يهجو رجلا (من السريع) :

٢٤٤ - يلوط من خلف على أربع بخاندان من بنى آدم(٤)

وقال أبو نواس فى جلد عميرة(٥) (من الطويل) :

٢٤٥ - إذا أنت أنكحت الكريمة كفؤها فأنكح حبيشا راحة ابنة ساعد
وقل بالرفا مانلت من وصل حرة لها راحة حفت بخمس ولائد(٦)

وقال آخر فى حجام (من الطويل) :

٢٤٦ - أبوك أب مازال للناس موجعاً لأعناقهم نقر كما ينقر الصقر
إذا عوج الكتاب يوما سطورهم فليس بمعوج له أبدا سطر(٧)

---

(١) لعله عباس بن محمد الهاشمى البغدادى من حفاظ الحديث والثقات فى روايته وتوفى سنة ٢٧١ .

(٢) يريد أن كلا منهما يحن إلى صاحبه حنين الحليلة لبعلها .

(٣) أنصارى قاض ومحدث وعالم بالقرآن والشعر ولد فى البصرة وولى قضاء الموصل فى أيام الرشيد ومات بها سنة ١٨٦ ﻫ .

(٤) اللواط معروف ، وخاندان ، كلمة فارسية معناها أمرد .

(٥) جلد عميرة هو الاستمناء بالكف .

(٦) حبيش : علم رجل يهجوه الشاعر ، والراحة : باطن الكف وهى ابنة الساعد بمعنى أنها موصولة بساعد الإنسان وهو عضده . الرفا : كلمة تقال للمتزوج يقال له بالرفاء والبنين : أى بالالتحام والاتفاق أو بالسكون والطمأنينة . حفت : أى أحيطت . خمس ولائد يكنى بها عن أصابع اليد .

(٧) الأعناق : جمع عنق . نقر الطائر الحبة : التقطها . ونقر الشىء : نقبه بالمنقار والمراد أنه ينقب عروق الإنسان بمحجمه . غوج البناء : أى أقامه معوجا أى مائلا .

١٠ — الإفراط فى الصفة(١)

ومنها الإفراط فى الصفة . فمن ملح(٢) فى هذا المعنى إبراهيم بن العباس الصولى فى قوله (من المديد) :

٢٤٧ - يا أخا لم أر فى الناس خلا مثله أسرع هجراً ووصلا
كنت لى فى صدر يومى صديقا فعلى عهدك أمسيت أم لا ؟

وقال أبو نواس (من الكامل) :

٢٤٨ - ملك أغر إذا احتبى بنجاده غمر الجماجم والسماط قيام(٣)

ثم أسرف الخثعمى(٤) حتى خرج عن حد الإنسان فقال (من الكامل) :

٢٤٩ - يدلى يديه إلى القليب فيستقى فى سرجه بدل الرشاء المكرب(٥)

---

(١) هو عند أبى هلال باب الغلو (راجع ٣٤٨ — ٣٥٦ صناعتين) ، وعرفه بأنه تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ، وكذلك فعل ابن رشيق ٢/٥٧ العمدة . وسبقهما إلى ذلك قدامة (٣٧ نقد الشعر) ، وأبو هلال يذكر المبالغة كنوع آخر من أنواع البديع غير الغلو (٣٥٦ — ٣٩٩ صناعتين) .

(٢) ملح الشىء : حسن ، وهى فى الأصل ملح بتشديد اللام ، ولعلها بمعنى أتى بالمليح الحسن .

(٣) أغر : أى شريف أو كريم . الاحتباء : ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه . والنجاد : حمائل السيف . غمرهم : أى علاهم ، الجماجم : جمع جمجمة ، وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ . السماط من النخل والناس : الجانب ، ويقال مشى بين السماطين ، أى بين جانبى الحفل . والمعنى أنه أى الخليفة المهدى الممدوح عظيم كريم ، إذا جلس محتبيا بحمائل سيفه علا الرجال الوقوف فى جانبى السماط .

(٤) شاعر عباسى عاصر أبا تمام والبحترى .

(٥) رواية الصناعتين : المحصد بدل المكرب ، أدلى الدلو أرسلها فى البئر . القليب : البئر قبل أن تطوى ، أى تبنى بالحجارة ونحوها . الرشاء : الحبل . الكرب : الحبل يشد فى وسط الدلو ليلى الماء ، والمكرب من المفاصل الممتلىء عصبا والشديد .

وقال آخر يهجو رجلا (من السريع) :

٢٥٠ ـ تبكى السموات إذا ما دعا وتستعيذ الأرض من سجدته
إذا اشتهى يوما لحوم القطا صرعها فى الجو من نكهته(١)

وقال آخر (من الطويل) :

٢٥١ ـ وأقسم لو خرت من استك بيضة
لما انكسرت من قرب بعض إلى بعض(٢)

وقيل(٣) فى كثير وكان قصيرا (من الطويل) :

٢٥٢ ـ قصير القميص فاحش عند بيته يعض القراد باسته وهو قائم(٤)

وقال آخر (من البسيط) :

٢٥٣ ـ يا حابس الروث فى أعفاج بلغته خوفا على الحب من لقط العصافير(٥)

وقال أبو نواس يصف قدرا صغيرة (من الطويل) :

٢٥٤ ـ يغص بحيزوم الجرادة صدرها وينضج ما فيها بعود خلال
وتغلى بذكر النار من غير حرها وتنزلها عفوا بغير جعال
هى القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامى عام كل هزال(٦)

---

(١) القطا : جمع قطاة ، وهى طائر معروف . صرعه : أى ضرعه . النكهة : هى ريح الفم .

(٢) المعنى أنه قصير مفرط فى القصر قريب من الأرض قربا غير مألوف وينسب البيت لكعب بن جعيل ، وهو به أشبه .

(٣) وينسب البيت للحزين الكنانى الدؤلى .

(٤) قصير القميص كناية عن قصر الرجل . فاحش عند بيته ، أى إذا كان فى أهله وأمن شر الناس نطق بالفحش وعمل به ، والقراد : واحد القردان . يصفه بالفحش والجبن وبالقمامة وإفراط القصر .

(٥) الأعفاج : جمع عفج ، وهو مسلك الفضلات فى جسم الدابة . يصفه بالبخل والشح الشديد .

(٦) الغصة : الشجا ، وغص بالطعام يغص . الحيزوم : الصدر . الجرادة : واحدة

وقال إسحاق بن ابراهيم الموصلي : قالت سعدة (١) بنت عبد الله بن سالم: لقيت سكينة (٢) بنت الحسين ، صلوات الله عليه ، بين مكة والمدينة ، فقالت: (٣) قفي يابنت عبد الله ، ثم سفرت عن وجه ابنتها (٤)، وإذا هي قد أثقلتها بالدر، وقالت : ما ألبستها إياه إلا لتفضحه (٥) . وكانت امرأة من العجم حسناء ، فكانت لاتظهر من بيتها إذا طلع القمر والشمس ، فقيل لها في ذلك ، فقالت: أخاف أن تكسفاني . وقال الفرزدق يصف إبلهم (من الطويل) :

٢٥٥ ـ ألم تعلما يابن المجشر أنها إلى السيف تستبكي إذا لم تعقر (٦)

وقال هدبة (٧) العذري (من الطويل) :

= الجراد . والضمير في صدرها يعود إلى القدر . نضج اللحم : ينضج إذا أدرك ، الخلال : العود الذي يتخلل به ، الجعال : خرقة ينزل بها القدر . الهزال يريد به القحط ، يتهكم الشاعر بهذه القدر ويصور صغرها في صورة فيها جمال وسخرية .

(١) سيدة كريمة من سيدات الحجاز ووالدة شعيب بن صخر توفيت في القرن الهجري الأول.

(٢) نبيلة هاشمية كريمة شاعرة تزوجها مصعب بن الزبير فمات وتزوجها بعده سواه . وتوفيت سنة ١١٧ هـ .

(٣) أي سكينة .

(٤) أي ابنة سكينة ، ومن الرباب بنت مصعب بن الزبير المتوفى عام ٧٢ هـ .

(٥) في الأغاني (١٧ / ١٦٤ ، ١٦٥) هذه الرواية الأدبية عن شعيب بن صخر عن أمه سعدة بتفصيل .

(٦) الضمير في أنها يعود إلى الإبل. عقر البعير بالسيف وعقره به بالتشديد، أي ضرب به قوائمه . يقول إن إبلنا اعتادت فعل الكرم حتى إنها لتبكي إذا لم تنحر في المكرمات . والألف في « تعلما » مقلوبة عن نون التوكيد الخفيفة .

(٧) هو هدبة بن الخشرم الشاعر المفلق ، كان كثير الأمثال في شعره ، قتل ابن عم له أيام معاوية فحبس خمس سنين ، ثم قتله ابن المقتول عام ٥٤ هـ . أخذاً منه بثأر أبيه ، ومن شعره في الحبس :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

٢٥٦ - بإجانة لو أنه خر بازل من البخت فيها ظل للجنب يسبح (١)

وصف أعرابي فرسا فقال : إن الوابل ليصيب عجزه فما يبلغ معرفته حتى أبلغ ما أريد (٢) .

وقال المؤمل (٣) (من الخفيف) :

٢٥٧ - من رأى مثل حبتى تشبه البدر إذا بدا
تدخل اليوم ثم تد خل أردافها غدا (٤)

وقال عباس (٥) الخياط (من الرمل) :

٢٥٨ - لأبي عيسى رغيف فيه خمسون علامه
فعلى جانبه الوا حد لقيت الكرامه
ثم لاذاقك لي ضيف م إلى يوم القيامه
وعلى الآخر سطر نسأل الله السلامه

وقال أيضا يهجو إماما بطيء القراءة (من المنسرح) :

٢٥٩ - إن قرأ (العاديات) في رجب لم يقر آياتها إلى رجب
بل هو لا يستطيع في سنة يختم (تبت يدا أبي لهب)

---

(١) الإجانة معروفة (شبه الماجور) . خر : أي سقط ، البازل من الإبل : الكبير في السن . والبختى من الإبل ، الأنثى بختية ، وهي الإبل الخرسانية . الجنب معروف . سبح في الماء : عام فيه ، ينوه الشاعر بكرم قومه ويصف قدورهم وضخامتها ، وضخامة القدر من مستلزمات الكرم .

(٢) الوابل . المطر الشديد ، معرفة الفرس هي الموضع الذي ينبت عليه العرف وهو الذي في أعلا عنقه ورأسه يصف الشاعر فرسه بالكرم وسرعة العدو .

(٣) المؤمل ابن أميل المحاربي الشاعر الكوفي أدرك الدولتين وانقطع إلى المهدي ، وهو صالح المذهب في شعره ، وفي شعره لين وطبع صالح (٥٢٣ ج ٣ خزانة طبع بولاق) ومات نحو سنة ١٩٠ هـ .

(٤) الحبة : أي الحبيبة ، الأرداف : جمع ردف وهو الكفل .

(٥) لم أقف على ترجمة له وورد اسمه في الموشح ص ٣٢٤ .

وقال أعرابي في وصف امرأة :

ما يمس ثوبها منها إلا مشاش منكبيها ، وحلمتى ثدييها ، ورانفتى أليتيها (١)

١١ — حسن التشبيه (٢)

ومنها حسن التشبيه : نبدأ بإمام الشعراء . قال امرؤ القيس (من المتقارب):

٢٦٠ - ومسرودة السك موضونة ... تضاءل في الطي كالمبرد
تفيض على المرء أردانها ... كفيض الأتى على الجدجد (٣)

وقال (من الطويل) :

٢٦١ كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي (٤)

وقال يصف الناقة (من الطويل) :

٢٦٢ - كأن حصى المعزاء بين فروجها ... إذا خذفته رجلها خذف أعسرا

---

(١) المنكب : مجمع عظم العضد والكتف ، المشاش : رأس العظم ، الحلمة : رأس الثدى ، الألية : العجيزة ، الرانفة : طرف غضروف الأنف .

(٢) راجع باب التشبيه في العمدة (٢٥٦ ج ١) وقد عقد له قدامة فصلا في نقد الشعر ، (ص ٦٥ — ٧٠) وعقد له العسكرى بابا طويلا في الصناعتين (٢٢٦ — ٢٤٩) ، وقد سبق الجميع إلى الكلام على التشبيه المبرد حيث عقد له بابا في كامله (٣٥ — ١٠١ ج ٢) ، وكذلك ثعلب في قواعد الشعر (ص ١٤ – ١٨ طبع ليدن)

(٣) درع مسرودة من السرد وهو تداخل الحلق بعضها في بعض، وقيل : السرد هو الثقب والمسرودة المثقوبة ، والسك : الدرع الضيقة الحلق ، والدرع الموضونة هي المنسوجة وقيل المنسوجة بالجواهر ، تضاءل ، أى تتضاءل وتقل . الطى ضد النشر والمبرد آلة الحداد المعروفة ، الأردان : جمع ردن وهو أصل الكم ، الأتى : السيل . الجدجد : الصخور الصلبة ، وراجع شرح البيتين أيضا في نقد الشعر (ص ٦٨): قال : وصف الدرع في حال طيها بالبيت الأول ، ثم وصفها في حال نشرها بالثاني ، ومعنى البيت الأول أنها إذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالمبرد .

(٤) العناب . ثمر أحمر ، والحشف ما يبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى، شبه الطرى من القلوب بالعناب والعتيق بالحشف ، يشبه الشاعر فرسه بعقاب صيود، وفرخ العقاب يأكل لحم الطائر ، ما خلا قلبه ، فلذلك كثر ذلك عند وكرها .

كأن صليل المرو حين تشذه صليل زيوف ينتقدن بعبقرا (١)

وقال الراعى (٢) (من الكامل) :

٢٦٣ ـ فى مهمه قلقت به هاماتها قلق الفووس إذا أردن نصولا (٣)

وقال ابن مقبل (٤) (من الطويل) :

٢٦٤ ـ تقلقل من ضغم اللجام لهاته تقلقل عود المرخ فى الجعبة الصفر (٥)

وقال النابغة الذبيانى (من الطويل) :

---

(١) المعزاء : الأرض الصلبة الفروج جمع فرجة ، وهذان البيتان بينهما فرجة أى انفراج ، والفروج أيضا جمع فرج وهو معروف ، الخذف بالحصى : الرمى به بالأصابع ، والأعسر الذى يعمل بشماله ورميه لايذهب مستقيما ، والمعنى أن هذه الناقة تطير الحصا يمينا وشمالا كأنه رمى الأعسر الذى لايمضى على وجهه ، والصليل امتداد الصوت ، والمرو : الحجارة ، واحدته مروة وكل حجر فيه نار فهو مروة ، تشذه : أى تطيره ، الزيوف : هى الدراهم التى ليس فيها فضة واحدها زيف ، والزيف شديد الصوت صافية كما يقول المبرد (٧٦ / ٢ الكامل) ، ونقدت الشىء : ضربته بالأصبع كما ينقد الصبى الجوز بأصبعه فيسمع له صوت ، شبه صوت المرو بصوت صافيته ، وعبقر موضع باليمن كانت دراهمه زيوفا ويقال بلد من بلاد الجن .

(٢) هو راعى الإبل النميرى شاعر مشهور هجاه جرير وتوفى فى أوائل القرن الثانى، كان كثير وصف الرعاء فى شعره فسمى الراعى وهو من أسرة طيبة فى البادية.

(٣) المهمه : الأرض المقفرة الخلاء ، والقلق : الاضطراب ، وهامات : جمع هامة وهى الرأس ، والضمير فيها للابل . والفأس معروف ، وفأس اللجام والحديدة القائمة فى الحنك وهو المراد هنا . ونصل السهم : خرج نصله . يشبه الشاعر اضطراب الإبل فى سيرها فى الصحراء باضطراب فأس اللجام فى نصولها من حنك الدابة .

(٤) تميم بن أبى بن مقبل شاعر جاهلى لحل أدرك الإسلام وأسلم وكان يبكى أهل الجاهلية وتوفى سنة ٢٥ هـ .

(٥) التقلقل : الاضطراب : ضغم اللجام : إمساكه . اللهاة : الهنة المطبقة فى أقصى سقف الفم . المرخ : شجر سريع الورى . الجعبة : كنانة السهام ، الصفر : الخالية ، الضغم : العض .

٢٦٥ تراهن خلف القوم زوراً عيونها جلوس الشيوخ فى مسوك الأرانب (٣)

وقال زهير (من الطويل) :

٢٦٦ بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهن بوادى الرس كاليد فى الفم (٤)

ومن التشبيهات العجيبة ، قول ابن مقبل (من البسيط) :

٢٦٧ - وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الغلام وراء الغيب بالحجر (٥)

وقال رؤبة (١) (من الرجز) :

٢٦٨ - حتى رأين هامتى كالطس جلحاء جلهاء كظهر العس (٢)

وقال زهير فى الحمار والأتن (من المتقارب) :

٢٦٩ - تبادرن جرياً يبادرنه كقرع القليب حصا القاذفينا

---

(٣) زورا أى منحرفات ، ومن المادة : ازور عن الشىء أى عدل عنه وانحرف والمسوك : الجلود .

(٤) بكر : سار بكرة ، واستحر : سار سحرا ، وسحرة اسم للسحر ، يقول : ابتدأن السير وسرن سحرا وهن قاصدات لوادى الرس لا يخطئنه كاليد القاصدة للفم لا تخطئه .

(٥) الوجيب : خفقان القلب وتحركه ، الأبهر عرق مستبطن فى الصلب متصل بالقلب ، اللدم : الضرب ، والغيب : ما كان بينك وبينه حجاب ، والمعنى أنه يشبه صوت خفقان القلب الذى لا يرى بصوت الحجر الذى يرمى به الصبى من خلف حجاب ولا يراه . وخص الغلام لأن الصبيان كثيراً ما يلعبون برمى الحجارة .

(١) راجز من مخضرمى الدولتين كان أكثر مقامه بالبصرة وكان يحتج بشعره وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكان بشار يحاول أن يظهر عليه فى الرجز ، وأبوه العجاج الراجز المشهور ومات بالبادية سنة ١٤٥ هـ .

(٢) الهامة : الرأس . الطس : لغة فى الطست . العس : القدح العظيم . والجلحاء من الجلح ، وهو انحسار شعر الرأس من الجانبين . والجلهاء من الجله ، وهو قريب من الجله . الأنزع الذى قد انحسر الشعر عن جانبى جبهته ، فإذا زاد قليلا فهو أجلح ، فإذا بلغ النصف فهو أجلى ثم هو أجله .

وتحسب بالفجـــر تعشيره تغرد أهوج فى منتشينا (١)

وقال الأعشى (من الطويل) :

٢٧٠ - وعريت من ملك وخير جمعته كما عريت مما تمر المغازل (٢)

وقال أبو دؤاد(٣) فى الفرس (من الكامل) :

٢٧١ - يمشى كمشى نعـامتـــين تتابعان أشق شاخص(٤)

ومن تشبيهات عنترة بن شداد(٥) العبسى (من الكامل) :

٢٧٢ - جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم(٦)

وفى الذباب (من الكامل) :

٢٧٣ - هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم(٧)

---

(١) الجرى : المشى السريع ، ولعله جريا بكسر الجيم جمع جرو وهو الصغير من كل شىء ، والجروة : الناقة الصغيرة . والقرع : مصدر قرع الباب ونحوه . والقليب : البئر التى لم تطو ، التعشير : صوت الأتان والناقة . والتغرد : التغريد . الأهوج : الأحمق أو السكران . المنتشى : من انتشى أى سكر .

(٢) عرى من ثيابه وعراه بالتشديد وفرس عرى أى ليس عليه سرج ، تمر : تحكم الفتل ، يقول : ذهب عنك ما جمعته من مال وبنيته من مجد كما يذهب الفتل عن المغازل وتبقى عارية عنه .

(٣) أبو دؤاد الأيادى : شاعر جاهلى مشهور وأحد نعات الخيل المجيدين والعرب لا تروى شعره ولا شعر عدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية ، وكان الحطيئة ينوه به .

(٤) النعامة : معروفة ، تبعه : مشى خلفه أو مر به ، ومن المتابعة : تابعه ، إذا سار يريد اللحاق به شخص بصره فهو شاخص: إذا فتح عينيه وجعل لا تطرف ، الأشق من الخيل : ما يشتق فى عدوه يمينا وشمالا .

(٥) سبق أن سمى والده معاوية .

(٦) سبق شرحه .

(٧) هزجا : أى مصوتا . المكب : المقبل على الشىء . الأجذم : الناقص . يقول الشاعر إن الذباب قد خلت بهذه الروضة فهى تغرد فيها فعل الشارب الثمل=

وفى الغراب (من الكامل) :

٢٧٤ - خرق الجناح كأن لحى رأسه   جلمان بالأخبار هش مولع
إن الذين نعبت لى بفراقهم   هم أسهروا ليلى التمام وأوجعوا (١)

وقال الفرزدق (من الطويل) :

٢٧٥ - بنى دارم ما تأمرون بشاعر   برد الثنايا ما يزال مزعفرا
إذا هو استلقى رأيت سلاحه   كمقطع عنق الناب أسود أحمرا (٢)

وقال الطرماح (٣) فى الثور (من الكامل) :

٢٧٦ - يبـــدو وتضمره البلاد كأنه   سيف على شرف يسل ويغمد (٤)

ـــ وتحك إحدى ذراعيها بالأخرى مثل رجل ناقص اليد قد أقبل على قدح النار . ويعد النقاد وفى طليعتهم الجاحظ هذا البيت من الأبيات الفذة التى لم يسبق أحد إلى معنـاها .

(١) الخرق : هو الأخرق ، اللحى : منبت اللحية من الإنسان وغيره ، شبه لحييه بالجلمان لأن الغراب يخبر بالفرقة ويقطع كما يقطع الجلمان ، والجلم الذى يجز به ، وهما جلمان ، هش به يهش : خف إليه وارتاح له ، أولع بالشىء فهو مولع أى مغرى ، نعب الغراب : أى صاح . ليل التمام : أطول ليل فى السنة ، أسهروا من السهر وهو الأرق ، ويروى أسهدوا ، والسهاد : الأرق أيضا .

(٢) بنو دارم : قوم الفرزدق ، البرود : البارد ، الثنايا : مقدم الأسنان ، زعفر الثوب : صبغه بالزعفران ، استلقى : اضطجع على قفاه ، مقطع الشىء : موضع قطعه ، الناب : الجمل الذى طلع نابه ، والناب أسنان طويلة تلى الثنايا وهى أربع .

(٣) شاعر خطيب وأحد زعماء الخوارج توفى سنة ٨٠ هـ ، وقال محمد بن سهل راوية الكميت : أنشدت قول الطرماح للكميت :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلقت   عرى المجد واسترخى عنان القصائد

فقال : إى والله ، وعنان الخطابة والرواية (٥٢/١ البيان) . وقال عبد الأعلى : رأيت الطرماح مؤدبا بالرى فلم أر أحداً آخذ لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم إلى حديث منه (٢٢٦/٢ البيان) .

(٤) يبدو : يظهر ، تضمره : تغيبه وتخفيه . الشرف : المكان المرتفع . غمد السيف : جعله فى غمده ، سله : أخرجه من الغمد .

وكتب مروان إلى بعض الخوارج : إني وإياك كالزجاجة والحجر إن وقع عليها رضها[1] وإن وقعت عليه فضها . وقال آخر يصف السيل (من الرجز):

٢٧٧ - يكب فيه دوحه للأذقان شحذ المواسى حجام الرهبان[2]

ومن عجائب التشبيه قول عدى[3] بن الرقاع (من الكامل) :

٢٧٨ - تزجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة[4] مدادها

وقال آخر يصف صوت شخب[5] الضرع (من الرجز) :

٢٧٩ - كأن صوت شخبها غديه حفيف ريح أو كشيش حيه[6]

وقال حسان (من الكامل) :

٢٨٠ - بزجاجة رقصت بما فى قعرها رقص القلوص براكب مستعجل[7]

وقال جرير (من الوافر) :

٢٨١ - لها برص بأسفل إسكتيها كعنفقة الفرزدق حين شابا[8]

---

(١) الرض: الدق ، وكل شىء كسرته فقد رضضته ، والفض: الكسر بالتفرقة.

(٢) الكب : إلقاء الشىء على الوجه . والإكباب : خرور الشىء على وجهه . الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة . المواسى : جمع موسى ، وهو ما يحلق به . الحجام : موضع الحجامة . الرهبان : جمع راهب .

(٣) شاعر فحل هاجى جريرا ، واجتمعا عند عبد الملك أو الوليد فأنشده عدى قصيدته الدالية فحسده جرير عليها . واختص بالوليد بن عبد الملك ومات سنة ٩٥ هـ فى دمشق .

(٤) أزجى الإبل : ساقها . الأغن : الظبى ، والغنة : صوت فى الخيشوم ، يقال طير أغن ، أى يتكلم من قبل خياشيمه . الروق : القرن ، إبرته : طرفه المدبب . المداد : الحبر .

(٥) الشخب : جريان اللبن فى الإناء وقت الحلب ويضم .

(٦) الغدية : تصغير غدوة ، وهى ما بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . حفيف الريح : صوت هبوبها ، الكشيش : صوت الحية .

(٧) رقصت : تحرك ما فيها من شراب فى اضطراب . القلوص : الناقة الشابة .

(٨) البيت من قصيدة لجرير فى هجاء الراعى النميرى . والضمير فى لها لمل=

وقال عبد الله بن الزبير الأسدى (من الطويل) :

٢٨٢ - وأنتم بنى حام بن نوح أرى لكم شفاها كآذان المشاجر ورما[1]

المحدثون:

ومن أحسن التشبيه قول بشار (من الوافر) :

٢٨٣ - كأن فؤاده كرة تنزى حذار البين لو نفع الحذار[2]

وقال عبد الصمد[3] يصف ذنب العقرب (من الرجز) :

٢٨٤ - أسود كالمسحاة فيه مبضعه ينطف منها صابه وسلعه[4]

وقال منصور بن الفرج (من الكامل) :

٢٨٥ - أن تأته يك منه ربعك مخصباً والأرض مجدبة كخد الأمرد

طلب المحامد جاهدا وهى التى لايحتويها طالب لم يجهد[5]

وقال العلوى الأصفهانى (من الطويل) :

٢٨٦ - كأن انتصار البدر من تحت غيمه نجاه من البأساء بعد وقوع[6]

= مرجعه إلى الناقة أو إلى المرأة . البرص: داء معروف . الأسكتان: جانبا الرحم . العنفقة : ما بين الشفة السفلى والذقن لخفة شعرها .

(١) شفاه : جمع شفة . المشجر : موضع الشجر ، والشجر : الذقن وما انفتح من منطق الفم ، أو ما بين اللحيين ، والمشجر : عود الهودج . ورم جمع وارم من الورم وهو معروف . (٢) تنزى : يثب . الحذار : الخوف .

(٣) عبد الصمد بن المعذل بن غيلان شاعر عباسى ، هجاء ، شديد المعارضة ، ولد ونشأ فى البصرة وتوفى سنة ٢٤٠ .

(٤) المسحاة : كالمجرفة إلا أنها من حديد . المبضع أما يبضع أى يشق به العرق، ينطف : أى يسيل . الصاب : عصارة شجر مر . السلع : شجر مر أو ضرب من الصبر أو بقلة خبيثة الطعم . والضمير فى منها لذنب العقرب .

(٥) الربع : الدار . الأمرد : الغلام الذى لم ينبت شعر لحيته . جهد الرجل فى الأمر جد فيه وبالغ .

(٦) ويروى انتضاء بدل انتصار ، انتضى الثوب : خلعه ، وانتضى السيف : سله . الغيم : السحاب . النجاء : مصدر نجا . والبأساء : الشدة .

ومما يستحسن من التشبيه قول أبى نواس (من الرجز) :

٢٨٧ – لما تبدى الصبح من حجابه   كطلعة الأشمط من جلبابه(١)

وقال فى الطير (من الرجز) :

٢٨٨ – كأنما يصفر من ملاعق   صرصرة الأقلام فى المهارق(٢)

وقال يصف الطير إذا أحست بالبازى (من السريع) :

٢٨٩ – وهن يرفعن صراخا كما   يصوت فى الشعب الملبونا(٣)

ومن التشبيه الحسن قول البحترى (من الكامل) :

٢٩٠ – يخفى الزجاجة نورها فكأنها   فى الكف قائمة بغير إناء(٤)

وقال أبو نواس فى ناقة (من المنسرح) :

٢٩١ – كأنما رجلها قفا يدها   رجل غلام يلهو بدبوق(٥)

وأنشد الأسدى(٦)(من الطويل):

٢٩٢ – إذا نحن رمنا هجرها ضم حبها   صميم الحشا ضم الجناح الخوافيا(٧)

(١) تبدى : ظهر . الحجاب : الستر . الشمط : بياض يخالط سواد شعر الرأس والرجل أشمط والمرأة شمطاء وشمط بالكسر . والجلباب : الملحفة .

(٢) يصفر : يصوت ، الملاعق : جمع ملعقة . الصرصرة : الصوت المرجع ، المهارق الصحائف جمع مهرق وهى الصحيفة فارسى معرب .

(٣) الصراخ : الصوت . صات يصوت : أى صوت . الشعب : الطريق فى الجبل . الملبون : جمع ملب من لبى بالحج تلبية إذا رفع صوته بذكره .

(٤) البيت فى وصف الخمر ووروده هنا ينفى نسبته لابن المعتز كما فى (٢٨ جـ ٢ ديوان ابن المعتز) ، وقد عاب بعد النقاد البيت وقالوا : هو وصف للإناء للخمر لأنه لو ملىء الإناء دبسا لكان هذا صفته (١٢ موازنة) وقد رد عليهم الآمدى (راجع ١٤ ، ١٦٤) ، ورواية الأصل تخفى بالتاء .

(٥) القفا : مؤخر العنق ، والمراد خلف ، الدبوق : لعبة .

(٦) تقدمت ترجمته ، والبيت يروى للأقرع بن معاذ القشيرى (راجع ترجمته فى ٣٨٠ معجم الشعراء) ، وهو شاعر أموى كان فى أيام هشام بن عبد الملك .

(٧) الحشا : ما انضم عليه الضلوع . صميم الشىء : خالصه ، الخوافى : جمع خافية وهى مادون الريشات العشر من مقدم الجناح .

وقال آخر (من الطويل) :

٢٩٣ - عشى وداع قبحت من عشية ولكنها لاقبحت من مودع
كأن انحدار الدمع منها تعده لهاذات عقد قيل عدى فأسرعي (١)

وقال آخر (من الخفيف) :

٢٩٤ - لعن الله ، لا ، فلا خلقت خالقة الجلم
إنما تقرض الجميل م وتأبى على الكرم (٢)

وقال أبو نواس (من الكامل) :

٢٩٥ - وإذا قصرت لها الزمام سما لها فوق المقدم ملطم حر
. وكأنها مصغ لتسمعه بعض الحديث بأذنه وقر (٣)

ومن عجائب التشبيه قوله أيضا (من السريع) :

٢٩٦ تبكى فتذرى الدر من نرجس وتلطم الورد بعناب (٤)

وقال آخر (٥) (من الكامل) :

٢٩٧ - عظمت روادفها فآدت خصرها ووشاحها قلق كقلب مغرم (٦)

---

(١) العشى والعشية : من صلاة المغرب إلى العتمة ، ولكنها أى المحبوبة . الانحدار : الهبوط ، عده : أحصاه ، وعدى أى احسبى . والمعنى : شاهت عشيات الوداع ولاشاه وجه من ودعناه فلقد فارقنا وهو الوفى المخلص إذا خنقته العبرات وانهمرت منه الدموع متواليات حتى حسبناه فى سرعة انهمار دموعه امرأة تحسب وتعد مالها فى سرعة فائقة ، والمعنى تساقط الدمع من عينيه كتساقط المال المعدود من يد الحاسب

(٢) الجلم : المقص . تقرض : تقطع .

(٣) الزمام : مقود الدابة . سما : علا . المقدم : ضد المؤخر ، ويقال : ضرب مقدم وجهه . الملطم : الوجه لأنه موضع اللطم ، واصغى استمع فى إنصات . الوقر : الثقل .

(٤) الدر : يريد به قطرات الدموع . أزرت العين دمعها : حبسته . النرجس معرب وتشبه به العيون . اللطم : ضرب الوجه بباطن الراحة ، العناب : ثمر أحمر يشبه به البنان والورد مستعار للخد . (٥) ينسب البيت لعروة بن أذينة الشاعر الغزل فقيه المدينة وقاضيها فى عصر بنى أمية ووفد على هشام .

(٦) الروادف . جمع رادفة وهى الكفل . آدت : أثقلت . الخصر : وسط الإنسان الوشاح : ما يتوشح به ، وقلق الوشاح كناية عن ضمور الخصر .

وقال آخر فى البرق (من الرجز) :

٢٩٨ ـ وتارة ينبض باستخفاء كلمحة من ذى هوى مرائى
أسرها خوفاً من الأعداء(١)

١٢ ـ لزوم مالا يلزم

ومن إعنات الشاعر نفسه فى القوافى وتكلفه من ذلك ما ليس له قول رافع (٢) بن هريم اليربوعى (من الطويل) :

٢٩٩ ـ فإلا تحامونى تصبكم بعرة مفارقتى أو تقبسوا من شراريا
إذا صار لونى كل لون وبدلت نضارة وجهى مخضبا باصفراريا
فسرى كإعلانى وتلك سجيتى وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا
بنى عاصم من ذا الذى ترسلونه مع الخيل يجرى مثل ما كنت جاريا
له مثل طرفى ساميا عند غايتى وطول عنانى وارتفاع عذاريا
ويمسى ورائى من عرام جماعة شياطين (أصليها) بشهبان ناريا(٣)

---

(١) نبض العرق : تحرك . استخفى منه استخفاء : توارى . لمحه : أبصره بنظر خفيف ، والاسم اللمحة . الهوى : الحب ، مرائى : من الرياء ، وتراءى الجمعان : رأى بعضهم بعضا ، وفلان يتراءى : أى ينظر إلى وجهه فى المرآة . الضمير فى أسرها للمحة . الخوف : الحذر . أسر : أخفى . والمعنى ـ أن البرق حينا يلمح فى خفية كما يبدو المحب فى سرعة وخفية إذا شاهد الأعداء والوشاة

(٢) ورد له فى الأمالى شعر (٢/٨٢) ولم أقف على ترجمة له .

(٣) حامى عنه : دافع ، ولعلها تحامونى ، من تحاماه الناس توقوه واجتنبوه . العرة : العار . مفارقة : مصدر فارقه . القبس : شعلة نار ، وقبس منه نارا فأقبسه : أى أعطاه منه قبسا . الشرار : ما يتطاير من النار . النضارة : البهجة والحسن والرونق . مخضبا : أى مخضوبا ، من الخضاب وهو ما يختضب به . السجية : الطبع . بنو عاصم : قومه . الطرف بالكسر : الجواد الكريم . ساميا : رافعا بصره نحو الشىء . العنان : مقود الدابة . عذار الرجل : شعره النابت فى موضع العذار. عرام: أعداء قومه . صليت الرجل نارا وأصليته : أدخلته فيها. شهبان :=

وقال آخر من الطويل) :

٣٠٠ - يقولون فى البستان للعين لذة وفى الخمر والمـاء الذى غير آسن(١)
فإن شئت أن تلقى المحاسن كلها ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

وقال آخر وأظنه قديما (من الطويل) :

٣٠١ - عصانى قوى ، والرشاد الذى به أمرت ، ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بنى بكر عل الموت إننى أرى عارضا ينهل بالموت والدم(٢)

وأنشد إسحاق بن إبراهيم الموصلى (من الوافر) :

٣٠٢ - إذا ماكنت يوما مستضافا فقل للعبد يسق القوم برا
لحسن البر مكرمة ومجد ومدفأة إذا ماخفت قرا(٣)

١٣ حسن الابتداء(٤)

ومنها حسن الابتداءات . قال النابغة (من الطويل) :

٣٠٣ - كلينى لهم ياأميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب(٥)

وقال الأعشى (من الطويل) :

٣٠٤ - كفى بالذى تولينه لو تحببا(٦)

= جمع شهاب وهو شعلة نار ساطعة . وفى الأصل تحريف كثير هنا فى رواية الأبيات وقد صححناها بما يساير المعنى .

(١) أسن المـاء : أجن وتغير طعمه .

(٢) عارض الانسان : صفحة خده . ينهل : يتساقط فى انصباب وكثرة .

(٣) المستضاف : صاحب الضيف . المدفأة : الدفء . القر بالضم : البرد .

(٤) راجع باب المبدأ والخروج والنهاية فى العمدة لابن رشيق ص ١٩١ / ١ وما بعدها . وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال (٩٣ حسن التوسل إلى صناعة الترسل) .

(٥) كلينى : من وكله إلى نفسه يكله وكولا من باب وعد . والهم : الحزن . أميمة : اسم محبوبته . ناصب : شديد ، أى ذو نصب ، لأنه ينصب فيه ويتعب .

(٦) تحبب إليه : تودد .

وقال بعض المحدثين (من الطويل) :

٣٠٥ - كأن اللواتى قلن لى أنسير غصون رمال فوقهن بدور(١)

وقال أبو تمام (من الطويل) :

٣٠٦ - أجل أيها الربع الذى خف أهله لقد أدركت فيك النوى ماتحاوله(٢)

وقال أيضا (من الكامل) :

٣٠٧ - ياربع لو ربعوا على ابن هموم(٣)

وقال أيضا (من البسيط) :

٣٠٨ - يابعد غاية دمع العين إذ بعدوا هى الصبابة طول الدهر والكمد(٤)

وقال أيضا (من الكامل) :

٣٠٩ - بأبى وغير أبى وذاك قليل ثاو عليه ثرى النباح مهيل(٥)

وقال أبو حية(٦) (من الطويل) :

٣١٠ - ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا(٧)

وهذا أيضا يدخل فى باب اعتراض كلام فى كلام ثم يعود الشاعر فيتمم الكلام.

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عيينة المهلبى(٨) (من البسيط) :

٣١١ - من أقعدته صروف الدهر لم ينم(٩)

---

(١) يصف حبيباته باعتدال القامة وحسن الوجوه وجمالها .

(٢) أجل : أى نعم . خف : ارتحل . أهله المقيمون به ، النوى : الفراق .

(٣) الربع : الدار . ربعوا : وقفوا .

(٤) الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الكمد : الحزن .

(٥) ثوى : أقام . الثرى : التراب . النباح : العوبل . هال التراب : أرسله إرسالا فهو مهيل .

(٦) أبو حية النميرى واسمه الهيثم بن الربيع ، شاعر مشهور مجيد من مخضرمى الدولتين . توفى سنة ١٦٠ هـ .

(٧) المغانى : المنازل التى كان بها أهلوها .

(٨) شاعر عباسى متوسط فى منزلته الشعرية ، وقدمت له ترجمة عند البيت ١٦٥

(٩) صروف الدهر : حدثانه ونوائبه .

دراسات عن ابن المعتز

لا يفوتنا أن ننوه فى آخر هذا الكتاب بدراستين كتبتا عن ابن المعتز :

أولاهما كتبها الدكتور طه حسين ونشرها فى كتابه « القيم » من حديث الشعر والنثر » ، حيث عرض لابن المعتز وشعره فى نحو عشرين صفحة ، تحدث فيها عن حياته وبيئته وأثرهما فى شعره ، ويروى شعره لمؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقى ودلالة هذا الشعر على نفسه ، ويتحدث كذلك عن فن ابن المعتز وخصائصه وشعره التعليمى فى أرجوزته فى المعتضد وأرجوزته فى ذم الصبوح ، ويشير إلى مكانته العلمية كل ذلك فى إيجاز شديد .

والدراسة الثانية هى كتاب ظهر عن ابن المعتز فى بيروت عام ١٩٥١ ، وقد ألفه الأديب المصرى الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ، وقد قامت معركة أدبية بينى وبين الأستاذ الأهل على أثر قراءتى لكتابه الذى اعتمد مؤلفه فيه على كتابى عن ابن المعتز دون أن يشير إليه ، وقد نشرت مناقشاتى للأستاذ الأهل فى مجلة الأديب البيروتيه وفى كتابى « فصول فى النقد » .

وقد نشر الأستاذ الأهل قصة عن حياة ابن المعتز فى الخلافة بعنوان « يوم وليلة » .

ومنذ شهور قابلنى أديب عراقى وقال إنه سيسافر إلى ألمانيا الغربية للتحضير لرسالة دكتوراه عن ابن المعتز ، وقد نسيت اسمه الآن

وفيما وراء ذلك لا نجد دراسات أخرى عن « ابن المعتز » ...

٢٠ / ٩ / ١٩٥٨

البحترى يصف شخصية ابن المعتز

أبا العباس أبررت على قوم ... لك آدابا وأخلاقا وتمييزا
فلو صورت من شىء سوى الناس ... إذا كنت من العقيان إبريزا
ولم يعللك إلا الكرم النفس ... بلى فازددت بالمعتز تعزيزا
فأنت الغيث إذ يسجم والليث ... إذا يقدم والصارم مهزوزا
فأما حلبة الشعر فتستولى ... على السبق بها فرضا وتمييزا
بإحكام مبانيه وإبداع ... معانيه ولا يوجد مغموزا
فإن جنست لم تستكره القول ... وإن طابقته طرزت تطريزا
مدى من رامه غيرك أنضاه ... وأبدى منه تقصيرا وتعجيزا
فإما دافعوا فضلك بالظلم ... تجوزنا عليهم لك تجويزا

خاتمــة

هذا الكتاب كان ظهوره بهذه الصورة الجديدة معجزة وتوفيقا كبيراً من الله . . .

وبحسبي أنه اشتمل على أربعة كتب مهمة :

أولها : الطبعة الأولى من كتابى « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان »

وثانيها : كتابى « التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى »

وثالثها : نص كتاب « البديع لابن المعتز » وشروحى عليه .

ورابعاً : رسائل ابن المعتز فى الأدب والنقد والأخلاق .

هذا كله إلى جانب ما اشتمل عليه من شعر لابن المعتز وتحليل لجوانب شخصيته وأدبه وشعره وتراثه الفكرى والنقدى .

وإنى لأحمد الله تعالى على توفيقه ، وأسأله العون والسداد ، إنه ولى المخلصين ، وملاذ العاملين . . .

محمد عبد المنعم خفاجى

القاهرة فى { ٦ ربيع الأول ١٣٧٨ / ٢٠ سبتمبر ١٩٥٨

فهرس موجز للكتاب